

تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار

للداعي إدريس عماد الدين
المتوفى سنة 1488/872

تحقيق
محمد اليعلاوي



دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان

تاريخ الخلفاء الفاطميين
بالمغرب
القسم الثامن من كتب عمدة الأخبار

تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار

للداعي إدريس عماد الدين
المتوفى سنة 1488/872

تحقيق
محمد اليعلاوي



دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
1985

دار الغرب الإسلامي
ص.ب. ٥٧٨٧/١١٣
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ اهتمامنا بالفترة الفاطمية من تاريخ المغرب العربي كان متّجهاً بادىء ذي بدء إلى الآثار الأدبية، فخصّصنا أطروحة الدكتوراه للشاعر محمد بن هانيء المغربي الأندلسي، شاعر المعزّ لدين الله⁽¹⁾ بعد أن نشرنا جملة من قصائده ومقطوعاته المجهولة، اكتشفناها في بعض مخطوطات الديوان المحفوظة بالمكتبة الوطنية بتونس⁽²⁾.

فجرّنا الحديث عن ابن هانيء إلى البحث عن شعراء إفريقيين آخرين، ممّن عاصروا الخلفاء الأربعة: المهديّ فالقائم فالمنصور فالمعزّ، فوالوهم في دولتهم أو ناوؤوهم في دعوتهم. فاستخرجنا من المظانّ السنيّة كرياض النفوس لأبي بكر المالكي⁽³⁾ ومعالم الإيمان للدبّاغ/ ابن ناجي، والشيعة كافتتاح الدعوة للقاضي

(1) نشرت الرسالة بالفرنسيّة سنة 1976 تونس، ضمن مشورات كليّة الآداب. ونشرت بالعربيّة سنة 1985 عن دار الغرب الإسلاميّ بيروت.

(2) نشرنا هذه المجموعة من شعر ابن هانيء بمجلّة «حواليّات الجامعة التونسية»، العدد 6، سنة 1969 والعدد 9 لسنة 1972.

(3) صدر أخيراً في طبعة محقّقة كاملة مفهرسة عن دار الغرب الإسلاميّ في ثلاثة أجزاء، بتحقيق البشير البكوش، بيروت، 1981 - 1983. وكنا اعتمدنا نسخة خطيّة من الجزء الثاني.

النعمان، وسيرة الأستاذ جوذر وعيون الأخبار للداعي إدريس - وهو الكتاب الذي نقدّمه اليوم - طائفة صالحة من الشعر المناصر والمناهض، سعياً إلى تصنيف مدوّنة أوليّة تجمع ما أمكن العثور عليه من الشعر المذهبي الخاصّ بالنصف الأول من القرن الرابع الهجريّ / العاشر الميلاديّ، ونشرنا هذه الحصيلة من الشعر الإفريقيّ المعاصر للدولة الفاطميّة في مجموعتين⁽⁴⁾.

ودرستنا لهذه الآثار زادتنا اقتناعاً بأنّ الشعر السياسيّ، أو الاجتماعيّ بوجه عامّ، لا يفهم حقّ الفهم إلّا إذا وُضع في الإطار التاريخيّ الذي نظم فيه، وأرجع إلى البيئة الاجتماعيّة والحظيرة العقائديّة التي نشأ فيها قائلوه. فطمحنا إلى أن نجد في كتاب القاضي النعمان، «المجالس والمسائرات»، شيئاً ممّا يعلّنا به العنوان: أي، معلومات عن الأحداث التاريخيّة التي عرفها مؤلّفه، إمّا بالممارسة والمشاهدة، وإمّا بالسماع والرواية عن المعزّ في مجالسه وأثناء مصاحبته له في تنقّلاته، وتفاصيل عن الحروب والانتفاضات، وإرشادات عن الحياة العامّة وموقف المجتمع من هذه الدولة التي عدّها جانب كبير من المغاربة دولة دخيلة مبتدعة، بل مارقة، بمقولاتها وطقوسها وشعاراتها الغريبة عن معتقد السّنة والجماعة. فنشرنا هذا الكتاب⁽⁵⁾، رغم أنّه لم يحقق ما أملنا منه: فالنعمان لا يدقّق التواريخ ولا يصرّح بالأسماء ولا يتبع التسلسل الطبعيّ، ولكنّه يفيدنا كثيراً لمعرفة «الجو العامّ» في القيروان

(4) حوليات الجامعة التونسيّة، العدد 1973/10 والعدد 1979/17.

(5) كتاب المجالس والمسائرات، من منشورات كليّة الآداب كذلك، تونس 1978. وكان التحقيق بالاشتراك مع الدكتور الحبيب الفقي المختص في الفلسفة الإسلاميّة والدراسات الإسماعيلية، وبمساهمة من الأستاذ إبراهيم شيوخ المختص في الآثار الإسلاميّة.

وأعمالها، والأطلاع على المكانة الخاصة التي توليها الدعوة للإمام والصفات المتميزة التي تكاد تخرجه عن طينة البشر.

وفي الأثناء، لفت انتباهنا ما نقله الداعي إدريس في السبع الخامس من كتابه هذا، من خطب المهدي والقائم والمنصور ورسائلهم، فأعجبنا بأسلوبها الرفيع الذي يجعلها جديرة بأن تلحق برسائل البلغاء وتدرج في مدونات الخطابة العربية، هذا علاوة على ما تسلطه من أضواء على أحداث ووقائع ترد عند المؤرخين مقتضبة، أو مبهمة مضطربة. فنشرناها أيضاً⁽⁶⁾ بعد أن بذلنا الجهد في تصحيحها وتحقيقها كما فعلنا بالقصائد والأبيات التي أشرنا إليها.

وكنا ظفرنا بنسخة مصورة من مخطوط السبع الخامس لهذا الكتاب، الذي يؤرخ للخلفاء الثلاثة الأول - وهي نسخة من مخطوطة المكتبة المحمدية الهمدانية، أمدنا بها الباحث الكبير والمحقق القدير الدكتور إحسان عباس⁽⁷⁾ - فاكشفنا فيها معلومات جديدة هامة عن فترتي القائم والمنصور، ولا سيما عن ثورة أبي يزيد صاحب الحمار، في تفاصيلها وأطوارها وتسلسلها والطوائف المشاركة فيها وأسماء ضحاياها وأبطالها. فعزمنا على تحقيق هذا السبع الخامس ونشره، عملاً بما بسطناه آنفاً من وجوب الاستعانة بالتاريخ لفهم الأدب، وضرورة الاستعانة بالأدب لإضاءة التاريخ. فاستقدمنا نسخة أخرى من هذا السبع الخامس⁽⁸⁾ وأخذنا في العمل، وتقدمنا فيه

(6) نشرنا هذه الخطب والرسائل في مجلة «الحياة الثقافية» بتونس سنة 1979.

(7) وصلتنا هذه المصورة عن طريق الرميل إبراهيم شُبَّوح، فنجدد الشكر له وللدكتور إحسان عباس.

(8) أمدنا بهذه المصورة الثانية - نسخة «ر» - الدكتور محمد رحمة الله رئيس جمعية الدراسات الإسماعيلية بباريس.

خطوات، حتى طالعنا طبعة الدكتور مصطفى غالب⁽⁹⁾ فأخذتنا الخيبة وذهبت النفس حسرات.

أخذتنا الحسرة، لا لأنّ المجهود الذي بذلناه ذهب سدى بظهور الكتاب. فهذه المفاجآت كثيراً ما وقعت في السابق، وكفي أن نذكر مثال «افتتاح الدعوة» للقاضي النعمان، الذي عمل على تحقيقه ونشره كلّ من الدكتورة وداد القاضي في بيروت، والدكتور فرحات الدشراوي بتونس، فظهرت منه طبعتان صالحتان، وكانت الواحدة منهما تكفي لسدّ الفراغ وإرضاء حاجة الباحثين. ولعلّ ما يقوم به اليوم معهد المخطوطات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، في دوريته «أخبار التراث العربي»، من إعلام بما أنجز وتنبه إلى ما يُنجز، لعلّه ينقص في المستقبل من هذا التقابل في العمل والازدواج في المجهود.

بل سبب خيبتنا أنّ الكتاب الذي «حقّقه وكتب مقدّمته الدكتور مصطفى غالب» لا يستحقّ صفة التحقيق من قريب ولا من بعيد: فالطبعة تحتاج إلى إصلاح بل إصلاحات في كلّ صفحة لأغلاطها المتعدّدة المتنوعة، وما هي بالأغلاط المطبعية⁽¹⁰⁾، وتفتقر إلى ضبط حقيقيّ للنصّ وتعريف بالأعلام والمواضع، ومقابلة رواية الداعي للأحداث برواية بقيّة المؤرّخين، ولا سيّما مؤلّفي الجانب الغربيّ كابن حمّاد وابن عذارى وابن خلدون، ومناقشة التواريخ والأحكام التي يثبتها المؤلّف ويتبنّاها، وتبرير الاختيار بين قراءتين ممكنتين،

(9) «عيون الأخبار وفنون الآثار»، السبع الخامس، بيروت د. ت.، ولكنّ مقدّمة المحقّق مؤرّخة بشباط / فيفري 1975.

(10) مثلاً، في ص 129، الآية: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ لا يتبّه إلى أنّها قرآن وتكتب الكلمة «دحلها» ويقترح علينا في الهامش «رحلها». وفي ص 145، «ضيق المجاز» يصبح ضيق المجاز.

ما دام الناشر يعتمد نسختين مختلفتين⁽¹¹⁾. كما يحتاج التحقيق إلى صنع فهرس مفصلة مدققة مرتبة ترتيباً محكماً يوفر الوقت للقارئ، الباحث عن علم بعينه أو موقع مخصوص⁽¹²⁾. وكنا نتظر من المحقق، وهو ممن يتسبب إلى الإسماعيلية ويدّعي فيها الاختصاص، أن تكون معرفته بأصول المذهب وبتاريخ رجاله، ولا سيما المهدي، والقائم، معرفة صحيحة ثابتة واسعة. ولكن هيهات! فالتعليقات الهزيلة القليلة التي تذيّل بعض الصفحات إنما هي منقولة عن المقرئ في «أعاظ الحنفاء» أو عن «افتتاح الدعوة» للنعمان⁽¹³⁾، وأغلبها مكرّر ومتضارب أو مضحك في غرابة خطئه⁽¹⁴⁾.

وعلى الرغم من نقائص هذه الطبعة التي شوّعت الكتاب إلى حدّ أن قراءة المخطوط مباشرة كانت تبدو أضمن للفهم الصحيح، أحجمنا عن مواصلة العمل في تحقيق الكتاب حتى لا نتهم باستثمار مجهود الغير، وأسلمنا أمرنا إلى الله راجين، في خاتمة الكلمة التي قدّمنا بها للخطب والرسائل، «أن لا يطلع علينا السبع السادس في صورة من الإهمال والاستخفاف مماثلة لحال السبع الخامس». وما كنا آنذاك نأمل أن نحصل على نسخة من السبع السادس، رغم محاولاتنا العديدة لدى من يتصلون بطائفة البهرة وشيوخ الإسماعيلية

(11) وقد كنتم خبر المخطوط الثاني «حرصاً على سلامة الشيخ الفاضل والإنسان المؤمن» الذي أسعفه به.

(12) لكنّ فهرس الدكتور غالب يندرج فيها الوليد وبعده المغيرة ضمن قائمة الهمة، ويأتي أحمد بعد أفلح، ومحمد بعد منصور، وسجلماة بعد سلمية.

(13) يقول عن الافتتاح: «مخطوط في مكتبي الخاصة»، ولا خبر عن طبعة وداد القاضي وقد صدرت قبل تحقيقه بخمس سنوات.

(14) مثلاً: تعريفان مختلفان لمدينة سوسة ص 84 و 197 وفي ص 318: سبيلة تكتب في المتن: سبيلة وفي التعليق: سبلة.

بالهند واليمن، وهم، والحق يقال، لا يزالون يضمنون بمخطوطاتهم ويغارون عليها ويحرمون منها الباحثين، إلا من ادعى الانتساب إليهم أو الاختصاص فيهم.

وفي سنة 1981 ظهرت بتونس طبعة لمقتطفات من السبع الخامس بتحقيق الدكتور فرحات الدشراوي⁽¹⁵⁾ الذي تخصص في تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب. انتقى الناشر هذه الفقرات من نسخة أمده بها المستشرق شتارن، ومهد لها بمقدمة مفيدة تبين ما لهذه الرواية الشيعية للأحداث من قيمة، وذلك بإكمالها وتوضيحها وتنقيحها لرواية المصادر السنية، خاصة في تفاصيل ثورة أبي يزيد. وكان هو أيضاً عازماً على نشر الكتاب فعدل عن المشروع حين تعذر عليه الحصول على نسخ خطية أخرى فاقتصر على فقرات من أخبار القائم والمنصور معرضاً عن خبر بداية الدولة لأنه مذكور بالتفصيل في افتتاح الدعوة للنعمان.

وبكتاب الدشراوي خفت خيبتنا بعض الشيء: فالنص في معظمه محقق مفهوم، بل مشكول في مواضع كثيرة. ولئن وقعت فيه بعض الهنات، فمرجعها إما إلى قلة اعتناء عند تصحيح التجارب⁽¹⁶⁾ وإما إلى اضطرار الناشر إلى الاعتماد على نسخة وحيدة، فإذا وقع سقوط، لم يستطع تداركه⁽¹⁷⁾. وكان يمكن للمحقق أن يعتمد النص

(15) ظهرت هذه المقتطفات بعنوان «تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب»، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل.

(16) من الأغلاط المتكررة: ضم جزء من كلمة إلى كلمة موالية، وسقوط حرف أو أكثر من كلمة، وزيادة حرف أو كلمة اعتباطاً، وسقوط كلمة أو أكثر من السياق: ص 200: فلما وصل الكتاب إلى تحركوا... ص 241: وتحصين أمة رسولك في اللهم وافتح لي...

(17) وفي هذه الحال، ينبغي تنبيه القارئ إليه والسعي إلى سد الفراغ.

المطبوع- على علّاته - مخطوطاً ثانياً لو انتبه إلى ظهوره بالسوق. والهوامش كثيرة متنوعة، إلاّ أنّها أخرت إلى ذيل الكتاب فأتعبت القارئ بالتنقل الدائم بين متن الكتاب وصفحاته الأخيرة. ثمّ إنّ الإحالات تكتفي بذكر المرجع المشار إليه وتعيين صفحاته، دون تلخيص للمعلومة التي يستشهد بها، ممّا يضطرّ القارئ إلى بحث جديد في كتب أخرى قد لا تتوفّر لديه. لكنّ النقص الأكبر في هذه الطبعة هو فقدان الفهارس، فلا الأعلام رتبت في آخر الكتاب، ولا الأماكن، ولا القوافي، فضلاً عن آي القرآن الكريم التي يسهوا عنها هو الآخر⁽¹⁸⁾ فلا يميّزها عن كلام المؤلف.

وفي سنة 1983، أقتنينا من الدكتور رحمة الله نسخة مصوّرة من السبع السادس الذي يتضمّن أخبار المعزّ فالعزّيز فالحاكم فالظاهر. فعاودنا العزم عند ذاك على نشر الكتاب بمادّته المتضمّنة لأخبار الخلفاء الأربعة المغاربة، أي أن نضمّ إلى السبع الخامس قسماً من السبع السادس فيتناول تحقيقنا كامل الفترة المغربية من تاريخ الخلافة الفاطميّة، ابتداء من البذرة الأولى التي زرعها أبو عبد الله الداعي وانتهاء بهجرة المعزّ إلى القاهرة ووفاته بها. فاستأنفنا العمل، وحاولنا أن نحصل على نسخة ثانية من السبع السادس فلم نفلح، فأقدمنا على تحقيق نصّه من مخطوط واحد، يشجّعنا على ذلك وفرة النقول عن كتب مطبوعة متوفّرة لدينا، كالمجالس والمسائرات، وديوان ابن هانئ وسيرة جوذر.

فرغنا من العمل في الصائفة الماضية، وعندما صرنا إلى دفعه للطبع طالعنا السبع السادس مطبوعاً محققاً أيضاً بعناية الدكتور

(18) مثلاً، ص 230، الفقرة 75: ﴿وظنّوا أنّهم مانعتهم حصونهم﴾ (الحشر، 2).

غالب⁽¹⁹⁾. فاضطررنا إلى مراجعة عملنا على ضوء عمله هذا الثاني، علّنا نجد فيه من جدّ التحقيق وثبات المعلومات ما يثينا بدون ندامة عن نشر كتابنا.

ولكنّ هذا السبع السادس لا يختلف كثيراً عن سابقه في قلّة الضبط وسطحيّة التحقيق، بل هو دون السابق، إذ يخلو من الفهارس تماماً. أمّا الخطأ في القراءة، أمّا السقط في السياق، أمّا الجهل بالأوزان⁽²⁰⁾ فمتواصل مستمرّ مثلما كان متواصلًا مستمرًا في السبعين الرابع والخامس. فلذلك لم نحجم ولم نتحرّج، فدفعنا الكتاب إلى المطبعة، ولكن بعد أن أضفنا إليه الإحالات إلى المطبوع الجديد كما فعلنا بالمطبوع السابق، حتى يتمكّن القارئ من الوقوف على الفروق في القراءات والتعليق ويفهم منهجنا في التحقيق.

منهجنا في التحقيق:

قلنا إنّ هذا الكتاب ينظم السبع الخامس وجزءاً من السبع السادس من عيون الأخبار، فمادّته تتكوّن إذن من أخبار الخلفاء الفاطميين الأربعة الأول، وتنتهي بوفاة المعزّ لدين الله، مع انصراف ضروريّ إلى شيء من أخبار المشرق كنشوء الدعوة باليمن وخروج المهديّ من الشام، وفتح جوهر لمصر وحروبه مع القرامطة.

واعتمدنا في تحقيق السبع الخامس، الذي ينتهي بوفاة المنصور بالله، على نسختين مصوّرتين:

- نسخة «هـ»: وهي نسخة المكتبة المحمّديّة الهمدانيّة التي

(19) دار الأندلس، بيروت، 1984، الطبعة الثانية، ولا ندري متى صدرت الطبعة الأولى. ومقدّمة المحقّق مؤرّخة بـ 1978.

(20) مثلاً، في ص 80: أن يرسل أساطيل في البحر إلى طرابلس للأندلس. وفي ص 161: غداة أبت الإنفاق عصابة، عوص: إلّا نفاقاً. والشر من الطويل.

أَتَّخِذْنَاهَا أَصْلًا لِلتَّحْقِيقِ، وَأَثْبَتْنَا أَرْقَامَ صَفَحَاتِهَا فِي الطَّرَةِ فَأَحْلَنَّا فِي كُلِّ هَوَامِشِنَا وَكُلِّ الْفَهَارِسِ إِلَى هَذِهِ الْأَرْقَامِ الْجَانِبِيَّةِ.

- نسخة «ر»: وهي التي أَمَدَّنَا بِهَا الدُّكْتُورُ رَحْمَةُ اللَّهِ.

نسخة «هـ» تَتَرَكَّبُ مِنْ 265 وَرَقَةً، أَيْ 530 صَفْحَةً، كُلُّ صَفْحَةٍ تَتَضَمَّنُ 17 سَطْرًا. وَالْكِتَابَةُ فِيهَا وَاضِحَةٌ غَالِبًا، مُسْتَرَسَلَةٌ بِدُونِ تَهْوِئَةٍ وَلَا تَوَقُّفٍ، إِلَّا فِي بَعْضِ الْعُنَاوِينَ الَّتِي تَفْصِلُ خِلَافَةً عَنْ أُخْرَى، فَقَدْ كَتَبْتُ، عَلَى مَا يَبْدُو، بِخَطِّ أَغْلَظَ وَبِمَدَادٍ مُغَايِرٍ انْطَمَسَتْ بِهِ الْحُرُوفُ عِنْدَ التَّصْوِيرِ.

نسخة «ر» دُونَ الْأُولَى فِي الْجُودَةِ: فَالْسَّقَطُ فِيهَا كَثِيرٌ، دُونَ تَنْبِهِ مِنَ النَّاسِخِ إِلَى انْقِطَاعِ السِّيَاقِ، وَرِسْمُ الْكَلِمَاتِ وَإِعْجَامِهَا مُخْتَلٌ، كَأَنَّ النَّاسِخَ لَا يَفْهَمُ مَا يَنْقُلُ، وَالْخَطُّ مُتَفَاوِتٌ فِي الْغَلْظَةِ وَالِدَقَّةِ، فَصَارَتِ الصَّفَحَاتُ تَتَرَاوَحُ بَيْنَ 17 وَ 22 سَطْرًا لِلصَّفْحَةِ الْوَاحِدَةِ، وَتَشْتَمِلُ النُّسخَةُ عَلَى 203 صَفْحَاتٍ رَمَزْنَا إِلَيْهَا بِحَرْفِ «ر» وَرَقَمْنَاهَا بِالْوَجْهِ وَالظَّهْرِ، بِاسْتِعْمَالِ حَرْفِي «أ» وَ«ب»، وَأَدْرَجْنَا عَلَامَةَ الصَّفْحَةِ بَيْنَ قَوْسَيْنِ دَاخِلِ الْمَتْنِ حَتَّى نَفْرِدَ الطَّرَةَ بِأَرْقَامِ النُّسخَةِ الْأَصْلِ كَمَا قَلْنَا.

وَأَشْرْنَا إِلَى الْمَطْبُوعِ كَذَلِكَ، فَأَحْلَنَّا إِلَى صَفْحَاتِهِ مُسَبَّوْقَةَ بِحَرْفِ «ط» وَأَدْرَجْنَاهَا كَذَلِكَ فِي مَتْنِ الْكِتَابِ.

بَقِيَتْ مَقْتَطَفَاتُ الدُّشْرَاوِيِّ. فَنَظَرْنَا لِأَقْتَصَارِهَا عَلَى قِسْمٍ فَقَطْ مِنْ الْكِتَابِ، أَلْحَقْنَا الْإِحَالََةَ إِلَيْهَا بِالطَّرَةِ، مُسَبَّوْقَةَ بِرِمَزِ «دش»، وَنَبَّهْنَا إِلَيْهَا فِي الْمَتْنِ بِنَجْمَةٍ (*).

هَذَا فِي خُصُوصِ السَّبْعِ الْخَامِسِ. أَمَّا السَّبْعُ السَّادِسُ، فَمُعْتَمَدُنَا فِيهِ هُوَ النُّسخَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي أَمَدَّنَا بِهَا الدُّكْتُورُ رَحْمَةُ اللَّهِ. وَنَظَرْنَا لِأَنْفِرَادِهَا؛ لَمْ نَرِ فَائِدَةً فِي تَمْيِيزِهَا بِحَرْفٍ خَاصٍّ. لَكِنْ

قابليتها أيضاً بالمطبوع وأدرجنا الإحالة إلى المطبوع في متن الكتاب، تاركين الطرة لأرقام المخطوط المعتمد، وقد ميّزناها عن أرقام السبع الخامس بعلامة: 2/، متبوعة برقم الورقة لا الصفحة.

هذه النسخة تشتمل على 247 ورقة، والصفحة منها على 15 سطراً، وتوقفنا عند الورقة 139 التي بها تنتهي أخبار المعز لدين الله.

وخطها واضح على الجملة، إلا أن هوامشها تأتي أحياناً مثقلة بالتصحیحات والتعليق والشروح - ولعلها إضافات من صاحب المخطوط - مستقاة غالباً من كتب التراجم كالوفيات، أو القواميس ودواوين الشعراء، خاصة شرح زاهد عليّ لديوان ابن هانيء، ممّا يشعر، مع النقول عن منجد الأب معلوف، بأن صاحب هذه الهوامش هو قارئ معاصر.

هذا، وقد حاولنا أن نقدّم للقارئ نصّاً واضحاً مفهوماً، فقابلنا لهذا الغرض رواية المؤلف برواية غيره، ولا سيّما ما ينقل منه مباشرة ككتب النعمان وديوان ابن هانيء وسيرة جوذر. والنقول كما أسلفنا كثيرة جداً، وربما طغت في السبع السادس على كلام المؤلف نفسه، وهذا من عيوب الكتاب، وإن كان له من جهة أخرى فائدة غير منتظرة: وهي أنه يُساعدنا على تصحيح كثير من قراءاتنا في المجالس والمسائرات، وقراءات غيرنا في سيرة الأستاذ جوذر مثلاً. ونبّهنا إلى الاختلاف إذا كان هاماً بدرجة أن يغيّر القصد. أما الفروق البسيطة كتعويض أداة بأخرى، أو كلمة بمرادفها، أو اختصار عبارة التصلية هنا وبسطها هناك، فرأينا أن لا نثقل بها الهوامش، وهي بعد غزيرة طويلة. وكلما استعصى علينا فهم جملة وتصويب سياق، نبّهنا القارئ إلى ذلك حتى يعمل رأيه معنا.

وفي مقابلة الروايات للحدث التاريخي، بين مصادر شيعية وأخرى سنية مثلاً، لم نكتف بوضع الخصمين وجهاً لوجه، بل تجاسرنا على إبداء الرأي فانتقدنا غلو هذا وتحامل ذلك.

وبذلنا مجهوداً كبيراً في التعريف بالأشخاص والأماكن، معتمدين على ما أمكن الحصول عليه من مراجع قديمة ومعاصرة، وما لم نوفق إلى ضبطه والتعريف به، نبهنا إليه كذلك. وكذلك الأمر في تخريج الحديث النبوي والأبيات، فقد وفقنا في البعض ووقفنا في البعض الآخر.

الداعي إدريس عماد الدين مؤلف الكتاب:

هو داع يمني تقلد رتبة «الداعي المطلق» في الدعوة الفاطمية في فترتها اليمينية بعد انقراض الدولة من مصر. تولى زعامة المذهب من سنة 1428/832 إلى وفاته سنة 1468/872. فهو متأخر بالنظر إلى الفترة التي يؤرخ لها، فلا غرابة أن ينقل صراحة أو تصرفاً عن مصادر فاطمية قديمة، من شائع معروف كرسالة استتار الإمام وسيرة جعفر الحاجب وسيرة جوذر الأستاذ، وافتتاح الدعوة والمجالس والمسائرات، أو مخزون مجهول كتاريخ القاضي النعمان الذي سمّاه «أخبار الدولة»⁽²¹⁾. وربما نقل أيضاً عن مصادر مفقودة كأحد التواريخ المغربية التي تنسب إلى الرقيق القيرواني، وابن الجزّار الطبيب، وابن شدّاد الصنهاجي.

(21) وقد أشار النعمان إلى هذا الكتاب في «المجالس والمسائرات» ص 117، لا بهذا العنوان، وافترضنا أن يكون، إمّا كتاب افتتاح الدعوة، وإمّا كتاب «شرح الأخبار عن الأئمة الأطهار» الذي ذكره أيفانوف في ثبته تحت رقم 78 (وذكره بوناوالا ص 60 رقم 22 بعنوان: شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار)، وذكره الداعي إدريس في إحصائه لكتب النعمان (ص 31/2).

يقول إسماعيل قربان بوناوالا في الترجمة التي خصّصها له إنه كان، إلى جانب كونه مؤلفاً في فنون متنوعة، رجل سياسة ورجل حرب، فقاوم الزيدية باليمن وافتكّ منهم كثيراً من الحصون والقلاع. كما وجّه اهتمامه إلى الهند ومهد لتحويل مراكز الدعوة الإسماعيلية إليها. وكان مولده سنة 1392/794 بقلعة شبام من جبل الحراز باليمن، وهي من معاقل الدعوة الإسماعيلية، وقد خلف عمّه الداعي علي بن عبد الله، فكان هو الداعي المطلق التاسع عشر⁽²²⁾.

وذكر له من المؤلفات «عيون الأخبار» هذا، وحلّل محتوى كلّ سبع من أجزاء السبعة.

- و «نزهة الأفكار». فيمن قام باليمن من الملوك الكبار والدعاة الأخيار». قال بوناوالا: هو تاريخ سياسيّ لليمن من سقوط دولة الصليحيين إلى سنة 853، ويعتبر الكتاب «أهمّ مصدر لتاريخ الدعوة باليمن في قرونها الثلاثة». وهو لا يزال مخطوطاً.
- «روضة الأخبار». في حوادث اليمن الكبار». وهو مواصلة للكتاب السالف الذكر، يعرض فيه المؤلف للفترة بين سنة 853 و 870. مخطوط أيضاً.
- «زهر المعاني»، وهو كتاب هامّ في علم الباطن والحقائق، لا يزال مخطوطاً.

إلى جملة من المؤلفات الأخرى في الفقه، والفتاوى والأجوبة عن أسئلة في الدعوة، والردّ على الخصوم في المذاهب، مثل: «رسالة إيضاح الإعلام». في كمال عدّة الصيام، في أنّ الصيام بالحساب لا بالرؤية وأنّ شهره ثلاثون يوماً..

(22) بوناوالا: بيولوجرافيا. . . ص 169.

وكتاب «عيون الأخبار وفنون الآثار في ذكر النبي المصطفى المختار ووصية الكرار وآلهما الأطهار» يقع في سبعة أجزاء، سماها المؤلف أسبوعاً. وعدد سبعة له شأن خاص عند الشيعة الإسماعيلية - وهم يسمون أيضاً «الشيعة السبعية» انطلاقاً من إمامهم السابع محمد بن إسماعيل - ولذلك قال المؤلف في تعريف المعز: «وهو سبع أسبوعين من أئمة دور النبي محمد القائمين بعد الوصي علي، ورابع أئمة الظهور»⁽²³⁾. وقد حلل بوناوالا محتوى الأسبوع فقال: السبع الأول: في سيرة النبي (ﷺ).

السبعان الثاني والثالث: في سيرة علي بن أبي طالب ووقائع الجمل وصفين والنهروان.

الأسبوع الرابع والخامس والسادس (هي التي نشرها مصطفى غالب، ونشر اليوم قسماً منها).

السبع السابع: يعرض لخلافة المستنصر والمستعلي والامر واستتار الطيب، ثم لدعوة الصليحيين والدعوة المستعلية الطيية باليمن.

وقيمة الكتاب تتمثل، فيما يخص تاريخ المغرب، فيما ينقله المؤلف عن مصادر مفقودة لا نستبعد أن تكون مصادر سنية أو على الأقل معتدلة في تشييعها إن كانت شيعية. وعرضه لثورة أبي يزيد في تماسكه وتسلسله هو إلى حد الساعة أوفى رواية لهذه الفتنة العظمى التي كادت تقضي على الدولة الجديدة. يكفي أن نشير إلى وفرة التفاصيل في خصوص محاصرة المهديّة، ومحاصرة المنصور للثائر بجمال المعاضيد بعد ملاحقة طويلة مضنية، أو إلى

(23) ص 1/2 من الكتاب.

المناظرة المؤثرة - وإن كانت مزينة مفتعلة في بعض فقراتها - بين
الناثر المغلوب والخليفة المنتصر، أو إلى التصدّع والتهيب الذي
حلّ في صفوف كتامة الأنصار الأولين السابقين، أو إلى الاحتياط
والتكتّم الذي يبيده كلّ إمام جديد عند وفاة الإمام السابق له،
لمعرفة نواحي الجدّة والطرافة في هذا الكتاب.

كما نستفيد منه أيضاً في ذكره لمصادر تاريخيّة لم نسمع بها
من قبل، فتقوى رغبتنا في العثور عليها والاستفادة منها: مثل السيرة
الكتاميّة لحيدرة بن محمّد بن إبراهيم الكتامي (33/2 و 131)، و«كنز
الأخبار في السير والأخبار» لإدريس بن عليّ الحسينيّ (ص 232)
و«سيرة جوهر» للحسن بن زولاق (96/2) وتاريخ جهور بن عليّ
الهمداني (132/2) الذي ينقل عنه دون أن يعرفه.

وفي الكتاب مع ذلك نقائص: منها الإفراط في النقل كما
بيّنا، والاضطراب في ذكر التواريخ: فتارة يدقّقها بعناية كبيرة وتارة
ينساها، أو يذكرها خاطئة، خصوصاً إذا سمّى اليوم ولم يكتف بذكر
رقمه من الشهر. ومنها طغيان اللهجة الخطابيّة والنفس الملحميّ
المفتعل إذا ما ذكر انتصاراً للأئمّة. ومنها إغراقه في السجع الركيك
وإرهاقه السياق حتى يوافق القافية المطلوبة، وهو عيب معروف عند
المتأخّرين من كتاب العربيّة، خصوصاً إذا لم تكن الكتابة الديوانيّة
مهمتهم الأصليّة.

ولكنّا لا نطلب من كتاب التاريخ، ولا سيّما من مؤرّخ
متمذهب، أن يكتب مثل الجاحظ أو أبي حيّان. إنّما نرتجي منه أن
يكشف الغطاء عن مجاهل الأحداث والأشخاص والأماكن
والعقليّات، وهذا ما نجد منه نصيباً محترماً في كتاب عيون الأخبار
للداعي إدريس.

ورجاؤنا في الختام أن نكون بعملنا هذا أسدينا خدمة للباحثين
والدارسين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

جندوبة 6 جمادى الثانية 1405/26 فيفري 1985

محمد اليعلاوي

١٠ - عيون الأخبار
 السبع الخامسة من عيون الأخبار في ذكر النبي المصطفى
 المختار وصيته الكريمة لها الألفاظ السليمة بملفوظات
 الله العلي عز وجل في الغفر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
 الحمد لله على عيم نعمائه ومترالي الأئمة المان على خلقه جلوس
 أصفيائه ونظمي راوليائه صلى الله على خير رسله وخاتم
 أنبيائه محمد رسول الله إلى كافة العالمين بوحيمه وأبنائه
 علي علي وصيه المفضل بنصره وأحفاده وعلم الأئمة الطاهرين
 للمصنفين من أبنائه وفي بقيتهم صاحب العصر والآخرين
 للفرهون أكيد ولائته ذكر ما جاء من البشارات والآيات
 ويظهر أمير المؤمنين أبي محمد المهدي بالله صلوات الله
 وانتشار الوحيه - إعلانه بعض ما كان من الأخبار في أيامه
 أماما جاء من البشارات يظهر بالامام المهدي بالله أمير
 المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين وأبنائه الأكرمين
 فمن ذلك ما جاء عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله
 صلى الله على آله وأبنائه المهدي فأنزلت نبيته على الخلفاء من

الثاني

السبع الخامسة: الصفحة الأولى من نسخة (هـ)

في ميونخ ١٢

الناس شاء بل وبلا بل نبلا والارض قسطا وعللا كما ملئت
جورا وظلما فيس منى عنه ساكن السماء وساكن الارض وبلا
الله لكما قرب عباد رسولا ويعهم عدله ومن رسول الله
صلع انه قال المهدي من نسلي من ولد فاطمة سيدة نساء هذه
الامة طالت الايام فصرحت يخرج فيملا والارض قسطا وعللا
كما ملئت جورا وظلما قتل ومي يخرج واين يخرج يا رسول الله
قال اذا انت ولانك في المرات الارض وارقت النضاة ونجرت
الامة خرج من المغرب في ساعة شامة وبين كنفه شامة فزا
من بابا ويكره كيت يكون فزا عرابا يا رسول الله لا تضرع من
اهله ويتغرب من ولده قال القاصي النعم بن محمد بن حمون
التميمي من وكذا لك المهدي بالذات تغرب في هجر من طنة
وانفزع من اهله وقيل كانت قبل فاما مد من لا ازل وكانت فيه
الشامة التي وصفها رسول الله صلح فيه رسول الله صلح ان
قال الاباء من قائم من اولاد فاطمة يتقم من المغرب فيملا
الامة بكثرة وكثرة المستعدين ويقتل الضالين وكذا لك
ظهر المهدي بالله عم فانه ظهر من المغرب وكان ظهوره من
سجلا سنة ست وستمائة وستمائة ووصل الى مملكة الكوفة

الصفحة الثانية من نسخة «هـ»

هذا كتاب السبع النجاسات من رسول الله
 سيدنا ومولانا ادريس بن محمد القمي
 الذي كان من اولاده روحه الماتوفي سنة ١٩٠٢ هـ

الحمد لله على عظيم نعمائه ومتوالي الاثر المان على خلقه بجل
 اصفياه وظهور اوليائه وصلى الله على خير رسله وخاتم
 انبيائه محمد رسول الله الى كافة العالمين بوجيده وانبائه
 وعلى علي وصيه المخصوص بنصره واخائه وعلى ائمة الطاهرين
 المعطوفين من ابناءه وعلى بقيتهم صاحب العصر والوان
 المفروقين الكيد ولا يعد ذكر ما جاء من البشارات
 بظهور ائمة من المؤمنين بمحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن ابي طالب
 وائمة شراة ائمة واعلامه وبعضهم ائمة من الاخوان في ابناء
 اما ما جاء من البشارات بظهور الامام المهدي بالله امير
 المؤمنين صلح وعلى ابناء الطاهرين وانبائه الاكرميين

من ذلك

السبع الخامس: الصفحة الاولى من نسخة (١)

الفصل الأول

البشارات وألـبشارات بظهور المهديّ

باسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين.

الحمد لله على غميم نعمائه، ومتوالي آلائه، المانّ على خلقه بعلو أصفياه وظهور أوليائه. وصلى الله على خير رسله وخاتم أنبيائه محمد، رسول الله إلى كافة العالمين بوحيه وإنبائه، وعلى عليّ وصيّيه المخصوص بنصره وإخائه، وعلى الأئمة الطاهرين المصطفين من أبنائه، وعلى بقيّتهم صاحب العصر والأوان، المفروض أكيد ولائه⁽¹⁾.

-
- (1) الرموز: «هـ» مخطوط المكتبة المحمدية الهمدانية التي اعتمدناها أصلاً.
«ر: أ/ب»: مخطوط مكتبة شوهوتولخمي التي أمدنا بها الدكتور رحمة الله،
وجه الورقة وظهرها
(ط): المطبوع من عيون الأخبار: السبع الخامس والسبع السادس، نشر مصطفى غالب.
(دش): المطبوع من السبع الخامس، مقتطفات نشرها فريجات الدشراوي.
(ص، صلح) صلى الله عليه، عليهما، عليهم، صلوات الله عليه،
عليهما، عليهم.
(قس): قدس الله روحه.
(عم) عليه السلام.
(عج): عز وجل.
(تع): تعالى.

ذكر ما جاء من البشارات والإشارات بظهور أمير المؤمنين عبد الله أبي محمد المهدي بالله، صلوات الله عليه، وانتشار آلويته وأعلامه [و] بعض ما كان من الأخبار في أيامه.

أما ما جاء من البشارات بظهور الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين، فمن ذلك (2أ):

ما جاء عن أبي سعيد الخدري⁽²⁾ قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: أبشروا بالمهدي، فإنه يبعث على اختلاف من الناس شديد وبلايل، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ويملأ الله به قلوب عباده سروراً ويسعهم عدله.

2

وعن رسول الله (ﷺ) أنه قال: المهدي من نسلي من ولد فاطمة سيدة نساء هذه الأمة طالت الأيام أم قصرت، يخرج فملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. قيل: ومتى يخرج وأين يخرج يا رسول الله؟ قال: إذا كانت زلازل في أطراف الأرض وارتشت القضاة وفجرت الأمة، خرج من المغرب، في ساقه شامة، وبين كتفيه شامة، فرداً غريباً. قيل: وكيف يكون فرداً غريباً يا رسول الله؟ قال: لأنه ينفرد عن أهله ويتغرب عن وطنه⁽³⁾.

(2) أبو سعيد الخدري: صحابي روى كثيراً من الحديث النبوي، وهو معدود عند الشيعة من أصحاب علي (أسد الغابة، رقم 2035 و 5954، ورجال البرقي، 2). والحديث لم نلحه في المصادر المعروفة.

(3) في الحامع الصغير للسيوطي ج 187/2: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة» لا غير. وقال: إنه حديث صحيح. وجاء أيضاً بهذا اللفظ في سنن أبي داود، رقم 4284.

قال القاضي النعمان بن محمد بن حيّون التميمي (رضي الله عنه): وكذلك المهديّ بالله، تغرّب في هجرته عن وطنه وانفرد عن أهله. وقيل كانت قبل قيامه (عم) زلازل، وكانت فيه الشامات التي وصفها رسول الله (ﷺ).

تنبؤ الرسول (ﷺ)
بظهور المهديّ

وعن رسول الله (ﷺ) أنه قال: (ر2ب) لا بدّ من قائم من أولاد فاطمة يقوم من المغرب بين الخمسة إلى التسعة، يكسر شوكة المبتدعين، ويقتل الضالّين⁽⁴⁾.

وكذلك كان ظهور المهديّ بالله (عم)، فإنّه ظهر من المغرب، وكان ظهوره من سبعمائة سنة ست وتسعين ومائتين، ووصل إلى مملكته بالمغرب / بإفريقيّة سنة سبع وتسعين، فذلك بين 3 الخمسة والتسعة.

وروى ابن وهب⁽⁵⁾ بإسناده، ويرفعه إلى رسول الله (ﷺ) أنه قال: «يخرج ناس بالمشرق يعطون المهديّ سلطانه». وكان ذلك للإمام المعزّ من ذريّة المهديّ (عم).

وقد قال بعض الأئمّة عليهم السلام: كلّنا مهديّ، وكلّنا قائم، فظهرت دعوة المعزّ (عم) بالشرق، فملك مصر، وأظهر فيها دعوة الحقّ كما نذكره فيما يأتي ذكره.

ودعوته هي دعوة المهديّ (صلع) التي أقامها وأبان سننها وأعلامها. وكذلك فإنّ داعي اليمن⁽⁶⁾ الذي دعا إلى المهديّ بالله

(4) لم نجد هذا الحديث في المصادر المعروفة.

(5) ابن وهب: صحابيّ، من أشراف قریش (أسد الغابة، 2508). والحديث غير معروف.

(6) داعي اليمن هو الحسن بن فرح بن حوشب الملقّب «مَنصور اليمن» وميأتي خبره في الفصل الثاني.

(صلح) وداعي المغرب⁽⁷⁾، هما من المشرق قصداً، وإلى حيث أصدر أوردنا، وهما من أسباب ظهور دعوة المهديّ (صلح)، وعنهما كان ابتداء ظهور الدعوة إليه.

وروي عن أبي بصير⁽⁸⁾ أنّه قال: سمعت الصادق⁽⁹⁾ جعفر بن محمّد (صلح) يروي قول رسول الله: إنّ الإسلام بدأ غريباً، وسيعود (ر3أ) غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء⁽¹⁰⁾. قال أبو بصير: فقلت: اشرح لي هذا، فجعلتُ فداك يا ابن رسول الله. قال: يستأنف الداعي منّا دعاءً جديداً كما دعا رسول الله (ﷺ).

قال القاضي النعمان بن محمّد (رضي الله عنه): وكذلك استأنف المهديّ بالله (صلح) دعاءً جديداً إلى الله (عج) لما غيّرت السنن، وكثرت البدع، وتغلّب أئمة الضلال، وانطمس واندرس ذكر أئمة الحقّ الذين افترض الله (عج) طاعتهم على العباد، وأقامهم للدعاء إليه والدلالة بآياته عليه، ونسيّ ذكرهم، وانقطع خبرهم لغلبة أئمة الجور. فلما أنجز الله للأئمة ما وعدهم من ظهور مهديّهم، احتاج أن يدعوهم دعاءً جديداً كما ابتدأهم رسول الله (ﷺ) بالدعاء إليه أولاً.

وروي عن سفيان الثوريّ يرفعه إلى رسول الله (ﷺ) أنّه قال:

(7) داعي المغرب: وكذلك يأتي خبر أبي عبد الله الشيعيّ الصنعانيّ.

(8) أبو بصير: هو إمّا ليث بن البخترى: جعله الحلّي، 384 في الطبقة العليا من الصحابة. وإمّا عتبة بن أسيد، أحد المستضعفين المحبّسين في قريش (انظر: سيرة ابن هشام، 323/2 وأمد الغابة، 5727).

(9) جعفر الصادق هو الإمام السادس، كان عالماً محدثاً. والحديث المنقول هنا ذكره السيوطيّ في الجامع الصغير، 78/1.

(10) ورد في الجامع الصغير 77/1 بهذا اللفظ وقال إنه حديث صحيح.

المهديّ من ولدي، أرى وجهه كالكوكب الدرّي، اللون لون عربيّ، والجسم جسم إسرائيليّ⁽¹¹⁾.

قال القاضي النعمان بن محمّد (رضي الله عنه): وكذلك كان المهديّ بالله صلوات الله عليه، وسيماً من أجمل الرجال، وجهه كالكوكب الدرّي كما قال رسول الله (ﷺ) في صفته.

والكوكب الدرّي هو المضيء من الكواكب، (ر 3 ب) وجمعها دراريّ. وكذلك كان وجه المهديّ عليه السلام مشرقاً مضيئاً كأنما له نور يلوح لمن نظر إليه. وقوله: «اللون لون عربيّ»، كذلك كان لونه (عم) كلون رسول الله (ﷺ) سيّد العرب والعجم، أبلغ الوجه تشوّبه حمرة، وهو الذي يقول له أهل المعرفة بالحليّ من العرب «الرقيق السمرة». ولا يقولون «أبيض» في ألوان الناس⁽¹²⁾. وهذا اللون أفضل ألوان الناس عند العرب، وهو أكثر ألوان أشرافهم. وقوله «والجسم جسم إسرائيليّ»، فأجسام بني إسرائيل أجسام جسيمة، وهم في الأكثر والأغلب/ أجسام من العرب. (قال): وكذلك كان المهديّ بالله (صلع) وسيماً جسيماً لا يكاد أحد يماشيه إلاّ قصر عنه وصغر إلى جانبه. وكذلك كان من صارت الإمامة إليه من بعده، قد أتاهم الله الفضل والجمال والكمال. ولقد حاول المهديّ بالله (صلع) في حين استتاره أن يُخفي نفسه ويُخملها، فما قدر على ذلك، وكان حيثما مرّ ورآه من يُحصّل أمره يقول: والله ما هذا إلاّ ملك من الملوك، وما هذا سوقة ولا تاجر كما يقولون⁽¹³⁾.

(11) سفيان الثوريّ «أمير المؤمنين في الحديث». وهذا الحديث جاء مختصراً في الجامع الصغير، 187/2.

(12) «إذا كان الرجل خالص البياض، قيل: هو أمهق» (الثعالبيّ، فقه اللغة، 66)

(13) إنّه - أي المهديّ - رجل هاشميّ شريف تاجر من وجوه التجار (سيرة جعفر الحاجب، 113).

وكذلك حاول الإمام المنصور بالله (ر4أ) (صلع) مراراً أن يخفي نفسه لبعض من أراد أن يسمع كلامه فتزَيَّ بغير زيِّه، ولبس خلاف لباسه، ودخل في جماعة تقدَّم إليهم في أطراح إجلاله وتبجيله، وأن يُحلَّوه محلَّ أحدهم ففعلوا، فما خفيَ عَمَّن رآه. وفعل ذلك في أسفاره ودخل بعض حصون المرابطين في بعض الأطراف، وبها من لم يره قطَّ، فما خفي عليهم. وفعل ذلك لَمَّا ظفر بمخلد اللعين، وقد صار في أسره⁽¹⁴⁾، ومعبد [بن محمَّد] بن خزر⁽¹⁵⁾ لَمَّا صار في الأسر أيضاً، فما خفي عن واحد منهما، بل عرفاه، وما كانا قبل ذلك رأياه⁽¹⁶⁾. والعرب تقول في بعض أمثالها: هيهات لا يخفي القمر⁽¹⁷⁾

هذا قول النعمان (قس).

ونقول: أنَّ بني إسرائيل كان منهم أنبياء الله الذين اختارهم/ وأرسلهم. فليست أمة من الأمم أكثر من بني إسرائيل أنبياء. وشرف الله العرب وخصَّهم بأن جعل محمَّداً (ﷺ) منهم، الذي جمع الله له فضائل النبيين، وجعله ذا قوَّة عنده⁽¹⁸⁾ وفضل مبین، وشرفه على جميع الآدميين. وعسى أن يكون النبي (ﷺ) شَبَّه المهدي (صلع)

6

(14) مخلد: هو أبو يزيد مخلد بن كيداد صاحب الحمار، وسيأتي خبره مفصلاً في خلافة القائم ثم المنصور، ولكن لا ذكر لتتكرَّر المنصور في لقاءه معه، ولا مع ابن خزر. (15) معبد بن محمَّد بن خزر: أحد رؤوس زناتة المناهضين للفاطميين. ورئيس زناتة في كامل فترتنا هو أبوه محمَّد بن خزر الذي تقلب كثيراً في ولائه بين الفاطميين والأمويين بالأندلس.

(16) لقي المنصور أبا يزيد قل ذلك، حسب رواية المؤلف نفسه (انظر ص 372).

(17) «هل يخفي على الناس القمر؟» (مجمع الأمثال، رقم 4600).

(18) تضمين للآية الكريمة. ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، ذِي قُوَّةٍ، عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (التكوير، 19). وقد عرا الزمخشري والبيضاوي هذه الصفات، لا إلى الرسول (ﷺ) بل إلى جبريل.

بكونه خير العرب، وهو من ذريته، وبأنبياء بني إسرائيل تفضيلاً له، وتعظيماً لقدره، وإشهاراً لما آتاه الله من عظيم أمره.

وفي حديث عن قتادة يرفعه إلى النبي (ﷺ) أنه قال: «المهدي (ر4ب) أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً»⁽¹⁹⁾.

وكذلك كانت صفة المهدي بالله (صلع)، على ما قاله القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه): وكان أقنى أجلى. وهاتان الصفتان من أحسن صفات الجباه والأنوف، وملأ عدله ما وصل إليه سلطانه من الأرض، وملأ باقيها من أتى من الأئمة من بعده من ولده، وهو الذي ابتداء ذلك. وعدلهم معروف موصوف عند أهل السير لا ينسبون إليهم ما يُنسب إلى بني أمية وبني العباس من الفجور، وشرب الخمر. بل حرّموا ذلك في الأقطار التي ملكهم الله إياها، وآتاهم سلطانه فيها، ونهّوا عنها أشدّ النهي. ولذلك نفرت منهم سفهاء الأمة وشنّأهم أهل الشنّان فخرجوا من نور عدلهم إلى الظلمة/ إذ كانوا قد اعتادوا شرب الخمر، والفجور، واعتاد قضائهم الرّشى، وشهودهم الشهادة بالإفك والزور. فلما لم يجدوا في دعوة الأئمة (صلع) رخصة في شيء ممّا حرّم الله في كتابه، ولا هودة في فعل المنكر وارتكابه، نفروا عنهم وعادوهم (ر5أ) وأنكروا فضلهم وعاندوهم. وقد قيل في المثل: المرء عدو ما جهل⁽²⁰⁾.

الأئمة يحرمون
الخمر والرشوة

7

(19) في الحامع الصغير، 187/2، أسند الحديث كاملاً إلى علي بن أبي طالب ورجل أقنى: مرتفع قسبة الأنف. والأجلى: قليل الشعر في مقدّم رأسه (اللسان). جلا وقنا).

وقتادة بن دعامة (ت 118) هو المحدث والنسابة الضريع.

(20) جاء هذا المثل في نهج البلاغة 381/2 و 447، وفي شرح النهج 941/5 رقم 530، ولفظ مغاير في المجالس والمسائرات، 381

ومما رفع إلى عبد الله بن مسعود⁽²¹⁾ مما أثره عن رسول الله
(ﷺ) أنه قال: إنكم معشر هذه الأمة تصيرون أربع أمم:

أمة قائمة على الحق لا ينقصون منه شيئاً. قيل: ولا يقاتلون؟
قال: بلى، ويُرْزَلُونَ زلزالاً شديداً.

وأمة على الباطل ليسوا من الحق على شيء مما حرم الله.
قيل: وهم يُصَلُّون؟ قال: نعم، وتكون صلاتهم عليهم شهيداً.

وأمة يريدون الحق فيخطئونه، يمرقون من الدين كما يمرق
السهم من الرمية، ولا يعودون فيه حتى يعود السهم على فوقه.

وأمة يقولون: هؤلاء أهدى، بل هؤلاء أهدى، فيلبثون في
ذلك ما شاء الله أن يلبثوا، ثم يوشك الإسلام أن يعود إلى الباب
الذي خرج منه. قيل: إلى أين يا [أبا] عبد الرحمان؟ قال: إلى
بني عبد المطلب. فالأمة التي على الحق هم أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب (صلع) والأئمة الذين اختارهم الله من ولده.

وقد قال الباقر⁽²²⁾ (عم) في قوله: (عج): ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ
أُمَّةً (ر5ب) وَسَطًا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ / الرَّسُولُ
عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: 143)، قال: نحن الأمة الوسط، وإيانا عنى
بذلك،

والتابعون لهم مِنْهُمْ بدليل قوله تعالى على لسان نبيه (ﷺ).
﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (إبراهيم، 36).

وقد قاتل أمير المؤمنين علي (صلع)، وأصحابه الذين اتبعوه
واتبعوا الأئمة من آله، وزلزلوا زلزالاً شديداً، فظهرت لهم الأحقاد

(21) عبد الله بن مسعود: صحابي جليل، خدّم الرسول (ﷺ). والشيعه يروون عنه
كثيراً (أسد الغابة / 3177). والحديث المروي هنا لا يوجد في مصادرنا.

(22) محمد الباقر (ت 114): هو الإمام الخامس.

الأُحْدِيَّةُ البَذْرِيَّةُ، ونالوا من الذَّرِيَّةِ الطاهرة ما ناله منهم - وهم في شركهم - محمّد خير البريَّةِ.

والذين مرقوا من الدين هم المارقون من الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (صلع). وقد عُرفوا بذلك الاسم، وقامت الدلائل على أنّهم المعنّيون بقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم أنّهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة.

والذين قالوا: هؤلاء أهدي، بل هؤلاء أهدي، هم الذين نصبوا لهم أئمةً باختيارهم، لم يأمرهم الله ورسوله بنصبهم، وأتبعوهم على غيهم، ونسبوا [إلى] العلم من لم يجر في ميدان العلم قدمه، ولا أفتتح بقول الحقّ فمه، فاختلفوا في القضايا والأحكام، (ر6أ) وقَدّموا وأخروا بغير أمر من الله ورسوله في الإسلام، فلبثوا في ذلك ما شاء الله.

ولمّا قام المهديّ بالله (عم) عاد الإسلام إلى الباب الذي منه خرج، كما قال رسول الله [صلى الله عليه، بما أظهره المهديّ بالله، والأئمة من ذرّيته حيث أظهر الله سلطانهم، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/، وإن جحد ذلك من فضلهم من ضلّ 9 واستكبر.

وعن عبد الله بن مسعود أنّه قال: سمعت رسول الله يقول: «لا تنقضي الدنيا حتى يليها رجل من عترتي أهل بيتي، يحكم بما أنزل الله»⁽²³⁾.

فكان ذلك المهديّ بالله (صلع) ومن قام من ذرّية رسول الله

(ﷺ).

(23) لم نجد هنا الحديث في مراجعنا.

ومن رواية عبد الرزاق⁽²⁴⁾ يرفعه إلى أبي سعيد الخدري أنه قال: ذكر رسول الله بلاء يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم. ثم قال: ثم يبعث الله (عج) رجلاً من عترتي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، (ر6ب) يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تُبقي السماء من قَطَرها شيئاً إلا صَبَّته مدراراً، ولا الأرض من نباتها شيئاً إلا أخرجته حتى يتمنى الأحياء للأموات.

وعن أبي الملاح يرفعه إلى ابن المسيب عن أم سلمة⁽²⁵⁾ أنها قالت: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: المهدي من عترتي من ولد فاطمة ابنتي.

ومما يروى عن ابن نسحة⁽²⁶⁾ يرفعه إلى رسول الله (ﷺ) أنه قال: اني رأيت بني أمية على منابر الأرض يملكونكم، فتجدونهم أرباب سوء، فانتظروا فيهم اختلاف سفهائهم. فإذا اختلف سفهاؤهم ارتدوا على أعقابهم، ولا يرتقون فتقاً إلا فتق الله عليهم أعظم منه، ثم يكون بعدهم غلبة الجور حتى يخرج مهدينا.

ومن رواية يحيى بن سلام⁽²⁷⁾ يرفعه إلى عبد الله بن مسعود أنه قال: قال لي رسول الله (ﷺ) يوماً: انطلق معي يا ابن مسعود،

10

(24) عبد الرزاق: لعنه عبد الرزاق بن همام الصنعاني الضريير (ت 211) انظر: نكت الهميان للصفدي، 191. وقد ذكره ابن القيم (إعلام الموقعين، 28/1) من جملة فقهاء اليمن.

(25) أبو الملاح: لم نقف على ترجمته.

سعيد بن المسيب: هو سيد التابعين وأحد فقهاء المدينة السبعة أم سلمة هند بنت أبي أمية: إحدى أزواج النبي (ﷺ). انظر أسد الغابة 7464. والحديث في الجامع الصغير، 187/2.

(26) ابن نسحة: لم نضبط اسمه ولا ترجمته.

(27) «يحيى بن سلام صاحب التفسير» (124 - 200هـ). هكذا سميّه المؤلف بعد قليل. فهو إذن غير يحيى بن محمد بن سلام كما جاء في المخطوط. وانظر طبقات أبي العرب، 37 - 39 وأعلام الزركلي

فمضيت معه حتى أتينا بيتاً قد غصّ ببني هاشم، فقال لهم رسول الله (ﷺ): من كان معكم من غيركم، فليقم. فقام من كان معهم من غيرهم حتى لم يبق إلا بنو هاشم خاصة، بنو عبد (ر7أ) المطلب وبنو العباس. فقال لهم النبي (ﷺ): ماذا تلقون من بعدي؟ فقال له عليّ عليه السلام: أخبرنا يا رسول الله. فقال له رسول الله (ﷺ): أخبرني جبرائيل أنك مقتول بعدي، فأردت أن أراجع فيك ربّي فأبى عليّ. ثم قال: كأن قد وليتكم ولاية بني أمية يقصدون بكم الضرورة ويلتمسون بكم المشقة، ثم تكون دولة لبني العباس يعملون فيها عمل الجبارين، فالويل لعترتي ولبني أمية مما يلقون من بني العباس! ويهرب من بني أمية رجال فيلحقون بأقصى المغرب فيستحلون فيها المحارم زماناً. ثم يخرج من عترتي رجل غضبان لما لقي أهل بيتي وعترتي، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يسقيه الله من صوب الغمام. فقال ناس من بني العباس: أيكون هذا، ونحن أحياء؟ فنظر رسول الله (ﷺ) إليهم كالماقت لهم ثم قال: والذي نفسي بيده، لَمَن في أصلاب فارس والروم أرجى عندي لأهل بيتي من بني العباس.

الرسول (ﷺ) يتنبأ بمقتل عليّ...
... ويجور به العباس

- 11 وقد ذكرنا رواية يحيى بن سلام هذه في ما/ قبل (28)، ولكنّا أعدناها بياناً للقول، ولما فيها من ذكر المهديّ (عم) وظهوره بعد بني العباس (ر7ب) وبني أمية، لما فيه من البيان وواضح البرهان لأنّه قام بعد تغلب بني العباس على بني أمية. فأظهر العدل، ونفى الجور، وعزّت به ذرية الرسول، ولم تزل قبل في الخمول، ورُفِع عنهم السيف الذي لم يزل فيهم مسلواً مذ وليّ بنو أمية. وكان بنو العباس أنكى لهم وأفتك بهم حتى أظهر الله المهديّ من عترة نبيّه، فارتفع الجور، وظهر العدل، وعزّت الذرية النبويّة، فلم ينلهم

(28) في السبع الرابع، 312، تحت اسم يحيى بن سلام. وفي «ر»: فيما قيل.

أحد بالمكروه من بني العباس ولا بني أمية.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: لا يثبت العدل إلا قليلاً حتى ينقطع⁽²⁹⁾، وكلما انقطع من العدل شيء، حلّ من الجور مثله حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره. ثم يأتي الله بالعدل، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله حتى يولد في العدل من لا يعرف الجور. فقليل له: يا رسول الله، من أهل الجور؟ قال: بنو عمنا إذا سلّمت لهم الدنيا. قيل: فمن أهل العدل؟ قال: نحن أهل البيت.

وكان المهديّ بالله (صلع) أول من أظهر العدل بعد الجور، وجرى ذلك أيام سلطان الأئمة من ذريته دهرًا طويلاً بعد الجور من بني العباس وبني أمية. وظهر الجور بعد استتار الأئمة (ر 8 أ) عليهم السلام، وسيظهر العدل، ولا يزال تعاقب/ السّتر والظهور كتعاقب الظلمة والنور حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ويظهر القائم بالعدل والتوحيد، ويكون الدين كله لله، فتزول الظلمة وتُفتح القيامة، وتُختتم الدنيا، وتُستقبل الآخرة، ويكون الجزاء على الأعمال: فبين مُثاب يتبوأ جنّات الخلود ومعاقب يردّ جهنّم، [وَيُسَسَّرُ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ] (هود، 98).

12

وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (صلع) أنه قال: لا يزال الناس ينقصون حتى لا يقال «الله» إلا خفية. فإذا كان ذلك بعث الله يعسوب الدين، فيضرب بذنّبه فيجتمعون إليه كما يجتمع قزُع الخريف. إنّي لأعلم أسم أميرهم، ومنازل رجالهم⁽³⁰⁾.

عليّ يتنبأ بظهور
المهديّ

(29) لم نجد هذا الحديث أيضاً.

(30) نهج البلاغة، 258. وفي اللسان، مادة عسب، نقل لكلام عليّ وشرح مطوّل لكلمة «يعسوب». وفي مادة «قزُع» شرح «قزُع الخريف» بقطع السحاب المتفرقة، مع الإشارة إلى يعسوب الدين في كلمة عليّ.

وعنه (صلع) أنه قال: بنا يُبَيِّرُ الله الكذب، وبنا يدرك ثاره المؤمن، وبنا تنخلع ربة الذل من أعناقكم.

وروي عن سليمان بن جعفر⁽³¹⁾ حديث يرفعه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه ذكر أمر القائم من آل محمد، وما يكون على يديه من الأمر فقال: صاحب هذا الأمر الطريد الشريد، والفريد الوحيد.

وكذلك كان المهدي بالله (صلع)، فإنه لما فشت (ر8ب) دعوته، وكثرت الدعاة إليه والمستجيبون له، طلبه أعداء الله وأعداؤه، فلم يزل شريداً طريداً وحيداً حتى رفع الله أمره وأعلى ذكره.

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلع) أنه لخطب الناس بالكوفة فندبهم إلى الجهاد وحذرهم الفشل / وما يخشى من سوء عواقبه، فلما فرغ من خطبته قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، من ذا يرومنا ومن ذا يُطيقنا، وأنت فينا أخو رسول الله (ﷺ) وابن عمه وصهره، ومعنا لواء رسول الله (ﷺ) ورايته، ومعنا أبناء رسول الله (ﷺ) الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة عليهما السلام، فلو اجتمعت الانس والجن علينا ما أطاقوا. فقال له علي (صلع): وكيف يكون ذلك، ولم يشتدّ البلاء، وتظهر الحميّة، وتُسبّ⁽³²⁾ الذريّة، وتطحنكم الفتنة طحن الرحي بثقالها، حتى لا يبقى [منكم] إلا نافع لهم أو غير ضار. فإذا كان ذلك بعث الله (عج) ابن خير هذه الأمة - أو قال: البريّة - فيقتلهم هرّجاً هرّجاً حتى يرضى الله (عج) حتى تقول قريش والعرب: لو كان هذا من آل محمد لرحمنا، ويتمنّون أنهم رأوني ساعة من نهار فأشفع لهم إليه. فقام

(31) لا نعرف سليمان بن جعفر بالتدقيق، ولعله واحد من الخطاء، ذكره الجاحظ في البيان والتبيين 333/1، ولم يذكر في أصحاب الحديث.

(32) في المخطوط والمطبوع: وتسى، فعطفنا على المصارع المنجزوم والخطبة في شرح نهج البلاغة، 614/2 مع قراءات مختلفة

إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، (ر9أ) متى يبلغ رضى الله؟ قال: يقذف الله في قلبه الرحمة فيرفع السيف عنهم. فقال: متى يكون ذلك؟ قال: إذا شاء الله.

فهذا قول أمير المؤمنين (صلع). وقد قام المهديّ بالله بعد أن اشتدّ البلاء على الشيعة، واستتر الأئمة، وخفيّ النور، وظهرت الظلمة، وقُتل الإمام الحسين بن عليّ (عم) وسبت بنو أمية ذرية رسول الله (ﷺ).

وَقَتَلَ الْإِمَامُ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ أَهْلَ الشَّامِ لَمَّا تَوَجَّهَ إِلَى دِمَشْقَ/ وكذلك وضع الإمام الحاكم⁽³³⁾ بأمر الله سلام الله عليه السيف في المفسدين إلى أن ألقى الله (عج) الرحمة في قلبه.

14

الأئمة سيثأرون لآل البيت

وأكثر ذلك يكون في المستقبل، فإنّ الظلمة قد عمّت، والبلاء قد اشتدّ على شيعة أولياء الله سلام الله عليهم، وسيعقب الظلمة النور، ويكون بعد السّتر الظهور، ويظهر أولياء الله بعد غيبتهم، ويخرجون من كهف سترهم وتقيّتهم، ويكون كلّ ما وعد به أمير المؤمنين (صلع)، فهو الصادق الذي وعده حقّ، وقوله صدق.

وفي رواية ابن سلام بإسناده عن أمير المؤمنين عليّ (عم) أنّه قال لبعض شيعته، وقد ذكروا (ر9ب) تغلب أهل الباطل: يامعشر شيعة، صلّوا مع الجماعات، وأدّوا إليهم الأمانات، فإذا جاء التمييز، وقامت الحرب على ساق، فمعنا أهل البيت باب من أبواب الجنة، من اتّبعه كان محسناً، ومن تخلف عنه مُمَحِقاً، ومن لحق به لحق بالحقّ، ألا وإنّ الدين بنا فُتِحَ، وبنا يُخْتَمَ، ولو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لولاه الله رجلاً منا يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

(33) العزيز والحاكم: الخامس والسادس من الخلفاء الفاطميين

وبالإسناد عن عبد الله بن جبلة بإسناده عن عليّ (صلع) أنه قال: ليخرجنّ الإسلام ناداً من أيدي الناس كأنه البعير الشارد من الإبل لا يردّ [هـ] الله إلّا برجل منّا⁽³⁴⁾.

- 15 ومن رواية أبي غسان⁽³⁵⁾ بإسناده عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب سلام الله عليه أنه قال: احذروا على دينكم ثلاثة: رجلاً آتاه الله القرآن، وكان ردءاً للإسلام، غير بذلك ما شاء الله، ثم انسلخ ونبذه وراء ظهره، وسلّ سيفه على جاره ورماه بالإشراك. قالوا: يا أمير المؤمنين، فأيهما أولى به؟ قال: [الرامي] القرآن. ورجلاً استخفّته الأحاديث، فكلمها وضع أحدثه كذب وانقطعت، أبطلها بأطول منها، إن يدرك الدجال (ر 10 أ) يتبعه، ورجلاً هو كأحدكم آتاه الله سلطاناً، فقال: من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني، فقد عصى الله، فكذب! ليس لمخلوق طاعة في معصية الخالق. ألا وإنه لا بدّ من رحي سلطان يقوم على ضلالة، فإذا قامت طحنت، وإن لطحنها رَوْقاً، ورَوْقها حدّتها، وعلى الله فكّها. ألا وإن أطايب ذريّتي وأبرار عترتي أحلمّ الناس صِغاراً، وأعلمّ الناس كباراً، بنا يَبْتَرُ الله الزمان الكلب، ومنا يُبْتَرُ الكذب. وإنا أهل البيت، من حُكِمَ الله حَكَمَنا، ومن صدق قولِ سَمِعَنا، فإن تَتَّبِعُوا آثارنا تهْتَدُوا ببصائرنا، وإن تحيدوا عنّا تهْلِكُوا بأيدينا أو بما شاء الله. ويحُ للفروخ، فروخ آل محمد، من خليفة غير مستخلف، يقتل خلفي وخلف الخلف! والله لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّله الله حتّى يخرج منّا رجل يقال له المهديّ يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

16

(34) عبد الله بن جبلة الكنانيّ. فقيه اماميّ، له كتاب في الرجال توفي سنة 219

(انظر رجال الحلّي، 200)

(35) أبو غسان: مالك بن إسماعيل، روى عنه الدغشي. والحديث في النهج، 163.

وعن أبي غسان بإسناده وعن عليّ (صلع) أنّه قال: يخرج منا
(ر 10 ب) رجلان [يسبق] أحدهما الآخر يقال لأحدهما المهديّ،
والآخر المرتضى.

فالمهديّ قد ظهر وظهرت الأئمة من ذريّته عليهم السلام
والصلاة، ثمّ وقع السّتر، ولم يسمّ أحد من أئمة الظهور عليهم
السلام المرتضى، ولكنّه الذي يُنتظر ظهوره، وهو من المهديّ
وذريّته كما قال أمير المؤمنين عليّ (صلع)، وقوله الحقّ المبين.

وفي رواية أخرى عن عليّ (صلع) أنّه قال: كأني أنظر إلى
دينكم مولياً يخضخض بذنّبه، ليس بأيديكم منه شيء حتى يرّده الله
(عج) عليكم برجل منّي.

وعنه صلوات الله عليه وعلى الطاهرين من ذريّته أنّه قال:
والذي فلق الحبة وبرى النسمة، لو لم يبق من الدنيا غير يوم واحد
لطوّل الله ذلك اليوم حتى يملك فيه رجل منّي، فإذا رأيتم ذلك
اليوم، لم يرم رامٍ بسهمٍ ولا حجر، ولا يطعنُ برمح، فاحمدوا
الله. فإن ابتليتم فاصبروا ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود، 49].

(ط 22) وروي عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه
عليّ بن الحسين⁽³⁶⁾ عليه السلام أنّه سئل عن المهديّ فقال: هو من ولدي.

وقد قيل لبعض الأئمة الماضين عليهم السلام: أنت المهديّ؟
قال: كيف أكون المهديّ (ر 11 أ)، وقد بلغت من السنّ ما ترون؟ وأخذ
ساعده فمدّ جلده، وقال: / المهديّ لا يؤخذ له بالركاب. قيل:
وكذلك كان صلّى الله عليه.

17

وعن الصادق جعفر بن محمد أنّه قال: لو قد قام قائمنا ما

(36) عليّ زين العابدين رابع الأئمة.

أقام الناس على الطلاق إلا بالسيف. ولو قد كان ذلك، لم تكن إلا سيرة عليّ بن أبي طالب (صلع). وكذلك كان الأمر لما قام الإمام المهديّ بالله سلام الله عليه والأئمة من ولده: أقاموا الناس على طلاق العدة والسنة، على ما نصّه الله تعالى في كتابه وسنّه رسوله (ﷺ)، وقطعوا طلاق البدعة، وكلّ ما ابتدعه المبتدعون في الدين والأحكام، والحلال والحرام، وأقاموا الناس بالسيف على سيرة عليّ ابن أبي طالب، صلى الله عليه وعليهم، التي سار بها في الأمة على ما عهد إليه رسول الله (ﷺ). ونسب ذلك للمهديّ بالله (صلع) إذ كان أوّل من أقام ذلك، وقام به، وأقامه الأئمة من نسله عليهم السلام، وقفوا أثره، وسلكوا جده.

تنبؤ الأئمة من
بعد عليّ

وقد ذكرنا عن الصادق جعفر بن محمد (صلع) عن رسول الله حيث قال: يرفع لآل جعفر بن أبي طالب⁽³⁷⁾ راية ضالّة. ثم يرفع لآل العباس راية أضلّ منها وأشرّ. ثم ترفع لآل الحسن بن عليّ عليه السلام رايات ليست بشيء. ثم يرفع (ر11 ب) لولد الحسين (عم) راية فيها الأمر.

فكان كما ذكر: فقام عبد الله بن جعفر⁽³⁸⁾ في أيام بني أمية، ثم ارتفعت بعد ذلك راية بني العباس، وكلّما قام من أولاد الحسن (عم) قائم/ لم ترفع رايته، ولم تثبت آيته، وصاروا بين قتيل بالمهند، أو حبس مقيد، أو طريد مشرد، حتّى قام المهديّ بالله صلى الله عليه وآله من ذرية الحسين (عم) فاتّضحت معالمه،

(37) هو جعفر الطيّار: استشهد في وقعة مؤتة سنة 8 فقطعت يداه ف قيل: ذوالجناحين. والحديث غير معروف.

(38) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: لم تذكر له حركة ضدّ بني أمية. ولعلّ المؤلف خلط بينه وبين أبنائه الذين ناهضوهم فقتلوا: انظر مقاتل الطالبين، 62 - 63 و 87 والكامل لابن الأثير، 75/4.

وقامت به مناهج الحق ومراسمه، وملك الأئمة من آلہ الشرق والغرب، وظهرت دعائهم في كل أفق، حتى وقع الاستتار، ولا بد من أوبة بعد المغيب، وظهور يظهر به كل أمر عجيب.

وقد جاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «من حبس نفسه لداعينا، وكان منتظراً لقائنا، كان كالمتشحط بدمه بين سيفه وترسه في سبيل الله»⁽³⁹⁾.

وروي عن الإمام الباقر أنه قال: إذا قام قائمنا أهل البيت، نزع البخل والجبن عن قلوب شيعتنا، ولقي الرجل المائة فلا يُفَلِّ بهم، ويشرف [أهل] هذا الأمر، ويُحفظ نسلهم، حتى تنقضي الدنيا، ويتقرب الناس إلى الإمام بزيارة قبور (ر 12 أ) المؤمنين، ويزار قبر كل مؤمن من عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في مشارق الأرض ومغاربها، ويقف المؤمن على قبر المؤمن فيقول: يا أخي، قد وددت أنك كنت باقياً حتى تشهد هذه الدولة، فقد كنت توالي أهلها، وتناصب عدوها، فبارك الله لك فيما أنت فيه، وتبتنا على ما كنت عليه!

وقد كان ذلك في أيام المهدي بالله (صلع) والأئمة من ذريته، وظهر المؤمنون، وعز دين الله ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف، 9] وتمنوا لو كان إخوانهم الماضون أحياء ليشفوا غيظ قلوبهم بمشاهدة ظهور/ أمر أولياء الله، وعلو كلمتهم، وظهورهم على عدوهم، كما تمنى ذلك القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه في قصيدته المختارة⁽⁴⁰⁾ (وجز):

فلهف نفسي، ثم لهف نفسي على الذين انقرضوا بالأمس

(39) الحديث: لم يحده في المصادر التي بين أيدينا

(40) القصيدة المختارة للنعمان. هي منظومة عرفت بالأرجوزة المختارة.

لم يبلغوا ذلك من إخواني لكنهم في حوزة الجنان قد بلغوا من المنى آمالهم أنالنا الله الذي أنالهم وكذلك يكون. فإنه، وإن طالت على المؤمنين المحنة، وعمت الظلمة، واستتر أولياء الله الأئمة، لا بد من ظهور أمر أولياء الله، وعلو كلمتهم، وسمو دولتهم. وكما قال داود نبي الله (عم) (ر 12 ب): مثل ما كان سيكون، ومثل ما علم سيعلم، وما تحت الشمس شيء بجديد⁽⁴¹⁾.

وقد روي عن رسول الله (ﷺ) أنه ذكر المهدي بالله (عم) فقال: من رآه فليبايعه، ولو حبواً على الثلج والنار، فإنه خليفة الله في أرضه⁽⁴²⁾.

فالدلائل واضحة، والبراهين لائحة، ولكن الجاحدين لفضل أولياء الله أبواً إلا تكبراً على الله وعتوا، «وجحدوا بها، واستيقنتها أنفسهم، ظلماً وعلواً» (النمل: 14).

وعن عبد الله بن العباس⁽⁴³⁾ أنه قال: لو لم يبق من الدنيا إلا تنبؤ علماء السنة بالمهدي: يوم ليلة لخرج فيها المهدي.

وعن ابن سيرين⁽⁴⁴⁾ أنه قال: المهدي يعدل نبياً.

(41) هذه القولة: Nihil novi sub sole (Eccl. 1/10) منسوبة في التوراة إلى سليمان وهي قولة محببة عند الإسماعيليين، يدعمون بها نظرية «الدورية» في التاريخ. انظر: الحبيب الفقي: التأويل في المذهب الإسماعيلي، 1.

(42) الحديث عند ابن ماجه، 4082 و 4084، وانظر المجالس والمسائرات، 458 هامش

1

(43) عبد الله بن عباس: سُمِّيَ «حبر الأمة» لعلمه الغزير في التفسير والحديث والسير (أسد الغابة، 3035).

(44) محمد بن سيرين: تابعي محدث فقيه، ينسب إليه كتاب في تعبير الرؤيا (ت 110).

ابن سيرين
وطاوس . . .

وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: كان داود نبي الله
(عم) يتمنى أن يلحق المهدي ويكون من أصحابه.

20

وقال إبراهيم بن ميسرة قلت لطاوس⁽⁴⁵⁾: إن قوماً يقولون: إن
عمر بن عبد العزيز هو المهدي. قال طاوس: ليس كما يقولون:
إن المهدي إذا كان زاد/ المحسن في إحصائه، وزاد المسيء في
إساءته، والمهدي جواد بالمال، شديد على العمال، رحيم
بالمساكين.

وعن مجاهد⁽⁴⁶⁾ بإسناده يرفعه، وذكر أخباراً (ر13أ) بما يكون، ثم
قال: يُبْعَثُ قائم آل محمد في عصابة، لهم أدق في أعين الناس
من الكحل، يفتح الله عليه مشارق الأرض ومغاريبها. ألا وهم
المؤمنون حقاً. ألا وإن خير الجهاد في آخر الزمان.

وروي عن عبد الرحمان بن بكار⁽⁴⁷⁾ أنه قال: حججت
فدخلت المدينة فأتيت مسجد رسول الله (ﷺ) فرأيت الناس
مجتمعين على مالك بن أنس يسألونه ويفتيهم، فقصدت نحوه، فإذا
أنا برجل وسيم حاضر في المسجد وحوله حفدته يدفعون الناس
عنه. فقلت لبعض من حوله: من هذا؟ قالوا: موسى بن جعفر⁽⁴⁸⁾
فتركت مالكاً، وتبعته، ولم أزل أتلطف حتى لصقت به فقلت: يا
ابن رسول الله، إني رجل من المغرب من شيعتكم وممن يدين الله

(45) طاوس هو ذكوان بن كيسان الجندي، تابعي محدث (ت 106) وذكره الأميني في
الغدِير، 66/1. وجعله ابن القيم (اعلام، 22/1) من فقهاء اليمن.

أما إبراهيم بن ميسرة فلم نعرفه.

(46) مجاهد بن جبر: تابعي محدث ومفسر (ت 104).

(47) عبد الرحمن بن بكار: لم نهتد إليه ويظهر من الخبر أنه مغربي من القرن الثاني.

(48) موسى بن جعفر: هو موسى الكاظم، سابع الأئمة عند الاثني عشرية. انظر مقاتل
الطالبيين، 263.

بولايتكم. قال لي: إليك عني يا رجل، فإنه قد وُكِّل بنا حَفَظَةُ
 أخافهم عليك. قلت: يُسَلِّمُ الله، وإنما أردت أن أسألك. فقال: سل
 عما تريد. قلت: إنا قد روينَا عن المهديِّ منكم، فمتى يكون
 قيامه؟ وأين يقوم؟ قال: إنَّ مثل من سألت عنه كمثل عمود سقط
 من السماء رأسه في المغرب وأصله (ر13ب) في المشرق، فمن أين ترى
 العمود يقوم إذا أقيم؟ قلت: من قِبَل رأسه. قال: فحسبك! من
 المغرب يقوم/ وأصله من المشرق، وهناك يستوي قيامه ويتم أمره. 21

وكذلك كان أصل الإمام المهدي بالله (عم) بالمشرق، وقيامه
 من المغرب.

ومن رواية أبي غَسَّان عن عبد الله بن العباس أن رجلاً سأله
 عن السماء، ممَّ هي؟ وعن البرق، ممَّ هو؟ وعن أول شيء عاذ
 بالبيت، وعن المهديِّ، ممَّن هو؟ فقال له ابن عباس: لقد سألت
 عن عظيم، وهو في علم الله يسير: أمَّا السماء، فهي ماء مكفوف.
 وأمَّا البرق فهو من الماء. وأمَّا أول شيء عاذ بالبيت فإنَّ الحيتان
 الكبارَ أكلن الصغارَ منهنَّ في زمن الطوفان فاستعذن بالبيت فأعادهنَّ
 الله. وأمَّا المهديُّ فإنه من أهل بيتٍ أكرمكمُ الله بأولهم،
 ويستنقذكم بآخرهم.

... وابن
 عباس...

فأهل البيت الذين أكرم الله الخلق بأولهم هم ذرِّيَّة رسول الله
 (ﷺ)، وأولهم رسول الله (ﷺ) الذي أكرم الله به الخلق، والمهديُّ
 منهم، ويأخرهم يكرم الله المؤمنين ويستنقذهم من الظالمين،
 ويهلك الله الشياطين. وهو قائم آل محمَّد المنتظر الآتي بين يدي
 الساعة، فبه يُظهِرُ الله دينَ (ر14أ) محمَّد على كلِّ دين، ويهلك جميع
 الظالمين، ويكون لله وحده الدين.

ومن حديث عبد الرزَّاق بن معمر بن سعيد بن أبي عروة عن

قتادة⁽⁴⁹⁾، قال: قلت لسعيد: المهدي حق؟ قال: حق. قلت: ممن؟ قال: من قريش. قلت: من أي قريش؟ قال: من بني هاشم. قلت: من أي بني هاشم؟ قال: من بني عبد المطلب. قلت: من أي بني عبد المطلب؟ قال: من ولد فاطمة. 22

قال القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه): ولو سأله من أي ولد فاطمة هو، لأخبره أنه من ولد الحسين لأنه قد روي ذلك، ولم يقل سعيد هذا برأيه، ولكنه سماع سمعة.

وقد روى زاذان عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) أنه قال: لا بد من قائم من ولد فاطمة يقوم من المغرب فيكسر شوكة المبتدعين ويقتل الضالين⁽⁵⁰⁾.

وكذلك قام المهدي بالله من المغرب، وهو من ولد فاطمة. ولما جاءت الرواية في ذلك في زمن بني العباس خافوا من إدريس ابن [عبد الله بن] الحسن⁽⁵¹⁾ لما صار في المغرب، وقد ذكرنا من قصته في هذا الكتاب، فدرسوا عليه بالسّم كما ذكرنا (ر 14 ب) وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة، 32].

(49) قتادة: انظر التعليق 19. ولا نعرف عبد الرزاق بن معمر.
(50) زاذان «بالزاي والذال المعجمة، أبو عمرو الفارسي»: من أصحاب علي (رجال الحلبي، 192)، وأرخ الأميني: الغدير، 64/1 وفاته سنة 82. وهو من فقهاء الكوفة حسب ابن القيم (إعلام، 25/1).
وسلمان الفارسي صحابي مفضل عند الشيعة لقول الرسول (ﷺ): سلمان منا أهل البيت.

(51) إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب: إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب. انظر: أتعاض الحنفاء، 11، وعيون الأخبار، السع الرابع، 344، ودائرة المعارف الإسلامية.

ومن رواية يحيى بن سلام يرفعه إلى عبد الله بن عمر⁽⁵²⁾ أنه ... وعبد الله بن
 قال: أبشروا، فتوشك أيام الجبارين أن تنقطع، ثم يكون بعدهم
 الجبار الذي يجبر به الله أمة محمد: المهدي ثم المنصور.

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه: ثم عدّد
 أئمة مهديين، وهذا ممّا لم يقله عبد الله إلّا من رسول الله (ﷺ) ممّا
 سمعه أو بلغه عنه، لأنّ ذلك من أخبار ما يكون، ولا يقول ذلك إلّا
 من جاءه فيه علم من عند الله (عج).

وقد كان المهدي والمنصور (صلع)، وكان بعدهما أئمة مهديون
 إلى أن وقع سترهم، ولا بدّ أن يظهر بعد/ سترهم أئمة مهديون
 يوضح الله بهم برهانه، ويقيم حجّته، ويُقَدِّم أئمة نبيه (ﷺ). 23

ومن رواية الدغشي يرفعه إلى أبي الجارود⁽⁵³⁾ أنه قال:
 يكون المهدي وسبعة⁽⁵⁴⁾ من بعده - يعني ولده - كلّهم صالح لم ير مثله.

وهذا أيضاً ممّا انتهى إليه من رسول الله (ﷺ) الذي لا
 يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى (ر 15أ) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم، 3] فهذا
 ما أخبرت به الثقات، وأثبتته الرواة عن الأئمة (صلع) وعن غيرهم من
 علماء العامة⁽⁵⁵⁾ من ذكر المهدي (ضلع) وقيامه، والبشارة بما كان في
 أيامه. ولم يأخذوا ذلك إلّا عن رسول الله (ﷺ) وممّا أوحى إليه.

(52) الحديث المرويّ هنا أسنده النعمان إلى جعفر الصادق في الافتتاح، (تونس
 ص 3/ بيروت ص 33)

(53) الدغشي: لعله محمد بن علي الدغشي الذي روى عن جعفر الصادق
 ترجم أبو العرب (طبقات، 99 و 111) لابنه عبد الله واتهمه بالمناكير وانظر رياض
 النفوس، 394/1. وأبو الجارود الأعمى هو زياد بن المنذر من أصحاب الباقر.
 انظر رجال البرقي، 13.

(54) في «هـ»: وشيعته. واختربا قراءة «و» لما يمتاز به عدد سبعة من تقدير عند
 الإسماعيلية. (انظر التعليق 65 الآتي)

(55) العامة مصطلح شيعي يطلقونه على أهل السنة.

فظهر الأئمة عليهم السلام برهة من الزمان، ثم وقع السُّتر ثانياً كما كان أولاً، وكانت الفترة، واستتر الطاهرون من العترة لعلم الله الذي أودعه أوليائه، ليلتي الله المؤمنين ويمحق الكافرين، ولا بد أن يؤيد الله أوليائه فيصبحوا ظاهرين. وسوف نذكر إذا انتهينا إليه ما روي عن الرسول (ﷺ) وأنت به الرواة وأثبتته الثقات من الدلالة على ظهور آل محمد، وعلو أمر الطاهرين ائمة الهدى صلوات الله عليهم، مما لم يكن، وهو لا شك كائن. فإن ما ورد عن أولياء الله هو اليقين، وقول الله تعالى حق، وقد قال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصاص، 83].

وقد روى يحيى بن سلام صاحب التفسير حديثاً رفعه إلى رسول الله (ﷺ) أنه قال: تطلع / الشمس من مغربها على رأس الثلاثمائة من هجرتي⁽⁵⁶⁾

24
طلوع الشمس من
المغرب ..

وهذا حديث مأثور مشهور، ولم تطلع من مغربها في هذا الوقت⁽⁵⁷⁾، ولا قبله ولا بعده. وإنما عنى بذلك قيام المهدي من ذريته، فوعده (ﷺ) بظهوره من المغرب وعلو دولته، وقد سَمَى الله (عج) رسوله محمداً (ﷺ) سراجاً، فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ [و] سِرَاجاً مُنِيراً﴾ [الأحزاب: 45] وسمى الله (عج) الشمس سراجاً فقال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً﴾ [النبا: 13]، وقد سَمَى العرب الرجل الفاضل شمساً. قال الشاعر:

(56) هذا الحديث ساقه الترمذي، 34/9 في معنى قيام الساعة. وانظر المجالس والمسائرات، 477
(57) أي في القرن التاسع، عصر المؤلف.

(طويل):

إِنَّكَ شَمْسٌ، وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكَبٌ⁽⁵⁸⁾

وكان المهديّ بالله سلام الله عليه هو الشمس التي ذكر رسول الله (ﷺ) أنها تطلع من المغرب على رأس الثلاثمائة من هجرته (ﷺ). وكذلك طلع عليه السلام في سنة سبع وتسعين ومائتين، واستقرّ قراره في دار ملك المغرب على رأس الثلاثمائة.

.. كناية عن ظهور المهديّ

ومن قول النبيّ (ﷺ) هذا، قال الفهرّي⁽⁵⁹⁾ في قصيدة له يبشّر بظهور المهديّ ودنوّ أوانه:

(هزج):

فَعِنْدَ السَّتِّ وَالتَّسْعِيَةِ نَ قَطَعَ الْقَوْلَ وَالْعُذْرَ (ر 16 أ)
لأمر ما يقول النّاسُ بيّع الدرّ بالبعر
وصارَ الجوهْرُ المَخْزُوزُ نَ عِلْقاً غَيْرَ ذِي قَدَرٍ
يَتِيْمٌ كَانَ خَلْفَ الْبَابِ، فَاَنْقَضَ عَلَى الْوَكْرِ/

25

ففي سنة ستّ وتسعين غلب الحسين بن أحمد بن زكريا أبو عبد الله، الداعي إلى المهديّ بالله سلام الله عليه بالغرب، بني الأغلب وشرّدهم عن ملكهم، وملك إفريقيّة، وأقام بها دعوة المهديّ بالله صلوات الله عليه (ط 28).

قال القاضي النعمان (رضي الله عنه): وقول الفهرّيّ «يتيم

(58) البيت للناطقة الديبانيّ في ديوانه، نشر الشيخ ابن عاشور، 56.

(59) الفهرّيّ: لعله الشاعر ابن هرمة كما قال الدشراوي في الافتتاح، 4. وقد انقطع ابن هرمة للطالبيين كما جاء في ترجمة الزركليّ له. ومن جهة أخرى، تمثّل منصور اليمن بهذا الشعر في السبع الرابع، 396، ومنصور اليمن لم يدخل إفريقيّة. وبهذا قد يخرج الفهرّيّ عن أن يكون إفريقيّاً.

كان خلف الباب، يعني المهدي (عم): مات أبوه وهو صغير، وكذلك كان رسول الله (ﷺ) (60).

ومن ذلك قول التونسي⁽⁶¹⁾، وكان ممن يُعنى بعلم الحدّثان،
فقال يخاطب إبراهيم بن أحمد من ملوك بني الأغلب، صاحب
تنبؤ الشعراء إفريقية، وقد سأله أن يخبره ما عنده في أمر دولتهم وغاية ملكهم،
بالمهدي: من قصيدة أولها:

(طويل):

أقول، وأسلمتُ القريضَ لأهله وعشتُ زماناً، وهو خيرُ مكاعِبِ
أمن بعد تسعين السنين أعدّها وأربعة من بعد ذاك رواتِبِ
أزاحمُ أهلَ الشعر بالشعر ناجزاً أرى الله هذا بعد أن جُبَّ غاريبي
ولكيتني أرجو من الله عفوّة بأوية مأمونٍ السريرة نائِبِ
الفهرّي 5 وأملُ غفراننا بفضل نلاوة أردّدها ليلاً بفكرة آتب (ر 16 ب)
والتونسي... صرفتُ أموري للذي أنا عبده إلهي، إله العرش مُعطي الرغائب
فلمستُ، حياتي، سائلاً غير ذي العلا والآ، فجبتُ من يميني رواجبي⁽⁶²⁾
ألا يا أمينَ الله، وابنَ أمينه وعاشِرَ ساداتِ الملوك الأغالب⁽⁶³⁾
وجدتُ كتاباً قد تقادم عهدُه روايةً أشياخٍ كرامٍ المناسبِ/
26 10 روايةً وهب عن سطّيحٍ ودنيل مشايخ علم صادقٍ غير كاذب: (64)

(60) افتتاح الدعوة، طبعة تونس، 4، وطبعة بيروت، 34. وقد نقل النعمان تسعة

آيات من شعر الفهرّي وتبعه الداعي إدريس في السبع الرابع.

(61) التونسي الشاعر. لا نخاله علياً الإيادي، للأسباب التي ذكرناها في الحوليات،
1979/17 ص 3.

(62) الرواح: المقاصل في أصول الأصابع.

(63) المخاطب بهذا الشعر هو إبراهيم الثاني، تاسع الأمراء الأغالبة (من 261 إلى 289)
كما نبّه الدشراوي في الافتتاح، 64.

(64) وهب بن منبه الصنعاني (ت 114). هو الذي تنسب إليه معظم الإسرائيليات في
كتب التفسير والحديث.

تَتَابَعُ رَايَاتُ مِنَ الشَّرْقِ سَبْعَةٌ إِلَى الْغَرْبِ، سَوْدٌ، خَافَقَاتُ الذَّوَائِبِ⁽⁶⁵⁾
يَسِيرُ بِهَا خُزْرُ الْعَيُونِ تَرَاهُمْ بِهَالِيلِ شَمَطًا، مِنْ طَوَالِ الشَّوَارِبِ⁽⁶⁶⁾
ويقول فيها:

وَلَاةُ بَنِي الْعَبَّاسِ عَشْرُونَ وَالْيَا تَدِينُ لَهُم بِالرَّغْمِ أَرْضُ الْمَغَارِبِ⁽⁶⁷⁾
وَفِي السَّتِّ وَالتَّسْعِينَ تَهِيْطُ رَايَةً مِنَ الْغَرْبِ فِي جَمْعٍ كَثِيرِ الْمَوَاكِبِ
15 يَمَزُقُ أَرْضَ الْبَرْبَرِيَّةِ جَمْعُهُمْ بِخَيْلٍ كَأَمْثَالِ الْقَطَا الْمَتَسَارِبِ
وَتَطْلُعُ شَمْسُ اللَّهِ مِنْ غَرْبِ أَرْضِهِ فَلَا تَوْبَةً تَرْجَى هُنَاكَ لَتَائِبِ
وَيُظْهِرُ مِنْ أَبْنَاءِ فَاطِمَةَ امْرُؤَ تَقِيٍّ، نَقِيٍّ الْعَرَضِ، جَمُّ الْمَوَاهِبِ
سَمِيَّ نَبِيِّ اللَّهِ، وَابْنُ وَصِيِّهِ وَأَكْرَمُ مَوْلُودٍ، وَأَشْرَفُ طَالِبِ
فِيْمَلَأُ أَرْضَ اللَّهِ عَدْلًا وَرَحْمَةً بِأَيَّامِ صَدَقِ طَيِّبَاتِ الْمَكَاسِبِ
20 وَبِالْأَعْوَرِ الدَّجَالِ يَنْهَدُ جَمْعُهُ سَوَى عُصْبَةٍ فِي بَاذِخِ الطُّودِ رَاتِبِ

= وسطيح بن ربيعة - هو الكاهن الجاهلي المعروف، وقد استخدم حافظ إبراهيم الاسم والرمز في قصته: ليالي سطوح.

أما دنيل أو دنيال، فقد ورد ذكره في التوراة: تألب عليه الكهنة في زمن بختنصر فرموا به في «جَبِّ الْأَسْوَدِ» فلم تصبه الأسود بصرر. وكانت تنسب إليه تنبؤات في الملاحم والحدثان. وروى ابن خلدون في المقدمة، 382 حكاية طريفة عن وراق في بغداد كان يكتب الملاحم الزائفة يتقرب بها إلى رجال الدولة، وعرف هذا الرجل بالدنيالي.

(65) الرايات السبع. لعدد سعة عند الإسماعيلية - وهم الشيعة السبعية - شأن كبير: مثلاً، يجعلون للدعوة سبع مراتب يسمونها «الحدود السبعة» (انظر: الحبيب الفقي: التأويل، 59). والقاضي النعمان قسّم العبادات إلى سبع، أولها الولاية وآخرها الجهاد. والإمام جعفر الصادق يجب مستتمته بأحوية سبعة، ويسعين إذا شاء. وصاحبنا إدريس قسم كتابه هذا إلى سبعة أسعاع، الخ.

(66) البهلول هنا هو السيد الجامع لكل فضل.

(67) ولاية إفريقية لبني العبّاس، ابتداءً بمحمّد بن الأشعث الخراعي، وانتهاءً بزيادة الله الأغلبي الثالث، يتجاوز عددهم العشرين وإذا اقتصرنا على الأغالة، فهم أحد عشر والياً. انظر ابن عداري: البيان المغرب، 317/1 وفصل الأعالة في دائرة المعارف الإسلامية

ويقتله من بعد ذاك ابنُ مريم بقدره ربِّ ما له من مُغالب (ر 17 أ) ومن بعدها موتُ ابنِ مريم مُقْضِيًّا إلى الله في حُكمٍ من الله واجب⁽⁶⁸⁾

وقوله في قصيدته «سَمِي نَبِيَّ الله»، فذلك القائم عليه السلام محمد ابن عبد الله لأنَّه ظهر مع أبيه عليهما السلام يوم ظهوره في المغرب، وهو الذي أشار إليه النبي صَلَّى الله عليه وآله بقوله: «اسمه كاسمي واسم أبيه كاسم أبي»، وإلى القائم بعد السُّتر من ولده (صلح)، الماضين منهم والمنتظرين. وفي أيام القائم عليه السلام كان ظهور الدجّال مخلد بن كيداد، وابن مريم الذي قتله هو إسماعيل بن محمّد، المنصور، سلام الله عليه. وسنذكر القصة إذا انتهينا إليها في هذا الكتاب، والله الموفق للصواب، والهادي لخير الأسباب.

ومن هذا المعنى قول ابن عقبة:

(سريع):

... وابن عتبة...
 قد قلتُ لما طار عني الكرى حتى متى يا ليلُ لا تُصبحُ؟
 عَذَّبَنِي الوجدُ وفقد الكرى كلاهما أقسم لا يَبْرَحُ
 وكيف لا يحزنُ من لا يرى بأنه يبلغُ يا مسطح
 دهرًا يرى فيه إمامُ الهدى بالله للمغرب يَسْتَفْتِحُ
 5 ويبتني البيضاء في لجة خضراء فيها نونُها يسبح
 ينجو من الأهوال سَكَّانُها والأرضُ منها كُلُّها تُفْتَحُ (17 ب)
 لو مدَّ من عمري إلى وقته لكنتُ في القرن الذي يُفْلِحُ
 هيهات، ما ذا العمرُ ممَّا أرى، فيما أرى، الموتُ به يسمح⁽⁶⁹⁾

(68) هذه الأبيات في الافتتاح، 63 (تونس) / 84 (بيروت).

(69) لا نعرف ابن عقبة الشاعر. وافترض الدشراوي. افتتاح، 67 أنه «يحيى بن عبد =

فعنى بالبيضاء المهديّة التي ابتناها المهديّ بالله (صلح) على شاطئ البحر. وقوله: «ينجو من الأهوال سكّانها»، فكذلك نجوا من أهوال فتنة الدجال.

ومن ذلك قول محمد بن رمضان⁽⁷⁰⁾ - وكان من الشيعة - يرثي (ط 30) أهله، وكان إبراهيم بن الأغلب أوقع بهم وقتل ألفاً منهم / غدرأ، وذكر دنو الفرج بقيام المهديّ بالله سلام الله عليه حيث يقول:

(بسيط):

جلّ المصاب لئن كان الذي ذكرُوا ممّا أتنّا به الأنبياء والخبرُ
عن ألف أروغ كالأساد قد قُتلوا بساعة في سواد الليل إذ غُدرُوا
لو كان من بيت الأسد أيقظهم حلّت به منهم الأحداث والغيرُ
قل لابن أحمد إبراهيم مألُكتهُ عن الخير بما يأتي وما يذرُ
اعلم بأنّ شرار الناس أطولهم يداً بمكروه غدرٍ إن هم غُدرُوا
لاسيما الجار والضيف القريب، ومن أعطوه ذمتهم من قبل ما خفروا
فما اعتذارك عن عارٍ ومنقصةٍ أتيتها عامداً إن قمت تعتذراً؟
جرعت ضيفك كأساً أنت شاربها عما قليل، وأمر الله يُنتظر
فدولة القائم المهديّ قد أُرقت أيامها في الذي أنبا به الأثر (ر 18 أ)

= الله بن أبي عقبة الليثي، المذكور في البيان والتبيين، 228/2، إلا أن هذا الشاعر جعله الجاحظ من النوكي. وكذلك ذكر ابن خلدون، المقامة، 381، صاحب ملاحم سمّاه «ابن عقبة»، وليس في كلامه ما يرجّح أنه شاعرنا هذا.

(70) محمد بن رمضان: جاء في الافتتاح، 90/74: شاعر من أهل نفطة كان شيعياً. ونفطة مدينة من قسطنطينية، أي الجريد التونسي، وكانت تسمى «الكوفة الصغيرة» إمّا لتشيع أهلها، وأمّا لتفاق العلم بها، وأمّا للأمرين معاً. احتفى هذا الشاعر من جور الأغلبة فالتجأ إلى بني مالك في بلزمة فانتقم الأغلب من مجيريه بأن صنع لهم وليمة وغدر بهم. والخبر مفصّل في البيان المغرب، 123/1 تحت سنة 280.

وحين تغلب الفاطميون عيّنه المهديّ على قضاء ميلة وبقي بها قاضياً حتى وفاته

10 عن النبي، وفيه قطع دوليتكم يا آل أغلب، فارجوا ذاك وانتظروا
وقطع أمر بني العباس بعدكم وقطع أمر بني مروان إذ بطروا
وقال أيضاً محمد بن رمضان من قصيدة:

(طويل):

كأنني بشمس الأرض قد طلعت لنا من الغرب مقروناً إليها هلالها
فيملأ أرض الله قسطاً بعدله بما ضَمَّ منها، سهلها وجبالها
وآمن فيها ما أخاف وأتقي وأظفر بالزلفى به وأنالها/ (71)

29

فشمس الأرض عنى بها المهدى، والهلال وليّ عهده القائم من
بعده.

ولو تقصينا ما ورد من ذكر فضائل الأئمة وظهر عدلهم،
واشتهار فضلهم، لطال ذلك واتسع، ويعد أمده وشسع. وإنما أتينا
في هذا الكتاب بفنون من الأخبار، ونُبيذ من الآثار، وملنا فيه إلى
الاختصار، عن الإسهاب والإكثار، وكل ما قلناه ونقله بعون الواحد
القهار، ونعمة أوليائه الأئمة الأطهار، عليهم صلوات الله العزيز
الغفار.

(71) في الافتتاح، 90/74، سبقت هذه الأبيات الثلاثة ستة أخرى.

الفصل الثاني

ظهور دعوة المهديّ باليمن والمغرب

وأما الخبر فيما كان من ظهور دعوة المهديّ بالله (صلعم) باليمن والمغرب، وما أظفر الله أوليائه، وأظهر لهم من الظفر والغلب [ف]-نقول:

أنا قد ذكرنا⁽¹⁾ في كتابنا هذا من أمر أبي القاسم - وهو الحسن ابن فرح بن حوشب بن زاذان الكوفيّ المعروف بمنصور اليمن بن الفرّح صاحب دعوة اليمن، وهو من ذرّيّة مسلم بن عقيل بن (ر18 ب) أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم رحمه الله - ووصوله إلى أمامه صلوات الله عليه وما هداه الله من الاتصال به والوصول إليه، وما كان من أمره حتى بعثه إلى اليمن داعياً مبشّراً بظهور المهديّ بالله من ولد رسول الله (ﷺ) قائماً في إشادة دعوته وساعياً، فقال له: أنت لليمن، وأنت المنصور فيه، وكان الداعي أبو القاسم رضي الله عنه، إذا قيل له: أنت المنصور المبشّر به، يقول: إنّ المنصور من آل محمّد، أما سمعتم قول القائل /: (طويل)

30

إذا ظهَرَ المنصورُ من آل أحمدٍ فقلّ لبني العباس: قوموا على رجلٍ قيل: وكان الأمر كذلك: لما قام الإمام المنصور بالله اسماعيل بن محمد بن عبد الله اختلّت دولة بني العباس، ووهن من

(1) السبع الرابع، 396.

أمر ملكهم الأساس، فصاروا بين مقتول ومخلوع، ومصفد في السجن قد عاد بعد التكبر إلى الخضوع⁽²⁾.

وقد روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: يقوم رجل من ولدي على مقدمته رجل يقال له المنصور يوطيء له - أو قال: يمكن له - واجب على كل مؤمن (ر 19 أ) نصرته - أو قال: إجابته - وهذا الحديث مما رواه عبد الرزاق بإسناده عن النبي (ﷺ).

وفيما أتى عن الداعي أبي القاسم ابن فرح بن حوشب بن زاذان (رضي الله عنه) قال: ولما سرت من عند الإمام عليه السلام مودعاً للأهل والأحبة، ومتشوقاً إلى انقطاع الغربة، توجهت. فلما خرجت من القادسية أوجست خيفة، فأصغيت إلى قول أسمعه لأتفاءل به، فسمعت حادياً يقول:

خروج ابن حوشب
إلى اليمن

يا حادي العيس مليح الزجر بشر مطاياك بضوء الفجر
(قال): فسررت به واستحسن ذلك المقال لما سمعته. ووافيت مكة مع الحجاج، فحججت وقضيت مناسكي. وسمعت من حبيب اليمن أن محمداً بن يعفر⁽³⁾ ملك صنعاء قد أظهر التوبة والنسك، وتخلّى عن الملك وردّ ما اقتطع من الناس إليهم، وأنصف من الظلامات، وذلك لأمر تقدّمت فيه الروايات أن ملكه سيزول من يديه، وأن داعي المهدي يغلب عليه، فخلع نفسه ونزع من ملكه وأهله وفرّق الأموال، فيقال إنه ردّ في يوم ألف ألف حتى قام من شعرائه في أهل بيته، وقد اجتمعوا، قائل فقال: (رجز)

31

(2) بدأت صولة الحلم والقواد الأتراك على خلفاء بغداد بمقتل المتوكل سنة 247.

(3) محمداً بن يعفر الحوالي أو اليعفري. انظر صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكرع، 152 وطبقات فقهاء اليمن تحقيق فؤاد السيد، 77. هو صاحب صنعاء وفي كتاب «الصليحيون». ، 333 أنه قتل سنة 370 وخلفه حفيده أسد بن إبراهيم بن أحمد. ودامت دولة اليعافرة من 230 إلى 389

(ر19ب) بني حوال، يامصايح الأفق ويا مباديل العطايا تندفق
 من خالص العقيان سحاً، والورق: تداركوا ملككم لا ينفق
 فتطلبون رتق ما لا يرتق إلا بأطراف الشماريخ الشهب
 والناس فوضى، والنفوس تزدهق كغنم الذئب تجر عن العلق
 5 فالرأس لا يصلح إلا بعنق ولن تقوم قدم على زلق
 ليس عتيق البر كالبر الشفق وليس أملاك الرعايا كالسوق
 هذا أبو يعفر فيكم قد لحق كالجيل الشامخ والليث النزق
 فايكم قام بها فقد سبق

في أرجوزة طويلة. فقام ابن أخيه، فتدارك الأمر وقد وهى وتفرق
 أكثره وتمزقت المملكة وكان ذلك من صنع الله (عج) لأوليائه.

وقضى الناس حجهم وانصرفوا إلى اليمن. وتوجه أبو القاسم
 ومعه علي بن فضل⁽⁴⁾، فدخل اليمن في أول سنة ثمانى وستين
 ومائتين، فجاء طريق الحسن بن الفرخ على مخلاف⁽⁵⁾ بني طريف
 من ناحية صعدة⁽⁶⁾ ثم الظاهر، ووصل رأس نقيل عجيب⁽⁷⁾،

(4) في خصوص الداعي علي بن الفضل الجدني الجيشاني - وهو يماني، وجيشان
 مدينة يمنية - انظر: الصليحيون، 28 - 48، وسيرة جعفر الحاجب ترجمة ماريوس
 كانار L'autobiographie d'un chambellan ص 294 هامش 1 و2، وطبقات فقهاء
 اليمن، 75 هامش 2، وافتتاح الدعوة، 157 (تونس). ملك هذا الداعي صنعاء
 وزيد ثم انفصل عن الدعوة فحاربه ابن حوشب، فلم يقدر عليه ومات سنة 303
 مسموماً، سمّه مبعوث من المهلي في قول، ومن العباسي في قول آخر، وذلك
 بأن فصله بمبضع دهن بمادة قاتلة.

هذا وإن المؤلف يتحدث الآن عن منصور اليمن بضمير الغائب.

(5) المخلاف: «هو عند اليمن كالرستاق» (اللسان): فهو الجهة والإقليم، وأيضاً
 المحبّة والطريق.

(6) صعدة: مخلاف ومدينة شمالي صنعاء وغريها، بينهما ستون فرسحاً (ياقوت).
 وصعدة قرية من نجران وجيزان الواقعتين اليوم في المملكة العربية السعودية.

(7) «النقيل بلغة أهل اليمن: العقبة. وعجيب: موضع باليمن في مقاطعة ذي رعين»
 (ياقوت، وصفة جزيرة العرب، 157).

فانقطعت هناك نعله/ فمال إلى صخرة وجلس عليها ليصلح نعله، فأقبل إليه شيخ فقال: ممّن الشيخ؟ فقال: رجل غريب. فقال: أعندك علم من المهديّ؟ فقال له المنصور: ومن المهديّ، أيّها الشيخ؟ (ر20أ) فقال الشيخ: إنّه مأثور عندنا أنّ داعي المهديّ تنقطع نعله، فيقف على هذه الصخرة ليصلحها. فقال له المنصور: كلام الناس كثير. (قال): ولم أجد فيه انتباهاً.

وسار المنصور حتى دخل صنعاء يوم الجمعة، فدخل المسجد الجامع والخطيب قد فرغ من خطبته، وعمد إلى أسطوانة خضراء فاتكأ عليها بظهره، ورفع إحدى رجله على الأخرى بعد أن صلّى ركعتين عند الأسطوانة.

قال المنصور فيما روي عنه: فأتاني شيخ فرفسني برجله وقال لي: قم! وانتهرني. فقلت له: ما لي أيّها الشيخ أقصد دون سائر الناس، وهذا كثير منهم منضجع في المسجد؟ فقال: لم أنكر انضجاعك، ولكن هذه أسطوانة يروى أنّ داعي المهديّ إذا دخل صنعاء، أتى إليها فصلى ركعتين واستلقى على ظهره عندها ورفع إحدى رجله على الأخرى. فإنّما أنكرت عليك التشبّه به. قلت: وما أنا وهذا؟ فقام إليه بعض من سمعه فقال: ما أعجب أمرك، وكأنّ هذا هو داعي المهديّ. قال: ما هو هو، ولكن أنفت أن يتشبه به غيره - وكأنّه إنّما رأى أنّ داعي المهديّ يدخل ويعمل ذلك (ر20ب) بعد ظهوره -/. (قال): ومضى عني ففقت فتسلّلت⁽⁸⁾.

بحته عن الأنصار

فخرج الداعي المنصور من صنعاء وهو يريد عدن أبين لأنّ الإمام (عم) أوصاه أن يقصد عدن لاعة⁽⁹⁾، فسأل عنه فلم يسمع

(8) يلزم الداعي إدريس رواية الافتتاح، 48/20 في هذا الخبر، وفي غيره كما سيأتي.
(9) أبين: مخلاف مشهور بجنوب اليمن، على ساحل المحيط الهندي، ومنه عدن، =

إلا بعدن أبين، فلذلك قصده. فلما صار بالمخلاف ووصل نقيل
البردان نظر إلى عسكر ابن يعفر الكرندي⁽¹⁰⁾. وقد أقبل يريد حرب
المذيخرة⁽¹¹⁾. فعمد المنصور إلى كهف في الجبل مخافة لمعرة
العسكر. فلما دخل ذلك الكهف، إذا هو بشيخ كبير قد دخل عليه
من باب ذلك الكهف، فسلم عليه وجلس بين يديه، وجرى بينهما
كلام، بعد أن سأل الشيخ عن حاله وبلده ومراده.

ثم أن الشيخ سأل الداعي عن شيء من الحلال والحرام،
والقضايا والأحكام، فأجابه في ذلك بما شفاه وكفاه. (قال
الداعي): فلما أجبت بما أجبت، نظرت إليه وقد ملأ عينيه مني
وهملت دموعاً، ثم قام إليّ فجعل يقبل رأسي ورجلي ويقول لي:
إن رسول الله (ﷺ) أرسلني إليك لتستقذني وتأخذ بيدي
وتخلصني. قلت: وكيف هذا أيها الرجل؟ قال: نعم، كنت رجلاً
أرى في منامي رسول الله (ﷺ) في ليلة معروفة (ر 21 أ) في كل عام فكنت
أتأهب لتلك الليلة فلا تحرم رؤياي، فلما كان في هذا العام لم

34

= الميناء المعروف وعاصمة للجمهورية اليمنية الشعبية اليوم. وقديماً كانت أبين قرية
أيضاً على الساحل بين عدن غرباً ولحج شرقاً (صفة، 67).
لاعة: مدينة قرب صنعاء في جبل صبر، ويجانها قرية لطيفة يقال لها: عدن لاعة
(ياقوت). فعدن لاعة جبلية في قلب اليمن. والداعي ابن حوشب قادم من
الكوفة، أي من الشمال، فطبعي أن يمر بصنعاء بعد مروره بصعدة، ثم بالجند
في طريقه إلى عدن أبين.

(10) آل الكرندي: ملوك جهة المعافر: (الحجرية اليوم). دامت دولتهم إلى منتصف
القرن الخامس فأزالها الصليحيون (طبقات فقهاء اليمن، 87، هامش 5 و6).

(11) المذيخرة: «قلعة حصينة قريبة من عدن في رأس جبل صبر» (ياقوت). وعلى
سفح هذا الجبل من جهة الشمال تقع مدينة تعز (صفة، 100). وجاء في طبقات
فقهاء اليمن، 76: أن علي بن الفضل «القرمطي» قتل جعفر بن إبراهيم المناخي
وملك المذيخرة وأنفس مدائن اليمن في ذلك الوقت» وملك مع حليف له يسمى
الحسن [ي-] بن زاذان صنعاء على بني الحوالي.

أره، ومضت مدة فكننت في أكثر الغم من ذلك. فلما نمت البارحة رأيته (عليه السلام)، فجعلت أقول: يا رسول الله طال شوقي إليك وإلى رؤيتك، وقطعت عني ما عودتني من ذلك. فقال لي: أبشرك وأخبرك أنّ داعي المهدي في بلدك وبين ظهراي قومك، فبادر إليه وخذ بحظك منه. قلت: وكيف لي به يا رسول الله؟ قال: أنت واجده غداً في كهف كذا وكذا - وذكر لي هذا الكهف - قلت: إني أخاف أن أجد غيره. فوصف لي صفتك وقال: ومع هذا فاسأله عن كذا وكذا - وذكر لي هذه المسائل - فإن أجابك بكذا وكذا - وذكر لي جوابك - فهو صاحبك.

قال أبو القاسم: فأدركتني خشية وعبرة، فقلت: ما عسى أن أقول لمن أرسله إلي رسول الله؟ ويسطت يدي ثم أخذت عليه⁽¹²⁾.

قال القاضي النعمان بن محمد رضوان الله عليه: وكان هذا الرجل في اليمن يذكر ذلك ويحدث به.

قال الداعي السلطان الأجل حاتم بن إبراهيم بن الحسين الحامدي⁽¹³⁾ (ر 21 ب) رضي الله عنه: وكان ذلك الرجل من كبار الدعاة وأهل الخير فيهم.

قال الداعي المنصور أبو القاسم قدس الله روحه: ولما انتهيت إلى الجند⁽¹⁴⁾ دخلتها وأنا متستر، فقصدت المسجد/ 35

(12) مصطلح بمعنى: أخذت عليه العهد بخدمة الدعوة وميثاقاً في الولاء لها.

(13) الداعي حاتم الحامدي: هو الداعي المطلق الثالث بعد النّويب بن موسى الوداعي (520 - 536) وإبراهيم بن الحسين الحامدي أبيه (536 - 557). انظر ترجمته في كتاب «الصليحيون» 273 وإيفانوف، أدب، 61 ويوناوالا، 151 والحيب الفقي: الآراء الفلسفية... 126.

وقد تفرغ للتأليف بقلعة الخطيب بالحراز، وتوفي سنة 596.

(14) الجند بفتح الحاء تنق على نحو ستين فرسخاً جنوب صنعاء، وهي قرية من نعر، التي تقع جنوبها.

الجامع، فصلّيت به الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثمّ قلت لبعض من فيه: أيبيت ههنا أحد؟ فإنّي رجل غريب أردت المبيت في المسجد. فقال: نعم، كلّ من ترى من الغرباء فيه يبيتون. فلما صلّينا العشاء تحلّقوا حلقتين، إحداهما شيعة والأخرى حشويّة⁽¹⁵⁾ فتناظروا ساعة من الليل. ثمّ انصرف الشيعة، وقام الآخرون لينصرفوا، فقال رجل منهم: اجلسوا قليلاً، فجلسوا. وجعل ينظر إلى أولئك الشيعة حتى انصرف آخرهم، فعطف على أصحابه فقال لهم: أتعرفون خبر هذه الليلة؟ قالوا: وما خبرها؟ قال: أليست ليلة كذا من شهر كذا في سنة كذا؟ قالوا: نعم. فاستخرج كتاباً من كمّه فقال: أو ليس هذا كتاباً رواه فلان من هؤلاء الفعلة - يعني الشيعة -؟ فنظروا الكتاب، فقالوا: نعم، هو معروف لهم. فاستخرج منه حديثاً فقرأه عليهم: إنّ بعض الأئمة (ر22 أ) عليهم السلام قال لصاحب ذلك الكتاب: من أدرك سنة كذا من أهل بلدك فليلتبس داعي المهديّ في ليلة كذا - يعني تلك الليلة - فإنه يبيت في مسجدها. قالوا: سمعنا هذا الحديث. فقال: ترون هؤلاء انصرفوا، فما منهم من ذكر هذا ولا عرفه، فهلمّوا بنا نبطل قولهم ونكذبهم، فنخرج جميع من في المسجد الليلة فلا يبيت فيه / أحد لنبطل روايتهم. قالوا: نعم.

36

فقام قائم منهم فقال: يا معشر الغرباء، انصرفوا، فليس يبيت أحد منكم الليلة في المسجد على كلّ حال، فإنّ لهذا قصّة لا يمكن معها مبيت أحدكم فيه.

(15) الحشويّة: كلمة استهجان تطلق عادة على المشبهة أو المجسّمة في قضية الصفات الإلاهية، وأيضاً على نقلة الحديث بدون تمحيص. وكأنّها تعني هنا عموم أهل السنة يقول ابن حوقل، المنسوب إلى الشيعة، في خصوص سكّان السوس الأقصى بالمغرب: «والمالكيون فيه هم من الفظاظ الحشويّة» (صورة الأرض، 90). وانظر فصل «الحشويّة» في دائرة المعارف الإسلامية.

قال الداعي المنصور: فرأيت كل واحد منهم يضم ما كان معه ويخرج. فلم أدِر إلى أي موضع أخرج، وقصدت زاوية من زوايا المسجد فجلست فيه وقلت: لعل رجلاً يجيء يمضي بي إلى بيته. وافترقوا يخرجون الناس ويطفئون القناديل. فأتى إلي رجل منهم وقد أطفئ أكثرها، فقال لي: قم يا رجل! فقلت وقلت: إني رجل غريب ولا أعرف موضعاً أقصد إليه، فلعلك إن تمضي بي الليلة فتأوي بي (ر 22 ب) إلى محلّك. قال: والله ما عندي موضع. فقلت: سبحان الله، تخرجني من بيت الله وتمنعني بيتك؟ وكأنه استحيى، ونظر إلى الناس قد خرجوا، فانصرف وتركني، وأغلقوا أبواب المسجد.

فبت ليلة طويلة، وخفت أن يُختبر المسجد من غد. فلم يكن ذلك. وأصبحوا، ففتحوا الأبواب، ودخل الناس وصلّوا وما نظروا في شيء من ذلك.

قال الداعي أبو القاسم المنصور رضوان الله عليه: وسألت كل من لقيت من أهل اليمن عن عدن لاعة، وكل يقول: أما لاعة، فموضع معروف، ولكن لا نعرف عدن لاعة، وإنما نعرف عدن أبين/. فقصدت عدن أبين إذ لم أجد أحداً يخبرني عن عدن لاعة، 37
الموضع الذي وجهت إليه. فأصببت بعدن أبين قوماً من الشيعة يعرفون ببني موسى، وكنت أخبرت أن عدن أبين هي فرضة الهند وأم البلدان، وسألت ما الذي يُحمل إليها - قبل أن أدخلها - فقيل: القطن. فاشتريت منه شيئاً يسيراً جعلته معي ليرى أنني تاجر، ودخلت مع صاحبي⁽¹⁶⁾ فسألنا عن مكان بيعه، فدلّلنا عليه واكترينا حانوتاً في سوقه (ر 23 أ) وجلسنا فيه نبيعه.

الداعي ابن
حوشب يتزوّج بزّي
التجّار

(16) لم يذكر لنا المؤلف هذا الصاحب سابقاً. وهو هنا ينقل الافتاح 50/15 مع شيء =

فإنني لجالس يوماً إذ استهلّت السماء بمطر وابل. فإنني
لكذلك إذ نظرت إلى رجال قبالي في الصفّ ينظرون إليّ
ويتحدّثون. ثم قام أحدهم إليّ فوقف وقال: أترى أن تدخل بنا إلى
داخل الحانوت؟ فقلت معه. فقال: ما أظنّ هذا وجه بيّاع عُطْب⁽¹⁷⁾
يعني القطن. قلت: وكيف ذلك؟ قال: أمّحك علم من علم آل بيت
محمّد؟ قلت: أنا رجل تاجر، دعني من هذا. قال: لعلّك تسمع
ببني موسى؟ قلت: نعم. قال: نحن منهم، ونحن شيعة، وهذا
أوان ننتظر فيه دخول داعي المهديّ إلينا، وإنّا لنجد صفته فيك،
فهات ما عندك فنحن اخوانك.

ولم يزل بي إلى أن كشفت الأمر له، وما برح حتّى أخذت
عليه العهد. فقام فأتاني بأصحابه فأخذت عليهم. ونقلوني إلى
محلّهم، فكنّ عندهم. فقالوا: إنّ لنا اخواناً/ من الشيعة بعدن
لاعة. قلت: وثمّ عدن لاعة؟ قالوا: نعم. قلت: وإليها أرسلتُ ولم
أجد مخبراً عنها.

فأرسلوا إليها، فأتاني رجال منهم وأخذت عليهم العهد وسرت
معهم فأصبّت داراً للشيعة. وأخبروني عن رجل منهم يقال له أحمد
ابن خليع⁽¹⁸⁾ كان له علم فيهم، وأنّه كان ينتظر قدومي ويقول: في هذا
العام يقدم ويدخل بلدنا. فأعدّ (ر 23 ب) سلاحاً لذلك أتوني به.

وكان ابن خليع المذكور هو الداعي في اليمن، واتّصل بابن

= من التقديم والتأخير. وينو موسى: من شيعة عدن لاعة (ابن خلدون في ترجمة
دي سنان، 506/2).

(17) العُطْب بضمّتين: القطن وفي الحديث: لا زكاة في العطب (اللسان).

(18) أحمد بن خليع (من بني موسى): في كتاب الصليحيّون، 32 - 33 اسمه أحمد بن
عبد الله بن خليع وأنّه مات في حبس اليعفريّ سنة 268 قبيل قدوم منصور
اليمن.

أبي يعفر أمره، فأرسل من أتاه به وحبسه، فمات في الحبس منذ قريب رحمة الله عليه.

قال الداعي المنصور: فأنزلوني في دار من دوره.

وتزوج أبو القاسم بعد ذلك ابنة أحمد بن خليع رحمة الله عليه، وبعث بابن أخيه الهيثم⁽¹⁹⁾ بعد ذلك داعياً إلى السند واستجاب له كثير من أهلها.

.. ويوزع الدعاة على الجزر: الهيثم إلى السند..

وأرسل الداعي أبو القاسم أبا محمد عبد الله بن العباس⁽²⁰⁾، وكان من أجل الدعاة من أهل اليمن، وهو الذي استخلفه على الدعوة بعده، إلى مصر.

وفيما أتى من الأخبار عن عبد الله بن العباس المذكور قال: أرسلني الداعي أبو القاسم إلى ناحية مصر أدعو، فأتيت حياً من أحياء العرب، فأصبتهم في جماعة يهثثون⁽²¹⁾ إبلهم، فلما رأوني مقبلاً تركوا ما هم عليه وأقبلوا عليّ وقالوا: ممّن الرجل؟ قلت: رجل غريب. قالوا: / ما أردت إلينا؟ قلت: التعليم. قالوا: انزل على الرحب والسعة. وأخذ بيدي شيخ منهم فمضى بي إلى منزلهم وأنزلني عنده وأخلى لي خيمة، وفرش لي فرشاً وأتاني بطعام فأكلت. فلما كان من الليل تحدّث (ر 24 أ) معي طويلاً. فلما مضى هويّ⁽²²⁾ من الليل قال لي: أناشدك الله لما كشفت لي ما أنت عليه. قلت: أو لم أخبرك أنني معلّم؟ قال: ما يقع هذا بقلبي. فلم أكشف له شيئاً. وأقام أياماً وليالي يسألني سؤال من عنده

39

.. وابن عباس إلى مصر

(19) الهيثم. لا نعرف عنه سوى هذا

(20) أبو محمد ابن العباس ذكره صاحب كتاب الصليحيّون ولم يرد على كلام إدريس.

(21) هنا الإبل (بوزن نصر وضرب): طلالها بالقطران.

(22) الهويّ من الليل بالفتح أو الصمّ: الهزيع منه.

علم، فما زدت له على ما ابتدأت به من أني معلّم. فجمع صبياناً من الذين في الموضع وجلست أعلمهم. وهو في ذلك إذ جاءني، فقال لي مثل قوله الأول وما زال بي حتى كشفت له الأمر وأخذت عليه البيعة. وكان من خير من دعوته. ودعوت هناك دعوة عظيمة. فكان يقول بعد ذلك: لكأنما والله أنزل (ط 38) الله لك الهيبة والجلالة في قلبي، وكأنك لم تأت إلا لهذا وكأنّ عندي منه علم سبقي.

ورجع هذا الداعي أبو محمد إلى اليمن بعد مدة، وكان أجلّ الدعاة مع المنصور أبي القاسم، وهو الذي استخلفه بعده في الدعوة.

وكان أكثر الدعاة في الجزائر⁽²³⁾ أيام المهديّ بالله عليه السلام من تحت يدي الداعي أبي القاسم، إشهاراً من وليّ الله لفضله، وتنوياً بعالي محله. ومنهم من أرسله وليّ الله إليه وأمره أن يمثل أمره فأصدر/ إلى حيث توجه عن أمره ومن تحت يده وكان أحد الحجج⁽²⁴⁾ العظماء للأئمة (صلع) وعنه نشأت الدعوة، وكان للداعين إلى أولياء الله (ر 24 ب) القدوة.

ومن اليمن كان ظهور دعوة الإيمان، لقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم: «الكعبة يمانية والدين يمانيّ»⁽²⁵⁾.

وأقام الداعي أبو القاسم المنصور رضوان الله عليه عامين في التقية. ثم ظهرت الدعوة باليمن سنة سبعين ومائتين، فاستجاب له بشر كثير، وقوي أمره وعلا ذكره. وكان مقيماً بقرية من قرى مسور

(23) الجزيرة ج جزائر وجزر: مقاطعة الدعوة، وكان للإسماعيلية اثنتا عشرة جزيرة.

(24) الحجة: اصطلاح أيضاً، يعنى مرتبة ووظيفة دون الإمام وفوق الدعاة. انظر المجالس والمسائرات ص 94

(25) حديث «الكعبة يمانية والدين يمانيّ»: لم نقف عليه في المسانيد المعروفة.

يقال لها الحيف⁽²⁶⁾، فلم يشعر إلا وقد هجم عليه إسحاق بن طريف⁽²⁷⁾ بعسكر عظيم من ناحية جبل مسور، فقتل من أهل الحيف اثني عشر رجلاً كانوا في محرسها فوق الحيف. فلما أقبل بعسكره خرج الداعي المنصور من الحيف بمن معه، والعدو محيط بهم، وقد داخل من كان معه الاضطراب والفشل، وهو بينهم رابط الجأش غير مكترث، وكل من نظر إليه ثبت قلبه وذهب رعبه.

ونهب ابن طريف أهل تلك الناحية وأحرق القرى.

وسكن الداعي في التهام وعطوة⁽²⁸⁾ بين أهل الدعوة، فأقاموا بها وقتاً حتى ضاق عليهم الأمر وكثر فيهم الخوف، فاجتمع (ر 25 أ) إليه مشايخ من أهل الدعوة، وسألوه حسن النظر والتدبير لهم في أمر يفرون به/ من عدوهم. فعرفهم أن ذلك لا يكون إلا بحصن يلجؤون إليه ويمتنعون فيه. فعرضوا عليه حصون البلد فاختر منها موضعاً يقال له «عبر محرم»⁽²⁹⁾ فأمرهم أن يؤازروه لذلك بألف دينار، فأعانه بها خمسة رجال منهم وأحضروها إليه في أقل من سبعة أيام، فأمر منها بشراء الحديد، وأمر بعمل آلة الحجارة والبناء، واشترى سلاحاً وعدداً (ط 39)

41

منصور اليمن (ابن حوشب) يستولي على وسط اليمن: عبر محرم...

ثم صعد إلى حصن عبر محرم وأمر ببناء دار له، وأسكن معه من وجوه أهل دعوته خمسين رجلاً، وأمر شيوخ أهل دعوته ببناء

(26) جبل مسور بسكون السين وفتح الواو. هو الذي يسمى مسور الممتاب (صفة، 111 تنبيه 1) ومسور أيضاً: حصن من أعمال صنعاء (ياقوت) أما الحيف فلم نحددها.

(27) إسحاق بن طريف: لعلة ابن طريف بن ثات مولى اليعفرى الحوالى صاحب شمام.

(28) التهام: «بلدة من مسور كبيرة أهلة» (صفة، 349 تنبيه 2) وعطوة «مشهور معروف» لا غير.

(29) عبر محرم: يكتفي الهمداني (الصليحيون، 33) بالقول أن منصور اليمن تحصن به بعد هجوم إسحاق بن طريف عليه. وحبل الجميمة: مجهول كذلك.

دروب الجبل⁽³⁰⁾. وأقام وأصحابه فيه أياماً ثم جمع جمعاً وصعد إلى ... وبيت ريب
جبل الجميمة فاستولى عليه وعمره، وغزا بيت ريب - وهو رأس
مسور - ثلاث مرّات، فاستولى عليه في المرّة الثالثة. واستقرّ حاله
حين استولى على بيت ريب وملك جبل مسور.

ثم حارب أهل المغرب قاطبة، واستولى على بلاد عَيّان وبنو
شاوَر وحمّلان⁽³¹⁾، ثم عاد لحرب بلاد حمير، واستولى على ذخار
(ر 25 ب) وملك شبام حمير وجبلها الذي هو كوكبان⁽³²⁾.
... وعلى مغربه:
شبام حمير وكوكبان

ونكث خراج بن محجن بيعته وغدر في جبل كوكبان فملك
الجبل، وحاربه الداعي المنصور حتى نصره الله عليه⁽³³⁾.

وغزا دورم⁽³⁴⁾ وهي مدينة كانت بوادي صهر متصلة بالقلعة بينها
وبين أفيدة⁽³⁵⁾ فملكها/ عنوة وهي حصينة منيعة وأخزبها.

42

(30) هكذا في المخطوطين ولعلّها: ببناء دور بالحبل
وبيت ريب. حصن ذو عَرَقة منقطعة عليها قصور لا مسلك لها غير باب
واحد (صفة، 345) ولا يزال يحمل اسمه إلى هذا التاريخ (تعليق الأكوخ). وفي
ياقوت: حصن في جبل مسور

(31) يعني بالمغرب مغرب اليمن ولذلك جاء في عنوان هذا الفصل «ظهور دعوة
المهديّ باليمن والمغرب». وقال ياقوت في التعريف بَحْمَلان. موضع باليمن من
قُدُم المغرب وقال في عَيّان بالفتح والتشديد. «بلد باليمن من ناحية محلاف
جعفر». وفي صفة جزيرة العرب، 118 ذكر بلد بني شاوَر بدون تدقيق

(32) شبام حَمِير: «جبل عظيم صعب المرتقى ليس إليه إلّا طريق واحد، وفيه غيران
وكهوف عظيمة جدّاً، وسكنه ولد يعفر، ولهم فيه حصون عجيبة هائلة» (ياقوت
نقلًا عن أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني). وقال في كوكبان: «جبل قرب
صنعاء، يسها وبه يوم وليلة، وإليه يضاف شبام كوكبان وقصر كوكبان». وفي
الصفة، 109 و 232. «وجبل ذخار مطّل على شبام، وهو الجبل الذي فيه حصن
كوكبان» ويضيف صاحب «الصليحيّون»، 35: ويسمّى اليوم «صلح كوكبان».

(33) خراج بن محجن: لم نهتد إليه.

(34) دُورم بضمّ الدال وفتح الراء: «هو حصن ضهر من أرض اليمن، وضهر على
ساعتين من صنعاء» (معجم ما استعجم).

(35) أفيدة: لم نحدّها في مراجعنا.

وما زال يحوز المعازل، ويملك مدن اليمن الجلائل، وأقبل الناس إليه طوعاً وكرهاً، ودخل كثير من بني يعفر وملوك حمير في الدعوة، طائعين وكارهين. وقويت في أرض اليمن دعوته وعلت كلمته.

ووصل إليه الحسين بن أحمد بن زكريا صاحب الدعوة وصول أبي عبد الله الشيعي إلى اليمن بالمغرب المكنى «أبا عبد الله»، فأنزله عنده وقرب مكانه، وأقام معه من وقت انصراف الحاج من مكة إلى اليمن إلى وقت خروجهم في العام المقبل، وقد أمره إمامه أن يمثل مثاله، ويحذو حذوه، ويتبع سيرته، ويقفوه في أعماله وأفعاله، ويأتمر بأمره في جميع أحواله.

فأرسله الداعي المنصور بأمر الإمام عليه السلام إلى بلد كتامة، وكان من أمره ما نحن نأتي في هذا (ر 27 أ) الكتاب بشيء من قصته، ونشرح بعض جملته^(35م).

قال الداعي أبو القاسم رضوان الله عليه: وكتبت إلى الإمام (ص) بما صار أمري إليه، وكانت كتبه ترد عليّ، فلم أزل في ضيق من الأمر، إلى أن ورد عليّ الكتاب بالعهد للمهديّ بالله (صلح) فاستقام الأمر لنا وأتانا الله بالنصر.

فما زالت الأحوال عند الداعي أبي القاسم مستقرّة، والدعوة منه إلى أولياء الله مستمرة، والأولياء فرحين/ جذلين، وأعداؤهم خائفين مخذولين، وهو مقيم للعدل، شاهر لفضل أهل الفضل، أمر بالأعمال الشرعيّة غير مقصّر فيها، عامر للملّة الحنيفيّة في أداني الجزيرة اليمنيّة وأقاصيها، مقيم لفروضها وسننها، جار على واضح منهاجها وسننها، فعمرت به الدعوة وظهرت، وعلت أخبارها واشتهرت، وأشرقت أيامه وزهرت (ط 40).

ثم إنَّ عليّ بن الفضل الجيشاني لعنه الله، الذي دخل مع

(35م) وقعت الورقة 26 بيضاء في مصوِّرة «ر» فلذلك انتقلنا من 25 إلى 27 مباشرة

المنصور إلى اليمن، نكث عهده، وأراد الله بينه عن الحقّ وبُعدّه، فاستنزل الشيطان واستهواه، وأضلّه وأغواه، ففارق الدعوة، وخرج من الملة، وباين (ر 27 ب) المتوجّهين إلى القبلة، وأدعى النبوة، وافترى على الله وعلى أوليائه مقتدياً بالمضلين من قبله فكانوا له شرّ أسوة. واستمال الجهال والرعاع وكانوا له من الأنصار والأتباع، فأرتكب المحارم، وأتى العظائم، ومال إلى الإباحات وترك الأعمال الصالحات، وكفر بعد إيمانه، وباء بلعنة الله لكفره وعدوانه، مقتدياً بالمغيرة وأبي الخطّاب الذين قدّمنا ذكرهما في قصّة الصادق والباقر⁽³⁶⁾ صلوات الله عليهما، فاعلاً كفعلهما في الضلال، مستنزلاً للأغمار والجهال، مائلاً عن ذات اليمين إلى ذات الشمال. وليست أفعاله الخبيثة بمنسوبة إلى أهل دعوة الحقّ المبين، وأتباع أولياء الله المهتدين، وإنّما عليه عار ذلك وذنبه العظيم الذي / اجتزره 44 وجرمه. وعجباً لمن ينسب إلى أهل الدعوة الهادية من أتباع الأئمة صلوات الله عليهم أفعاله، ويوهم لديهم ضلاله، وهم إلى الله وإلى أوليائه منه براء، ولا يفعلون ما يفعل، ولا يرون ما يرى، قائمون بالأعمال الشرعيّة من الطهارات والصلاة والصيام (ر 28 أ) مؤتون الزكاة حاجّون إلى بيت الله الحرام، مُتولّون لمحمّد رسول الله، وعليّ وصيّيه والأئمة من ذرّيته عليهم السلام، مجاهدون في سبيل الله مجتهدون، موفون في أعمالهم وأقوالهم مسددون، مجانبون لما حرّمت الشريعة الغراء، ملازمون لما فرض نبيّ الله محمّد خير آلورى.

(36) ورد خبر هذين الغاليتين في السبع الرابع، 247 و 287. فالمغيرة بن سعيد العجليّ كان من أصحاب الباقر «فاستنزل الشيطان فزعم أنّ الإمام الباقر إله وأنّه هو رسوله». وكذلك فعل أبو الخطّاب محمّد بن أبي زينب الأجدع مع جعفر الصادق. ونسبت إليهما فرقاً المغيرة والخطّابية. انظر الإحالات في المجالس والمسائرات، 84، هامش 3. وكذلك الفرق بين الفرق للبغدادي ص 238 و 255، ومقالات الإسلاميين للأشعري، 68/1 و 75.

فما الذي يلزمهم من أفعال عليّ بن الفضل اللعين، وهم إلى الله يراءون منه في دائم الأحقاب والسنين، يلعنونه مع اللاعنين، ويتبعون من دين نبيّهم محمد وآله خير دين؟

وإنّ إبليس قد كان مع الصافين المسبّحين العابدين لله تعالى من الملائكة المقرّبين، فحين كفّر، [و] أخرجه الله من جنته، وباء بغضب الله ولعنته، لم يلزم الملائكة شيء من أفعاله، ولم يكن منه إلّا من اتّبعه فضلٌ بإضلاله. وقد كفر من كفر من أبناء النبيّين، كقاييل بن آدم، وابن نوح، اللذين ذكرهما [الله] في كتابه المبين /، فلم يلحق نوحاً وآدم شيء من أعمالهما، وبرّاهما الله من بغيهما ومحالهما (ط 41 - ر 28 ب).

والدين الذي ندين به هو العمل بما أتى به رسول الله صلّى الله عليه وآله، وفرضه على المسلمين، لا نترك فريضة من الفرائض، ولا نستحلّ شيئاً ممّا حرّمه الله في ظاهر جليّ ولا سرّ غامض.

ونحن بحمد الله أكثر الناس قياماً بفرائض الإسلام لاّ تباعنا من خصّهم الله تعالى بالفضل من إمام بعد إمام، حلالنا من كتاب الله وحرامنا، لا نأتي ببدعة ولا نرى في الدين بأهوائنا، وذلك معروف مشهور موصوف لا ينكره إلّا من أراد البغي علينا والتحامل، ليستميل بذلك كلّ وغد جاهل، وينسب إلى الأفاضل أفعال الأراذل، يريد بذلك أن يصدّ عن السبيل، ويغوي من أراد اتّباع أهل الحقّ فيميل به إلى الضلال والتضليل.

ونقول في ذلك ما قاله الداعي الأجلّ المؤيّد في الدين⁽³⁷⁾

(37) المؤيّد في الدين: هو الداعي هبة الله بن الحسين الشيرازيّ. كان داعياً بفارس ثمّ التحق بالمستنصر الفاطميّ بالقاهرة، وبها توفيّ سنة 470. له مؤلّفات عديدة

عصمة المؤمنين قدس الله روحه: اللهم، وكل من دعا إلى الإمامة الإسماعيلية، وانتمى إلى الدعوة الفاطمية، فنقص واحداً من الرسل، وقدم في شيء من الشرائع والسبل، وأجاز في شيء من مناسك شريعة محمد (ﷺ) (ر 29 أ): صلاتها وصومها وحجها وزكاتها وجهادها، أقل شيء من الرخصة، أو جوز في ركن من أركانها أدنى نكته من الفرصة، من ماضٍ وغابر، وغائب/ وحاضر، اللهم فاجعله موقع 46 النقمات، وموضع اللعنات، من أهل الأرض والسموات. اللهم إنا نشهدك ونشهد ملائكتك أننا براء ممن هذه سبيله، وأنه من المشركين، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (التوبة، 3). اللهم، ومن نسب إلينا من ذلك ما لسا بأهله، وافترى الكذب علينا بعناده وجهله، تدنيساً للأعراض المطهرة، وتدنيساً على الدعوة المنورة، فإنه يا رب من المكذبين بآياتك، المتقلبين في لعناتك، من أهل أرضك وسمواتك. اللهم، فبحق كرام أوليائك، في أرضك وسمائك، إلا أخذته بالسمع والبصر، وجعلته في دنياه قبل أخراه محلاً للعبر، كما قلت، وقولك الحق المبين: ﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة، 21].

وتابع الرسل المنصور إلى ابن الفضل اللعين الزنديق يعظه (ر 29 ب) ويذكره وينهاه عما أتاه وبالتوبة يأمره، ولسوء المصير في السعير يخوفه. فحين تمادى في إنكاره، وتناهى في بغيه وإصراره، نابذه الداعي الحرب، وأخرجته من مدينة شيبام حمير. ثم سار ابن الفضل اللعين بنفسه حتى طلع أكمة تسمى أكمة الظلّمة ما بين جبل مسور

الحرب بين منصور
اليمن ...

= منها «المجالس المستنصرية» المسماة أيضاً المئات لأنها ثمانية مجلدات كلّ مجلد يضمّ مائة مجلس. وله ديوان شعر نشره المرحوم محمد كامل حسين. انظر: [يفانوف، 45 - 47] ومحمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية ص 81.

47 والمصانع، ⁽³⁸⁾ فلقى هناك عسكر المنصور وكان بينهم القتال الشديد. وأراد ابن الفضل أن يكون مركزه/ في عقبان فمروا إلى هنالك قاصدين، وحال بينه وبين ذلك من لقيه من عسكر المنصور، فصدقهم أصحاب المنصور القتال، فكبر ذلك من نفوس أصحاب ابن الفضل لقوتهم، وقد ظنوا أن أحداً لا يلقاهم ولا يقاتلهم بذلك. فضربوا لأصحاب المنصور رضوان الله عليه، وما زال بينهم القتال من أول النهار إلى آخره حتى رد أصحاب ابن الفضل على الأعقاب، وقتل منهم رجال صاروا إلى أشد العذاب، واستشهد من أصحاب المنصور رجال قضى لهم الله بحميد الرجعى وكريم المآب.

... وابن الفضل
المارق
ونزل اللعناء أصحاب اللعين ابن الفضل في الظلمة ولم يطبقوا جوازها إلى غيرها، فحطوا أنقالهم (ر 30 أ) فيها، وأقاموا فيها أربعين يوماً، وانتقص أمرهم، وقطع أصحاب المنصور الميرة عنهم حتى أصابهم الجوع الشديد، وأكلوا لحم الحمير والجلود، وبلغ بهم الجهد كل مبلغ. وكان أصحاب المنصور يقتلونهم من حول مركزهم بين الشجر وعلى المياه، ويأخذون ما يظفروهم الله به من أمتعتهم. فلما رأى ذلك ابن الفضل اللعين وطال عليه، انصرف من الظلمة إلى المصانع، ثم إلى الضلعي فإلى الأغدار ثم إلى العضد فأقام بها أياماً، ثم انحدر إلى لاعة فأقام/ في موضع يسمى أعجاز⁽³⁹⁾، ثم جهّز

(38) المصانع: «مخلاف باليمن يسكنه آل ذي حوال» (ياقوت). أمّا الظلمة بفتح فكسر: بلدة عامرة في غربي مسور اتخذها ابن الفضل قاعدة لمهاجمة منصور اليمن (تعليق الأكوخ في ص 111 من الصفة).

(39) مواقع القتال بين منصور اليمن وعلي بن الفضل ذكر بعضها بدون تدقيق وأهمل بعضها في كتاب صفة جزيرة العرب فجبّال العضد مثلاً من أعمال شبام أقيان (ص 123). أمّا الأغدار والأعجاز فلا نعرفها. وكذلك الجميمة والقبل والحجبة الآتية الذكر.

عسكراً إلى مغربة لاعة. فانتهى إلى المنصور رضوان الله عليه خبره، فكمن بعسكره في ثلاثة مواضع. فخرج أصحاب ابن الفضل، فحين صاروا إلى تلك المواضع الضيقة بين المكن غفل عنهم أصحاب المنصور حتى خرجوا من المضيق وثاروا بهم، فالتجأوا إلى جبل كان فوقهم فامتنعوا فيه، وانصرفت الكمن عنهم.

وأصبح ابن الفضل غادياً في أثرهم فصار إلى المغربة، ثم خرج منها بعد مدة حتى صار إلى الجميمة (ر 30 ب)، فأقام بها مدة أخرى، ثم إلى القبل، واجتمع أصحاب المنصور عليهم في قرية تسمى حجة فهزموهم، وولى أصحاب ابن الفضل منهزمين، وكان ذلك بعد صلاة العصر ولم يزل أصحاب المنصور يتبعونهم بالقتل إلى نصف الليل، فقتلوا منهم بشراً كثيراً، وانصرف هؤلاء وهؤلاء، وكانت بينهم بعد ذلك وقائع كثيرة، تركنا ذكر ذلك اختصاراً، إذ لم يكن قصدنا إليه.

وحمل المنصور المغرب وأكثر الجهات من اللعين ابن الفضل. وقوي بعد ذلك أمر ابن الفضل وملك صنعاء، وكان ذلك وقد صار أمير المؤمنين المهدي بالله في دار ملكه بإفريقية، وظهر أمره واشتهر فضله في البرية. فلما بلغه صلى / الله عليه حال هذا اللعين، وأنه قد استفحل أمره، واجتمع إليه أتباعه اللعناء الكافرون، أمر رجلين من أهل دعوته وممن في حضرته حتى وصلا مدينة صنعاء، وتسميا أنهما طبيبان حتى دخل أحدهما على ابن الفضل لعنه الله فقصده وجعل في مفصده سماً (ر 31 أ) قاتلاً، وخرج من عنده وبادر الهرب هو وصاحبه. ومات ابن الفضل لعنه الله⁽⁴⁰⁾، وعجل الله بروحه إلى النار، ولحق بأمثاله من الكفار والفجار. وأخذ أصحاب ابن الفضل في

49
مقتل علي بن
الفضل غيلة

(40) مات علي بن الفضل سنة 303 مسموماً كما ذكرنا (هامش 4 من هذا الفصل).

طلب الرجلين الذين فصداه، وما زالوا يتبعونهما ويسألون عنهما حتى انتهيا إلى موضع تحت نقيـل صيد⁽⁴¹⁾، فأدركا هنالك وقتلا رحمة الله عليهما، وهناك قبراهما.

قال الداعي حاتم بن إبراهيم⁽⁴²⁾ رضوان الله عليه في بعض تأليفه: وقبراهما معروفان إلى هذا الأوان.

وانقطع أمر اللعين عليّ بن الفضل بعد موته وتفرقت أتباعه من القوغاء اللعناء، ولم يبق أحد على دينه، فلعنة الله عليه وعلى من ينسبنا إليه، فنحن نبرأ إلى الله تعالى من فعله، ونعوذ منه ومن أتباعه، ونتابع اللعنات عليه وعلى من سلك سبيله ممّن تهاون بالأعمال الشرعية وأخلّ بالأوامر النبوية، في قديم الزمان وهلمّ جرّاً إلى هذا الأوان.

واستقرّ أمر الداعي / أبي القاسم قدّس الله روحه في اليمن بعد قتل هذا اللعين، وملك أكثر مدّة من السنين، واستخلف عبد الله بن العباس في الدعوة بعد موته ونقلته، وجعله خليفته في أهل دعوته.

50

وهاجر ولده الداعي جعفر بن الحسن⁽⁴³⁾ قدّس الله روحه إلى الحضرة الشريفة النبوية، وسكن في ظلّ الدوحة العلوية، وانتهى إلى أن بلغ مبلغاً عظيماً عند الأئمة (صلع)، وفضل الدعوة، وبلغ إلى مراتب الأبواب⁽⁴⁴⁾ الفائزين بعلو الدرجات. وسنذكر من قصّته إذا انتهينا إلى ذلك، وبالله نستعين وبمادّة أوليائه الطاهرين.

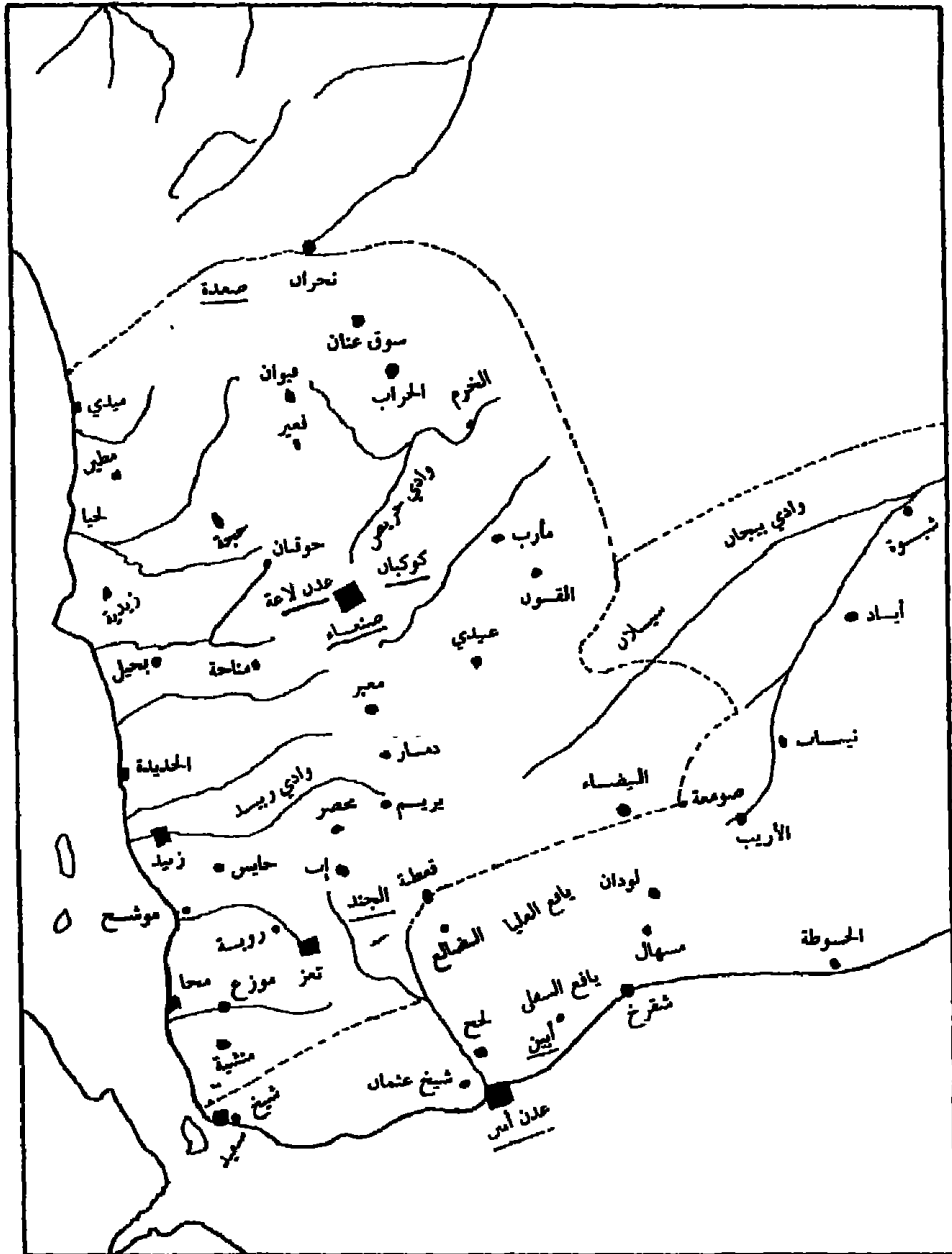
هجرة جعفر بن منصور اليمن إلى المهدي يافريقية

(41) نقيـل صيد. بين الجند جنوباً وصعاء شمالاً، ويسمى اليوم صيد سمارة (صفة، 344 هامش 2 والصليحيون، 206).

(42) الداعي حاتم الحامدي. انظر هامش 13 أعلاه.

(43) جعفر بن منصور اليمن الداعي - الشاعر. يخصّص له الداعي إدريس ترجمة في السبع السادس (34/2).

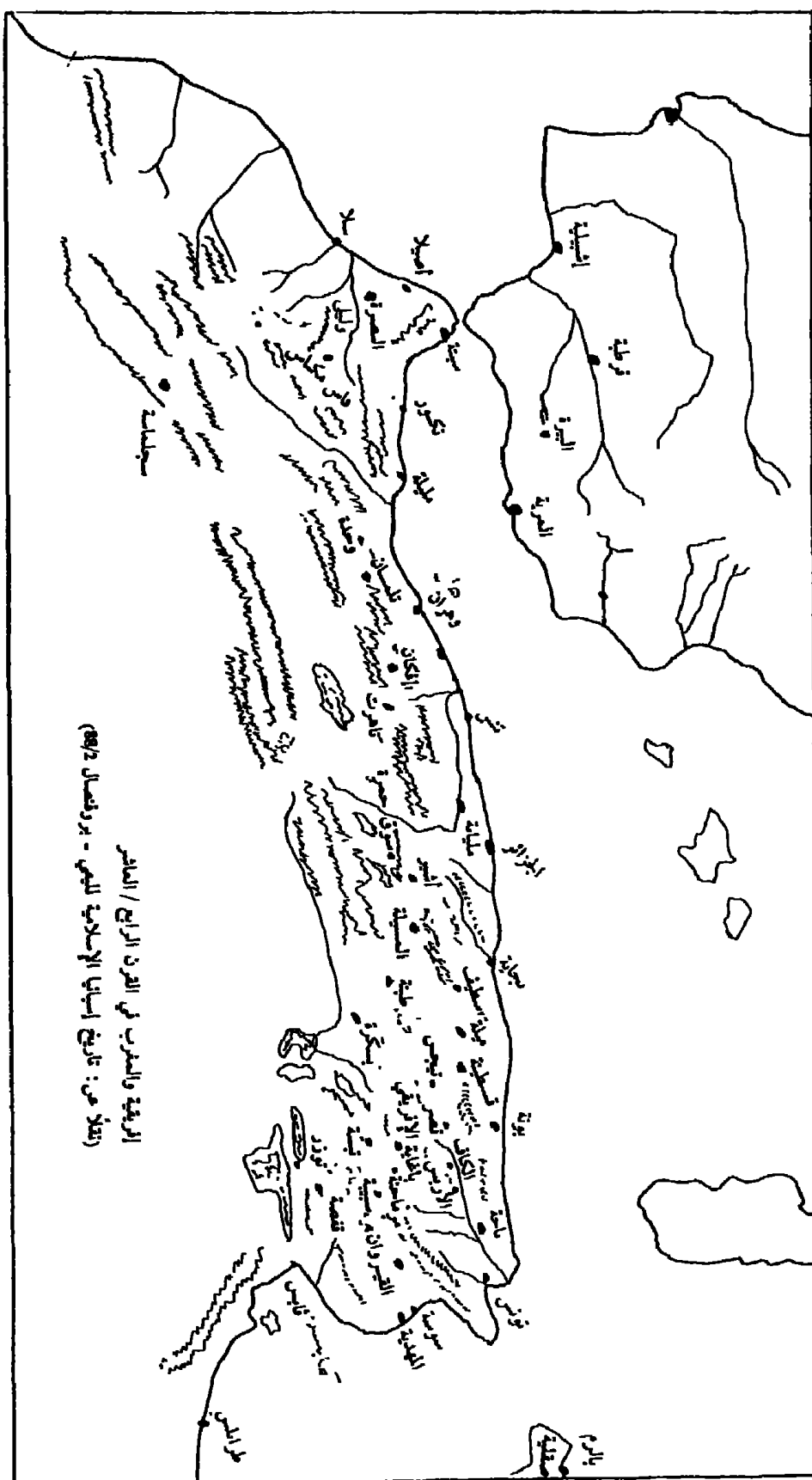
(44) الباب: مصطلح إسماعيلي يدلّ على مرتبة من الدعوة: مرتبة داعي الدعوة.



دعوة منصور اليمن وعلي بن الفضل باليمن

الفصل الثالث

ظهور الدعوة بالمغرب



وأما ظهور الدعوة بالمغرب إلى أن ظهر المهديّ بالله (صلع)، فإنّ أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا أرسل إلى اليمن، على ما قدّمنا ذكره، وقدم على الداعي أبي القاسم منصور اليمن، فأدنى مكانه، ورفع منزلته، وأقام عنده من انصراف الحجّ من مكّة إلى اليمن، إلى وقت خروجهم إلى الحجّ من العام المقبل، يشهد مجالسّه، ويخرج معه في غزواته فلا يفارقه. فلما حضر وقت خروج الحاجّ من أهل اليمن إلى الحجّ، خرج أبو عبد الله إلى مكّة معهم، وأخرج الداعي أبو القاسم معه من قبله/رجلاً استصحبه (ر 32 أ) إياه وآزره به، بحسب ما جرت به سيرة الدعاة أن يكون مع الواحد منهم من يختصّه ويختاره ليخلفه إن حدث به حدّث من أمر الله الذي لا محيص عنه ولا مفرّ منه⁽¹⁾.

أبو عبد الله يتعلّم
طرق الدعوة عن
منصور اليمن

51

وكان المنصور رضوان الله عليه إذا بعث أحداً لأمر، لم يشعر

(1) أسقط إدريس من كلام النعمان (افتتاح، 60/31) هذه الفقرة: «فصحه إلى أن وصل بلاد كتامة» فصار القارئ يتوهم أن ابن أبي الملاحف صاحب أبا عبد الله إلى مكّة لا غير.

ونلاحظ عرضاً أنّ محمّد الطالبيّ (الإمارة الأغلبية، 599 والترجمة العربية، 657) نقل من كلام النعمان فقرة لا توجد في طبعتي الافتتاح: «ولم يزل (ابن أبي الملاحف) يعلم (أبا عبد الله) إلى أن وصل إلى بلد كتامة وقد تغيّرت الجملة في الترجمة.

به أحد من أهل ولا ولد، ولا يُدرى أين توجه. وكان الذي سار مع أبي عبد الله (ط 45) [عبد الله] بن أبي الملاحف. وكانت له والدَةٌ فقدت عقلها لما فقدته وخولطت، فرق لها الداعي أبو القاسم فأرسل له فرجع إلى اليمن. وبعث إلى أبي عبد الله رجلاً يقال له إبراهيم بن إسحاق الزبيدي⁽²⁾ من أهل اليمن، ليكون معه عوضاً من ابن أبي الملاحف.

وقيل إن الداعي أبا عبد الله لما ودّع المنصور وخرج من عنده، نظر إليه وهو مُولٍ عنه وقال: إن بين كُفْيهِ لنجاة خلقي عظيم.

ولما وصل أبو عبد الله مكة مع الحجيج، قضى حجه في جُمَلَتِهِمْ. وجعل أبو عبد الله يمشي يميني، فمر على جماعة رجالٍ من كتامة ممن حج تلك السنة، وهم في رحالهم، وفيهم من الشيعة الذين كانوا (ر 32 ب) تشيعوا بأسباب الحلواني، وقد قَدَمْنَا ذكره⁽³⁾. فجلس أبو عبد الله إليهم، فسمع منهم رجلين، وهما حريث الجيملي، وموسى، يذكران لأصحابهما فضائل / أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عم)، فذكر شيئاً من ذلك معهما، فأقبل عليه جميعُهم، وحدّثهم طويلاً ثم نهض ليقوم، فقاموا معه ومشوا بمشيه، وجاء بهم إلى رحله. ولما كان من غدهم، أتوه فحدّثهم وأوسع في الحديث فازدادوا فيه رغبةً وعليه إقبالاً. وكانوا يسمعون منه في كل يوم حديثاً لم يسمعه فيما قبل ذلك. فازدادت إليه رغبَتهم ومالت نحوه

اتصال أبي عبد الله
بالحجيج الكتامين

52

(2) يضيف النعمان. افتتاح، 61/32 أن إبراهيم هذا كان يعرف بالهواربي ويلقب بالسيد الصغير - أما السيد مطلقاً فهو أبو عبد الله - وأنه زاغ عن الدعوة لما عاد إلى اليمن.

(3) في السبع الرابع، 324 - 325، خر الداعين أبي سفيان والحلواني الذين أرسلهما جعفر الصادق إلى إفريقية سنة 145. وقد تعرّض محمد الطالبي إلى نشاطهما بالتفصيل (الإمارة، 574 والترجمة العربية، 630).

قلوبهم، وسار معهم حتى انتهى إلى مصر، فأظهر لهم الرغبة في
المقام هناك، فقالوا له: ما يقيمك ههنا، وليست ببلدك، ولا نرى
شيئاً من التجارة معك؟ فقال: أطلب التعليم. فابتهجوا لذلك
وقالوا: ما نرى بلداً واحداً أجدى عليك في التعليم من بلدنا،
وجعلوا يخبرونه [ب]تعظيم أهل بلدهم للمعلمين وقالوا: انظر ما
تأمل أن تجمعه في كل سنة من أجرة التعليم، فنحن نزيد فيه على
مالك، وندفع إليك منه الآن ما شئت من أجرة سنة (ر 33 أ) وستين.

مسير أبي عبد الله
إلى بلد كتامة

فأظهر لهم في ذلك أمراً بين الأمرين، وهم في ذلك يتطارحون
عليه، ويزدادون رغبةً إليه حتى أجابهم إلى المسير معهم، فسروا
بذلك سروراً عظيماً وقالوا: إنا لنأتي إلى بلدنا بما يكون به الفخر لنا،
مما لم يجـ [سـ] به أحد سوانا/. وقالوا: ما نراه (ط 46) يصلح إلا

53

لتعليم الشيوخ دون الصبيان. وجمعوا له دنائير حين أزمع معهم
على المسير، فامتنع عليهم من أخذها، وحاولوه على ذلك بكل
وجه فأبى عليهم وقال: لم يكن مني إليكم ما يوجب ذلك، فإذا
كان، قبلنا منكم. قالوا: فامتنع علينا بقبول هذا. فامتنع من ذلك
في تلطف وشكر لهم. فعظم في أعينهم، وزادت هيئته في
صدورهم. فخرجوا من مصر وأرادوا حمل مؤنته فأبى عليهم
وسايرهم على ما كان عليه، وكل يوم يعظم أمره لديهم ويزداد جلالة
في أعينهم.

وكان طريقهم من طرابلس إلى قسطنطينية لأنها الجادة، ولم

يدخلوا إفريقية⁽⁴⁾، حتى إذا ساروا إلى سوجمار⁽⁵⁾ من أرض سماتة،
توقفه عند سماتة

(4) إفريقية، أي القيروان. وكثيراً ما يختلط اسم البلاد باسم حاضرتها عند القدماء.
وفي تنكيه القيروان اختلاف. انظر تحقیقات وداد القاضي في طبعها للافتتاح، 68
هامش 3.

(5) سوجمار: «غير بعيد من قسنطينة على وادي الرمل» حسب تحقیقات موسى لقبال =

تلقاهم أهل الموضع فأنزلوهم عندهم (ر 33 ب) ولقيهم حريث وموسى وأصحابهما⁽⁶⁾ فأخبروهم بخبر أبي عبد الله. ونظر السماويون إلى تعظيم الكتاميين له فرغب كل واحد منهم في مبيته معه حتى رموا عليه بالسهام، فخرج في سهم أبي عبد الله الأندلسي⁽⁷⁾ فنزل عنده. وأتاه أبو المفتش وأبو القاسم الورفجومي⁽⁸⁾ مع حريث وموسى من الليل، فتحدثوا ملياً عنده، ووجد لديهم من المعرفة والفهم أكثر مما رآه لمن صحبه، وأصاب عندهم من علم الشيعة وفضل أهل البيت (عم) أضلاً قوياً. فلما كان آخر مجلسهم وأرادوا القيام، نظر إليه أبو المفتش فقال: «والله إنني أظنك صاحب البذر»⁽⁹⁾ الذي كان يذكره الحلواني، وأخبره بخبره وقام. فقال أبو عبد الله لأبي عبد الله الأندلسي: «شيخ كويس»⁽¹⁰⁾، يعني أبا المفتش. وقال أبو المفتش لأصحابه بعد أن خرج: «لولا واحدة كان الحلواني يقولها، ما تخالجنى الشك أن هذا الرجل هو الذي كان الحلواني يذكره ويشتر به».

54

قالوا: وما هو؟

-
- = (دور كتابة... 221 هامش 11). لكن محمد الطالبي (الإمارة، 575، هامش 3) يجعلها بين قالمة غرباً وبوشقوف شرقاً قرب منجم الناطور. وتساءل عن قرابتها من قرية سجرة الحالية (ص 576 هامش 4). وانظر الترجمة العربية ص 632.
- (6) موسى بن مكاد أو تكاد في الكامل وعند ابن خلدون. وابن مكارة عند الطالبي، 600 والترجمة، 641 هامش 112.
- (7) هو أبو عبد الله محمد بن حمدون ابن الأندلسي، عم جعفر ويحيى أمير المسيلة زمن المعز.
- (8) عند الطالبي، 586 هامش 4 والترجمة، 643، أبو حيون بن المفتش. أما أبو القاسم الورفجومي فغير معروف.
- (9) حديث البذر: ذكره الداعي إدريس في السبع الرابع، 325: «المغرب أرض بور، فأحرثها إلى أن يأتي صاحب البذر فيبذر فيها».
- (10) كويس: تصغير تلطف من كيس (فيعمل).

قال: إذا وصفه قال: في فيه إصبع.

فبلغ ذلك أبا عبد الله فتبسّم وقال: هذا ما لا يكون. (ط 47-ر 34 أ).

ولما أخذ العهد على من سمع ذلك القول من أبي المفتش واشترط [الكتمان]، وضع إصبعه على فيه وقال: هذا هو الإصبع الذي كان الحلواني يقول: آمركم بالصمت والكتمان. أما رجل يكون في فمه إصبع فلا.

دخول وجوه كتامة
في الدعوة

قالوا: كذلك والله هو.

وبان لهم الأمر. ولما انصرف القوم بقي أبو عبد الله الأندلسي، وكان ذا فهم وحدة ومعرفة. فما زال أبو عبد الله يحدثه ويجدّ عنده ما يريد حتى كشف له الأمر وأخذ عليه العهد. فيقال إنه ما زال⁽¹¹⁾ الحديث بينهما طولاً ليلتهما حتى صلياً/ الفجر بطهر انعشاء الآخرة، وقال أبو عبد الله الأندلسي لأبي المفتش: أظنّ الذي قلت في هذا أنه صاحب البذر الذي ذكر الحلواني. وكان أبو المفتش ممّن أدرك الحلواني وسمع حديثه وأخذ به [هـ] - منه من رجاله. وقال أبو عبد الله الأندلسي: قد رأيت أن أصبح هذا الرجل - يعني أبا عبد الله - وأتعرّف ما عنده.

قال أبو القاسم الوراق جومي: وأنا معك.

وكان أبو المفتش قد كبر سنّه وضعف جسمه فقال لهما: «إنني لا أستطيع السفر معكما (ر 34 ب)، لكن متي وقفتما فيه على أمر كتبتما إليّ فتحملتُ إليه». ونظر حريث وموسى من رغبتهم فيه ما زادهما غبطة به، وساروا جميعاً حتى دخلوا بلد كتامة.

(11) ما زال هنا تفتقر إلى خبر، أو تعوض بـ: دام. ويزيد المؤلف علي رواية النعمان ويغيّر فيقع في الرطانة.

فلما وصل بلد كتامة رغب كل في مقامه عنده، وآل أمرهم إلى أن يخيروه. فقال لهم: في أي موضع منكم فجّ يسمى فجّ الأخيار؟ فنظر بعضهم إلى بعض كأنهم يرونه قد عرف ذلك وقالوا له: عند بني سكتان.

فقال: إليه نقصد، ثم نأتي كل قوم منكم إن شاء الله في مواضعهم ونزورهم في بيوتهم.

فسار أبو عبدالله ومعه أبو عبد الله الأندلسي وأبو القاسم الورفجومي وحرث وموسى حتى انتهوا إلى فجّ الأخيار. فقال: هذا فجّ الأخيار؟ قالوا: نعم.

وقال / له موسى وحرث: من أين عرفت ذلك؟ فما علمنا أنا ذكرناه لك؟

فقال لهم: البلدان توصف للناس ولم يروها.

وكان بعد ذلك يقول لهم: والله ما سمّي هذا الفجّ إلّا بكم. ولقد جاء في الأخبار أنّ المهديّ بالله (عم) تكون له هجرة ينبؤ فيها عن الأوطان، في زمان محنة وافتتان، ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان: قوم مشتقة أسماؤهم (ر 35 أ) من الكتمان. فأنتم هم كتامة، وبخروجكم من هذا الفجّ سمّي فجّ الأخيار.

وصول الداعي إلى
إيكجان
وكان وصول الداعي أبي عبد الله إلى بلد كتامة يوم الخميس للنصف من شهر ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين⁽¹²⁾ (جوان 893). ونزل أبو

(12) في سنة 288 حسب مصادر أخرى، منها ابن خلدون، 32/4. وانظر تحقيقات محمد الطالبي: الإمارة، 588 هامش 3 والترجمة، 645 هامش 128، ووداد القاضي: افتتاح، 71، هامش 3.

عبد الله في إيكجان⁽¹³⁾ موضع بني سكتان. فأقبل الناس إليه من كل مكان. وجلس لهم وحدثهم بظاهر علم الأئمة (عم) في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والأئمة من ذريته صلوات الله عليهم، فإذا رأى الواحد منهم بعد الواحد قد لقن عنه، وأحسن فيه ما يريده، أخذ عليه العهد. فأخذ على أبي القاسم الورفجومي وعلى حريث وموسى. وقال له حريث: ما كان أغفلنا عنك في طول سفرنا معك!

أبو عبد الله يعين
الدعاة في فروع
كتامة: ورفجومة

وجيملة

57

وأناه هارون بن يونس - وهو أبو موسى المسالتي الذي كان يقال له / شيخ المشايخ - من مسالته فدعاه⁽¹⁴⁾.

وجاء الحسن بن هارون الغشمي من غشمان تازروت، فأخذ عليه العهد واستجاب له. وكان شاباً عاقلاً وسيماً كريم الأخلاق، من أهل الجدة واليسار، وكانت له أفعال جميلة وفضائل مذكورة.

.. وغشمان
ولجانة

وجاءه من اجانة⁽¹⁵⁾ أبو يوسف ماكنون بن (ر 35 ب) ضبارة، وابن أخيه تمام ابن معارك أبو زاكي. ورأى من تمام بن معارك فطنة ونباهة ورغبة في العلم وحرصاً عليه، فوقف بين يديه يخدمه لا يفارقه، واشتهر أمره.

(13) إيكجان: حدّد موسى لقبال (دور كتامة، 154) موقعها بين قسنطينة جنوباً وميلة شمالاً وسطيف غرباً. وقربها كثير من الباحثين المعاصرين من مدينة سطيف. وقد ناقش محمد الطالبي، ص 600، هامش 4 والترجمة، 657 هامش 169، مختلف النظريات نقاشاً طويلاً، ورأى أن يقربها من قلعة ميلة. ولم يفته أن يقارن بين دعوة أبي عبد الله ودعوة الرسول (ﷺ) فسَمَّى إيكجان «مكة» الدعوة وتازروت «مدينتها».

(14) شيخ المشايخ: هارون بن يونس كما جاء في الافتتاح، 73 (بيروت) وعند الطالبي، 660/603، إلا أنه يسمّيه في ص 617: هارون بن يوسف. ودعاه بالتضعيف: جعله من الدعاة وهي قراءة الدشراوي في طبعته للافتتاح. (15) في خصوص بطون كتامة، ينظر محمد الطالبي: الإمارة الأغلبية، 595 - 596 والترجمة ص 650 وما يليها، فهو يلخص قول ابن خلدون وغيره ويرجع بين الآراء.

خروجه إلى حمام
ميلة للتداوي

ثم عرضت له علة حصاة كانت تعتريه فسار معه رجل من
سكتان إلى ميلة يريد بها الحمام، فقصده فندقاً فيها كان لفرجون
مولي موسى بن عباس صاحب ميلة فتزل فيه. وبلغ موسى بن
عباس خبره وأنه قد نزل ميلة وأنه في فندق فرجون، وفرجون قائم
بين يديه، وهو من جملة عبيده. وكان فرجون ذا همّة وأنفة، وله
من يحميه من أولاده - قيل إنه ركب في عشرين فارساً من أولاده -
فقال له موسى مولاه: «اذهب فاجتني بهذا الرجل من فندقك!»
فجاشت لذلك نفس فرجون مولي موسى بن عباس إذ كان ضيفه
وقد نزل في جواره. فأمر من أعلم أبا عبد الله الداعي وأمره
بالخروج عجلًا، فخرج خائفاً مترقباً. ورجع فرجون إلى مولاه
فقال: «إني وجدته قد خرج فرجع إلى إيكجان».

58

وأقبل إليه الناس من كل ناحية ومكان، وتسامع الناس أنه
يدعو إلى دين باطن لا يعلمونه، وأن (ر 36 أ) من دخل في أمره لم يظهر ما
عنده من باطنه فإذا سأله أخص الناس به عن ذلك قال: «أبلغ
توقن!» وكانت تلك هجيراهم، إلا أنها ظهرت فيمن آتبعه أفعال
حميدة من المحافظة على الشريعة والعفة والأمانة وصلة الرحم وترك
الظلم ومجانبة الحرام، وإقامة شرائع الإسلام. فازداد الناس إليه
رغبة وبه مقة⁽¹⁶⁾ وأقبلوا إليه من كل وجه. وكل من جاءه دعاه وانصرف
إلى بلده واختلف إليه⁽¹⁷⁾ وسمع منه، ورأى منه أهل بلده الأفعال
الحميدة من الإقبال على الصلاة والصيام وأعمال الخير وتجنب
المعاصي وصلاح الأحوال، وكان قدوة لكثير من أهل بلده. فدخل
الناس في الدين ومالت إليه قلوبهم أجمعين.

(16) المقة من وقى: المحبة.

(17) اضطراب في ترتيب الجمل هنا وكذلك في الافتتاح، 76/53. والصواب أن تؤخر
عبارة «وانصرف إلى قومه» حتى تربطها بحكم أهل بلده فيه.

وانتشرت الدعوة في بني سكتان وأخلوا مجلساً للسمع وكانوا يقومون بضيافة مَنْ يأتيه ويرد عليه وينفقون في ذلك، رغبةً في الثواب، وتقرباً إلى الله العزيز الوهاب. وكان المؤمنون يحملون إليهم ما يستعينون في / النفقة. يرجون بذلك الله سبحانه.

59

وصار من وصل إلى الدعوة في قومهم كالنجوم في أفعال الخير يشار إليهم بالأصابع، وتعجب الناس من حسن أحوالهم، وسوء حال كثير منهم قبل اتصالهم بالدعوة، وكيف صار بهم الحال بعد ذلك ديناً وعبادة، وفضلاً وزهادة.

صاحب ميله
يحاول القبض على
الداعي

وعظم الأمر على موسى بن عباس⁽¹⁸⁾ صاحب ميله، وخاف من أبي عبد الله وحسده على إقبال كتامة عليه، «وَأَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ» (البقرة، 206)، فأرسل إلى بني سكتان وطلب منهم وصول⁽¹⁹⁾ أبي عبد الله إليه، وزعم أنه يريد أن يجمع العلماء إليه للمناظرة، وهو يضمر له المكر، ويروم به الغدر. فنفروا من ذلك وقالوا: «مَا كُنَّا لِنُمَكِّنَهُ مِنْ ضَيْفِنَا وَلَا لِنُسَلِّمَهُ إِلَيْهِ!». فتلطف بهم وخوفهم عواقب الأمور، وأن ينتهي أمره إلى إبراهيم بن أحمد صاحب إفريقية⁽²⁰⁾ فينهض إليه العساكر وينالهم بالمكروه. فأغلظوا في الجواب.

فلما يش مناهم حاول أن يضربهم بغيرهم من كتامة، فأنفوا أن يكون لصاحب ميله يد على أهل بيوتاتهم، فلم يحصل له مرامه منهم. (ر 37) وبلغ أمر أبي عبد الله إلى إبراهيم بن أحمد صاحب إفريقية فكتب إلى موسى بن عباس يسأله عن ذلك فضعف موسى أمره،

(18) في مخطوطنا: عيَّاش. وأخذنا بقراءة الافتتاح، وكذلك فعل محمد الطالبي.

(19) الفصيح: إيصال، والداعي إدريس كثيراً ما يستخدم المصدر في غير محله وفي الافتتاح: أن يرسلوا، وهو أحسن بكثير.

(20) هو إبراهيم الثاني الأغلي (261 - 289) الذي ابتنى رقادة.

وخاف، إن قَدِمَ إبراهيم بن أحمد أن يُوقَعَ به أو يعزَلَهُ ففطن إبراهيم ابن أحمد لأمر / موسى وعرف أنه يتَّقِيهِ لذلك وأنه خافه. فكتب إليه وبعث بابن المعتصم المنجّم وأمره أن يتلطف ليوصله إلى أبي عبد الله الداعي وأمره أن يختبر أحواله ويأتيه بصحّة من خبره وأوصاه بما أراد. فبعث موسى بابن المعتصم سرّاً إلى أبي عبد الله على يد أحد بني سكتان كما أمره إبراهيم. فقرّبه أبو عبد الله الداعي وأقبل عليه. فقال له ابن المعتصم:

إِنَّ الأمير إبراهيم بن أحمد وجَّهَنِي إليك. وأمرني أن أبلغَكَ عنه. وأنا رسول، فَإِنْ أَذْنَتَ لي في تَأْدِيَةِ ما أَرْسَلَنِي به إليك، أَذِيتُ.

قال له أبو عبد الله: هَاتِ ما عندك ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (النور، 54).

قال: وأنا آمِنُ؟

قال: وأنت آمِنُ.

قال: يقول لك الأمير: ما حملك على التعرّض لسخطي، والتوتّب في ملكي، وإفساد رعيّتي، والخروج عليّ؟ إن كنتَ تبتغي عَرَضاً من أعراض الدنيا فَإِنَّ ذلك ممّا تجده عندي، (ر 37 ب) إن تلافيتَ نَفْسَكَ ورجعتَ عن غِيكِ. فاقدم إليّ فأنت آمِن. فَإِنْ أَرَدْتَ الْمُقَامَ ببلدي أقمتَ، وإن أحببت الانصرافَ إلى الموقع الذي جئتَ منه، انصرفْتَ. وإن كان قصْدُكَ قصد من سَوَّلَتْ له نفسه الخلافَ على الأئمة، واستفْسَادَ جَهْلَةِ الأُمّةِ، فقد لعلَّكَ عرفتَ ما/ كانت عواقبُ مَنْ منته نفسه أمنيّةً، وسَوَّلَتْ له ما سَوَّلَتْ لك نفسك، من الهلاك العاجل قبل سوء المصير الآجل. فلا يغرنَّكَ إقبال هؤلاء الأوباش عليك واتّباعهم إِيَّاكَ. فلو قد ضُرِفْتُ وجهي إليك لأسلموك وتبرؤوا منك. واعلم أنّي إنّما أردتُ الإِعْذَارَ إليك لاستظهار الحجة عليك،

رسالة إبراهيم
الثاني إلى أبي
عبد الله.

وهذا أول كلامي لك وآخره، لن أقبل بعده لك توبة ولا أقبل لك عشرة، ولا أجعل جواب ما يكون منك إلا النهوض إليك بنفسي بجميع أبطال رجالي⁽²¹⁾ وأنصار دولتي وجملة أهل مملكتي. فعند ذلك تندم. وإن جَمَحْتَ الآن في الغي حين لا تنفعك الندامة، ولا تُقبل منك التوبة، فانظر في يومك لغدك، وقد أعذر من أنذر.

قال أبو عبد الله: قد قلت فاسمع (ر 38 أ)، وبلغت فأبلغ! قل له: أما ما ذكرته من التهديد والوعيد، فما أنا ممن يُرُوع بالوعيد والإيعاد، ولا ممن يهوله الإبراق والإرعاد. وأما تخويفك بأنصار دولتك ورجال مملكتك أبناء حُطام الدنيا، وذئاب طمعها، الذين يرتاعون لكل بارقي، ويجيبون كل داعٍ وناعي، فإني في أنصار الدين وحماة المؤمنين، الذين لا تردعهم كثرة/ أنصار الظالمين مع قول 62 الله (تع)، وهو أصدق القائلين: ﴿كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة، 49).

فأما ما أطمع به من دنياه وعرضه من حُطامها، فلست من أهل الطمع فأميل إليه، ولا ممن يرغب فيما عنده فآتبه، وإنما بُعثت لأمرٍ حَمٍّ وقَرَبٍ، وانتجاز وعدٍ من الله (عج) سبق، والله لا يُخلف الميعاد، ولا يظلم إلا من ظلم نفسه من العباد. فإن سَوَلت له نفسه ما توعد به ودعته إليه، فسوف يعلم أن الله من ورائه (ط 52)، ولن تُغني عنه فتنة وإن كثرت، والله مع المتقين.

فهذا جواب ما جئت به فبلغه! ثم تحمل رسالتي إليه، وأبلغه عني ما حملتك إياه، وقل له: إني أدعو إلى الله، وإلى كتابه، وإلى إمام الهدى دعوة محتج عليه وراغب فيما ينجيهِ. فإن قبل عني رشد، وإن عيّد، فقد قدّمت العذر إليه. ولو كان صاحبي، لعجلت

.. بدعو الأغلب
إلى الدخول في
الدعوة

(21) في المخطوط: رجالي وأبطالي، والإصلاح من الافتتاح.

السير نحوه، ولكن له ولمن بعده متاع إلى حين، حتى إذا بلغ الأجل وحان الحين فـ ﴿سَيَعْلَمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء، 227).

ثم صرف أبو عبد الله الرسول أحسن انصرافٍ على أفضل حال، فبلغ إبراهيم قوله وأخبره عن صفته. فأضرب إبراهيم عن ذلك وعلم أنه صاحب قطع دولتهم. وكان إبراهيم يُعنى بعلم الحدثنان، وما يأتي في الزمان. وإنما بعث إليه ليختبر أمره. فلما بلغه وصفه أسقط في يده، وعلم أن ملكه صائر إليه. وكان إذا ذكر له في الملا، أظهر التهاون به، وإذا ذكر له في الخلاء مع خاصته قال: «إنه والله لو دخل على هذه المدينة من باب لخرجت بين يديه من باب آخر. والله لكأنني أنظر إلى أكيسة أصحابه منشورة (ر 39 أ) على شرفات قصري هذا».

63

واشتهر أمر أبي عبد الله بإيكجان وسمي «المشرقي» لقدمه من المشرق، ونُسب إليه من أتبعه فسُموا «المشاركة». وكان إذا دخل الواحد منهم في دعوته قيل «قد تشرق».

أصل عبارة
«مشاركة»

ورأى الناس من صلاح من دخل في دعوته وإقبالهم على الصلاة والصيام وأعمال البر ونزوعهم عما كانوا عليه من الفساد، ما زادهم رغبة في أمره وحسن ظن به، فسارع الناس إليه. وأطلق الدعوة لمن ارتضاه منهم في قبائلهم.

فلما نظر الرؤساء من القبائل وولاة البلدان ذلك، ولم يروا نهضة من إبراهيم بن أحمد في أمره، خافوا زوال رئاستهم من أيديهم، وأن يغلب أمره عليهم، فكتب بعضهم إلى بعض وتراسلوا، فاجتمعوا وتعاهدوا. وكان ممن تعاهد على ذلك:

بعض رؤساء كتامة
يغارون من أبي
عبد الله...

موسى / بن عباس صاحب ميله،

64

وعلي بن عسلوجة صاحب سطيف (ط 53) (22).

وحَيّ بن تميم صاحب بلزمة،

وهؤلاء أمراء هذه المدن، عندهم العُدّة، وفيهم العدد والنجلة. ووالاهم على ذلك:

... فيجمعون
على مقاومته

فتح بن يحيى المسالتي، وكان يقال له «الأمير»، (ر 39ب) (23).

ومهدي بن أبي كناوة رأس لهيصة،

وفرّح بن جيران رأس إجانة، (24).

وفحل بن نوح رئيس لطاية،

وزياد المتوسي رئيس متوسة،

وهؤلاء، مع رئاستهم، أبطال يعدل كلّ واحدٍ منهم كتيبةً (25)

فاجتمعوا فأداروا الآراء في الفتك بأبي عبد الله إذ رأوا أنّهم لا
يتمكّنون [ن] أن يأخذوه غنوةً من بني سكتان. وقالوا: إن أغضبناهم

بنو سكتان يرفضون
تسليم أبي عبد الله

قامت جيملة معهم، فكان ذلك أمنع له وأشدّ لقوّته، وجعلنا له

أنصاراً من قبائل كتامة مع الذين معه. فاجتمع رأيهم أن يقصدوا في

أمره بيان بن صقلان (26)، وهو يومئذٍ وجهُ بني سكتان - ولم يدخل في

أمر أبي عبد الله - وأن يذّلوا له ليستميلوه. فأتوه بكلّ وجهٍ وحيلة،

فقال لهم بيان: «إن هذا الرجل قد نزل بين أظهرنا فصار ضيفاً

عندنا، فلا ينبغي لنا أن نُسلمه». وقال لهم بيان: «إنّ من الرأي أن

نجمع العلماء ليناظروه/، فإن كان على حقٍّ فما أولانا وإياكم

65

(22) عند الطالبيّ، 665/608: علي بن حفص بن عسلوجة.

(23) في الجميع (المخطوطان والمطبوع): فتح بن موسى، وسيصحّح الاسم في ص

76.

(24) فرج بن حيران عند الطالبيّ، 665/608.

(25) في المخطوط: «يعدّ كلّ واحد نفسه لكتيبة»، والإصلاح من الافتتاح، 95/81.

(26) عند الطالبيّ، 665/608: بيان بن صقلان. وأخذنا بقراءة الافتتاح

جميعاً بنصره، وإن كان على باطل، عرف ذلك مَنْ اتَّبعه فرجع عنه، وَوَسِعْنَا وَأَمَكَّنَّا وَلِيَّائِكُمْ مَا أَرَدْتُمْ مِنْ إِخْرَاجِهِ (ر 40 أ) أو أَخْذِهِ، فانصرفوا على ذلك لَمَّا لم يجدوا عنده غيره.

ثُمَّ لَئِنْهُمْ قَالُوا: «إِنَّا نَخْشَى أَنْ تَقُومَ حِجَّتُهُ فَيَكُونُ ذَلِكَ أَقْوَى لَأَمْرِهِ وَتَزُولَ رِثَاسَتُنَا بِسَبَبِهِ» فَدَبَّرُوا أَمْرَهُمْ عَلَى أَنْ يَمْضُوا فِي جَمَاعَةٍ وَيُظْهِرُوا أَنَّهُمْ أَتَوْا بِالْعُلَمَاءِ، فَإِذَا خَرَجَ إِلَيْهِمْ قَبَضُوا عَلَيْهِ وَانصَرَفُوا. فَاجْتَمَعُوا وَسَارُوا فِي جَمَاعَةٍ عَظِيمَةٍ وَعِدَّةٍ قَوِيَّةٍ. فَلَمَّا رَأَوْهُمْ بَنُو سَكْتَانَ ثَارَتْ فِيهِمُ الصَّبِيحَةُ، وَرَكَبُوا خَيْلَهُمْ، وَأَخْرَجُوا رَجُلَهُمْ وَعُدَّتَهُمْ، وَتَلَقَّوهُمْ. وَتَوَاقَفَ الْفَرِيقَانِ. فَقَالُوا لِبَيَانَ: إِنَّا أَتَيْنَاكَ لَمَّا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ.

(ط 54) قال: ما كان هذا بيني وبينكم. وإنما قلنا: تأتون بالعلماء فيناظروا [ن] الرجل. فنراكم جثثمونا تريدون أن تتزعوه منا بالغلبة والقهر.

وعلا الكلام بينهم، وكان فيهم جماعة من الأولياء فهجموا فيهم فالتحم القتال بينهم. وكان للأولياء في ذلك اليوم مقام لم يُشاهد مثله، فانهزم الجمع وولَّوا على أعقابهم مدبرين، وعادوا منهزمين. وخاف الأولياء على أبي عبد الله فاستتر. وعادت الجماعة فأداروا رأيهم فلم (ر 40 ب) يروا إلا معاودة بيان، فأرسلوا إليه وقالوا: «إنا أخطأنا حين أتينا بالجمع، ولم يكن ذلك من قصدنا، وإنما تسامع بنا الناس فأتبعونا، وقد رجوناك في إصلاح جماعتنا وحقق دمائنا، فقد عادى، من أجل هذا الرجل، الأخ أخاه، والابن أباه، والقريب قريبه. وهذه فتنة قد بدت، وبلية قد عرت، فاكسب الأجر، وأحسن النظر: فهذا رجل من أهل المشرق، وهم كما علمت، شياطين، وعلمانا بربر لا يجدون حجة، أفترانا نحن وآباءنا وأهل المشرق والمغرب على ضلال، وهذا وحده من بين

المتآمرون يعودون إلى استدراج شيخ بني سكتان

66

بيان بن صقلان يدعو قومه بني سكتان إلى ترك الداعي...

الناس على هدى؟ ومع هذا فإنه يدعو إلى سرّ مكتوم، وأمر غير معلوم، ولو كان حقاً لأبداه، وأظهره، وما أخفاه. وجعلوا يكرّرون القول على بيان، ويعدونه أن يكون المقدم عليهم والرئيس فيهم. فأصغى إليهم، ووعدهم أن يتلطف في إخراجهم. وجعل يكلم أصحابه وأهل بيته، ويخوفهم العواقب. وقال: «قد كانت واحدة لكم فيها الظفر، والحرب سجال، ولا تأمنون أن تكون الأخرى عليكم. فأخرجوا هذا الرجل عنكم من غير أن يصل إليه ضيم ولا إليكم!» (ر 41 أ).

67

فيتكفل به بنو
غشمان

واتصل قول بيان بن صقلان بأبي عبد الله وبجماعة من المؤمنين، وعلم ذلك الحسن بن هارون الغشمي، وكان قد دخل في الدين، وفيه عقل، وله حسن خلق وأدب، وهو ذو كرم نفس وهمة، وطاعة في قومه. ومسكنه بتازروت. فأتى أبا عبد الله فذكر له ما اتصل به، وسأله الكون بتازروت عنده، ورغب إليه في النقلة إلى مكانه، ووعدّه الذبّ عنه والمدافعة دونّه بأهله وماله. فشاور الأولياء في ذلك فأشاروا به عليه، خلا بني سكتان: فإنه عظم الأمر عليهم فقالوا: «نحن ندفع عنك بأنفسنا حتى نُقتل جميعاً من دونك». فشكر لهم قولهم. ورأى له جماعة المؤمنين أن كونه عند الحسن بن هارون أعزّ للدين وللمؤمنين.

فخرج أبو عبد الله الداعي إلى تازروت، وخرج معه من المؤمنين من استطاع النقلة من بني سكتان. وهاجر إليه جماعة من المؤمنين، واستخلف على الضعفاء منهم، ومن لم يستطع السير معه، الحكم بن تماست⁽²⁷⁾. وصار أبو عبد الله إلى تازروت فتلّقاه من

(27) في الافتتاح، 100/88 وعند الطالبي، 610 هامش 3: الحكم بن ناسب. وأبقينا على قراءة المخطوطين.

الهجرة من إيكجان
إلى تازروت

بها من المؤمنين (ر 41 ب) وغيرهم. وأنزلوا مَنْ كان معه عندهم، وقام
الغشمانيون بَمَنْ اجتمع إليه ومن معه. ورأى لديهم من الغبطة والسرور
ما سرّه. وأقبل المؤمنون من كلّ ناحية إليهم، وجعل كلّ واحدٍ
منهم يأتي بما يستطيعه ويمكنه، تقويةً للمؤمنين، ووزراً لهم. وبذل
الحسن / بن هارون أموالاً ووسّع على المؤمنين.

68

وقرب أبو عبد الله حين صار بتازروت من إجانة وملوسة
ولهيصة ولطاية وجيملة، فتسارب إليه الناس، وظهر أمره وعزّ جانبُه،
 واجتمع [ت] غشمان على نصره ومنعه. وعظم شأن الحسن بن
هارون بما فعل من ذلك، وعلا ذكره.

وكان للحسن بن هارون أخ يقال له محمود، أسنّ منه،
فوجد في نفسه لعلو أخيه عليه وانصراف الرئاسة نحوه، وكان قبلَ
ذلك المقدم لسنّه، المطاع في قومه. فشق ذلك عليه وتكلّم فيه.
وكان أخوه الحسن يداريه ويتلطّف به خوفاً أن يفرّق جماعة
غشمان، ويدخل بينهم الشتات (ر 42 أ).

فلما صار أبو عبد الله بتازروت وقوى أمره، اجتمع الجماعةُ
الذين اجتمعوا أولاً للحيلة في أمره وأتوا مهديّ بن [أبي] كناوة
[اللهيصي] وكان أشدّهم فيما عقدوا عليه. فذكروا له ما بلغهم عن
محمود بن هارون وقالوا: «هو جارُك وصديقك، فلعلّك أن تستميله
فيمكّننا ممّا نريد». فركب مهديّ إلى محمود وقال له: «لقد
أعجبت أخاك نفسه وترأس عليك (ط 56) مع ما لك من الرئاسة والسنّ
والتقدمة في قومك، وما نراه إلا وقد اغتصبك أمرُك ومالت إليه
العيون وأعانه هذا الرجل المشرقيّ، وقد استراح منه بنو سكتان.
فلو فعلتم كفعلهم لاسترحتم وكانت لك رئاستُك دون أخيك».

رؤساء الجبهة
يستجدون بابن
أبي كناوة اللهيصي

69

فقال محمود: لا نجد السبيل إليه إلا أن نجتمع العلماء

ليناظروه، فعسانا أن نجد منه المخرج إن قامت حُجَّتُهُمْ عليه.

فانصرف مهدي إلى القوم فأخبرهم بذلك فقالوا: ومن ذا يناظره من علمائنا؟ أنت ترى الواحد من جُهلانا إذا دخل في أمره ناظرُهُم فقطعهم، فكيف به في ذات نفسه؟ (ر 42 أ).

فقال لهم مهدي: لم أجِد من محمود غير ذلك، وقد رأيتُ منه رغبةً في قتله، وميلاً إلى ما وعدناه من التقدمة، مع ما قد تداخله من حسد أخيه. وما علينا أن نأتي بالعلماء؟ فإذا أخرجوه قتلناه، فمتى فعلنا ذلك، كان بعده ما عسى أن يكون، وقد قطعنا أصلَ الداء.

جماعة الجبهة
يحتالون على
غشمان بتنظيم
مناظرة مزعومة في
الدين

فاجتمع على ذلك رأيهم وأرسلوا في طلب العلماء في جميع النواحي واختاروا من أبطال الرجال وحُمَاتِهِمْ مَنْ يكون مع العلماء، وقالوا: «لا نجيء في احتفال كما جئنا إلى بني سكتان فيكون من ذلك مثل ما كان».

واتصلت أخبارهم بالحسن بن هارون وبأبي عبد الله. فقال له أبو عبد الله: «يجتمع جماعة بني غشمان على محمود فيذكرون له ما اتصل بهم ويحدّثونه، في ذلك، العار والنقص وسوء العواقب، ويقدمونه عليهم، ويرفعون من شأنه ما قدروا». ففعلوا ذلك وأتوه وأثاروا حميته وخوفه العار، وقدموه عليهم وأرضوه بما ركن إليه منهم.

الداعي ينصح
بملاينة محمود
الغشمي

70

وأقبلت الجماعة على ما أبرموه، في عِدَّة وعدد (ر 43 أ) وقد أجمعوا بينهم أن يمكروا بالداعي أبي عبد الله. فلَمَّا رآهم محمود أمر غشمان فاستعدّوا وركبوا خيلهم، وقال أبو عبد الله للمؤمنين: «اركبوا معهم، وإن قدرتم أن تلقحوا الحرب فافعلوا!». فلَمَّا التقوا، قالت الجماعة لمحمود: «هؤلاء العلماء، قد جئنا بهم»، وعزلوهم ناحية.

فقال محمود: نجمع بينهم وبين الرجل مع عشرة من وجوهكم وخياركم لننظر ما يكون من أمورهم.

فانحل ما عقده، وانتكث ما أبرموه وقالوا: وما عليك أن تخرجه إلينا حتى يشاهد الجماعة منا أمره وأمر العلماء، فيكون ذلك أشهر في الناس وأظهر، ويطلع الجميع على الخبر؟

قال لهم محمود: إنا نخشى غدركم، هذا لا يكون منا إليكم ولا نفعله لكم.

... فينقلب محمود على المتآمرين ويقاتلهم فيقتل

فارتفع اللغط بينهم، وظهر لمحمود مكرهم. فحمل فيهم وحمل الأولياء والتحم القتال. وغضب محمود، وقاتل الأولياء قتالاً لم ير مثله، وجرح محمود فمات. وسر ذلك الأولياء وأظهروا (ر 43 ب) الطلب بثأره وصفت الرئاسة لأخيه الحسن بن هارون واجتمعت غشمان عليه فصاروا إلماً واحداً⁽²⁸⁾، ودخل في الدعوة عامتهم⁽²⁹⁾ واشتعلت الحرب ما بين غشمان ولهيصة بسبب قتل محمود بن هارون. وأظهر أبو عبد الله نفسه، وكان يشهد الحرب ويباشرها. وكان جميع المؤمنين من كتامة أنصاراً لغشمان، وقام الجميع من القبائل مع لهيصة⁽³⁰⁾.

بطش مهدي بن أبي كناوة ... بالآولياء ...

وكان مهدي بن أبي كناوة من الأبطال المشهورين في الحرب أولي النكاية، وكانت الجماعة تقدمه على كافة قبائلها لِمَا يعرفون من شجاعته ونكايته. وكان أخوه أبو مديني قد دخل الدعوة وهاجر إلى أبي عبد الله وكانت له بصيرة ونية صالحة. وكان مهدي أشد

(28) الألب: الأحلاف على عدو مشترك.

(29) أي: من لم يدخلوا في الدعوة من قبل

(30) في الافتتاح، 106/95. [كان] الجماعة المخالفون أنصار لهيصة. وهو أوفق للمعنى، ولعلها: المتحالفون.

فارس في عصره وأهوله منظرًا. روى القاضي النعمان بن محمد قال: «يقال أنه كان أشعرَ البدن كله، هائل المنظر، شديد الضربة. فيقال إن الأولياء احتالوا عليه في بعض تلك الحروب وقد زحف إليهم واشتد القتال، (ر 44 أ) وفي موضع القتال مقبرة فيها قبور محجور عليها فأدخلوا فيها له رجالة من أشد ما قدروا عليه، وقدموا إليه فارساً ليجرّه إليهم، فشتمه وأغضبه فحمل عليه فانهزم له الفارس إلى موضع الرجالة، فرماه مهديّ برمح فأصابه وأنفذه وسقط الرمح بين يدي الفارس فظنوا أنه أخطأه وما علموا أنه أصابه حتى رآوه سقط عن (ط 58) دابته وخرج الرجالة على مهديّ فأخذوا عنانه وأحاطوا به وحملت الخيل فضرب في الرجالة ففرقهم ومنع نفسه من الخيل وخلص منهم. وكان أمره ذلك اليوم أعجوبة لم ير الناس مثلها. وإنما يكون مثل هذا ويعجب منه في الرمي بالنبل: فإنما تنفذ الرمية ويخرج النبل منها لا يصيبه الدم لشدة الضربة وسرعة خروج السهم عن القوس.

وفي الحديث عن النبي (ﷺ) في الخوارج قال: «يمرقون كما يمرق السهم من الرمية»، أي: لا يتعلقون منه بشيء كما لا يعلق السهم بشيء من الدم. فأما رمح (ر 44 ب) يخرج من كف رجل فينتهي إلى مثل ما ذكر فهذا شيء ما سمع به في الغابرين من الأولين والآخرين⁽³¹⁾.

وطالت الحرب بين القوم، ولقي المؤمنون من مهدي بن أبي كناوة الأذى وأكثر منهم القتل، ولم يستطع فارس أن يلقاه ويردّ

... لكنّه ينجو
في كلّ مرّة...

(31) هنا ينتهي النقل المباشر عن الافتتاح، 106/96. ولا ندري لماذا صرح الداعي إدريس بالنقل عن القاضي النعمان في هذه المناسبة، مع أن روايته للأحداث تلازم دائماً رواية الافتتاح ولا تختلف عنها إلا ببعض التقديم والتأخير أو الحذف والتغيير.

بأسه. فلما رأى⁽³²⁾ أبو مديني إلى تمادي أخيه في البغي وسدوره في ثوب الغي، أغتم لذلك وساءه، وكان ربما يواقفه فيعظه ويذكره، ويدعوه إلى الله ويحذره، فلم يزد ذلك إلا غياً وبعداً وتمادياً. فلما رآه لا ينصرف عن ذلك، دبّر في قتله، وأن يحتال في ذلك حتى يخلص الأولياء من شره، ويدفع عنهم عظيم بأسه ومكره. فاجتمع معه فتى من لهيصة⁽³³⁾ كان قد دخل في الدعوة وهاجر إلى تازروت فيمن هاجر من المؤمنين، فأجمعا على أن يمكرا به ويخدعاه - والحرب خدعة - وتعاقدا على ذلك وقالوا: نرجو أن يصبره الله شر صرعة.

73

فلما التقوا في الحرب خرجا ناحية ودعوا به فأقبل إليهما. وكلمه أخوه كما كان يكلمه حتى إذا أنس به ودنا منه (ر 45 أ) ضربه كل واحد منهما ضربة رجل واحد فاختلفت فيه رماحهما وسقط إلى الأرض، فحمل عليه الأولياء، وحملت عليهم لهيصة ومن معها، فاشتد بينهم القتال، واستنقذته (ط 59) لهيصة وحملته، فمات من جراحاته تلك بعد أن وصل موضعه.

... فيمكر به
أخوه أبو مديني
فيخلص منه
الأولياء.

واصطلحت غشمان ولهيصة بعده، وتلاقوا على الدين، فقوي أمر المؤمنين واشتد، وحاربوا من يليهم من القبائل، وشنوا الغارات على من بعد عنهم، وجاء إليهم الناس من كل حذب ينسلون، وفي سرهم يدخلون.

فاجتمعت الجماعة مرة أخرى حين رأوا ظهور أمر أبي عبد الله، وانقطاع أمر لهيصة عنهم، وقتل مهدي. فلم يروا لهم رأياً غير المناجزة، فمشى بعضهم إلى بعض ومشوا إلى القبائل

(32) في الافتتاح: نظر إلى .. وهي أفصح.

(33) هذا الفتى يسميه القاضي النعمان: لاوة بن صوحان: (افتتاح، 107/97).

واستنفروا العامة واستعدّوا للحرب وأجمعوا على أن تنتقل القبائل
بغياتهم ويحاصروا أبا عبد الله ومن معه حتى تسلّمه غشمان
إليهم.

74 واتّصل الخبر بأبي عبد الله، فأمر جميع الأولياء أن ينتقلوا
إلى تازروت، فانتقلوا من كلّ ناحية. وجاءت كتامة من أطرافها (ر 45 ب)
لحرب أبي عبد الله ومحاصرته، ومن معها من القبائل في جمع
عظيم. فأرسل إليهم الداعي أبو عبد الله جماعة من غشمان
يسألونهم المودة على أن يكونوا كغيرهم من المسلمين مع أبي
عبد الله، [فـ] مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي دِينِهِ مِنَ الْقَبَائِلِ فَلْيَدْخُلْ،
وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَا عَلَيْهِ الْعَامَّةُ فَلْيَفْعَلْ. فأبت عليهم القبائل
ذلك وقالوا: «لا نقبل منكم إلّا أن تسلّموا إلينا هذا الرجل فنحكم
فيه بحكمنا». فأتى الأولياء إلى أبي عبد الله وسألوه أن يكون مستترا
وقالوا له: «إن ظهرنا على القوم أظهرت أمرك، [و] إن غلبنا، كان
لك عوضنا من غيرنا». فجزاهم خيراً وأسمعهم جميلاً، وحضهم
على الجهاد والصبر، وتلا عليهم قول الله (تع): ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة، 249).
ووعظهم في مجلسٍ عظمت بركته، وأطلعهم على كثير من الحكمة
وبيانٍ من التأويل، فقويت بصائرهم وثبتت قلوبهم، وقام أبو عبد الله
الأندلسي قائماً على قدميه، ابتهاجاً بما سمع [من ذلك ورأى من
المؤمنين فقال: «والله لقد ثبت أمرُ الله فيكم كما ثبتت هذه في
هذا - وأوماً إلى أذنيه ورأسه - والله، لو قابلتُم هذه الجبال - وأشار
إليها - بهذه النيات، لأنزلتُموها!]]⁽³⁴⁾. وعرفهم (ر 46 أ) أبو عبد الله
أنه على ثقة من ظهور دين الله وعزّ أوليائه، فسره ذلك. ورأى فيهم

أبو عبد الله يعرض
الصلح على رؤساء
الجهة...

... فيأبون إلّا
قتاله.

(34) زيادة من الافتتاح، 102.

نِيَّة صَادِقَةً فَقَالَ: «وَاللَّهِ، لَوْ قَاتَلْتُمُ الْجِبَالَ بِهَذِهِ النِّبَاتِ لَأَزَلْتُمُوهَا!».

75

وَانصَرَفُوا عَنْهُ فَأَعَدُّوا عَدَّتَهُمْ، وَأَخْرَجَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا عِنْدَهُ مِنْ سِلَاحٍ (ط 60) وَكَرَاعَ فَأَتَوْا بِهِ وَحَمَلُوا [مِنْ] الرِّجَالَةِ مِنْهُمْ عَلَى الْخَيْلِ مَنْ كَانَ يَحْسُنُ الرِّكُوبَ، وَاشْتَرَوْا الْعُدَّةَ لِمَنْ لَا عُدَّةَ لَهُ، وَاعْتَرَضُوا⁽³⁵⁾ فَبَلَغُوا سَبْعِمِائَةَ فَارَسٍ وَزَهَاءَ أَلْفِي رَاجِلٍ.

تكوين الجيش
الشيعة
بتازروت..

وَقَاتَلُوا الْجَمَاعَةَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ فَارِسًا مِنْ حِمَاتِهِمْ وَأُولَى النِّكَايَةِ مِنْهُمْ، وَانصَرَفَ الْأَوْلِيَاءُ سَالِمِينَ، فَقَوِيَتْ قُلُوبُهُمْ وَاشْتَدَّتْ عِزَّتُهُمْ. ثُمَّ عَاوَدُوهُمْ مِنْ غَدِهِمْ، فَقَتَلَ مِنَ الْجَمَاعَةِ عِدَدٌ كَثِيرٌ، وَافْتَرَقُوا، وَالْأَوْلِيَاءُ لَمْ يُصَبِّ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَزَادَهُمْ ذَلِكَ ثِقَةً بِاللَّهِ وَبِنَصْرِهِ. وَعَاوَدُوهُمْ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، فَأَقَامَ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ إِلَى وَقْتِ صَلَاةِ الظُّهْرِ، وَاشْتَدَّ، وَكَلَبَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَأَبْلَى غَزْوِيَّةُ بْنُ يَوْسُفَ يَوْمَئِذٍ بِلَاءً جَسِيمًا، وَكَانَ فِي الرِّجَالَةِ، وَجُرْحٌ جَرَحًا انْقَطَعَ لَهُ صَوْتُهُ. وَلَمَّا مَالَ الْفِيءُ وَزَالَتْ (ر 46 ب) الشَّمْسُ، ضَرَبَ غَزْوِيَّةُ بْنُ يَوْسُفَ رَاجِلًا كَانَ أَبْلَى فِي الْقِتَالِ مِنْ رِجَالَةِ الْجَمَاعَةِ فَقَتَلَهُ، وَحَمَلَ الْأَوْلِيَاءُ، وَأَجْهَدَ الْجَمَاعَةُ أَنْ يَسْتَنْقِذُوا صَاحِبَهُمْ فَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، وَشَدَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَاءُ فَاسْتَوَتْ الْهَزِيمَةُ فِيهِمْ، وَتَتَبَعَهُمُ الْأَوْلِيَاءُ يَقْتُلُونَ مِنْهُمْ وَيَحْرِقُونَ دِيَارَهُمْ وَيَغْنَمُونَ

. . لقتال
المتأمرين.

غزوية بن يوسف
الملوسي يجرح
فيفقد صوته...

76

أَمْوَالَهُمْ، إِلَى أَنْ حَالَ الظُّلَامُ بَيْنَهُمْ، وَلَمْ يَكْشِفُوا عَوْرَةَ وَلَا تَعَرَّضُوا لَأَمْرَأَةٍ مُسَلِّمَةٍ. وَانصَرَفُوا إِلَى مَكَانِهِمْ وَقَدْ امْتَلَأَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ بَعْدَ أَنْ انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوْا الدَّبَرَ وَتَفَرَّقُوا فَرَقًا وَتَمَزَّقُوا مَزَقًا، وَلَحِقَ كُلُّ قَوْمٍ مِنْهُمْ بِأَمَاكِنِهِمْ، وَمَلَكَ الْأَوْلِيَاءُ أَمْوَالَهُمْ وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ أَنْ قَتَلُوا مِنْهُمْ قِتْلًا ذَرِيعًا. فَيَقَالُ فِيمَا رَوَاهُ الْقَاضِي النُّعْمَانُ بْنُ

. . . لكنّه يعود
إلى القتال فيحرز
الأولياء به النصر

(35) اعترضوا: أي عرضوا صفوفهم وعدّوها وهيّزوها للقتال.

محمد، قدّس الله روحه، إنه بيع في ذلك اليوم عشرون جَمَلًا بدينار⁽³⁶⁾. فأما الغنم والأمتعة والعبيد والأموال، فما لم يطبقوا حملَه، ولا [عرفوا] كيف يسوقون ما غنموا من الأنعام. وغنموا من الخيل ما لا يحصى عدده، وانصرفوا إلى تازروت.

ثم إن أبا عبد الله ابتنى قصرًا بتازروت (ر 47 أ) وسكنه بنفسه وبني الأولياء حولَه، وارتحل إليه المؤمنون فحلّوا معه وقطنوا وأمنوا. وقوي أمرهم واستأمن كثير من القبائل إليهم، وحاربوا مَنْ عاندَهم. فما كان يوم إلّا ولهم فيه وقعة، وملكُ بلدٍ، وحلولُ ساحةٍ.

... ويشنون

الغارات على

القبائل

المتحالفة...

77

وحارب أبو عبد الله فتح بن يحيى وَمَنْ أطاعه من مسالته وغيرهم، وكانوا يذهبون مذهب الإباضية، وليس في كتامة من يذهب إلى ذلك غيرهم. وهرب فتح بن يحيى في جماعة/ معه إلى سطيف. ثم إنّه استأمن من أبي عبد الله فأمنه. ثم هرب فتح إلى عجيسة، وجمع جموعاً منهم ومن غيرهم. وبلغ ذلك أبا عبد الله فقصده بالعساكر نحوه ومرّ على سطيف ولم يعرض لِمَنْ فيها. وانحصر فتح في قلعة منيعة يقال لها وشنوك⁽³⁷⁾ فأحاطت العساكر بها وقاتلوهم عليها فكانوا يطرحون الصخرة العظيمة فتقتل من أصحاب أبي عبد الله رجالاً كثيرة ويسمع لها دويّ كدويّ الرعد، فإذا رآها أبو عبد الله غطّى على وجهه بكُمه لكي لا يرى ما يصاب به الأولياء (ر 47 ب).

.. فيفتحون

حصن وشنوك على

مسالته وعجيسة

وما زالوا بها حتى فتحوها وقتلوا أكثرَ مَنْ كان فيها، وقتل

(36) ويضيف الافتتاح، 109: وبيع الجمل بخمس بصلات.

(37) في الافتتاح اسمان لهذه القلعة: تور/ وشنوك (طبعة الدشراوي، 112) نوبوا/ وشنوك (وداد القاضي) وعند الطالبي، 675/617. أهانوا- رومشوا- الك، مع إحالة إلى مخطوط الافتتاح.

تصولاً أخو فتح، وهرب فتح، وغنم الأولياء منهم مغانم كثيرة. وانقادت عجيصة وزاوة للداعي أبي عبد الله، وجميع كتامة، وانصرف إلى تازروت. ولحق فتح بن يحيى بإفريقية إذ لم يجد ملجأً دونها، فقدم على أبي العباس ابن إبراهيم بن أحمد⁽³⁸⁾ من بني الأغلب صاحب إفريقية يحرضه على أبي عبد الله. فقال له أبو العباس: أَوَلَمْ تجتمعوا في عساكر عظيمة فلم تصنعوا شيئاً؟

انضمام عجيصة وزاوة إلى الدعوة

أمير مسالته يستنهض الأغلبية، بدون جدوى

78

فقال: ليس أمرنا من أمرك في شيء. نحن نقاتل بلا رأس، ونقاتل من يعرفنا من أهل بلدنا. ولو جاء عسكر السلطان لكان فيه هبة وعدة، ولانصرف إليه الأكثر ممن مع أبي عبد الله.

فأضرب عنه أبو العباس.

واستولى أبو عبد الله على عامة كتامة، وانتشرت الدعوة فيها من قبله، ولم يبق إلا من دخل في دعوته، راغباً أو راهباً، وذلك بعد أن كانت لأبي عبد الله وقائع كثيرة وأخبار مشهورة قمع بها المعتدين (ر 48 أ) وأدخل الناس طوعاً وكرهاً في الدين. وأمر الداعي أبو عبد الله بالعدل، وأجرى من أتبعه على الحق وأمرهم بإقامة الشريعة ونهى عن الظلم، فلم يكن عنده في شيء من ذلك هوادة ولا رخصة. وكان إذا وجب على أحد حق أو لزمه (ط 61) قتل جعل ذلك إلى أقرب الناس إليه فكان هو الذي يقتله ويقيم من الحق عليه ما حكم به الشرع الشريف وأوجبه. فاستقامت الأحوال وظهر العدل وأمن الناس أماناً لم يسمع مثله.

أبو عبد الله يقيم الشرائع الصحيحة

ولقد روى جعفر الحاجب رحمة الله عليه، في سيرته التي ذكر

(38) يرى محمد الطالبي - وفقاً لما عند ابن خلدون - أن أمير إفريقية لا يزال إبراهيم الثاني، وأن لجوء فتح المسالتي إلى إفريقية كان قبل شهر ذي القعدة 289 (الإمارة، 617، هامش 4 والترجمة، 675 هامش 205).

فيها خروج الإمام المهديّ أمير المؤمنين سلام الله عليه من مستقرّه،
وانتهاءه إلى دار هجرته، وظهور دعوته - ممّا نحن ذاكروه - قال:
«لَمَّا صار مولاي المهديّ بالله (عم) إلى قسطنطينية. تقدّم إليّ أن
أطلب له حجّاماً»⁽³⁹⁾ وقال لي: اجهد أن تجده غريباً. (قال) فخرجتُ/
فلقيت حجّاماً عليه أثر السفر. فقلت له: أغريب أنت؟

79

شهادة حجّام بسيط
على استقرار الأمن
والعدل في إيكجان
وتازروت

قال: نعم.

فقلت: متى وصلت هذا البلد؟

قال: في يومي هذا.

فجئت إلى المهديّ (عم) وعرفته أنّه غريب. فلمّا رآه سأله
عن اسمه وعن بلده، وهل هو حرّ أم⁽⁴⁰⁾ مملوك؟ وكذلك كانت
عادته (عم) إذا رأى شخصاً لا يعرفه، لم يكلمه ولم يؤانسه حتى
يسأله عن اسمه ونسبه وبلده. فلمّا سأله عن جميع ذلك، عرفه
الرجل أنّه من أهل إفريقية من القيروان، وأنّه غاب عنها مدّة طويلة
في بلد كتامة، ومنها وافى إلى تازروت⁽⁴¹⁾. قال له: كيف استطعت
دخول بلد كتامة والمقام فيه، على ما قيل فيه من الفتن وتغيّر
السنن؟

قال له: والله يا مولاي، ما لله ورسوله سنّة صحيحة إلّا ببلد
كتامة.

قال له المهديّ (عم): هذا خلاف ما وردت به الأخبار من
كلّ الجهات عن الرجل الخارج بها، فقد قيل فيه غير ذلك⁽⁴²⁾.

(39) في سيرة جعفر الحاجب، 117: مزبناً، وهي اللفظة المتداولة في الشرق.

(40) في الجميع، وكذلك في سيرة جعفر الحاجب، 117: أو مملوك. والإصلاح منّا.

(41) ... إلى هذه المدينة، دون تعيينها، في سيرة جعفر.

(42) في سيرة جعفر: الخارجي بها، فقد قيل أنّه فتنهم وأحلّ لهم البنات والأخوات،
ورفع عنهم الصوم والصلاة. وقد أسقطها الداعي إدريس من نقله.

قال له الحَجَّام: والله الذي لا إلهَ غيره، ما لله دين إلا الذي عليه الرجل الذي ببلد كتامة.

فقال له المهديّ: ما الذي استحسنت من أفعاله، حيث أراك تمدحه هذا المدح الذي لا يجامعك عليه أحد؟

فقال له: والله يا مولاي، لقد شاركت شريكاً وقلت له: تعال بنا حتّى ندخل تازروت⁽⁴³⁾ ونعمل بها مدّة شهر، فما قسم الله (عج) لنا من رزق قسمناه بيننا.

فسرنا إليها. فلمّا أردنا الدخول من باب المدينة مُنعنا من الدخول بسلاحنا إليها. فقلنا لهم: فكيف نعمل به وليس نعرف ههنا أحداً نودعه إيّاه؟

فقالوا لنا: اطرحوه خلف سور المدينة.

80

فقلنا: وكيف نضَيِّع سلاحنا؟

فقلنا: اطرحوه ولا تخافوا عليه.

(قال) فطرحناه ودخلنا المدينة واحتسبناه لأنّ الرجوع شقّ علينا بعد أن وصلنا إلى المدينة. فأقمنا فيها شهراً، ثمّ خرجنا فإذا سلاحنا بحاله ما ضاع لنا منه شيء. فهذه يا مولاي سيرة رجل يرمى بالبهتان⁽⁴⁴⁾؟

قال جعفر: فرأيت وجه المهديّ (صلح) يتهلّل. (قال): ثمّ قضى شغله وأمر له بدراهم⁽⁴⁵⁾ وانصرف.

ولمّا استقام لأبي عبد الله الداعي أمر كتامة، ودخل عامّتها في
افتتاح قلعة
ميلة...

(43) في السيرة: اعزم بنا ندخل مدينة سطيف.

(44) في السيرة: يرمى بالكفر وتبديل الشريعة؟

(45) في السيرة: بدراهم كثيرة فالمرّء يتصرّف أيضاً في النقل عن غير النعمان.

الدعوة، زحف إلى مدينة ميلة وأحاطت بها عساكره من كل جهاتها، وفيها بنو أبي خنزير - قوم من [ديار] ربيعة⁽⁴⁶⁾، ويعرفون بالسناجة لأن أولهم من سنجار⁽⁴⁷⁾ - وكان زعيم أهل ميلة ورئيسهم موسى بن عباس⁽⁴⁸⁾ - فخرج (ط 64) لقتال أبي عبد الله بمن معه ومن لجأ من كتامة إليه (ر 49 ب) ممن لزمه الكبير والحمية، وامتنع عن الدخول في الدعوة، وأخذته عزة الرئاسة، مثل فحل بن نوح، وفرح بن جيران، ويوسف بن محمود⁽⁴⁹⁾ وغيرهم فقاتلهم الأولياء قتالاً شديداً، فقتل فحل بن نوح، وغلب أبو عبد الله وعساكره على أرباض ميلة، ودخل جميع من بها إلى الحصن فامتنعوا فيه. فلما رأوا/ أن لا قوام لهم به، دعا موسى بن عباس الحسن بن أحمد بن [أبي] خنزير - وهو من رؤساء قومه⁽⁵⁰⁾، وكان مع أبي عبد الله قد دخل في دعوته وصار ممن أتبعه - فأرسله إلى أبي عبد الله يسأله الأمان، فأمنه أبو عبد الله، ومن معه، ما لم يحدثوا حدثاً. وفتحوا أبواب المدينة ودخلها الأولياء. وتسلى أبو إبراهيم - ابن موسى بن عباس - في جماعة ممن معه وهربوا بالليل ولحق بإفريقية.

واستعمل أبو عبد الله على مدينة ميلة [أبا] يوسف⁽⁵¹⁾ ماكنون

(46) أضفنا «ديار» لأن المؤلف يقصد المنطقة التي كانت تقطنها بعض قبائل ربيعة فسميت بها، ومن فروعها بكر وتغلب فقبل: ديار بكر وديار تغلب، وكلها مناطق من الجزيرة بين دجلة والفرات إلى حدود الأناضول.

(47) سنجار: مدينة من نواحي الجزيرة على ثلاثة أيام من الموصل (ياقوت).

(48) موسى بن عباس بن عبد الصمد السلمي كما في بلدان اليعقوبي، حسب ما نقله محمد الطالبي، 684/625. وبنو سليم قبيلة قيسية مضرية.

(49) لم يسبق ذكر ليوسف بن محمود، ولم يذكره الطالبي في أطروخته.

(50) الحسن بن أحمد بن علي بن كليب، المعروف بابن أبي خنزير - رأس السناجة من ربيعة. انظر الطالبي، 627 هامش 5 والترجمة، 686.

(51) في المخطوط: يوسف بن ماكنون وكذلك عند الطالبي، 628، وهو سهو. فقد مر (ص 57) أن أبا يوسف ماكنون بن ضبارة الأجنبي هو عم أبي زاكي، ولا يمكن أن يكون ابنه - إن كان له ابن يدعى يوسف - عما أيضاً لأبي زاكي.

الإجاني - وهم عمّ أبي زاكى - وانصرف بعسكره إلى تازروت.

ابن أمير ميلة بدوره
يستنهض الأغلبى

ولما انتهى ابن موسى بن عباس إلى أبي العباس [عبد الله]
ابن إبراهيم بن أحمد الأغلبى ملك إفريقية (ر 50 أ) - وهو يومئذ بمدينة
تونس - أخبره بافتتاح أبي عبد الله لمدينة ميلة وظهور دعوته، وأن
عاقبة ذلك إذا غفل الدخول عليه إلى مدائنه ومستقرّ ملكه. وضعف
عنده أمر أبي عبد الله، وسأله لإخراج عسكره إليه، وضمن له ملك
أمره. واجتمع معه في ذلك فتح بن يحيى المسالتي الذي كان قدم
قبل ذلك إليه، وقد ذكرنا خبره⁽⁵²⁾. وقالوا: لو أتى عسكرك، لقام
أكثر الناس معهم وصاروا رداء لهم. / فجّهز أبو العباس ابنه
المعروف بأبي حوال⁽⁵³⁾، وكان فارساً شديداً [و] بطلاً كميّاً. فاجتمعت
لّه عساكر كثيرة أحصيت عدّتهم اثني عشر ألفاً بين فارس وراجل
انتقاهم واختارهم. وأخرج إليهم أبوه الأموال والخلع والعُدّة
والسلاح فأسبغ عليهم العطاء، وكسا وجوههم وحملهم. وحمل فتح
ابن يحيى المسالتي على فرس، وكذلك ابن موسى بن عباس ومن
معه من أصحابه، وأمر لهم بالسروج واللجم المحلّة. وكان خروج
أبي حوال من تونس في ذي القعدة من سنة تسع وثمانين ومائتين
(/ أكتوبر 902)، وكلّ من مرّ (ر 50 ب) عليه في القبائل بذل لهم
العطاء والخلع والأموال، والحُمْلان لوجوهم فسارعوا إليه.

82

خروج أبي حوال
الأغلبى لمحاربة
أبي عبد الله

وقصد سطيف، فلم يصل إليها حتى زاد إلى عسكره مثله.
وتلقاه بنو عسلوجة أهل سطيف وأهل بلزمة ومن حولهم ممن لم

(52) مرّ ذلك في ص 77.

(53) في الافتتاح، 136/138 اسمه وكنيته: محمّد أبو عبد الله، مع تفسير هذا اللقب: أبو
حوال: «ولم يكن أحول.. ولكنه ربّما كسر عينه إذا أدمن النظر إلى الشيء». وانظر الطالبي، 538، هامش 593/2 هامش 3، حيث يتأوّل الكلمة بمعنى الحيل،
إلا أن المترجم أسقط هذا التأوّل من ترجمته.

يدخل مع أبي عبد الله. فساروا في عساكر عظيمة، ومال بهم على من دخل في حزب أبي عبد الله واستجاب لدعوته من أطراف كتامة فقتلهم قتلاً ذريعاً وسبى نساءهم وذرايرهم. ثم قصدوا أبا عبد الله إلى تازروت فاتصل الخبر بأبي عبد الله فبرز إليه فيمن معه.

83 وكان أبو حوال مذ خرج يعبىء عسكره ويسير بهم زحفاً كما تُعبأ العساكر/ للقتال، فإذا نزل لم بيت إلا في خندق يحتفر حوله من وقت نزوله فلا تغرب الشمس إلا وقد تم. [و] قد رتب على ذلك رجالاً أوقفهم له وقياساً معلوماً وأذرعاً معدودة، ورتب نزولهم على ترتيب معلوم، وكل قوم قد عرفوا مكانهم، فإذا أظلم عليهم الليل، وقف الحرس على أبواب الخندق، ودارت به الرجال من داخله بالدرق، والخيول تعسّ دون الرجال. ويخرج ألف فارس يدورون حول الخندق إلى أن يصبح، وما زال ترتيبه على ذلك (ر 51 أ).

وخرج أبو عبد الله إليه فالتقوا ببلد ملّوسة فاقتلوا قتلاً شديداً، وكثر أصحاب أبي حوال على أصحاب أبي عبد الله فأزالوهم من مصافهم ولم يثبتوا لهم وأنهزم أصحاب أبي عبد الله آخر النهار، وأتبعهم أبو حوال إلى الليل ثم نزل وخندق.

84 فلما أصبح زحف إليهم وقد كانوا نزلوا بقربه فاقتلوا وأنهزم أصحاب أبي عبد الله أيضاً. وجاء ثلج عظيم فحال بينهم، وانصرف أبو عبد الله إلى تازروت، فلم يروا أنها تحصنهم فأخذوا ما قدروا عليه من أموالهم وانضموا إلى إيكجان. وارتفع الثلج وأتى أبو حوال إلى تازروت فأصابها خالية فأحرقها وهدم قصر أبي عبد الله الذي ابنتي بها (ط 66). ومضى حتى أتى ميلة فأصاب أهلها أيضاً/ قد ارتحلوا عنها وانضموا إلى إيكجان، فنزل منها بناحية، على أنه يزحف إلى أبي عبد الله إلى إيكجان. واستأذنه ابن موسى بن عباس أن يمضي

تراجع أبي عبد الله
إلى تازروت ثم
إيكجان

إلى كجارمة⁽⁵⁴⁾، فمضى في خيل كثيرة حتى أتى كجارمة، وهي من بلد لطاية بالقرب من ميلة، فأصابها خالية قد ارتحل أهلها مع أبي عبد الله. فأقبلت خيل من أهل كجارمة يريدون أن يحملوا طعاماً لهم، فواقفوا ابن موسى بن عباس ومن معه فقاتلوهم فقتل أبو عقال⁽⁵⁵⁾ ابن موسى بن عباس، وكان فارساً شديداً. واتصلت الصيحة بالفريقين، وأمدَّ كلَّ قوم أصحابهم والتحم القتال بينهم وتكاثروا. فلما قرب الليل وقعت الهزيمة على أصحاب أبي حوال وطلبهم الأولياء، حتى قربوا من العسكر. ودخل الليل عليهم فانصرفوا عنهم. ويات العسكر مع أبي حوال وقد خافوا. فلما اعتكر الليل وقعت فيهم نفرة واقتحموا الخندق، وضربوا على وجوههم، كلَّ قوم إلى مواضعهم. وحاول أبو حوال أن يصلح ذلك فلم يستطع. فأمر برفع الثقل وأشعل المشاعل وسار من ليلته. فأخذ ناحية جيملة يريد إفريقية، فلم يصبح حتى خرج من بلد كتامة، وانتكث عليه أمره وافترق الناس عليه (ر 52 أ).

مقتل ابن صاحب
ميلة

تراجع أبي حوال
بدون قتال

واتصل بأبي عبد الله خبره فخرج أصحابه فغنموا ما في/ عسكر أبي حوال، وانقطعت منهم خيل في طلبه فلم يلحقوا به. وسار أبو حوال حتى وصل إلى أبيه بتونس، وتراجعت كتامة إلى مواضعهم وأهل ميلة إلى مدينتهم.

85

(54) استأذنه ليخرج جثة أبيه موسى بن عباس من المطمورة التي ألقى فيها بعد قتله بأمر من أبي عبد الله (افتتاح، 136/139 و 139/143).

(55) قد مرَّ في ص 81 أنَّ كنية ابن موسى هي: أبو إبراهيم. وفي الافتتاح في الطبعتين: فقتل أبو عقال بن أبي إبراهيم بن موسى بن عباس. فصرنا بين أمرين: إما أن يكون القاتل هو أبو عقال هذا، المجهول لدينا وإما أن يكون المقتول ابناً لأبي إبراهيم، أي حفيداً لموسى بن عباس. غير أنَّ السياق يدلُّ على أنَّ القاتل هو أبو إبراهيم.

وكان الحسن بن هارون⁽⁵⁶⁾ اعتلّ فمات رحمة الله عليه إيكجان تصبح دار هجرة
بإيكجان. وكان بيان بن صقلان وأحمد بن سليمان⁽⁵⁷⁾ السكتانيان قد بلغا عند أبي عبد الله مبلغاً صالحاً، وحسن أثرهما. فرغبا إليه مع جماعة من بني سكتان أن يقيم بإيكجان فأجابهم إلى ذلك، وابتنى به قصرأ، وارتحل الناس إليه وجعله دار هجرته وقرار أهل دعوته.

وفرق أبو عبد الله الدعاة إلى القبائل. وكان يجلس إلى المؤمنين فيحدثهم ويعلمهم أحكام الدين، فحسنت (ط 67) أحوالهم وقويت نياتهم وبصائرهم.

ولما انصرف أبو حوال الأغلبى إلى أبيه، وصف له ما كان من ظهوره أولاً وغلبته على البلدان، وأن انصرافه لم يكن إلا لأمر (ر 52 ب) عرض له من غير علة⁽⁵⁸⁾، وصغر أمر أبي عبد الله، فأطعمه ذلك وجهز جيشاً ثانياً زاد في عدده على الجيش الأول، وأكثر من عدته وقوته. وخرج أبو حوال مرة أخرى بالعسكر، وانضمت إليه القبائل، وسار حتى نزل سطيف على مثل ما كان عليه في المرة الأولى من التعبئة والتحفّظ. /

وزحف من سطيف. وانتهى إلى أبي عبد الله خبره، فخرج أبو عبد الله بمن كان معه من إيكجان فنزل قريباً من بلد لهيصة، ونزل أبو حوال ببلد ملوسة. وجرد أبو عبد الله عامة الخيل الذين معه إلى أبي حوال. فلما أشرفت الخيل على أبي حوال خرج من خدقه بجميع عسكره، فاقتتل القوم قتالاً شديداً وكانت الغلبة

(56) الحسن بن هارون: رئيس غشمان، الذي دعا أبا عبد الله إلى تازروت

(57) أحمد بن سليمان السكتاني: وكنيته أبو جعفر، في الافتتاح.

(58) هكذا في الجميع، أي في النسختين وفي المطبوع. ولعلها: من غير غلبة، أي دون أن يكون قد انهزم.

لأصحاب أبي عبد الله على أبي حوال وأصحابه حتى أدخلهم أصحاب أبي عبد الله إلى خندقهم. وحال الليل بينهم وانصرف أصحاب أبي عبد الله. ثم عاودوهم من غدهم فاحتصر أبو حوال في الخندق ولم يخرج (ر 53 أ) إليهم ورأى أن أصحابه قد غلبوا. فلما جنَّ الليل، خرج أبو حوال من خندقه بجميع الذين كانوا معه، وقَدَّم ثقله بين يديه، وأوقد المشاعل وكرَّ راجعاً إلى سطيف. وتبعته خيل من خيل أبي عبد الله بعد الصباح فأصابوا جماعةً من أصحابه، وغنموا ممَّا معه بعد أن انتهبوا ما ترك في المناخ.. ورجع أبو عبد الله إلى إيكجان.

ثم إن زيادة الله الأغلب احتال في قتل أبيه أبي العباس [عبد الله] بن إبراهيم بن أحمد صاحب إفريقية فقتل. وولي الأمر بعده زيادة الله، وأخوه أبو حوال في سفره ذلك إلى بلد كتامة. فحين عاد أبو حوال أرسل أخوه زيادة الله صالح / بن الروحاني⁽⁵⁹⁾ فقبض على أبي حوال، وتولَّى صالح أمر العسكر بأمر زيادة الله بعد أن أقرأهم كتابه، وانصرف إلى تونس. وقتل زيادة الله أخاه أبا حوال وعمومته في شهر رمضان سنة تسعين ومائتين. وكان قتل أبيه واستيلاؤه على الملك ليوم بقي من شعبان سنة تسعين ومائتين.

ولما ولي زيادة الله، أقبل على الفجور وشرب الخمر، فألهاه ذلك عن كلِّ شيء. وكان شرب الخمر لا يُعرف بإفريقية حتى أظهره زيادة الله. ووصفت عنه خلاعات كثيرة أقبل عليها واشتغل عن تدبير الملك، ومال إليها وشغله الله بها لما أراد الله تعالى (ر 53 ب) من ظهور دينه وعلو أوليائه وإذلال أعدائه كما قال (تع) في كتابه:

(59) في النسختين: صالح الرجائي والإصلاح من الافتتاح، 146/154 ومن الطالبي، 602/548

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء: 16).

وخاف زيادة الله من أبي عبد الله على رقادة فارتحل من تونس إليها وحصنها وابتنى سورها وأقام بها.

ولما ملك أبو عبد الله مدينة ميله ودانت له نواحيها واستقام له أمر من فيها، خرج إلى سطيف، وكان صاحبها علي بن حفص، ويعرف بابن عسلوجة - نسب إلى أمه - وكان من الأبطال/ 88 المعدودين، وكان ممن قام وقعد في أمر أبي عبد الله ورجا إزالته. وكان قد صار إليه جماعة من وجوه كتامة لما غلبهم أبو عبد الله. وكان يخرج إلى أبي عبد الله ومن معه من العساكر علي بن عسلوجة وأخوه أبو حبيب فيقاتلان وبيليان. ويقال إن علي بن عسلوجة قتل من أصحاب أبي عبد الله ثلاثة عشر فارساً في يوم واحد، لا يزيد الواحد منهم على ضربة واحدة. فقال أبو عبد الله حين رأى ذلك: هذا اللعين ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ (الشعراء، 130). فأقام أبو عبد الله على سطيف أربعين يوماً. ثم انصرف إلى إيكجان فأقام بها شهراً. ثم جمع الأولياء وأوعب في جمعهم وزحف مرة ثانية إلى سطيف في عساكر لا يحصى عددها فأحاط (ر 54 أ) بالمدينة. وخرج إليه علي بن عسلوجة بجمعه فقاتلوه كما كانوا يقاتلونه خارج المدينة. ثم طال عليهم الأمر وانحصروا في الحصن، فمات علي بن عسلوجة وأخوه أبو حبيب وهما في الحصار. فحين ماتا انحل أمر سطيف (ط 69).

سقوط سطيف بعد وفاة ابني عسلوجة

وكان ممن أوى إلى سطيف من كتامة وكان مع أهلها، داود بن حباسة⁽⁶⁰⁾ اللهيصي. فاستأمن من أبي عبد الله، وكان إخوته مع أبي

(60) في المخطوطين: داود بن حشامة. وعند الطالبي، 709/650: ابن جماست، وأخذنا بقراءة الدشراوي في الافتتاح

عبد الله . / وقال داود: لا أستأمن إلا لأهل البلد . فأمنهم أبو عبد الله .
فخرج إليه داود اللهيصي ووجوه أهل سطيف . وكان داود اللهيصي
فارساً عاقلاً من وجوه قومه ، فدخل في دعوته وحسنت حاله ، وانتهى
أمره إلى أن كان داعياً من الدعاة . وانصرف أبو عبد الله إلى
إيكجان ، واستعمل عاملاً على سطيف⁽⁶¹⁾ .

وانتهى إلى زيادة الله بن الأغلب أمر سطيف واستيلاء أبي
عبد الله عليها ، ووصل إليه جماعة من الكتائبين ، ممن أبي الدخول
في الدين فحركوه على القيام ، وخوفوه أمر أبي عبد الله إن تمادت
عنه الغفلة فأخذ زيادة الله في جمع الحشود وأوسع في العطاء
فاجتمعت له عساكر كثيرة (ر 54 ب) فأخرج إبراهيم بن حبشي⁽⁶²⁾ لحرب
أبي عبد الله - وكان إبراهيم بن حبشي من بني الأغلب - وخرج معه
أربعون ألفاً بين فارس وراجل ، ممّا قيل إنّه لم يخرج لبني الأغلب
مذ ملكوا إفريقية عسكر مثله عدداً ولا عُدّة . وأخرج معه أحمالاً
كثيرة من الأموال والخلع والسلاح ، ولم يدع أحداً من حُماة رجاله ،
ولا [م-] من نزع إليه من كتامة / إلا أخرجه مع ابن حبشي . وأمره
أن يبذل العطاء لمن يمرّ به من القبائل ، وأن يستميل وجوهم
بالحُمْلان والكُسى وإنفاق المال . ودبر له أن يأتي أبا عبد الله من
غير الجهة التي قصده فيها أبو حوال .

(61) هنا أقحم المؤلف - أو الناسخ؟ - فقرة عن سطيف منقولة عن صورة الأرض لابن
حوقل ، إلا أنها مبتورة لا تكاد تفهم : «سطيف مثل شريف . مدينة في بلاد
الغرب وفواكه سنّة» - وهي ساقطة من المطبوع فرأينا حذفها من المتن لأنها
ناقصة . ويكرر إدريس - أو محشيه - النقل عن ابن حوقل كلما مرّ بمدينة هامة ،
شرقية أو غربية ، ونحن بقي هذه النقول بعد مقارنتها مع كتاب صورة الأرض ،
على قلة غنائها في الجملة

(62) ابن حبشي بن عمر التميمي عند ابن عذاري ، 137/1 هامش 1 ويضيف
الافتتاح: .. ولم يكن من أهل الحرب ، وكان الغالب عليه اللين (ص
175/169) .

فقصده إلى القسطنطينية، وهي مدينة عظيمة أولية في جبلٍ وعرة تتصل ببلد كتامة فنزل بها. فأتاه من كتامة من يليها، وحارب من قرب منها، وقتل منهم من عند عنه. فاستهالت كتامة أمره وكثرة جيوشه وداخلهم الخوف منه. وكان بينه وبين إيكجان حيث نزل أبو عبد الله مرحلتان أو أقلّ إلا أنه (ط 70) في طرف بلد كتامة. فتركه أبو عبد الله ولم يخرج إليه. فأقام ابن حبشي بالقسطنطينية ستة أشهر، وأردفه زيادة الله بابن أبي شدّاد⁽⁶³⁾ صاحب طبنة في جيش عظيم، فاجتمعت جيوش بني الأغلب في القسطنطينية (ر 55 أ) مائة ألف كما قيل بين فارس وراجل.

تجمع الجيش
الأغلب مع أمداد
طبنة في قسطنطينية

فلما رأى ابن حبشي توقف أبي عبد الله زحف بالعساكر الذين معه إلى بلد إجانة. فأخرج أبو عبد الله خيلاً اختارها ليختبره أين يقصد فوافوه بكبونة⁽⁶⁴⁾. فلما تراءت الخيل لابن حبشي، قصد إليها بنفسه، فعل جاهل بالحرب، لم ينزل ولا نزل/ أحد من أصحابه 91 ولا هياً لهم محطاً يرجعون إليه. فوقع القتال وقام الحرب بين الفريقين فاقتتلوا قتالاً شديداً، وأصحاب ابن حبشي لم ينزلوا، ولا لهم معسكر.

واتصل أمر القتال بأبي عبد الله فركب بالعساكر فوقعت الهزيمة على أصحاب ابن حبشي فعقر به برذونه وجرح، فلم ينج إلا بجهدٍ وشدة، وسلموا جميع الأثقال والأموال وأخذوا طريق باغاية، وطلبهم الأولياء إلى الليل ومن غدهم، يقتلون ويغنمون، فقتل منهم وغنم ما لا يحصى عدّه، وأخذ من السلاح والكراع ما لا عدّ له. وانصرف ابن حبشي إلى إفريقية، وتفرّق من سلم ممّن كان

هزيمة ابن حبشي
في وقعة كبونة

(63) اسمه في البيان المعرب، 140/1: شبيب بن أبي شدّاد القمودي، وكذلك فيما سيأتي ص 92.

(64) كبونة: هذا الموضع غير معروف. انظر الطالبي، 651، هامش 711/4 هامش 289.

معه إلى مواضعهم، وانصرف ابن [أبي] شذاد إلى طبنة، واضطربت إفريقية، واستهال أهلها أمر أبي عبد الله، وأخبرهم من وصل من المنهزمين بما عاينوه ونالهم.

وكتب الداعي أبو عبد الله إلى الإمام المهديّ بالله عليه الصلاة والسلام، إلى سجلماسة - وكان قد صار بها - وأخبره بما فتح الله له، وأرسل إليه ببعض تلك الغنائم مع رجال من كتامة ساروا بزّي الغرباء لا يُعرفون، فكان ذلك أول فتح قديم على المهديّ بالله (عم). وكان ذلك (ط 71) ببركته وبركة (ر 55 ب) أيام هجرته. فسُرّ بذلك وحمد الله عليه.

ثم توجه أبو عبد الله إلى مدينة طبنة⁽⁶⁵⁾ في جمع عظيم فأحاطت بها عساكره من كلّ جهة فاحتصر من بها. وكان العامل عليها يومئذ حسن بن أحمد بن نافذ المعروف بأبي المقارع⁽⁶⁶⁾، وبها شبيب/ ابن أبي شذاد على أعنة العسكر الذين بها، وفتح بن يحيى⁽⁶⁷⁾ على عسكر جمعه من أهل بيته وجماعة البربر. فلما احتصروا في المدينة، زحف إليهم الأولياء من كلّ جانب فنقبوا بُرجاً من بروج السور فسقط، ودخل جميع الأولياء منه، ففرّ عسكر طبنة ودخلوا حصناً قديماً مبنياً بالحجارة منيعاً في داخل المدينة، واحتوى الأولياء على المدينة وما فيها، وعامتهم تجار فأمّتهم أبو عبد الله. وأمر أبو المقارع بنصب منجنيق كان في الحصن فانكسر فأصلحوه مرة أخرى فانكسر أيضاً، فقال أبو المقارع: «دعوه، فهذا أمرٌ مقدّر»، وطلب

فتح طبنة

92

(65) طبنة: تقع آثارها اليوم على مقربة من قرية «بريكة» على نحو تسعين ميلاً غربيّ باتنة، وتسعين شرقيّ المسيلة، على الطريق القومية رقم 28.

(66) في «هـ» و «ر»: حسين... بن قائد. والإصلاح من الافتتاح، 160/174. وزاد الدشراوي أنّ أبا المقارع هذا كان ولّاه ابراهيم الثاني صقلية سنة 284. وانظر كذلك الطالبيّ، 716/657.

(67) فتح بن يحيى «أمير مسالته» وقد قتله أبو عبد الله بعد فتح طبنة (افتتاح، 177).

انضمام أبي
المقارع إلى
الداعي

الأمان فآمنه أبو عبد الله، وخرج إليه فخيرَه أبو عبد الله المقام عنده أو الانصراف إلى بني الأغلب. فقال: «كيف أسير إلى قوم قد أدبرت أيامهم وأتركك مع إقبال أيامك؟» فأعجب أبا عبد الله حديثه وأسكنه معه بإيكجان إلى أن فتح أبو عبد الله القيروان فعاد إليها.

واستعمل أبو عبد الله على طينة يحيى بن سليمان الملوסי، وانصرف بالعسكر إلى إيكجان.

[قال ابن حوقل البغدادي: طينة مدينة عظيمة ذات سور ومياه وزرع وقمح وقطن وبقر وغنم وكتان]⁽⁶⁸⁾.

93

حصار بلزمة
وفتحها

ثم خرج أبو عبد الله إلى بلزمة⁽⁶⁹⁾، وكان قد أخذ/ زرعها ثلاث سنين متوالية (ر 56أ) حتى انقطع من أيديهم الطعام. ثم زحف إليهم وحاصرهم فامتنعوا وقاتلوا قتالاً شديداً ودافعوا مدافعة عظيمة، وعمل أبو عبد الله عليهم المنجنقات (ط 72) والدبابات والأبرجة، فصنعوا منجنقات واجتمعوا ودافعوا. وطال عليهم الحصار وغل بهم الجوع ونفذ ما كان معهم فأكلوا ما كان عندهم من الحيوان ثم عادوا لأكل جلودها ثم رجعوا إلى دَرَقهم فكانوا يقطعونها قطعاً ويبلونها ويطبخونها ويأكلونها، إلى أن غلبهم الجوع، فافتتحها أبو عبد الله وقتل المقاتلة ولم يعرض للحريم والذرية. وغنم العسكر ما وجدوا فيها. وأمر أبو عبد الله بهدم سورها فهُدِم، ورجع إلى إيكجان.

وأخرج زيادة الله عسكراً زهاء اثني عشر ألفاً حين بلغه أمر طينة وبلزمة، مع هارون بن الطنبلي، وكان أخوه عامل زيادة الله على باغاية، وأخرج معه الأموال الجمة وأمره أن يستميل من مرّ به

(68) نقل عن صورة الأرض، 85، مع اختصار شديد.

(69) بلزمة: موقعها قرب قرية «مروانة» غربي باتنة وشمالى نقاوس، على الطريق الفرعية رقم 5. وجبل بلزمة يشرف على مدينة باتنة.

من القبائل ويُعطيهم. فأعطى هارون الناس فاجتمعت له عساكر عظيمة أكثر مما خرج به فانتهى إلى دار ملول⁽⁷⁰⁾ فقتل أهلها، وكانوا قد دخلوا في طاعة أبي عبد الله، وأخرب حصنهم.

94

وكان أبو عبد الله قد بعث/ غزوية بن يوسف في ألف فارس إلى بلزمة، ولم يكن عند ابن يوسف علمٌ بخروج هارون إلى دار ملول. فلما رأى غزوية ومن معه عسكر هارون اصطفوا على الخيل ينظرون العسكر، ورأهم هارون وأصحابه فوقعت فيهم الصيحة فتصايحوا: الجبل! الجبل! ليتحصنوا به، فما هو إلا أن (ر 56ب) عطفوا يريدون الجبل إذ صاح صائح: البلدا! البلدا! فقصد كل قوم إلى بلدهم. ونظر غزوية إلى الغبرة قد قامت، والعساكر قد افرقت فشددوا عليهم، وهم خيل مجردة. فقليل: إنه لم يُحصَ عدَّة من قُتل لكثرتهم. وقُتل هارون صاحب العكسر، وغنموا جميع ما كان معهم، وانصرفوا إلى أبي عبد الله ظافرين ظاهرين، بفتح لم ير مثله ومن الأموال والغنائم بما لا يحصى عدده، ووقع مع زيادة الله لذلك أمر عظيم وكرب شديد.

وكان (ط 73) قد صار إلى أبي عبد الله أهل تيجس من هواره، ورأس الفحصين من بني مغار. وكان فيهم قديم تشيع، ومنهم إسماعيل ابن نصر المغاري: لحق الحلواني وأخذ عن أصحابه واتصل بأبي عبد الله مع جماعة من أصحابه ودخلوا في الدعوة، وكانوا يغيرون على أهل تيجس⁽⁷¹⁾ - وكان مع أهل تيجس رابطة خمسمائة فارس من ... وفتح تيجس

(70) دار ملول: بين طبة (غرباً وجنوباً) ودوفانة (شرقاً وشمالاً) على طريق ناغاية (ابن حوقل، 85) ودوفانة - طوفانة اليوم - تقع على الطريق الفرعية رقم 20 بين باتنة وخشلة

هذا، وقد رسمها الدشراوي، الخلافة، 180 بتشديد الواو وفتحها.
(71) تيجس. هي اليوم قرية «عين البرج» الواقعة جنوبي عين عبيد على نحو عشرين =

95 قبل زيادة الله مع عبد له يقال له يحفور. وكان صاحب تيجس ابن ركاب لما رأى ظهور أبي عبد الله /، كاتبه في إخراج عسكري فأخرج أبو عبد الله عسكرياً مع مكنداس الجيملي إلى تيجس، فنزل على تيجس فلم يمكن خروج الرابطة واحتصروا في الحصن وهو منيع. فرجع مكنداس بعد أن أقام عليهم أياماً.

ثم أرسل أبو عبد الله جيشاً أيضاً إلى تيجس مع يوسف بن شكلة الغشمي فنزل على تيجس، فصالح أهلها ودخلها على الصلح، وأمن الرابطة الذين كانوا من قبل زيادة الله فانصرفوا إلى إفريقية ولم يعارضوا بقليل ولا كثير، ولم يتعرض (ر 57 أ) أحد منهم بما يكره. ومضى إلى أبي عبد الله مع ابن ركاب جماعة فدخلوا في الدعوة وانصرفوا إلى بلدهم.

ووصلت الرابطة إلى زيادة الله، وظهر منهم الشئ على أصحاب أبي عبد الله وذكروا وفاءهم فشاع ذلك في أهل إفريقية، وكان يشنع عندهم عن أبي عبد الله بما يظهر زيادة الله من خلاف ذلك من القتل والنهب وقلة الوفاء والغدر بمن آمنوه، فوضح عند أهل إفريقية كذب ما يُنسب إلى أبي عبد الله الداعي وأصحابه، وشاع فضلهم وعدلهم، وتطلعت العيون إليهم. فساء ذلك زيادة الله وكثر خوفه لنمو⁽⁷²⁾ الدائرة عليه، وكثر الإرجاف به. وأظهر زيادة الله ملك إفريقية والغرب الخروج بنفسه لحرب الداعي / أبي عبد الله لما نظر إلى كثرة الأشانيع عليه، وتوجه اللوم إليه، ورأى اضطراب (ط 74) مملكته واختلال دولته. فتقدم في استعداد الآلة للحروب ونادى في

زيادة الله يعتزم
الخروج بنفسه إلى
قتال الداعي...

96

= ميلاً شمالي عين فكرون (ولاية أم البواغي) ولعل عين البرج هي التي سماها ابن حوقل، 87: تبودا.
(72) هكذا في «هـ». وسقطت الجملة من «ر». وفي المطبوع. لتبوء. أما الافتتاح، 170/185 فتختلف عبارته أصلاً

البلدان بالعطاء الواسع، للداني والشاسع، وفرض للفرسان والرجال فروضاً كثيرة من العطاء والإنفاق، وأخرج الحُشَادَ إلى الأمصار لجمع العساكر ممن دنا وقصا⁽⁷³⁾ وتقدم لأهل بيته ورجاله للخروج معه فاجتمعت إليه عساكر عظيمة، وسارع الناس إليه لبذل [به] العطاء⁽⁷⁴⁾. ونصبت له قبة يقال لها قبة العرض، وكانت تصب الدنانير بين يديه، ويعترض أهل البلدان عليه فإذا مرَّ به من يرتضيه غرَفَ غَرَفَةً بمكيالٍ أعدّه يسع خمسين ديناراً أو نحوها فأعطاه بها. فاتصلت الأخبار عنه أنه يكيلُ الدنانير (57 ب) وأقبل الناس إليه من كل ناحية ووافته الجيوش وكثرت عنده الجنود. وقطع ذلك خوض الناس فيه وإرجافهم به، وقال الناس: «هذه ضربة الفيصل»⁽⁷⁵⁾ تكون لمن تكون». وتنهياً كل واحد من أهل بيته وتفاخروا بالعطاء والبذل والإنفاق. وأخرج [زيادة الله] ما كان في خزائنه من ذخائر آبائه وذخائره، وأعطى قواده ووجوه جنوده وخلع عليهم فظهر لذلك زيٌّ لم يُر مثله وهيئة/ لم يظهرها أهله، وعمل بنوداً ومضارب لم يعمل قبلها مثلها.

97

وخرج⁽⁷⁶⁾ إلى الأريس في أول سنة خمس وتسعين ومائتين. وأخرج معه جماعة من شيوخ أهل القيروان. فلما وصل إلى الأريس ولَّى أبا العباس محمد بن عبد الله بن جيمال للقضاء، وكان ممن يذهب مذهب العراقيين، فسر ذلك أهل بيته ووجوه رجاله. وأقام بمدينة الأريس فتوافدت له بها العساكر فشاور خاصّة رجاله وهو

... وحاشيته تنبيه
عن عزمه..

(73) قصا وقصي بمعنى.

(74) في الافتتاح، 179/199: لطلب العطاء.

(75) الضربة أو الطعنة الفيصل: التي تفصل بين القرنين بغلبة أحدهما.

(76) أسقط الداعي رسالتين من زيادة الله إلى أهل إفريقية، وقد أوردهما القاضي النعمان في الافتتاح، 186 - 170/197 - 177.

مزعم أن يسير إلى أبي عبد الله بنفسه، فقالوا له: «هذا تغريراً إن لقيته بنفسك وجميع عدّتك، لا ندري ما يكون من الأمر. وقد وقع قبل هذا انهزام العساكر فلم تتضعض المملكة إذ كنت رِذءُهُم. ولا ندري ما يحدث في دار الملك إن فارقتها. والرأي أن تقيم في موضع الملك، وتقيم بالأريس عسكرياً قوياً مع مَنْ ترضاه من أهل دولتك، فإن قصد الشيعي (ط 75) موضعاً، قصّدَ إليه، وتكون أنت رءاً له» - يعنون بالشيعي أبا (58 أ) عبد الله، وبذلك كان يدعى فاستحسن ذلك من رأيهم، وقدم [إبراهيم] بن أبي الأغلب على العساكر، وكانت له شجاعة، وهو من وجوه أهل بيته وخاصته. ثم رجع إلى رقادة وأقام بها، وابن أبي الأغلب بالأريس، وعاد إلى لهوه ولعبه وإقباله على السكر وفعل المنكر، فشغلّه ذلك عن كلّ شغل وألهاه عن كلّ أمر، مع أنّه لم يُخلِ نظره عن ابن أبي الأغلب. بل كان يقويه بالعساكر والأموال، ويبعث إليه من يتخلف عنه من الأبطال.

.. فيعين إبراهيم
ابن أبي الأغلب
على جيش الأريس

98

وقصد الداعي إلى باغاية من بعد أن اتّصلت به أخبار زيادة الله. وكان قد صار إليه جماعة من أهل باغاية، منهم إبراهيم المعروف بابن المدني رعبد الله بن الرّدم⁽⁷⁷⁾ وغيرهما، وكتبوا أهلها وحركوا أبا عبد الله للمسير إليها. فخرج أبو عبد الله في عساكر عظيمة. فلما قرب من باغاية اتّصل بالعامل⁽⁷⁸⁾ عليها أن كثيراً من أهل باغاية قد كاتب [وا] أبا عبد الله، وخاف أن يقبض عليه فهرب إلى الأريس. وخرج جماعة أهل باغاية إلى أبي عبد الله

(77) ابن المذليّ ابن المزيلى، وعبد الله الرّدم/ عبد الله بن الروم في طبعتي الافتتاح.

(78) باغاية: على يسار الطريق انطلاقاً من خنشلة نحو عين بيضة. وهي عند ابن حوقل، 84: باغاي وسبق أن ذكر أحو هارون بن الطنبّي عاملاً عليها (ص 93).

فسألوه الأمان فأمّنهم. ودخل عسكره باغاية فأقاموا بها أياماً. ثم استعمل عليها أبا يوسف ماكنون بن ضبارة الإيجاني⁽⁷⁹⁾ عمّ أبي زاكي، وترك معه رابطة خمسمائة فارس، وانصرف إلى إيكجان.

وحين بلغ زيادة الله أمر باغاية ساء ذلك واغتم. وخاض أهل إفريقية وكثرت الأشانيع. وجمع من يشاوره (ر 58 ب) وسألهم الرأي فأشاروا عليه أن يبعث إلى إبراهيم بن أبي الأغلب بمحاصرة باغاية، وأن ينفر إليها من الأربس بالعساكر الذين معه. فقال عبد الله بن الصائغ⁽⁸⁰⁾، وكان صاحب أمره وأمثلة رجاله وأهل رأيه: «ليس هذا رأياً! إن نزل ابن أبي الأغلب على باغاية نفر إليه الشيعي في جماعة كتامة، فإن قاومه لم يؤمن عليه، وإن تنحى بين يديه كانت الهزيمة، ولم يؤمن أن يتبعه. ولكن الرأي مقام ابن أبي الأغلب [مكانه]، فإن زحف الشيعي إلى غير باغاية [عاجله] وكان السابق له إلى (ط 76) حيث يقصد، ولو سبقه إلى باغاية لكان ذلك الرأي». فعند ذلك قام مغني زيادة الله - وكان يكنى ابن الشنيم فجمع المغنين وغنوا فطرب وقال: اشرب واسقينا: فملاء الغرب يكفيننا⁽⁸¹⁾. فضحك زيادة الله وقال: نعم، وأقل منه يكفيننا.

99

زيادة الله يركن إلى
الله ولا يفكر في
القتال

فقال له: ما الذي يُعجلك إلى الغم؟ أو ليس من القيروان هُزم عسكر مدلج وقتل؟⁽⁸²⁾

(79) سبق أن ولي أبو يوسف ماكنون بن ضبارة مدينة ميله بعد فتحها (ص 81).
(80) ابن الصائغ في المخطوط وفي الافتتاح، وابن الصائغ بالمعجمة عند الطالبي، 727/548. وكذلك في رياض النفوس، 125/2.

(81) كذا في مخطوط «هـ» وفي مخطوط «ر»: فملّ الغرب. وفي الافتتاح، 184/206: من القرب. والغرب هو ماء الدلو ولعلها القرب ج قربة. والمعنى بعد غامص.

(82) مدلج بن زكريا. أحد القواد المتمردين على زيادة الله بالقيروان (انظر الافتتاح، 207 هامش 184/1 هامش 5 والطلبي، 718/658)

قال: نعم.

قال: وأين باغاية من القيروان؟

فأعجب زيادة الله قوله، وأمر بإحضار الشراب فشرب ومن معه حتى ثملوا وافترقوا عما له اجتمعوا ولهُوا عما كانوا دبّروا. وانهمك زيادة الله في الشراب والعزف والملاهي. وأمر ابن أبي الأغلب بإسباغ العطاء على عسكره، وأن لا يتحرّك من مكانه إلا لأمرٍ مهمٍّ لا بدّ له منه. وأقبل على لذاته، وجعل شغلَه في مطرباته.

وأخرج أبو عبد الله ألف فارس مع أبي مديني قد انتقاها واختارها، إلى مجانة⁽⁸³⁾ وهي ممّا يلي الأربس (ر 59 أ) لما بلغه ما عقده زيادة فتح مجانة... الله من إقامة العسكر بالأربس. وكان عامل مجانة من قبل زيادة الله خفاجة العبشي⁽⁸⁴⁾ وهو من الفرسان المعدودين، إلا أنه كان قد تجذّم، وكانت معه رابطة. فأخذ أبو مديني بخيله على باغاية وخرج منها يريد مجانة فحين دنا منها، خرج إليه خفاجة في الذين معه من الرابطة، ومعه أهل مجانة فقاتلوهم بقرب المدينة إلى أن حجز بينهم الليل. فدخل خفاجة ومن معه المدينة، ونزلت خيل أبي مديني على وادي مجانة (ط 77) فانتهبوا تلك المنازل وانصرفوا إلى أبي عبد الله وهو بإيكجان.

وجرد أيضاً أبو عبد الله أبا مديني في خيل وأمره أن يقصدها. فلما انتهوا إلى باغاية اتصل بهم أن أهل مجانة تقلّعوا إلى قلعة بسر⁽⁸⁵⁾.

(83) مجانة: بين باغاية والقيروان، على مرحلة من مسكينة وأخرى من مراحنة (ابن حوقل، 84، والطالبيّ 668، هامش 729/3 هامش 344).

(84) العبشيّ عند الطالبيّ، 668، واستبقينا قراءة المخطوطين: العبشي

(85) قلعة بسر، بسر بن أرطاة أو بسر بن أبي أرطاة. يقول البكري، 145. افتتحها سرّ زم موسى بن نصير. ويقول في محانة: وتعرف بمجانة المعادن، منها معدن فضة للواتة يسمّى الوريطسي.

فأخذ أبو مديني على تبسة⁽⁸⁶⁾ ثم مال إلى ناحية مجانة فأخذوا على جبل المطاحن/، وقصدوا ملزوزة⁽⁸⁷⁾ وهــ[ي] بقرب مجانة. وكان خفاجة في مجانة وخيله وأهل مجانة قد رفعوا الأموال والضعفاء والعيالات إلى القلعة. فخرج في الذين معه إلى خيل أبي مديني، ووقع بينهم القتال فقتل خفاجة واجتزأ رأسه ورؤوس قوم معه، وانصرف العسكر إلى أبي عبد الله إلى إيكجان. وما زال أبو(ر59ب) عبد الله يرسل الخيل ويشن الغارات إلى نواحي تونس، فيقتل منهم ويغنم، وهو مقيم بإيكجان.

... وهفوة ميدرة

ثم خرج أبو عبد الله بنفسه في احتفال من العساكر فوصل إلى باغاية، وسار حتى أتى مسكيانة ثم أتى تبسة ثم ميدرة⁽⁸⁸⁾ وهي حصن حصين فأصاب فيها بقايا أهل قصر الإفريقي⁽⁸⁹⁾ - وكان قد أوقع بهم عسكره قبل ذلك مع أحمد بن سليمان السكتاني - ومعهم في ميدرة قوم من أهل مجانة ومراجنة وأخلطها من الناس، قد تحصنوا بها. فنزل أبو عبد الله عليها فأصابته علة شديدة من الحصاة وكانت تعتاده. وأمن أهل الحصن بعض أصحاب أبي عبد الله ففتحوا أبوابهم بغير استثمار أبي عبد الله فدخل عليهم العسكر

وفي حصوص بسر، انظر أسد الغابة، 406، ففي صحبته شك. وهو مكروه عند الشيعة لنكايته في علي وذريته وأصحابه. وانظر كذلك دائرة المعارف الإسلامية. (86) في النسخ: نسا، وهي تبسة اليوم، على الحدود بين الجزائر وتونس، وعلى نحو 140 كم من سبيلة.

(87) جبل المطاحن: في الافتتاح، 209، هامش 3، قال الدشراوي: عرف بهذا الاسم - وكذلك محانة - لمطاحن الحجر الذي يقطع من هذا الجبل. وأخذنا بقراءته في ملزوزة، فقد وردت «ميرور» في المخطوطين.

(88) ميدرة: وهي حالياً قرية حيدرة، مركز الحدود بين الجزائر وتونس. (89) قصر الإفريقي: جعله البكري، 53 غربي تيفاش في طريق تيجس. وكذلك ابن حوقل، 87 يجعله بين تيفاش وتيجس. ولعله اليوم «قصر صباحي» على ثلاثين ميلاً جنوبي واد زناتي في اتجاه عين بيضة.

فانتهبوهم. فلما بلغ ذلك أبا عبد الله أزعجه وأجزعه، فخرج، وهو لما به من العلة، إلى الناس، وجمع المشايخ والدعاة وطلب من فعل ذلك فلم يقدر عليه ولم يُعرف. فاسترجع كثيراً مما انتهب عليهم من حيث وجدّه، ولم يبقَ من ذلك إلا ما أعياء طلبه ولم يُعلم مكانه. فكان لذلك من زيادة الله شتاعات، ونسب الغدر إلى أبي عبد الله وأصحابه، وأنهم يؤمنون الناس ثم يغدرون بهم، وأشباه ذلك.

وارتحل أبو عبد الله (ر 60 أ) من الميدرة ونزل على القصرين⁽⁹⁰⁾ من قمودة واحتصر أهلها فأمّنهم وأمرهم أن لا يفتحوا أبواب مدينتهم، لِمَا كان من أمر ميدرة - فكانوا يُبايعون العسكر ويُشارونهم من خلف الأسوار - واتصلت الأخبار بابن أبي الأغلب أن أبا عبد الله يريد أن يضرب على زيادة الله برقادة وأنه قد انتهى إلى القصرين ولم يكن مع زيادة الله كثير عسكر. فخرج ابن أبي الأغلب من الأربس وجمع عسكره ونزل دار مدين⁽⁹¹⁾. واتصل بأبي عبد الله ذلك، وهو بالقصرين فأمر بإخراج ألفي فارس إلى ناحية دار مدين لاختبار عسكر ابن أبي الأغلب، فانتهوا إليها فوافوه بها واشتدّ بينهم القتال فقتل جماعة من الأولياء. واستبطأ أبو عبد الله خبرهم فركب في جميع عساكره وسار نحوهم، فإذا هم قد انهزموا وأقبلوا عليه مفترقين في الوعر والسهل وقد دنا الليل. فلما رأوه عطفوا ومعهم

(90) القصرين: مدينة بين قفصة والقيروان في الوسط الغربي من البلاد التونسية وقمودة هي المنطقة الواسعة من جهة السباسب بين قفصة والقصرين والقيروان، ومركزها سيدي بوزيد.

(91) دار مدين: جعلها الطالبي، 735/674، بين القصرين وسيطة. وصعد بها الدشراوي، 215، إلى «المدينة»، أي على مائة ميل شمالاً نحو الأربس والكاف. وكلا التأويلين مقبول، نظراً لقرب الداعي من القصرين من جهة، ولخروج الأغلب من الأربس من جهة أخرى، حسب ما يعيده النص.

الطوالع فانهزم ابن أبي الأغلب بين أيديهم، وقتلوا جماعةً من أصحابه، وحجز بينهم الليل. وانصرف ابن أبي الأغلب إلى دار مدين. وكتب إلى زيادة الله بالخبر وأنه قد هزم أبا عبد الله وقتل عسكره. وزاد في القول ثم زاد فيه زيادة الله وقرأ على المنابر، وأشعر به الغائب من أهل مملكته والحاضر، فقطع ذلك الكثير من خوض (ر60ب) الناس في أمر بني الأغلب، وأظهروا أن لهم القوة والغلب.

وقعة دار مدين

وعاد أبو عبد الله إلى إيكجان وابن أبي الأغلب إلى الأريس. فصار إلى ابن أبي الأغلب بنو وشنو وبنو صدغايان من بني هراش⁽⁹²⁾ وكانوا قد دخلوا في طاعة أبي عبد الله. وأخرج أبو عبد الله لهم عسكراً قدّم عليهم غزوية بن يوسف وأبا مكحول فصبحوهم مع الصباح فقتلوهم قتلاً ذريعاً وانتهبوا أموالهم وعادوا إلى قصر الإفريقي وهو خال، فنزلوا به.

وكان ابن أبي الأغلب قد خرج يريد قتل بني ورديم⁽⁹³⁾ لدخولهم في طاعة أبي عبد الله فاتصل خبره بأبي عبد الله فأرسل إلى غزوية وأبي مكحول. فحين أتاها خبر ذلك مشوا يومهم وليلهم حتى نزلوا 'قالمة'. وأرسل أبو عبد الله أيضاً خمسمائة فارس إلى ناحية ورديم فوافوا غزوية وأبا مكحول بقالمة. وانصرف غزوية وأبو مكحول إلى إيكجان، وصارت الخمسمائة فارس إلى حيث أرسلهم أبو عبد الله [ف]قويت لذلك قلوب بني ورديم وناصبوا ابن أبي الأغلب فهزموه وقتلوا جماعةً من رجاله، وأعانتهم خيل أبي

انتصار بني ورديم
على الأغلب
بقالمة

104

(92) بنو وشنو وبنو صدغايان/وشو وصدغيات، من بني هراس في المخطوطين، ولا يعرفهم. وافترض الدشراوي، 219 هامش 4 أنهم سكان جهة سوق أهراس الحالية. واعتمد الطالبي، 736/675، على رواية الافتتاح فقرّبهم من تيفاش، وهي على كل حال قرية من سوق أهراس.
(93) بنو ورديم: سكان جهة قالمة.

عبد الله. ثم انصرف ابن أبي الأغلب إلى الأربس وعادت خيل أبي عبد الله إليه إلى إيكجان.

ونافق إلى ابن أبي الأغلب بنو ماجن من هواره وبلغ خبرهم أبا عبد الله فأخرج إليهم عسكرياً من جيملة وإجانة (ط 80) عليهم أبو مكحول وأبو يوسف مكنون بن ضبارة فوافوهم وقتلوا كثيراً منهم.

أبو عبد الله يعاقب
بني ماجن
الهوريين

ثم إن أبا عبد الله جمع عساكر عظيمة وخرج يريد قسطنطينية. فلما انتهى إلى باغاية وافاه الخبر من يحيى بن سليمان عامل طبنة أن جماعة من الأولياء كان (ر 61 أ) أرسلهم أبو عبد الله إلى المهدي بالله (صلع) بأموالٍ وكتب فأدوا ما عندهم ورجعوا بجواب الإمام وكتبه، فلما رجعوا قطع [ت] عليهم زناتة فقتلوهم، وقد دفنوا كتب الإمام التي معهم، وكانوا أربعة عشر رجلاً رحمة الله عليهم، ثم أصابهم مطر فاستفاق رجل منهم كان بقي فيه رمق فأتى إلى عامل / طبنة فأخبره الخبر وأعلمه حيث تركوا كتب الإمام، فأرسل عامل طبنة من أتاه بالكتب وأصدرها إلى أبي عبد الله. فغم أبا عبد الله ما أصاب الرسل غمّاً شديداً، وسرّ سروراً عظيماً بسلامة كتب الإمام (عم) [من] أن يطلع الفجار عليها. وأراد أن يرسل عسكرياً إلى زناتة فأجابه الأولياء موطنين أنفسهم على الصبر، راجين الشهادة وعظيم الأجر⁽⁹⁴⁾، واستبعد المكان وأخّر ذلك إلى أجل.

وسار أبو عبد الله إلى قسطنطينية فخرجوا إليه فقاتلوه قتالاً غير كثير، ثم استسلموا إليه وسألوه الأمان فأمنهم، وأخذ ما كان لزيادة

فتح قسطنطينية
وقفصة

(94) هنا يختصر المؤلف كلام الأولياء بما يغير فحوى إشارتهم، كما وردت في الافتتاح، 198/223: فقد ثناء أصحابه عن المسير إلى زناتة خوفاً من أن يخالفهم الأغلب إلى بلدهم، واستبعاداً لديار زناتة، وتأجيلاً للانتقام منهم. وكل هذا لا يتفق مع عبارة المؤلف: فأجابوه موطنين أنفسهم على الصبر.

الله ولرجاله من الأموال بقسطنطينية، وسار فنزل قفصة فسألوه الأمان فأمنهم وأخذ ما كان لزيادة الله عندهم. ورجع إلى إيكجان بعد أن خلف في باغاية أبا مكحول في خمسمائة فارس وغزوية في مثلها.

وكان إبراهيم بن أبي الأغلب قد استعد للخروج إلى أبي عبد الله وظن أنه يريد الميروان. فحين (ر61ب) رجع إلى إيكجان، خرج إبراهيم بن أبي الأغلب يريد باغاية، فأرسل أبو مكحول رسلاً إلى أبي عبد الله، فحين وصلت الرسل إلى أبي عبد الله أمر بضرب الطبول فتبادرت كتامة راكبين الصعب والذلول، عالين للوعر والسهول، مبادرين إلى باغاية. فأمر أبو عبد الله من حبس الناس، واختار منهم اثني عشر ألف فارس وقدم عليهم أبا مديني وقال له: إن لحقت القوم/ إلى باغاية فقاتلوك فاحمل نفسك عليهم، ولو حملتها على الأسنة، ولا يردك رادّ عن الوصول إلى باغاية. وإن أصبتهم قد انصرفوا، فلا تجاوز فجّ العرعار. وانصرف أبو عبد الله بالجمع إلى إيكجان، ومضى أبو مديني فوجد ابن أبي الأغلب قد قاتل أهل باغاية وخرجوا إليه فقاتلوه قتالاً شديداً. وكان لغزوية في ذلك اليوم مقام مشهور، وجلاد مذكور، ولحارث المدغري، وكان ببغاية في ثلاثمائة من قومه. وكان زيادة الله قد أحسن إليه، فقال له إبراهيم بن أبي الأغلب: يا حارث، خذلك الله بإحساننا إليك!

فقال الحارث: إحسان أبي عبد الله إليّ أكثر من إحسانكم، وفضله عليّ أكثر من فضلكم: بصرني من العمى وأنقذني من الجهل.

وقاتل في ذلك اليوم رجاء بن أبي قتة قتالاً شديداً، وكان ممن كان من الأولياء ببغاية وأبلى بلاءً عظيماً. فلما نظر أصحاب ابن أبي الأغلب إلى صبرهم في القتال، وجدّهم في مبارزة الأبطال، رأوا منهم ما هالهم، وخافوا ورود الغارات عليهم. فأشاروا

ابن أبي الأغلب
يحاول استرجاع
باغاية...

106

... فيتصدى إليه
أبو مديني
اللهيصي...

... فيرده على
الأعقاب

على إبراهيم فارتحل من الليل. وخرج أهل باغاية إلى مناخه فانتهبوا (ر 62 أ) ما ترك. وانصرف/ أبو مديني من فجّ العرعار راجعاً وقال: «هذا المكان الذي أمرنا الشيخ أن لا نجاوزه». ولحق ابن أبي الأغلب بالأريس.

107 وخرج الداعي أبو عبدالله أحمد بن زكريا من إيكجان في جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين ومائتين (فيفري 909) لمطاب الزمان واعتدل ودخل فصل الربيع، في جمع عظيم وعدّة قويّة فنزل بمدينة باغاية وعرض عسكره فبلغوا مائتي ألف بين فارس وراجل. وكان زيادة الله قد حشد وبذل وزاد فيه وبعث إلى ابن أبي الأغلب بالأريس من العساكر ما لا يحصى عده إلا الله وحده (ط 82). وسار أبو عبد الله من باغاية حتى انتهى إلى مسكيانة فأخذ مع الوادي وانتهى إلى وادي مجانة ثم خرج على مرمجة إلى وادي الرمل⁽⁹⁵⁾ ونزل عليه. وأخرج خيلاً إلى منبولة⁽⁹⁶⁾ يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة فانتهبوها. وجرد أبو عبد الله خيلاً فضربت جريدة⁽⁹⁷⁾ منها إلى بني جودان⁽⁹⁸⁾ فوافقوا بها خيلاً كثيرة لابن أبي الأغلب فقاتلهم، وأسر رجل من كتامة فأتى به إلى ابن أبي الأغلب فقتله رحمة الله عليه.

(95) وادي مجانة: حسب تقديرات الطالبي، 739/677، هو وادي حريحير الذي ينزل من جبل اللدير بالجزائر فينصب في وادي ملاق بتونس قبيل التقاء وادي صرّات بوادي ملاق. ووادي صرّات هو في نظره وادي مرمجة. أما وادي الرمل فينصب في ملاق في سفح جبل ورغة في الجنوب الغربي من الكاف. ويرى الدشراوي، 228 أن وادي مجانة إنما هو وادي ملاق نفسه.

(96) منبولة: لم يذكرها ابن حوقل ولا البكري، وسكت عنها الطالبي والدشراوي. ويظهر أنها على بضعة أميال في الجنوب الغربي من مدينة شقبنارية الكاف.

(97) الجريدة: الكوكبة من الخيل لا مشاة فيها. وتكثر عبارة جرد الخيل والخيل المجردة في الكتاب، وهي بهذا المعنى.

(98) بنو جودان: مناهضون للدعوة، لا نعرف عنهم غير هذا.

ولَمَّا أصبح أبو عبد الله يوم السبت لستَ بَقِين من جمادى الأخرى
(/ 18 مارس 909) زحف إلى الأربس وقد مَيَّز عساكره وعبَّأها
فجعل / في الميمنة بني بنطاس وفي الميسرة بني منوا⁽⁹⁹⁾، وفي القلب
ملوسة ومسالمة. وانتقى واختار عشرة آلاف فارس من الدعاة ووجوه
القبائل، فوقف بالعشرة آلاف على كدية مطلة على المدينة. والتحم
القتال وأخذ الناس بعضهم بعضاً ووقعت بينهم معركة عظيمة
ومواقعة شديدة، وصبر الجمعان، وكثر بينهم الضرب والطعان.
واشتدَّ القتل وأبوا الفرار، وأقام بينهم القتال من أول النهار إلى وقت
العصر، وكلح أصحاب ابن أبي الأغلب، ولم يكن بإفريقية ونواحيها
وأطرافها من عربها وبربرها ومن رجال زيادة الله أحدٌ من كماتها
وحماتها إلا وقد كان مع ابن أبي الأغلب.

108

وقعة الأربس (24)
جمادى 2 سنة
20/296 مارس 909

ونظر أبو عبد الله إليهم وقد شقوا على أصحابه وأحس من
أصحابه بعض الفشل وخاف عليهم الهزيمة فقال لمن حوله من
المشايع: «انتقوا من الرِّجَالَةِ مَنْ قَدَرْتُمْ عَلَيْهِ وابعثوهم في هذه
المسيلة - مسيلة تعرف بالمضارة - يستترون فيها حتى يضربوا في
الخيال فلعلهم أن يحركوهم». فانتقوا من الرِّجَالَةِ خمسمائة وخمسة
وسبعين رجلاً من أشدَّ من قدروا عليه (ط 83) فأخذ كل واحدٍ / رمحين
ودرقة وساروا في تلك المسيلة. ووافق أن كان ابن أبي الأغلب دبّر
ذلك التدبير وأخرج رجلاً من قبله في تلك المسيلة فوافى بعضهم
بعضاً في موضع يعرف بالعرّة البيضاء على طريق الأربس، فوافق
أول رجل طلع من الكتاميّين أول رجل طلع من أصحاب ابن أبي
الأغلب (ر 63 أ) فحمل كل واحدٍ منهما على صاحبه فقتل الكتاميُّ الخارجَ
إليه من جند ابن أبي الأغلب وحمل أصحابه على رجال ابن أبي

109

(99) نر يعطاش وبو بياوة عند الطالي، 740/679. وقال. إنهما قيلتان لم يسق لهما
ذكر. وقرأت وداد القاضي، وكذلك الدشراوي: نبطاش ويناوة

الأغلب فانهزموا وقامت الصيحة فيهم فانهدت عساكر ابن أبي الأغلب وانتقضت مصافها وداخلت خيلها رجالة أبي عبد الله وحملوا عليهم حملة واحدة فولّوا مدبرين وعلى أعقابهم ناكسين، وقصد كل قوم منهم جهة بلادهم. وقصد ابن أبي الأغلب فيمن معه جبل الحراقين، وأتبعهم الأولياء من كلّ ناحية يقتلون ويأسرون ويغنمون وقصد قوم منهم المدينة⁽¹⁰⁰⁾ فانتهبوا منها وقتلوا، ودخل الليل فانصرفوا إلى مناخهم.

أبو عبد الله ينزل
العقاب بأهل
الأريس لمؤازرتهم
الأغلب

110

وأمر أبو عبد الله بقصد مدينة الأريس حين أصبح، وذلك أنّ أهلها أصروا مع ابن أبي الأغلب فدخلها الأولياء قهراً بالسيف فقتلوا بها ما لا يحصى وانتهبوها وأقاموا بها يوم الأحد. وانصرف أبو عبد الله بجميع العساكر/ يوم الاثنين وأخذ على دقة⁽¹⁰¹⁾ يريد قمودية والناس يظنون أنه يريد قسطيلية.

وهرب زيادة الله من رقادة حين أتته الهزيمة يوم الأحد بعد صلاة الظهر، وأيقن أنه لا يقوم له أمر بعد انهزام عسكر الأريس لأنّه لم يترك شيئاً من القوة والمال والرأي والحيلة والبذل والإنفاق إلّا وجه ذلك إلى الأريس. وكان قد تقدّم في شري الأمتعة واستعدّ للحرب، فلما أتاه خبر الهزيمة أظهر أنّه جاء (ر 63 ب) الفتح وأرسل إلى السجن فأتي برجال منه فضرب أعناقهم واجتزّ رؤوسهم وأمر أن يطاف بها في القيروان والقصر القديم⁽¹⁰²⁾، وأخذ في ضمّ حوائجه

هروب زيادة الله
إلى طرابلس

(100) المدينة: لعلّها قرية المدينة الواقعة على أنقاض Althiburos الرومانية. وتعد تسعة أميال في الحبوب الشرقي من أنة قصور أو قصور آة.

(101) دقة المعنى هنا ليست المدينة الأثرية Thugga الواقعة قرب تبرسق في الشمال الشرقي من الأريس. في حين أنّ قمودة بعيدة في الجنوب، بعد سيرة وسيطة فدقة هنا إنما هي تكة Thucca المدينة الأثرية أيضاً الواقعة جنوب قرية القصور حالياً في اتجاه الروحية أو مكثر.

(102) القصر القديم: صاحبة «العباسية» على أربعة أميال جنوب القيروان. كان إبراهيم =

ورفع ثقله وأمواله، وأرسل إلى خاصّة أهل بيته ورجاله وعرفهم ما جاءه من الخبر فأشار ابن الصائغ بالمقام فاتهمه وقال له: «هذا تصديق ما قيل فيك أنك تكاتب الشيعة، وإنما تريد أن توقعني في يده». فسكت عنه ابن الصائغ.

وأخذ زيادة الله في شدّ الأموال ونفيس الخلع والسلاح والجواهر وانتجب من عبيده الصقالبة ألف خادم وجعل على وسط كلّ واحد منهم منطقة فيها ألف دينار من العين. فلما نادى المؤذن لصلاة العشاء/ الآخرة، خرج من رقادة واتبعه الناس يهتدون بعده بالمشاعل. ووقف بعده ابن الصائغ ساعة ثمّ ركب يريد قصر سوسة، [وكان قد أعدّ مركباً لنفسه ليركب إلى صقلية⁽¹⁰³⁾].

111

ووصل زيادة الله أطرابلس يريد مصر. وصرفت الريح مركب ابن الصائغ إلى أطرابلس. فحين علم أنّ زيادة الله قصدها، وأنّه قد صار فيها، أتاه واعتذر إليه أنّه كان معه من الأحمال ما أثقله أن يكون طريقه مع البرّ. وأتى زيادة الله بعض من كان مع ابن الصائغ فأعلمه أنّ قصده كان إلى صقلية⁽¹⁰⁴⁾ فصرفته الريح إلى أطرابلس، فعلم براءته ممّا نسب إليه من مكاتبة أبي عبد الله: فلو كان ذلك

زيادة الله يقتل ابن الصائغ

= الأول اتخذها قاعدة لملكه سنة 184 ثمّ، بعد استحداث رقادة سنة 264، صارت العباسية تعرف بالقصر القديم (انظر ح. ح. عبد الوهاب، وركات، 358/1).

وبقي القصر القديم مقراً للأسر الأغلبية وحشمتهم وخدمهم. وتواصل ذلك في العهد الفاطمي، إذ أسكنه الفاطميون أنصارهم من كتامة (انظر ص 170)

وموقعه اليوم يعرف بـ «هنشير البركة» على خمسة أميال من باب الجلايين الحالي، حسب تحقيق ج. هوبكينز J. Hopkins في فصله عن سوسة عند الجغرافيين العرب، ص 86.

(103) في الجميع: يريد قصد سوسة. والإصلاح من الافتتاح، 207/235.

(104) في الجميع: إلى سوسة.

لأقام برقادة. ثم إن زيادة الله حملة رجاله على ابن الصائغ فقتله.

وأما إبراهيم بن أبي الأغلب فإنه وصل إلى القيروان فيمن انضم إليه بعد الهزيمة يوم الثلاثاء. فلما علم من معه بهروب زيادة الله (ر 64 أ) تفرقوا عنه فلم يبق معه إلا قليل. فدخل إلى قصر القيروان ونادى مناديه لمن فيها بالأمان، وأراد أن يقيم ما انحل من الملك ويقوم أمره ويجعل ذلك له. وجمع فقهاء القيروان وذكر ما كان لزيادة الله من سوء الأحوال، والإقبال على الله والانهماك/ فيه والاشتغال، وأنه يقيم العدل والإنصاف، ويحتال في دفع أهل الخلاف، وقال: «إنما أتيت إليكم لأجاهد دونكم» وطالب أهل القيروان أن يسلفوه شيئاً من أموالهم وما في أيديهم من الودائع لغيرهم. فقالوا: «نحن رعية لمن غلب، وليس عندنا ما يقيم السلطان، ولا نستطيع أن ندفع ما ألت من (ط 85) معظم الحدثان». فانحل أمره وبطل كيده، فركب وخرج من القيروان ولحق زيادة الله فوافاه بأطرابلس وعنفه على ما كان منه من الخروج عن دار ملكه وموضع أمره، وأنه لو أقام لرجا أن يقوم له الحال وينضم إليه الرجال.

... فيلتحق بزيادة الله

ووجد زيادة الله أبا العباس محمد بن زكريا أخا أبي عبد الله باطرابلس وكان قد وافاه بالقيروان فحبسه لما رفع إليه أنه أخو أبي عبد الله وإليه مقصده. ثم إنه خرج من السجن لما هرب زيادة الله، ولم يستطع أن يلحق بأخيه أبي عبد الله فوافي أطرابلس ووافق فيها الجزري⁽¹⁰⁵⁾ وهو من دعاة المهدي (عم)، وكان (ر 64 ب) المهدي أرسل الجزري بحرمه فاجتمعا في أطرابلس، هو وأبو العباس. وكانا إذا اجتمعا وحدهما/ فأمرهما واحد وإذا كانا في الناس أظهر كل منهما

زيادة الله بطرابلس يغفل عن أبي العباس...

113

(105) أبو جعفر الجزري، لا الخزري كما في الكتاب: سيوليه المهدي على بيت المال بعد انتصاب الدولة (ابن عداري، 159/1).

الطعنَ على صاحبه وأرى أنه على غير مذهبه وجعلا يتناظران وكان ذلك الذي يظهر منهما مدّة إقامتهما بأطرابلس.

فلما وجد زيادة الله أبا العباس قال له: «أنت أخو الشيعي؟» قال: لو كنت أخاه لقصدت مقصده ويممّتُ بلدّه.

فقبل بذلك عذره وأطلقه بعد أن تواعده. ووافى الجَزري زيادة الله فسلم عليه وكان لا يزال عنده وهو وكيل الإمام (عم) على حرمة. وكان من أفضل مَنْ عنده، وزيادة الله لا يعرفه. ولما خرج زيادة الله من أطرابلس، شيعه الجَزري ودموعه تسيل على لحيته وهو يقول: «لَمَنْ تتركنا يا سيّد العرب؟» وزيادة الله يُثني عليه ويذكره بالخير. وقيل للجَزري بعد ذلك: إِنَّ الكلامَ قد يُصنّع، فكيف بالدموع؟ وأنى تهياً لك ذلك؟

فقال: والله ما بكائي إلّا حزناً على عدوّ الله لَمّا خلاص سالماً!

وقصد زيادة الله إلى مصر، وعاملها⁽¹⁰⁶⁾ يومئذٍ النوشريّ. وقد كان زيادة (ط 86) الله طرد إبراهيم بن أبي الأغلب وأقصاه، وأتهمه وعاداه، ففرّ منه لَمّا خافه، ودخل إلى صاحب مصر، فلام زيادة الله عنده، وخوفه شرّه وقال له: «إنّه كان من سوء حاله أن ترك/ ملك الغرب. وأقبل إلى الشرق يريد أن يملكه». فخافه النوشريّ⁽¹⁰⁷⁾.

ثمّ إنّ دخل زيادة الله إلى مصر فأقبل على اللذات والانهماك

... وعس الجَزريّ
وكيل المهديّ

حلول ابن أبي
الأغلب بمصر

114

(106) في الجميع. وملكها. والتصويب من الافتتاح.

(107) في الجميع. فخافه النوشريّ واعتاله. وهو غير صحيح، لأن رواية الافتتاح، 228/264. وهي أطول بكثير. تقول إن ابن أبي الأغلب استجار بمعامل الاسكدرية فأحاره.

فيها. وكوتب الخليفة العباسي بسوء حاله وسقط أمره عند الناس. وكان يريد أن يستنصر بالعباسي فتهاون كل به وآل أمره أن مات في بيت المقدس، وقد ساءت حاله ونقد ماله.

وفاة زيادة الله
بالقدس

وكان هروب زيادة الله يوم الاثنين (ر 65 أ) فأصبح أهل القيروان والناس من كل مكان إلى قصور زيادة الله ينتهبون أمواله ويحملونها، ويلقى القوي الضعيف فيسلب ما في يديه حتى أفنوا ما فيها، وصاروا إلى انتزاع الحديد عن أبوابها. واجتمع إليها الذعار من الطرقات فلم يبق سلب ولا نهب إلا برقادة.

انتهاج قصور
الأغلبة برقادة

وحين بلغ أبا عبد الله خبر هرب زيادة الله أخذ على سليمان⁽¹⁰⁸⁾ ونزل وادي الرمل فبات به. فلما أصبح قدّم غزوية وحسن بن أبي خنزير [في ألف فارس] إلى رقادة وأمرهم أن لا يعترضوا أحداً بمكروه. فوصلت خيل الداعي أبي عبد الله إلى رقادة وأصابوا الناس ينتهبون الطعام وما بقي. فلما رأوهم هربوا وخافوا منهم فأمنوهم ولم يعارضوهم في شيء، وتركوا كل واحد منهم وما حمل، ومنعواهم ما بقي. فحين بلغ / أهل القيروان ما كان من أصحاب أبي عبد الله للناس برقادة من الأمان، سرّهم ذلك. وخرج أهل القيروان وفقهاؤها للقاء أبي عبد الله فسلموا عليه وهنّووه بالفتح، فردّ عليهم أحسن الردّ وأقبل عليهم بوجهه. وأمرهم فركبوا دوابهم. ودعا وجوهم فاستصحبهم وحدثهم وأمنهم في أنفسهم وما ملكته أيديهم، فسرّهم إقباله عليهم وما رأوه من تواضعه لهم، ووصفوا له ما في قلوبهم من الرغبة إليه، فقال لهم: «قد أخذتم بحظكم

115

لقاء أبي عبد الله
مع فقهاء القيروان

(108) في الجميع. سكتانة. وأخذنا بقراءة الدشراوي، 243. والطريق من سليمان إلى سبيبة أو القيروان لا تمرّ بوادي الرمل القريب من مدينة الكاف (شقبنارية). فحتى قراءة سليمان تخمين، ولعلّ سكتانة موضع بين دقة والأريس.

ونظرتهم لأنفسكم وعملتكم بما فيه نجاتكم وما يعود بالنفع عليكم في عاجلكم وآجلكم». ثم ذكروا له أخبار زيادة الله (ر 65 ب) ووصفوا سوء حاله وذمّم أفعاله، فأعرض أبو عبد الله عن ذلك. فحين أطنبوا فيه، وأكثروا القول في مساويه قال لهم: «أئمتّه الذين ولّوه وآبأؤه وآبأؤهم أسوأ حالاً وأقبح أفعالاً. ولو علمتم ورأيتم أحوال بني العبّاس وما هم فيه من الفسق وسوء الحال والإقبال على الشراب، لما تعاظمكم ما رأيتم من هذا الذي تصفون، ولسوء حاله تذكرون».

دخول الداعي رقادة
(1 رجب 26/296
مارس 909)

ودخل أبو عبد الله داعي الإمام المهديّ بالله سلام الله عليه وعلى آبائه، رقادة يوم السبت غرة شهر رجب سنة ست وتسعين ومائتين، فنزل ببعض قصورها، وفرّق/ دورها على كتامة. ولم يكن بقي بها أحد من أهلها، بل خرجوا بخروج زيادة الله فتفرّقوا في البلاد. ونزل قوم من كتامة أيضاً بالقصر القديم في دور الهاربين مع زيادة الله وفيما حول رقادة فكانوا كالجراد المنتشر. وأورثهم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ببركة الإمام المهدي بالله (عم) وما أراد الله من إظهار أمره وعلوّ كلمته.

116

وأمر الداعي أبو عبد الله المؤذنين بالأذان بحيّ على خير العمل، ونادى مناديه للناس بالأمان، وشملهم بالعدل والإحسان، ونهى عن شرب المسكر وفعل المنكر، وأخاف الذعار والمفسدين، فصار الناس بالعدل مشمولين، ومن الجور آمين، فحققت الدماء، وسكنت الدهماء.

الحيلة بالقيروان

وقدّم⁽¹⁰⁹⁾ أبو عبد الله خطيباً بجامع القيروان، وأمر بعد حمد الله تعالى (ر 66 أ) بالصلاة على النبيّ محمد المصطفى، وعلى أمير

(109) ر: وقام خطيباً. ولا ذكر لخطة منه في الافتتاح، 249.

المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وعلى الحسن والحسين، وفاطمة الزهراء،
صلوات الله عليهم أجمعين.

السكة الجديدة

وأمر بضرب السكة ونقشت فيه من وجه:

بلغت حجة الله

وفي الوجه آخر:

تفرّق أعداء الله.

ونقش في سكة أخرى:

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين

ونقش على السلاح:

عدّة في سبيل الله

117

ورسم في [أفخاذ] الخيل/

الملك لله

ونقش في فصّ خاتمه:

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ (النمل، 79).

وفي الخاتم الذي يطبع به [كتبه]:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا، لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ، وَهُوَ
الْسَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنعام، 115).

وظهر للناس منه ومن أصحابه من العدل والتقشف والورع
والأعمال الصالحة ما اشتهر في جميع الآفاق، وعرفه أهل الخلاف
والرفاق.

المروزيّ أوّل قاضٍ شيعيّ بالقيروان

وولّى أبو عبد الله على القضاء في مدينة القيروان محمد بن عمر المروزي، وكان له نظر في الفقه من قول أهل البيت (صلع) وتشيع قديم. وكانت ولايته للقضاء في أوّل شهر رمضان أحد شهور سنة ست وتسعين ومائتين.

أبو العباس يناظر الفقهاء

ووصل أبو العباس محمد بن أحمد أخو أبي عبد الله إليه إلى رقادة فسرّ بقدمه. وكان أبو عبد الله يعظّمه. وإذا دخل قام على وجهه على قدميه، ومكث قائماً حتى يأذن له بالجلوس. وإذا دخل أبو عبد الله قبل يده ووقف حتى يأمره فيجلس. وكان أبو العباس أسنّ من أبي عبد الله وأقدم سابقةً وأقرب بالإمام عهداً وأحدّ ذهنًا. وكان أبو عبد الله (ر 66 ب) أرجح حِلماً وأحسن ورعاً وزهداً من أبي العباس.

واجتمع شيوخ القيروان وفقهاؤها إلى أبي العباس وناظر الفقهاء في الإمامة وفيما خالفوا فيه / أهل البيت من قبل الفُتيا فقطعهم في ذلك وعجبوا من قوّة حجاجه ونفاذ قوله.

وظهر العدل وقامت الدعوة إلى الإمام المهديّ بالله (عم)، وانقطعت دولة الجبّارين في الغرب. وكان ظهور أبي عبد الله رحمة الله عليه كطلوع الفجر حتى ظهرت الشمس وعلت، وظهر المهديّ بالله (عم) من كهف ستره وعلت دعوته واشتهرت، فخفيت النجوم وظهر نور الله الحيّ القيوم. وسنذكر من ذلك ما يعين الله على إirاده وإصداره، بتوفيقه (تع) ومعونته وإرشاده. والحمد لله ربّ العالمين، وإياه نعبد وبه نستعين، وصلى الله على سيّد الأدميين، محمد خير النبيين، وعلى وصيّهِ عليّ أمير المؤمنين، وعلى الأئمة من ذريته الطاهرين.

الفصل الرابع

خلافه الهدى

(934 322 - 909/297)

ذكر نبذ ممّا كان من أمر مولانا
الإمام المهدي بالله
صلوات الله عليه وعلى الأئمة الطاهرين
من آباءه وأبنائه، وسيرته

وما ناله من الامتحان، والتنقل من مكان إلى مكان، حتى
قضى الله بظهوره، وعلو دعوته، وأخبار ممّا كان في أيامه إلى انتهاء
عمره صلوات الله عليه، وتمامه.

كان مولد أمير المؤمنين المهديّ بالله أبو محمد عبد الله بن
الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر
الصادق سلام الله عليهم، في / سنة ستين ومائتين في الليلة
المصباحة عن يوم الاثنين الثاني عشر من شهر شوال. وقيل: بل
كان مولده في سنة تسع (ر 67 أ) وخمسين ومائتين.

وولد عليه السلام بمدينة عسكر مكرم من خوزستان. ثم إن
والده (عم) انتقل به إلى سلمية، وفيها كان منشؤه. واستكفل له
أبوه عمّه أبا عليّ الحكيم، وهو محمد بن أحمد المكنى «سعيد
الخير» على ما قدّمنا ذكره⁽¹⁾. وكان عمّ الإمام (عم) هو الذي أنفذ
الداعي المنصور أبا القاسم إلى اليمن بعد وفاة والد المهديّ

(1) تقدّم في السبع الرابع، 402.

بالله (ص) على ما ذكره صاحب سيرة الإمام المهدي⁽²⁾.

قال صاحب السيرة: «وكانت وفاة أبي الإمام المهدي عليهما كفالة عمّه سعيد
أسنى السلام، وكفالة عمّه له، وعمر المهدي (عم) ثمانين سنين».

وتزوَّج المهدي (عم) ابنة عمّه أبي علي الحكيم (رضي الله عنه)، ومنها كان ولده الإمام القائم بأمر الله، فولد الإمام القائم بأمر الله محمد بن عبد الله (ص) سنة ثمانين ومائتين.

قال جعفر الحاجب رحمة الله عليه: «وتوفي الإمام قدس الله روحه بعد تزويجه المهدي بالله (عم) / بأيام يسيرة⁽³⁾. وولي سلمية غلام تركي من (ط 90) بغداد فأحسن إليه المهدي بالله، كما كان الأئمة يحسنون إلى من يلي للثقة منهم وما يخافون من شرهم. وتابع الإحسان إلى التركي حتى استراب به لجزيل ما يوليه، فسأل قوماً من أهل البلد عن سبب إفراطه في الجميل، وهو لا يسأله شيئاً، فقال له بعض من كان يحسد الإمام (عم): «هذا فعلهم مع كل من يلي البلد حتى يردوهم خولاً وعبداً، وإنه يُرمى بأمر عظيم ويقال إنه يملك الشرق والغرب، وله في كل بلد (ر 67 ب) دأع وأموال أكثر من أموال الخلفاء». فلما سمع التركي هذا القول أخذ الطمع وتابع السؤال للمهدي في الحوائج الكبار التي تجاوز المقدار، فإذا قضيت حاجته فيها سأل غيرها حتى ربما سأل في اليوم الواحد عشر حوائج وأكثر، فعَل مُغتَنَم. فعلم المهدي (عم) مراده وكتب إلى الدعاة ببغداد أن يبذلوا في عزله عن البلد، ففعل الدعاة ما أمروا به وعُزل التركي، وقد علم من حيث أتى. فرفع إلى الخليفة العباسي

120
طمع والي سلمية
في أموال
المهدي...

... وعزله بسعي
من المهدي

(2) سيرة المهدي مجهولة المؤلف. ذكرها نوابالا في ثته، 318، مستشهداً بهذه

الإشارة من الداعي إدريس، لا غير.

(3) سيرة جعفر الحاجب، 109، ناخصار شديد من الداعي إدريس

المعتضد⁽⁴⁾ ما انتهى إليه وقيل له في المهديّ بالله (ص) وسأل أن يُردّ للقبض عليه. ووافق ذلك خروج القرمطيّ أبي مهزول⁽⁵⁾ لعنه الله، وكان أبوه أحد دعاة الإمام (عم)/. وكان أبو مهزول وأخوه راجيين أن يكونا في مقام أبيهما، فلما علم الإمام سوء سريرتهما وخبث سيرتهما، أعرض عنهما وأمر الناس برفضهما، فحملهما ذلك على أن فارقا دعوة الإمام ودخلا في مذهب القرامطة الرافضين لشرائع الإسلام، فاجتمع إليهم ناس كثير، وأشاع الناس أنهم من قبل المهديّ (عم) قاموا، وهم قد فارقوا دعوتَه وفي ضلال الأباطيل هائموا، وهو وآباؤه والأئمة من أبنائه والتابعون لهم بريئون منهم، وممن غير في دين الله وبذل، ولشريعة محمد (ﷺ) أو لركن من أركانها رفض وعطل.

121
خروج أبي مهزول
القرمطيّ عن
الدعوة...

... يحمل
المهديّ على ترك
سلمية (سنة 286)

فخرج الإمام (صلع) من سلمية لسنة ستّ وثمانين ومائتين، وقد اشتهرت دعوتُه وانتشرت، وقامت (ر 68 أ) دعواته وظهرت في اليمن والغرب إلّا أنّه لم يعرف (ط 91) اسمه، وفي أيّ موضع محلّه، وكانت الدلائل فيه ظاهرة وعلامات الإمامة مشتهرة. وترك أهله وذخائره في

(4) تولى المعتضد من سنة 892/279 إلى ربيع الثاني 902/289.

(5) جاء في رسالة «استار الإمام» أنّ أبا مهزول وأخويه أبا القاسم وأبا العباس - وثلاثتهم أبناء أبي محمد داعي الكوفة - شقوا عصا الطاعة في وجه الإمام لأنه خلعهم عن خلافة أبيهم في الدعوة بالكوفة، فتهنّدوا المهديّ وداعيه أبا الحسن ابن الأسود داعي الدعوة بحماة. فكان تمردهم سبباً من أسباب مغادرة المهدي سلمية (استار الإمام، 96).

ويصيف الكتاب أنّ أبا مهزول أخذ وحمل إلى بغداد وصلب هناك بحضور المعتضد على أنّ ابن الأثير (الكامل، حوادث 191) والمقرئزي (اتعاظ، 230) جعلاً الظفر - «صاحب الشامة» أو «صاحب الخال» - وهو لقب الحسين بن زكرويه القرمطيّ - ثمّ قتله، في خلافة المكني سنة 291 وكنية الحسين هذا. أبو العباس، لا أبو مهزول ولعل أبا العباس ابن زكرويه، وأبا مهزول ابن أبي محمد الداعي هما شخص واحد.

سلمية وخرج معه ولده محمد بن عبد الله القائم بأمر الله (ص)، وخرج أبو جعفر الجزري وكان أحد دعاة الإمام، بحرمة، ومعه مملوك للإمام المهدي يقال له جعفر، قبل دخول القرمطي إلى سلمية. ولما قوي أمر اللعين / أبي مهزول القرمطي قتل أبا الحسين داعي الدعاة من قبل المهدي بالله الذي جعل الدعاة تحت يده يرجعون [ن] إليه فيستمدون [ن] من علمه، وقتل معه كثيراً من شيعة الإمام. وخرج اللعين بعد ذلك إلى سلمية فأقام أياماً خارج المدينة حتى بلغه أن عساكر بني العباس قد أتته قاصدة له تروم أخذه واستئصال شافته. فدخل مدينة سلمية وأظهر أنه يريد الحمام. ثم قصد دار المهدي، وكان قد وضع السيف في العباسيين ولم يعرض لدار المهدي ومن فيها، فظن الناس أنه لا يعرض لمن في قصره ولا يخالف ما يرد عليه من أمره فجاءوا بذخائهم [و] ما يعز عليهم من أمتعتهم فتركوه في قصر الإمام. فلما دخل دار الإمام سأل عن «لعب»، وهي أم ولد للإمام (عم) فدل عليها وكانت عالمة بذخائر الإمام وكانت حين بلغ دخول القرمطي اللعين إلى قصرهم قد هربت واختفت (ر 68 ب) فأمر القرمطي من أتاه بها، ومعها ولد للإمام المهدي بالله، طفلاً. فقال لها القرمطي: أين مولاك؟ ولم يخرج من قصره ونعمته؟

القرمطي يدخل سلمية وينتهب قصر الإمام..

فقالت: إنه خرج فيما لا بد منه، وهو مزعم على القدوم.

فقال لها: أين ذخائره وماله؟

قالت: لا أعلم.

فسألها عن / ذلك ولاطفها. فحين أبت أن تعلمه، وعرف أنها بسر مولاها لا تكلمه، أمر بها وبولد الإمام الذي في حجرها فقُتِلَا وقتل جماعة من قرابات الإمام (عم) وحرمة وخدمه وحشمه رحمة

123

الله عليهم. وأمر بهم فالتقوا في صهريج من الدار. وانتهب ما وجد في دار الإمام، وخرج لعنه الله.

ووافته عساكر البغدادي وفيهم التركي الذي كان ولي سلمية فقاتلهم القرمطي ففرق عسكره وأخذ أسيراً. ثم قالوا لأهل سلمية: أنتم الذين أفسدتم على الخليفة واستدعيتهم القرمطي إليكم، فأروهم الصهريج ومن فيه من القتلى [و] قالوا: هذا فعل القرمطي معنا ودليل على براءتنا مما قُلتُم فينا. فصَدَّقُوا قولهم وانطلقوا بالقرمطي إلى بغداد فكان يُضربُ ويقال [له]: لأي شيء خرجت؟ وما سبب خروجك؟ فأظهر لهم أنه إنما خرج بأمر المهدي بالله، وأنه الذي أمره بذلك، ووصف لهم صفته وعلامته، وكان اللعين يعرفه⁽⁶⁾. وعرفهم أن داعي اليمن وداعي الغرب يدعوان إليه ويدلان عليه، فكان ذلك ممّا زادهم تصديقاً لقول القرمطي اللعين. وتلك منه مكيدة يريد ليظفيء نور الله ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ (ر 69 أ) كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف، 8). فأمر الخليفة / البغدادي إلى البلدان وبثَّ رسله إلى كل مكان يسأل عن صاحب تلك الصفة والعلامة، ويأمر عماله بالقبض عليه. فلم يبلغ بذلك مرامه وحمى الله وليه من كيد الكائدين، ودفع عنه شرَّ أصداده المعاندين.

وسار الإمام (عم) مهاجراً، ومعه ولده محمد أبو القاسم، وقد اشتهر ذكره وفشا خبره، ودلت عليه آياته، وتبينت للناس علاماته. وما برح العباسي يمعن في طلبه، ويكتب إلى كل عامل بسببه، والله (تع) يحفظه ويكَلِّمُهُ، وبعين رعايته يتولاه حيث نزل، وأنى أقام ورحل، والمهدي (عم) أوان هجرته حين استوى شبابه، والإمام أبو القاسم حدث، ومعهم غلامهم جعفر الحاجب وفيروز.

(6) يعرفه لأنه كان دخل إليه عند استناره بالرملة (استار الإمام، 98).

ثم يقبض عليه
فيزعم أنه ثار بأمر
من الإمام...

فيأمر الخليفة
العباسي عماله
بطلب المهدي

وكان فيروز من أكبر الدعاة فغير وبدل، وضل وأضل، وسندكر من أمره في موضع ذكره.

المهدي يصل إلى
دمشق...

وممن صحب الإمام (عم) طيب الحاضن، وأبو يعقوب القهرمان⁽⁷⁾ ومحمد بن عزيزة. وكان الإمام قد أظهر لأصحابه أنه يريد اليمن. وخرج من دمشق وقال لأصحابه: جدوا في (ط 93) السير فاليوم يرد الرسول في طلبنا إلى دمشق فساروا ذلك اليوم واليوم الثاني وانتهوا إلى طبرية، ووجدوا الداعي الذي كان للمهدي (عم) بها على ظهر الطريق قائماً ينتظرهم. فلما رأى الإمام سلم عليه وعرفه أن كتاب داعيه الذي بدمشق ورد على جناح الطير⁽⁸⁾ يذكر أن الرسول ورد إلى عامل دمشق في طلب الإمام. فسار الإمام من ساعته (ر 69 ب) ولم ينزل بطبرية، حتى إذا انتهى إلى الرملة نزل بها عند عاملها، وكان مأخوذاً عليه عهد الإمام (عم).

125

قال جعفر الحاجب رحمة الله عليه في سيرته: «فلم يدر

(7) هنا يجمع المؤلف بين روايتي «استار الإمام» و«سيرة جعفر الحاجب» ففي الاستار، 97: «فأخذ معه أبا القاسم ولده وجعفر الحاجب وابن بركة الحاضن لا غير».

وفي السيرة، 110، ينصاف فيروز وأبو العباس الداعي - الذي رأينا دوره بالقيروان في الفصل السابق - وأبو يعقوب القهرمان، ومحمد بن عزيزة وبانتهاء رسالة الاستار، يأخذ إدريس في النقل عن سيرة جعفر، بالتصرف المعهود.

وقد درس السيرة وترجمها وعلّق عليها كل من البار قاطو وماريوس كانار في مجلة هيسبيريس المغربية، ومنها استقينا المعلومات التالية عن أصحاب المهدي: - طيب الحاضن: مملوك أوكل إليه المهدي تربية ابنه القائم (وابن عذاري، 158 يسميه. أبو الحسن طيب بن اسماعيل المعروف بالحاضن). - أبو يعقوب القهرمان، أي. خادم القصر: مملوك نصراني من عبيد الإمام. - محمد بن عزيزة - ابن عزيز في نسختنا: هو ابن خالة جعفر الحاجب. - فيروز داعي الدعاة: هو الذي خلف أبا الحسين بن الأسود على الدعوة بحماة. (8) أي بواسطة حمام الزاجل.

العامل من السرور بالإمام كيف يخدمه، وقبّل يديه ورجليه. فأذكر
 [و] أنا قائم على رأس المهديّ، وهو وفيروز والعامل يتغذّون إذ ورد
 عليه النجّاب⁽⁹⁾ الذي ورد من بغداد إلى دمشق بكتاب العباسيّ
 بالقبض على الإمام (عم)، وذكر صفته فقراه العامل ودفعه إلى
 المهدي. فلما وقف عليه انكبّ على رجلي المهديّ يقبلهما
 ويبكي. فقال له الإمام: «طب نفساً وقرّ عيناً، فوالذي نفسي بيده
 لأملكّن وليملك ولدي كثيراً من ممالك بني العباس. فلا تخش،
 فما ترى شيئاً تكرهه». فكتب العامل إلى صاحب دمشق جواب
 الكتاب بأنّه ما رأى هذا الرجل ولا عرف صاحب هذه الصفة ولا
 علم بجوازه إن كان جاز. «وإن لم يكن جاز فنحن نرصده/ على
 جميع الطرق إن شاء الله». فجّد الإمام ذلك اليوم البيعة على
 عامل الرملة وأقام عنده يومه وليلته. (قال): وسقطت في تلك الليلة
 النجوم⁽¹⁰⁾، والمهدي والقائم على سطح دار العامل، والعامل

... ثم إلى
 الرملة...
 126
 ... فيشهد سقوط
 النجوم
 بسمائها...

(9) النجّاب: ناقل البريد من موصع إلى موصع على النجّاب، أي الإبل (المعجم
 الوسيط فقط، والكلمة مولدة).

(10) سقوط النجوم: اهتم الباحثون الغربيون بـ«مطر النجوم» هذا، واستعانوا بالتاريخ
 الذي ذكرته السيرة - ولم ينقله الداعي إدريس - وهو: رجب 289 (حوان - جويلية
 902) - لتحديد المنة التي قضاها المهدي في رحلته وتحديد تاريخ وصوله إلى
 سجلماسة فاعتمد البار قاطو في فصله المذكور ص 386 على إشارة مماثلة
 وردت في البيان المغرب، 133/1: «وفيها - أي سنة 289 - تساقطت النجوم لثمان
 بقين من ذي القعدة» (28 أكتوبر 902) فقال: لعل هذا الحدث الطبيعي هو نفسه
 الذي ظهر في سماء الرملة وبالأندلس والمغرب. فيكون وصول المهدي إلى
 مصر في أواخر 289، لا بعد 291 أو في غضون 292 كما تقول بعض المصادر
 الأخرى وانظر التعليق الهام الذي تناول به ماريوس كاتار هذه القضية في
 ترجمته لسيرة جعفر الحاجب، ص 289 هامش 4. وقد نبّه البار قاطو، ص 387
 إلى إشارة أخرى عند ابن عذاري، 214/1 تقول: «وكان وصول المهدي إلى مصر
 في زي التجار سنة 289»، ممّا يدعم القول بأنّه بارح الرملة في هذه السنة. غير
 أن ابن عذاري يضيف: «وكان ظهوره بسجلماسة في ذي الحجة سنة 296».

... فيقول
لأصحابه: إنها
إحدى علامات
ظهوره.

معهما وأصحابهما ينظرون إليها، وقد انقلب [ت] المدينة من الناس
بالدعاء والابتهال إلى الله (عج). (قال جعفر:) فرأينا المهدي (عم)
وقد (ط 94) شدَّ على يد العامل وقال له: «هذه إحدى دلائلي وبعض
علاماتي». ودعا الإمام في تلك الليلة محمد بن عزيزة فقال له:
«نحن نسير بالغداة على بركة الله وعونه (ر 70 أ) وارجع أنت إلى سلمية،
فاجمع ما قدرت عليه من الغوغاء وسبنا بما قدرت عليه، واحمل
العامة على هدم دورنا، فإذا صحَّ ذلك فاعمل على أن تقلب العلوَّ
على البركة التي تحته حتى لا يرى لها أثر. فإذا فرغت من ذلك
فاخرج إلى النخلة التي على باب المدينة فاقطعها وأظهر أن تحتها
كانت تُعقدُ العقود ليتَّم لك قطعها وأقم بسلمية حتى يرد عليك
أمري بالقدوم في الأوان الذي يصلح فيه قدومك إن شاء الله».

127

وارتحل الإمام (عم) من الرملة إلى مصر فاستقبله / أبو عليّ
باب الأبواب، وكان من أفضل الدعاة وأجلهم، وبلغ مع الأئمة
(عم) مبلغاً عظيماً، وحاز مقاماً كريماً، وكان ذلك اليوم مُقامه بمصر
يدعو إلى الإمام، ويدلّ على فضل من اتبعه من الأنام. فتقدّم إليه
الإمام أن لا ينزله عنده لكي لا يظهر أمره ويشتهر خبره، وأن ينزله
عند من يثق به ممّن لا يُتهم بأمرهم ولا يُشار إليه بولايتهم. فأنزله
عند رجل يدعى ابن عيَّاش⁽¹¹⁾. فما أقاموا إلّا يسيراً حتى ورد
الكتاب إلى عامل مصر في طلب الإمام والقبض عليه. فأرسل
العامل إلى ابن عيَّاش وأوقفه على الكتاب. فقال له ابن عيَّاش:
«أما الرجل النازل علينا فلا يصل إليه إلّا ما يصل إليّ، وهو رجل
شريف من وجوه التجار، معروف بالفضل والعلم واليسار، وليس هو
الذي أنتم تطلبون. والرجل الذي أنتم مجتدون في طلبه قد بلغني
خبره أنه توجه إلى اليمن قبل ورود هذا الرسول بمدة طويلة». فقال

... ويقصد مصر
هرباً من رسل
العبّاسيين

(11) في المخطوط: ابن عباس، والتصحيح من السيرة، 113.

العامل لابن عيَّاش: «نحن (ر 70 ب) نقضي حاجتك ونسعف طلبتك في هذا الرجل وحقه لشرفه، ولكن لا بد أن نبدي عذراً في القبض على بعض غلمانته ونقرره خوفاً من نقلة الأخبار، والأمر يجري له ولك فيه على ما تحب ويحب إن شاء الله». / قال جعفر الحاجب: «فكنت أنا (ط 95) ذلك الرجل المقبوض عليه، وضربت أسواطاً يسيرة وقررت، وكان الإمام المهدي قد قال لي: لا تُوجعك نفسك إذا دفعتك للعامل فإني أريد أن تأتي سلمية وتستخرج القمقمين الذين أمرتك بدفعهما فإنه لا يشعرُ غيرك بهما. فإذا وقفت للتقرير فقل: أنا رجل خدمتُ هذا الرجل بأجرة وصحبته لمدة قرية، وأنا أردُّ عليه الأجرة وأنصرف عنه إلى بلدي. (قال:) ففعلت ما أمرني به الإمام، وخلَّى العامل سبيلي، فدخلت على المهدي بالله ليلاً [ف] قال لي: بَكَرْ غداً حيث أمرتك ولا تلو على شيء، واحذر أن يعلم بك أحدٌ من الناس إلا محمد بن عزيزة وولده⁽¹²⁾، وابن أخيك⁽¹³⁾ حسن. وأنا أنتظرك بأطرابلس».

128

وأظهر الإمام مسيرة إلى المغرب وكان أصحابه يظنون أن قصده اليمن. وسأل الداعي أبو علي الإمام المسير معه، ورغب إليه أن لا يفارقه. فقال له الإمام: «بل تقيم بمصر إلى الوقت الذي يتهيأ فيه قدومك إن شاء الله». فسمع وأطاع قوله، ووقف بمصر على شدة الرغبة منه في صحبته والكون معه.

مسير المهدي إلى
المغرب

129

وأما/ فيروز فأحزنه مسير الإمام إلى الغرب واستبعد المسافة فتخلف بمصر وسار إلى اليمن. وكان الإمام المهدي بالله (عم) يقول: «عجبتُ لرجلين من شيعتنا، أحدهما تغمه مفارقتنا والآخر تغمه صحبتنا». ووصل فيروز إلى داعي اليمن أبي القاسم المنصور

(12) في السيرة: وابنه المنصور المعروف بأبي الليث (ص 114).

(13) في المخطوط. وابن أخيك. والإصلاح من السيرة

قدس الله روحه، فأحسن لقاءه، وأكرم مثواه، لما كان يعرف (ر 71 أ) له من القرب من الأئمة (عم). ثم إن فيروز أراد أن يُضِلَّهُ ويُغْوِيَهُ، فوجد نِيَّتَهُ في ولاء الأئمة (عم) قويَّةً، ونفسه بتشعشع أنوارهم مضيئة. فلما لم يجد فيه حيلة توجَّه إلى علي بن الفضل فوجد فيه مراده، واستفزَّهما الشيطان، وصارا من أهل الضلال والطغيان، وخرجا من جملة أهل الإيمان. فظفر منصور اليمن بفيزوز فقتله وحارب علي بن الفضل - وكان من أمرهما ما قدَّمنا خبره - حتى أهلك الله علي بن الفضل وصيَّر روحه إلى النار، وألحقه بأمثاله من الكفار، كما قدَّمنا ذكره وشرَّحنا أمره⁽¹⁴⁾.

خيانة فيروز
وانضمامه إلى علي
ابن الفضل باليمن

ولما انتهى الإمام إلى اطرابلس وقف فيها حتى قدم عليه عبده وخادم دولته جعفر بن علي المكنى جعفر الحاجب، من سلمية بما وجهه في طلبه. فارتحل الإمام (عم) إلى قسطنطينية وهي يومئذ لزيادة الله بن الأغلب ثم خرج منها/ إلى توزر. وخرج على طريق سجلماسة فوافاه في طريقها رجل يسمي المطلب، من آل المطلب ابن عبد مناف ومعه ولده. فوجد فيهما الإمام خلقاً وسيماً وعقلاً كاملاً. فكان من أمرهما أن أخذ عليهما عهده وقربهما منه وسارا في صحبته إلى سجلماسة. ثم توجَّها عن أمره إلى القيروان وقال لهما المهدي بالله (عم): «لولا أنها تجري على من معي مَحَنٌ شديدة وأمور متعبة، لما رضيتُ فراقكما لي. ولكن إذا توجَّه داعينا إلى سجلماسة فأرسل ابنك معه». وودَّعاه وانصرفا إلى القيروان.

المهدي
بطرابلس...

130

المهدي
بسجلماسة...

ونزل المهدي بالله (عم) سجلماسة ورئسها وصاحب أمرها اليسع بن المنتصر بن مدرار. وانتشر ذكر المهدي بالله في المدينة كلها، وتحدث الناس أن هذا الرجل له شأن من الشأن ووقع له في قلب كل من رآه الهيبة والجلالة. وقيل، (ر 71 ب) ليسع

(14) في الفصل الثاني.

ابن المنتصر بن مدرار: «إنه قد دخل بلدك رجل جليل من كبار تجّار الشرق». ووُصِف له ولهج الناس بذكره. ثمّ إنّه (ص) دخل على اليسع بن مدرار فأكرمه وأقبل عليه. ثم خرج (عم) من عند اليسع فقال اليسع لأصحابه بعد خروجه^(14م): «زعتم/ أن هذا تاجر؟ والله ما هذا تاجراً لقد رأيت تجّار المشرق والمغرب، ولكن هذا رجلٌ عظيم الشأن أغضبه أهل بيته فخرج عنهم وفي نفسه أشياء الله أعلم بها» (ط 97).

131

وكان المهديّ بالله (عم) يواصل صاحب سجلماسة ويهدي إليه. وكان اليسع يوجب حقّه ويعظّمه إلى أن أتاه كتاب زيادة الله لما اتّصل به مسيره إليه يخبره أن هذا الذي يدعو أبو عبد الله إليه. وتواترت الأخبار والكتب بذلك إلى اليسع بن مدرار. وكان اليسع يسأل الإمام عن ذلك فلا ييوح له بشيءٍ من أمره للتقيّة، إلّا أنّه أخبره بتسببه وقال: «أنا من أولاد الحسين بن عليّ عليه السلام». ... يكتّم أمره عن وكنتم له أمره، وكون الدعوة إليه باليمن والمغرب. أميرها. ...

وتقدّم الإمام إلى جعفر الحاجب وأمره، فاشترى له غلاماً سمّاه صندلاً، وكانت له شجاعة رزقه الله (تع) بها الشهادة مع القائم (عم). واشترى لمولانا القائم (عم) عبداً يسمّى مسلماً. واستعدّ لما يُجرى عليه من الامتحان له ولولده عليهما السلام، حتّى كأنّه يعلم ذلك. وذلك ممّا علّمه الله رسوله (ﷺ) وانتهى علمه إلى آله عليهم السلام.

وأقام المهدي في سجلماسة، وكُتِبَ دعائه تصل إليه، وأبو عبد الله يعلمه بما يُهَيّئ الله له من النصر على الأعداء، وعلو الأمر للأولياء، وأن ذلك / بركة أيامه (ر 72 أ) وإقبال دولته وظهور مملكته. وكان

132

(14م) في النسختين: ثم قال .. خروجه منه.

فيروز فاحزنه مسيراً امام الى الغرب واستعد المسامحة فخلع
 عبيره وبالد المين وكان الامام الحادي بالله عليه السلام
 يقول بحبب لرجلين شيعتنا احدهما تغمه مغارة والآخر
 تغمه صحبنا ووصل من وزنا الى ما في المين في القاسم المسفر
 قد سر الله روحه فاحسن مقامه واكرم مثواه لما كان يعرفه
 من القرب من الاية عليهم السلام ثم ان فيروز اراد ان يخلع
 ويغوي به فوجد نفسه في لاء الاية عليهم السلام قوية وبسر
 يتشعشع انوارهم مضية فلما لم يجد فيه حيلة توحيدوا عليه
 بن الفضل فوجد فيه ملاء واستقر بها الشيطان وصار
 من اهل الضلال والطغيان وخرجوا من جملة اهل نبي ع
 فطعن منصور اليهم فيروز فقتله وحارب علي بن الفضل
 فكانت امرها ما قد عاين خبر حتى اهلك الله علي بن الفضل
 وصير روحا الى النار والحقة بامثاله من الكفار كما قد
 ذكره شحاته وما انتهي الامام عليه السلام الى اهل البلد وقب
 فيها حتى قد مر عليه عبده وخدام دولته معبر بن علي المكنى
 الحاجب من سلمية بما وجبه في طلبه فارتحل الامام عليه السلام
 الى قسطنطينية وفي يومئذ لزيادة الله بن الاعلى ثم خرج منها
 لا تفر

الصفحة 129 من نسخة (هـ)

الى تونز وخرج على طريق سجلماسة فوافوا في طريقهما
 وجعل يسمى المطلب من الى المطلب بن عبد مناف ومعز ولد
 فوحيد فيها الامام عليه السلام خلعتا وسما وعقلا كاملا و
 فكان من امرهما ان اخذ سليها عهدها وقربهما منه وسارا
 في صحبة الى سجلماسة ثم توجهوا عن امر الى القيروان وقال
 لهما المهدي بالله عليه السلام لولا انها تجري على من معي عن
 شديدة وامور متعبة لما رضيت فراقكم لي ولكن اذا
 توجهوا عيدا الى سجلماسة فارسل اليك معروود عا
 وانصرفا الى امير وان ونزل المهدي بالله عليه السلام سجلماسة
 ورأيها وصاحب امرها اليه بن المنتصر بن مدبر او التبر
 ذكر المهدي بالله عليه السلام في المدينة كلها وتحدث
 الناس ان هذا جبل لرشان من الشان ووقع في قلب
 كل من رآه له الحجة والحجالة وقيل لليه بن المنتصر بن
 مدبر انه قد دخل بلدك جبل جليل من كبار تجار الشرق
 ووصف له ولهم الناس بذلك ثم انه صلى الله عليه دخل على
 اليه بن مدبر فاكرمه واجل عليه ثم خرج عليه السلام
 من عند اليه ثم قال لليه بن مدبر بعد خروجه من زعم

الصفحة 130 من نسخة «هـ»

التضييق عليه وعلى
أصحابه

لَيْسَعِ أَخُ لَعِينُ سَيِّءُ الْأَخْلَاقِ، فَمَا زَالِ بِالْيَسَعِ وَخَوْفِهِ أَمْرَ الْمَهْدِيِّ
حَتَّى حَمَلَهُ عَلَى أَنْ ضَيَّقَ عَلَيْهِ وَتَرَكَهَ بِدَارِهِ الَّتِي كَانَ بِهَا لَمْ يَبْرَحْ
مِنْهَا، وَفَرَّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَلَدِهِ الْإِمَامِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَنَقَلَهُ إِلَى دَارِ
أُخْرَى، وَأَخَذَ جَعْفَرَ الْحَاجِبَ وَطَيْبَ وَأَبَا يَعْقُوبَ الْقَهْرَمَانَ، فَرَمَى
بِهِمْ فِي السَّجْنِ وَنَالَهُمْ بِالْأَذَى وَالضَّرْبِ. وَحَمَى اللَّهُ مِنْهُ الْمَهْدِيَّ
(عَم) وَوَلَدَهُ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ إِلَيْهِمَا غَيْرُ أَنْ تَوَاعَدَهُمَا وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا.
وَأَمَّا جَعْفَرُ الْحَاجِبِ وَأَصْحَابُهُ فَإِنَّهُمْ لَقُوا الشَّدَّةَ وَالْأَذَى حَتَّى قَالَ
جَعْفَرُ الْحَاجِبِ: لَقَدْ اسْتَدْعَيْتُ السَّجَانَ [وطلبت] مَاءً لِأَشْرَبَهُ فَكَانَ
جَوَابُهُ أَنْ رَمَى فَمِي بِفَهْرٍ⁽¹⁵⁾ كَسَرَ بِهِ أَسْنَانِي وَسَقَانِي دَمِي وَضَرَبَ
الْقَصَبَ تَحْتَ أَظْفَارِي.

وَحِينَ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بِرَقَّادِهِ، وَهَيَّا فِيهَا مَا أَرَادَهُ، لَمْ
يَكُنْ لَهُ هَمٌّ وَلَا شُغْلٌ إِلَّا الْخُرُوجُ إِلَى سَجْلَمَاسَةَ لِاسْتِنْقَازِ الْإِمَامِ
(عَم) مِنْ أَضْدَادِهِ (ط 98) وَتَخْلِيصِهِ مِنْ أَهْلِ عُنَادِهِ. فَاسْتَخْلَفَ عَلَى إِفْرِيقِيَّةٍ
أَبَا زَاكِي تَمَّامُ بْنُ مَعَارِكٍ وَتَرَكَ مَعَهُ أَخَاهُ أَبَا الْعَبَّاسِ مُحَمَّدَ بْنَ زَكْرِيَا.
وَخَرَجَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مِنْ إِفْرِيقِيَّةٍ يَرِيدُ / إِلَى سَجْلَمَاسَةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ
مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَمَعَهُ كِتَامَةٌ وَأَهْلُ الْحَرْبِ مِنْ رِجَالِ
إِفْرِيقِيَّةٍ وَأَبْطَالِهَا. وَأَبْقَى مَعَ أَبِي زَاكِي رَوَابِطَ فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ،
وَأَخَذَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَادَّةَ (ر 72 ب) وَلَمْ يَعْدِلْ إِلَى بَلَدٍ كِتَامَةٍ. وَاهْتَرَّ أَهْلُ
الْمَغْرِبِ لَخُرُوجِهِ وَمَالَتْ الْقَبَائِلُ عَنْ طَرِيقِهِ، وَخَافَتْ زَنَاتُهُ أَنْ يَوْقَعَ
بِهَا، وَكَانَ قَدْ تَوَعَّدَهُمْ لِقَتْلِهِمُ الرِّسْلَ الَّذِينَ قَدَّمْنَا ذِكْرَهُمْ حِينَ رَجَعُوا
إِلَيْهِ مِنَ الْمَهْدِيِّ (عَم). وَلَقِيَهُ مُحَمَّدُ بْنُ خَزَرٍ وَهُوَ يَوْمئِذٍ زَعِيمُ زَنَاتَةِ
وَالْبَرَبْرِ وَسَأَلَ الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُ وَقَوْمَهُ بَعْدَ أَنْ اسْتَخْلَفَهُ *

133

خروج أبي عبد الله
إلى سجلماسة...

دش 19

قال أبو عبد الله بن الأسود بن الهيثم⁽¹⁶⁾ رحمة الله عليه :

(15) الفهر (الهاون أو المهراس): قضيب من الأحجار تطحن به الأبرار.

(16) هنا تبدأ النصوص التي انتقاها فرحات الدشراوي من السبع الحامس فنشرها =

.. تاركاً أبا
العبّاس وأبا زكي
على إفريقية.

«ولمّا سار أبو عبد الله بلغنا شوانج كثيرة على العسكر الذين معه، وكثر خوض الخائضين من أجله. فلما كانت ليلة الفطر دخل أبو زكي وسهل بن بركاس⁽¹⁷⁾ وابن القديم⁽¹⁸⁾ إلى أبي العبّاس أخي أبي عبد الله فسألوه أن يقعد للناس يوم العيد ويدخلون إليه. فكره ذلك وآمنع منه. فقالوا: «قعودك ممّا يجدّد الدولة وينفي

= تحت عنوان «تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب». ونشير إلى صفحات هذه الطبعة بعلامة «دش» متبوعة برقم الصفحة في الطرّة.

وأبو عبد الله بن الأسود، حسب ما سيذكره المؤلف من مناقبه بعد قليل (ص 147) هو أحد أصحاب أبي عبد الله الذين وصلوا إلى مرتبة الدعاة. سماه الدشراوي (ص 19 وهامش 1 في آخر الكتاب): جعفر بن محمد بن الأسود بن الهيثم وقال: ملّوسي كتامي ولي قضاء رقادة للمهدي، وأحال إلى طبقات أبي العرب ويان ابن عذاري. ولكننا لم نجد هذه المعلومات في الإحاليين. ولعله خلط بينه وبين أفلح بن هارون الملوسي الذي سيوليه المهدي قضاء المهدي ورقادة حسب قول إدريس الآتي ص 193، أو قضاء رقادة فقط حسب أبي العرب، 241 وابن عذاري، 159 (والصفحات هي نفسها التي أحال عليها). واسم هذا الداعي في ثبت بوناوالا، 34: جعفر بن محمد بن الأسود، وإليه ينسب كتاب «المناظرات في الإمامة».

وبضيف أنّ الشاعر القيروانيّ أبا القاسم القراريّ، في إحدى أهاجيه للعبيديّين، يلدّ بشخص يدعى «ابن أسود» فأتهم الفاطميّين بتفضيله على الشيخين: (رياض النفوس، 494/2).

واستبدلوا بهما ابن أسود نابجا وأسا عمارة واللعين تميما وذكر المالكيّ داراً في سباط القيروان تعرف بدار ابن أسود الداعي (رياض، 488/1).

هذا وقد مرّ بنا داع بالشام يدعى أبا الحسن بن الأسود (ص 122).

(17) سهل بن بركاس: أحد أتباع أبي عبد الله أيضاً. كان قد كلّفه باستدراج صهره فحل بن نوح رئيس لطاية حتى يفصله عن جبهة المتآمرين ضدّ الدعوة (الافتتاح، 112/103 والطالبي، 614).

(18) ابن القديم: أبو القاسم عبد الله بن محمد: هو أحد أصحاب زيادة الله في هجرته إلى الشرق وكان رسوله إلى حاكم مصر، وقّمه على أمواله ثم انقطع عنه (افتتاح 264 - 267). ويبدو أنّه رجع إلى إفريقية حيث أوكل إليه المهدي «النظر في جميع الدواوين والأعمال». غير أنّه انضم إلى مؤامرة أبي العبّاس ضدّ المهدي فقتل (انظر ص 167).

الشناعات، فَإِنَّهُ قَدْ شَنَّعَ عَلَى الْعَسْكَرِ بِأَخْبَارِ سَمِجَةِ كَرِهِنَا أَنْ نَخْبِرَكَ بِهَا، وَقَعُودِكَ لِلنَّاسِ يُبْطِلُهَا». فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَأَمَرَ بِإِصْلَاحِ الْأَطْعِمَةِ وَشِرَاءِ الْغَنَمِ، فَلَمَّا صَلَّى / النَّاسُ انصَرَفُوا إِلَيْهِ وَدَخَلُوا مُسْلِمِينَ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ لَهُمْ بِالطَّعَامِ فَأَطْعَمُوا، وَوَعَظَهُمْ وَأَسْمَعَهُمْ وَوَعَدَهُمْ بِكُلِّ فَائِدَةٍ مِنْ عَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَانصَرَفَ النَّاسُ عَنْهُ حَامِدِينَ شَاكِرِينَ عَلَى مَا وَهَبَ لَهُمْ وَجَدَّه * فِيهِمْ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ.

134

دش 20

ثُمَّ انْتَصَبَ لِلدَّعْوَةِ وَسَارَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَشَدَّ شَكِيمَتَهُ الْمُرُوزِي الَّذِي أَقَامَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لِلْقَضَاءِ، وَأَمَرَهُ بِإِظْهَارِ قَوْلِ آلِ مُحَمَّدٍ (ﷺ)، وَأَنْ لَا يَظْهَرُ أَحَدٌ مِنْ كُتُبِ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ شَيْئاً وَقَالَ: اجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ تَسْعِدُوا وَتَفْلَحُوا وَيَعْلُ أَمْرُكُمْ عَلَى غَيْرِكُمْ فَسَارَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَأَجَابُوا دَعْوَتَهُ.

وَلَمَّا قَرَّبَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مِنْ سَجْلَمَاسَةَ وَانْتَهَى خَبْرُهُ إِلَى الْيَسْعِ ابْنِ مَدْرَارٍ صَاحِبِ أَمْرِهَا أَنَّهُ إِلَيْهِ قَصْدٌ، أَرْسَلَ إِلَى الْمَهْدِيِّ بِاللَّهِ (عَم) يَسْأَلُهُ عَنْ نَسَبِهِ وَحَالِهِ وَهَلْ قَصْدٌ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِلَيْهِ، فَأَظْهَرَ لَهُ نَسَبَهُ إِذْ لَمْ يَسْعَهُ أَنْ يَكْتُمَهُ وَقَالَ فِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ: «مَا وَاللَّهِ أَعْرِفُهُ - وَكَذَلِكَ كَانَ أَمْرُهُ: لَمْ يَكُنِ الْإِمَامُ رَأَاهُ - أَنَا رَجُلٌ تَاجِرٌ، وَمَا أَنَا مِنْ هَذَا فِي شَيْءٍ»، وَكَذَلِكَ أَنَّهُ اتَّقَاهُ وَخَافَهُ عَلَى نَفْسِهِ فَحَمَاهُ اللَّهُ وَرَفَعَ عَنْهُ أَيْدَهُ⁽¹⁹⁾ وَوَقَاهُ كَيْدَهُ. وَأَرْسَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ / إِلَى الْيَسْعِ بْنِ مَدْرَارٍ يَعْرِفُهُ خَبَرَ قَدُومِهِ وَيَسْكُنُ ذَعْرَهُ وَيَعْلَمُهُ أَنْ قَصْدٌ مَوْلَانَا الْإِمَامُ إِلَى بَلَدِهِ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ (تَع)، إِنْ عَرَفَ قَدْرَهَا وَأَدَّى إِلَى اللَّهِ شُكْرَهَا، نَجَا وَسَعَدَ وَاسْلَمَ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَأَهْلِهِ وَحَالِهِ، وَجَمِيعُ مَنْ فِي بَلَدِهِ. وَإِنْ جَهِلَ ذَلِكَ. فَحُظُّهُ أَخْطَأُ، وَازْدَادَ مِنَ اللَّهِ (تَع) بَعْدًا

135

أبو عبد الله يحاول
تخليص المهدي
بدون قتال

(19) الأيد: القوّة والداهيّة والشّدّة.

واستحقّ منه سخطاً. ووجّه أيضاً أبو عبد الله إلى اليسع خادماً له يسمّى شفيعاً⁽²⁰⁾ يعرفه أنه إن أخرج إليه أمير المؤمنين، صرف عنه الجيوش وعن مدينته، وأعطاه ممّا يرجوه غاية منيته. فامتنع ابن مدرار وقتل شفيعاً الخادم وأصحابه. وبلغ ذلك أبا عبد الله فأرسل إليه رُسلًا أخر، منهم محمد بن حيّ الشكري ويعلى بن باطيط الرّماني (ر73ب) وخوفه وعرفه أنّه إن عصا وتمادى في بغيه وأمعن في غيه، أوقع به. فامتنع ابن مدرار وعمد إلى الرسل فحبسهم وكبّلهم، وزاد في الحرس⁽²¹⁾ الموكّلين بدار المهدي، وعذّب المأسورين معه من أصحاب الإمام، فاستعان أبو عبد الله بالله سبحانه وعبّاً عساكره ودنا من المدينة فخرج إليه اليسع بن مدرار فوقع بينهم القتال ساعة وقتل من أصحاب ابن مدرار جماعة، واقتحم عليهم/ العسكر ودخلوا معهم إلى مدينتهم. وكان ذلك قرب المساء فخالط الظلام، ورجع عسكر أبي عبد الله حيث كان. فلما جنّ الليل هرب اليسع بن مدرار في بني عمّه وأهل بيته. ويات أبو عبد الله ومن معه طول تلك الليلة في غمّ عظيم وهمّ أليم لا يعلمون ما صنّع بوليّ الله (عم). ولم يمكنهم دخول المدينة في الليل، ولم يعلموا بهرب اليسع حتى أصبحوا. فخرج إليهم وجوه أهل البلد فأعلموهم بذلك ودلّوهم على مكان المهديّ بالله (صلع) فاستخرجوه (ط 100).

136

هروب اليسع
المدراري...

.. وظهور المهدي
وأصحابه

وظهر أمير المؤمنين المهدي بالله وولّده القائم محمد بن عبد الله إلى أوليائهما وشيعتهما فسروا سروراً عظيماً استفزّهم وكادت

(20) شفيع هذا، الذي قتله المدراري، غير شفيع الخادم، أحد قوّاد المنصور في حربه ضدّ أبي يزيد. أمّا المرسلون الآخرون: محمد بن حيّ الشكريّ ويعلى بن باطيط - والقراءة ظنية - فلا ذكر لهما في السيرة ولا في الافتتاح.

(21) ابن عداري، 153: «وكانا محبوسين في غرفة عند مريم بنت مدرار». وانظر ترجمة السيرة ص 307 هامش 3، في خصوص حراسة النساء للمساجين السياسيين.

له أن تطيش عقولهم. وقُرب لهما (صلح) فرسان فركباهما، وحفّ المؤمنون بهما، والدعاة يمشون حولهما، وأبو عبد الله يمشي بين أيديهما (ر 74 أ) ويقول [مشيراً إلى] المهديّ (عم): «هذا مولاي ومولاكم أيها المؤمنون»، ويحمد الله ويشكره ويبكي لشدة الفرح. وضرب أبو عبد الله للمهديّ بالله (ص) مضرباً فجلس فيه. ولما اجتمع بولده القائم بـ[أمر] الله لم يكن له همّ غير غلمانه الذين كانوا في حبس اليسع فتقدّم إلى أبي عبد الله أن لا ينزل عن فرسه حتى يصلوا إليه فأمر أبو عبد الله بطلبهم. وكانوا قد خرجوا من السجن حين هرب اليسع بن مدرار، واشتغل الناس بالسلام على الإمام المهديّ بالله (عم). وطلبوهم حتى وجدوهم في الدار التي كان فيها الإمام. قال [جعفر] الحاجب: «فلما رأنا أبو عبد الله، نزل عن فرسه ونزلنا إليه فعانقنا واحداً واحداً. فأما أنا فأقسم عليّ برأس مولانا أن أمكنه ممّا يريد مني. ففعلت، فكشف عن ظهري وقبّل الجراح التي فيه من أثر الضرب، وأخذ يديّ جميعاً وقبّل أظفاري وعينيّ جميعاً. وقبّل ظهر طيّب [الحاضن]، ولم يقبّل من أبي يعقوب شيئاً. ومشى معنا إلى مضرب الإمام ونحن معه، فإذا القائم (عم) على باب المضرب قادماً ينتظرنا وكأنّه القمر الطالع. فلما رأنا استبشر بنا وضحك إلينا، ودخل معنا إلى أمير المؤمنين المهديّ بالله (عم) فوجدناه جالساً على سريره في وسط المضرب كأنّه الشمس المنيرة، فقبّل الأرض، ونحن نبكي وهو يضحك ويسجد لله سبحانه ويحمده ويشكره ويمجّده. ثم قال لصنّدل: «هات الحلّتين اللتين عزلتُهما في التخت الفلاني»، فأتاه بهما، فلبس واحدة وكسا القائم (عم) الأخرى. ثم قال: «هات (ر 74 ب) السيوف والثياب التي عزلتها في التخت الفلاني لهؤلاء». قال جعفر: «فبدأ بداعيه أبي عبد الله فكساه بيده وعمّمه وقلّده سيفاً. ثم دعاني فخلع عليّ ثوباً تحته ثوب ديبقي، وعمامة وسراويل وخفّاً

فرح الأولياء برؤية
المهديّ

وقلّديني سيفاً. وفعل بطيّب وأبي يعقوب كذلك وقلّدهم بالسيوف. (قال جعفر): وكان قد أعدّ ذلك من أوّل ما خرجنا من سلميّة. ثم تقدّم إلى أبي عبد الله فضرب⁽²²⁾ له مضرباً واسعاً وفرش فيه فرشاً نفيساً. وتقدّم إليه بأن يقدّم الناس إليه بالغداة يسلمون عليه، على مراتبهم. فقال أبو عبد الله: «القوم يا مولانا، فيهم جفاء، وهم متشوّقون إلى النظر إلى مولانا (عم)، فيأمر من يراه من عبده هؤلاء يقف على باب المضرب، وأقف أنا للناس وأقدّمهم عشرة عشرة، فإذا فرغت من الدعاة منهم والقواد قدّمتُ مَنْ دونهم خمسين خمسين، ثم مائة مائة، ثم خمسمائة خمسمائة، ثم أجزتُ باقي العسكر بين يدي مولانا مواكب حتى أعمّمهم بالنظر إلى وجه مولانا عليه السلام وأستكمل سلامهم عليه. فقال الإمام (عم): «هذا صاحبك الذي طلبت»، وأشار إليّ. (قال جعفر)، «فلما أصبحنا جلس أمير المؤمنين (عم) على سرير قد جعل له في المضرب، وكأنّ الشمس قد طلعت من بين عينيه، ووقف القائم بالله عند يمينه متقلداً سيفاً ملتصقاً بالسرير كاليد عند تمامه، ووقف أصحاب الإمام (عم) دونه، وبشرى وصندل عن يمين السرير بيديهما مذبتان، وهما يذبان على رأس المهديّ بالله (ر 75 أ)، وأنا على باب المضرب قائم على سيفي، وأبو عبد الله بينه وبين المضرب قدر مائتي خطوة، وهو يدعو بأسماء الدعاة والقواد ويقدمهم، إذا اجتمعت له منهم عشرة قدّمهم إليّ عشرة عشرة ويقول لهم: «امشوا برفق حتى تصلوا إلى ذلك الحاجب القائم بباب (ط 102) المضرب» (قال جعفر رحمه الله عليه): ومن ذلك اليوم كنتُ الحاجب. فكنت أقدمهم عشرة عشرة يسلمون ويدعون فيبارك عليهم، ويشكر لهم سعيهم ويعرفهم ما أعدّ الله لهم من جزيل الثواب في عاجل الدنيا وآجل

مراسم المبايعه كما
ضبطها أبو عبد الله

139
أصل تسمية جعفر
ابن علي بجعفر
الحاجب

(22) حذف مخّل. في السيرة، 130: تقدّم إليه بأن يضرب لنا وله مضرباً ففعل.

الآخرة. (قال جعفر:) فما زلنا على هذا يومنا أجمع. ثم أقام بعد ذلك يجلس لهم والعساكر تمرّ بين يديه قبائل وأفخاذاً إلى أن فرغت العساكر، ثلاثة أيام.

وقد كان الإمام (عم) أمر أبا عبد الله أن يأمر عسكرياً فيتبع اليسع فأمرهم فمضوا في أثره حتى أخذوه. ووجدوه في بلاد السودان فأتوا به وبأصحابه أسرى إلى أمير المؤمنين (صلع)، وسأل القائم بأمر الله المهديّ بالله، عليهما السلام، أن يهب له اليسع ففعل، وعفا عنه وحمل مع العساكر المنصورة، فلم يأكل، ولم⁽²³⁾ يشرب ولم يكلم أحداً حتى مات. وأقام المهديّ (عم) بسجلماسة أربعين يوماً.

الظفر بالمدراري
وهلاكه

140

ثم نهض الإمام (عم) بالعساكر يريد إفريقية. وكانت أخبار أبي عبد الله قد انقطعت عن إفريقية وأرجفوا به وكثرت الأشايع. فلم يكن أوشك من قدوم البريد بفتح سجلماسة، وما كان من أمر أمير المؤمنين المهديّ بالله وظهوره وكتاب من أبي عبد الله، وفصّ الكتاب:

«بأسم الله الرحمان الرحيم. أما بعد فالحمد لله الهادي إلى توحيده (ط103) بآثار صنعته، والداعي إلى معرفته (ر75ب) ببراهين حجّته، الذي سبقت مشيئته وجرت حكمته بإعزاز أوليائه الذين نصرّوا دينه وقاموا بحقه، وإذلاً لأعدائه الذين عتدوا عليه وكفروا نعمته، ولم ينتصب لأوليائه ناصب إلا كان طاعناً في الدين الذي نصرّوه، وعدواً للحق الذي أقاموه، لأنهم يقدّمون الحجّة أمام سيوفهم، والدعاء قبل مناجرتهم، والأناة دون مقاتلتهم، ثقةً منهم بأنّ المحجّوج من فارق

(23) في الأصل. ولا يشرب ولا يكلم

سبيلهم ، والمضلول⁽²⁴⁾ من خرج من جماعتهم . فالأناة تظهر
 141 حقهم وتكشف باطل أعدائهم . فمن عادَ إلى الحق تلقوا بالقبول
 إنابته ، ومن أصرَّ على باطله ناجزوه بعد إقامة الحجة عليه . ولم
 يجعل الله (عج) لمُصِرِّ إقالته ، ولا لمُعاندٍ مقيم على الذنب توبةً ،
 بل يُحِلُّ بأسه ونقمته به ، ﴿ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ (النساء ،
 84) .

رسالة أبي عبد الله
 الداعي إلى أهل
 إفريقية . . .

«وقد كنتُ قصدتُ سجلماسة على بعد شقتها وانتزاح مزارها
 لأقضي حقَّ الله جلَّ ذكره، وأؤدِّيَ فريضةً من فرائضه، وأظهر حجةً
 من حُججه في أرضه، وأستنقذ ابنَ رسول الله (صلع) من بين أوباش
 وطغام، طلباً لرضوانه والزلفى لديه . فلما دنوتُ منها قدَّمتُ الأمان
 إلى اليسع بن مدرار كعادتي في البلدان، ونويتُ أخذ حاجتي منه،
 والانصراف عنها من غير أن أهيج فتنة وأثير غباراً . فكتبت إليه كتاب
 الأخ إلى أخيه أستعطفه وأؤمِّنه وأدعوه (ر76أ) إلى عقد الإخاء بيني وبينه في
 إخراج ابن رسول الله، رغبة في الإبقاء عليه وعلى مؤازرته، وحفظاً
 لما ضيَّعه . فمنع جانبه، وقطَّب حاجبه، فأظهر الأنفة من دخول
 142 رُسلي إليه وأمر بقتلهم خلافاً لسنة رسول الله (ﷺ) وما جرت به
 العادات في جميع الملل من ترك التعرُّض بالمكر للرسول . ثمَّ
 استظهرتُ الحجة عليه (ط104) وأعدتُ رسلاً إليه طمعاً في إجابته ورجوعه
 إلى ما هو أسلم إليه وأعوذُ له . فاعتقل الرسل في المطابق وثقلهم
 بالحديد وحبس ابن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، في أضيق
 المحابس، ووكل به الحرس [ومنع]⁽²⁵⁾ من إدخال الطعام عليه،
 فبقي - بأبي وأمي هو! - في المحابس أياماً يواصل الصيام لعدم

.. بفتح
 سجلماسة . .

(24) صلَّ لا يتعدى، فالأوفق أن يقول: الضالَّ.

(25) زيادة من «ر» .

الطعام. ثم استصغر فعل نفسه في حبسه إياه في ذلك الحبس، فنقله إلى أضيّق منه وتواعده بالقتل، طلباً منه لدحول⁽²⁶⁾ رسول الله. فبعثت إليه أعدّه بالإحسان والإمساك عن الحرب، والانصراف عنه من غير أن أشرب من ماء مدينته، فكلما ازددت إلحاحاً في طلبه زاد لجاجاً في الامتناع، عتوّاً على الله وإصراراً على الكبائر واستكباراً، وجهلاً وخساراً ف﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج، 11).

«فلما رأيت ما عزم عليه الخائب من محاربتة الله في ولد رسول الله، وأمل فيه أملاً كاذباً، والله فيه وعد صادق، وظن ظناً كاذباً، والله فيه قضاء نافذ، وأبى إلا التسكّع في جهالته⁽²⁷⁾ والتوسّع في ضلالته، وأثر إطلاق الحرب من عقلها، وإثارة غبارها، هزرت⁽²⁸⁾ / [إليه] أنصار الحق وحملتهم على مناجزته، فوجدت ثباتهم بالله مستحكمة وبصائرهم نافذة في محاربتة، فدفقت (ر76ب) بهم إليه مستنجزاً ما وعد الله أوليائه في أعدائه. وجالت الخيل جولة، وعادت [كرة] بعد كرة عليهم، طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف ورشقاً بالسهام. فلما مسّ الفسقة أليم القتل والجراح وأدارت الحرب عليهم رحاها، وعلموا أن ليس لهم من الله عاصم، ولا من أوليائه موئل، ولّوا منهزمين على أعقابهم. وأخرج الفاسق الخائن راغماً ما كنت طلبت منه راغباً، وحجز الظلام بيننا وبينهم. ثم عاودهم أنصار الحق من غدهم وأخرجوهم، وتحكّم الأولياء في مدينتهم، وأضرموا نار الحرب فيها وجاسوا ديارها. واتخذ الخائن الليل سجفاً فهرب تحت ظلماته على وجهه إلى بلد السودان لا يلوي على أهل ولا

143

. وهروب
اليسع.

(26) الدحل الحقد والعداوة

(27) في هـ. التسكّع إلى الحيرة في جهالته

(28) في الجميع. فهزرت، وجعلناها حواناً

مال . فمنعت (ط 105) حرمة وصنتها وأسدت ستر العافية عليها احتساباً
بالثواب لله . ثم قفوت أثر الخائب في طلبه عشرة أيام حتى أمكن
الله منه بلا عقد ولا عهد، فأتيت به في وثاق إلى ولي الله (صلع)
ليكون عظة لأهل الشقاق وعبرة للعالمين .

144 «والحمد لله المعز لدينه، المكرم لأهل حقه، الذي وصل
أسباب/ السعادة بطاعته، وجعل عاجل الفتح والظفر، وآجل الثواب
والفوز لأوليائه، إن جادلوا كانت الحجة لهم، وإن حاربوا كان
النصر معهم، حمداً قاضياً لحقه، موجباً لمزيده .

.. وقدم المهدي
القريب «وأمر المؤمنين ولي الله، وابن رسوله على أفضل ما جرت
عادة الله الجميلة عنده في نفسه وولده وأنصار دولته، وهو قادم على
بركة الله وسعادته ونصره وتأيدته والسلام» .

فلما وصل كتاب أبي عبد الله هذا إلى أبي زكي وقرأه، أمر
به (ر 77 أ) أن يقرأ على المنبر، فقرأ، وسر الأولياء سروراً عظيماً وأبطل
الله شناعات المشنعين، وكذب قول المرجفين . وسارت بذلك
الأخبار في البلدان بظهور المهدي بالله (عم) فسر به الولي وكبت
العدو واستبشرت له عامة الناس، وانتظروا قدومه وتطلعت إليه
أعينهم وتشوقت إليه قلوبهم .

وقد كان وصل إلى أمير المؤمنين المهدي بالله (عم) أهل
درعة والسوس الأقصى⁽²⁹⁾ ومن الأطراف، وهو بسجل ماسة أيام

(29) درعة والسوس نهران في جنوب المغرب الأقصى ينصبان في المحيط الأطلسي .
وأيضاً مقاطعتان عامرتان بالسكان، درعة جنوب جبال الأطلس إلى الحدود
الصحراوية، والسوس الأقصى على سواحل المحيط جنوب أغادير الحالية .

مُقامه فيها يهتُّونه بالفتح ويسلمون عليه. وأقام رجلاً يقال له إبراهيم بن الغالب عاملاً في سجلماسة⁽³⁰⁾.

مسير المهدي إلى
إفريقية...

145

ورحل عليه السلام يريد إفريقية يوم الاثنين لثمان بقين من المحرم سنة سبع وتسعين ومائتين. ونظر بعض المنجمين أوان مسير أمير المؤمنين، والطلع القوس، والشمس في الميزان، والمشتري راجع في الحمل، والمريخ في السنبلة، والزهرة في العقرب، وعطارد في العقرب، والرأس في الجدي تسع وعشرون درجة. فقال المنجم للإمام (عم) وقد ركب في هذا الطالع: «يا مولانا لو أخرت المسير لرجوع صاحب الطالع وقوة المريخ؟».

فقال (صلع): «المسير على اسم الله (عج) ونصره، والمريخ والدولة لنا». وسار ولم يعج على قول المنجم (ط 106).

وكان أحمد بن خزر الزناتي⁽³¹⁾ قد وصل إلى تاهرت واختطف .. وتوقفه بتاهرت... منها ما قدر عليه وولى هارباً. وعلم ذلك أمير المؤمنين حين وصوله إلى تاهرت. فأنفذ إليه بعض الأولياء فولى منهزماً، وأدركوا من أدركوا من أهل بيته وغنموا أموالهم.

ورحل (صلع) من تاهرت بجنوده وأنصاره (77ب) وأوليائه حتى نزل بتامقلت فأمر بإخراج الجيوش إلى سديده⁽³²⁾ فخرجوا إليهم وهم في

.. ثم بإيكجان
حيث يقبض
الأموال المخزونة
عند كتامة

(30) عند ابن عذاري، 154/1 و 157: «إبراهيم بن غالب المزاتي، وخلف المهدي معه ألفي - أو خمسمائة - فارس كتامي». فوثب عليه أهلها فقتلوه، فكانت مدته خمسين يوماً. وانظر رسالة الدشرابي: الخلافة الفاطمية، 124.

(31) عند ابن عذاري، 155/1: «محمد بن خزر بن صيلات الزناتي، ثار على دواس بن صولات عامل الشيعي تاهرت سنة 297، ودفع أهل تاهرت محمد بن خزر وحاربوه حتى قتلوه». غير أن صاحب البيان يذكره من جديد (165/1) تحت حوادث سنة 299: «واستدعى أهل تيهرت محمد بن خزر فقدم عليهم وأدخلوه البلد...». ولا ذكر لأحمد بن خزر في كتب التاريخ.

(32) لا نعرف موقع «تامقلت». وذكر ابن عذاري، 193 «تامقلت» بجهة تاهرت، =

أوعار منيعة وجبال رفيعة، فدخل الأولياء عليهم، ووضعوا السيف فيهم فقتلوا أقبح قتل.

ورحل الإمام (عم) من تامقلت فتزل بمكاتيت⁽³³⁾. وحين صار بإزاء بلد كتامة مال إليها ووصل إلى إيكجان، وأمر بإحضار الأموال التي كانت بأيدي الدعاة والمشايخ، وكانوا قد دفنوها هنالك فأحضرها إليه، فأمر بقبضها منهم وشدها أحمالاً. وكان ذلك أول ما خامر القلوب لما قد ألقوه وعُودوه من كون الأمر والنهي، والتقديم والتأخير في أيديهم. وقد جاء ﴿الْحَقُّ وَيَبْطُلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف، 118).

ولما وصل ولي الله إلى إيكجان أمر أبا عبد الله أن يكتب كتاباً إلى أبي زاكي يعرفه فيه بوصوله. فكتب أبو عبد الله كتاباً وأنفذ به، فلما وصل قرىء على المنبر برقادة. وكانت نسخته:

«باسم الله الرحمان الرحيم. أما بعد، فالحمد لله ناصر دينه ومُعزّ وليّه، الذي أظهر دينه على سائر الأديان، وولّيه على من ناصبه من أهل الظلم والعدوان. وكتابي هذا إليك من إيكجان، دار الهجرة ومستقرّ الإيمان. وقد وصل مولانا وسيدنا المهدي بالله صلوات الله عليه وآله وولده، بلغ الله به أفضل آماله إليه في جميع أوليائه الذين كانوا معه من المؤمنين، أحسن وصول وأهنأه، وأسرّه وأرضاه، فأضاءت لقدمه دار الهجرة، وسرّ المؤمنون والمؤمنات

رسالة الداعي إلى
أبي زاكي
بالقيروان..

= في حملة المهديّ سنة 297 وهو ذاهب إلى إفريقية
ولا نعرف كذلك سديدة. ولعلّها محرفة عن «المديّة» الواقعة شرقيّ
تاهرت. وقد قرأها الدشراوي، هامش 22: صدينة، اسم قبيلة بربريّة.
(33) لم نهتد كذلك إلى تحديد مكاتيت، واكتفى الدشراوي، هامش 23، بجعلها بين
تاهرت وبلاد كتامة مثل أختها السالفة تامقلت.
(34) هنا يبدأ سقط طويل في نسخة «ر».

الذين خلّفهم العُذر عن الجهاد، ومن كُنّا أقمناه لضبط المكان، به، وأقبلوا من كلّ حذب ينسلّون إليه، ومن كلّ أفق يسعون نحوه. يتباركون بالنظر إليه ويستشفون برؤيته، ويحمدون الله (تع) على أن بلّغهم إنجاز وعدّه، وظهور أمره. وبادروا بأمانات الله التي كانت في أيديهم وخرجوا من حقوق الله عليهم، ووضعت الحرب بحمد الله أوزارها، وأطفأ الله نارها وأهلك الله من أثارها، وفرّق الله أنصارها. وأمير المؤمنين على النهوض إلى إفريقية، ويقدر بتقدير الله وتوفيقه، وعونه وتيسيره، أن يكون وصوله يوم الخميس لعشر بقرين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين. فاعلم ذلك وكن على أهبة منه ومن قبلك وأحمدوا الله على ما أولاكم من ذلك، وأن فسح لكم في آجالكم إلى أن بلغتموه، وأرغبوا إليه في تمام ذلك بالنظر إلى مولاكم ورضاه عنكم، والسلام».

147

... يدعو إلى
التأهب لاستقبال
المهدي

فلما وصل الكتاب بذلك قرى وانتشر الخبر به، فتضاعف سُرور الأولياء، وانقطعت الشناعات، وذهبت الأراجيف. واستعدّ النَّاسُ وتأهبوا للقاءه وتاقت نفوسهم واستشرفت إليه. وكان مقام الإمام (عم) في إيكجان عشرين يوماً حتى أصلح من أمور البلد ما أَرادَه واستعمل يحيى بن سليمان الملوّسي على الزاب. وأمر كثيراً من المؤمنين برفع عيالاتهم إلى رقادة.

وسار (صلح) فتلّقه الناس، وخرج للقاءه أبو زكي تمام بن معارك وأبو العباس وجميع الأولياء وأهل القيروان في جموع لا تُحصى عدداً يسلمون عليه ويهتّونَه.

قال أبو عبد الله بن الأسود بن الهيثم⁽³⁵⁾ * - وكان مقيماً مع

دش 20

(35) يستأنف الدشراوي هنا مقتطفاته من السبع الخامس. لهذا، وقد مرّ بنا تعريف بابن أسود الداعي (ص 133).

أبي العباس بعد خروج أبي عبد الله، وهو ممّن دعاه أبو عبد الله/ فاستجاب له، وكان من أهل بيت تشييع وفيه فضل وله عقل وبحث وبيان، ونظر في الفقه، وكان قد أخذ كثيراً من ظاهر علم الأئمة وباطنه عن أبي عبد الله، وأقام مع أبي العباس بعد مسير أبي عبد الله فاستفاد من علمه. وكان من أهل الفضل وبلغ مع الأئمة عليهم السلام مبلغ الدعاة - قال فيما أتى عنه:

«وورد كتاب أبي عبد الله إلى أخيه أبي العباس وإلى أبي زاكي بوصول مولانا (عم) إلى إيكجان، موضع الدين ومعدن الإيمان، فجهّزوا للخروج إليه فانطلق الإصباح وظهر الفجر وجاء النهار وذهب الليل، وابتهجت النفوس وأنارت القلوب لورود خبره. فيا لها فرحة لا تُنسى، وضياء لا يُطفأ، ونوراً لا يخفى! * ذلك (ط 108) الذي لم يخف فضله! وجاء الحقّ وزهق الباطل⁽³⁶⁾، وغارت النجوم، وظهر أمر الحيّ القيّوم.

«فخرج أبو العباس وخرجنا معه فلقي الإمام (عم) بفتح سببية. فلا أنسى طلعت السعيدة وبهجة نوره وضياء وجهه، وعلوّ قدره، وكمال خلقه، وبهاءه في فخره. فلو قلت: إنّ الأنوار المضئية خلقت من فضل نوره، لقلتُ حقاً وبقيناً، وصدقاً مبيناً. فنزل أبو العباس إليه⁽³⁷⁾ وقبّل الأرض وتمعّك بين يديه، ونزل إليه أخوه أبو عبد الله وجميعُ الأولياء من كتامة وغيرهم من أتباعهم، ولم يبق راكباً إلّا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، الشمس المنيرة،/ ومولانا أبو القاسم، القمر الزاهر، والنور الباهر. فهما (عم) نور الدنيا. ومولانا أبو القاسم خلف أمير المؤمنين. فسلم أبو عبد الله على أخيه، وقرّني أبو عبد الله إلى مولانا (عم) وقال: يا مولانا، هذا

(36) تضمنين للآية 81 من سورة الإسراء

(37) هنا ينتهي السقط من نسخة (ر).

الذي عرفتكَ بخبره بسجلماسة. وتكلم أبو العباس وشكر وأثنى.
(قال): فلا أنسى قول مولانا (ص): «أحسن الله إليك، وبارك لنا
فيك، وشكر سعيك. أنتم شيعتنا حقاً، وأهل ولايتنا، ومن أحبنا
قديماً».

«ثم ركب الناس وحرك أمير المؤمنين دابته للمسير، وقرب أبا
العباس إلى نفسه وأمرني بمساييرته فأشرقت الأرض بنوره * وشرفت
الدنيا بحلوله، وفضل المغرب بكونه فيه وملكه إياه».

دش 22

وكان دخول مولانا أمير (ر 78 أ) المؤمنين المهديّ بالله (صلح)
مدينة رقادة من الباب القبلي لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر
سنة سبع وتسعين ومائتين. فنزل القصر المعروف بأبي الفتح⁽³⁸⁾،
فاستقرّ الملك على ساق، وظهر نور الله في الآفاق، وقرّ الأمر في
قراره، وقضى الله لدينه نصر أنصاره، وزال ظلم أهل العدوان،
وارتفعت راية الإسلام والإيمان، وطلعت الشمس من مغربها
وظهرت على رأس الثلاثمائة / كما وعد النبي (ﷺ) بها (ط 109) وزالت
الظلمة التي شملت الأمة بغيب النبي والوصي، وخفت كلّ مارد وعصي،
وأقبل الدين بوجهه الرضي، وأشرقت الآفاق بنوره الوضي، وعاد
زمن الإسلام جديداً، وأرغم الله من كان لأوليائه عنيداً.

دخول المهديّ إلى
رقادة (18 ربيع
297/2 - 4 جانفي
910).

150

ولما كان يوم الجمعة من غد يوم وصول أمير المؤمنين إلى
دار مملكته، وما أفاء الله به عليه من عزّ دولته، أخرج الإمام توقيعاً
أمر بقراءته على المنابر في الأمصار وأنفذ به إلى خطباء رقادة
والقيروان، وأمرهم بالدعاء به بعد الصلاة على النبي محمد المختار
وذكر وصيه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وفاطمة والحسن
والحسين والأئمة من ذريته الأطهار كما كان في الخطبة أوان أبي

الدعاء الجديد في
الخطب المنبرية

(38) قصر أبي الفتح: لعله أحد القصور الأغلبية برقادة.

عبد الله رحمة الله عليه. ويقال بعد ذلك: «اللهم صلّ على عبدك وخليفتك القائم بأمر عبادك في بلادك، عبد الله أبي محمد الإمام المهديّ بالله أمير المؤمنين، كما صلّيت على آبائه الراشدين المهديّين الذين كانوا يقضون بالحقّ وبه يعدلون. اللهم، وكما اصطفيته لولايتك واخترت له خلافتك وجعلته (ر78ب) لدينك عصمة وعماداً، ولخلقك موثقاً وملاذاً، فانصره على أعدائك وأشفِ به صدور المؤمنين، وافتح له مشارق الأرض ومغاربها كما وعدته، على العصاة الظالمين، إله الخلق ربّ العالمين».

151 وكتب أمير المؤمنين المهديّ بالله (ص)/ كتاباً أمر بقراءته على منبر القيروان ووجه نسخه إلى البلدان، وهذه نسخه:

«بأسم الله الرحمان الرحيم، والحمد لله ربّ العالمين. من عبد الله وليّه أبي محمد الإمام المهديّ بالله أمير المؤمنين إلى أشياعه من المؤمنين، وجميع المسلمين، سلام عليكم. فإنّ أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصليّ على محمد نبيه وعبدّه ورسوله (ط 110).

خطاب المهديّ
إلى أهل
القيروان...

«أما بعد، فالحمد لله الذي رفع عمد الحقّ وأعزّ أهله، ونكس الباطل وأذلّ حزبه، القادر فلا يعارض في قدرته، العزيز فلا يغالب في أمره، الناصر لدينه الذي رضيّه لنفسه، وشرّفه بأكرم⁽³⁹⁾ أنبيائه عليه وأعلاهم درجةً عنده وأشرفهم منزلة وأقربهم وسيلة لديه، محمد (ﷺ)، حامل حكمته، ومستودع غيبه وما يكون من بعده من كيد الكائدين وخيانة الخائنين وظلم الظالمين، إلى أهل بيته الذين سبق لهم وعده فيهم بالنصر والتأييد، والعزّ والتمكين، كما قال (تع) في كتابه المبين الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ

... يحتجّ فيه
لاحقة أهل البيت
بإرث الرسول (ﷺ)

(39) في المخطوطين: وشرّفهم، والإصلاح من المطبوع

تَنْزِيلٍ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿ (فَصَلَتْ: 42): ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، (ر 79 أ) وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿ (القصص، 5 - 6). وقال جلَّ أَسْمُهُ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ، إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِقَوْمٍ غَابِطِينَ ﴿ (الأنبياء، 105 - 106). وأنجز جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه، وعده لرسوله صلى الله عليه / وعلى آله أجمعين، 152
فَرَدَّ إِرْثَ النَّبَوَةِ وَمَقَالِيدَ الْإِمَامَةِ إِلَى عِتْرَةِ نَبِيِّهِ، وَأَعَزَّ الدِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَأَيَّدَهُمْ وَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الْهَلَكَةِ، فِي كُلِّ سَكُونٍ وَحَرَكَةٍ، بَعْدَ اللَّهِ وَوَلِيِّهِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَظْهَرَ بِهِجَةَ الْإِسْلَامِ وَجَمَالَه بِقِيَامِهِ وَأَخَذَهُ تَرَاتٍ جَدَّهُ النَّبِيُّ (ﷺ) وَأَبِيهِ الْوَصِيُّ (رضي الله عنه)، وَجَعَلَ أَوْلِيَاءَهُ وَأَنْصَارَ حَقِّهِ أُولَى الْبَصَائِرِ النَّافِذَةِ وَالنِّيَّاتِ الصَّادِقَةِ مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ وَأَنْجَادِ كِتَامَةِ، فَأَلْقَتْ عَصَاهَا الْإِمَامَةَ فِي دَارِهَا، وَقَرَّتْ عَيْنُهَا، وَأَنْسَتْ وَحْشَتُهَا، وَاسْتَقَرَّ قَرَارُهَا، وَصَارَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ طَوْداً مُنِيفاً وَجِبلاً رَاسِياً عَلَى الْأَرْضِ وَظَلاً ظَلِيلاً لِأَهْلِهَا، فَثَبَّتَ بِهِ وَطْأَةَ الْهَدْيِ، وَسَكَنَ إِلَيْهِ نَفَارُ التَّقْوَى وَتَقَوَّمَ بِهِ مَا (ط 111) كَانَ مِنْهَا مَتَأَوِداً مِنْ عَمُودِهَا، وَانْبَرَمَ مَا كَانَ مِنْحَلاً مِنْ حَبْلِهَا، وَاجْتَمَعَ مَا كَانَ مَفْتَرَقاً مِنْ شَمْلِهَا، وَتَلَاءَمَ مَا كَانَ مَتَشَعِّثاً مِنْهَا، بِبَرَكَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُ نَقِيَّتِهِ، وَسَعِدَ نَجْمُهُ، وَهَبُوبَ رِيحِهِ، فَدَاوَى الْإِسْلَامَ مِنْ الدَّاءِ الْعُضَالِ، وَرَتَقَ مِنْ فَتْوَقِهِ مَا كَانَ مِنْخَرَقاً، وَجَبَرَ مِنْ كَسَرِهِ مَا كَانَ لَا يُجْبَرُ، وَلَاءَمَ مِنْ صَدْعِهِ مَا كَانَ لَا يُلَأَمُ فَهُوَ مِفْتَاحُ الرَّحْمَةِ وَدَلِيلُ الْخَيْرِ، ذَبَا عَنْ الْحَقِّ، وَحَيَاطَةُ الدِّينِ، وَعَنَايَةُ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

153
«فَمَا يَحَاوِلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَسِيراً، وَالْحَمْدُ / لِلَّهِ، إِلَّا يَسْرَهُ
اللَّهُ، وَلَا صَعْباً إِلَّا ذَلَّلَهُ، وَلَا وَعْراً إِلَّا سَهَّلَهُ، فَأَصْبَحَتْ الْكَلِمَةُ بِهِ

مجتمعة، والألفة متصلة، والدهماء ساكنة، وقواصي الأرض (ر 79 ب) . . ويدعو الناس إلى الامتثال والطاعة والمؤازرة.

آمنة، ووليّه ممنوعاً، وعدوّه ذليلاً مقموعاً، وكلّ من قدح بزنده وأحطب في حبله، فمحكوم له بالنصر ومقضي له بالظفر. وكلّ من نكب عنه وخان أمانته ونقض عهده، وخَفَرَ⁽⁴⁰⁾ ذِمَّتَه، فقد باء بغضب من الله في الخلاف عليه، وإطلاق الفتنة من عقالها. فكلّ من أوقد عليه الحرب أحرقت بنارها وكلمته بأظفارها. وكلّ من تمسك بطاعته فقد تمسك بالعروة الوثقى وفاز في الآخرة والأولى. وكلّ من التمس وليجة⁽⁴¹⁾، غيرها فقد ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: 11).

«فاحمدوا الله الذي بلغكم زمان أمير المؤمنين، واختصكم ببركة أيامه وسعادة دولته، ولتنبسط آمالكُم، وليكثر بالثقة بعدله استبشاركم، ولتفسح بالمعرفة بحس نظره صدوركم، و[لـ]يشتدّ تمسككم بحبل طاعته وأسباب ولايته، فإنه لا يتصل بين الله وبين عباده سبب إلا بمحبة آل رسول الله (ﷺ). قال الله جلّ ذكره: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى، 23). وقال رسول الله (ﷺ): «إِنْ مَثَلَ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَسَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ»⁽⁴²⁾.

«وجدّدوا الشكر لله على ما منحكم من رافة أمير المؤمنين ورحمته وتعاهده لأموركم وتغمده لكم، فإن الشكر/ أحرس حفيظة لملابس نعيمه (ط 112) وأحفظ أمانة لفواضل منّنه، وأبعث⁽⁴³⁾ مستمدّ لمؤتلف صنعه وموادّ مزیده.

(40) خفر (وزن نصر وصرب) من الأضداد: خفر العهد. وفي نه، وحفر فلاناً: خانه.

(41) الوليجة المعتمد والسد والوسيلة.

(42) الجامع الصغير، 97/1.

(43) هكذا في المخطوط والمطبوع.

«وأمر المؤمنين يسأل الله وليّ الإحسان والنعم والإفضال أن يصلي على محمد النبيّ مفتاح الرحمة، والمُبلّغ لرسالته، الذي حباه بجوامع فضائله ومزيد كرائمه، وأن يشعّره خشيتَه ومراقبته، وأن ينفذ بالتوفيق عزائمه، وأن يُلهمه فيما استرعاه وناط به من أمور عبادته، أفضلَ ما ألهمَ راشداً من خلفائه، وأن يعينه على صالح نيّته، وأن يبتليه بأحسنِ بلائه، ويوفّقه للعمل بطاعته والقيام بحقه حتّى يجمع الكفرَ والإلحاد، ويدوّخ أطرافَ البلاد، وأن يجعله خيرَ إمامٍ (ر 80 أ) أحسنَ إلى رعيتِه، ورعيّته خيرَ رعيّةٍ أدّت حقَّ إمامها، فإنّ التوفيقَ به والمزيدَ من عنده، والسلام». فقُرئ هذا السجّل.

[انتصاب الخلافة الفاطمية بإفريقية]

ودُعي لأمر المؤمنين المهديّ بالله (صلع) بالخلافة يوم الجمعة لتسع ليالٍ بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين برقادة والقيروان، والقصر القديم⁽⁴⁴⁾ وجميع البلدان فاستبشر الناس بذلك وسرّهم، وأكثروا من الدعاء له (صلع)، ونقّشت السكّة باسمه، وكُتب الطرز برسمه. وجاءت وفود البلدان من كلّ جهة ومكان. وواصل الجلوس للناس، ورفعت شكواهم إليه وأزال المظالم، وأقام من الشريعة/ الغراء المعالم، وأمر بإقامة الحدود، وأظهر تحريم الخمر، وسائر جميع المحرّمات، وأقام الناس على سنّة جدّه محمد عليه أفضل الصلوات.

ووصل الجزريّ⁽⁴⁵⁾ رحمة الله عليه بحرّم أمير المؤمنين (عم). وأذن لأوليائه فدخلوا إليه وهنّؤوه بوصولهم، وما هيّا الله من

المهديّ يبايع
بالخلافة (21 ربيع
2 - 7/297 جانفي
910)

155

(44) عرّفنا بالقصر القديم ص 110.

(45) أبو جعفر الجزريّ: هو الذي وكلّه المهديّ بمصاحبة الحرم من سلمية إلى إفريقية.

السلامة لهم، وأنشد الشعراء. وكان ممن أنشده سعدون
الورجيني⁽⁴⁶⁾، [أنشده] شعراً أوله:

[كامل]:

قف بالمطّي على مرابع دور لبست معالمهنّ ثوب دُور
لعبت بها حتى مَحَتْ آثارها رِيحان: رِيح صبا وريح دُور
حتى انتهى إلى قوله:

وسفيهة هبت تصدّ عن النوى ويدُ النوى مَلَكْتَ عنانَ مسيري
خافت عليّ من الخطوب، لأنني من قبلُ غِبتُ، وأُبتُ بعدَ دهور
ثمّ اجتمعنا بعدَ ذاك، فيا لها مأسورة جُمعت على مأسورا! 5
وكان الورجيني الشاعر المذكور قد أسر ببلاد الروم وفُدي،
فاستعبر المهديّ بالله (صلح) حين انتهى إلى هذا
المكان من الشعر، وتلقّى عبرته بكّمه فسكّت سعدون فأوماً إليه
المهدي بالله (صلح) أن مرّ، فمرّ فيها حتى قال:

(ر80ب) أعنّ ابن فاطمة تصدّين أمراً بنت النبي وعِبرة التطهير؟
كفّي عن التّشبيط إني زائرٌ من أهل بيت الوحي خيرَ مَزور/
فقال له أبو عبد الله، وكان قائماً بين يدي الإمام المهدي بالله:
صدقت، هم أفضلُ العالمين. فقبل سعدون الأرض بين يديه. ومرّ
فيها حتى انتهى إلى قوله:

هذا أمير المؤمنين تَضَعُضَعَتْ لِقُدومه أركانُ كلِّ أمير

(46) عن سعدون الورجيني، ينظر رسالة موسى لقبال: دور كتامة.. ص 230 ورياض
النفوس، 501/1 هامش 83 ولعله أصيل ورحلان- ورقلة حالياً في جنوب
الجزائر- وترد نسبته في بعض المصادر: الورجيلي. وانظر الحواريات، 1973/10
ص 166.

هذا الإمام الفاطمي، ومن به أمنت مغاربنا من المحذور
 10 والشرق ليس لشامه وعراقه من مهرب من جُنْدِه المنصور
 حتى يفوز من الخلافة بالمُنى ويُقَارَ منه بعدله المنشور⁽⁴⁷⁾
 فقال أمير المؤمنين: ما شاء الله! ومرّ فيها إلى أن ذكر أبا عبد الله
 فقال:

يا مَنْ تَخَيَّرَ مِنْ خِيَارِ دُعَايِهِ أَرْجَاهُمْ فِي الْعَسْرِ وَالْمَيْسُورِ
 حَتَّى اسْتَمَالَ إِلَيْهِ كَسْلَ قَبِيلَةٍ وَرَمَى إِلَيْهِ قِيَادَ كُلِّ عَثُورٍ (ط 114)
 أَشْبَهَتْ مُوسَى، وَهُوَ حَيْثُكَ الَّتِي تُلْقَى فَتَدْمَغُ إِفْكَ كُلِّ سَحُورٍ
 فنظر أمير المؤمنين (عم) إلى أبي عبد الله وتبسّم، فقال أبو عبد الله
 للورجيني: «أنا دون ذلك ببعْد ما بين السحاب والتراب». فأمر له
 أمير المؤمنين بصلة جيّدة جزيلة، وبأن يجرى عليه لكسّ عام،
 ووصله أيضاً أبو عبد الله. وكان من شعراء بني الأغلب الذين
 يمدحونهم. ومدح أمير المؤمنين الشعراء بما يطول ذكره.

واستعمل أمير المؤمنين (عم) وجوه كتامة على / مدن إفريقية
 إلى حيث بلغت طاعته، وقسم على كتامة الأعمال، لكلّ عسكري
 منهم ناحية. وأمرهم بالتزيّن والتجمل باللباس، فلبسوا خير الثياب
 وحلّوا سروجهم ولجّهم بالحلي الثقل، وأظهروا زياً (ر 81 أ) حسناً.
 واتسعت أموالهم وكثرت نعمهم، وأسبغ عليهم وليّ الله العطاء،
 وأجرى عليهم الصلّات. ودوّن الدواوين⁽⁴⁸⁾ وأقام ديوان الخراج،
 وكان قد أحرق أيام هروب زيادة الله. واصطفى أموال الهاربين مع
 زيادة الله، وترك ما كان لنسائهم لهنّ، وأمر بسترهنّ وحفظهنّ.

157

مكافاة كتامة على
 مناصرتهم للدعوة

(47) في «ر». يقوم ويعان. والتصحيح من المطبوع ومن الافتتاح.

(48) ومنها ديوان البربر الذي سيرد ذكره ص 167

تنظيم
دواوين الدولة

مناقب المهدي:
الكرم...

158

.. مع كره التبذير

عدله وانصافه
الناس

واتخذ العبيد من السودان والروم ونصب ديوان العطاء. وأمر بطلب
نهب رقادة فاسترجع من أيدي الناس وطولبوا به فاجتمعت منه أموال
كثيرة. وخلط وجوه بني الأغلب بأوليائه، وكانوا خافوا جانبهم فأمنهم،
وكان وجوههم وكبراؤهم يدخلون إليه فيمن يدخل، فيقربهم
ويؤنسهم ويحسن إليهم، واستعمل جماعة منهم في النفوذ بالعساكر
ممن كان يصلح لذلك، فأمنوا وأطمأنوا. وكان (صلح) كثير العطاء
والإحسان موصوفاً بالكرم. وقيل إن صاحب بيت المال رفع إليه
تحصيل ما خرج من الصلوات في شهر رمضان، وقد بلغ مائة ألف
دينار من العين واستكثر ذلك صاحب بيت المال، فقال أمير
المؤمنين المهدي بالله: لئن / بلغني الله إلى (ط115) حقّي وبلغت أُملي، ما
رضيت بهذا العطاء بأسره لواحد من أوليائي. والجلود بالمال ممّا كان
يوصف به قديماً المهدي ومع ذلك كان لا يُضيع أقلّ شيء من
المال ولا يستهين به ولا يترك منه واجباً ولا يصرفه في غير حقّه،
وكان قد قطع الرقاق عن⁽⁴⁹⁾ وصائف الحرم، فكشف بعض الناس
عن ذلك و[عن] العلة فيه: فقل إنه دخل غير مرة حجرة من
حجرهم، فرأى منه شيئاً قد ييس وطرح في الأرض فنهاهم غير مرة (ر81ب)
فلم ينتهوا فأمر بقطعه عنهم. فلم يكن (عم) مع جوده العظيم
وفضله العميم يترك شيئاً يوضع في غير موضعه، ولا يستخفّ بما
آتاه الله من فضله، وتلك سيرته وسيرة آبائه الطاهرين، وأبنائه الأئمة
الأكرمين، وممّا ورثوه عن جدّهم سيّد المرسلين. ونظر الناس من
حسن سياسة أمير المؤمنين وضبطه الأمور وعدله وكرمه ما لم يظنّوا
أنهم يرون مثله.

وأنصف من المظالم وكان يباشر سماعها بنفسه ويأخذ رقايع
أهلها إذا ركب، وإذا جلس يسمع منهم شكواهم وينصفهم ممن

(49) في النسخين: قطع الرقاق من . والرقاق هو الخبز اللين الرقيق.

خاصمهم بوجه الحق وسبيل العدل، فمالت إليه قلوب الناصّة والعامة، وعظم أمره في قلوبهم وأعينهم، ورأى الناس من فضله وعدله/ ما أنساهم أبا عبد الله. ومالت القلوب إلى الإمام المهدي (عم)، وأين تقع النجوم من الشمس إذا ظهرت أنوارها وتعالى نهارها؟

وكان أبو عبد الله في جميع ذلك يدين المهديّ بالله بطاعته ويتواضع له ويخضع ويعلن بفضله في كلّ مشهد ومجمع، ممّا يدلّ على صفاء نيّته، وخلوص طويّته، واعتقاد الواجب عليه في ذلك، وعلى غيره من أتباع أولياء الله وطاعتهم والافتداء في جميع الأمور بهم، ومعرفة فضلهم وعلوّ محلّهم، إلى أن كان ما كان، ممّا نذكره إذا انتهينا إليه، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، نسأل الله العصمة والثبات على طاعة أوليائه الأئمة، وأن يجعل على ذلك محيانا ومماتنا بحقّ محمد وآله (ر 82 أ) الطاهرين الطيّبين، صلوات الله عليهم أجمعين.

وأخرج أمير المؤمنين (عم) أبا عبد الله إلى الغرب وقد بلغه فيه فساد. فخرج أبو عبد الله يوم السبت لثلاث خلون من ذي القعدة سنة سبع وتسعين ومائتين⁽⁵⁰⁾ فأنتهى إلى طبنة ووافى بها ابن خزر الزناتي⁽⁵¹⁾ وقد انضمّ إليه قوم من أهل الخلاف من قبائل

حملات أبي
عبد الله بالمغرب
الأوسط (سنة - 297
298)

(50) سبع وتسعين كما في المطبوع، وعند ابن عذارى، 160 - 161 حيث جعل وصول الداعي إلى تنس في أواخر ذي الحجة. ومعلوم أنّ أبا عبد الله قتل في جمادى الآخرة - أو في ذي الحجة - سنة 298 (انظر ص 168). وفي المخطوطين: سنة تسع وتسعين، وهو خطأ واضح

(51) محمّد بن خزر الزناتي. مرّ ذكره ص 133، وهو زعيم زناتة الأكبر دامت مقاومته للحكم الشيعيّ خمسين عاماً - توفيّ سنة 350 - وتحالف أحياناً مع الناصر الأمويّ، ورجع أحياناً إلى الولاء الفاطمي. وله مع موسى بن أبي العافية =

كثيرة، فقتل أبو عبد الله مَن معه أبرح قتل، وولّى ابن خزر هارباً في شردمة قليلة، وتفرّق من كان معه، وذلك في يوم الاثنين لأربع بقين من ذي القعدة من السنة المذكورة. وكتب أبو عبد الله / إلى الإمام المهدي (ص) بخبر الفتح ووجه برؤوس مَن قتل في تلك المعركة من وجوه زناته وغيرهم. وأوقع أبو عبد الله بعد ذلك بوسفانة ومليلة ومدهنة وصبارة وغيرهم في موضع يقال له ناوليت⁽⁵²⁾ وورد كتابه بذلك إلى أمير المؤمنين (ص).

ونافق أهل تاهرت فخرج إليهم أبو عبد الله بجيوش أمير المؤمنين المهديّ وقتلهم فقتلهم وكتب إلى المهدي (عم) بذلك. وولّى أمير المؤمنين في تلك السنة صقلية وقلورية والأرض الكبيرة⁽⁵³⁾

= المكناسيّ منافسات طويلة انتقلت من بعدهما إلى ابنيهما: الخير بن محمد بن خزر ومدين بن موسى بن أبي العافية وأحباره مع الخليفة الأندلسيّ المذكورة في مقتبس أبي حيّان، ج 5 ص 257 - 269 و 300 - 303، وكذلك في البيان المغرب، 204، إلّا أنه لا يذكره باسمه دائماً وأحياناً يؤم: كان يذكر موته في الحرب (ص 155) ثمّ يذكر رجوعه إلى تاهرت (ص 165).

وقد ذكر الداعي إدريس (ص 145) شخصاً يدعى أحمد بن خزر، فلعلّ المقتول هنا هو أحمد هذا. وانظر فيما يأتي، ص 396 هامش 94، الشجرة التي حاولنا أن نضبط فيها أنساب بني خزر

(52) التباس كبير في هذا الاسم ناوله في «ه»، ناولب في «ر»، ناولن في المطبوع و«ناولت» في مقتطفات الدشراوي. وجعلنا بمواطن القبائل الأربع - وهي رناتية بدون شك - لا يساعدنا على تحديد الموقع ولا على ضبط اسمه. وقد يقرب ناوليت هذا من اسم «تناقلت»، وهي «مدينة لكثامة على مرحلة من سطيف بينها وبين القيروان ثماني عشرة مرحلة» (الكري، 76) إلّا أننا نستعد أن يدور القتال مع زناته في أرض كثامية.

(53) الأرض الكبيرة مصطلح يعني السواحل الشماليّة للبحر الأبيض المتوسط بالمعنى الواسع، فيضمّ جنوب فرنسا وإسبانيا المسيحية علاوة على إيطاليا. وفي هذا الصدد يقول عبد الواحد المراكشي (المعجب، 6) «ويلاد فرسة من الأرض الكبيرة» ويجعل رومة «قاعدة الأرض الكبيرة» (ص 7). وفي المعنى الضيق، =

الحسن بن أحمد بن [أبي] خنزير الميلي⁽⁵⁴⁾ فوصل إليها وأقام فيها. ثم نافق عليه أهل صقلية فخرج عنهم.

وزحف أبو عبد الله إلى بلد بجوار تارحت ففتتبع عشائرها وقتل منهم قتلاً كثيراً، وكانوا قد باينوا بالخلاف، وكتب إلى أمير المؤمنين بخبر ذلك في آخر ذي الحجة *.

دش 28

ثم قصد مدينة تنس⁽⁵⁵⁾ وقد اجتمع إليها قبائل (ر 82 ب) كثيرة وأزمعوا على أخذ مدينة تنس، فزحف إليها أبو عبد الله في جيوش كثيرة فقتلهم أجمعين وغنم أموالهم ونعمهم، ووصل إلى أمير المؤمنين كتابه بذلك. وقصد وادي مدغر والخضراء⁽⁵⁶⁾ فأوقع بمن فيها وقتلهم فسكنت الأمور، وانصلح الجمهور وصلحت أحوال تلك البلاد/ وجرت على السداد. وراح أبو عبد الله بمن معه من الجيوش إلى حضرة الإمامة سالمين غانمين، وأمد الله أمير المؤمنين، وأرغم المخالفين والمنافقين وأعز به الدين.

انتفاض تنس
وفتحها

161

[مؤامرة أبي العباس وأخيه]

ثم إنه بدأ الفساد ورجع كثير، إلا من عصم الله، عن سبيل الرشاد: وذلك أن أبا العباس محمد بن زكريا كان قد تطاعم الرئاسة، لأنه حين (ط 117) قدم على أخيه أبي عبد الله أكرمه وعظمه لما كان

= يعني جنوب إيطاليا، أي ما وراء مضيق مسينا، كولاية قلورية وعاصمتها ريو. وانظر الطالبي، الإمارة، 459 و 502/477 و 523

(54) سبق التعريف بابن أبي خنزير (ص 81 هامش 50) وخروجه عن صقلية كان في سنة 300 بعد قيام الأهالي عليه (الطالبي، 627، هامش 686/5 هامش 228).

(55) تنس: مدينة على البحر بين وهران غرباً والجزائر العاصمة شرقاً وتقع تارحت بجنوبها على مائتي ميل، «أسسها وسأها البحريون من أهل الأندلس» (الكري، 61).

(56) الخضراء «على مقربة من تنس (في اتجاه تنس) ويكتنفها من قبائل البربر مدغرة وبنو دمر ومديونة وبنو واريمة (الكري، 75) ولعل وادي مدغر المذكور هنا هو موطن قبيلة مدغرة كما قال الدشراوي، هامش 35

له من التقدّم في السنّ و[لـ]رياضته في العلم . وكان أبو عبد الله يجلّه،
وذلك لما كان أبو عبد الله رحمة الله عليه، جرى عليه من حسن
الآداب والتواضع وصفاء النية وصلاح العقيدة. ولما خرج أبو
عبد الله إلى سجلماسة، انصرف الأمر بأجمعه إلى أبي العباس،
وأقبل عليه الناس، فكان المقدم والمؤخر، والمورد والمصدر.
وحين قدم المهدي (عم) مالت إليه العيون، وانقلبت إلى تحقيق
فضله الظنون، وظهر فضله على أبي عبد الله وأبي العباس، بحيث
لا يتداني بظن ولا بقياس، وأين السحاب من التراب، وأنى يتقارب
ذلك بأيّ الأسباب؟ فتداخل أبا العباس الحسد، ولزمه ما لزم من
ضلّ وعند، فاستزله الشيطان، وأخرجه من الإيمان، فنكث عهده
وخان (ر 83 أ) الله ربّه، وفارق حزب الله واختار الشيطان وحزبه، فكان
يطعن/ على وليّ الله ويزري عليه ويوجّه اللوم عند أخيه أبي عبد الله
إليه، وأخوه أبو عبد الله يتعاضم ذلك وينكره، وينهاه عن ذلك
ويزجره، وهو يتمادى في طغيانه، ويتزايد في إثمه وعدوانه، حتى
جاهر أبا عبد الله فقال له: «ملكك أمراً وانطاع لك جميع الناس،
فجئت بمن غير سياستك ونقصك رئاستك، وقبض عن البسط يدك،
وأرى الناس باستقامة أحواله أودك، وأسقطك عما كنت فيه من
رفيع المكان واضطهدك. ولقد كنت حريّاً أن يملكك أزمة أمره،
ويخصّك من كلّ فضل أدبته بشطره».

162

إغراؤه أبا عبد الله
بنيل السلطان..

فلم يزل يكته بمثل هذا الكلام ويقرّعه، ويوصل معه ما
استحكم في قلبه ويترّعه⁽⁵⁷⁾ حتى أصغى إليه بعض الإصغاء،

(57) في النسختين: يقرعه. وفي المطبوع. يفرعه. ولعلّها يفرغه. وآثرا موافقة
القاية

ولناحظ أنّ الداعي إدريس يدلي بالرواية الرسمية المتداولة عند الشيعة
الإسماعيلية. وهي أن الطموح إلى الحكم هو الذي غير الداعي وحمله على =

وكاد سحره أن ينفذ فيه فيتبعه حين طغى وبغى . فجأهر أبو عبد الله
وليّ الله فقال له ، على سبيل الناصحين :

«إني قد قومت هؤلاء الكتاميين وأجريتهم على ما أردت من
التقويم ، وأخذتهم على ترتيب وتعليم ، فاستقام لي أمرهم وجلب
نفعهم ، ودفع ضررهم . فلو تركت (ط 118) إليّ أمرهم وكنت في قصرك
وادعاً ، لكان ذلك أهيب لك وأشدّ لأمرك وأعظم لسلطانك» .

.. وانخداع أبي
عبد الله باحتجاج
أخيه

فلما سمع ذلك المهديّ بالله (عم) ، علم أمره وما أضمره في
ذلك وأسرّه ، وتحقّق من حيث أتى ، وأنّ ذلك من قبل أخيه ، وأنّه
قد عمل سحره فيه . وأجابه / (عم) بجواب لطف فيه القول ، ولم
يعلمه أنّه قد علم ما يخفيه .

163

وحين تحقّق ذلك أبو العباس ، زاد (ر 83 ب) في مكره وإصراره ،
وأمعن في إفساد أتباع وليّ الله وأنصاره ، وأظهر من النفاق ما كان في
إضماره ، فداخل المشايخ والدعاة ، وكانوا يعظّمونه لما رأوا من
تعظيم أخيه له . وكان يرمز لهم في الطعن على الإمام (عم) والعناد
له فيما يبديه ويخفيه من الكلام . ثمّ لما علم قبول قوله ، خرج من
الرمز إلى التصريح ، وباح بسرّه مخرجاً له إلى الإعلان عن التلويح ،
وداخلهم بأنّه لم يُعطهم الإمام ما استوجبوه من حقّهم لجهادهم ، وأنّ
فعله لهم دون مُرادهم ، وذكرهم أموال الله التي أخذها الإمام من
أيديهم ، وأنّه كان يجب أن يتركها ويصرف أمرها إليهم . فأجابه
بذلك من أجاب وفشا فيه النفاق ، ودخل في ذلك جماعة من أهل

المهديّ يفهم أنّ
رأس التمرد هو أبو
العبّاس .

دعوي أبي العباس
تزعزع ولاء كتامة

= التأمّر . ويسكت تماماً عن قضية الشك في استحقاق عبيد الله للإمامة ، أي في
كونه المهدي حقاً . وقد خاض فيها أبو عبد الله مع أتباعه من كتامة حسب رواية
ابن عداري ، 161/1 وانظر أصول الإسماعيلية ، الترجمة العربية ، ص 115 وما
يليها . وكذلك الدشراوي في أطروحته ، 127 ، ولكنه يتّسّى عرض النعمان ، أي
فكرة الطموح والحسد .

إفريقية في المساعدة على ذلك والاتفاق. وكلّ ذلك يتّصل بأمر المؤمنين المهديّ بالله (عم)، وهو معرض عنه وغير مكترث بما يبلغه منه.

ثمّ إنّ أبا العبّاس دخل مع أبي عبد الله وغيره على وجه التحذير، وقال لهم: «إنّ المهديّ بالله قد علم ما أنتم عليه، وأنا لكم منه النذير. فإنّه لن يدعكم بهذه الحالة، وإنّه مهلككم جميعاً لا محالة». فكثرت النفاق واجتمعت كتامة عليه إلّا من عصم الله وقليل ما هم/.

المهديّ يجمع
الأنصار الأوفياء
تحت قيادة غزوية
ابن يوسف...

164

وجمع أمير المؤمنين (عم) إلى غزوية بن يوسف من بقي من المؤمنين ممّن جانب سبيل المنافقين، ومّن معه من عبيده وأهل طاعته. وكذلك أبو خليفة، في جماعة من المشايخ ممّن ثبت على اليقين، ولم يمل عن سبيل المؤمنين. وياين هارون بن يونس⁽⁵⁸⁾، الذي كان يدعى «شيخ المشايخ»، بالنفاق، وأظهر لوليّ الله العناد والشقاق، وحملّه جهله إلى أن أبدى لوليّ (ط119) الله صفحته وقال له: «إن كنت المهديّ، فأرنا المعجزات، فقد شككنا فيك». فأوقفه المهديّ بالله (عم) على ما في كتاب الله من ذمّ الأمم حين سؤلهم لأنبيائهم أن يؤوهم الآيات، وما في ذلك من الدلالات، وقال له في قوله «شككنا في أمرك»:

.. ويحاول أن
يشني شيخ المشايخ
عن التمرد

ألم تكن قبل شكك على اليقين؟

قال: بلى.

قال: فإن الشك لا يزيل اليقين.

فتمادى هارون في ضلالته وتزايد في غوايته إلى أن أهلكه الله بأيدي عبيد وليّه كما أهلك غيره من الأشرار، وكان لهم سوء الدار.

(58) ابن يوسف في المخطوط. انظر ص 56 هامش 14.

فعند ذلك ازداد أبو العباس في طغيانه، واستحكم لمن أضله ما زخرقه من بهتانه، وقال لأبي عبد الله وغيره من مشايخ كتامة: «إنه لم يبق إلا أن تؤخذوا بنواصيكم، ويحكم حد السيف فيكم».

من المتأمرين
أيضاً: أبو زكي

واجتمعوا في دار أبي زكي تمام بن معارك فأجمعوا الآراء وعقدوا العقود/، ونقضوا ما قلده من الموائيق والعهود، وأجمعوا على أن يفتكوا بولي الله وينزعوا حق الله من يديه، ويصلوا بما راموا من الطغيان والعدوان إليه، والله بالغ أمره ومتم نوره.

165

وكان يأتي من يأتي بأخبارهم إلى أمير المؤمنين، ويذكر له ما استفزهم به إبليس اللعين. ثم إنهم جمعوا الجموع وأحاطوا بقصر الإمام (عم) ليوقعوا به. فلم يكثرث بجمعهم، ولا هاله ما هم فيه من أمرهم. بل استعصم بربه موقناً أنه قد خلّصه من أضداده، وفلّ عنه شوكة أهل عناده، ووثق بوعد الله الذي وعده أن يظهره والأئمة من أولاده. وفرّق الله جمعهم، وقذف الرعب في قلوبهم، وكان ذلك من مادة الله التي أمدّ بها وليّه، وهياً له نصره، وأبان له (ر 84 ب) معجزته.

المهديّ عارف
بتفاصيل
حركتهم...

ثم إنهم كانوا يدخلون إلى المهديّ بالله (عم) وهم يضمرون الفتك به، فيلقي الله الرعب في قلوبهم ويصدّهم عمّا راموه من أمرهم، وتغلبهم هيبتة ويغلّ⁽⁵⁹⁾ الله عنه أيديهم، وهو في كل ذلك غير مستعدّ لهم ولا محتفل بأمرهم، ثقةً بالله ربه وتوكلاً عليه، ورجوعاً، فيما أبداه وأخفاه، إليه، راجياً لصادق وعده، مستمطراً للنصر والتأييد من عنده. وكلّما انصرفوا من عنده أخذتهم لتركهم إيّاه الندامة، وعادوا إلى / ما كانوا فيه من إضممار المكر لإبطال أمر الله الذي أراد تمامه.

166

(59) غلّ (ورن نصر) الرجل: قيده

وكان اجتماعهم ليلاً إلى أبي زكريا لعقد ما أضمروه وإجالة الرأي والحيلة في أن ينالوا ولي الله بالمكروه. (ط 120) ونظر المهدي بالله (عم) إلى أبي عبد الله دخل إليه غير مرة وقميصه مقلوب، وذلك لما هو فيه من الشغل الذي ألهاه أن يشعر بذلك وطول السعي فيه والدؤوب. فقال له الإمام (ص): يا أبا عبد الله، ما هذا الأمر الذي أذهلك وشغلك في أمر نفسك؟

قال: وما هو يا مولاي؟

قال: أرى قميصك مقلوباً عليك وأنت تدخل كذلك مراراً ما اهتديت إليه ولا أحسبك نزعته عن نفسك. . . فيشعر أبا عبد الله بأنه يعلم. . . فنظر إليه وقال: والله يا مولاي، ما علمتُ به. قال: إن هذا لشغل عظيم! فأين تبيت منذ كذا وكذا من الليالي؟

فسكت أبو عبد الله. قال: أليس في بيت أبي زكريا؟

قال: نعم يا مولاي.

قال: وما أخرجك عن دارك التي أنزلناك بها إلى دار أبي زكريا؟

قال: يا مولاي، خفت على نفسي.

قال: ممن؟

فسكت. قال: أمني تخاف؟

قال: خوفتُ يا مولاي فخفتُ.

قال: فهل يخاف المرء إلا من عدوه؟

قال: أعوذ بالله!

.. فيرتبك الداعي وأصحابه

فقال له أمير المؤمنين: إن المؤمن لا يخاف وليه.

فسكت أبو عبد الله وأيقن أنه قد بدت عورته / ووجبت لله عليه حجته وانصرف (ر 85 أ). وعلم القوم بما قال أمير المؤمنين (عم) فأمسكوا عن الدخول عليه وخافوا منه.

وكان ابن القديم⁽⁶⁰⁾، الذي كان عاملاً لزيادة الله، قد أفسد كثيراً من الناس، وغيّر قلوبهم، ووسوس إليهم، واستمالهم بأموال كثيرة بذلها لهم. وكان أمير المؤمنين قد ولّاه ديوان البربر وأمنه وأحسن إليه، فكافأه بالخلاف عليه. وأمر الإمام (عم) بجماعة من الشيوخ الذين قد نافقوا، فأظهروا البراءة ممّا قيل فيهم، واعتذروا فيما تآذى إليه عنهم، فردّ عليهم في ذلك ردّاً جميلاً، وأخرج جماعة من وجوههم إلى نواحٍ من البلدان وفرّق جمعهم..

انتقام المهدي

من...

وكان فيمن أخرج أبو زاكي إلى طرابلس، وكان عمّه أبو يوسف ماكنون بن ضبارة عاملاً عليها. فلما وصل إليه كتاب الإمام (عم) وعرفه بفعل ابن أخيه أبي زاكي، قتله صبراً وبعث برأسه (ط 121) إلى الإمام (عم). وقُتل كذلك جماعة من المنافقين في البلدان، والقاتلون لهم إخوانهم الباقون على الإيمان. وهرب ابن القديم فاستخفى. ثم ظهر فأمر الإمام بقتله، وباء بذيمة فعله.

.. أبي زاكي وابن القديم..

وتقدّم أمير المؤمنين إلى غزوة بن يوسف الملوّسي وجبر بن تماشت الجيملي⁽⁶¹⁾ بقتل أبي العباس محمد بن زكريا. فقال جبر لغزوة: ما الذي أمرك به مولانا (عم)؟ /

قال: أمرني بقتل أبي العباس.

(60) عرفنا بابن القديم ص 133.

(61) ابن نماسب الميلي في البيان المغرب، 164. وابن القاسم في المقفّ، ورقة 221 ب.

فقال: أنا أكبر منك سنّاً. فخذ من رأيي: أقتل أبا العباس... ومن أبي العباس... ويدخل أبو عبد الله إلى أمير المؤمنين فيبكي بين يديه فقتل رضى له؟ ما هذا برأي، لكن أفعَل ما أمرك به أمير المؤمنين، ودعني وأبا عبد الله.

وخرج أبو عبد الله وأبو العباس من قصر المهديّ بالله إلى قصر القائم بأمر الله (عم)، فرمى جبر بن تماشت أبا عبد الله (ر 85 ب) أحمد ابن زكريا فلم يخطيء مقتله، وكأنما كان سراجاً فانطفأ⁽⁶²⁾. ورمى غزوية أبا العباس فبقي ساعة من نهار ثم مات. فترحم أمير المؤمنين على أبي عبد الله وأمر بدفنه بعد أن صلى عليه. وأمّا أبو العباس فلعهن الإمام، وباء بما اقترف مُخرِجاً من رحمة الله محتقِباً للآثام. فرحمة الله على أبي عبد الله وعلى المؤمنين المجاهدين الصابرين، ولعنة الله على الظالمين الذين صدّوا عن السبيل، ومالوا عن اتباع الدليل، نسأل الله (تع) أن يثبتنا على الإيمان، ويعصمنا من اتباع أهل الطغيان، وأن يميّتنا على طاعة أوليائه الأطهار، ويتجاوز عن ذنوبنا إنّه هو الغفار.

وقد قيل إن الإمام أمر بقتل أبي عبد الله ثم ترحم عليه. فإن/ 169 كان ذلك فهو تطهير له ليموت على الطاعة قبل أن يصير في الذنب المُحِبِّط للعمل. وترحم الإمام عليه تكفير لذنبه، وبه يدرك الرحمة والعفو من ربه، لأنّ إساءته كانت للإمام (عم) فحين عفا عنه، لم يلحقه ذنب التّباعة، وذلك لا خلاف فيه أنّ ما كان بين الله وبين العبد من الذنوب (ط 122)، وأخلص النية في التوبة إلى الله والاستغفار، ولم

(62) قتل أبي زاكّي والأخوين الداعيين كان في يوم واحد حسب رواية ابن عذاري الذي يقول إنّ ماكنون بن ضبارة أعلم المهدي بواسطة حمام الزاجل. ويوم القتل هو الثلاثاء غرة ذي الحجة 298 (31 جويلية 911). وفي الافتتاح، 261/316: الاثنين نصف جمادى 2.

ترحم المهدي عليه
يمحو جنائته ...

يتماد على الذنب والإصرار، ف﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر، 53) كما قال في كتابه الكريم⁽⁶³⁾. فأما التبعات التي
بين المرء والعباد فلا تغفر حتى يخرج إليهم عنها، ويرأ إليهم
منها. وأما أولياء الله الأئمة (عم)، فإنهم آل الرسول (ﷺ) والشفعاء
إلى الله، وبهم ويجدهم نبي الله تُعْتَقُ الرقاب من النار، وبهم
النجاة من العذاب والفوز في دار القرار، فلم يضع لأبي عبد الله (ر 86 أ)
سعيه واجتهاده، ولا بطل عند ولي الله فضله وجهاده، بل استغفر له
وترحم عليه ورضي عنه، ووهب له ما كان من اجترامه إليه. جعلنا
الله ممن أدركته الرحمة بشفاعه محمد النبي وآله الطاهرين، ولا
جعلنا من المائلين عن سنتهم السوي والجائرين.

.. إذ لا غفران
للمسيء ما لم
يعف عنه المساء
إليه

170

ولما كان من قتل أبي عبد الله / وأخيه ما كان، اضطرب أهل
القيروان وثارَت بنو الأغلب وقد كان آمنهم المهدي بالله (عم)،
وأُسبل عليهم عفوه فذهبت طائفة منهم إلى القصر القديم، وفيه
جماعة من الكتاميين، فأخرجوا منه الكتاميين وقتلوا منهم، واجتمعت
لبنو الأغلب جموع عظيمة من سوقة القيروان وغيرهم، وأخرجوا
العدّة والسلاح والخيل، وخرجوا على الكتاميين فواقفهم ساعة.
وخرج يومئذ أبو خليفة الكتامي وأصيب جماعة من الأولياء من
كتامة، فأرسل الإمام (عم) إلى كتامة فردّهم وأظهر الإنكار عليهم
فانصرفوا.

ثورة أهل القيروان
على كتامة بعد
مقتل الداعي

وأخرج بنو الأغلب فازاتهم وأخبيتهم فضربوا بها خارج القصر
القديم ممّا يلي رقادة بموضع يقال له الهدف، وبرزوا مجاهرين
بالمعصية مبتغين للحرب. فأعرض عنهم أمير المؤمنين (عم) ووقفوا

(63) لا تخلو هذه الفقرة من الاضطراب في التركيب، علاوة على التعمّل في
الاحتجاج.

كذلك أياماً، ثم انحَلَّ أمرهم وتفرَّق جمعهم فرجعوا إلى دورهم. فتركهم الإمام مدّة ثم أمر بقتل طائفة منهم وإدخال آخرين السجن، فمكثوا فيه حتى أخرجهم الإمام المنصور (عم) مع أهل السجن بعد الفتح.

171 وشجر أيضاً بين أهل القيروان وبين بعض الكتاميين شرّاً، فاجتمع أهل القيروان على الكتاميين الذين في القيروان/ وقتل منهم (ط123) سبعمائة رجل. فانتهى ذلك إلى المهديّ بالله (عم) فقال: «أَلَهُمْ رَئِيسٌ يُعْزَوْنَ إِلَيْهِ أَوْ أَحَدٌ فِي هَذَا الْأَمْرِ يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ؟» فقالوا: «لا يعرف ولا يوجد». فتمثل (عم) بقول الشاعر:

(رجز):

أَخْشَى عَلَى دَيْسَمٍ مِنْ بَرْدِ الشَّرِّى أَبَى قَضَاءِ اللَّهِ إِلَّا مَا أَرَى⁽⁶⁴⁾

ثم أتى شيوخ القيروان مع القاضي المروزيّ إلى الإمام (عم) فاعتذروا من فعلهم، فأعرض عنهم ولم يعجل عقوبتهم. ثم عاقبهم بعد ذلك في أموالهم عقوبة أمثالهم إذ لم يعلم الذين قتلوا فيقتصّ منهم ويُنفذ أمر الله فيهم.

ولما فرّق الله الظالمين، وقطع شأفة المنافقين، وأذلّ المفسدين، ومكّن عبده ووليه المهديّ بالله أمير المؤمنين، عهد أمير المؤمنين إلى ابنه⁽⁶⁵⁾ القائم بأمر الله محمد بن عبد الله أبي القاسم

(64) في المخطوط: احتوا. . من جعل .. والتصحيح من اللسان (دسم)، ممّا أنشد ابن دريد. والبيت لا يوجد في المقصورة.

(65) «عهد إلى ابنه القائم باستنحاب واستحقاق» . في عبارة الداعي إدريس تفنيد عابر للشكوك في صحة إمامة المهدي وهي عبارة الافتتاح، 3224: «عهد إلى محمد القائم ابنه» وكذلك ابن الأثير، 135/6 إلا أنه يسميه «نزار».

المهديّ يعيّن القائم وليّاً للعهد (صلح) عهدَه، وأقامه للخلافة بعده، وكتب بذلك إلى شيعته في جميع الآفاق، وعرفه أنه القائم بعده باستنجاب واستحقاق، وسمّاه وليّ عهد المسلمين وخليفة أمير المؤمنين وكان يسرّ إذا رآه ويتمثّل كثيراً حين يلقاه:

(سريع):

مبارك الطلعة ميمونها يصلح للدنيا وللدِين⁽⁶⁶⁾

وبقيت من المنافقين بقية قد اجتمعوا إلى بلد كتامة فأقاموا غلاماً حدثاً من أحسن أهل بيت فيهم يقال لهم بنو ماوطني⁽⁶⁷⁾ من أورسة، فزعموا أنه المهديّ ونحلوه/ النبوة، وزعموا أن الوحي يأتيه، وأن الكتب من الله تنزل عليه، ونصبوا له دعاءً كدعاة أبي عبد الله، وقاسوا على ما كانوا يرونه من تربيته، وأدعوا أن أبا ثورة بني ماوطني عبد الله حيّ لم يمُت، وجاؤوا بكثير من الترهات، والأقاويل (ر 87 أ) في بلاد كتامة... فاجتمع إليهم طوائف كثيرة من أوباش الناس وسخفائهم وزحفوا إلى ميلة فأخذوها. فأخرج إليهم أمير المؤمنين بنطاس بن حسن الملوسي في عساكر عظيمة، وجماعة من رؤساء كتامة إلى الماوطني المدّعي النبوة. فأوقع بهم الماوطني وهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة. فأنهض أمير المؤمنين ولده ووليّ عهده والخليفة من بعده القائم بأمر الله وهو يومئذٍ لاثنتين وعشرين سنة. وخرج معه جميع الناس وقدم بين يديه عسكرين، على أحدهما أبو ذخار الملوسي وعلى الآخر محمد بن يعلى. وسار بعدهما القائم ففتح

(66) هذا البيت في المقتفى، ورقة 22 ب، غير معزّو إلى قائل.

(67) في البيان، 166/1: «الماوطني واسمه كادو بن معارك» وفي العيون والحدائق، 156 و 162: الماوطني.

قسنطينة⁽⁶⁸⁾ لسبع بقين من شوال والتقى بالماوطي في واد الزيت من
 ميلة يوم الأحد لثلاث خلون من ذي القعدة⁽⁶⁹⁾ فهزمه وليّ عهد
 المسلمين بعد قتال شديد عُرفت فيه للقائم (عم) النجدة.

173

ولمّا/ انهزم اللعين الماوطي أنفد وليّ عهد المسلمين خلفه
 غزوية بن يوسف الملوّسي فأخذه بوادي سهر⁽⁷⁰⁾ ومعه أهل بيته
 فوصل بهم إلى القائم وهو في إيكجان فقتله ومن معه.

وكتب القائم بأمر الله إلى أمير المؤمنين المهدي بالله عليه
 السلام، بخبر الفتح، وبما أمكنه الله وأظفره من الكافرين
 والمنافقين، وقمع به أعداء الله المفسدين. واتّصل بالإمام المهديّ
 ما لاقاه القائم من الحروب والشدة فأجابه وكتب إليه هذه الأبيات في
 آخر كتابه:

(وافر):

أبيات للمهديّ
 يتشوّق فيها إلى
 ابنه القائم

أتصبح في كتامة ذا انفراد تقابلها قياماً في قيام
 إذا ما وقعةً دارت رحاها بجزم مفاصلٍ وفِلاق هام⁽⁷¹⁾
 أتأحرى تَطُم وتعتليها يشيب لهولها رأسُ الغلام
 وألثد الحياة بخفض عيش معاذ الله والشهر الحرام!

(68) في المخطوط: قسطنطينة والإصلاح من البيان: «افتتح مدينة قسنطينة من بلاد
 كتامة».

(69) كان خروج القائم من رقادة في آخر رمضان 299 حسب ابن عذارى، 167. ويقول
 القاضي النعمان وبعده المقرئ (المقفى، 121 ب): «أنه جلاهم إلى البحر».

(70) وادي سهر: هو وادي القصب حالياً «وهو نهر المسيلة المعروف بالوادي الرئيس»
 (البكري، 54) وعند ابن حوقل، 85: «ولها وادٍ يقال له وادي سهر فيه ماء عظيم
 منبسط على وجه الأرض وليس بالعميق».

(71) الجزم: القطع. والملاق مصدر فالق والأبيات منسوبة إلى «بعض المغاربة» في
 البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، ص 133 مع إسقاط البيت الأخير. وقد
 أثبتتها كاملة صاحب العيون والحدائق، 162.

ولكنّ التجلّد لي خَدينُ فسني ضاحك والقلبُ دام
عسى الرحمانُ يجمعُنا وشيكا وقد تَمّت لنا رُتُبُ الكِرام
فأنقع غُلّتي بك واشتياقي إليك بحمد ذي المننِ الجسام
وبلغ القائم بأمر الله (عم) أن أهل طرابلس نابذوا بالخلاف (ط125)

والعصيان، وجأهروا بالعدوان/ وأخرجوا ماكنون بن ضبارة، وأفلح
ابن هارون القاضي⁽⁷²⁾ الذي أقامه الإمام فيهم، وولّوا عليهم رجلاً
من أهل باغاية اسمه أحمد بن نصر⁽⁷³⁾ فسار القائم إليهم. فلما
وصل إلى طرابلس طاف بالحصن فعلم أنهم لا ينالونه بالحصار،
والغلات ترد إليهم من البحر على أيدي هواره، فسار فأوقع بهم
وقتلهم وغنم أموالهم وعاد إلى طرابلس فحاصرها وأقام في
محاصرتها ستة أشهر، ثم افتتحها واستخلف عليها أبا مديني بن
كناوة اللهيصي وترك معه حباسة بن يوسف الملوسي، وعاد إلى
الإمام المهدي بالله (عم) إلى رقادة ظافراً منصوراً، مؤيداً مجبوراً.

174

القائم يفتح
طرابلس بعد
انتقاضها

ووافق موت الداعي أبي جعفر الجزري رحمة الله عليه،
الذي سيّره أمير المؤمنين (عم) مع الحرم من سلمية. فصلّى عليه
القائم بأمر الله، ووقف على قبره حتى واروه فيه وترحم عليه.
وأخرج أمير المؤمنين (عم) حباسة بن يوسف الملوسي⁽⁷⁴⁾

وفاة أبي جعفر
الجزري

(72) في المخطوط: والقاضي

(73) في البيان، 168، يسمّى هذا العامل «محمد بن إسحاق المعروف بابن القرلين». وانظر الزاوي: ولاية طرابلس، 70 وهو عنده: محمد بن إسحاق القرشي، ابن القرلين.

(74) حباسة بن يوسف الملوسي: قيل إنه أخو عزوية بن يوسف الملوسي (ابن خلدون، 38/4 والعيون والحدائق، 179). ونسب إليه ابن عذاري، 168 فظائع كثيرة في أهل برقة، وأطنب في خبر انقطاعه عن القائم بمصرووقوعه عند المهدي وحضه بالمهدية. وقد جرّ قتل انتقاض أحبه غروية على المهدي في =

وموسى بن عبد الرحمان الوادي يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى
الآخر سنة إحدى وثلاثمائة فملكاً سرت وسارا إلى أجدابية فملكها
وسارا إلى برقة وبها قائد يقال له أبو النمر أحمد بن / صالح من قبل
أمير مصر⁽⁷⁵⁾. فحين دنا حباسة بن يوسف، وموسى بن
عبد الرحمان في من معهما من برقة (ر 88 أ) هرب أحمد بن صالح منها
ولم يقاتل، فدخل برقة وافتتحها لسبع خلون من شهر رجب، وكتب
إلى أمير المؤمنين المهدي بالله يبشّره بالفتح، ووقف فيها.

175

ولما وصل أحمد بن صالح إلى مصر، أرجعه أمير (ط 126) مصر إلى
برقة بعساكر عظيمة. وكتب حباسة وموسى إلى أمير المؤمنين
يخبرانه برجوع أحمد بن صالح ويستمدّانه. فأخرج إليهما سليمان
ابن كافي⁽⁷⁶⁾ الجيمي، وعفيقان بن كردوس في جيش، فسارا من
رقادة يوم الخميس لخمس خلون من شعبان وحثّا السير إلى برقة

حملة حباسة بن
يوسف على برقة

= جموع من ملوسة، ويبدو أنهم هدّوا القيروان حسب رواية ابن الأثير (حوادث
302) ورؤية المقرئ في الاعتاظ

أما موسى بن عبد الرحمان فلا يعرفه، ولا يعرف كثيراً من الأعلام
المذكورين في هذه الحملة ذلك أنّ القاضي النعمان ختم الرواية في الافتتاح،
فصار الداعي إدريس إلى مصادر أخرى مفقودة ينقل عنها فلا يتسنى لنا التسع
والمقابلة والمقارنة

(75) أمير مصر من 297 إلى 307 هو تكين بن عبد الله الحزري أبو منصور (زامبور،
42). وتكين عزل أحمد بن صالح عن برقة وعوّضه بخير المنصوري (الكندي،
268).

(76) «ابن كاف» في المخطوط، ولعلّ المؤلف اعتبر الاسم منقوصاً. وعند الكندي،
272 قصيدة لابن مهران، منها:

ووفانا سليمان بن كافي يخطّ الأرض في غير المخطّ
وفي البيان، 181، خبر طويل عن دوره في حملة مصر الثانية سنة 306.
وفي العيون والحدائق، ص 206، ذكر حملته على ميناء رشيد في مصر لمؤازرة
الأسطول الفاطمي بقيادة سليمان الخادم ويعقوب بن إسحاق (التميمي لا
الكتامي) أحي خليل بن إسحاق الآتي ذكره في ثورة أبي يزيد.

فضلاً عن الطريق فأصبحا وقد وقع ضباب لا * يشعر أحد بصاحبه،
فما شعرا حتى هجما على عساكر أهل مصر، وكان سيرهما على
تعبئة الحرب لمن معهما. فوقع بينهم القتال وكانت الهزيمة في
المصريين فلم يشبوا وولوا على أدبارهم، وذلك في يوم الخميس
لخمس بقين من شهر الله، وأقام العسكر ببرقة.

[الحملة الأولى على مصر]

وأنهض أمير المؤمنين ولده ولي عهده القائم (ص) إلى مصر
في عساكر كتامة وأهل إفريقية⁽⁷⁷⁾، فسار من حضرة الإمامة من
رقادة/ يوم الخميس لأربع عشرة ليلة مضت من ذي الحجة، وكانت
طريقه إلى قابس. ووصل إلى طرابلس لست خلون من المحرم سنة
اثنين وثلاثمائة. ونهض من طرابلس لاثنين عشرة خلت منه فنزل
سرت. وكتب إلى حباسة بن يوسف أن لا يبرح من برقة حتى
يأتيه. فلم يصبر حباسة بل رأى أن يتقدم ورجا أن يكون فتح مصر
له وباسمه فسار يريد مصر.

176

وسار القائم (عم) من سرت ثالث صفر فنزل أجدابية لاثنين
عشرة من صفر. ووافى إلى القائم كتب (ر 88 ب) من حباسة، وسليمان بن
كافي، وعفيقان بن كردوس، وعامر بن يوسف يخبرونه بدخولهم الحنية⁽⁷⁸⁾

حملة القائم على
مصر سنة 302

(77) أهل إفريقية. يبدو أنهم فريق من الجد متميز عن بقية الطوائف كالعيد
الصقالبة، والعيد المسترقين، وكتامة، ويرى محمد الطالبي في فصل: Conver-
son des Berbères au Kharijisme... ص 63 من «دراسات في تاريخ إفريقية» تونس
1982، أن عبارة «أهل إفريقية» تعني العرب «المتأفرقين» الذين صاروا، بفعل
الاستيطان القديم، مثل سكان إفريقية الأصليين من البربر، يشكون نفس الميز
العنصري الذي يشكوه البربر من الحكام العرب القادمين من المشرق،
ويطمحون إلى نوع من الاستقلال عن السلطة المركزية بدمشق ثم بغداد.
وواضح أن هذا التصنيف يتناول سكان إفريقية في القرن الثاني لا الرابع.
(78) الحنية: هي «باب الاسكندرية، بينها وبين البحر شرف» (البكري، 3) وجعلها
ابن حوقل، 64 - 66، بين الطاحونة غرباً ودات الحمام شرقاً.

وانهزام أبي الدلفاء القائد الذي كان في الحنية من قبل أمير مصر،
وخير المنصوري وأبي النمر الذي كان بركة.

ورحل حباسة وأصحابه ومن معهم من العساكر فدخلوا
الإسكندرية بجيوش أمير المؤمنين المهدي (عم) لليلتين خلتا من
صفر⁽⁷⁹⁾ وبلغت خيلهم ذات الساحل.

ورحل القائم (عم) من أجدائية يوم الجمعة النصف من (ط 127) شهر
صفر، ودخل بركة لست خلون من شهر ربيع الأول واستخلف على
برقة أبا داود الملوسي / ودخل القائم الإسكندرية يوم الجمعة لأربع
عشرة من شهر ربيع الآخر، وكان مسيره من رقادة إلى الإسكندرية
اثنين وسبعين مرحلة. فاجتمع (عم) بحباسة بن يوسف وأصحابه
وجميع عسكرهم بالإسكندرية. وأقام على القضاء بالإسكندرية
أحمد بن تعبيرة⁽⁸⁰⁾ واستعمل عليها مطنب بن ربيع الملوسي. وأمر
المؤذنين فأذنوا بحي على خير العمل يوم دخوله إليها.

177

قدوم الجيش
العباسي للتصدي

ثم قدم القائم (عم) بين يديه حباسة بن يوسف وعفيقان بن
كردوس وسليمان بن كافي وعامر بن يوسف، وخرج من الإسكندرية
بعدهم للنصف من جمادى الأولى فنزل حسا، ونزلت مقدمته جوف
البلور، وانتهى القائم إلى البربرية في جميع عساكره. وصح عنه
كون تكين أمير مصر بذات الساحل يوم الأربعاء الثاني عشر من
جمادى الأولى فنزل في ضفة النيل، وبينه وبين عساكر مصر ستة
أميال⁽⁸¹⁾.

(79) وعند الكندي، 269: يوم السبت لثمان خلون من صفر

(80) في مقتطفات الدشراوي، هامش 64: أحمد بن تعسرة. ولم نجده في مراجعنا،
ولا مطنب الملوسي

(81) هذه الأماكن بين الإسكندرية والفسطاط ملتبسة في المخطوطين، فقراءتنا لها
تقريبية. ويذكر ابن حوقل، 66، «الفتى» بعد الحنية وقبل ترنوط وذات الساحل. =

ولَمَّا كان يوم الخميس الثالث عشر من جمادى الأولى عبًا القائم عساكرُهُ فجعل الميمنة ملوسة الفحص، والميسرة جيملة، وجرى بينه وبين أهل مصر قتال فأصيب رجاء بن أبي قَتَّة في (ر 89 أ) إبطه بِسَهْمٍ مات منه، فصلَّى عليه القائم (عم) ودفنه ليلاً رحمة الله عليه. وأقام الإمام، والقتال غير منقطع / بينه وبين أهل مصر إلى يوم الأربعاء لليلة بقيت من الشهر. فاستأمن إليه جماعة من عسكر أهل مصر فأحسن إليهم. ورحل فنزل على ثلاثة أميال من عسكرهم. فارتاع لذلك أهل مصر. وأقام القائم (عم) هنالك. ثم انقطعت الميرة عن عساكر القائم فارتحل إلى الفيوم لليلتين بقيتا من جمادى الأخرى. فسبقه قومٌ من عسكره إلى الفيوم فانتهبوها فأمر بقتلهم وسكن الناس فأمنهم. ورحل القائم الخميس لثلاث عشرة (ط 128) [خلت] من جمادى الأخرى إلى الأرنس. ورحل السبت فنزل لصيفة ورحل الأحد فنزل الهرمين، والتقى بأهل مصر * فقتل وأسر، وغرق خلقاً كثيراً في النيل. ثم رحل الثلاثاء لثمانى عشرة ليلة خلت من جمادى الأخرى فنزل بأرض الخمسين⁽⁸²⁾ والتقى بأهل مصر فكان في القلب جيملة وفي الميسرة إجانة وأهل إفريقية، وفي الميمنة ملوسة وبقية المغاربة، وفي الساقة لهيصة. فانهزم حباسة بعد مواجهة ومنازلة كانت بينه وبين أهل مصر. فأرسل إليه القائم (عم) يأمره بالتوقف، وأنَّ الحرب لم تبلغ إلى الهزيمة، فلم يمكنه الرجوع، وهو مجذَّ في هزيمته، وقد أتبعه الناس وخرج من أهل مصر خلق عظيم

178

ارتحال القائم إلى
الفيوم...

دش 35

... وانهزام
حباسة أمام جيش
مصر...

= والبربرية قراءة نسخة «ر» ونحن لا نجد قريباً منها في المراجع. والدشراوي في خلافته، 145، يسميها «النريية».

وصاحب العيون والحدائق يذكر «مسوك» عوض «حسا»، و«جنان ساور» عوض ذات الساحل، و«خليج بوهة» في صفة النيل (ص 178).

ويقابل الحسا ومسوك عند الكندي. «مشتول»

(82) هذه الأماكن بين الفيوم والفسطاط غير مذكورة في كتب الرحالين التي بين أيدينا.

لا يحصى. والقائم (عم) واقف في بقية العسكر ممن صبر معه
من/ الكتائب والعييد والجند والبربر. ولم يزل يمسك القتال،
ورجا أن يأتي الليل. وجاء العصر، وألح عليه الناس، وعظم الباس.
فهز (عم) اللواء ثلاث مرّات وحمل، فحمل الناس معه ولم يتخلف
عنه أحد ف وقعت الهزيمة في أهل مصر فقتل منهم وغرق خلق
عظيم. فذكر أهل السير⁽⁸³⁾ أن الذين قتلوا أو غرقوا في ذلك اليوم
من أهل مصر خمسون ألفاً، وقيل إنه لم تبق دار بمصر إلا كانت
فيها مناحة على غريق أو قتيل.

179

.. لكن القائم
ينقذ الموقف

ورحل القائم بأمر الله (عم) لثلاث بقين من جمادى الأخرى
فانتهى إلى الاسكندرية * لأربع خلت من شهر رجب فأقام بها. وكتب
إلى أمير المؤمنين المهدي بالله، وضمن كتابه هذا الشعر
(خفيف):

دش 36

شعر للقائم في
الفخر ومدح
المهدي أبيه

أنا سيف الإله وابن رسول الله ه قطب الهدى وللناس قبلة
وإذا ما الغمام أسجَمَ جدّوا ه يكون الإمام للناس مثله
يقصر القتل دون بغداد حتى يُظهر الله بالعراقيين عدله
يا إمام الهدى ومن طيب الله ه له فرعه وطيب أصله
5 تفخر الأرض حين تعلقوا ثراها ثم تغدو حزونها وهي سهلة
يا ابن من أسدلت عليه ستور الـ حوي أثوابها ولم تكس مثله
بك ظلّ الفخار يفخر والحدّ ق، وألبستني من الفخر حلة
ثم أنهضتني لمصر وشام وخراسان والعراقيين جملة/
فأنا سيفك الذي يفلق الها م فلا نبوة له إن تسله
10 يفرق الغرب والمشارك منه وتكلّ الجموع من أن تفله
كم مطيع قد كان في طود عزّ ثم لما عصاك بددت شمله

180

(83) لا يذكر الداعي إدريس هذه المصادر ولا يسمى مؤلفي هذه السير

وكفورٍ مُنَاصِبٍ ذِي عِنَادٍ بِكَ أَرَدَيْتُهُ وَأَفْنَيْتُ غِلَّةَ
وَأَنَا سَهْمُكَ السَّرِيعُ إِلَيْهِمْ مَدْرُكُ للْعَدُوِّ مِنْ غَيْرِ مُهْلَةٍ
لَا أَرَى هَائِبًا لِسَهْلٍ وَوَعِيرٍ وَلَجِيشٍ فِي حِينِ أَلْقَاهُ كُلَّهُ
15 فَبَحْسَنَ الْيَقِينَ وَالْحَزْمَ وَالْعِزَّ مَ، كَثِيرُ الْعَدُوِّ عِنْدِي قِلَّةٌ
فَانْتَظِرْ يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ مَا قَدْ وَعَدَ اللَّهُ فِيكَ مِنْ قَبْلِ رُسُلِهِ
مِنْ فَتُوحٍ تَلْقَاكَ بِالْعِزِّ وَالنَّصْرِ بِرِ لَدَى النِّيلِ وَالْفُرَاتِ وَدِجْلَةٍ
وَكِتَابِي إِلَيْكَ مِنْ غَايَةِ الْبَعْدِ بِدَ وَوَقْتُ الرِّحِيلِ أَيْمَنَ رِحْلَةٍ

رجوع القائم إلى
الاسكندرية

ولما كان عيد الفطر والقائم بأمر الله (عم) مقيم بالاسكندرية،
خرج (صلع) فصلّى بالناس صلاة العيد في السنة المذكورة، وخطب
خطبة العيد بالاسكندرية فقال:

«باسم الله الرحمان الرحيم، وبه نستعين. الله أكبر! الله أكبر
لا إله إلا الله. والله أكبر! الله أكبر! لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن
عصى الله. أَلَا ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ (الأعراف، 44 - 45) ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ
بِالْقِسْطِ / مِنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران، 21).

خطبة القائم في
عيد الفطر سنة 302
بالاسكندرية...

181

«الحمد لله الخلاق العليم، المدبر الحكيم، الذي لَهُ مَقَالِيدُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ (ر 90 أ) عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى
ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ، وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ
وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا﴾ (المجادلة، 7)، أحاطت بهم
قدرته وعلمه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة، 225)
﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (طه، 111). هو
الأول قبل كل أوان وزمان ومكان وغاية ونهاية، وهو اللطيف الخبير الذي
﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ (لقمان، 10) ففلق مصابيحها
وأضاء شمسها وأنار قمرها وفجر ينابيعها ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا

أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿ (النازعات، 30). فسبحان الذي لا يُدَلَّ عليه إلا بآياته، وما فطر من أرضه وسماواته، وبان لخليقته من تدبيره وتكامل رسله إلى الأمم كافة من عباده إذ قال لهم : إِنَّ اللَّهَ ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (إبراهيم، 10) (ط 130).

«معاشر الناس! إنني أصبتُ أمتكم هذه كما أصاب رسول الله (ﷺ) اليهود والنصارى، معهم التوراة والإنجيل، ومعهم كنائس وبيع، فدعاهم (ﷺ) إلى كمال العلم بما في التوراة والإنجيل فما آمنوا به، فحكم عليهم (ﷺ) بالسيف والجزية والسبي والنهب والجلاء. وكذا أصبتُ أمتكم هذه قد اتخذت قرآنكم عضين/ ونبذتموه وراء ظهوركم واشترتكم به ثمناً قليلاً⁽⁸⁴⁾. فقلت لكم:

182

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (المائدة، 68). ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ، تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (آل عمران، 64). فرميتموني بأني خارجي⁽⁸⁵⁾ مبتدع، ورأيتم جهادي وقتالي والله ناصري ومعيني، ورأيت أهل الأمصار وقد دعوا علي في مساجدهم والله (عج) سائلهم عن كلامهم ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (المجادلة، 18). فظننت (90 ب) الأمة الكاذبة المرتدة الناكسة على عقبها المغيرة لأمر ربها أنها قد أصابت فيما أدعته لخلفائها الذين يزعمون أنهم خلفاء رب العالمين، مثل صبي لم يبلغ ومثل غلام لم يعقل ومثل طفل يدبر الإسلام بزعمهم،

.. يتند فيها
بفسوق الحكام
المتصيين ..

(84) تصمين للآية 187 من سورة آل عمران.

(85) الخارجي هنا معنى المارق بوجه عام.

ومعهم امرأة تحمل إليهم الخمر من كل وادٍ وكل قطر على ظهور الخيل ويطون السفن، كما قال الله (تع): ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة، 81) فأنفقوا أموال اليتامى والمساكين ظلماً منهم وعدواناً لمُغْنٍ عَوَادٍ، وطبراني حاذق، وَمَعْرِفَانِي وَطَبَال مُجِيد، ورأت ولاتها في الأمصار يصعد أحدهم أعواد منبر رسول الله (ﷺ) فيعظ / الأنام وهو غير واعظ لنفسه، وينزل عن ذلك الموضع فيسألكم في البلد عن مغْنٍ ومغْنِيَة وطبراني وعَوَاد وسارق وباحس مكيال وناقص ميزان، فيجيب ذلك إليه، لَعَنَ الله الظالمين وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعيراً⁽⁸⁶⁾، فلا آمرٌ بمعروف ولا ناهٍ عن منكر.

«حتى إذا قام عبد الله الضعيف المسكين يدعوهم إلى الله ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (الجن، 19) من كل (ط 131) حذب ينسلون، ومن كل حَزَنٍ يهطلون. فهلُموا عباد الله إلى ما دعا الله (تع) في كتابه! كلاً! فالله الذي لا إله إلا هو ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ، وَلَكُمْ آلَؤُفٌ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء، 18).

«يا أيها الناس، إنكم أصبحتم في عمياء مظلمة، وسوداء مدلهمة، غامرة بفتنة تنقلكم إلى فتنة، قد أضلّتكم بأضاليلها المبتدعة وشملتكم بأكتافها المهلكة. فأنتم عائمون في عواشيتها مغرقون في مبادئها، قد غلقت عليكم أبوابها، وعميت عليكم أسبابها، فأعلام دينكم طامسة (ر 91 أ)، وآثار نبيكم دارسة، والمنكر فيكم ظاهر، والمعروف فيكم دائر، فأين تذهبون؟ إلى الجحيم لا محالة تُسحبون، أَمْثَابُونَ أَنْتُمْ أَمْ مُعَذَّبُونَ؟ أَشَكَرْتُمْ لَهِ نِعْمَتَهُ، لِأَنَّهُ حُجَّتُهُ عَلَيْكُمْ، مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَالذَّبَّ عَنْ حَرَمِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، الَّذِي اسْتَفْذَكُمْ مِنَ الْهَلَكَةِ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

. ويتقصير
المسلمين في
نصرة آل البيت

(86) اقتباس من سورة الأحزاب، الآية 64

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء، 59)، فجعل الطاعة فريضة وصل بها طاعة ولاية أمره، فهم القائمون لله بحقه والداعون إليه من رغب إلى طاعته، واستخضعهم بالإمامة التي هي أعظم الدرجات بعد النبوة، وفرض على العباد حقوقها، وأمرهم بأدائها، وجعلها موصولة بطاعته، وضاعف لهم الثواب بقدر ما والوا من أمروا بولايته. وليس للإمام أن ينقص الرعية حقها، ولا للرعية أن تنقص حق إمامها. فمن حق الرعية على إمامها: إقامة كتاب الله جل ثناؤه، وسنة نبيه، صلى الله عليه وعلى آله، والأخذ لمظلومها من ظالمها، ولضعيفها من قويها، ولوضعها من شريفها، والتفقد لمعاشها واختلاف حالاتها، نظر الشفيق على عياله بجهد، الكاليء لهم بعينه، فإنه (عج) فيما حمد من أخلاق نبيه ورسوله قال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة، 128). فإذا فعل ذلك كان على الرعية إجلاله وإكرامه ومكافئته، والاستعداد والاستقامة، ما استقام على كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ). واجب الإمام نحو رعيته ...

«اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك (ط 132) فيما كانوا فيه يختلفون. اللهم، وصل على المهدي بالله أبي محمد أمير المؤمنين/ كما صليت وباركت على الخلفاء الراشدين المهديين الذين (ر 91ب) قاموا بالحق وبه يعدلون، اللهم كما جعلتهم للدين غيائاً، وللعباد ملجأً وملاذاً، فأقر به أعين المؤمنين، وأنصره على أعدائك العصاة الفاسقين الكفرة المارقين الظالمين، إله الخلق رب العالمين.

«اللهم أنصر جيوشنا وسرايانا في مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها، وسهلها وجبلها. اللهم، ألعن أعدائك وأهل معاصيك من الأولين والآخرين، وقوم نوح في العالمين، إنهم كانوا القائم يلعن أعداء أهل البيت على المنابر

قوماً فاسقين، وعاداً وشموداً وأصحاب الرس⁽⁸⁷⁾، وجبابرة بني أمية وبني مروان، ومعاوية بن أبي سفيان الذي اتخذ من عبادك نصيباً مفروضاً بالدنانير والدرهم * وقاتل بهم المهاجرين والأنصار، وآل عن عمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان⁽⁸⁸⁾، والوليد بن عتبة⁽⁸⁹⁾، والوليد بن أبي مُعَيْط⁽⁹⁰⁾، والوزع ابن الوزع - يعني مروان بن الحكم - والمغيرة بن شعبة، وزياذ بن سمية⁽⁹¹⁾، وعبيد الله بن زياد، والسلمي⁽⁹²⁾، وذا الكلاع⁽⁹³⁾، وحوشبا⁽⁹⁴⁾، والأشعث بن قيس⁽⁹⁵⁾، وعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف، وعبد الرحمان بن ملجم، والناكثين والقاسطين، والمارقين والمخالفين والمبتدعين، والمرجثين والقاعدين عن الجهاد مع أمير المؤمنين، اللهم / أنصر الحق وطلابه، وأذل الباطل وأحزابه، إنك أنت العزيز الحكيم^(95م).

(87) أصحاب الرس - والرس هو البئر - هم القوم الكافرون الذين كذبوا شعييا (88) عتبة بن أبي سفيان: ممن شهدوا يوم الجمل مع عائشة وصفين مع معاوية، وهو أخوه. (89) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان: ولي المدينة لمعاوية عمه ويزيد وكان يضايق الحسين بن علي.

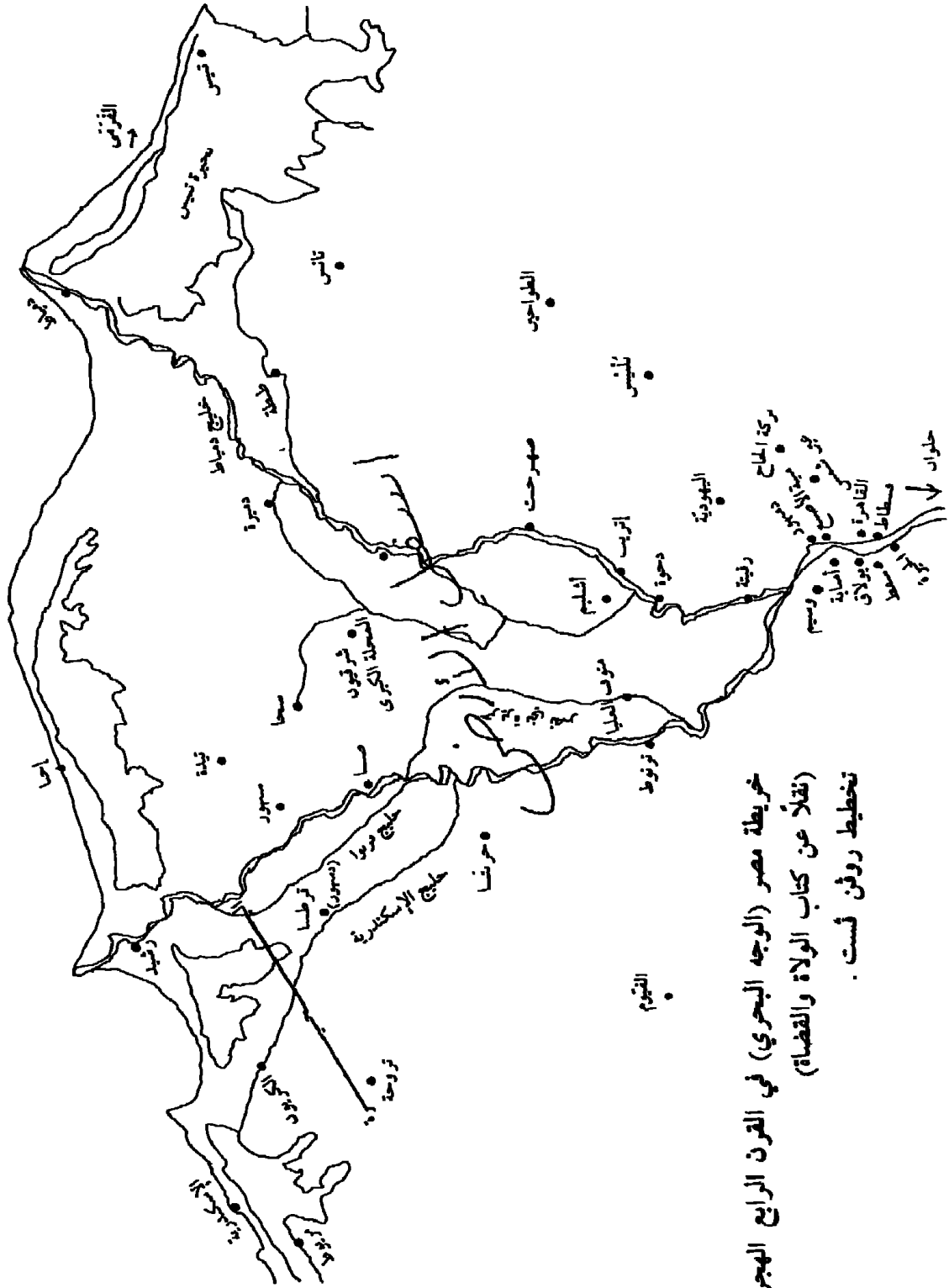
وقد يكون الوليد بن عتبة بن ربيعة الذي قتله علي يوم بدر. (90) الوليد [بن عتبة] بن أبي معيط: أخو عثمان بن عفان لأمه. كان سكيراً مستهتراً بالدين. وكان ممن يطالب بدم عثمان ويشتم علياً. وشارك في وقعة صفين وكان يحرض معاوية بشعره فيقول:

وإن علياً ناظر ما تجييه فأهد له حرباً تشيب السواصيا

(91) هو زياد بن أبيه أمير العراق، وقاتل حجر بن عدي (92) السلمي هو: أبو الأعور عمرو بن سفيان، من العبسية الذين شاركوا في صفين ضد علي.

(93) ذو الكلاع. أبو شراحيل الحميري. كان مع معاوية في وقعة صفين، وفيها قتل (94) حوشب بن طخمة الألهاني ذو ظليم: كان كذلك في صف معاوية يوم صفين. (95) الأشعث بن قيس الكندي. هو من أصحاب علي. ولكن الشيعة يؤاخذونه بتحريضه علياً على قبول التحكيم (انظر دائرة المعارف الإسلامية).

(95م) وكان علي يلعن من هؤلاء: معاوية وعمرو بن العاص وأبا الأعور السلمي والوليد بن عتبة (وقعة صفين لنصر بن مزاحم، 636).



ووصل أهل مصر إلى القائم (عم) يسألونه أمانا يكتبه لهم على نفوسهم، حين هلك منهم من هلك ممّن قتل أو غرق. فلما كتب لهم بذلك، استثنوا عليه وقالوا: أنت من قبل أبيك، وإنّا نريد أن يكتب لنا الأمان كما كتبت، ونحن نسلم مصر إليه وإليك. فكتب القائم بأمر الله إلى المهدي بالله يُعلمه بما سأل أهل مصر من الأمان. فورد عليه الجواب من أمير المؤمنين (عم) (ر 92) وقال له: إنما يريد أهل مصر أن يخادعوك حتى تأتيهم المواد من بغداد (ط 133).

قدوم مؤنس القائد بالمدد من بغداد

ثمّ إنه وصل إلى مصر مؤنس المظفر⁽⁹⁶⁾ من قبل المقتدر العباسي في يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم سنة ثلاث وثلاثمائة، فدخل مصر في عدّة وعدد، والتقاء أمير مصر إلى خارج في من معه من العساكر والقواد، وعبر إلى الجيزة ونزل بأرض الخمسين فضرب فيها مضاربه، وعباً كتائبه. وكان محمد بن طغج مقيماً بالمخايض⁽⁹⁷⁾ أميراً بها من قبل صاحب مصر. فلما كان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من المحرم سار إليه فتح بن ثعلبة من قبل القائم بأمر الله (عم) في جمع معه، فصبح محمد بن طغج، فثار ابن طغج، وكان حازماً مجرباً، فركب في غلمانته/ وخواصه، وقد وقعت الصيحة في عسكره. فحين رأى محمد بن طغج صدق

187

(96) مؤنس الخادم: أحد القواد العباسيين الكسار، خذم المعتضد والمقتدر وقتله القاهر سنة 321. وقدمه إلى الفسطاط كان، حسب الكندي، 273، في 15 رمضان 302 وخلافة المقتدر دامت من 295 إلى 320.
(97) إمارة محمد بن طغج بالمخايض: كان هذا قبل أن تصير إليه ولاية مصر كلّها سنة 323، فتلقب بلقب أجداده المرغابيين: الإخشيد وفي العيون والحدائق، 205، أن تكين أمير مصر أنفذه إلى جزيرة منوف ليمنع المغاربة من العبور، وهم بقيادة فتح بن ثعلبة «وربما تحاربوا على تلك المحايض». فالمخايض - والأصح: مخاوص - ليس موضعاً بعينه، وإنما هي أماكن العبور من النهر.

انهزام المغاربة
أمام ابن طنج

القتال استقبل القوم فأحاطوا به فرمى عنه غلمانه فأصابوا اثنين من فرسان المغاربة فقتلا، وتوقفت المغاربة عن القتال، ورجع من كان انكشف من الناس وانهزمت المغاربة وقتل جماعة منهم، ورجع فتح إلى عسكر القائم.

فلما انتهى خبر ذلك إلى مؤنس أظهر الفرح والبشرى بذلك، وكتب إلى المقتدر العباسي، وكثروا غاية التكثير وأظهروا به الجذل والسرور.

وتشغب المصريون على مؤنس فقتل منهم نفراً.

ولعشر خلون من ربيع الأول من السنة المقتمة ذكرها، رحل القائم عن الإسكندرية لما قلّ فيها الطعام، واستخلف في الإسكندرية فتح بن ثعلبة (ر 92ب) وأمره أن يستعدّ منجنيقات وعرّادات وينصبها ليمنع المراكب من العبور إلى الاسكندرية. وانتهى القائم (عم) إلى الفيوم، ووافق ذلك موت إبراهيم بن كيغلغ⁽⁹⁸⁾، وكان من قادات أهل مصر وكبرائهم وأهل النكاية فيهم. فلما انتهى علم موته إلى القائم وثب بعساكره إلى الأشمونين⁽⁹⁹⁾ حيث ابن كيغلغ فملكها.

القائم يستولي
على الأشمونين

(98) إبراهيم بن كيغلغ: أخرجه مؤنس عن مصر عند توليه عليها سنة 302، كما صرف عنها تكين (العيون والحدائق، 178). ويبدو أنه رجع إليها إبان حملة القائم الثانية، فكلفه مؤنس بحماية النهسى - بين بي سويف والمنية، جنوبي الفيوم - «فأجلى ما كان بها من البربر ومات في مستهل ذي القعدة 308» (نفس المرحع، 207) ويقول الكندي، 307. «فصرفه مؤنس إلى جزيرة الأشمونين، وكان بها، (أي قبل رجوعه إلى الشام) ومات إبراهيم في غرة ذي القعدة 308». فكان الداعي إدريس هنا يخلط بين الحملتين

(99) الأشمونين: على الضفة الغربية من النيل وتبعد عن القسطنطين (مصر) نحو ثلاثمائة ميل

وحين بلغ مؤنس خروج القائم من الإسكندرية أرسل إليها
ثمال⁽¹⁰⁰⁾ الخادم فاستولى عليها، / وقتل كثيراً من أهلها وأخربها.

وكتب مؤنس إلى القائم بأمر الله يتهدده ويتوعده ويقول إنه إن
أطاع بني العباس، كان له الأمان وإقطاع الناحية التي هو فيها (ط 134)
.. ومؤنس على الإسكندرية ويحلف له مغلظات الأيمان. فكان جواب القائم:

«بأسم الله الرحمان الرحيم. من أبي القاسم محمد ولي عهد
المسلمين ابن الإمام أبي محمد عبد الله المهدي بالله أمير المؤمنين
صلوات الله عليه، إلى مؤنس.

«سلام على من أتبع الهدى. فإنني أحمد إليك الله الذي لا
إله إلا هو وأسأله أن يصلي على محمد رسوله (ﷺ).

«أما بعد، فإنه وصلني كتابك، وترجمته من مؤنس مولى أمير
المؤمنين، وتذكر ما أختص الله (عج) به ولد العباس رحمة الله عليه
من خلافته في أرضه وأمانة عبادته، وتمكينه لهم، وأنه يلزمني
الائتمام بهم، والدخول في طاعتهم، وتسكين الدماء، ولم الشعث،
وترك إيقاع الفرقة وإثارة الفتنة، وما بذلته ورغبني فيه من الأموال
والإقطاعات من الناحية التي أنا فيها إن دخلت في جملتهم،
ووصفته من وفور جيشك، وكثرة جموعك، وتوعدني باللقاء
والمقارعة إن أبيت ذلك، وفهمته.

مؤنس يدعو القائم
إلى طاعة بني
العباس...

«فأما الخلافة، فما جعل الله (عج) للعباس بن عبد المطلب/
فيها حظاً، وما هو منها في شيء لأنه (ر 93 أ) ليس من المهاجرين، ولا من
العشرة الذين توفي رسول الله (ﷺ) وهو عنهم راضٍ، ولا أدخل في
الشورى، ولا التمسها لنفسه في وقت من الأوقات.

(100) ثمال: ثمل، عند الكندي، 275 وفي العيون والحدائق، 206

«وإنما خصَّ الله بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وامتحن بها من بعد رسول الله، صَلَّى الله عليهما، رفعا لدرجته في جنات النعيم، فصبر (صلح) على مضض الأمور، ابتغاء لما يبقى في الدار التي لا تبيد ولا تفنى. وصارت لولده من بعده فكانوا أحقَّ بها وأهلها فغضبهم بنو أمية الكفرة الفجرة، الشجرة الخبيثة الملعونة في القرآن،⁽¹⁰¹⁾ ثم بنو العباس، رضوان الله على العباس، من بعدهم، فأطفأوا نور الله وبدلوا الحقَّ بالباطل، وكانوا مثل الملوك الذين عتوا في الأرض من قديم الدهر، وجعلوا الملك بينهم ميراثاً، فأملى (ط135) لهم الله (عج) المدة ليستدرجهم، ثم إنه ينتقم منهم ويأخذهم، وهو فاعل ذلك ومهلك آخرهم كما أهلك أولهم، وراؤ الحقَّ إلى أهله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ، كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (المجادلة، 20 - 21).

القائم يترك

مصر

190

«وأما ما بذلته من المال والأمان والإقطاع ﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهِدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (النمل: 36).

ولما وصل جواب القائم بأمر الله (عم) إلى مؤنس انقطع فلم يكتب بعد ذلك كتاباً إلى القائم. وأقام / القائم في الفيوم إلى أن ورد عليه كتاب أمير المؤمنين المهدي بالله يستنهضه إلى رقادة.

فرحل القائم بأمر الله (عم) إلى رقادة من الفيوم، وواصل السير حتى وصل إلى أمير المؤمنين (صلح). وجلس له الإمام (عم) في الإيوان واعتنقه وسلّم عليه. وقد روى القاضي النعمان بن

(101) إشارة إلى «الشجرة الملعونة في القرآن» (الإسراء، 60) التي يؤولها جمهور المفسرين بشجرة الزقوم، ويؤولها الشيعة نأعداء الرسول (ﷺ) من بني أمية. قال البيضاوي في تفسير الآية: «أولت بالشیطان، وأبي جهل، والحكم من أبي العاصي» وانظر التأويل الشيعي في موسوعة الغدير 248/8

محمّد (رضي الله عنه) عن الإمام المعزّ (ر 93 ب) لدين الله (صلع) أنّه قال (102):

«ولقد أنهض المهديّ بالله (ص) قُرّة عينه ومُهجة نفسه القائم
 (ص) إلى مصرَ كَرَّتَيْنِ⁽¹⁰³⁾ وهو عالم بأنّها لا تُفْتَحُ على يديه، ولكنّه
 أراد تأكيد حجّة الله عليهم بدعوته، وألّا يدع شيئا من المجهود إلّا
 بلغ منه ما في نفسه، وإن كان ذلك قد أدخل الشكّ على بعض
 المستضعفين في أمره، ولذلك ما كرهناه أن نُدْخِلَ عليهم مثله
 بالحركة في غير أوان الوقت⁽¹⁰⁴⁾».

كان المهديّ يعلم
 أن مصر لا تفتح
 على يديه

«ولقد أخبرني المنصور بالله (ص) أنّه تلقّى القائم (عم) عندما
 انصرف من الكربة الثانية عن مصر، وقد كان المهديّ بالله ارتحل
 - بعد خروجه - إلى المهديّة، قال: فلما انتهى القائم (صلع) إلى باب
 المهديّة نظر إليه ثمّ قال: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبُ قضاها﴾
 (يوسف، 68) ودخل، ودخلت معه إلى المهديّ بالله (صلع) في وقته
 ذلك، فسلم عليه وضمّه إليه ثمّ قال: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ / يَعْقُوبُ
 قضاها﴾. فكأنما نطقا بذلك معاً (صلع) بلسان واحد وعن رؤية واحدة».

هذا قول المعزّ لدين الله (صلع)، وآخر الله الأجل إلى أوان
 المعزّ لدين الله (عم) ففتح الله مصر على يديه. وسوف نذكر ذلك
 إذا انتهينا إليه.

191

وحديث المهديّ للقائم عليهما السلام كان بعد رجوعه عن
 مصر (ط 136) بعد أن عمرت المهديّة، لأنّه قيل: إنّهُ خرج (عم) إلى مصر
 المرّة الأخرى في سنة تسع وثلاثمائة⁽¹⁰⁵⁾. وملك في المرّة الأولى

(102) المحالس والمسائر، 476

(103) كانت المرّة الأولى سنة 301 (الأنعاط، 98 و 103، واس عداري، 181/1).

(104) أن يحهّر هو أيضاً حملة في غير أوانها المقدّر فيجعل الأنصار في نفس الارتباك
 والتساؤل الذي تبع رجوع القائم عن مصر

(105) ست وثلاثمائة على الأصحّ اطر المقرزي، أنعاط، 103، وهو ينقل عن ابن =

الاسكندرية والقيوم وجبى خراجها وخراج بعض أعمال الصعيد.

[العاصمة الجديدة: المهديّة]

وأقام المهديّ بالله (ص) في رقّادة أيّاماً. ثمّ أمر بعمارة المدينة البيضاء المسماة المهديّة. نسبة إليه (صلع) فُنيّت بالحجارة ويُوّيت بالحديد المحض. وانتقل المهديّ بالله (صلع) كما ذكرنا^(105م) في شهر شوال من سنة ثمانى وثلاثمائة فسكّنها. ورأى الناس منه معجزاتٍ ممّا هيّا الله (عج) (ر 94 أ) له في بنائها، ويسّر له من الصعب فيها، وزاد إليها في البحر وجعل لها إلى البحر مخرجاً وجعل عليه قفلاً⁽¹⁰⁶⁾. وكانت من أعجب المدن وأمنعها، وأحسنها بناءً، وأعجبها هيئةً. وجعل فيها أهراء كثيرةً للطعام⁽¹⁰⁷⁾ وأجرى إليها

= الأثير، ولا يخفّ هزائم الجيش والأسطول الفاطميين. وانظر الكندي، 275، والعيون والحداثق، 203

(105م) لم يسبق ذكرُ لانتقال المهدي إلى عاصمته الجديدة، إلّا في المنقول عن النعمان: وكان المهدي ارتحل إلى المهديّة، بعد خروج القائم (إلى مصر أو منها).

(106) في خصوص ميناء المهديّة، يقول البكريّ، 30: «ومرساها مقور في حجر صلد يسع ثلاثين مركباً وعلى طرفي المرسى برجان بينهما سلسلة من حديد فإذا أريد إدخال سفينة فيه أرسل حراس البرجين أحد طرفي السلسلة حتى تدخل السفينة ثمّ مَدّوها كما كانت». ويلخص التحاني في الرحلة ص 322، كلام الرقيق القيروانيّ والبكري، ويقول في الزيادات إلى الأرض: «ردم المهدي من البحر مقداراً ما بين الجوف إلى القلعة (أي عُرض شبه الجزيرة التي بنيت عليها المهديّة) وهو مقدار علوة سهم، وأدخله في المهديّة فأتسعت. والجامع الأعظم... من جملة ما ردم من البحر» وقد وصف الكسندر لازين Alexan-dre Lézine آثار البرّخين الذين يحذّان ممر السفن، في دراسته عن المهديّة ص 44.

(107) الأهراء، واحدهُ الهريّ - مخزن الحبوب والطعام. وفي اللسان عن الأهرريّ:

«ولا أدري أعربيّ هو أم دخيل؟» والكلمة فيما يبدو من أصل لاطيني Horreum

بهذا المعنى وكانت قرية هرقلّة شمالي سوسة بالساحل التونسي، تسمى Hor-

rea Coelia وهواسم مستمدّ من وظيفتها كمخزن للقموح التي تصدّر إلى روما =

أنهاراً، واحتفر فيها للمطر حفائر عظيمة. وكان (عم)/ إذا نظر إلى حصنها وأبوابها، ورأى إعجاب الناس بها وبأمتناعها قال: «إنما هذا كله عُدَّةٌ لساعةٍ من نهار». فكانت تلك الساعة هي التي انتهى فيها مخلد بن كيداد الدجال، ولم يقف إلا ساعة واحدة، ولم يزل بعد ذلك مهزوماً مغلوباً، حتى رُفِعَ على سور المهدية مصلوباً. وسنذكر قصته إذا انتهينا إليها، وبالله نستعين.

وأمر المهدي (ص) ببناء مصلّى⁽¹⁰⁸⁾ خارج المهدية جعله علماً وقال: «إلى هنا ينتهي مخلد الدجال» فكان الأمر في ذلك كما قال (ط137)، وهذا الحديث معروف مشهور، مأثور مذكور، وقد ذكره الشريف الزيدي إدريس [بن علي] بن عبد الله⁽¹⁰⁹⁾ في تاريخه الذي سماه «كنز الأخيار»، وأجمع عليه أهل السير والأخبار، وهذه من معجزات الأئمة (صلع) التي آتاهم الله علمها، وورثوا عن رسول الله (ﷺ)

= أما الأنهار الحارية، فلعلها القناة التي ذكرها البكري، 29 وهي التي حلب فيها المهديّ الماء «من قرية مناش في أقداس (ج قَدَسْ - الإناء والوعاء) وصبّت في صهرج داخل المهدية عند جامعها، ويرفع من الصهرج إلى القصر (قصر عبيد الله) بالدواليب» وانظر صورة هذا الصهرج في كتاب لازين المذكور (الصورة رقم 57).

أما المواجل، فقد بلغ عددها حسب البكري، 360 ماجلاً «عدا ما يجري إليها من القناة».

(108) المصلّى: ذكره التجاني في رحلته، 321 فقال: «أول ما ابتنى المهديّ بالمهدية سورها الغربيّ الذي فيه أبوابها (وخاصة الباب المسمّى اليوم «السقيفة الكحلاء») وأمر ناشباً فرمى سهماً فأنتهى السهم إلى المصلّى فقال المهدي: إلى ذلك الموضع ينتهي صاحب الحمار.

ولا نجد عند ابن حوقل، 73، وصفاً مطوّلاً للمهدية لأنه زارها سنة 336 عندما «استقل عنها رجالها بانتقال المنصور (عم) عنها وسكنه المنصورية من ظهر القيروان».

(109) في المخطوط: إدريس بن عبد الله وأضفنا اسم أبيه عليّ، اعتماداً على ما سيأتي ص 232. والمؤلف بعد الكتاب مجهولان لدى إيفانوف وبواوالا.

معرفتها، فأنبئوا بها قبل كونها، ممّا يشهد بفضلهم وعلوّ قدرهم وسموّ محلّهم. وكثير ممّا يشبه ذلك قد رواه المخالفون عن الأئمة، وهم، مع روايتهم لها، لفضلهم من الجاحدين، كما قال الله (تع): ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل، 14).

193

واستقرّ/ الأمر للمهدي (ص) وتوطّد الملك وعلت الكلمة، واتّسقت الأمور معتدلة منظمة، فنشر علم آباءه الطاهرين، وأقام (ر94 ب) الدعاة والمعلّمين، وفتح أبواب منحه للطالبين، وأباحها للراغبين، ونشر العدل وأظهره، وأبعد الباطل وأدخّضه، وأقام السنّة وأحيّاها، وأمات البدعة ومحّاها.

وأقام أمير المؤمنين المهديّ بالله (عم)، للنظر في القضاء بالمهديّة ورّقادة وغيرها من الأعمال أفلح بن هارون الملوّسي، وهو أحد دعاة المهديّ بالله، وقد ذكره أبو عبد الله جعفر بن محمد بن أحمد بن الأسود بن الهيثم رحمة الله عليه، في بعض ما ألفه فقال: «وما نسيْتُ فلا أنسى داعيَ ملوسة وشيخ الجماعة وفقهها أفلح بن هارون الملوّسي»⁽¹¹⁰⁾. فقد كان جمع مع الدعوة علوم الفقه، وأدرك أبا معشر والحلواني، وكان يحدث عنهما عن الحلبي⁽¹¹¹⁾ وانتسخ كثيراً من كتب الفقه والآثار والفضائل وخطب

أفلح بن هارون
الملوسي قاضي
رقادة...

(110) أفلح بن هارون الملوّسي، لا العباسي كما في المطبوع والمخطوط. كان قاضياً على طرابلس قبل انتقاض أهلها على المهديّ (انظر ص 174). يقول إدريس هنا إنّهُ تقلّد قضاء المهديّة والقيروان وغيرها من الأعمال. فكان المهديّ سمّاه قاضي القضاء.

واقصر أبو العرب، 241 وابن عذارى، 159، على ذكر رقادة، فيما ولي عليه.

(111) الحلواني هو الداعي الذي أرسله جعفر الصادق وقد مرّ ذكره أمّا أبو معشر والحلي فلا نعرفهما.

.. ينظم مجالس
الدعوة للنساء

194

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى الأئمة من
ولده. وسمعت عنده دعوة النساء وما يخاطبهن به من الدلائل التي
تقبلها عقولهن ويحفظنها. وكان يقول: «فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ» (وقال):
«هي الحجة التي يخاطب بها العالم من علمه، ويخاطب بها/
الجاهل من حيث يعقل». ولقد كان يخاطب المرأة ويقيم لها الدليل
من حليها وخاتمها وقُرطها وتاجها وخناقها وخلخالها وسوارها وثوبها
وعِجارها⁽¹¹²⁾، ومن المغزل والمنسج والشعر واللباس وغيره مما هو
من حلية النساء. وكان يخاطب الصانع من صناعته ويخاطب الخياط
من إبرته وخيطه وحلقته ومقصه، ويخاطب الراعي من عصاه
وكسائه، وفرقه وكُرْزِه⁽¹¹³⁾ (قال): «فما أعرف اليومَ مَنْ يَفِي بهذا ولا
من يقوم به قياسي (ط 138) ولا من يحفظ حفظي، كل ذلك بتوفيق ربي
وخالقي، المنعم علي ورازقي». فرحمة الله عليه، فلقد كان في
كلامه إذا تكلم خاشعاً لله مريداً ما عند الله (ر 95 أ)، رقيق القلب، غزير
الدمعة، رطب اللسان يذكر الله خشوعاً، متذلاً عطوفاً. ولاني
لأحفظ من أمثاله وقضايه كثيراً. وكان يقول: «أحذر أن تثق بأحد
حتى يتمكن! فإذا تمكن ظهر منه السر في العلن». ولقد بلغني أن
أمير المؤمنين المهدي بالله (عم) بلغه عن أفلح بن هارون المذكور
حسن صوت وجودة قراءة وصدق نية، وكان قد كلفه النظر في
القضاء بالمهدية ورقادة وفي غيرهما من جميع عمله، وكان تقياً
نقياً، ورعاً عفيفاً زكياً، فوجه في طلبه اشتياقاً إليه، وأمر البوابين
بدخوله/ راكباً إليه، وكان أمير المؤمنين (عم) متخلفاً في بعض
عَمَلِه فدخل حتى نزل على باب الحرة في القصر الكبير،
فأدخل عليه ورَّحِبَ به وقربه واستدعاه للكلام فأجله، وعظم ذلك

195

تعظيم المهدي
لأفلح بن هارون

(112) الخناق (والمخنقة): القلادة على العنق والعِجَارُ (والمِعْجَرُ). غطاء تلقه المرأة
على رأسها، أي تعتجر به.

(113) الفرق بالكسر: القطيع من الغنم، والكُرْزُ بالضم حرج الراعي.

عليه . فأذن لك في الكلام فتكلّم . ثم قال له أمير المؤمنين : اسكت ! فسكت . وتكلّم أمير المؤمنين (عم) وأفلح يشهق بالبكاء حتّى علاه النحيب . وسمع من المهديّ بالله (عم) ما جلّ موقعه وكبر في مسامعه فمعك خديّه بين يديه ورغب إليه أن يدعو له بالموت .

فقال له : ولمّ ؟

قال : يا مولايّ ، أحللتني منك محلاً جليلاً ، وهذا مقام كريم ، وكلام مكنون لا يمسه إلّا المطهرون ، وأخاف الزلل على نفسي ، فموتي بهذه الطهارة أزكى موضعاً وأجلّ مقاماً . فسألتك يا مولايّ بالعظمة إلّا دعوت لي .

فقال المهدي بالله : يا أفلح لا تفجعني بنفسك !

فقال : يا مولاي ، عند الله الملتقى .

فبكى أمير المؤمنين (عم) وقال : خار الله لك !

وخرج أفلح ذلك اليوم ، وقعد وهنّاه بما بلغنا من هذا ، وذكر لنا بعض ذلك . وتوفي في ذلك الشهر رحمة الله عليه .
وفاة أفلح بن هارون

ونقول : وما أشبه هذه القصّة بقصّة همّام⁽¹¹⁴⁾ حين وصف له أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (صلع) المتّقين ، فصعق همّام فمات رحمة / الله عليه ، وقصّته معروفة ، وكذا يفعل قول أولياء الله سلام الله عليهم ، ومواعظهم وحكمهم الشريفة في القلوب الزكيّة والحلوم الذكيّة والنفوس الطاهرة (ر 95 ب) .

دش 49 * ولما كان في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وصل إلى أمير المؤمنين المهديّ بالله (عم) طغيان نفوسة الجبل بناحية طرابلس .

(114) الخطبة والحادثة في شرح نهج البلاغة ، 460/3 . وهمّام هو همّام بن شريح .

انتقاض جبل نفوسة (سنة 311)
فأنفذ إليهم سليمان بن كافي الإيجاني⁽¹¹⁵⁾ في جيش كثيف فحاربهم وغنم كثيراً من أموالهم. وكتب إلى المهديّ (عم) بخبر الفتح فوافى كتابه لاثنى عشرة ليلة بقيت من شهر شعبان.

وأخرج أمير المؤمنين لغزو الروم جعفر بن محمد بن عبيد في جيش عظيم، فسار إلى صقلية وخرج منها في أسطول كبير فنفذ في أول يوم من سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة. فغزا النصرانية وجاوز العدو الأخرى إلى بلد الروم فافتتح مدناً كثيرة، أكثرها بالسيف عينة، وسبى سبياً كثيراً قيل إنه بلغ عددهم أحد عشر ألفاً، ووافى بهم إلى المهدي بالله (عم). وكان وصوله بهم إلى المهديّة لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأخرى سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة⁽¹¹⁶⁾.

وفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة زحف/ ابن خزر إلى تاهرت بعثة عظيمة وقوة، واجتمعت إليه جموع كثيرة من قبائل زناتة وغيرهم من البربر أهل الأطراف، وطمعوا فيها لقلة من كان مع يصل بن حبّوس⁽¹¹⁷⁾ عامل أمير المؤمنين بتاهرت، فخرج العامل في ثلاثمائة فارس من الأولياء فهزم ابن خزر أقبح هزيمة وقتل وجوه أصحابه وغنم جميع ما معهم، وولى ابن خزر هارباً على وجهه.

(115) سليمان بن كافي الإيجاني في المخطوطين وقد مرّ (ص 175) بنسب الجيملي. ويقول ابن عذاري 187/1، أن قائد الحملة هو علي بن سليمان الداعي.

ومن هنا استأنف الدشراوي مقتطفاته من الكتاب.

(116) أمير الأسطول في البيان المغرب، 190 هو «أبو أحمد جعفر بن عبيد الحاحب»،

افتتح مدينة واري التي ترجمها أماري (367, B. A. S) بـ Ona، لكن في سنة

313 لأنه «شئى بصقلية ولم يلق العدو» ودامت الحملة خمسة عشر شهراً

(117) في المخطوط. فضل. ويصل هو أخو مصالة بن حبّوس المكناسي الذي قتله

محمد بن حرر سنة 312. خلف أخاه على ولاية تاهرت حتى سنة 319 ثم

خلفه ابنه حميد بن يصل (ابن عذاري، 204 وتاريخ إسبانيا الإسلامية، 94/2).

وأتى كتاب عامل تاهرت بخبر ذلك في شهر شعبان من سنة ثلاث عشرة.

[تمرّد البربر بالمغرب الأوسط]

وأخرج أمير المؤمنين (عم) يحيى بن سليمان بن كافي،
والمعلّى بن محمد، ومولى ابن قريش، ومحمد بن ثعلبة⁽¹¹⁸⁾،
ووجوه كتامة في جيوش عظيمة إلى الغرب لإصلاح الأطراف وحرب
زناتة وغيرهم من البغاة في سنة أربع عشرة وثلاثمائة. واتّصلت
الأخبار بأمير المؤمنين بقوة الفساد (ر 96 أ) في الغرب وظهور النفاق
والطغيان، واجتماع قبائل البربر جميعاً مع زناتة حول تاهرت وغيرها
من الأعمال. فأمر أمير * المؤمنين (ط 140) بالاستعداد وحشد كتامة
وجنود إفريقية والعبيد وغيرهم. وخرج القائم بأمر الله في جيوش
عظيمة واحتفال، ووفاه الناس من كلّ وجهة. وكان خروج القائم
(عم) / من حضرة الإمامة من المهدية يوم الخميس لسبع ليالٍ
مضين من صفر سنة خمس عشرة وثلاثمائة بعد صلاة الأولى، فنزل
ذلك اليوم بسبخة بني معروف فبات بها، وأقام فيها الجمعة والسبت
والأحد والاثنين إلى الظهر. ووفد إليه أهل القيروان يوم الاثنين
فجلس لهم، وأمر بفتح أبواب الفازة التي جلس فيها، وأمر أن لا
يمنع أحد من السلام عليه. فدخل الناس جميعاً إليه فدعّوا له
بالنصر والظفر، وسألوا الله سبحانه أن يمده [ب] - بمساعدة القدر.

وسار (صلح) يوم الثلاثاء حتى انتهى إلى الأريس، فوفاه بها
خليل بن إسحاق التميمي⁽¹¹⁹⁾ بعساكر إفريقية وكان قد جمعهم إلى

(118) يحيى بن سليمان. إن كان ابن سليمان بن كافي الذي مرّ منذ قليل، فهو
ملوسي كما ورد في ص 92 وقد ولّاه أبو عبد الله على طنة وكامل الزاب.
ومحمد بن ثعلبة، لا نظنه الأمير الذي ذكره ابن حيان، المقتبس، 348 موالياً
للأمويين. والمعلّى بن محمد ومولى ابن قريش لم يسبق لهما ذكر.

(119) خليل بن إسحاق: سيكون لهذا القائد - الشاعر خدمة محيدة مع الفاطميين،
ويقتله أبو يزيد صراً بالقيروان

القائم يعمر
المهدية برهائن من
القبائل النائية

الأريس فبلغت عدتهم أربعين ألفاً. وأتاه كتاب عامل تاهرت يذكر
انهزام ابن خزر حين سمع بخروجه وأنه ولي على وجهه. فشكر الله
كثيراً، وسأله أن يكون له نصيراً. وارتحل إلى باغاية سادس عشر
من شهر ربيع الأول فأقام بها بقية ذلك الشهر وشهر ربيع الآخر.
ووافته هناك مزاة وقبائل هواره وصدينة وعجيسة وأهل تيجس * وقصر
الإفريقي⁽¹²⁰⁾ وزناته وغيرهم بحشودهم وأمرهم بمصير وجوه رجالهم
بعيالهم إلى المهدي بالله (عم) / وأن يسكنوا المهدية، وأنفذ الكتب
إلى القبائل بالترغيب والترهيب، والتحذير لمن عصاه من بعيد
وقريب.

دش 52

199

ثم رحل من باغاية يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى
الأولى فنزل في أشراف مسيلة بني عيسى وانتهى إلى سطيف لعشرة
أيام بقيت من جمادى الأولى، فتلّقه وجوه كتامة (ر 96 ب) وأقبلوا إليه من
كل فج عميق. فأنفذ رجالاً منهم إلى نواحيهم لإصلاح أمورهم، وأنفذ
كتبه إلى القبائل كافة، وأعذر إلى مزاة وكيانة وبني كملان، فتمادوا
في بغيتهم وأصرّوا على غيهم، فأحكم في سطيف ما أراد إحكامه
وأنفذ الجيوش مع وجوه كتامة وأمر عليهم جعفر بن عبيد، وذلك
لأربع عشرة بقيت من (ط 141) جمادى الآخرة، وقد اجتمعت جماعة عظيمة
من كيانة وبني كملان وقبائل زناته فتحصّنوا في قلعة منيعة وعرة
المسالك صعبة المرام تعرف بعقار⁽¹²¹⁾، فقصدتهم العساكر في
قلعتهم، فأحاطوا بها واقتحموا الوعر عليهم، وتسّموا الجبل فأحاطوا

جعفر بن عبيد
يحاصر المتمردين
بجبل عقار

(120) قصر الإفريقي: انظر ص 101، هامش 89

(121) ورد هذا الاسم مقروناً بكيانة عند ابن حَمَاد، 30 وجل كيانة هو جبل
المعاضيد شمالي شط الحوضه وشرقي المسيلة وهو الحبل الذي يلجأ إليه أبو
يزيد في خاتمة مطافه ومه يؤخذ ويظهر من كلام المؤلف هنا أن كيانة اسم
منطقة من الجبل وأيضاً اسم قبيلة

بهم من كل ناحية، وقتلوهم أبرح قتل، ولم ينج منهم إلا قليل ممن رمى بنفسه في وعر أو بطن وادٍ، وأحرقوا ديارهم، ونهبوا ما كان في القلعة لهم من النعم والخيول والأثاث. وانصرف جعفر ومن معه من الأولياء إلى القائم بأمر الله (عم)/ فهتؤوه بالفتح. فحمد الله على ذلك وأثنى عليه وأمر بالنساء والأولاد إلى أهليهم، وأجرى الوظائف عليهم. وأمر بالنداء بأمان كل من دخل عليه بالطاعة، فأتته قبائل كثيرة من كتامة فأمنهم وعفا عنهم. وكتب إليه بنو كملان يطلبون الأمان فأمنهم وعفا عنهم، وأمرهم أن يلحقوا بالعسكر إلى تاهرت.

200

وأمر عليه السلام ببناء مدينة المسيلة وأقام علي⁽¹²²⁾ بن حمدو¹. وأمره أن يتخذها داراً وينزلها مع عجيصة وجماعة من العبيد، وهي أرض فيها مياه جارية، وفحوص كثيرة واسعة الزرع.

تأسيس المسيلة
(سنة 315)

ورحل (صلح) لثلاث بقين من جمادى الآخرة فتول بياصل وأقام بها وقوم أمر الزاب كله، وأصلح أمر هواة، وأقام بها حتى انقضى شهر رجب. وأمر بقطع (ر 97 أ) الميرة عن زناتة لما تهادوا في الغي والطغيان وأصروا على العصيان.

دخول مصعب
الزناتي في الطاعة

دش 54

ورحل يوم الخميس لأربع ليالٍ خلون من شعبان فشق بلد صنهاجة وواصل السير حتى نزل بموضع * يقال له حائط حمزة⁽¹²³⁾ لإحدى عشرة ليلة خلت من شعبان. وهناك وافاه مصعب بن ماتا

(122) في الجميع: يعلى وعلي بن حمدون الجذامي ابن الأندلسي هو أحد الدعاة الذين صحبوا الحلواني في رحلته إلى المغرب (انظر ماريوس كانار. الأسرة الحمدونية ص 34 من الفصل).

(123) حائط حمزة: بين جبل البيان ومدينة الويرة في بلاد صنهاجة (انظر فصل «أشير» بدائرة المعارف الإسلامية).

الزناتي وجماعة كثيرة من زناتة فعفا عنهم، وأوسع عليهم العطاء، وكساهم، وأمر بإنزالهم وأجرى الوظائف عليهم وأمرهم/ أن ينزلوا حيث أحبوا من البلاد وأعمال الطاعة وانصرفوا. وأقبل الناس من كل جهة يطلبون الأمان فأمنهم (عم).

ورحل فمشى راجلاً قدرَ ميل لصعوبة المسالك، والأخبار تتصل به أن ابن خزر عبد الله بن تباذلت قد تحرّز في قلعة جمّة⁽¹²⁴⁾ مع أهلها، ووعدوه بنصره والدفع عنه وحيطة أمره. وواصل السير (عم) حتى انتهى إلى القرب (ط 142) من جمّة في آخر يوم من شهر رمضان. وأمر الناس بالخروج إلى الصلاة خارج العسكر وأقام الخطبة ثم أمر بالرحيل. فلما انتهى إلى أغزر⁽¹²⁵⁾ أتاه أهل تاهرت فذكروا له أن عبد الله بن تباذلت مقيم بقلعة جمّة وأمره في حربه فأذن لهم. فلما عرف ابن تباذلت - وهو ابن خزر - دنو القائم (عم) لم يكن له إلا أن يهرب، ولمن معه حيلة غير الهرب، ومعه أهل القلعة، فأصبحت خاوية وفيها جميع النعم والأموال. ومضى القائم * بنفسه في خيل مجرّدة فألفى القلعة فيها المواشي والمطاعم والشحن، فأمر الناس فانتهبوا ذلك. وأرسل خيلاً مجرّدة في طلب ابن خزر ومن معه. وانصرف إلى مناخه فأقام فيه، والناس يغنمون ما في القلعة.

عبد الله بن خزر
يترك قلعة جمّة

ورحل يوم السبت لسبع خلون من شوال فنزل بوادي السواني وأقام به ذلك اليوم وما بعده إلى آخر يوم من ذي القعدة/. وتوالت الغيوث والأنواء والأمطار وكثر الوحل، فسَمّى الناس ذلك المناخ

(124) هو أخو محمد بن خزر ولا يسمّى ابن تباذلت في البيان، 191، ولا في المقتبس، 460. أمّا قلعة جمّة، فلا علم لنا بها

(125) في المخطوط: عر والإصلاح من البيان، 191 والكري، 66، 76، وهو يجعلها في سهول متيحة بين أشير وجرائر بني مزغنة، أي الجزائر العاصمة. ويضيف: «ومدينة الخضراء بين تس وأعزر، وأعزر هي أفرنة متيجة»

مناخ الوحل⁽¹²⁶⁾. وفي كل ذلك والقائم (عم) يعذر إلى أهل مطماطة وزبرقة وينفذ الكتب إليهم. فلما تمادوا على الإصرار، ولم يفيثوا للإعذار والإنذار، رحل القائم (عم) بجميع الجيوش يوم الأحد غرة ذي الحجة فنزل بالقرب من مطماطة، وأمر العسكر بالنزول وحط الأثقال ونصب الفازات، وسار بنفسه في خيل مجردة حتى وقف على مطماطة ونظر إليها وارتاد مواضع القتال، وأرسل إليهم بعرض الأمان عليهم فتمادوا في العصيان ولجّوا في الطغيان. فرجع إلى العسكر فبات به. ولما كانت صلاة المغرب جعلت خيل مطماطة ورجالها يتراؤون للناس ويوهمون أنهم يريدون لبيثوا العسكر ليلاً. فاجتمع إلى القائم جميع الأولياء يسألونه الرحيل * من ذلك المناخ إلى موضع آخر أمكن للقتال، فزجرهم زجراً عنيفاً وأمر الناس جميعاً بإسراج خيولهم وإجامها، ولبس لأمتهم والاستعداد للقتال. وأمر بإيقاد السرج والمشاعل في كل جهة فأضاء الليل حتى صار كالنهار، وبات الناس (ط 143) جميعاً ليلتهم تلك مستعدين للقتال قد أقاموا صفوفهم وركبوا خيولهم. فلما أصبح الصباح زحف القائم (عم) في جميع الجيوش والعساكر إلى مطماطة، وذلك يوم/ الثلاثاء 203 لثلاث خلون من ذي الحجة، وكان قد اجتمع إلى قلاع مطماطة قبائل كثيرة قد تعلّقوا بابن تباذلت ووعدوه النصر والمؤازرة. فحين أقبل القائم بجنوده وعساكره خرج ابن تباذلت إلى قلعة القربوس في قوة من حُماتهم وعدّة من كماتهم، وقد أجمع رأي (ر 98 أ) من معه أن يكمن هناك حتى يقع القتال، ثم يخرجون على الأولياء متى اشتغلوا بالقتال.

(126) مناخ الوحل: أو مناخ الطين (العيون والحدائق، 243). ووادي السواني - في المخطوط السوالي - غير مذكور. ولعله سوق إبراهيم المذكور في البيان، 191، وهو بين تاهرت وتنس (ابن حوقل، 89، البكري، 62).

لجوء المتمردين
إلى قلعة القربوس

وقع ذلك بقلب القائم (عم)، وكان أول ما ابتدأ به أن حفظ موضع معسكره وأقام من يحميه من الفرسان والرجال والشجعان والأبطال. وأمر خليل بن إسحاق أن يقف بعساكر الجند من إفريقية بخيلهم ورجالهم إزاء قلعة القربوس، وتقدم إليه أن يأمر من معه من العساكر بالتعبئة وإقامة الصفوف وركوب الخيل والاستعداد للحرب وأن يكونوا على غاية الحذر، فإن * وافاهم العدو فلا يقاتلوه إلا بعد مطالعته وانتظار أمره. فاعتمد خليل ما أوصاه به وأقام بعدته وعدده.

دش 57

قال الرواة⁽¹²⁷⁾: وزحف ابن الإمام بجيوش كتامة وغيرهم في هيئة تملأ القلوب والعيون، وقد ركبوا خيولهم، ولبسوا لأمتهم، وأشرعوا رماحهم، وصفوا درقهم، وبين يديه الرجال يتلو بعضهم بعضاً بالقيسي والرماح والسيوف والدرق حتى أشرف على مطمطة. فوقف القائم (عم) / على شرف ينظر القتال، وأرسل إلى أهل مطمطة يعرض عليهم الأمان، فلم يقبلوه، وخاب سعيهم وما أملوه. فأذن في قتالهم فاقتحمت إليهم الجيوش من كل ناحية وملكوهم بالسيف عنوة، وتسمنوا إليهم الحصون والقلاع ودخلوا عليهم. فحين أيقنوا بالهلكة ضرعوا وخضعوا ونادوا بالأمان فرق القائم (عم) لهم ورحمهم، وأمر الناس أن يكفوا عنهم، وأقال عثرتهم بعد أن اقتحمت جنوده قلاعهم.

204

وأما خليل بن إسحاق فإنه رأى خيول العدو بالقربوس فتعرّف خبرهم فإذا هي خيل ابن تباذلت قد أقبلت من ميسرة خليل، فلم يأذن خليل في قتالهم (ط 144) حتى أرسل إلى القائم (عم) فأذن له بقتالهم، فلم يرجع الرسول إلى خليل إلا وقد حمل على ابن تباذلت ومن معه فولّوا

خليل بن إسحاق
يحمل على ابن
خزر...

(127) لا يعين المؤلف هؤلاء الرواة. وإن كثرة التفاصيل الآتية وتنوع أسماء الأماكن لتحوّجنا إلى معرفة مصادره. هذا مع ما يعتري عرضه للأحداث من تفخيم ومبالغة.

داربين (ر98ب) وانهزموا مدبرين، وأتبعتهم الخيول يقتلون ويأسرون*،
وركض ابن تباذلت فرسه حتى أجهدهُ ووقف به، فنزل له بعض
أصحابه عن دابته فركبها وأمعن في الركض، وخيل خليل قد
أشرفت في طلبه وكادت أن تلحق به. فلم ينج إلا بعد جهد وشدة،
لما أرجأ [الله] له في المدة، وقتل الرجل الذي نزل له عن دابته،
وقتل معه جماعة من وجوه بني ورزمان أهل بيت ابن تباذلت.
وولى ابن تباذلت هارباً على وجهه لا يلوي على شيء، فلم
ينادِ المنادي بالأذان وقت العصر حتى فتحت قلاع مطماطة. وكان فتحاً
لم ير الناظر فيما ذكر الرواة كمثله، ونصراً أتاحه الله لوليّه، وبين فيه
عظيم فضله، والقائم (عم) على فرسه يرفع يديه بالتكبير ويحمد الله
سبحانه على ما أتاح له، بالصوت الجهير. فلما رأى أولياءه إليه من
كل جهة برؤوس القتلى وبالأسرى مقبلين، وقلاع مطماطة قد ملكها
الأولياء عنوة، وهم غير متهيئين ولا فשלين، حوّل نحو القبلة وجهه
وسجد لله (تع) على عُرف فرسه⁽¹²⁸⁾. وكان ركوبه ذلك اليوم على
فرس أشهب⁽¹²⁹⁾. وانصرف إلى المناخ وقد أعزّ الله نصره، وأظهر
أمره. وأطلق الأسارى وأمر من معه أن لا يتعرّضوا للأولاد والنساء،
ومنّ على أهل مطماطة بأموالهم*، وأمرهم أن يدخلوا في جملة
أوليائه، وقرّهم في كل أحوالهم.

.. ويحمل
مطماطة على
الإذعان للقائم

ورحل (عم) بكرة يوم الجمعة لست ليالٍ خلون من ذي
الحجّة فنزل بموضع يعرف بالهوى من ميداس وأقام به باقي شهر
ذي الحجّة.

(128) هذا النصر الباهر لم يذكره إلا الداعي إدريس. أما ابن عذاري، 193، فيقول إنّ
القائم لم يلاق ابن خزر، بل انصرف مسرعاً إلى المهديّة لأنّه بلغه أن المهدي
عزم على تحويل ولاية العهد عنه
(129) في اليوم الموالي سيكون فرساً ورداً بهيماً: فالمؤرخ الممّحد للقائم يقارن بين
تعب الدابة وجلد الأمير.

ورحل يوم الأربعاء لسبع ليالٍ خلونَ من المحرم يريد زبرقة
فتزل بموضع يعرف بالعقوب فبات به. ورحل منه فأشرف على
زبرقة، وهي مدينة حصينة حولها خندق عظيم. وقد تحصنوا في
جوف مدينتهم وتوافروا فيها ولزموا سُورها وحمّوه بالرجال
والسلاح/، وقد اجتمع إليهم من كلّ أوب كلّ فارس (ر99أ) مشهور، وذو
نجدة مذكور. ورجع ابن الإمام إلى معسكره بالعقوب فأقام فيه يوم
الجمعة ثم رحل بكرة يوم السبت فنزل بموضع يعرف بتاغشمت⁽¹³⁰⁾
فأقام فيه (ط145) إلى يوم الثلاثاء النصف من محرم الحرام، وزحف (عم)
إلى زبرقة - وتعرف بأغيت وهو اسمها بالبربرية - فسار إليها بنفسه،
وأتبعته الجموع من الأولياء بالتعبئة والاستعداد، وقد عبّأ صفوفهم
وهيأهم للقتال، وأمر (عم) كلّ من معه من صغير وكبير أن يحمل *
الحطب والعشب ليُلقي في الخندق ويمكن الجواز إلى القلعة.
فحمل الناس جميعاً وأحاطوا بالمدينة من كلّ جهة، وسدّوا على مَنْ
فيها من كلّ وجهة، ونصبت عليهم منجنيقات عظيمة وعرّادات.

توجه القائم إلى
زبرقة - أغيت -

206

دش 60

إعداد آلة الحصار

وأمر [القائم (عم)] خليل بن [إسحاق التميمي]⁽¹³¹⁾ أن يقف
في جموع إفريقية على جبل هناك مشرف على المدينة ممّا يلي
الجبل، وأمره بالحزم أن يقاتله العدو. وقد كانت جموع البربر

(130) تاغشمت: لا ذكر لها في مراجعتنا. وإنّما يذكر ابن عذاري، 193، «تامغلت»،
كما يذكر «برقجانة» ولعلّها تحريف زبرقة، لأنّ بعض نسخ البيان تذكر برقة
عوض زبرقة (هامش 1 ص 193). ويذكر البكري 66، برقجانة أيضاً في طريق
تنس، ثم من تنس إلى تيهرت، يعلّد مواضع «كلاجموت على مصيق مكناسة إلى
عين الصبحي في سفح جبل لمطماطة، إلى تاغريت إلى تيهرت»، وهي
أماكن تقرب نطقاً ووضعاً ووصفاً مما يذكره الداعي إدريس هنا، ولكن دون
تحقيق.

(131) في الجميع: خليل بن يعقوب. وهذا وهم لأنّ يعقوب هو أخو خليل بن
إسحاق، وستأتي أخبار هذا وذاك في الصفحات القادمة.

أرادوا أن يعتلوا هذا الجبل، فحين غشيهم خليل ومن معه، ولُّوا على أعقابهم وأحاطت الجيوش والعساكر بزبرة من كل ناحية، ورموا بما معهم من الحطب في الخندق، فلم يمتلئ الخندق لسعته. واشتغل الناس بالقتال، ووقف القائم (عم) على فرس / وَرِدَ بهيم، يدور بالقلعة من مكان إلى مكان ويحرّض الناس. ودنا حتى وقف في أول الصفوف ومعه درعُه وسيفه، ومعه رمحُه ودَرَقَتُه، والبيضةُ على رأسه. وليس بالمدينة غير بايين قد اكتنفهما العدوُّ برجالهم وأنجادٍ حماتهم.

207

مقاومة زبرة
شديدة...

دش 61

وأمر القائم (عم) بالرمي بالمنجنيق، فرمى عنها بأحجار كثيرة، وأخذت العدوُّ الحجارةُ والسهام من كل ناحية، وتوالت عليهم الجيوش من كل جهة بالجدِّ والاجتهاد، مع صعوبة المدينة وضيق مجازها. فاقتتلَّ الناس قتالاً شديداً حيناً من النهار، وأمرهم القائم أن لا يرتدُّوا عن الخندق (ر 99 ب) وثقب السور. ووقف ينظرُ * إليهم فتقدّموا بين يديه، واقتحموا الخندق ووصلوا إلى السور فوضعوا فيه الفؤوس. ومال العدوُّ إلى تلك الناحية، ووقع بينهما القتال الشديد، وتمالاً الناس إلى تلك الجهة بين يدي القائم. وتضعضع السور وتداعى وانهار منه وجه كثير على من كان تحته فنجاهم [الله] سبحانه ببركة القائم بأمر الله (عم) ولم يمت أحدٌ منهم. وتكالب أهل زبرة وأيقنوا بالهلاك، واشتدَّ القتال واستماتوا، وجالت الجيوش عليهم إلى ما تضعضع من السور، فحموه بالخيـل والرجال. وجعل نساء زبرة يضربن فيما بينهم / الدفوف ويحرّضنهم على القتال ويرفعن أصواتهنَّ بالبربرية ليذمرنَّ الرجال (132). وأصاب الناس مطر، وهم في الحرب. ووقف القائم (عم) وحرّض الناس،

208
... والنسوة البربريات
يحرّضن الرجال
على الصمود...

(132) يلمرنهم: يحرّضنهم على الاستبسال، مع التهديد للجناء

ولم يثنيه وقوع الغيث عن قتال العدى . وكفّ المطر والقتال قائم ونار الحرب تضطرم، حتّى أذن المؤذن لصلاة العصر، وأهل القلعة على طغيانهم مصرّون، وإلى القتال مسارعون متذمّرون، وقد اكتنفهم القتال في كلّ جهة، وطمعوا أن يصابروا بالقتال حتّى يأتي الليل فينصرف القائم بجيوشه عنهم ويمكنهم الهرب عن قلعته. فلمّا أن مالت الشمس للمغيب، سأل بعض الأولياء القائم (عم) أن يستريح ويريح عسكره إلى الصباح فزجرهم عن ذلك * وأرسل إلى خليل بن إسحاق أن ينصرف بجميع من معه من جنود إفريقية إلى المناخ لحياطته، وعرفه أنّه مقيم على العدو ليلته. وتقدّم القائم فانتقى من الجيوش وجوّههم وذوي بأسهم، ومن يُعرف بالشجاعة منهم، وأمرهم فمشوا بين يديه وقصد السور. فلمّا انتهوا إليه كبروا تكبيرة واحدة وتسّموا السور فاقتحموا المدينة، وركب بعضهم ظهور بعض ووضعوا السلاح في العدو، وأضرّموا بيوتهم بالنيران، / واقتحم الناس عليهم من كلّ مكان، وعملت السيوف (ر 100 أ) فيهم من كلّ ناحية، ورأوا الهلاك عياناً، فمالوا على نساءهم وأولادهم فقتلوهم بأيديهم واستماتوا واستبسلوا.

دش 62
.. فيفصلون
الانتحار على
الاستسلام

209

وأشرف بعض أهل زبرقة من السور فرأى القائم (عم) وقد دنا من السور، فرماه بحجر، وقد التفت يحرض الناس فاتّقه بالدركة، وقال: أبعدك الله! فما برح الرامي من مكانه حتّى أتاه سهم غرّب⁽¹³³⁾ فوق في لَبّته وخرّ ميتاً. ورمى الرماة بالسهم حتّى صارت خصوص أهل القلعة وبيوتهم كأنها قنافذ لكثرة السهام، وأضرمت نيراناً واستخرّ القتل فيهم والنهب. وغابت الشمس ونزل القائم (عم) عن دابّته (ط 147) وصلى المغرب والعشاء الأخرى. وركب فرساً فوقف عليها

(133) السهم الغرب هو السهم الذي لا يدري من رماه.

طولَ ليلته وهو لابسٌ * لأمة حربه، وقد أضاء الليلُ من كثرة الحريق والنيران حتى عاد كالنهار. ولم يزل القتلُ في المدينة والنهب حتى طلعت الشمسُ. ولم يُفلت أحدٌ من المدينة إلا مَنْ خرج من الجهة التي كان القائم (عم) فيها: فكلٌّ من قصدها منع من قتله ومنّ عليه. وحين طلعت الشمسُ، مشى القائم بأمر الله (عم) حول القلعة ونظر إلى القتلى وقد تراكموا فيها حتى وآروا السور. واحتوت جيوشه على ما في المدينة من الخيل والسلاح والأثاث/. وأكثر من حمد الله وشكره، وكتب إلى أمير المؤمنين بما منّ الله به من الفتح الذي ملأ جميع الأرض صيته وذكره، وحلّ بعدوهم فيه هلاكه وخسره. وانصرف القائم (عم) إلى مناخه بتاغشمت حامداً الله (تع) على ما أولاه، وأيده من نصره وجباه. وأطلق الأسارى وأمر بحيطة الحرم والأطفال وردّهم إلى أوليائهم من الرجال، وأمنهم.

دش 63
حلم القائم بعد
الظفر

210

إذعان القبائل

وأقام في مناخه ذلك، وأتته القبائل مُدعنةً بطاعته، خائفة (ر100ب) لسطوته، فأمر لهم بحسن النزل، وأنعم على أكابرهم وكساهم، ومنّ عليهم وأعطاهم وهم: أهل لماتة، ومطماطة، وزواغة، ومكناسة، وقصيرة وهوارة، وأهل العيون⁽¹³⁴⁾.

وارتحل في يوم الاثنين لثلاث خلون من صفر حتى انتهى إلى وادي تامرت فبات به. وقصد منه الحمير، وهو مدينة لبني مسرة⁽¹³⁵⁾ أهل بيت ابن * تباذلت الذي هو ابن خزر، فأصابها خاوية، ومن أهلها خالية، وهي في موضع أنيق كثير الأشجار والأنهار. فأمر بهدم سور المدينة وقطع أشجارها، وأقام بها حتى فرغ الناس من هدمها.

دش 64
تهديم الأسوار
والحصون احتياطاً
من التمرد

(134) لا يذكر المؤلف انتساب هذه القبائل إلى الأباصية خلافاً لما جاء في ك. العيون والحدائق، 242، وكذلك لم يأت ذكر زرقة إلا في هذا الكتاب، على الرغم من المناعة التي ينسبها إليها الداعي إدريس.

(135) قد ذكر المؤلف مند قليل (ص 204) أنّ أهل بيت ابن تباذلت هم سوروزمان

ورحل قاصداً دار خلف فبات بها. ورحل إلى بهيروج، وفيه حصن منيع قديم، فطلع إليه وتأمله فرأى حصانته وأمر بهدمه. ورحل منه لاثنتي عشرة ليلة من/ شهر ربيع الأول حتى انتهى إلى وادي صلاف، وهو وادٍ مشرف على تاهرت، فأقام فيه سبع ليالٍ من شهر ربيع الآخر. وأنشأ هنالك قصيدته التي يقول فيها:

211

(طويل):

سلام على آل النبي ورهطه وشيعته أهل النهى والفضائل
تحية من أمسى بتاهرت قائماً بحقهم بين الملا والقبائل
قبائل من تيم وقيس وخندف ومن يمن في عزها المتطاوّل
ومن كل حيّ قد أتانا زعيمهم وفارسهم عند اختلاف الذوايل
5 وفتيان صدق من ذؤابة هاشم أتوني ببيض مرففات قواصل
* يقدّون هامات العدى دون حقهم ويحمون دين الله فعل الأوائل
أنا ابن رسول الله جلدي وجدهم وإذا ذكر الأقوام عند التفاضل
ومفخرنا العالي على كل مفخر عليه سلام بالضحي والأصائل
وجبريل منا حين قمنا وعصبة إلى الله ندعو عند ذكر التباهل⁽¹³⁶⁾
10 وما كان من مجد وفخر فإنا حوينا قسراً بالقنا والمناصِل
أنا ابن رسول الله والبيت والصفى أنا ابن عليّ ذي التقى والفضائل
وفاطمة الزهراء أمي، ومن بها سموت إلى العلياء أعلى المنازل

دش 65

* * *

وقد قمتُ أدعو الناس حقاً إلى الذي يُنجيهم من كل إفكٍ وياطل
إلى منهلٍ فيه الهدى وشرائعٍ أقيم بها من دينهم كل مائل
15 فإن/ يستقيموا استقيم لصلاحهم وإن يعدلوا عني فلست بعاذل

212

(136) إشارة إلى حديث المباهلة مع بشار بن برد، المروي في سيرة الرسول (ﷺ).

* عمرت بلاد الغرب بعد فسادہ وطهرته من كل غاير وجاهل
 فلم يبق في سهل من الغرب فاسق وفي الوعر، إلا في أسي وبلايل
 ففر لكي ينجو - وهيئات! - خلفه قبائل تهوي كالليوث البواسل
 كما فر ذاك الأغلي وقد رأى موارد موت عاجل غير آجل⁽¹³⁷⁾
 20 فمر بحث الركض في كل مهمه وخلي لنا عن داره والحلائل
 وعن كل نخود ذات حسن وبهجة وكل جواد في السوابق صاهل

* * *

25 فيا شيعة الحق الذين نجبهم وحبهم فينا كثير التواصل
 أما حان أن تزجوا إلي مطيكم وتأتوا سراعاً بين حاف وناعل؟
 فتحفظون عندي بالذي تأملونه لأحميكم من كل خوف وهائل
 إذا ما سمعتم داعي الحق فانفروا إلي سراعاً كأنقضاض الأجادل
 * فقد أزمعت خيلي إليكم سريعة تجوب بلاد الله ذات المراحل
 إلى أرض مصر والعراق وبعدها فبغداد همي من جميع المنازل
 فإن بها جوراً شديداً وفتنة وفيها أناس كالسوام الهوامل
 يُعادوننا ظلماً ويهوون قتلنا وكم جرّعونا من مرارة ثاكل
 30 فسيري على اسم الله خيلي، وشمري إلى بابل حتى تحلي ببابل
 إذا ما حللناها وبالله عصمتي فإن بها يوماً شديداً الزلازل
 /ويوم لنا في الرقتين وبالس يكون لهم فيها امتياح التلائل⁽¹³⁸⁾

دش 66
 .. يفخر فيها
 يقهر الثوار ..
 دش 67
 .. ويسطر برنامج
 الدولة في اقتحام
 المشرق ...
 213

(137) الأغلي الهارب هو زيادة الله الثالث بعد هزيمته بالأريس وقد مر خبره في سيرة

أبي عبد الله (ص 110)

(138) الرقتان: مدينتان على نهر الفرات تسميان الرقة والرافقة. والرقة المعروفة في

عهد هارون الرشيد هي الرقة البيضاء. وكان قريباً منها رقة أخرى تسمى الرقة

السوداء، وثالثة تدعى رقة واسط هذا ما عند ياقوت. وفي رأيا يعني القائم

بالرقتين أرض الجزيرة بين النهرين قاطبة، فقال: الرقتين كما يقال: العراقان

للبصرة والكوفة. وبالس بلدة بالشام بين حلب والرقة البيضاء، وهي على

الفرات أيضاً

والتلائل ج تليل: الأعناق

فَنَشْفِي نَفُوساً مِنْ لَذِيذِ دِمَائِهِمْ وَنُلْحِقُهُمْ فِيهَا بِكُلِّ الطَّوَائِلِ (139)
إِذَا أَجْمَعُوا مِنْ كُلِّ غَابٍ وَأَقْبَلُوا عَلَى الْقَوْرِ مِنْ شَاطِئِ الْفَرَاتِ الْمَقَابِلِ

* * *

35 ذَكَرْتُ حُسَيْنًا فَاسْتَهَلَّتْ مَدَامَعِي وَقُلْتُ، وَإِنِّي لَسْتُ أَنْسَى أَوَائِلِي
دش 68 * [سـ] أَقْتُلُ مِنْهُمْ كُلَّ رَأْسٍ وَتَابِعٍ وَأَتْرَكُهُمْ صَرَعَى بِمُلْقَى الْجِنْدَالِ
وَتَسْرِي خِيُولِي مِنْ وَرَا النِّيلِ تَبْتَغِي عِدَى الدِّينِ حَتَّى تَسْتَقِرَّ بِكَابِلِ .
... أَخْذاً بِثَارَاتِ آلِ الْبَيْتِ وَلَوْ أَنَّنِي صَنَّفْتُ كُلَّ وَقَائِعِي لَطَالَ بِهَا شَرْحِي وَطَالَتْ رِسَائِلِي
وَكَمْ بِدَمَشَقٍ مِنْ صَرِيحٍ مَجْنَدِلٍ وَمِنْ ثَاكِلٍ بِأَكْ وَجَمْعٍ أَرَامِلٍ

40 وَحَمَصٍ وَسَلَمٍ وَالثَّغُورِ وَمَنْ بِهَا إِلَى نَجْدِ أَرْمِينِ وَأَهْلِ الْمَعَاقِلِ (140)
كِيَوْمٍ بِمَصْرٍ لَا يُنَادِي وَلِيْدُهُ إِذَا أَزْمَعَتْ خِيَلِي وَجَاءَتْ جِحَافِي (141)
وَثَارَتْ إِلَيْنَا عُصْبَةُ خَزَرْيَّةَ وَقَوْمٌ مِنَ الْأَخْلَاطِ أَهْلُ تَخَاذُلِ (142)
فَمَنْ كَانَ فِي سَلْمِي فِي الْأَمْنِ سَادِرٌ وَمَرْمَى الْمُعَادِي فِي جَمِيعِ الْمَقَاتِلِ

(ط 150) فَكَانَ مِمَّا وَعَدَ فِي قَصِيدَتِهِ فِي أَيَّامِهِ وَأَيَّامِ الْأُتَمَّةِ مِنْ
ذَرِيَّتِهِ (عَم)، فَاتَمَّ اللَّهُ لَهُمْ مِيعَادُهُ، وَأَوْرَثَهُمْ أَرْضَهُ وَبِلَادَهُ (ر 101ب).

وَأَنْفَذَ الْقَائِمَ (عَم) الْبُرْدَ خَلْفَ ابْنِ خَزَرٍ لِيَعْرِفَ أَحْوَالَهُ، فَأَخْبَرَ
دش 69 أَنَّهُ وَلَّى هَارِباً عَلَى وَجْهِهِ فِي الرَّمَالِ * حَيْثُ لَا يَعْرِفُ لَهُ مَسْلَكَ،

(139) الطوائل ج طائلة: الثَّارُ وَالتَّيْرَةُ وَالدَّحْلُ.

(140) سلم: تخفيف سلمية معقل الدعوة بالشام. والثغور هي ثغور الشام والجزيرة،
أي منطقة «العواصم» التي تغلب فيها الروم على بني حمدان، ولكن في مدة
المعز خاصة. وأرمين محفف أرمينية وهي منطقة الثغور الشمالية الشرقية مما
يلي ميفارقين وأمد.

(141) «هم في أمر لا يُنادى وليد»: مثل يضرب في معنى الشدة والموقف الحرج
(مجمع الميداني 4526).

(142) العصابة الخزريّة: لعلّه يعني الخدم والقواد الأتراك الذين يقودون الجيش
العبّاسي، من جنس مؤسس المظفري وتكين، اللذين مارسهما القائم في
حملتيه على مصر

وتواترت بذلك الأخبار. فترك من الخيل والرجال ما يحتاج إليه لضبط/ تاهرت. ورحل حتى وصل أومنت غرة جمادى الأولى

وارتحل قاصداً لابن خزر رابع عشر شهر رجب فنزل شرف الرابع وأقام بذلك الموضع إلى آخر الشهر، ورسله تخرج لارتداد الطريق ومعرفة المسالك، فيأتونه فيعلمونه أنها قفار، وسباخ كالبهار، لا سكن فيها، ولا أنس بها، ولا علم يهتدى به إليها.

فرحل يوم السبت لليلتين خاليتين من شهر شعبان فنزل دون سوق ابن جلالة وأقام به عشرة أيام.

وسار حتى نزل بعيون أبي فرات على ماء قليل، وقد فني ما بين أيديهم من الطعام والعلف، لكثرة الجموع والعساكر والخيول والكراع والرقيق والأسارى.

ورجع (عم) قافلاً حتى انتهى إلى طبنة فأقام بها بقية شهر شعبان. ورحل من طبنة لثلاث خلون من شهر رمضان، فنزل بموضع يعرف بأبي مفرط، فبات به ووافاه فيها كتاب أمير المؤمنين المهدي بالله (عم) يعرفه بفتح بلدان من بلاد الروم على يد سالم ابن أبي راشد⁽¹⁴³⁾ وصابر الخادم⁽¹⁴⁴⁾، وأن كتامة الذين ببرقة مع فحل بن نوح اللهيصي⁽¹⁴⁵⁾ العامل عليها زحفوا إلى ذات

(143) ابن أبي أسد في المخطوط والصواب: سالم بن أبي راشد كما في البيان، 175، وفي سيرة جوذر، 71. على أن النويري (المكتبة العربية - الصقلية، 436) يسميه: سالم بن أسد. وقد تولى سالم إمارة صقلية منذ سنة 304. وفي الكامل، 182/6 (حوادث سنة 313) سالم بن راشد.

(144) صابر الخادم. وفي المخطوط: ضامن وهو صابر المذكور في البيان، 193 و 194 تحت سنة 317 وفي نهاية الأرب (المكتبة، ..، 436). ضارب وصاين (المكتبة، 170).

(145) فحل بن نوح. قال الداعي إدريس فيما مضى (ص 80) إنه رئيس لطاية، وأنه =

الحمام⁽¹⁴⁶⁾ وبها أبو النمر أحمد بن صالح من قبل * صاحب مصر،
فهمزموه وقتلوا من معه قتلاً ذريعاً/ وأخذوا لهم بنوداً وأعلاماً، وغنموا
لهم غنائم كثيرة، ووجهوا بالأعلام إلى باب أمير المؤمنين (صلح)
فأمر بإنفاذها إلى القائم (عم).

دش 70

215

وكتب إليه أيضاً بأخبار سارة وردت من بغداد (ر102أ) وفتح الأنبار⁽¹⁴⁷⁾
فأمر القائم (عم) بأعلام المصريين يُطاف بها في العساكر وهي
منكوسة، فاستبشر الناس وحملوا الله سبحانه.

وراحل (عم) حتى دخل المهديّة لإحدى عشرة ليلة من شهر
رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة بعزّ شامل (ط151) وزيّ كامل، ونصر ظاهر
ومجد باهر، وعدّة بهيّة، وجموع كثيرة قويّة. ودخل على أمير
المؤمنين المهدي بالله (صلح) وهو جالس في الإيوان الكبير. ودخل
جميع الأولياء وكافة الناس، وسائر العبيد، فسلموا عليهما وهنّأوهما
بخيرات الله المتوالية إليهما.

رجوع القائم إلى
المهديّة (رمضان
316/ نوفمبر 928)

وفي سنة سبع عشرة، صار ابن خزر إلى نواحي [ب] -سكرة،

ابن خزر يتمرد
ببسكرة...

= مات في أيام أبي عبد الله الشيعي، وهو للدعوة مناهض. فلعلّ الاسم اشتبه
عليه. ولعلّ الصواب هو «فتح بن يعلى» إذا صحت ملاحظة عمر السعدي
ناشر العيون والحدائق، 211 هامش 2، مع التنه إلى أنه لم يذكر عند ابن
عذاري، ولا عند الكندي بعد رجوع القائم من مصر.

(146) ذات الحمام: ذكرها البكري، 3، على الطريق بين الاسكندرية وبرقة قبيل
الحنية التي ذكرت في حملة القائم المصرية وانظر خريطة اس حوقل، 64.
(147) فتح الأنبار: يعني تغلب القرمطيّ أبي سعيد الجنابي على الكوفة سنة 315. ولم
يدخل الأنبار حقيقة، حسب رواية العيون والحدائق، 239 - 240.

ولهذه الفرحة بطفر القرمطيّ دلالتها: وهي تعاطف الفاطميين مع
القرامطة، روحياً على الأقل، رغم ارتداد علي بن الفضل عنهم في اليمن
وسيكون للمعزّ وقواده خطوط كثيرة بمصر والشام مع القرامطة.
وهذه الجملة مقحمة في الفقرة، وحققها أن تأتي بعد الأعلام المنكوسة.

وأتصل ذلك بأمر المؤمنين، فأنفذ إليه مسعود بن غالب
الرسولي⁽¹⁴⁸⁾ في خمسمائة فارس وذلك لإحدى عشرة بقيت من
صفر. فهزمه مسعود بن غالب * وأوقع بأصحابه. وكتب إلى أمير
المؤمنين (صلح) بخبر ذلك.

دش 71

وفي هذه السنة قدم فلفل بن خزر⁽¹⁴⁹⁾ في وجوه زناته
وأشرفهم على يد علي بن حمدون إلى باب أمير المؤمنين (عم)،
فأذن لهم في السلام عليه/ وأمر لهم بالكسَى والصلات والحُمْلان
فكسُوا في القصر.

... وأخوه فلفل
يباع المهدي

216

وفي سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة، قدم صابر الخادم [و] أحمد
بن سامة⁽¹⁵⁰⁾ إلى باب أمير المؤمنين (عم) على أسطول صقلية، وقد
رجعوا من بلد الروم بغنائم جليلة وأموال عظيمة وأثاث وصنوف من
المغانم كثيرة. وذكر أن عدد ما سبوا من الروم يزيدون على ثيف
وثمانية عشر ألف نفس.

وكان خروجهم من المهديّة حين غزوا بلاد الروم في ربيع
الآخر من سنة ستّ عشرة وثلاثمائة. وكان انصرافهم إلى المهديّة
لثمان خلون من شهر شعبان من السنة المذكورة⁽¹⁵¹⁾.

وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة أمر أمير (ر 102 ب) المؤمنين بعمارة

(148) الرسولي عند الدشراوي (الخلافة، 155 والمقتطفات، 70) وقد أحال على
البيان، 187، ولكن ابن عذاري يذكر «مسعود الفتى لا غير». وفي المكتبة
العربية - الصقلية، 169، صاحب الغزوات البحرية يدعى «مسعود الصقلي».

(149) فلفل بن خزر: في مقتبس أبي حيّان، 303، خير التحاقه بالمهديّ، وذلك من
خلال رسالة أخيه محمد بن خزر إلى الناصر الأموي، وهي رسالة يستنكر فيها
فعله شقيقه، ويؤكد ولاءه للأمويين رغم ترغيب الفاطميين وإغرائهم له.

(150) صابر الخادم مرّ ذكره منذ قليل. أمّا أحمد بن سامة فلا نعرفه.

(151) أي سنة 318.

الأساطيل وأن تشحن بالأزواد والسلاح لغزو بلاد الروم. فلما أيقن الروم بذلك، بعثوا رسلهم * بالهدايا وسألوا الهدنة وكفّ الحرب فأقامت الأساطيل ولم تغز.

وفي سنة عشرين وثلاثمائة أمر أمير المؤمنين (عم) حميد بن يصل بالزحف إلى موسى بن أبي العافية. فزحف إليه من تاهرت في عساكر كثيرة. وكانت بينهم وقائع مهولة. والتجأ موسى إلى قلعة منيعة فحاصره حميد بن يصل، وأقام عليها بالجيوش. ثم إنه/ وقعت غفلة عن بعض السبل فخرج منها ابن أبي العافية (ط 152) يقصد الصحاري ويهيم في البراري⁽¹⁵²⁾.

حميد بن يصل
يحارب موسى بن
أبي العافية

217

وفي هذه السنة⁽¹⁵³⁾ - سنة عشرين - جرت الوحشة بين المقتدر العباسي ومؤنس الخادم الذي كان المقتدر أخرجه إلى مصر لحرب القائم (عم). وقدم مؤنس على المقتدر بجيوشه، فأشار على المقتدر وزراؤه وأهل رأيه أن يخرج إلى مؤنس وقالوا: إنَّ عسكره عبيدٌ دولتك، ومنَّ عليهم جزيل نعمتك، فإذا رأوك، لم يكن لهم وقوف على التفرق، أو يقبضوا على مؤنس ويصيروه إليك. فركب المقتدر وخرج إلى مؤنس يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر شوال من السنة المذكورة، والتقى عسكره وعسكر مؤنس بباب الشماسية خارج بغداد. فوقع الحرب بينهم، وكان أول النهار لعسكر المقتدر، ثم غلبهم آخر النهار عسكر مؤنس، وأسروا أبا الوليد بن حمدان وأحمد بن كيغلق من أصحاب المقتدر. وانهزم عسكر

بعض أخبار
العباسيين...

(152) هذه الحملة من حميد بن يصل ذكرها ابن عذاري، 204، مع اختلاف كبير عن رواية الداعي إدريس، في الأهداف وأسماء الحصور. والذي أفلت هو ابن خزر في المخطوط، وهو خطأ واضح وفي حصون حميد بن يصل، ينظر المجالس والمسائرات، 252، هامش 4.

(153) سقط خير المقتدر ومؤنس، وخبر ذي الفقار، من مقتطفات الدشراوي

المقتدر، وأخذ بعض عسكر مؤنس (ر103أ) السيف من يد المقتدر، ونزعوا البردة منه، وأخذوا خاتمته - وكان من ياقوت أحمر مربع - وقتلوه بعد ذلك، وأتوا برأسه إلى خادمه مؤنس. وتركوا جثته، ولا ستر على عورته، فطرح عليه القصب/ والحشيش. ثم أمر مؤنس بالجمع بين جثته ورأسه وسلمه إلى أبي الشوارب قاضي بغداد فدفنه (154).

مقتل المقتدر سنة
... 320

218

وفيما أتى عن القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه) قال:

كان بنو العباس قد غلبوا على ذي الفقار سيف رسول الله (ﷺ) فردّه الله إلينا. وذلك أنه لما قُتل جعفر المُتَسَمِّي بالمقتدر (155) وانتُهب قصره، كان فيمن شهد ذلك بعض أوليائنا، فنظر إلى امرأة من حرم جعفر وقد كُشِفَتْ وهي تقول: ألا رجلٌ حرٌّ يسترني حتى يوصلني إلى مكان كذا وكذا؟ فرق لها ذلك الرجل وسترها، وقال لها: سيرو بين يديّ أبلّغكِ، فقالت: واللّه ما عندي ما أجزيكِ به، ولكن ادخل هذا البيت، ففيه صندوق - وأرته مكانه - فيه ذو الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وآله. فأخذته ومضى بها إلى حيث سألته. وأصاره الله إلينا بمنّه ونعمته (156).

... كان فرصة
لرجوع ذي الفقار
إلى آل البيت..

وتولّى القاهر (157) ابن المعتضد العباسي، فأمر بقتل مؤنس الخادم، ومن أثار الفتنة (ط 153) وألقى الله كيدهم بينهم، وعجل على أيديهم حينهم، وأعز دولة الأئمة من آل رسوله. وما زالت دولة بني العباس تتضعضع، ودولة أهل بيت الرسول يعلو بنيانها ويرفع، وسنذكر من ذلك إذا/ انتهينا إليه، ما يعين الله عليه.

219

(154) هو ابن أبي الشوارب كما في التنبيه والإشراف للمسعودي، 330.

(155) المقتدر. الثاني عشر من العباسيين، قتل سنة 320/932.

(156) المجالس والمسائرات، 114 وانظر في «وقعة صفين» لنصر بن مزاحم، ص 546، شيئاً من أحوار هذا السيف العجيبة.

(157) القاهر: حلف من 320 إلى 322

[خبر يعقوب بن إسحاق]

* وكان يعقوب بن إسحاق التميمي، أخو خليل بن إسحاق، في حبس بغداد. فخرج منه حين قتل المقتدر. وكان، لما خرج القائم إلى مصر كما ذكرنا⁽¹⁵⁸⁾ خرج معه يعقوب، فولاه القائم (عم) خراج الفيوم. فابتنى به مسجداً، وترك له وقفاً، وعاد إلى المغرب بما جمع من المال. وأمره أمير المؤمنين المهدي بالله بالعودة إلى مصر في أسطول كبير، وذلك بعد رجوع القائم بأمر الله (ر 103 ب) إلى المهدية⁽¹⁵⁹⁾، وكان مع يعقوب صقلي يعرف بسليمان، من عبيد الإمام. فوصلا إلى الإسكندرية وفني ما عندهما من الزاد، وتفرق عسكرهما * فأخذ يعقوب [بن إسحاق] التميمي وسليمان الصقلي، وطيف بهما في شوارع مصر، وحملا إلى بغداد مكبلين، وذلك في حياة المقتدر. فأمر المقتدر بضرب عنق الصقلي فضربت رحمة الله عليه⁽¹⁶⁰⁾، وأمر بسجن يعقوب فأقام في بغداد أربع عشرة سنة، منها سبع سنين مضيقاً عليه في سرداب تحت الأرض، وسبع فوق الأرض. وما من شهر إلا يصل إليه المال من أمير المؤمنين على أيدي دعاة بالمشرق المستترين. فكان يدفع أكثر ذلك إلى السجان والمسجونين حتى أثرى السجان. وكان قد أطمأن إليه فمتى توجه في أمر/ استخلفه على أهل السجن.

دش 72

هروب يعقوب بن
إسحاق من سجنه
ببغداد

دش 73

220

(158) انظر خبر حملة مصر أعلاه ص 176 - 191، ولا ذكر ليعقوب بن إسحاق في تلك الصفحات، خلافاً لما توهم به عبارة المؤلف

(159) لا يضبط المؤلف هذه الرجعة: أمي الأولى، بعد حملة سنة 301 - 302 أم الثانية، حملة 306 - 309 كما لمح إليها ص 190 نقلاً عن النعمان؟ وقد عير لها النعمان (المجالس والمسائرات، 252) هذا التاريخ: 306.

ويقول الداعي إدريس إن يعقوب أقام سجن بغداد أربع عشرة سنة، وعاد إلى المهدية في سنة 221، فانطلاقه كان إذن سنة 307، أي بعد بداية الحملة الثانية.

(160) في خصوص موت سليمان الصقلي، يقول صاحب العيون والحدائق، 207: «فأما سليمان الخادم، فمات في مصر سنة 307».

مغامرات يعقوب
في طريقه إلى
المهدي

فحين هلك المقتدر بادر السجّان إلى كسر باب السجن فأخرج يعقوب بن إسحاق وجماعةً من المسجونين. فسار يعقوب لوقته بعد أن أخذ شعر لحيته ورأسه ولبس جبّة صوف. ولم يزل يقصد بلداً بعد بلد فيجد النداء حيث وصل: «من جاء بيعقوب وزير الفاطميّ فله جملة من الدنانير كثيرة وعطيات جزيلة!». ولم يكن للقاهر العبّاسي لما استخلف شغل غير طلب يعقوب بن إسحاق، ويعقوب يجتمع في كل بلد بمن فيه من دعاة الإمام (عم)، وهم في (ط154) التقيّة ويسترونه من بلد إلى بلد حتى وصل إلى مصر بعد خوف عظيم وتعب مهول. فقصد موضعاً يسمّى درب العصافير، وإذا بواحد قد عرفه، والنداء * عليه بمصر، فضرب بيده إليه وقال: «نصيحة للسلطان!» وكان يعقوب فيما يقال قوياً شديداً البأس فضبطه يعقوب وجعل ثيابه على وجهه وصاح [يعقوب]: «هذا رافضي! وتكاثروا (ر104أ) الناس عليه فانسأل يعقوب إلى مسجد بدرب العصافير، وقد يش من السلامة. ولم يزل به إلى العتمة. فعرفه بعض المصلّين في المسجد، فلم يكلمه حتى إذا أطفئت القناديل عمد إلى يعقوب فتطارح عليه، وجعل يقبل رجله / ودعاه إلى منزله وأخرج إليه ولّداه فقال [لهم]: «هذا مولاكم». وبقي مع ذلك الرجل، والنداء عليه بمصر غير منقطع. وجعلت الحرس على الجسر الذي يعبر به من الجزيرة إلى النيل رسداً ليعقوب، وكذلك جعلت الخيل والرجل في موضع يعرف بذات الحمام على محجة من يسير إلى المغرب. فلم يكن أحد يجوز حتى تصحّ عندهم معرفته.

دش 74

221

وحين بلغ ذلك يعقوب بقي منقطعاً ووقف متحيراً، واشتغل بذلك قلبه وضاق صدره، حتى إن زوجة الرجل الذي هو معه ضمنت أن تسير به [على] الجسر في نسوة معها. فقدّم يعقوب غلاماً له قد اشتراه، بزاده وحوائه، وأخذت تلك المرأة نسوة فتزّين يعقوب

دش 75

إفلاته من الحرس
المصري في زي
امرأة

بزيهنّ، وقد أخذن آلة الحمام معهنّ. فحين صاروا في وسط الجسر
وثب أحد الحرس فضرب بيده على يعقوب، فأكثرَت المرأة الصياح
ومَن معها من * النساء وقلن: «نحن بنات عواتق!» والتأمت العامة فلم
يَمَكَّنوه من كشف وجه واحدةٍ منهنّ. وتخلّص وصار إلى الجزيرة
واستأجر منها دليلاً واثقاً بمعرفة الطريق. فضلّ الدليل عن الطريق
فما شعروا حتّى وقعوا وسط الحرس، وكان ذلك ليلاً، فقالوا: «من
أنتم؟ وما حاجتكم؟» فقال يعقوب التميمي: «أنا رجل تاجر ولي
ولَدٌ كان موسراً ويلغني أنّه مات، وقد خرجتُ مسرعاً وخشيتُ أن
يقبض السلطان/ ما كان لولدي». وأرادوا منعه، فسأل بعضهم أن
يجيزه، وأراد أن يعطيه خمسين ديناراً فأبى قبولها واجتهد في
خلاصه فسار من ساعته.

222

فلما انتهى إلى برقة كتب إلى أمير المؤمنين المهديّ بالله
(صلع) يعرفه خبره⁽¹⁶¹⁾ وما من الله عليه بفضله وبركته. فسير الإمام
(عم) العساكر لتلقّيه وفرح بخلاصه.

وكانت له ولأخيه خليل منزلة جليلة عند المهديّ بالله وعند
القائم بأمر الله. فلما وصل إلى المهدية جلس أمير المؤمنين
المهديّ له بالقصر المعروف بالمنارة، وخلع عليه وعلى غلامه.
وعاد إلى ما له من الخدمة الجليلة، والتشريف بالخصال الجميلة.
وكان وصوله إلى المهدية في سنة إحدى وعشرين.

وفيها مات صاحب مصر المسمّى تكين.

وتوفي الشيخ أبو علي الحسن بن أحمد بن داود بن محمد
ابن ميمون بن عمرو بن عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب

وفاة الداعي
الطالبيّ أبي عليّ
«باب الأبواب»

(161) هنا يبدأ سقط طويل من المطبوع.

ابن عبد المطلب بن هاشم الداعي المعروف بباب الأبواب⁽¹⁶²⁾ قدّس الله روحه، يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. وصلى عليه القائم بأمر الله وتولى دفنه. وكان الداعي الحسن بن أحمد من العلماء الأعلام أهل الفضل والسابقة مع الأئمة / (عم)، وله تأليفات جمّة، منها الكتاب المعروف بـ «أمّهات الإسلام»، ردّ فيه على الفلاسفة المعطلين، وعلى الأمم المخالفين للإسلام، واحتجّ فيه على إثبات التأويل، وأوضح في وجوبه الدليل. وكان له عند الأئمة (عم) المكانة الجليلة والمنزلة الرفيعة. وكان أيام سار المهديّ من المشرق، في مصر يدعو إلى الأئمة (عم)، ثم وفد على المهديّ بعد ظهوره. وأمره إلى بلاد الروم (ر 105 أ) ليدعو إلى الإسلام، ويدلّ المسلمين على مذهب الأئمة عليهم السلام، فانتهى أمره إلى ملك الروم فحبسه فأقام في حبسه خمسة أعوام. ثم أذن الله (تع) بإطلاقه فأطلق. وقد ذكر، فيما أتى عنه، ما كان من الشكّ، وما عرّا من الفتنة أيام المهديّ بالله (عم) وقصة أبي عبد الله وخبر أبي العباس فقال: «إني كنت أسيراً في بلاد الروم في تلك المدة، ولو كنت في الحضرة لجلّيت الحيرة، وأزلت الشبهة، فإن مولانا أمير المؤمنين كالشمس الظاهر الباهر نورها التي لولا أنها يخلفها القمر للتعديل والتبريد، لما كان نبات لما في الخلقة من النشوء، و[لـ]زادت عليه الحرارة: فكذلك المهدي بالله (عم)، أعشى نوره الأبصار، وظهر من/ فضله ما بهر الأفكار، فكان الناس فيه كما كانوا في جدّه أمير المؤمنين عليّ (عم): ما بين

(162) باب الأبواب: مرّ ذكره في حصر مسير المهديّ إلى سحلماسة (ص 127 - 128) وكان أبو علي داعياً بمصر فرغب إلى المهدي أن يسير معه إلى المغرب، فقال له انتظر أمري هنا، ولم يخبرنا الداعي إدريس بموعد قدومه إلى المهديّة. هذا، وقد أسقط الدشراوي خبره من مقتطفاته.

غال مفرط، ومقصر متخبط».

فلقوة علم الداعي أبي علي الحسن بن أحمد، وثقته به،
تكفل أن لو كان حاضراً لا اعتدل الأمر وقل الشر.

وبقي بعد رجوعه من بلد الروم على خدمة الأئمة (عم)
 وإقامة الدعوة، وإنشاء الكتب وتصنيفها حتى أتته الوفاة سعيداً، بعد
 أن عاش في طاعة الله وأوليائه حميداً.

وأقام الإمام (عم) بعد وفاة الداعي أبي علي ولده أبا الحسن
 محمد بن الحسن بن أحمد فجعله مكانه في الدعوة، وحفظ بيت
 المال، وأجراه على ما كان والدّه عليه من الأحوال.

ولده أبو الحسن
 محمد يخلفه في
 الدعوة

وابتدأت العلة مع الإمام المهديّ بالله (عم) * في سنة اثنتين
 وعشرين وثلاثمائة. وكان دعائه وأوليأؤه يزورونه ويختلفون إلى عنده
 ويدعون له. ودخل في بعض الأيام جماعة من شيوخ الدولة
 كالبغداديّ وأبي سعيد الضيف⁽¹⁶³⁾ وغيرهما لزيارة أمير المؤمنين
 (عم)، ومنع خليل بن إسحاق (ر 105 ب) عن الدخول معهم،
 وكان شاعراً بليغاً، فكتب إلى أمير المؤمنين (عم) بهذه الأبيات:

دش 76

مرض المهديّ..

(طويل)

حلفت، وإن قلت الذي ليس في قلبي فلا غفر الله المهيمن لي ذنبي
 /لأنت، أمير المؤمنين، على الظمأ أحب إلى قلبي من البارد العذب
 ووالله ما أدري إذا غبت ساعة، وداداً وشوقاً، أين عقلي ولا لبي

225

(163) أبو سعيد الضيف: هو الذي أخرجه المهدي إلى صقلية سنة 304 بعد
 الاضطراب على ابن قهر. انظر ابن عذاري، 174.
 أما البغداديّ، فلا نعرفه، وقد ذكر في المجالس والمسائرات، 216 على أنه من خاصّة
 القائم.

لأنك يا خير البرية كلها إمامي الذي أرجوه الفوز من ربّي
 5 أتيت ببرهان من الله واضح وفُسرَت ما استعصى علينا من الكتب
 فأصبح دينُ الله بعدَ دروسه جديداً كما أنبأ به جدُّك المنبّي
 وقد سَعدَ الأشياخُ منك بنظرة وفازوا بها دوني فأوجعني قلبي
 * فدمت على الأيام في كلّ نعمة مليكاً على أهل المشارق والغرب
 فلما انتهت الأبيات إلى المهدي بالله (عم) أمر بدخوله من
 ساعته، فدخل إليه وأنشد الأبيات بين يديه.

دش 77

وتزايدت العلة بأمير المؤمنين المهديّ بالله صلوات الله عليه
 حتى كانت وفاته بالمهدية في ليلة الثلاثاء للنصف من شهر ربيع
 الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة (3 مارس 934)، وعمره يومَ
 وفاته، صلوات الله عليه ورضوانه ورحمته وبركاته وسلامه، ثلاث
 وستون سنة، لأن مولده كان في سنة ستين ومائتين.

... ووفاته (15)
 ربيع 1 - 3/322
 مارس 934

وكتب أمير المؤمنين القائم بأمر الله، سلام الله عليه، خبر وفاته
 مائة يوم. ثم أظهر نعيه يوم الثلاثاء لخمس بقين من جمادى الآخر
 من السنة المذكورة، وأظهر عليه من الحزن ما لم يعرف من أحدٍ
 من قبله، فنيحَ/ عليه في جميع أمصار المغرب ومدنها وبواديها،
 ورثيَ بمراثٍ كثيرة. وممن رثاه (صلع) عثمان بن سعيد الصيقل⁽¹⁶⁴⁾
 من أهل القيروان فقال:

226

(مقارب)

وَهَتْ مِرْرُ الصبرِ فأنحَلَّتِ ورثت عُرى الحزمِ فاجتثت⁽¹⁶⁵⁾/

(164) عثمان بن سعيد بن الصيقل: شاعر من موالي الأغالبة. استقدمه الحكم الثاني
 إلى قرطبة، ويبدو أنه مثل أضرابه من شعراء السنة تأرجح بين الولاء للفاطميين
 والعداوة لهم. انظر: رياض النفوس 477/2 هامش 94.

(165) مرر الصبر: ج مرة بالكسر، وهي القوة والفتلة، كما في قوى الجبل المفتول

وأي سبيل إلى سلوة وأوعية الدمع قد فضت؟
 * وكيف العزاء وقد خُددت خدود الخرائد واريذت؟
 جنود التجلّد قد ولّت وألوية الوجد قد صُفّت
 5 وداهية قد أنت فجأة فمنها المسامع قد سُكّت
 ألمت فلم أر لي مذهباً كأن المسالك قد سُدت
 رثاء ابن الصيقل للمهدي فأومأت أرمق نحو السما وأرنو إليها هل انشقت
 ألا ليت شعري هل ميّزت أكف المنية من بزّت؟
 وهل علمت من رمت الخطوب وهل درت الأرض من ضمت؟

* * *

10 إمامي الذي اخترمته المنون، لو قد ترى أنه، استحييت (166)
 فليت الحوادث لم تخترمه وليت يد الدهر قد شلت
 وقائلة إذ رأت عبرتي سجاما على الخد قد سحت:
 جزعت وقد كنت جلداً على صروف الخطوب إذا كرت
 - وكيف العزاء ولم تدبر ما تضمّن قلبي وما قضت؟ -
 15 لأية أحلوة أسعدت شؤون جفونك فانهلت؟
 أكوّرت الشمس أم زلزلت جبال البسيطة أم دكت؟
 /فقلت لها: الخطب فوق الذي ظننت وأضعافه، فاصمتي!
 فلا غرو أن سَفَحَتْ عبرتي ولا عذر إن لم تَفُضْ مهجتي
 - ثوى علم الأرض فارتجت ومالت من الوجد فانهدت
 20 وكادت تزلزل بالراسيات لإحدى الكبائر إذ حلت

* * *

فلما تجلّى إمام الهدى عليه السلام، لها، قرّت
 ولو لم يسسها بتدبيره أبو القاسم المصطفى، خرّت

(166) هكذا في الجميع، والتركيب غريب ولعله يعني لورات أنه هو، المهدي... .

وَأَلْبَسَتِ الْأَرْضُ جِلْبَابَهَا لَفَقَدَ الْخَلِيفَةُ فَاسْوَدَّتْ
وَلَمَّا بَدَا الْقَائِمُ الْمُرْتَضَى وَقَابَلَهَا نُورُهُ، ابْيَضَّتْ
25 وَأَقْسَمَتِ الرِّيحُ إِذْ بَانَ مِنْ تُبَارِيهِ بِالْجُودِ: لَا هَبَّتْ
فَلَمَّا سَرَتْ نَفَحَاتُ الْإِمَامِ مَ وَاسْتَنْشَقَتْ عَرْفَهُ حَنَّتْ
فَأَزْمَعَتِ الْمَزْنَ إِنْ غَابَ مَنْ لَهُ يَنْزِلُ الْغَيْثُ: لَا دَرَّتْ
فَلَمَّا رَأَتْ سَيِّبَ كَفِّ الْإِمَامِ مَ لَمْ تَتَمَالَكْ بِأَنْ أَرْوَتْ
فَأَوْلَعَ بِالْجَوْ إِظْلَامُهُ وَأَخْفَقَتِ الْأَرْضُ فَاغْبَرَتْ⁽¹⁶⁷⁾
30 وَذَابَتِ نَفُوسُ الْوَرَى رَقَّةً لِفِرْطِ الرِّزْيَةِ فَاعْتَلَّتْ
فَلَوْلَا الْإِمَامُ وَإِنْعَاشُهُ قُلُوبَ الرِّعْيَةِ لَانْفَتَّتْ
فِيَا حُجَّةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ عَزَاؤُكَ عَنْهَا وَإِنْ جَلَّتْ
لِيَهْنَا الْخِلَافَةَ مَا أَحْرَزْتَ مِنَ الْمَجْدِ، وَالشَّرَفِ الْمُصْلَتِ⁽¹⁶⁸⁾

228 /وخصف القمر في الساعة التي توفي فيها أمير المؤمنين
المهدي بالله (عم) خسوفاً كلياً. وفي اليوم التاسع والعشرين من
الشهر الذي توفي فيه (صلع) كسفت الشمس.

ولم ينتقل (صلع) ولم يفارق هذه الدار حتى أقام أمير المؤمنين
القائم بأمر الله (عم) لولاية عهده، ونصّ عليه بالخلافة من بعده.

والحمد لله جاعل الإمامة في أهلها، القائل: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ
آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ (البقرة: 106) *⁽¹⁶⁹⁾. وصلى الله
79 دش على سيدنا محمد وعلى آله أمراء الإمامة في عقدها وحلّها، وسلّم،
وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(167) أخفقت - اضطربت وثار عجاجها.

(168) المصلت - الظاهر البارز.

(169) يوقف الدشراوي هنا مقتطفاته من الكتاب، ولا يستأنفها إلا مع قيام أبي يزيد.

الفصل الخامس

خلافه القائم

(946/334 - 934/322)

ذكر نبذ مما كان في أوان خلافة أمير المؤمنين
القائم بأمر الله

أبي القاسم محمد بن عبد الله صلى الله عليه
عليه وعلى الطاهرين من آبائه والأكرمين من أبنائه

وبويح أمير المؤمنين القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن
عبد الله، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المنتجبين
بعد وفاة المهدي بالله أمير المؤمنين (عم)، وعمره سبع وأربعون
سنة. فقام مقامه، واقتفى سيرته وآثاره وأحكامه، ونصب لدين الله
أعلامه. وهم آل الرسول (ﷺ) / حقاً، والأئمة من عترته الذين بشر
بهم ووعد بظهورهم، فملأوا الأرض عدلاً وقسطاً، بعد أن ملئت
جوراً وخبثاً. وكانت سيرتهم سيرة محمد جدّهم (ﷺ)، وهدى
هدى، وهم المصطفون من ذريته، والطاهرون من عترته، الذين
جرى النصّ فيهم من واحد إلى واحد، وفي مولود عن والد، حتى
انتهى إليهم من عليّ أمير المؤمنين، عن محمد خاتم النبيين
المرسلين، عن جبرائيل الروح الأمين، عن رب العالمين. ليسوا
كمن ولّت العامة⁽¹⁾ على أنفسهم، ونصبته لدينها، بغير وحي من الله
(تع)، ولا نصّ من رسوله، ولا تنزيل من كتابه.

فلما كان العدل سيرتهم، والتقوى ظاهرهم وسيرتهم،
وشريعة محمد (ﷺ) شريعته، يحرمون ما حرم ويحلّون ما أحلّ،

(1) العامة في اصطلاح الإسماعيلية هم غير الشيعة، من السنة خاصّة

ولا يرخصون في تضييع فرض من فرائض الله (عج)، ولا في إتيان شيء من المحرمات، وينهون عن المعاصي الموبقات (ر107ب) ويشددون فيها أعظم التشديد، ويقيمون على ما خالف حكم الله الحدود، [فَهُمْ] ليسوا كمن ادعى الإمامة من بني أمية وآل العباس، الذين فتنوا الناس، وترأسوا عليهم بغير برهان صادق، ولا نص من النبي الناطق، فأباحوا ما حرم الله في القرآن/ وشربوا المسكر غير متتهين عنه وجأؤوا بالإفك والعدوان، وجمعوا للعزف والقيان، وشروها لذلك بغالي الأثمان، وأباحوا جميع الملاهي، وأقبلوا على دنياهم إقبال الساهي اللاهي. فحين لم يجدوا في الأئمة الطاهرين من آل رسول الله (ﷺ) تلك السيرة، ووجدوهم يدعون إلى الله (تع) على بصيرة، يأمرون بالحق بعد أن يأمروا، ويزجرون عن المعاصي بعد أن ينتهوا عنها وينزجروا، لم يجدوا فيهم مطعناً، ولا استطاعوا أن يطفئوا ما آتاهم الله من النور الباهر والسناء، ووجدوهم علماء لا يعلمون، فقهاء لا يؤدّبون⁽²⁾، طعنوا في أنسابهم عدواناً وظلماً، وبغياً وإثماً، فقالوا: هم أولاد ميمون القداح، لكي (ط159) يطفئوا نور الله الواهج الوضاح.

.. فحسدوهم
الخصوم وطعنوا
في نسبهم ..

وميمون القداح⁽³⁾ رحمه الله، هو من شيعتهم وأوليائهم. وقد ذكرنا⁽⁴⁾ أنه كان حجة الإمام إسماعيل بن جعفر (عم)، وولده عبد الله بن ميمون كان حجة⁽⁵⁾ محمد بن إسماعيل وبنيه، وداعياً

(2) في علم الأئمة، الحاصل من غير تعلم، انظر: المجالس والمسايرات، 147.
(3) في خصوص الشكوك في نسب الفاطميين، وحقيقة المهدي والقائم، ينظر: المجالس والمسايرات، 410 - 411 والهوامش، وكذلك ص 95 و 124 ويمكن أن نضيف إليها كتيب حسين بن فيض الله الهمداني: في نسب الخلفاء الفاطميين.
(4) تقدّم ذلك في السع الرابع، 335.
(5) الحجة: انظر المجالس والمسايرات، 94، هامش 1 وسيأتي بعد قليل أن الحجة هو ولي العهد الموصى إليه بالخلافة.

إليهم يوضح فضلهم لمُتبعيه، وهو عبد من عبيدهم، وحدّ من حدودهم.

والأئمة (عم)، فمن ذرية جعفر الصادق الأمين، الذي هو من أفضل ذرية عليّ أمير المؤمنين، وانتسابهم إلى فاطمة الزهراء نجلة/ سيّد المرسلين (ﷺ). فمن زعم غير ذلك، فهو مفتر آفك. وكانوا من بعد محمد بن إسماعيل قد دخلوا (ر 108 أ) في كهف التقيّة، وأخفوا أسماءهم وأنسابهم لعظم المحنة والبليّة، خيفةً وخُفْيَةً من عدوّهم، كما خرج موسى الكليم (عم) خائفاً يترقّب⁽⁶⁾، واستتاراً من أحزاب الشياطين حين غلب ضدّهم وتغلّب. وكانت الدعاة وقت التقيّة يُخفون اسم الإمام، وربما تسمّى واحد من الدعاة بأسمائهم، تقيّةً عليهم وسِتْراً، وقد قدّمنا من ذكر ذلك فيما سلف من الكلام، حتّى طلعت شمس الحقّ من مغربها، وبدت من حجبتها، فأظهر الله أمره وهم كارهون، وجاء الحقّ ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: 118).

وإنّما فعل ذلك الغزاليّ وأشباهه، تقرّباً إلى الخليفة البغدادي العباسي. ولا شكّ أنّ الغزاليّ كان مناصباً لأهل بيت محمّد، مبغضاً لهم، وهو الذي ذكر أن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (صلع) خرج على يزيد بن معاوية، ولعن الغزاليّ مَنْ يلعنُ يزيد بن معاوية، لعنهما الله وأوردهما النار الحامية! ذكر ذلك (ط 160) القاضي ابن خلكان في تاريخه المشهور⁽⁷⁾، وذلك فيه مذكور.

(6) اقتباس من سورة القصص، آية 21

(7) أي. وفيات الأعيان، ترجمة الكيا الهراسي رقم 430 من طبعة إحسان عّاس. وليس صحيحاً أن الغزالي لعن من يلعن يزيد، بل استنكر لعن المسلم بوجه عامّ قائلاً: لا يجوز لعن أحد ممّن مات من المسلمين، ومن لعنه كان فاسقاً عاصياً لله تعالى.

ولم يرد في هذه الفتوى طعن في السبب الفاطميّ. وحتّى في كتاب «فضائح =

فلعداوته - أعني الغزالي - ونصبه، طعن / على الأئمة المهديين، وجاء في نسبهم بالبهتان المبين، فأتبعه على ذلك أكثر العامة المبغضين لآل الرسول، الحاسدين لهم على ما آتاهم الله من الفضل الجليل.

وقد ذكر ذلك الشريف الزيدي الحسيني، وهو إدريس بن علي بن عبد الله، في كتابه المسمى «كنز الأخبار في السير والأخبار»⁽⁸⁾ وقال: «وما يدريهم بذلك، وعلي بن أبي طالب (عم) قد سمى «آدم الأصغر» لكثرة ذريته وتشعبهم في الآفاق». وهذه من الشريف المذكور، سلوكاً (ر 108 ب) لطريق الإنصاف، وميلاً عن المين الذي سلك فيه أهل الخلاف، ألا لعنة الله على الكاذبين، الذين يُضِلُّونَ الناس بِغَيْرِ عِلْمٍ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا، والله القائل: (كامل)

لي حيلة فيمن يندم وليس لي في الكذب حيلة
من كان يخلق ما يشاء، فحيلتي فيه قليلة⁽⁹⁾

ولو تقصينا القول في هذا لطال، واتسع فيه المجال، وفي أقل قليل مما ذكرناه ما يهدي إلى السبيل. والصدق لا يطله الإفك، واليقين لا يمحوه الشك. ولا شك، والحمد لله، أن مولانا أمير المؤمنين القائم بأمر الله ابن المهدي بالله أبو القاسم محمد بن عبد الله بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين / بن علي بن أبي

القائم يتمي إلى
جعفر الصادق لا
إلى ميمون القداح

= الباطنية» (نشر قولدزيهر، ليدن، 1916)، لا نجد إلا دفاعاً عن شرعية الخلافة العباسية، وتكذيباً لمقالات الشيعة في العصمة والوص والاختصاص بإرث الرسول (ﷺ)، دون وصول إلى تكذيب انتسابهم إلى آل البيت (8) لا ذكر لهذا الكتاب ولا لمؤلفه في قائمتي إيفانوف وبوناوالا. (9) البيتان في النجوم الزاهرة، 18/4، دون عزو صريح.

طالب وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وعليهم أجمعين، وعلى آلهم
الطاهرين:

(كامل)

نسب كمطرِد الكُعب مَقوّم ما فيه من أوْدٍ ولا عُرجون⁽¹⁰⁾
بل كما قال أبو الطيّب أحمد بن الحسين حيث قال:

(كامل)

نسب كأنّ عليه من شمس الضحى نوراً، ومن فلق الصباح عموداً⁽¹¹⁾
وإنّ الإمامة، كما قال الصادق جعفر بن محمّد «في العقب تجري
في واحد عن واحد، ولا ترجع القهقري، ولا تعود إلى الوراء»
والحمد لله على ما آتانا، ودلّنا عليه من ولاية أوليائه وهدانا.

وقد ذكر ذلك الإمام المعزّ لدين الله (عم) في سجلّه إلى
داعيه بالسُّند حلّيم بن شيبان، فقال في ذلك السجلّ: «قال الصادق
(عم): الإيمان والعبادة التصديق بأمرنا، واعتقاد إمامتنا، وانتظار
قائمنا، والصبر على ذلك حتّى يأتي أمر الله. وما ذكرته من تهويس
القوم وتخليطهم، ممّا ذكرته في مسائلك، من ذكر الخلفاء السبعة،
وأنّ النهاية في السابع منهم، فهذا⁽¹²⁾ من التوقيت مثلما قدّمنا
ذكره. وذلك أنّهم لما وقّتوا (ر109أ) في محمّد بن إسماعيل (عم) ما وقّتوه،
ومات، وقالوا عنه ما قالوا، زعموا أنّه استخلف خليفة من غير
ولده، واستخلف الخليفة/ بعده إلى أن بلغوا سبعة، زعموا أنّ

234

(10) أهل اللغة لا يتفقون على معنى الاعوجاج في لفظ «عرجون»، فالنون عند بعضهم أصلية. والشعر يشهد للاعوجاج: «... يمشي على مثل معوج العراجين» (الحيوان، 162/7). هذا ولا نعرف قائل البيت.

(11) لا يوجد هذا البيت في ديوان المتنبي (الواحدّي، العكبري، البرقوقي).

(12) في الجميع: وهذا. وآثرنا أن نحملها خبراً لقوله: وما ذكرته...

أَوَّلَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَيْمُونِ الْقَدَّاحِ، وَكُلُّ ذَلِكَ لِيُثْبِتُوا قَوْلَهُمُ الَّذِي يَقُولُونَ بِهِ: أَنَّ الْإِمَامَ بَعْدَهُ وَأَنَّ الَّذِي اسْتَخْلَفَهُ هُوَ مَنْ عَرَضَ النَّاسُ، فَقَطَعُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ وَخَالَفُوا قَوْلَهُ (تَع): ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ (الزخرف، 28). وَكَانَ لِذَلِكَ سَبَبٌ أَوْجَبَ ذِكْرَهُ: وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا فَشَتْ دَعْوَةُ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ (عَم) طَلَبَ الْمُتَغَلِّبُونَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ مَنْ يَشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَمْرِ، فَاسْتَرْتِ الْأَثَمَةَ وَكُنْتُ الدَّعَاةَ عَنْ أَسْمَائِهِمْ تَقِيَّةً عَلَيْهِمْ بِمَا هُوَ لَهُمْ وَيُلِيقُ فِيهِمْ فَقَالُوا: الْإِمَامُ مَنْ وَلَدَ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ عَبْدُ اللَّهِ - وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ - كَمَا قَالُوا: ابْنُ مَيْمُونِ الْقَدَّاحِ - وَهُوَ كَمَا قَالُوا، ابْنُ الْمَيْمُونِ النَّفِيقَةِ الْقَادِحِ زَنْدِ الْهَدَايَةِ، الْمَوْرِي نَوْرَ الْحِكْمَةِ - وَجَرَتْ الْكُنَايَةُ عَلَى مَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَثَمَةِ، بِأَمْرِهِمْ [وَعَلَى] مَا رَسَمُوهُ لِدَعَائِهِمْ. ثُمَّ سَقَطَ ذَلِكَ إِلَى مَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ بَعْدَ الْمَاضِينَ، فَاحْتَمَلَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا، فَضَلَّ وَأَضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ. وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الرَّدِّ إِلَى أَوْلِيَائِهِ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ كَمَا عَلِمَتْ الْآنَ. لَكِنَّ الْأَعْمَى، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ قَائِدٌ وَلَا عَصَا، تَرْدَى فِي هَوَاةٍ لَا مَخْلَصَ لَهُ مِنْهَا، وَمَنْ اسْتَكْبَرَ ضَلَّ وَغَوَى.

احتجاج المؤلف
برسالة المعز...

﴿فَيَاكَ أَنْ تَقُولَ أَوْ تَعْتَقِدَ أَنَّ/ اللَّهَ (عَج) قَدْ أَهْمَلَ الْخَلْقَ. وَلَا يَهْمِلُهُمْ طَرْفَةُ عَيْنٍ مِنْ قِيَامِ إِمَامٍ مِنْ أَعْقَابِ الرُّسُلِ وَالْأَثَمَةِ، يَقُومُ بِأَمْرِ الْأُمَّةِ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَهُوَ قَوْلٌ قَدْ شَاعَ فِي دَعْوَتِنَا وَذَاعَ عَلَى أَلْسِنَةِ جَمَاعَةٍ مِمَّنْ يَنْسَبُ إِلَيْنَا (ط 162). فَيَنْبَغِي لِمَنْ انْتَهَى إِلَيْهِ قَوْلُنَا (ر 109 ب) هَذَا أَنْ يُلَطِّفَ فِي تَقْرِيرِهِ وَبَيَانِهِ عِنْدَ مَنْ سَبَقَ ذَلِكَ الشُّكُّ إِلَيْهِ، وَيَقَرَّرَهُ حَتَّى يَزُولَ الشُّكُّ مِنْ صُدُورِهِمْ، وَيُثَبِّتَ الْحَقَّ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ أَهْلِهِ وَمَنْ يَرْجَى صَلَاحَهُ وَقِيَامَهُ إِلَى مَا هُوَ أَعْوَدُ نَفْعًا عَلَيْهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَآخِرَتِهِ وَأَوَّلَاهُ، بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ﴾ (13).

235

. إلى حليم بن
شيبان داعي
السند...

(13) سينقل الداعي إدريس في السبع السادس - ص 81/2 و 92 - باقي الرسالة. أمّا =

هذا قول المعزّ لدين الله أمير المؤمنين في سجلّه، وهو سجلّ طويل معروف، فيه فنون من العلم والآداب، وحضّ على صالح الأعمال، وهذا هو الحقّ اليقين، والصدق المبين، والحمد لله ربّ العالمين.

نرجع إلى ما نحن فيه. قال منصور الكاتب العزيزي الجوزري

= الآن، فهو يبادر باقتطاف هذه الفقرة منها، لعلاقتها بقضية النسب الفاطمي، أي بشرعية إمامة المهدي الذي قيل فيه إنّه كان إماماً «مستودعاً»، نيابة عن الإمام الحقيقي، وهو القائم بأمر الله. وبالرغم من تفسير المعز هنا لجلور هذه البلبلة التي أصابت حتى الأوساط الفاطمية القريبة منه، فإنّ المشكل يبقى قائماً: هل وجد ميمون القدّاح حقّاً؟ أم كان هذا الاسم «كنية» لا غير عن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر الصادق، ليمن بقيته وقده لزناده الحكمة؟ والمتسمي - تقيّة - بـ «ميمون»، هل هو محمّد بن عبد الله (أو محمد بن إسماعيل) أم ابنه عبد الله بن محمد (أي عبد الله بن ميمون)؟ ذلك أن توضيح المعزّ يتضارب مع توضيحات المهديّ في رسالته إلى أهل اليمن (انظر: في نسب الخلفاء الفاطميين، 10) إذ يقول: «ذكروا إسماعيل ومحمد بن إسماعيل، وهما لا يوجدان» - أي لا يوجدان بهذا الاسم، وإنّما الاسم الحقيقي هو: محمد بن عبد الله بن جعفر - في حين أنّ المعز يقر وجود محمد بن إسماعيل - ووفاته - بهذا الاسم ولمحاولة فهم هذه المشكلة، يمكن الرجوع إلى كتيب برنار لويس: «في أصول الإسماعيلية»، وإلى دراسة الهمداني لرسالة المهديّ - وبالخصوص الشجرة التي رسمها في القسم الانجليزي ص 22 - وكذلك إلى دراسة شتارن Stern عن التيارات المارقة في زمن المعز Heterodox Ismailism. وقد نشر رسالة المعز إلى حليم بن شيبان - ص 26 من الفصل -.

كما يمكن الاستفادة من تعليق ماريوس كانار - هامش 1 ص 304 - في ترجمته لسيرة جعفر الحاجب.

ومعلوم أنّ بعض الدارسين عزوا تمرد أبي عبد الله الداعي وأبي العباس أخيه على المهدي، إلى شكهما في شرعية إمامته.

هذا، ولم يعلّق مصطفى غالب بشيء على هذه الفقرة، وهو إسماعيليّ له كتاب في تاريخ الحركة والدعوة.

رحمة الله عليه فيما رواه عن جودر الأستاذ عبد الأئمة (صلع) رضي الله عنه (14):

«ولمّا نقل الله (عج) أمير المؤمنين المهديّ بالله (صلع) إلى دار كرامته ومحلّ رحمته، وأفضى بالأمر بعده إلى حجّته أمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم) صرف إليّ النظر في بيت المال وخزائن/ البزّ والكسي، وجعلني سفيراً بينه وبين أوليائه وسائر عبيده، وإذا أراد أمراً ليكشفه في حضرته أنفذني فيه.

236

«(قال): ثمّ خصّني بفضيلة آثرتني بها على جميع العالمين، وأفردني بها من بين جميع الدعاة والمؤمنين: وذلك أنّه لما أراد دفن المهديّ بالله، قدّس الله روحه وصلى عليه، أحضرني دون جميع العالم، وقال لي، وليس إلا أنا وهو على حافة القبر الذي يريد إنزال المهديّ بالله (قس) فيه: يا جودر، إنّ لا يحلّ للحجة بعد الإمام أن يدفن الإمام حتى يقيم لنفسه حجة، ولن⁽¹⁵⁾ يحلّ لي ذلك حتى أقيم حجّتي، وقد ارتضيتك لهذه الأمانة دون سائر الخلق، وتلا عليّ هذه الآية من قول الله (عج): ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ...﴾ إلى آخر الآية (الأحزاب، 72). ثمّ قال: أدن منّي. فدنوت منه فقال: هات يدك! فبسطت يدي وأنا خائف وجلّ من الهيئة التي ركبها الله (عج) له في قلبي حتى (ط 163) كأنه ليس هو المولى الذي كنت أدلّ عليه في الخطاب وغيره، أيّام حياة المهديّ بالله، قدّس الله روحه. فقال لي: أنا آخذ عليك

نقل عن سيرة جودر في تعيين المنصور...

(14) سيرة الأستاذ جودر، 39 - 42 وقد نقل المؤلف نصّ السيرة بشيء من التصرف والحذف. وقد نّه ناسرا السيرة - تعليق 28 - إلى تصارب كلام جودر مع كلام النعمان في المحالس والمسائرات، 448 و 468 (وانظر الهوامش) في خصوص علم المنصور بتعيينه وفي خصوص مدة الكتمان: سبع سنين أم اثنتا عشرة؟ (15) في الجميع: ولم.

عهد الله وغليظ ميثاقه أن تكتُم عني، ما أظهره لك وأكشفه. فقلت: نعم يا مولانا، صلى الله عليك. فقال: ولدي إسماعيل هو حُجَّتِي ووليُّ عهدي، فأعرف له له حقّه وأكتم أمره أشدّ كتمان حتى أظهره بنفسه في الوقت الذي يشاء الله (عج) ويختاره.

«ثمّ دفن المهديّ بالله قدّس الله روحه، وواراه في قبره بعد أن صلى عليه. (وقال جوذر رضي الله عنه) فكتمتُ أمر المنصور بالله (صلح) في نفسي، لم يطلع على ذلك مني أحد سبع سنين». وروى منصور الكاتب قال: وحَدَّثني أبو الحسن جوهر الكاتب - وهو المعروف بالقائد - أنه سمع هذا الحديث شفاهاً من المنصور بالله (صلح) بلا زيادة ولا نقصان⁽¹⁶⁾.

(قال): وكان المنصور بالله (صلح) يميل في حياة أمير المؤمنين القائم إلى جوذر كثيراً دون غيره، ويكثر الوقوف عنده في بيته. وكان الناس في ذلك الوقت في غمرات يعمهون، قد تعلّق كلّ واحد منهم بغير سبب يثبت، بواحدٍ من أولاد أمير المؤمنين القائم (عم). وجوذر (رضي الله عنه) قد وثقت نفسه بما عوهد عليه.

(قال جوذر): فلمّا كان ذات يوم أدبْتُ بعض الصقالبة الذين تحت يدي على جناية كانت منهم استحقّوا بها الأدب، وهم قيصر ومظفر وطارق⁽¹⁷⁾ وغيرهم. فأدبتهُم واعتقلتهم، وكلّ ذلك في أيام

(16) حديث كاتب السيرة يدعم قول القاضي النعمان بأنّ السرّ كان معروفاً عند غير جوذر. فكيف ينسب الناشران بعد هذا إلى القاضي التذليل والوضع (التعليق

28 ص 157) ؟

(17) هؤلاء عبيد صقالبة خدموا الفاطميين، وبخاصّة المنصور أيام فتنة أبي يزيد. فقد كان لقيصر بلاء حسن في حصار النائر بجبل كيانة (انظر فيما يأتي ص 416 إلى 469). وسيقوى نفوذ قيصر وصاحبه مظفر حتى يطغى على الخليفة، فأمر المعز =

القائم بأمر الله (صلح)، والمنصور بالله (عم) مستتر بفضله لا يقف أحد على أمره. فلما اجتاز المنصور بالله (عم) بالجهة التي هم معتقلون بها، توسّطوا به، ورغبوا إليه في التشفّع لهم. فما شعرت حتى أتتني منه رقعة بخطّه وهي:

«يعلم الله، عافاك الله وأحسن إليك وأتم نعمته عليك، تجنّبي الأشياء (ط 164) وكراحتي أن أتكلّم في شيء من الأمور. إلّا أني، إذا ذكرت ديانتك ومودّتك وأنسي بك، رأيت أنّ الدالّة تُسقط الحشمة، وتوجب إلّا أشحّ عليك بنصيحة. فالذي كان من أمور هؤلاء الصبيان الخدم - وإن كنت إنّما أردت بذلك أدبهم وتقويمهم فقد جاوزت الحدّ قليلاً. والمؤمن فرض عليه واجب مثل فرض الصلاة والصيام، أن يكون رحيماً للدنيء والشريف، شفيقاً على المؤمن والكافر، لطيفاً بمن قرّب منه أو بعد. وللغيظ سلطان شديد، قلّ من يملكه إذا هاج، ويكسره إذا فار. وقد ذكر لجالينوس رجل من إخوانه - وقيل إنّّه كان رجلاً شريفاً عاقلاً أديباً - لم يكن فيه عيب إلّا شدّة غضبه، وأنّه كان لا يملك غضبه إذا هاج، وذكر عن الرجل أنّه سافر معه في طريق بعيدة. (قال): فرأيتّه وقد غضب على بعض عبيده فضرب العبد بالسيف ضربةً كاد أن يُفنيه فيها. (قال): ثمّ ندم بعد ذلك وقال: يا جالينوس، تفضّل / عليّ وعالج هذا الطبع الذي أنا عليه، لعلّ أن تُنقّص به من غضبي. (قال): فقال له: إنّ هذا لا يداوى بالعقاقير والأدوية، وإنما يداوى باللسان والموعظة. (قال): فوعظه وعرفه أن ليس أضّرّ على العقل ولا أعدى إلى النفس من الغضب. (قال): فقبل ذلك وانتفع به.

= بقتلهما سنة 960/349 (انظر ص 66/2 من السبع السادس، والمجالس والمسائرات، 435، وخاصّة الهامش 42 من ترجمة السيرة).

«وأنا أحب أيضاً أن تقبل أنت موعظتي كما قبلها ذلك الرجل من جالينوس، وتُنقص من غضبك شيئاً بعد شيء لئلا يكون فيك خلق مذموم، ويكون ما أعرف من قبلك، إطلاقك سبيل هؤلاء الغلمان الذين حبستهم، من قبل نفسك دون أن يعلموا أنني سألتك فيهم. فإنهم قد سألوني ذلك، وتظلموا إليّ فيه، ولكنني والله ما وعدتهم بأنني أكلّمك فيهم، ولا أحب أن يعلموه. وبالله لولا ما أعرفه من الأنس بيني وبينك، ما ذكرت لك شيئاً منه، مع ما أحبه أيضاً من الخير لك، وألا توصف إلا بالشفقة والرفق، لا بالشدة والغلظة إن شاء الله».

وقد روى القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه) عن الإمام المعزّ لدين الله (صلع) ممّا رواه الإمام المنصور بالله (عم): قال المنصور بالله (صلع)⁽¹⁸⁾: إنّه لما كان من أمر الله في المهديّ (صلع) ما كان، لم يتقدّم القائم للصلاة عليه حتى أخذ بيدي وخلا بي، فقلّدي عهده وأسرّ إليّ في ذلك واستكتمني إياه. فوالله، ما علم بذلك منه إليّ، بعد الله، غيري وأقمت مدّة حياته ثلاث عشرة سنة أنظر إلى من قرب منه ومن بعد عنه يسعون بالفساد في دولة هي لي قد قلّدي الله أمرها، وأنا كآقل الأبعدين، لا أمر ولا أنهي، ولا أتعرض لشيء أنكره ولا أومىء إليه، ولا إلى شيء يُتوهم من أجله عليّ شيء ممّا أنا فيه. وأهل خاصّتي يؤذون ويُستطال عليهم ويُنال منهم، فلا يجد أحد منهم عندي نصرة ولا قياماً أكثر من أن أقصيه عن نفسي وأبعدهم عن قربي. ويُنال مني وأسمع، وتهتضم أمواله وتؤكل، وأنا عن ذلك كلّ بمعزل أتجرّع غصص الغموم وأتحمل فادح النوازل، صبراً على ما حُمّلت، وقياماً بما

240

.. وصبره على
إهمال أمره طوال
مدّة القائم

(18) المجالس والمسائرات، 448.

قُلِّدْتُ، وحفاظاً لما استرعيتُ⁽¹⁹⁾، من أن تشخص فيه أبهة القدرة، أو أن يظهر عليّ منه عزّ المملكة. ولو بقيت على ذلك أيام حياتي ما عدوتُ ما كان مني. ولو شئت لبسطتُ يدي ولساني وأنفذتُ أمري لأنّ الله (عج) قد جعل إليّ ذلك، ولكنني لم أزل [على ذلك]⁽²⁰⁾ من حالي إلى أن كان من أمر الله في القائم (عم) ما كان.

241

هذا قوله (عم)، فكان ذلك منه تواضعاً لله (عج) وحفظاً لما استرعاه وليّه وقلةً اكتراث بالدنيا، إذ كثيرها في أعين الأولياء حقير، وجليلها هيّن يسير، وإنّما قاموا بما قاموا منها حفظاً لدين الله وإقامة لحقه، ورعايةً لمن استرعاهم الله من خلقه.

وقد روي عن القاضي النعمان بن محمّد (رضي الله عنه) أنّه قال⁽²¹⁾: «ذكر المعزّ لدين الله (صلع) الحديث الذي كنّا نسمعه قال: كان المنصور بالله (عم) حملاً في أيام المهديّ بالله (صلع)، وكان عند المهديّ حمل، فولد المنصور وولد أبو الحسين، ابن المهديّ بالله. وكانت أمّه قد قالت، وهي حامل به، للمهديّ (عم): إنّي رأيتُ كأنّ القمر في حجري، وأنا أرضعه. فلما وُلد المنصور وأُتي به إلى المهديّ بالله (عم) ليبارك عليه، دعا بأمّ ولده أبي الحسين، وقد ولدته⁽²²⁾ فدفع⁽²³⁾ إسماعيل المنصور إليها وقال لها: أرضعيه مع ابك!

نقل عن النعمان في حظوة المنصور لدى المهديّ...

(19) «وصيانة لما استودعت»، أسقطها الداعي إدريس، وسيتها في نقله الثاني لهذا النصّ (ص 520).

(20) زيادة من المحالّ والمسايرات، 448

(21) المجالس والمسايرات، 542

(22) ولد المنصور برقادة في غرة حمادى 1 سنة 301 ومات أبو الحسين عيسى، عمّه وتربّه، سنة 382 (ملحق 12 من اتعاط الحنفاء)

(23) في المخطوط: فرّغ، والتصحيح من المجالس.

ففعلت مسرورة بذلك فرحة به. فلما أرضعته قال لها المهديّ:
أتذكرين الرؤيا التي رأيت؟

قالت: نعم، يا أمير المؤمنين.
قال لها: فهذا تأويل رؤياك.

ثم لم يلبث ابنها أبو الحسين أن جدير فذهب بصره، فأيقنت
أمّه أنّ رؤياها كانت للمنصور (عم) مع تأويل المهديّ (عم) لها
ذلك. (قال المعزّ): وكانت بعد ذلك من اليقين والولاية لنا في
242 غاية ما يكون عليه أهل الإخلاص! وكبرت وأسنت، وهي على ذلك.
وكانت تقول لولد المهديّ (عم) ونسائه بعد وفاته: والله لقد خرج
هذا الأمر من هذا القصر، تعني قصر المهديّ، فلا يعود إليه أبداً،
وصار في ذلك القصر - تومئ إلى قصر القائم - فلا يزال في ذرية
صاحبه ما بقيت الدنيا. وإذا رأيت الواحدة من نساينا قالت: هذه
السيدة، لمن كانت منهنّ قد ولدت إماماً، فيقول⁽²⁴⁾ لها بناتها: لقد
كبرت وخلطت. فتقول: أمّا الكبر فنع، وأمّا التخليط فلا، والله ما
أنا بمخلطة، ولكنني سمعت ذلك من علم الأئمة. (قال): ولم تنزل
على ذلك حتى ماتت.

قال القاضي النعمان: قلت: رحمها الله. قال المعزّ: نعم،
ونفعها باعتقادها.

وكان القائم بأمر الله (عم) حريصاً على العلم مؤثراً لحفظه
وأن لا يقع إلى غير أهله، مؤدّباً للمتصلين به أن [لا] يضعوه في
شغف القائم
242 بالحكمة...
غير موضعه، وأن لا يزرعوه إلا في مزارعه. وعلى ذلك جرت عادة
أولياء الله (عم)، وبذلك قامت سننهم، وعليه جرت حكمتهم، كما

(24) فيقلن، في المخطوط.

روى القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه) عن الإمام المعزّ لدين الله (صلح) قال⁽²⁵⁾: «وسمعت (عم)، وقد ذكر من يظهر ما ليس له ولم يؤمر به من الحكمة التي يسمعها، وأنهم إذا سمعوا منه (عم) شيئاً مما يمنّ به عليهم من ذلك أو وقع⁽²⁶⁾ في أيديهم شيء من هذه الكتب، فاوضوا بعض القرابة، ومن لا يجوز لهم ولا لغيرهم أن يظهرها لهم شيئاً منها، حتى لقد هممت أن أحرم على نفسي⁽²⁷⁾ أن أفيد أحداً كلمة واحدة في أمر الدين. وذكر (عم) ما سبق من الأئمة (عم) في ذلك ورسموه وأوصوا به وحرموه على كل أحد أن يسترق السمع، أو ينظر في ما لم يؤذن له في النظر فيه من ذلك، أو يبيديه لأحد، إذا منّ عليه بشيء منه، من غير أربابه الذين قد أودعهم الله ذلك وجعلهم أهله ومعدنه.

... وحرصه على
أن لا تعطى لغير
مستحقّيها..

ثم قال (عم): لما ألف داعينا كتاب «الزينة»⁽²⁸⁾، وهو كتاب

(25) هذا النقل من غير كتاب المحالس والمسائرات، على كثرة ما ورد فيه من تحذير منسوب إلى المعزّ في وجوب تقسيط الحكمة وقصرها على من يستطيعون فهمها (انظر المحالس، 104 و 231 و 305 و 511) وقد يقل الداعي إدريس عن كتاب «شرح الأخبار» للنعمان، كما ورد في السبع الرابع، 334.

(26) في الأصل: أو يقع وآثرنا العطف على. إذا سمعوا

(27) الإسناد إلى النعمان، لا إلى المعزّ.

(28) كتاب الزينة «في الأحرف ومعانيها في الكلمات العربية والدخيلة التي... صارت مصطلحات إسلامية» (الهمداني: الصليحيون، 251)، هو «أشبّه بالقاموس اللغوي وبالموسوعة الدينية في الإلهيات» (إيفانوف. أدب.. 24). وقال إسماعيل بوناوالا في ثبته (ص 36) إنه ظهر منه جزءان، ولكننا لم نحصل عليهما.

ومؤلف كتاب الزينة هو داعي الدعاة بالريّ، أبو حاتم الرازيّ والنعمان، على عادته، يتكتم في ذكر الأسماء، ويجنح إلى الإبهام وتوفي أبو حاتم سنة 322 بأدريجان أو بالريّ، أي في السنة التي تولّى فيها القائم. لذلك ينبغي أن نهمهم عبارة «داعينا» بمعنى «داعي الأئمة» بوجه غامّ، وأن نقرأ عبارة «حمل الكتاب إلى القائم» بالإسناد إلى المجهول هذا، ولا يخلو الحر من غموض، ولا يمكن توضيحه ما دما فاقدين للأصل المنقول عنه.

ظاهر (ر112ب) في فضل اللغة العربية ومنافع الشعور ما فيه، ومعنى اشتقاق أسماء الله (عج)، وغير ذلك ممّا يدلّ على فضل هذه اللغة الشريفة⁽²⁹⁾، وقد ذكر فيه الأصل الذي أراده ونحا إليه ودفنه في فصوله لئلا يقف عليه إلّا صاحب المال الذي كانت بضاعته في يد داعيه هذا⁽³⁰⁾، حُمل هذا الكتاب إلى القائم بأمر الله (صلع) في أجزاء كثيرة وكراريس غير مجلّدة. (قال): فدفع منه إلى المنصور (صلع) أجزاء وأمره أن ينظر فيه ويتدبّره. فأطلع المنصور بالله (عم) بعض المختصّين به من الدعاة على الكتاب وأراه إيّاه، وكان القائم (عم) أحسنّ في نفسه شيئاً من ذلك. فقال للمنصور: هل أطلع أحد على ذلك أو نظر فيه؟

.. مثلما وقع
لكتاب الزينة ..

244

«قال: لا يا مولاي. فاستقصى في ذلك، فقال: والله يا مولاي ما رأيته أحد، ولا وقف عليه إلّا فلان - يعني ذلك الرجل. «قال: فإنّه قد نسخه.

.. الذي نسخ -
فقرئ - مخادعة
للمنصور ..

«قال: معاذ الله. كيف ينسخه، وأنا لم أمكّنه منه؟
«فقال: والله لقد نسخه.

«فأهمّ ذلك المنصور، وسأل الرجل هل نسخ من ذلك شيئاً؟
فأنكر أن يكون قد فعل. فلمّا ألحّ عليه الاستقصاء في ذلك، أقرّ أنّه قد نسخه. قال: ويحك! كيف قدرت عليه و[لم] أمكنك منه، وإنّما كنت أدفع الكرّاسة في بعض الليل وأخذها منك في صباحه؟.

«فقال: عندي جماعة من عبيدي ممّن يكتبون. فكنت أحلّ

(29) هنا أقحم المؤلف، أو النعمان، عبارة: ثمّ قال: (صلع) ورأينا أن نستغني عنها.

(30) لا نهم هذه الجملة أصلاً: من هو صاحب المال؟ ومن هو الداعي؟ مؤلّف الكتاب؟ وهل ألّفه في مقابل مال؟ وليس من طبيعة الدعاة أن يأخذوا المال من الإمام، بل العادة أن يحملوه إليه.

الكراسة وأفرقها عليهم ورقة ورقة فيكتبون، ثم أشد الكراسة وأجمع الأوراق التي كتبوها فأولفها.

«فأخبر المنصور بالله القائم بأمر الله عليهما السلام فقال: قد أخبرتك، وأراك تضيّن بهذا الرجل، والله لا انتفعت به ولا وجدت عنده ما تريده أبداً، وهو أكبر من داعينا الذي ألّف هذا الكتاب، فليظهر فضل ما عنده ويُجارِ هذا في علمه ويسابقه فيه!

.. فلامه القائم
على انخداعه

«ثم استرجع تلك (ر 113 أ) الأجزاء من المنصور (عم) ولم يُطمعْه في باقيه. وألح المنصور (ص) المسألة والتضرّع إليه، فلم يجبه إلى شيء منه ولا أطمعه فيه. (قال / المنصور بالله (ص): فذكر لي أنّ الكتاب عند بعض خدام القائم (عم)، فأنفذت إليه فيه فأبى عليّ وقال: لا أعطيك إلاّ بأمر القائم (عم) وإذنه. ولم يطمعني فيه.

245

«فذكر لي أنّ نسخته عند آخر فأنفذت إليه فقال: أهلاً ومرحباً. هو أهله ومعدنه. وبعث إليّ بالكتاب».

وهذا من الأئمة (عم) تأديب لمن اتّبع أمرهم ليقتدي بهم في آدابهم ويجهد نفسه فيما جعلوه من دأبهم. وقد قال النبي (ﷺ): «من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه، فكأنما ينظر في النار»⁽³¹⁾. وكثير عن أولياء الله قد أتى في صيانة العلم وحفظه، وأن لا يدفع إلاّ لأهله. ولو تقصينا القول فيه لطال الكلام واتسع المجال. والواجب الاقتداء بأولياء الله في الأقوال والأفعال.

ومؤلف كتاب الزينة هو الداعي أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي (قس)، وهو من الدعاة الفضلاء الذين غزر علمهم وعظم

أساطين التأليف من
الدعاة:
النسفي ...

(31) رواه ابن عسّام في سنن أبي داود، كتاب الوتر، باب الدعاء ويبدأ بقوله (ﷺ): لا تستروا الجدر.

فضلهم وجلّ محلّهم. وله تأليفات وتصنيفات عدّة في باطن العلم والتأويل المأخوذ عن الأئمة. وقد تجارّى هو والداعي أبو يعقوب السجستاني في التأليف⁽³²⁾ وأتيا بكثير من التصنيف، ممّا يدلّ على علوّ قدرهما وغزّر بحرهما.

فمن ذلك كتاب «الإصلاح» لأبي حاتم، في إصلاح أشياء ممّا أورده الشيخ الحميد في كتابه «المحصول»⁽³³⁾. وأتى أبو يعقوب بكتاب «النصرة»⁽³⁴⁾ نصرةً لصاحب المحصول. /

.. فالرازي
والسجستاني ..

246

وجاء بعدهما الداعي حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرمانيّ، حجة الإمام الحاكم بأمر الله، في كتاب «الرياض»⁽³⁵⁾ بما أبان غامض الكلام، ونظم قول هؤلاء الدعاة أحسن نظام، وكان له (ر 113 ب) فيه الفضل المبين والتبريز في العلم الذي جالّ به في حلّبة السابقين، رضي الله عنهم وأرضاهم، ورفع درجاتهم وأحمد عقباهم، وجعلنا من المهتدين بهديهم، المقتفين لأثارهم في طاعة الله (تع) وامثال أوامره، وطاعة أولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم

.. فالكرماني

(32) توهم عبارة المؤلف أنّ السجستاني والرازي متعاصران، والواقع أنّ أبا يعقوب توفي بعد الرازي بنحو سبعين سنة (انظر بوناوالا، 82)

(33) الشيخ الحميد هو أبو الحسن محمد بن أحمد النسفي النحشي البزدويّ (بوناوالا، 40، و 43) وأستاذ سيدنا أبي يعقوب السجستاني. كان داعياً بنيسابور، وقتله نوح السماني سنة 322 وكتابه «المحصول» هو الذي ردّ عليه الرازي بكتاب «الإصلاح».

(34) كتاب «النصرة» لأبي يعقوب السجستاني فيه دفاع عن آراء النسفي في كتابه «المحصول» (بوناوالا، 86)

(35) حميد الدين الكرمانيّ (ت بعد 1020/411) داعي العراقيين للحاكم الفاطمي. ألف كتاب «الرياض» في الإصلاح بين الشيخين أبي يعقوب في كتاب النصرة وأبي حاتم في كتاب الإصلاح (بوناوالا، 94). فترتيب هذه المؤلفات في الزمن هو المحصول، فالإصلاح، فالنصرة فالرياض.

بطاعته وطاعة رسوله، الفائز من نجا بشفاعته، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

نرجع إلى سيرة القائم بأمر الله سلام الله عليه:

ولما كان بعد وفاة⁽³⁶⁾ الإمام المهديّ بالله (ص) أخرج أمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم) يعقوب بن إسحاق التميمي لغزو الروم. فخرج يعقوب⁽³⁷⁾ من المهديّة يوم الأحد ظهراً لست ليالٍ خلون من شهر رجب من سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة / (يولية 934) في عشرين مركباً، فغزا الروم من جهة الأندلس، ووافى في طريقه مراكب الروم وفيها تجاراتهم فأخذها وأسر من فيها وتمادى في السير إلى بلد الروم، فنزل على مدينة منيعة هنالك تعرف بـ «جنوة» فقاتل من بها قتالاً شديداً فامتنعوا منه / بسور المدينة. فما زال يقاتلهم حتى ملك عليهم سور المدينة، فقاتلوه في أزقة المدينة، فرزقه الله النصر عليهم ببركة الإمام (عم) ويؤمن دولته. فملك المدينة وجميع ما فيها، وقتل المقاتلة من النصاري والمشرّكين وسبى ذراريهم وغنم جميع ما في المدينة من البزّ والحريز والكتان وغير ذلك، ثمّ أضرمها بالنيران وجميع كنائسها وقصورها وبقية أمتعتها ممّا ثقل حملة. وتسامع به الروم فجأؤوه من كلّ ناحية وقاتلوه، فمنحه الله النصر عليهم، فقتلهم قتلاً ذريعاً مبرحاً. وعاد يعقوب ظافراً منصوراً، غانماً مجبوراً⁽³⁸⁾، فوافى ساحل المهديّة بجميع من كان معه، ووقف في مرساها يوم الأربعاء لأربع ليالٍ بقين من شهر

أسطول القائم يغزو جنوة..

247

(36) في «هـ»: ولما كان وفاة، والإصلاح من «ر».

(37) يعقوب بن إسحاق قد مرّ بعض خبره في ص 219 - 221

(38) في الكامل، 249/6 أنّ الأسطول في عودته نزل بجزيرة سردانية وقرقيسيا (أي قرسيقا كما عند الذهبي في المكتبة العربيّة - الصقليّة، 459، وليست «بسواحل الشام» كما قال ابن خلدون، 40/4).

رمضان سنة ثلاث وعشرين (ر114أ) وثلاثمائة (أغست935). وأخرج السبي وزين الأسطول، ودخل المدينة بأحسن زي وأجمل هيئة. وكان السبي الذين جاء بهم ثمانية آلاف نفس. وقعد أمير المؤمنين القائم في مجلس البحر، ودخل يعقوب فسلم عليه، فأدناه وشكر سعيه، وحمد الله سبحانه على ما أتاح له، وأمر بإخراج ما يجب للغزاة وأحسن إليهم.

وأخرج أمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم) ميسوراً الخادم الصقلي في عسكر عظيم إلى المغرب. فانتهى إلى فاس ولقي موسى⁽³⁹⁾ بن أبي العافية، وكان قد نافق وخالف. وهو في جمع عظيم. فهزمه ميسور الخادم، وغنم ما كان معه واستولى على فاس وأتى بابن [موسى]⁽⁴⁰⁾ بن أبي / العافية أسيراً. فوقف في السجن حتى أخرجه المنصور بالله (عم) مع جماعة من المسجونين بعد الفتح، وعفا عنهم.

وثار رجل يعرف بابن طالوت ينتمي إلى قريش. وكان محمد ابن طالوت هذا من بعض كتّاب العراق⁽⁴¹⁾، فصار إلى ناحية طرابلس، وزعم للبوهر أنه ابن المهدي، فقاموا معه وأتبعوه، واجتمع له منهم جماعة كثيرة. فزحف إلى مدينة طرابلس ليأخذها

(39) في الجميع. أنا موسى، والصواب: موسى، كما في المقتبس، 348/5 و386 و427.

(40) في الجميع: بابن أبي العافية، مما يؤهم أن المأسور هو موسى والصواب أنه أنه «البوري بن موسى فعربه إلى المهدي» (الاستقصاء، 190). وانظر: ابن عذاري، 209/1 ومات موسى سنة 326 أو 937/328 - 939 «قتل ببعض بلاد ملوية».

(41) «العرائف في الأصل وفي المطبوع، والإصلاح من «ر». وأرخ ابن عذاري، 209 ثورة ابن طالوت سنة 322 في حين أن صاحب كتاب العيون والحدائق، 339، أخرها إلى 328.

.. ورعاياه في عدد عظيم، فقاتله أهل طرابلس وهزموه وقتلوا جماعة من
بطرابلس يقتلون ثم تبين للبربر بعد ذلك إفكه وبهتانه الذي افتراه، وتحقق
ابن طالوت الدعوى بطلان ما ادّعاه، فقتلوه وأتوا برأسه إلى أمير المؤمنين القائم بأمر
الله.

[ثورة أبي يزيد]

وخرج أبو يزيد الأعور الدجال النكاريّ مخلد بن كيداد⁽⁴²⁾
اللعين بجبل أوراس⁽⁴³⁾ في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة. وجبل
أوراس هذا، على ما حكاه الرواة من أهل السير والتواريخ⁽⁴⁴⁾. جبل
عظيم يتصل إلى داخل المغرب، فيه جماعة (ر 114 ب) من جميع قبائل
المغرب.

وكان أبو يزيد أباضيّ المذهب، يرى رأي الخوارج المارقين،
ويتولّى أبا بكر وعمر، ويبرأ من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب
(صلع) ومن عثمان، ويستحل سبي ذراري المسلمين ممّن خالف رأيه
واعتقاده، ويكفرهم.

(42) في الكامل، 302/6، أنّ أبا يزيد بدأ دعوته التمرّدية منذ «أن خرج أبو عبد الله إلى
سجلماسة في طلب المهديّ»، أي منذ سنة 296. ويؤرّخ المقرئ (اتعاط،
109) بداية تحرّكه سنة 303، وابن خلدون، 41/4، سنة 316. ولا يذكره ابن
حمّاد، 18، إلّا ابتداء من سنة 332 وهذه المصادر القديمة لا تقول إنه كان
أعور

(43) جبال الأوراس تقع شرقيّ القطر الجزائري بين قسنطينة شمالاً وبسكرة جنوباً،
وتوحد فيها أعلى القمم. ومنها انطلقت الثورة التحريرية الماركة في فاتح نوفمبر
1954.

(44) لا يذكر المؤلّف هذه المصادر، ولعلها بعض كتب النعمان المفقودة، أو كتاب
ابن الحزّار أو الرقيق القيروانيّين (انظر ورقات ح. ح. عبد الوهاب، 318/1
و 200/3).

وكان في ابتداء/ أمره يتردد في البلدان، ويحضر من أنس به على القيام على السلطان. وكان بربرياً من زناتة من مدينة توزر⁽⁴⁵⁾ من مدن قسطنطينية. وكان أبوه تاجراً.

الخارجي أبو يزيد
ادعى الصلاح
والاحتساب...

ثم اتصل بأبي عمار الأعمى كنار بن عبد الحميد⁽⁴⁶⁾، فعاضده على أمره، وادعى الصلاح. وكانا يسيران في البربر ويسعيان في الفساد والتأليب على الدولة العلوية، وتكفير المسلمين غير من يدين بدين الخوارج، واستحلال قتالهم وجهادهم، ورميهم بالكفر. وعظمتهم البربر.

ورفع أمرهما إلى أمير المؤمنين القائم (عم) فأمر بإمساك أبي يزيد فأخذ بتوزر. وبلغ ذلك صاحبه أبا عمار، فجمع أربعين رجلاً ممن يرى رأي الخوارج - وكانوا يتصلون بأبي يزيد ويتكلمون عنده - فقصدوا السجن ليلاً وكسروا بابه واستخرجوا أبا يزيد وتوجهوا إلى ناحية سماطة⁽⁴⁷⁾ فأقام بها سنة.

ثم عاد إلى أوراس. ونزل هو وصاحبه أبو عمار بموضع يقال له: «المتولان» بأوراس. وما برحا يجمعان من يرى رأي الخوارج المارقة إليهما، ويحضنان على القيام على الدولة العلوية، ويقولان: «إنه قد خفي ذكر أبي بكر وعمر، وظهر فضل علي بن أبي طالب واشتهر» حتى اجتمعت لأبي يزيد جماعة. فعاقدهم وحالفهم على أنهم ما أخذوه من مال المسلمين حكموا فيه كما يحكم في غنائم/ المشركين، وأن ما سبوه من النساء والذرية فهو مباح لهم غير محرّم

. والانتصار
للصحة...

(45) توزر. تقيوس: حاضرة قسطنطينية قديماً، والجريد التونسي اليوم

(46) يسميه ابن حماد، 19: أبو عمار عبد الله الحميدي الحجري، وابن خلدون.

عبد الحميد، ويصيف «وهو رأس النكارية» (ج 7 ص 13)

(47) سماطة: مقاطعة على أبواب صحراء الجزائر، جنوب بسكرة وغربي نفطة (ابن حوقل، 92).

عليهم، فمتى اجتمعت جماعتهم وملكوا المهدية، وأزالوا الدولة العلوية، رجعوا إلى الخيار فاخترأوا من ترصاه جماعتهم⁽⁴⁸⁾ فولّوه عليهم.

وكان أبو(ر115أ) يزيد إذا لقي أحداً، يذكر له الشيخين (ط147) أبا بكر وعمر، ويشنّع على الشيعة يبغضهما وأنهم لا يرون بهما⁽⁴⁹⁾. . . ويأتي أهل الرئاسة من حيث يحبون في تزيين الرئاسة لهم، وأن السلطان قد ساوى بينهم وبين غيرهم ممّن هو دونهم. وإذا لقي من همّه الغارة والفتنة من الغوغاء والعوام، أتاها من باب تحليل الأموال والفروج، يحضّهم على القيام والخروج، حتى اجتمع مع أبي يزيد مائتا فارس، فقصد باغاية بهم.

.. في وجه
الشيعة .

وكان كبون بن تصولا⁽⁵⁰⁾ قد خرج من قبل أمير المؤمنين (ص) إلى جهات باغاية، وأوقع بقوم من أهل أوراس من البربر المخالفين على أمير المؤمنين. فزحف مخلد بن كيداد في سلخ جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين⁽⁵¹⁾ وثلاثمائة (جانفي 944) فيمن معه ممّن أجابه وأتبعه، إلى قصر لصولات بن مملول فيه عبيد له

.. فجمع
الأنصار...

(48) عند ابن خلدون، 13/7: ويابعوه على «أنهم إن ظفروا بالمهدية والقيروان، صار الأمر شوري». فاعتمد لوطرونو في فصله عن ثورة أبي يزيد، ص 107، على هذه الفقرة فقال إن الذي حرك أنصار أبي يزيد هو عزيمهم على طرد الدخلاء الفاطميين، والرجوع بالحكم إلى المجالس البربرية / الخارجية.

(49) أي لا يقدرونهما حق قدرهما

(50) في الأصل: فضولا، والتصحيح من الدشراوي: الخلافة...، 167.

(51) في النسختين وفي المخطوط: ثلاث وعشرين، وهو سهو واضح. فالعمليات بإفريقية ستبلغ أوجهاً بفتح القيروان (صفر 333) ثم حصار المهدية في جمادى. وسيأتي بعد قليل أن أبا يزيد حاصر ماغاية في رمضان 333، والسهو هنا في رقم الأحاد، مع صحة رقم العشرات. وقد وقع ابن خلدون، 61/4، في نفس السهو إذ جعل حصار تبسة في سنة الأثلاث، وفتح القيروان في صفر منها (وانظر الدشراوي، الخلافة، 167).

ودوابّ وطعام ونعمة، وكان صولات أحد⁽⁵²⁾ رجال دولة أمير المؤمنين القائم (ص)، وهو عامله / على باغاية. فانتهب مخلد ما في قصره، وقتل رجلاً من أهله ورجع بمن معه إلى جبل أوراس.

251

فلما تسامعت البربر بتلك الغنيمة، اجتمع له لفيف من الناس، فصار معه أربعمائة فارس ورجالة كثيرة، وزحف بهم إلى قصر يعرف بـ «أبي معلوم» من فحص باغاية على اثني عشر ميلاً منها، وفيه نعم كثيرة، فأتاه نهاراً. فاجتمع في القصر مائة رجل وصعدوا أعلاه وقتلوا عن نفوسهم. فبذل مخلد لهم الأمان، حتى إذا وقعوا في يده غنم جميع ما كان معهم وجزّ رؤوسهم وترك الغنائم لمن كان معه وكانت كثيرة فامتلات منها أيديهم.

وتسامع بذلك من البربر من يليهم فأقبلوا إليه بالخيـل والرجال، وعظم به عند ذلك الحال. فزحف إلى باغاية في ألف فارس. وخرج إليه صولات عامل باغاية بمن معه، فقاتلهم البربر فهزموهم حتى أدخلوهم مدينتهم. وأقبل الليل فضرب أبو يزيد أخبثته - وقد طمع في مدينة باغاية - فزحف إليها ثاني يومه، وفرّق جنوده للقتال على نواحيها. فتعاقد من بها على الصبر، وخرجوا على البربر، وتراموا من السور إليهم. فولّى أبو يزيد ومن معه ناكسين على الأعقاب، وقتل منهم ثلاثمائة رجل، وتفرّقوا إلى كلّ جهة وجناب. ولم يبق مع مخلد غير عشرة فرسان فمضى / بهم حيران لا يعلم كيف يصنع، ولا بأيّ حيلة عن نفسه يدفع.

252

ثمّ تراجع الناس إليه، واجتمع إليه من البربر خمسمائة فارس وألف راجل. فضرب بهم على «محيجة»⁽⁵³⁾ فغلب على أهلها بعد

(52) في المخطوط: من أحد.

(53) منححة في (ر)، وهي غير معروفة، ولا المتوالان ولا قصر أبي معلوم.

قتال شديد، وحاز مواشيهم وأخذ ما في أيديهم. واستمال البربر واجتمع إليه منهم عسكر بعد عسكر.

وكتب أهل باغاية إلى أمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم) فكتب إلى كيون بن تصولا يأمره بالمسير إلى باغاية لقتال أبي يزيد، وكان كيون بطبنة. فوافى كيون إلى باغاية في نحو خمسمائة فارس، ومعه جماعة من وجوه أهل جبل أوراس فقال لهم: «إمّا أن تأتوا بأبي يزيد، وإلا فلا أمان لكم». فقالوا له: «قد تفاقم أمره وعظم شأنه، ولا حيلة لنا فيه». فلم يعذرهم عن ذلك. فعمل القوم على مكيدة كيون بعد أن شاوروا أبا يزيد. فأتوه وقالوا: «إن ابن كيداد لم نقو عليه بالحيلة، ولا ساعدنا شبأنا على ما نريد منه. والرأي أن تخرج، ونحن ننصرك على القوم». (ط 176). فأجابهم كيون، وساعدهم على ما يطلبون، وظنّ صدقاً ما له يُظهرون. فزحف كيون إلى الجبل يريد أبا يزيد. فلما بلغ كيون إلى موضع يعرف بـ «فجّ العافية»، وجد أبا يزيد قد كمن له كميناً على ما عاقد عليه القوم/. فحين توسّط كيون الفجّ علت رجالة الكمين على جوانب الجبل، وعلم كيون المكيدة فرجع ومن معه، وتبعته خيل البربر حتى وصل إلى باغاية. وزحف أبو يزيد الخارجي إلى باغاية وعمل كيون على لقائه ومن معه وأمر عامل باغاية بالخروج بمن معه، فتزاحف القوم ووقع بينهم قتال عظيم انهزم فيه أصحاب كيون، وخلّص بنوده بعد أن كان أبو يزيد تغلب عليها⁽⁵⁴⁾. ورجع إلى باغاية في خمسمائة فارس وألفي راجل وأخذ في إصلاح سور باغاية ومرمة أبوابها وأعدّ عدّة الحصار، وذلك للنصف من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين

.. منازل حصون
الأوراس..

253

(54) في «ر» والمطبوع: بعد أن كاد أبو يزيد يغلب عليها.

وثلاثمائة⁽⁵⁵⁾ (ماي 944) ولمّا اتّصل ذلك بأبي يزيد قوي قلبه فزحف إلى باغاية. وخرج إليه كبون ومن معه فاقتلوا قتالاً شديداً، وهزم الخارجي، وقتل عدّة من رجاله، وعقرت لهم خيول.

وعاد أبو يزيد إلى موضعه بفجّ العافية فأقام أياماً. ثم زحف مرة أخرى إلى باغاية. فخرج إليه كبون بمن معه فامتّنع أبو يزيد من قتاله. فحين رأى ذلك كبون رجع بمن معه إلى المدينة، وبقي أبو يزيد وأصحابه وقوفاً على دوابهم إلى الليل ثم رجع إلى معسكره.

.. وحاصر
.. باغاية.

254

وجاء أبو يزيد إلى بساتين باغاية فقطعوا شجرها. ونزل جماعة من أهل باغاية/فقتلوا من أصحاب الخارجي رجلاً وعقروا خيلاً. ثم خرج إليهم كبون بمن معه فانتشب القتال بينهم إلى الليل (ط 177) وانتصف بعضهم من بعض وعاد كلّ فريق إلى موضعه.

ثمّ انتقل الخارجي من موضعه ونزل من باغاية على ميلين وأفسد ما حولها من الشجر، وأغار على القبائل الذين حول باغاية. ثم وافت عساكر كتامة إلى باغاية. وذلك أنّ أمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم) لمّا بلغه محاربة الخارجي لأهل باغاية أخرجهم إليهم ردّءاً وقوة. فحين علم أبو يزيد بقدومهم (ر 116 ب) رجع مبادراً إلى موضعه من الجبل على مسافة أربعة وعشرين ميلاً من باغاية.

.. فلم يقدر
.. عليها.

ثمّ إنّ سعيد بن خلف الهواري هرب من باغاية وحمل معه أهله ووافي الخارجي، وذلك لأمر كان بينه وبين الحسين بن ناكسين الإيجاني. فلما صار سعيد الهواري إلى أبي يزيد قوي به أمره.

.. رغم انضمام
.. بعض القوادر إليه..

(55) في الجميع: ثلاث وثلاثين، وقد صحّح المؤلف سنة الثلاثين، ولكنّه أخطأ في سنة الثلاث وسنواصل الإصلاح كلّما عرض ذلك.

واجتمع مع كيون عساكر كثيرة من خيل كتامة وهوارة ورفجومة، وأهل تيجس وميلة وسطيف وبلزمة وغيرهم، فارتحلوا ونزلوا بقرب جبل أوارس. فأراد الخارجي أن يعاجلهم قبل أن يأنسوا بالحرب ويعرفوا الجبل. فسار إليهم حتى انتهى إلى بعض الطريق، فرجع عنه البربر وبقي في مائتين / وخمسين بين فارس وراجل. فلما رأى استعداد كيون مال إلى عسكر أبي دقل الملوسي - وكان على بعض عسكر كتامة - فوقع بينهم قتال، ودفعوا أبا يزيد عن أنفسهم، وأتاهم كيون ليعضدهم فوجدتهم قد ردّوا أبا يزيد. فعاد إلى معسكره، فوجد عسكره من كتامة قد شدّوا رحالهم يريدون بلادهم، فمنعهم ذلك وصاح عليهم. فاختلفوا عليه بين راحل ومقيم وعلت بينهم الصيحة. فمال أبو يزيد إليه وترك قتال أبي دقل. فحين أحسّوا به هربوا بين يديه (ط 178) فقاتله كيون والحسين بن ناكسين قتالاً شديداً حتى جرحا وتفرّق الناس عنهما، فغلب أبو يزيد الخارجي على ما كان في عسكرهما. ثم كرّ كيون على أبي يزيد في قوم التّفوا إليه بعد الهزيمة، فانهزم أبو يزيد الخارجي بين يديه ولحق بموضعه. وهرب أبو دقل الملوسي بمن معه حين رأى افتراق عسكر كيون والحسين ابن ناكسين الإيجاني، فبات كيون والحسين في معسكرهما إلى الصبح. ثم ارتحلا في من بقي معهما إلى باغاية، وذلك في شهر شوال سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة (جوان 944). ووافي جحفل كثير من كتامة عليهم رجل يسمّى بدين بن محمّد الجيمليّ فنزلوا قبليّ باغاية / ثم خافوا البيات فانقلوا إلى ربض باغاية. وكانوا يهرب منهم كلّ ليلة طائفة إلى بلد كتامة.

255

.. ورغم انخزال
جماعة من
كتامة ..

256

وعمل مخلد بن كيداد على أن يبيّتهم في الربض، فزحف إليهم فقاتلهم قتالاً شديداً. وخشي عليهم كيون الهلاك فنادى الناس بالخروج، وأمر بضرب الطبول وإيقاد المشاعل وفتح الأبواب

.. وطالت منازلته
لباغاية ..

وإخراج البنود. وخرج فيمن معه فقاتلوا البربر حتى أخرجوهم من الرض. ويات القتال إلى الصباح فانهزم أبو يزيد. وسابقه بدين إلى الجبل ليحول بينه وبين الدخول، فمال إليهم أبو يزيد بعسكره، فانهزم بدين في من معه من كتامة، وقُتل من الكتاميّين ثلاثون رجلاً أو يزيدون. ومضى أبو يزيد إلى موضعه، ورجع الكتاميّون إلى باغاية فدخلها جماعة من وجوههم وانصرف باقيهم إلى بلدانهم.

دش 80

* ولما⁽⁵⁶⁾ اجتمع لمخلد الدّجال خلق عظيم من لفيف الناس وطغاهم، طمعوا⁽⁵⁷⁾ في باغاية حين انصرفت جموع كتامة عنها. وكتب أبو يزيد من حول قسطلية من البربر كني واسين وغيرهم يأمرهم بحصار قسطلية (ط 179) فحاصروها. ثم زحف مخلد الدّجال إلى باغاية، وخرج إليهم كبون والحسين بن ناكسين في أهل باغاية، وبدين ومن بقي معه من الكتاميّين / فوقع بينهم قتال شديد. وانصرف الدّجال إلى مكانه. ورحل من الغد فنزل بقرب باغاية، وزحف إليه كبون في من معه فقاتلوا قتالاً عظيماً وقتل جماعة من أصحاب الدّجال وعقرت عليهم خيول كثيرة. فعلم أبو يزيد أن لا طاقة له بباغاية وأنها عنه ممتنعة. فقال لأصحابه: «إن بني كيداس الذين حول تبسة⁽⁵⁸⁾ قد كاتبوا كبون ليصيروا إليه، فاذهبوا بنا لنأكل أموالهم ونسبي ذرائعهم ونقتل رجالهم».

257

.. فسرف جموع
أنصاره إلى
تبسة..

وسار الدّجال في جموعه إلى بني كيداس. فحين صار بالقرب منهم، علموا أنهم لا يطيقون لقاءه، فبعثوا إليه يسألونه

(56) هنا يستأنف الدشراوي مقتطفاته من الكتاب، ونشير إلى صفحاتها بعلامة «دش»

مع الرقم

(57) في الجميع. وطمعوا.

(58) تبسة بالمد في الأصل، وكتبناها كما تكتب اليوم وتنطق

الأمان. فأعطاهم الأمان على أن يتقدّموا أمام عسكريه إلى تبسة وأن يكونوا أهل القتال (ر 117 ب). فزحف بنوكيداس إلى تبسة وكان عاملها غلاماً لكبون. فلما اتصل خبرهم به خرج إليهم فقاتلهم، فقتل نفر من أهل تبسة الذين مع غلام كبون. وأقبل الدجال في جموعه، والقوم في قتالهم فأغلق أهل * تبسة أبواب حصنهم حين رأوا جموع البربر قد أقبلت، وقتل غلام كبون رحمة الله عليه، وجماعة من أصحابه. وخرج جماعة من أهل تبسة إلى أبي يزيد يسألونه الأمان، فأمّنهم على أن يخرجوا إليه/ ما كان لكبون وكتامة ويسلموا إليه أولاد كتامة الذين معهم. فأخرجوا إليه كلّ ما كان معهم فغنم لعنه الله الأموال، وسبى النساء والذرية، وأغنم ذلك البربر، وأخذ بزعمه الخمس.

فاستولى عليها
بالغدر

دش 81

258

ورحل الدجال إلى مرماجنة فلقه رجل من أهلها يقال له «ابن (ط 180) خلاف»، فاستأمنه وأهدى إليه حماراً أشهب، وكان الدجال يركب ذلك الحمار وبه سمّي «صاحب الحمار». ويات أبو يزيد بقرية بني سعيد من نواحي مرماجنة⁽⁵⁹⁾، وأشرف على إفريقية فهاب أصحابه الهجوم إلى إفريقية.

أهدوه حماراً
أشهب . فصار
يدعى «صاحب
الحمار»...

وكان بالأربس جماعة من كتامة. فحين علموا ما صنع أبو يزيد مع أهل تبسة، وما فعل في طريقه من القتل والنهب، خافوه خوفاً شديداً. واجتمعوا وعقدوا عسكرياً بموضع يقال له «دقة»⁽⁶⁰⁾. واجتمع البربر إلى الدجال صاحب الحمار وقالوا: «أنا لا نُقدم على إفريقية، وأنا نخاف أن يصل إلى أهلها جنود السلطان فلا يقوم لنا

(59) قرية بني سعيد غير معروفة. ومرماجنة حسب ياقوت، تقع على مرحلة من الأربس ويجعلها ابن حوقل، 86، عربي الأربس بين آتة و«تامديت» أما الطالبي: الإمارة، 575 والترجمة، 631، فيعين لها موقع تالة الحالية تنوس (60) قد مرّ ذكر دقة ص 110 هامش 101، وهي التي تقع جنوب الأربس في اتجاه سبيية.

حال معهم». فهم يمجون في ذلك إذ قدم عليهم إبراهيم بن ثوبان بن أبي سلاس⁽⁶¹⁾ من الأربس، وكان من وجوه الجند * فسلم على أبي يزيد، وعرفه أن إسحاق بن خليفة عامل الأربس قد هرب عنها بأهله / وولده خوفاً من قدومه. فسّر ذلك أبا يزيد وقوى قلوب (ر 118 أ) البربر، وأمر أبو يزيد بالإعلان بالخبر. وسأله ابن أبي سلاس أن يعطي أهل الأربس الأمان في أنفسهم وأموالهم. فأعطاه العهد والأيمان، على الحياطة لهم والأمان. ثم أمر أبو يزيد [أبا] سليمان [أيوب] بن خيران الزويلي - وهو رجل كثير الشر من مزاته - وأمره أن يقتل من وافاه على الطريق، ويسبي، ويحرق كل منزل يمر به، ليرهب بذلك كتامة الذين بدقة.

وركب أبو يزيد حماره الأشهب، ولبس جبة صوف قصيرة الأكمام مفتوحة العواتق - وكان يُخرج يديه من تلك الفتوح، وعلى رأسه قلنسوة بيضاء كدرة - وسار إلى دقة. ووافى عسكر كتامة فاقتلوا قتلاً شديداً وانهزمت كتامة وتمادوا (ط 181) إلى القيروان. وغلب صاحب الحمار على دقة، وذلك لأربع عشرة خلت من ذي الحجة [سنة 332 / أوت 944]. ووجه جماعة من أصحابه إلى مدينة سببية فغلبوا عليها وأخذوا عاملها عبد الله التيفاشي⁽⁶²⁾ فقتلوه وصلبوه رحمة الله عليه.

وسار الدجال إلى الأربس فوصلها يوم الأربعاء للنصف من ذي الحجة، فغدر بأهل الأربس / وقال: «لا أمان لكم حتى تُخرجوا إلينا المشاركة وخدم السلطان وأتباعهم * وتعطونا أموالهم». وأخرج

(61) بنو أبي سلاس: خدموا الأغالة ثم الفاطميين. انظر في رياض النفوس، 297/2

استفتاءهم للفقهاء القيرواني الممسي في الانضمام إلى أبي يزيد.

(62) في الأصل: الفاشي، وقد أخذنا بقراءة الدشراوي.

إليه خطيب الجامع ومتولي الصلاة به فقتلها، رحمة الله عليهما، صبراً. ودخل البربر الأربس وتغلبوا عليها وقتلوا المشاركة، وأتباع السلطان وكثيراً من أهل الأربس، ونهبوها وأحرقوا كثيراً منها بالنار. ونجا كثير من أهلها إلى المسجد الجامع فقتلوا فيه وافتضت الأبكار من النساء في المسجد، وأظهروا الكفر والطغيان، وزادوا على كفر فرعون وهامان.

ولما اتصل خبر الأربس بأهل المهدية استعظموا ذلك وهالهم. وبلغ الخبر إلى أمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم) فاستعظم (ر 118 ب) ذلك كل من حضر مجلسه الشريف وقالوا له: «يا أمير المؤمنين هذه مدينة عظيمة، وهي باب إفريقية، ولما أخذت في أيام بني الأغلب، وهنت دولتهم». وكان فيمن خاطب أمير المؤمنين بذلك محمد بن علي بن سليمان. فقال له أمير المؤمنين (عم): «يا محمد، أ قلبك قوي؟»

القائم لم يتأثر
لانتصارات أبي
يزيد .

قال: يا أمير المؤمنين، وإن زدت قوة قوي. فقال (عم): لا بد أن يبلغ مخلص المصلي، وهو غايته.

وذلك مصلي / المهدية حيث علم⁽⁶³⁾ أمير (ط 182) المؤمنين المهدية بالله (صلح).

261

واتصل خبر الأربس بكون فعل على الخروج من باغاية ومعه الحسين بن ناكسين، وأبو دقل⁽⁶⁴⁾ وبدين بن محمد الجملي

(63) علم بالتشديد، أي جعل علامة، وهي رمية السهم الذي رماه المهدية من بابها الحديد نحو المصلي فقال: إلى ههنا يبلغ أبو يزيد (انظر اس حماد، 10). وفي كلام جلاس القائم صدى للنقد الذي استوجه نشاطه في التصدي لأبي يزيد، وهي تهمة يدفعها عنه المنصور والمعر (انظر المجالس والمسائرات، 249 و 542).

(64) لقد قال المؤلف منذ قليل (ص 255) إن أنا دقل هرب - عن كون؟ - بمن معه.

في مائة وخمسين فارساً وجماعة من وجوه أهل باغاية. فخرج بهم ولقيَه خيل عظيمةً من لواتة. فساروا جميعاً إلى قلعة مَجَّانة فمكروا بها ووجدوها خالية من الرجال، وقد ترك بها أبو يزيد ثَقْلَه وكثيراً ممَّا كان معه. فانتهبوها وساروا إلى المهدية فدخلوا يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم أول سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة⁽⁶⁵⁾

.. ولكنه أخرج
الجيش إلى
رَقَّادة ..

وأخرج أمير المؤمنين القائم بأمر الله (صلح) محمد بن علي بن سليمان وتميماً الوسفاني في خيول كتامة إلى رَقَّادة ليكونوا بها ويضبطوها لإحدى عشرة ليلة من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة⁽⁶⁶⁾.

ثم أخرج خليل بن إسحاق⁽⁶⁷⁾ التميمي إلى مدينة القيروان في وجوه العبيد والجند. ولَمَّا ودَّع خليل أمير المؤمنين (عم) قال (وافر):

وما ودَّعتُ خير الناس طُراً ولا فارقته عن طيب نفس
وكيف تطيبُ نفسي عن حياتي أفارقها، وعن قَمَري وشمسي؟
ولكنني طلبتُ رضاه عني / وعفو الله يوم حلول رمسي
فعاش مملَكاً، ما لاح نجمٌ على الثقلين من جنٍّ وإنس

262

فوصل خليل فيمن معه إلى القيروان يوم الأربعاء لثمان بقين من ذي الحجة [سنة 332 / أوت 944] في ألف فارس من العبيد والجند. ونادى في الناس فاجتمع إليه خلق عظيم. واتَّصل خبره بالدجال أبي يزيد فهابه وخافه وغمَّه ذلك.

.. والقيروان.

(65) أي 24 أوت 944، وقد رجع المؤلف هنا إلى التاريخ المعقول.

(66) هذا رجوع إلى الوراء من الداعي إدريس، فسر الأحدث لا يخضع عنده إلى ترتيب تاريخي مضبوط.

(67) في الجميع: ابن عدنان بن إسحاق، وقد مرَّ بنا ذكر خليل وشقيقه يعقوب.

وأخرج أمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم) بشرى الخادم إلى باجة ليضبطها ويعسكر بها. وكان خروجه من المهديّة يوم الجمعة غرة شهر المحرم أول شهور سنة ثلاث وثلاثين و[ثلاث]مائة في كتامة ووجوه العبيد. فوصل إلى باجة وعسكر بها. .. وباجة. .

وأخرج أمير المؤمنين القائم بأمر الله (صلع) ميسور الخادم صاحب الجيش الأعظم من المهديّة فعسكر بالكديّة الحمراء⁽⁶⁸⁾. وكان خروجه لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم أول سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة [غرة سبتمبر 944]. .. وطريق المهديّة

ولما اتصل بأبي يزيد الدجال، وهو بالأربس، خروج بشرى إلى باجة، خلف أنقاله وما أخذ من الحرائم⁽⁶⁹⁾ المسلمات، في قصر إبراهيم بن أبي سلاس بالأربس، وتوجّه إلى باجة، وقد اجتمع له خلق عظيم من الأجناد والبربر وأهل إفريقية، فلم يمرّ اللعين/ بمنزل إلا قتل أهله وسبى أهلهم وأخذ ما حازته أيديهم. وقدم إبراهيم بن أبي سلاس إلى باجة وقال له: «إن كنت لي ناصحاً فاقتل من لقيت وأسب حريمهم وخذ أموالهم». وغارت البربر

263

(68) الكديّة الحمراء: ذكر الرقيق (تاريخ، نشر الكعبي، 119) هذا الموضع في خير وقعة «جبل القرن والأصنام» سنة 124 بين حنظلة بن صفوان وعكاشة الصفري. وجبل القرن هو في قول: جل الباطن. وفي آخر: جبل وسلات، وكلاهما غربي القيروان. في حين أن الموضع الذي عسكر به ميسور يقع بين القيروان والمهديّة ولعلّه إلى المهديّة أقرب. وقد اكتفى الدشرابي: خلافة، 169، بقوله: على نصح مراحل من العاصمة، ويعني بها المهديّة

وهناك كديّة أخرى قريبة من القيروان، ولعلها في شرقها، قريباً من الموضع الذي نصب فيه يزيد بن حاتم المهلي باصطبلاته فعُرف بـ«منية الخيل»، وذبح فيه يوماً مئات من رؤوس الغنم فطرحت هناك جلودها فعُرفت الكديّة بـ«كديّة الجلود» (الرقيق، 158).

(69) لم نجد في المعاحم «الحريمة» بمعنى حريم الرجل ولعلّ الحرائم محرّفة عن الحرائم.

لتقديم * إبراهيم بن أبي سلاس، وجاؤوا إلى أبي يزيد، فوجه إلى ابن أبي سلاس أن يقيم مكانه حتى يأتيه. فلما وصل أبو يزيد عزله عن الجيش⁽⁷⁰⁾.

انهزام بشرى
الخدام في
باجة ..

واجتمع لأبي يزيد خلق عظيم من كل ناحية من كل داعر ومفسد وقاطع طريق وسارق ومارق. وتوجه إلى باجة أبو يزيد بنفسه لقتال بشرى، فتزاحف القوم واقتتلوا قتالاً شديداً. فانهزم أصحاب أبي يزيد هزيمة فاحشة، وأبو يزيد قائم في ناحية، ومعه من غزاته نحو أربعمائة فارس، ومثلهم من الرجال بالسيوف المصّلة. فلما رأى هزيمة أصحابه، نزل عن دابته وركب حماره وأخذ عصاه وقال: «هذا عمل من يريد الهرب»، وبشرى قد مضى في الطرد خلف القوم. فخالفه أبو يزيد الدجال فيمن معه إلى (ر 119 ب) أخيبته فحازها. فحين علم بشرى بحياسة أخيبته ولّى إلى تونس فيمن بقي من أصحابه بعد افتراق أكثرهم، وانقطع في طلبه ألف فارس من البربر، فقاتهم ولم يلحقوه/ وقتل معه جماعة من وجوه كتامة وذوي بأسهم ونجدتهم.

ودخل أبو يزيد باجة بالسيف، وذلك في اليوم الذي خرج فيه ميسور من المهدية، فأحرق أبو يزيد الدجال دور باجة وأقام القتل في أهلها ثلاثة أيام بلياليها (ط 184) والتجأ النساء والأطفال إلى مسجدها الأعظم وظنّوه يمنعهم من البربر، فدخلت * عليهم البربر فافتضوا في المسجد الأبيكار من البنات وفعلوا الأفعال المنكرات. وكانوا يأخذون بأرجل الأطفال الصغار ويضربون بهم عمدة الجامع وحيطانّه فتفلق أدمغتهم. وكانوا للجرأة على الله يرمون الأطفال في الهواء ثم يلتفونهم بالسيوف. وقيل إنه أحصى من النساء من حبلت يوم باجة ألف امرأة. ولم يحص السبي والقتل لكثرتة. وأقام مخلص اللعين

(70) غارت البربر من ابن أبي سلاس لأنه عربي، أو لأنه صاحب بدوات.

بباجة أياماً كثيرة يغير على من حولها ويقتل ويسبي. وكتب إلى قبائل البربر فأتته عساكرهم من كل ناحية.

ولما وصل بشرى إلى تونس لقيه عاملها حسن بن علي⁽⁷¹⁾ فأكرمه ومن كان معه، وأجرى الوظائف عليهم، وواصل الإحسان إليهم. وأخرج الدجال جيشاً عظيماً من البربر مع منصور بن منصور الهواري إلى تونس، فأخرج إليهم حسن بن علي أخاه عمّار بن/ علي في ثلاثمائة فارس، فالتقوا بالبربر وقتلواهم، فانهزم البربر وقتل منهم جماعة، ورجع عمّار إلى تونس سالماً غانماً. ثم افترق الناس بتونس على حسن بن علي ووقعت فيهم فتنة فانتهدت دار حسن بن علي. وعمل على خلاص أهله وولده وسار هو وبشرى من تونس إلى سوسة (ر 120 أ) يوم الاثنين لخمس بقين من المحرم سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة [سبتمبر 944].

... والحسن
الكلبي في تونس

265

وأقام حسن بن * علي بسوسة بأمر أمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم)، وأبو يزيد في ذلك الوقت ما بين باجة والقيروان يريد ملاقة خليل. وكان خليل بالقيروان مع ألف فارس من الجند والعسكر والعبيد، وقد نزل دار الإمارة بالمعروف [ة] بابن أبي خنزير⁽⁷²⁾ وفرض العطاء فاجتمعت إليه الجنود، وأتته الوفود. وفرق عساكره في مدينة القيروان في الفنادق والدور، ولم يعسكر بهم خارج

دش 88
خليل بن إسحاق
بالقيروان لا يحرك
ساكناً...

(71) الحسن بن علي الكلبي أبو الغنائم وأخوه عمّار بن علي: من قواد الفاطميين بإفريقية والزاب، ثم بصقلية بعد الفراغ من ثورة أبي يزيد وخدمت الأسرة الخلفاء الفاطميين إلى ما بعد انتقالهم إلى مصر. والكلبيون عرب، ليسوا من كتامة كما يقول محققا سيرة جوذر (تعليق 76).

(72) ابن أبي خنزير هو الحسن بن أحمد الميلي الذي قيل فيه أنه أسلم قلعة ميله إلى أبي عبد الله الداعي، فكافأه المهدي بولاية القيروان، ويدعو أن اسمه بقي عالقاً بدار الإمارة بها.

المدينة. وظهر منه سوء التدبير، لما جرت به أحكام المقادير، وأراد الله التمهيد للمؤمنين ليزداد عتواً كل كفور.

ونزل ميسور بعساكره في الموضع المعروف بـ «الأخوين»⁽⁷³⁾ متوسطاً بين المهديّة والقيروان، لئلا يخالفه أبو يزيد إلى المهديّة أو القيروان، وكان متوسطاً بين الطريقين. وكان خليل قد كاتب جماعة ممن مع أبي يزيد/ ووعدوه بقتل أبي يزيد، فرجا ذلك واستخفّ بأمره. وكان (ط 185) جماعة من الزويليين قد أساء إليهم أبو يزيد. فهم الذين كاتبوا خليلاً يعدونه بالحيلة في أمره، وكان ذلك ممّا ألهاه عن أبي يزيد، ولم يكثرث به وقوي لذلك قلبه. وكان إذا ذكر له الناس أمر أبي يزيد يشتمهم ويعتبههم. وقطع أرزاق الجند.

ووصل أبو يزيد إلى فححص أبي صالح⁽⁷⁴⁾ فهابه الناس. وقتل أهل الأطراف، وجاء الناس إلى القيروان من * كل ناحية فامتلات فنادقها ورحابها وشوارعها، فارتجت القيروان وكثر خوف أهلها. ولما نزل أبو يزيد بفحص أبي صالح، طمع الجند في أخذ أرزاقهم، وأتى خليلاً كبراًؤهم، فهزأ بهم ولاهمم وعنفهم وامتنع عن عطائهم، وقال لرجل من خاصته أكثر تعظيم أبي يزيد: «إن كنت قد جئنت فادخل في كمي! فإنني لا أخرج إلى أبي يزيد ولا أقاتله، وإنه لأحقر من ذلك وأقل». ولم يكن في خليل تخلف ولا سوء تدبير فيما قبل ذلك، وهو من أهل التجربة بالحروب، وممن غزا في وقت المهديّ بالله (عم)، وكان مع القائم بأمر الله (صلع) في مصر

(73) الأخوان غير الكدية الحمراء المذكورة ص 262.

(74) فحص أبي صالح. حثّه الطالبي (الإمارة، 173 هامش 5، والترجمة، ص 184 هامش 128) بمنطقة Thuburbo majus الأثرية، وحثّه الدشراوي (الخلافة، 171) بسهل الفحص المعروف اليوم في ولاية رغوان.

والمغرب⁽⁷⁵⁾ وشهد حروبه، وكان له حسن التدبير والقتال المعروف الشهير، ولكنها إذا جاءت بأمر الله المقادير، عمي / لها الناظر البصير، وجهل عواقبها العروف الخبير.

267

وأمر خليل بإصلاح أبواب مدينة القيروان وافتقاد سورها. وعميت أخبار أبي يزيد عن خليل، وكثرت الأخبار والأراجيف عنه، وكان الناس يمرّون⁽⁷⁶⁾ إليه ولا يجيء أحد من قبله. وكان خليل يكتب إلى أمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم) بأخبار مختلفة وأقوال غير مؤتلفة.

.. ويبدى
الاستهانة بأبي يزيد

فأمر أمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم) حسن بن * عليّ وبشرى الخادم، وهما بمدينة سوسة، أن يخرجوا ويعلموا أخبار الناس. فتوجّها بمن معهما من العساكر حتى صاروا بمرصد شريك⁽⁷⁷⁾ من طرف الجزيرة، فنزلوا بها وقتلوا من وجدوا من

دش 90

(75) خليل بن إسحاق التميمي: هذا القائد المشهور خدم الدولة الفاطمية منذ انتصابها، وهو من أصل عربي (انظر الحلة السيرة في المكتبة العربية الصقلية، 330). ولد خليل بطرابلس وتعاطى العلم والأدب، ممّا يظهر في شعره الذي نشرناه بالحواليات 1979/17. وصحب القائم في حملة مصر الثانية، ثمّ ولي صقلية من سنة 325 إلى سنة 329 وكان جائراً متعسفاً على منظوريه «أهلكهم قتلاً وجوعاً حتى فرّوا إلى بلاد الروم وتنصّر كثير منهم» (ابن عذاري، البيان، 181، 191، 295) وانظر: رحلة التجاني، 241، 253، 254 وترجمة سيرة جودر، الهامش 194.

ولا نفهم تخادله الغريب أمام أبي يزيد، ورّما عزونه إلى نوبة مفاجئة من الاستسلام للقضاء: فقد كان، في أول أمره، حسب أس الأبار، «يصحب الصوقية». (76) هكذا في الجميع، ولعلها يفرون.

(77) مرصد شريك: عينه الدشراوي: الخلافة، 171، تقرب النفيسة الحالية. ولعلّه أبعد في الشمال إذ تبدأ جزيرة شريك بعد النفيسة نحو أربعين ميلاً في اتجاه قربالية وطرف الجزيرة المذكور في النص هو بدون شك الطرف الغربي، أي في جهة قرية بئر بورقة

أصحاب أبي يزيد. وبلغه خبرهما فأخرج إليهما أيوب بن خيران الزويلي⁽⁷⁸⁾ في عسكر عظيم وقال له: «اقتل من مررت عليه على طريقك، واسب الذرية وانهب الأموال وأحرق المنازل (ط 186) ومثّل في القتال، فإنّ الناس بذلك يخافون ويرهبون ويعرفون قوّة أمرنا وشدّة بأسنا». فتوجّه أيوب إلى مرصد شريك، واتّصل بحسن وبشرى خبره فمالا عن طريقه وانتهيا إلى ناحية هرقلية⁽⁷⁹⁾ بالقرب من مدينة سوسة. فتمادى أيوب وعسكر على موضع بينه / وبين سوسة مسافة نصف نهار. واتّصل بحسن بن عليّ وبشرى خبره ومعسكره، فرجعا من مكانهما وقتلاه قتلاً شديداً، فانهزم أيوب والعسكر الذين معه، وقُتل منهم أربعة آلاف رجل، وأسر خمسمائة رجل، ووجّه حسن وبشرى بالرؤوس والأسرى إلى المهدية. فلما صار الأسرى في المهدية، وثبت العامة عليهم فقتلوا (ر 121 أ) أكثرهم بالعصي والحجارة. وكانت تلك من أعظم النكبات على أبي يزيد، وقال: «إنما ينهزم عسكرنا إذا لم نكن معهم، ولكن نعاجل القوم من قبل أن تقوى قلوبهم بذلك». فحعل طريقه موضع المعركة، ونظر إلى القتلى، وغمّه ما رأى من كثرتهم. ثم رفع فبات بقرب المكان، ورفع فبات

268

أبو يزيد يحلّ
بالقيروان..

(78) أيوب بن خيران الزويلي أبو سليمان. وصفه المؤلف (ص 259) بأنّه «رحل كثير الشرّ من مزاته». ونستغرب أن يكون من مزاة ومن زويلة في آن واحد. فزويلة قوم من عبيد السودان جلبهم الفاطميون فصاروا في خدمتهم بإفريقية ثم بمصر. وخصّص لهم المهديّ حيّ زويلة بأرباض المهدية انظر: موسى لقبال: دور كتابة، 522، هامش 290 حيث يقول: لا توجد قبيلة ناسم زويلة و«عيد زويلة» حلبوا من زويلة السودان بمنطقة فزان

(79) هي قرية هرقلية الحالية. وأكّد التجاني، 24 - 25 أنّ الوقعة دارت بهذا المكان، وفي روايته شبه كبير برواية الداعي إدريس، ممّا يبرّح أن مصدرهما واحد، ولعله تاريخ الرقيق المفقود

على ساقية طنباس⁽⁸⁰⁾ ثم سار فبات بقرية البرحماس⁽⁸¹⁾ على مسافة عشرة أميال من القيروان.

وكان خليل بن إسحاق⁽⁸²⁾ إذا جاءه أحد بخبر صحيح عن أبي يزيد دفعه ولم يصدقه. فجاءه رجل فأخبره بمبيت أبي يزيد وقال له: «إنه مصابحنا غداً بالقتال فاستعد له». فما أجابه خليل إلا [أن] قال له: سمعت البارحة صوتاً لو سمعته لطربت إليه، وهو (سريع):

قد حصّت البيضة رأسي فما أطمع نومي غير تهجّاع
أسعى على جُلّ بني مالك / كلُّ أمرىء في شأنه ساع

269

والبيتان لأبي قيس بن الأسلت⁽⁸³⁾. يريد خليل: إنك لست من أهل الحرب، وأنا من أهلها، فلا يخفى هذا القول عليّ وأنت منه في غفلة. وجاءه قاضي القيروان أحمد بن بحر فأجابه بمثل ذلك.

.. وخليل متماد
في خموله

وارتحل أبو يزيد من البرحماس يوم الأحد لثلاث بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة [أكتوبر 944] فأخذ على نخيل بهلول⁽⁸⁴⁾ يريد رقادة لقتال الكتاميّين. وأخرج الكتاميّون طلائع

(80) ورد ذكر «طنباس» في الورقات، ح 203/4 في نقل عن الرقيق بخصوص وقعة القرن والأصنام. وافترض المنجي الكعبي في القطعة التي نشرها (ص 116 و 126) أنها قرية الأصنام الواقعة على ثلاثة أميال من القيروان في اتجاه جلولاء غرباً وذكرها النعمان (المجالس، 60) كمتنزه للخلفاء، ولم يحدّد موقعه

(81) البرحماس لا نعرف عن هذا الموضع غير ما ذكره المؤلف هنا.

(82) لا يزال المؤلف يدعوه خليل بن عدنان

(83) حصّت البيضة، أي الخوذة، رأسه: أذهبت شعره لطول مكثها عليه، كناية على مداومة القتال. وأبو قيس بن الأسلت شاعر جاهلي، وهو بطل الأوس في يوم بعث. انظر خبره في المفضّلة 75 من طبعة أوروبا وفي خزّانة الأدب، 411/3 من طبعة عبد السلام هارون. والبيتان من المفضّلة المذكورة التي طالعها:

قالت، ولم تقصد لقبيل الخنسي مهلاً! فقد أبسلت أسماعي
(84) نحيل بهلول: إذا صحَّ أن طناس كانت تقع قرب جلولاء، ثم البرحماس، فإن =

فوافت طلائع أبي يزيد في خلق عظيم (ط 187) فانهزمت طلائع الكتامين وتمادى الطرد عليهم إلى رقادة * وتسابقت إليهم [البربر]. فلما رأوا أنهم لا طاقة لهم بكثرة من أتاها هربوا إلى المهديّة. وطلبوا إلى قصر المغيرة⁽⁸⁵⁾ وقتل منهم جماعة، وتراعى رجال منهم في الآبار فقتلوا بالحجارة. وامتنع ثلاثة في قصر البحر برقادة⁽⁸⁶⁾ فأتى إليهم فضل بن مخلد⁽⁸⁷⁾ الدجال وأمرهم بالنزول فامتنعوا وتحصنوا بالحجارة. فأطلق البربر النار في القصر، وأحرقت خشبته وتكلس الرخام (ر121ب) وانهدم القصر. ونزل الخارجي أبو يزيد بعسكره بالقرب من قصر خلف⁽⁸⁸⁾ على أربعة أميال من القيروان فبات به. وانتقل من غده فنزل شرقي رقادة في خلق عظيم يزيدون على مائة ألف فارس وراجل.

تغلب البربر على
رقادة

270 وخليل في كلّ ذلك/ لا يعبأ به ولا يلتفت إليه. ودخل إليه القاضي أحمد بن بحر وغيره، فذكروا له أمر العدو وقربه فلم يلتفت إلى قولهم، فخرجوا وقد يشوا من الحياة لسوء تدبيره. ثم رجعوا إليه لوقتهم، واجتمع جماعة من الجند فقالوا: دعنا نخرج إلى العدو!

= اتجاه أبي يزيد يكون من الغرب إلى الجنوب الشرقي نحو رقادة فلعل نخيل مهلول كان غربي القيروان.

(85) قصر المغيرة: لعله أحد قصور رقادة وعم التباس عبارة المؤلف. هربوا إلى

المهديّة، أي: من مكان الوقعة (قرب رقادة) في طريق المهديّة

(86) قصر البحر برقادة. ابتناه زيادة الله الثالث سنة 292 وجعل له صهريجاً واسعاً

جداً فسُمي بحراً (ورقات، 288/1)، وكان أحد المعالم الثلاثة التي بهرت

المهدي. وانظر: الطالبي الإمارة، 554 والترجمة، 608 هامش 36 و 37

(87) هذا أحد أبناء محلد الأربعة (ابن حمّاد، 19): يزيد، يونس، أيوب وفضل

وسيدكر المؤلف ابناً خامساً اسمه أحمد وسادساً اسمه إبراهيم.

(88) قصر خلف على أربعة أميال من القيروان. لم نهتد إلى موضعه ولعله يسب

إلى خلف الفتى الذي خلد ريادة الله الأول. انظر اليان، 106 ورياص النمس،

400/1

البربر من حند
خليل يتواطؤون مع
مخلد

فقال: لا يخرج منكم أحد حتى تضرب الطبول! فمن خرج
قبل أن يأتي إليه أمري، ضربته بالسياط.

دش 93

فأرسل الجند إلى أوليائهم الذين مع الدجال، وعرفوهم سوء
تدبير خليل وفساد أمره. وكان أبو يزيد قد تهيب القيروان، وخاف
من ميسور أن يعاجله، فحين جاءه الخبر بما وجّه به * أصحاب خليل
إلى أوليائهم، قوي قلبه وقلوب البربر، وسألوه المسير إلى القيروان، فرام
أن يسكنهم فما ساعدوه ورجعوا إليها. فلما رأى ذلك، خاف أن
ينزل بهم ما نزل بأبي سليمان أيوب بن خيران. وسألهم عن موضع
خليل فقليل: بباب تونس، فقصده إلى ناحيته. وتوجه قوم من البربر
إلى باب [أبي] الربيع. وخرج إليهم جعفر الباغاثي⁽⁸⁹⁾ في زهاء مائة
رجل، فقاتلهم قتالاً يسيراً، وقتلوا أكثر أصحابه، فانهزم بين أيديهم
فدخل القيروان.

حصار القيروان

271

وقصد البربر إلى مصلى العيد فخرج إليهم الجند فقاتلوهم
قتالاً يسيراً، ثم سلّموا على أوليائهم/ الذين في عسكر أبي يزيد
وصاروا معهم (ط 188)، وخليل في داره لم يخرج ولم يتحرك.
وأرسل خليل إلى أصحابه أن يتركوا القتال، وظن أن البربر ينصرفون
حتى يأتيه ميسور. ودخل (ر 122 أ) القاضي أحمد بن بحر إلى
خليل فوجده متغير اللون حين بلغه مصير الجند إلى أبي يزيد.
وجاء منصور بن عمار فقال له: إن العدو قد لصق بالمدينة.

فقال خليل: ارجع فاعمل برأيك في قتالهم!
فقال منصور: وأي رأي يكون لي في هذا الوقت، وقد هرب
أكثر الجند وتفرّق الناس؟

(89) الفافاني في النسخ، والتصحيح من الدشراوي.

خليل يتطير من
بعض العلامات
فيرجع عن
القتال.

ثم خرج منصور، وكان قد استعمله خليل على القيروان وعزل
الجليقي⁽⁹⁰⁾. وعاد إلى خليل وقال له: «إنَّ الجند الذين كانوا في
عسكرك صاروا مع أبي يزيد، فاخرج ليراك الناس!» وقال القاضي:
«اركب وأمر بإخراج البنود وضرب الطبول!» وركب ومن بقي معه
حتى صاروا إلى باب تونس عند القنطرة⁽⁹¹⁾، فإذا بأبي يزيد قد أقبل
بخيئه. فلما رآهم خليل دعا بدرعه ليلبسها فوجدها مقلوبة
فترعها. وأمسكوا له دابته ليلبس لأتمته، فإذا حزام الدابة مرخي،
فمال به السرج إلى بطن فرسه وكاد أن يسقط.

272

وقرب منهم أبو يزيد الدجال وجنوده، واقترب الناس/ من

(90) لا نعرف شيئاً عن الجليقي هذا ولا عن خلفه منصور بن عمار.

(91) لم تذكر المصادر القديمة قنطرة باب تونس وإذا ذكرت وادي أبي كريب
(رياض النفوس، 237/1) فبعيداً عن باب تونس في الشمال.

وباب تونس هو أحد أبواب القيروان الأربعة عشر حسب البكري المتوفى
سنة 487. والمعروف من هذه الأبواب في الفترة التي تهماً خمسة:
(1) باب نافع بالجانب الشرقي من المدينة، وبازائه مقبرة ومصلى (رياض
النفوس، 154/1 وغيرها)

(2) باب أبي الربيع، وكان يمرّ بقره بهر صغير يسمى وادي القصارين (أي
مبضي الثياب) فنى عليه زيادة الله الأول قنطرة عرفت بقنطرة أبي الربيع،
وكان يعدّها من مفاخره الباقية (ابن عذاري، 106/1) ويبدو أنّ هذا الباب كان
في الجهة الجنوبية الشرقية من القيروان.

(3) باب أصرم في الجنوب الغربي من المدينة، ومنه يُسار إلى رقادة
(4) باب سلم في الغرب «ويطلّ على المقبرة العظمى التي دفن فيها من العلماء
والصالحين عدد عظيم» (رياض النفوس، ج 1 ص 8)، وهي مقبرة قريش
(طبقات أبي العرب، 18). وفي مناقب أبي إسحاق الجبنيابي (شهره. - ر.
إدريس، 197) أنّ سلما (أو سالما) هو الجد الأعلى لأبي إسحاق.

(5) باب تونس: يفتح إلى الشمال، وهو المطلّ على مواجل الأغلبة العظمى.
وعلى مقربة منه ضريح الصحابي أبي زمعة البلوي
وكلّ هذه الأبواب تقع بإزائها مقابر ومصليات في الراح، فيصعب تحديد
الموقع إذا اكتفى الداعي إدريس بالقول. وقصد إلى المصلى، دون أن يربطه
بباب.

حول خليل. فلما رأى خليل فساد الأحوال قال: «هذا أمر فاسد»
 وحول وجه دابته ودخل القيروان. فقال له منصور بن عمار: «لا
 تتحصن بالقيروان، واخرج بنا في حمية لنمضي إلى ميسور، فليس
 بيننا وبينه غير مسافة يسيرة»⁽⁹²⁾، والبربر مشتغلون بالنهب في
 القيروان، والليل قد أقبل». وكان ذلك وقت العصر. فقال خليل:
 «يا أحمق، أنا أدخل الدار وأغلق الباب حتى يأتيني ميسور». ودخل
 الدار معه القاضي أحمد بن بحر⁽⁹³⁾، وعبد الله بن زياد كاتب
 خليل، وسهيل بن نفس صاحب النفقات، ومنصور بن عمار وجماعة
 نحو أربعمئة رجل فأغلقوا باب الدار على أنفسهم*. ودخلت البربر
 القيروان يقتلون ويأسرون. وكتب خليل حين انحصر بالدار إلى أمير
 المؤمنين القائم بأمر الله (عم) وعلق الكتاب على حمام وأطلقه إلى
 المهدية. فطار الحمام⁽⁹⁴⁾ قليلاً ثم صار إلى نخلة الدار فتزل عليها.
 ثم كتب رقعة أخرى وأرسل بها حماماً آخر، فطار قليلاً ورجع فوق
 في الدار. فجاء أبو سليمان أيوب بن خيران الزويلي فحاصر
 خليلاً، ورجع أبو يزيد إلى موضعه إلى رقادة. ورفع خليل من / معه
 إلى أعلى الدار ليقاتلوا بالنبل والحجارة، وكان يطمع أن يأتيه
 ميسور. وتمادى القتال إلى الليل. وخاف البربر أن يأتيهم ميسور في

.. وينحصر في
 القيروان...

دش 95

273

(92) قد يعني هذا أن «الجيش الأعظم» كان أقرب إلى القيروان منه إلى المهدية.

ويقول ابن الأثير في روايته، 304/6: وقارب ميسور مدينة القيروان.

(93) ابن يحيى في الأصل. وقد مرّ اسمه في ص 269: أحمد بن بحر. وهو مذكور
 في طبقات أبي العرب، 240: «فولّى أبو القاسم - أي القائم - أحمد بن بحر
 قضاء القيروان» (بعد إسحاق بن أبي المنهال) وكان قبل ذلك قاضياً على
 طرابلس (اس عداري، 205). وفي العيون والحدائق، 423: أحمد بن بحر كما
 أثبتنا.

(94) يظهر أن استخدام حمام الزاجل لنقل الرسائل كان أمراً متشرباً عند الفاطميين،
 وقد رأينا صورة منه في أخبار المهدي بعد هروبه من سلمية (ص 125). وانظر
 تعليق ناشر مناقب أبي إسحاق، 314، هامش 106.

تلك الليلة فخرجوا خائفين، إلا أيوب بن خيران ومن معه من البربر، فإنهم باتوا على محاصرة خليل في الدار⁽⁹⁵⁾. وألقى البربر النار في الإصطبل المتصل بدار خليل، فخاف أصحاب خليل أن تتصل النار بهم وفشلوا [في إخمادها]⁽⁹⁶⁾. وصاح لهم البربر بالأمان وقالوا: «إنما نطلب خليلًا وحده». فتراموا من أعلى الدار بالحبال، ولم يبق مع خليل إلا من لم يمكنه النزول. وكان خليل قد دبّر أن يعطي من معه الأرزاق ويفتحوا الأبواب ويهربوا بالليل. فحين ارتمى أصحابه إلى البربر لم يمكنه ما دبّر، وأعطاه أبو سليمان الأمان، وحلف له الأيمان. فنزل خليل بعد أن اشترط أن الدار تكون له وقال: «هي لي من مولانا أمير المؤمنين» * وجعل يكرّر ذكر الدار وأنها له من أمير المؤمنين. فأعطاه أيوب ما طلب، وكتب القاضي بذلك كتاباً وأشهد من حضر من البربر. وقال أيوب لخليل: «اركب على أفره دوابك، وتزيّ بأحسن ثيابك، فإنه لا يكون إليك شيء تكرهه».

.. فيحصره أيوب
الزويلي ويضرم في
قصره النار..

دش 96

.. فيستأمن
لأيوب...

274

وخرج خليل / والقاضي معه وجماعة من أصحابه. وأنزل خليل عن دابته وأركب برذونا أشقر. وركب أبو سليمان وتوجّهوا إلى أبي يزيد، وهو في منأخه برقادة. فأمر أبو يزيد اللعين أبا سليمان أن يحبسهم في فازته⁽⁹⁷⁾ وأن (ر 123 أ) يجعل أرجلهم في سلاسل الحديد، وباتوا على ذلك إلى أن أصبحوا.

وروي عن رجل يقال له سهل قال: «كنت مع خليل عند أبي

(95) أي دار الإمارة، وكانت قبليّ الجامع، جامع عقبة، وخربها إبراهيم الأول لما انتقل إلى القصر القديم سنة 194. ومن جامع عقبة إلى باب تونس مسافة ثلثي ميل (البكري، 26، 28).

(96) زيادة من المطبوع.

(97) الفازة: الخيمة الكبيرة منشورة على عمودين.

.. لكنّ أبا يزيد
يأمر بقتله مع
أصحابه..

سليمان (ط 190) ويات بربريّ واحد يحفظنا، ونحن ثلاثون رجلاً، والخيّل
المسومة عندنا. فما منعنا أن نقتل الرجل، ونركب الخيّل وننجو،
والليل يسترنا، إلّا ما أراد الله من تمام أمره.

وأقام خليل وأصحابه معتقلين عند أيّوب بن خيران باقي ليلة
الثلاثاء ويوم الثلاثاء، وقتلوا جميعاً يوم الأربعاء. وكان أبو يزيد
شاور صاحبه أبا عمّار الأعمى في إبقاء خليل وقال: ليس في قتله
فائدة، وهو يعرف أحوال إفريقيّة، ونحن نحتاج إليه.

فقال له الأعمى: لا بدّ من تعجيل قتله⁽⁹⁸⁾ لأنّ من في
عسكرنا من الجند والعبيد ملكناه بأسيا فنا ويكره ما سرّنا، و خليل
قائد مشهور ورئيس معروف، وعيون الناس ناظرة إليه، ولا نأمن أن
يكون أدنى حركة في العسكر واختلاف/ بين القبائل، أو عمل من
السلطان أو من ميسور، يستخلصونه به ومنّ معه. وقد قيل في كتاب
كليّة ودمنة: «ليس للعدوّ المخوف أولى من قتله، وإراحة النفس
منه، وإن كان في غاية الضعف والقلة». فأجابه أبو يزيد إلى قوله.

275

.. بعد استشارة
أبي عمّار الأعمى

وروى محمّد بن عمرو بن القصري، وكان فيمن أسر مع خليل،
ولم يتخلّص من القوم غيره وغير سهل الذي تقدّم ذكره، قال: «كنّا
في الأغلال، وقد جاع خليل ولم نجد ما نأكل لأنّ القوم كانوا
يأتوننا بطعام جشِب⁽⁹⁹⁾، وكان عند أبي سليمان خادم كان يشفق
علينا، وكان أهله لمحمّد بن منّ الله⁽¹⁰⁰⁾. فقال له خليل: «ويحك،

(98) عند ابن خلدون، 14/7، أنّ أبا عمّار هو الذي أراد استبقاء خليل، فلم يطعه أبو
يزيد.

(99) في «ر» - خشن وفي المطبوع: خشب. وحشب الطعام (وزن نصر وفرج):
علط فهو حشب وجشِب

(100) لعلّه ابن منّ الله بن حسن بن أبي خنزير؟ قال ابن عذاري، 181/1 إنّ المهديّ
عزل منّ الله عن ولاية القيروان وأخرجه في حملة مصر مع القائم.

دش 98
جزع القاضي
أحمد بن بحر من
الموت

أطلب لنا فرّوجاً وقرعاً واحتل في إصلاحه!« فبينما نحن كذلك إذ دخل
بربري من أصحاب أبي سليمان (ر 123 ب) الزويلي فجرد عمامة خليل
ونزع ثيابه. وأتى قوم آخرون ففعلوا بنا مثل ذلك. وجعل غلام
محمد بن من الله الذي عند أبي سليمان يناولنا خرقاً نستربها عورتنا
من خلف الباب، وهي من كساء سمل قد شقّه، وقال: «استروا
بهذا فإنكم تخرجون إلى القتل». * وظهر من القاضي أحمد بن
بحر⁽¹⁰¹⁾ من الجزع أمر عظيم، وجعل يقول: «أيرضى أبو يزيد بقتل
القضاة؟ من سبقه إلى هذا؟

فقال له خليل: كم عمرك يا قاضي؟
/ قال: قد بلغت الستين.

276

فقال خليل: هذا معترك المنايا، وأنا أسنّ منك. وتمثل
خليل (بسيط):

ما بعد ستين قد أخلقت جدتها من حالة يترجأها ذوو الكبر
إلا التي تسلب الأجسام أنفسها وتنقل الناس من دار ألى حفر⁽¹⁰²⁾

فعلاً صوت القاضي بالبكاء والاستغاثة إلى الله (تع) والدعاء. فقال
خليل: «ما في المقام بعد هذا الحال خير، قبح الله الدنيا ومن يغتر
بها!» وأركبوا خليل بن إسحاق وأصحابه على حمير، وأهل إفريقية
حولهم وجنود البربر.

وفيما أتى عن محمد بن عمرو [القصري] قال: «لما توسّطنا
العسكر، جاء قوم من البربر من قبل أبي يزيد فقالوا: لا تقتلوا

(101) ابن يحيى بن بحر في الأصل. وفي «ر»: القاضي يحيى بن بحر.

(102) لم نهتد إلى قائل البيت.

محمّد بن عمرو بن القصري! (قال) وفيهم من جاورني بالقصرين⁽¹⁰³⁾ في بلدي فأحسنّت إليهم فسألوا أبا يزيد في إبقائي فأجابهم إلى ذلك. (قال): ووضع البربر السيوف والرماح في خليل، وقد عارضه ابن زربية الفاسق القيرواني، فبصق لعنه الله في وجه خليل ولطمه ونتف من لحيته وأنشد/ أول شعر خليل الذي عارض فيه مروان بن أبي حفصة، رافعاً صوته، وهو (كامل): *

277
دش 99

قف بالمنازل وأسألن أطلألها
ماذا يضرّك إن أردت سؤالها؟
صبر خليل أمام هل أنت أول من بكى في دمنه
الموت درست، وغيّرت (ر124أ) الحوادث حالها؟⁽¹⁰⁴⁾

(قال): فأنحدرت الدموع من عين خليل وقال: أحسنت! وظهرت منه أريحية وشجاعة لم تظنّ [فيه].

وضُرب خليل بالسيوف فيما قيل ثمانِي عشرة ضربة، وهو قائم على قدميه لم يتأوّه ولا انجدل⁽¹⁰⁵⁾ حتى ضربه أحد البربر بالسيف على الأوراك فسقط. وضُرب حتى مات رحمة الله عليه. وظهر من القاضي أحمد بن بحر⁽¹⁰⁶⁾ ومن سائر الجماعة غير قليل

(103) هذه الإشارة تدلّ على أنّ نسبة «القصري» لا تعني بالضرورة القصر القديم، مدينة الأغالبة بصاحية القيروان، خلافاً لما جاء في الورقات، 358/1، وفي الهامش 4 ص 197 من رياض النفوس، ح 2، وفي طبقات الخشني، 170
(104) قصيدة مروان بن أبي حفصة (ت 182) في مدح المهديّ العباسيّ مطلعها: طرقتك زائرة فحيّ خيالها بيضاء تخلط بالحياء دلالتها (شعر مروان، جمع حسين عطوان، سلسلة ذخائر العرب، 49 ص 96). وقصيدة خليل هذه أورد منها ابن الأثير (الحلّة، ترجمة 109) 15 بيتاً.

(105) انجدل. ارتقى بالأرض

(106) أحمد بن يحيى بن بحر في الجميع

من الجزع، وقُتلوا صبراً رحمة الله عليهم في طاعة الأئمة الطاهرين، وعلى ولاية القائم بأمر الله أمير المؤمنين، فهنيئاً لهم ما آتاهم الله (ط 192) من الجزاء الطويل، والنعيم في الآخرة الذي لا يفنى ولا يزول، كما وعد تعالى، وهو الصادق في وعده إذ يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (آل عمران، 169 - 170). ألحقنا الله سبحانه بالشهداء، وجعلنا في / مَحْيَانَا ومَمَاتِنَا من السعداء.

278

* وكان خليل رحمة الله عليه شاعراً بليغاً، وقد ذكرنا من شعره. ومن ذلك قوله (كامل):

دش 100

5 ذَهَبَتْ أَكَالِيلُ الْوَسَامَةِ وَأَبْيَضَ مُسَوْدُ الْغَمَامَةِ
وَجَفَاكَ مِنْ عَذْبَتِهِ وَأَطْلَتْ مِنْ شَوْقٍ غَرَامِهِ
وَالْغَانِيَاتُ إِذَا رَأَيْنَ الرُّأْسَ أَصْبَحَ كَالْثَغَامَةِ⁽¹⁰⁷⁾
أَعْرَضْنَ إِعْرَاضَ الْجَمُوحِ إِذَا أَبْحَثَ لَهُ لِحَامِهِ
مِنْ وَدْنِي، فَمُودَّتِي وَقَفَّ عَلَيْهِ إِلَى الْقِيَامَةِ
وَمَنْ أَنْشَى عَنِّي، دَعَا لِي الْمُهَيَّمِنَ بِالسَّلَامَةِ
لَا أَحْمِلُ الْحَقْدَ الْمُقْبِي مَ عَلَى الصَّدِيقِ، وَلَا الْمَلَامَةَ
وَإِذَا تَعَرَّضَ جَاهِلٌ أَوْ ظَالِمٌ مَنِّي ظُلَامَةَ
طَوَّقْتُهَا عَنْ قَدْرَةِ فِي جِيدِهِ طَوَّقَ الْحَمَامَةِ
10 وَلَقَدْ رَكِبْتُ الْخَيْلَ تَحْدِ مِلَّ شِكَّتِي مِثْلَ النِّعَامَةِ
وَنَصَرْتُ آلَ مُحَمَّدٍ وَأَذَقْتُ شَانِئَهُمْ جِمَامَهُ
وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ أَنَّنِي فِي الْحَرْبِ أَصْدَقُهَا شَهَامَةَ

خليل كان شاعراً
بليغاً..

(107) الثغامة: شجرة ذات زهر أبيض.

وَأَعَزُّهَا نَفْسًا وَأكْرُمُهَا وَأَكْثَرُهَا صِرَامَةً
 وَلَقَدْ أُبَيِّتُ مَعَ الْفَتَاةِ (ر 124) كَأَنَّهَا شَمْسُ الْغَمَامَةِ
 .. له شعر في 15 في ريقها ولحاظها طُرْفُ الْفَوَاكِهِ وَالْمُدَامَةِ
 الْفَخْرُ.. لا وَالَّذِي خَصَّ الْخَلِيفَةَ بِالْخِلَافَةِ وَالْإِمَامَةِ
 وَحُبَّاهُ بِالنَّبِيِّ الْعَظِيمِ وبِالْفَضِيلَةِ وَالْكَرَامَةِ
 دَش 101 مَا خُنْتُ عَهْدًا لِلصَّيْدِ قَى، وَلَا رَجَعْتُ لَهُ نَدَامَةٌ *
 وَلَقَدْ وَفَيْتُ لِمَنْ هَوَيْتُ كَمَا وَفَى كَعْبُ بْنُ مَامَةَ
 279 20 لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَا يَرْتَجِي دَارَ الْمَقَامَةِ /

وله (ط 193) يخاطب الإمام (عم) ويذكر له الكتاب واقتطاعهم الأموال :

(كامل):

اللَّهُ يَعْلَمُ يَا خَلِيفَةَ رَبَّنَا وَابْنَ الْخَلَائِفِ أَنَّنِي لَكَ نَاصِحٌ
 .. وفي نصيح .. فَإِذَا نَصَحْتُكَ يَا ابْنَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ فَالْحِظْ لِي، وَأَنَا السَّعِيدُ الرَّابِعُ
 الْإِمَامُ.. أَضَحْتُ دَوَاوِينَ الْإِمَامِ، وَنَقَضْتُهَا بَعْدَ الزِّيَادَةِ مُسْتَبِينٌ وَاضِحٌ (108)
 مَاذَا أَرَى مَنْ بَعْدَ أَنْ لَعِبُوا بِهَا وَتَعَاقَدُوا فِي أَخْذِهَا وَتَصَالِحُوا؟
 وله أيضاً (كامل):

.. وفي الاعتاظ .. بَانَ الشَّبَابُ فِينِ عَنِ اللَّذَاتِ وَتَوَلَّى مُنْصَرِفًا عَنِ الشَّهَوَاتِ
 دَش 102 وَاهْجُرْ صَوَاحِبَكَ الْحَسَانَ اللَّائِي فِي هَجْرِ الْمَشَايخِ غَيْرُ مُخْتَلَفَاتِ *

(108) في البيان، 215/1، أن «عبد الله الشيعي» كان يصرفه في الأعمال وحبايات الأموال ومحاسبة الدواوين والعمال، وذكر من شعره «في عبيد الله وتوَعَّلَ فيه» بيتين: إِنَّ الْإِمَامَ أَقَامَ سَنَةً جَدَّةً لِلْمُسْلِمِينَ كَمَا حَدَّثَتْ بِعَالِهَا أَحْيَى شَرَائِعَهُ وَقَوَّمَ كِتَابَهَا وَفَرَّضَهَا وَحَرَّمَهَا وَحَلَّلَهَا وَلَعَلَّهَا مِنَ الْقَصِيدَةِ الَّتِي أورد الداعي إدریس مطلعها مد قليل، فتكون هذه اللامية في مدح مهدي أيضاً مثل قصيدة مروان بن أبي حفصة

إِنَّ التَّصَابِي بِالْخِرَائِدِ كَالْدُمَى لِأُولِي النَّهْيِ وَالشَّيْبِ غَيْرُ مَوَاتٍ
لِلَّهِ دَرَّ فَتَى يَرْوَحُ وَيَغْتَدِي حَذِرًا مِنَ الْآثَامِ وَالشُّبُهَاتِ

بعض أخبار
المشرق: خلع
المتقي العباسي

وفي اليوم الذي استولى فيه مخلد على القيروان وقتل خليل
رحمة الله عليه وافق أخذ العباسي إبراهيم المتقي⁽¹⁰⁹⁾ بن جعفر
المقتدر صاحب بغداد فُسِمت عيناه، وذلك يوم السبت لسبع بقين
من صفر/ [أكتوبر 944]⁽¹¹⁰⁾. وتولَّى منه ذلك غلامه توزون⁽¹¹¹⁾
التركي. وكان المتقي قد قدم من الرقة وصار بين الأنبار وبغداد
بقرية يقال لها السندية⁽¹¹²⁾ على نهر عيسى، وقد تلقاه توزون بها
وأقام معسكرًا فيها ينتظر قدومه ويظهر أنه أتاه مستقبلًا له. / فتغلب
عليه وانتهب عسكره وماله إلى مضربه فكحل عينيه⁽¹¹³⁾ وأعماه.
وأجلس مكانه المستكفي⁽¹¹⁴⁾ وتوجّه إلى بغداد فأدخله إياها. وكان
ببغداد النهب وظهور اللصوص وغلاء الأسعار. وكان القمر قد
انخسف لأربع عشرة [ليلة] من صفر خسوفًا كليًا. وقد ذكر أصحاب
النجوم أن القمر إذا انخسف في برج الحمل وقابله نحسا الفلك فإن
ملك بابل يهلك. فذكر أنه كان كذلك وهلك بعد الخسوف بسبعة
أيام⁽¹¹⁵⁾.

280

(109) المتقي لله هو الحادي والعشرون من الخلفاء العباسيين، خلف من 329 إلى 333.
(110) قد مر بنا (ص 269) أن أبا يزيد ارتحل من البرحماس لثلاث بقين منه. فهذا مثال
آخر من اضطراب التواريخ عند المؤلف. وفي ابن الأثير، 301/6 أن خلع المتقي
كان لعشر منه.

(111) في الجميع: بورق، وهو تحريف ظاهر

(112) السندية لا السندسية، وهي «ضبعة على شاطئ نهر عيسى على شوط من بغداد»
(مروج، 34/5).

(113) لا يوجد معنى السمل في مادة «كحل» في المعاجم، ولعله معنى مولد.

(114) المستكفي بن المكفي (صفر 333 - شعبان 334). انظر مروج الذهب، 244/6.

(115) هذه خرافة. يقول المسعودي (التنبية والإشراف، 344) في المتقي: «وهو حي إلى
وقتنا هذا، وهو سنة 345، مكرم على ما ينمي إلينا من أخباره». وفي العيون.
والحدائق، 410 أنه عاش حتى سنة 350.

ولمّا قتل خليل رحمة الله عليه وافى البربر القيروان (ر 125 أ) ينتهبون الأموال ويستبون النساء ويقتلون الرجال. فنادى الناس في السحر ليذهبوا إلى مخلد الدجّال ابن كيداد (ط 194) فخرج أهل القيروان إلى مخلد يصطرخون. ووافاهم البربر فجرّدوهم عن ثيابهم وقتلوا جماعة منهم. ووافى أهل القيروان أبا يزيد وقد ركب من مناخه وهو يريد القيروان، فقرب إبراهيم العمشاء⁽¹¹⁶⁾ القيرواني - وكان يقول بخلق القرآن - وعانقه. وشكا إليه أهل القيروان ما نالهم، وقال له رجل منهم: «يا شيخ، إنك تطلب أمراً عظيماً لا تناله بهذه الأفعال، وإنما تناله بالعدل والإحسان. فقال لهم: ذلك بما كسبت أيديكم! ولا مهم في تخلفهم عنه وقرأ آيات من القرآن.

تذمر وجوه القيروان إلى أبي يزيد...

281

فقالوا: إنه حيل بيتنا وبينك.

فقال: وما منعكم أن تهاجروا إليّ؟

وأشار عليه صاحبه أبو عمّار الأعمى بأمانهم وتقريرهم وقال له: «إنك تحتاج إلى القيروان، ولا غناء بك عنها». فأمنهم بعد أن عاهدهم على أن يبذلوا له أموالهم ويخرجوا للجهاد معه بزعمه⁽¹¹⁷⁾. ووجّه معهم رجلاً من وجوه البربر ليدفع البربر عنهم.

(116) في النسخ وفي المطبوع: ابن الغشماء، وفي دش: ابن الخشاب. والتصويب من طبقات ابن حارث الحشني، 221 إذ يسميه أنا إسحاق العمشاء «لعمش في عيبه» وقد جعله ضمن أهل المناظرة والجدل مع العراقيين والقائلين بخلق القرآن وأضاف: «وهو اليوم على هذه الحال» (والخشني عاش إلى سنة 371 على التقريب).

وفي رياض النفوس، 342/2 أنه انضم إلى حملة الفقهاء مع أبي يزيد وكان له البند السابع، ويبدو أنه لم يستشهد بالوادي المالح مثل الممسي وربيح القطان وغيرهما.

(117) خروج الفقهاء مع أبي يزيد بينودهم السبعة لم يكن عن تطوع. وفي البيان، 217، =

فسار في رجال معه، ونادى مناديه، فكفّ البعض، وبقي الأكثر
 ينهبون ويسبون البنات والنساء. ولم يرفع البربر أيديهم عن أهل
 القيروان * وما زالوا يسبون وينتهبون ويفتضون الأبقار، وأهل القيروان
 يترددون إلى أبي يزيد. وجاءه رجل فشكا إليه أن جارية له أخذت،
 وأن داره انتُهبت، فتمثل ولم يكثرث وأنشد (طويل):

دش 104
 .. من فظائع
 جيشه

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر⁽¹¹⁸⁾

وكان اللعين فيما قيل من أبرع الناس وأسرعهم تمثلاً بأبيات الشعر
 وآيات القرآن. وقال: «يا أهل القيروان، إن خربت مدينتكم، فقد
 خربت مكة والبيت المقدس»⁽¹¹⁹⁾.

وأقام مخلد الدجال إلى شهر ربيع الأول. ونادى مناديه
 بتحريك أهل القيروان للخروج معه وأن يوافوا مصلى العيد/.
 فاستعمل يدرس المزاتي على القيروان، وكان من أغلظ أصحابه.

282

وكان ميسور مقيماً في الموضع الذي عسكر به⁽¹²⁰⁾، وقد

= فصل طويل عن تحريض أبي يزيد لهم، متظاهراً بالدفاع عن مذهب مالك،
 ولعن عبيد الله والقائم وفيه أيضاً تحليل لدهاء أبي يزيد: فقد أوصى جنوده
 بالانكشاف عن أهل القيروان «حتى يتمكن أعداؤكم من قتلهم فنستريح منهم»
 (ابن عذاري، 218).

(118) هذا البيت مذكور أيضاً عند ابن حمّاد، 21، وهو لأبي العتاهية (ديوانه، نشر
 شكري فيصل، 149).

(119) هذه «الطرفة» من مخلد مذكورة في الكامل أيضاً، 304/6.

(120) أي الأخوان. وسيأتي في رسالة القائم (ص 291) أن هذا الموضع على اثنين
 وعشرين ميلاً من المهدية. فإذا قدرنا الميل بكيل البكري - نحو كيلومتر
 ونصف - يكون «الأخوان» على نحو خمسة وثلاثين كيلومتراً من المهدية، بينها
 وبين القيروان (البكري، 31)

وإذا ربطنا الموضع بـ «الجسور الأولية» التي سيذكرها المؤلف بعد قليل =

أبو يزيد يرغم أهل
القيروان على
مؤازرته

اجتمع إليه خلق عظيم من كتامة والعبيد والمغاربة وبني كملان
بالكراع والسلاح والأموال (ط 195) والقوة التي لم يكن مثلها في عسكر
قبله (121).

دش 105

بنو كملان يفارقون
جيش ميسور إلى
جيش مخلد

وأتصل بأمر المؤمنين القائم بأمر الله (عم) أن جماعة من
بني كملان الذين في عسكر ميسور قد كاتبوا أبا يزيد وراسلوه
ووعده أن يعملوا الحيلة في قتل ميسور. فكتب (عم) إلى ميسور
كتاباً * يحذره منهم ويأمره بإزالتهم عن معسكره وطردهم عن نفسه.
فساروا إلى أبي يزيد وحرّضوه على ميسور وقالوا: «إن عاجلته
بالحرب ظفرت به». فسار يريد ميسوراً، ثم عطف على قصر
المغيرة فبات بالماجل الذي على طريق المهديّة على ستة عشر ميلاً
من القيروان. وكانت ليلة باردة، ولم يكن مع أهل القيروان لها
عدّة (122)، فمات تلك الليلة كثير منهم. ورفع أبو يزيد صبيحة
الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول [نوفمبر 944] فوافت

= ويجعلها سبباً لسقوط ميسور وجرحه، أمكننا الافتراض أن ميسوراً اتخذ معسكره
بجهة أثرية تقع جنوب المهديّة أو غربيها: ذلك أن ابن عذاري، 219، يذكر
مدينة سلقطة - وهي Sullectum القديمة - ويقول: «ومنها زحف أبو يزيد أيام
حصاره، وكانت محلّته بترنوط». وسرى أن أول ما يحتله من أرياض المهديّة هو
ريض زويلة الواقع جنوبي المهديّة في اتجاه سلقطة.

وستبعد أن يكون معسكر ميسور سلقطة لأنها ليست بين المهديّة
والقيروان. ويمكن أن يكون بجهة «الجَم» حيث القصر الأثري المشهور، وهذا
يفترض أن أبا يزيد سلك طريقاً جنوبيّة تحاذي سبخة سيدي الهاني جنوباً ثم
تفضي إلى قرى الساحل وزياتينه، أو أيضاً بقرية Sarsura الواقعة في منتصف
الطريق بين سوسة والجَم، في المكان المعروف اليوم بـ «سيدي بوقبرين».

(121) لذلك وصفه المؤلف بالجيش الأعظم، فالعبارة ليست مصطلحاً إدارياً.

(122) في الأصل: له عدّة. والضمير يعود على الليلة الباردة. وتبين من هذه الفقرة أن
اشتراك أهل القيروان في القتال مع أبي يزيد بدأ قبل وقعة الوادي المالح - أو
الماء المالح.

طلّاعه طلائع ميسور بموضع يعرف بـ «بقلوط»⁽¹²³⁾ فناشبوهم القتال. وسبق الخبر إلى ميسور فأخذته دهشة وحيرة/. وأتاه جماعة من وجوه رجاله يسألونه تفريق السلاح على العسكر فأبى عليهم. وهجم عليهم عسكر أبي يزيد، وهم في الكلام في أمر السلاح. وركب ميسور ووقف على جسر كان بالقرب من موضع القتال، وفي ذلك المكان جسور أولية لا يستطيع الراجل أن يعلوها فضلاً عن الفارس. وإتّما نزل ميسور (ر126أ) هنالك ليحصن بها من البيات. وانهزمت ميسرة أبي يزيد حتى بلغوا في هزيمتهم القيروان. ولما رأى أبو يزيد هزيمة ميسرته، قصد فيمن معه من غزاته ووجوه رجاله إلى موضع ميسور، وقد حفت بأبي يزيد رجاله وفرسانه، فانقطع أصحاب ميسور من بين يديه واستوت الهزيمة فيهم * وقصدوا إلى المهديّة. فلما رأى ميسور فساد الأمر، حوّل دابّته ليزول عن الجسر، ووافاه سهم فغلغل في دماغه، ووقع في الجسر فكسر فخذ. وكان السهم الذي وقع فيه قد أحال عقله فجعل يضحك كالمتعجب. وعادت دابّة ميسور فلم تُدرك إلّا في المهديّة. وترجّل عليه⁽¹²⁴⁾ وجوه رجاله من كتامة والمغاربة والعبيد (ط 196). وقصده بنو كملان

ميسور يصاب
بسهم في رأسه..
دش 106

(123) بقلوط : قال الدشراوي في تعليقه 243 إنها قرية «البقالطة» الحالية، والبقالطة تقع شمالي المهديّة، ورأينا منذ قليل وسنرى بعد حين أنّ أنا يزيد يزحف من الجنوب نحو الشمال وقد ذكر النعمان (المجالس، 324) بقلوط في جملة المواضع التي اختبرها القائم وقاسها حين فكر في استدال المهديّة عاصمة له، ولا نخاله يحتار موضعاً على حمسة عشر كيلومتراً من المهديّة لبيتني به عاصمة جديدة.

فالرأي عندنا أنّ بقلوط تقع جنوب المهديّة في اتجاه قصور الساف أو سلقطة أو قصر الجّم، وسيأتي في حديثنا عن الوادي المالح ما قد يدعم رأينا (124) ترحلوا لا ترحلوا، والتعلدية عدلّ تكون بـ «عن» حرف البعد والانفصال والمعنى. نرلوا عن دوابهم والتوا حول له ليدعوا عنه بني كملان، وتدعوه رواية ابن الأثير، 304/6: «وقاتل أصحابه عنه ليمنعوه فقصده بنو كملان الذين طردهم..» وبصفة عامة، تتفق روايتنا الكامل وعيون الأخيار، كأنّ مصدرهما واحد.

فقتلوه. وقصد أبو يزيد إلى مضربه فنزل فيه. وسبق البربر إلى الفازات والأخبية/ فغلبوا عليها وانتهبوا ما فيها. وأمر أبو يزيد لعنه الله بميسور رحمة الله عليه، فشرح جسده وعلق على شجرة زيتون⁽¹²⁵⁾ وأمر برأسه إلى القيروان. فلم يشك الناس بعد قتل ميسور أن أبا يزيد يظفر بالمهدية وأنه قد غلب.

284

فيجهز عليه بنو
كملان

وكان فضل بن أبي يزيد مقيماً برقادة في معسكر أبيه مع أبي عمّار الأعمى. فأتاهم كتاب الدجال أن يوجهوا برأس ميسور إلى المغرب وأوراس ونواحي الزاب، وكتب إليهم الدجال يعرفهم بقتل ميسور وأنها استقامت له الأحوال.

ولما اتصل قتل ميسور رحمة الله عليه بأهل المهدية، ووصلت الهزيمة إليهم، كثر الخوف لديهم وزلزلوا زلزالاً شديداً^(125م) وظنوا أن أبا يزيد الدجال يعاجلهم، فارتحل عامة * الناس من كتامة سراعاً إلى حول المهدية بعيالاتهم، يريدون دخول المهدية للتحصن بها، وليكونوا حول أمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم). فأمر (عم) حيّان (ر 126 ب) البواب بمنع الناس من الدخول وأن يرجعوا بعيالاتهم إلى مواضعهم ومساكنهم، وأمره أن يقول للقوم الواردين من كتامة «ألا خوف عليكم فارجعوا إلى مواضعكم آمين، فإن هذا/ زيد سوف يذهب، ويدل الله (تع) لكم على القوم الظالمين. ولكل أجل كتاب^(125م)، ولكل أمر مدة، ولا بد أن تغلبوا إن شاء الله». فخرج إليهم حيّان فبلغهم رسالة أمير المؤمنين (عم)، فما سكن إلى قوله إلا قليل من الناس، وماج الناس بعضهم في بعض مترددين على باب المهدية، وأقاموا ثلاثة أيام بالفضاء بأهاليهم وأموالهم، وأخذهم نوء عظيم. فلما يشوا من الدخول، رجع بعضهم إلى مساكنهم، وسكن بعضهم في

هلع أهل المهدية
بعد هزيمة جيش
ميسور
دش 107

285

القائم يمنع سكان
الأرياض من
التحصن بالمهدية

(125) هذا التمثيل بجثة القائد العاطمي لم يذكره ابن الأثير، وهو أوفى رواية من غيره.
(125م) الرعد، 38. الأحزاب، 11.

زويلة⁽¹²⁶⁾ وأكثروا التردد، يتوقعون مجيء أبي يزيد. واستعدّ من في المهديّة للحصار.

وأقام النكاريّ الدجّال في معسكر ميسور⁽¹²⁷⁾ يشنّ (ط 197) الغارات على أهل السواحل وغيرها من الكور، وسائر أقاليم إفريقية، ويبعث البعوث، ويخرج العساكر إلى الحصون. فاستفتح كل الحصون التي على البحر وأخذ ما فيها. ودخل البربر مدينة سوسة بالسيف وانتهبوا وقتلوا رجالها * وسبوا نساءها وأخربوا منازلها. وقتلوا من بقي من الرجال في سائر الكور والمنازل، وعذبوهم بأنواع العذاب التي لم يسمع بمثلها في الأمم، مثل قطع الأعضاء، وتشويه الخلق، وبقر البطون، وشقّ الفروج، وغير ذلك/ من الأفعال المنكرة. وسبوا النساء وأجلوا الأقاليم بإفريقية، فلم يبق سقف مرفوع، ولا مهاد موضوع. وانحفل من بقي في المدن إلى القيروان وإلى الحصون التي على البحر، وخرجوا من منازلهم عراة حفاة، ومات كثير منهم جوعاً وهزلاً، وبرداً وعطشاً. ثم كانت البربر يدخلون القيروان بما غنموه من الأموال (ر 127 أ) والدوابّ والجمال بالأمّعة والسبايا من النساء والولدان ركبناً ورجالة، مخضّبات بالدماء باكيات حاسرات مستغيثات إلى الله جلّ وعلا. وجمع البربر من السبايا المسلمات وأموال الناس التي اغتصبوها وانتهبوها إلى معسكر الدجّال وإلى القيروان ثمّ إلى نواحيهم ما لا يحصى عدده، ولا يدرك أمدّه. وكانت ظلمة عمّت المغرب، ومحنة شملت على كلّ مسلم من كلّ مبعّد ومقترب. وكان الناس يأتون يطلبون أمّهاتهم وذوات أرحامهم،

دش 108
الثّوار يعيشون فساداً
في القرى..
286

.. يقتلون
ويسون ويترون

(126) زويلة هو الرض الذي خصّصه المهديّ لعبيده الزويليّين السود.
(127) أي الأخوان، الذي تساءلنا عن موقعه الحقيقيّ وتربّص أبو يزيد، حسب ابن الأثير، شهرين وثمانية أيام، وهلاك ميسور كان في 12 ربيع الأول 333 (نوفمبر 944).

فمن عرف منهم أحداً بادرت إليه البربر فقتلته * . وقيل إن رجلاً جاء يستغيث إلى أبي يزيد اللعين فقال له: أنا بالله وبك يا شيخ المسلمين .

فقال له: اشرح قصتك .

فقال: أنا رجل ذو نعمة ويسار، ولكتامة مذ أخذوا/ هذه البلاد أربعين⁽¹²⁸⁾ سنة وأنا أُوْدِي، ويجور عليّ من العمّال من يجور، فما أخذوا منّي ألف دينار في طول تلك المدة. وأصحابك أخذوا منّي ما يزيد على أربعة آلاف دينار في ساعة واحدة، وسبوا لي جماعة من النساء الحرائر، منها ابنتان لي صالحتان، وقد بلغني أن عندك إحداهما، واسمها عزيزة .

أبو يزيد يعطي المثل في الفساد والإفساد .

فقال أبو يزيد لعنه الله: اذهبوا فادفعوا إليه ابنته إن عرفها عندنا .

فما زال الرجل يطلب الأخبية ويستخير، ومعه رسول أبي يزيد، حتى انتهى إلى فاقة، فإذا بنته قد عرفها وعرفته. فخرجت إليه وهي تشهق بالبكاء والنحيب، وهو كذلك، وعلت أصوات النساء عند ذلك بالنحيب، وقلّ من يرى إلّا صبيّة مفتضة. وقالت الصبيّة لأبيها: «يا أبتاه، أقتلني واستر عليّ وعلى نفسك، فلا خير في الحياة، وما لي وجه يحملني أن أراك به (ر 127 ب) وهذا أبو يزيد قد افتضني وأختي على فراش واحد، فهي معي تصبح وتبكي، ولم تستطع أن تنظر إليك حياءً منك»⁽¹²⁹⁾ .

فعاد الرجل إلى خباء أبي يزيد وهو يصيح ويبكي ويسفي

(128) أبقينا النصب على الظرفيّة من أُوْدِي لكتامة . .

(129) في المجالس والمسائرات، 337، قصة شبيهة بهذه، إلّا أنه لا ذكر فيها للأختين .

التراب على وجهه ورأسه. ثم اقتحم على أبي يزيد كالأسد * غير مكرث وقال له: إِنَّ بَنِيَّ عِنْدَكَ جَمِيعاً/ وَإِنَّكَ اقْتَضَيْتَهُمَا مَعاً. وكيف استجزت ذلك وأنت تزعم أنك من المسلمين؟ ومن أين حل لك ما حرم الله؟ وكيف تجمع بين الأختين؟

فقال أبو يزيد: إِنَّ فِي مَذْهَبِي أَنْ أَجْمَعَ الْأَخَوَاتِ الْمَمْلُوكَاتِ، وَهَاتَانِ مَمْلُوكَتَانِ مِنْ سَبَايَا وَذَرَارِي الْمَشْرِكِينَ⁽¹³⁰⁾.

.. ويستهزئ
ممن يشكو إليه
ظلم أصحابه..

فولَّى الشيخ وهو يصيح: «يا الله، قد ترى ما يَفْعَلُ بعبادك ويُفْسِدُ فِي بِلَادِكَ». فأشار أبو يزيد إلى أصحابه أن أقتلوه فقتلوه.

وكان أبو يزيد إذا جاءه أحد يطلب ذات رِحمه وأكثر القول عليه، يقول للبربر: «إنما أبحننا لكم نساءهم بعد أن تقتلوهم. فأما وهم أحياء يشنّعون علينا، فلا». فيثبون على من جاء لذات رحمهم فيقتلونه. وذلك ما لم يُعلم منذ الإسلام وقيام النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام، إلى الآن. ولو كان الدجالون كثيرين، ومنهم من احتذى حذو هذا اللعين، فإنهم لا يكادون يتجرؤون على إظهار فعل ذلك لخيفة المسلمين. وإنما يفعلون القليل من ذلك إبطانا للكفر وإظهاراً للإسلام (ط 199). وهذا اللعين صرّح بكفره، وأتى بجميع خبثه ونكره.

ولبس الدجال أبو يزيد الديباج والحريز، وترك ما كان يلبس من الصوف/، وركب مسوّمات الخيل، وعاذله من أصحابه في ذلك

(130) الجمع بين الأختين حرام، بصريح الآية 23 من سورة النساء واختلف الفقهاء في إباحة الجمع بين الأختين المملوكتين أو تحريره، فذهب طائفة إلى إباحة ذلك وسبب اختلافهم معارضة قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ لعموم الاستثناء في آخر الآية وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (ابن رشد: بداية المجتهد، 40/2 - 41).

من عاذله، فلم يلتفت إلى قولهم. وذلك أصل مذهب الخوارج، وقد أنكروا على عبد الله بن العباس (رضي الله عنه) لما ركب أفره دوابه وتزى بأحسن زيه، وقالوا له: «بيننا أنت خير الناس إذ جئتنا في زيّ الجبارين». فتلا عليهم (ر 128 أ) عبد الله بن العباس⁽¹³¹⁾ قول الله سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ...﴾ الآية (الأعراف، 32) وقد ذكرنا ذلك.

.. ويترك التقشف
الكاذب ويتخذ زينة
الملوك

وفي خلال مقام أبي يزيد بالأخوين بعد قتل ميسور رحمة الله عليه، أمر أمير المؤمنين القائم بأمر الله (صلع) بحفر خندق حول أرباض المهدية. وأبتدىء في حفره لسبع بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة (نوفمبر 944).

القائم يستعد
للمحاصر...

وأمر أمير المؤمنين (عم) بإنفاذ الكتب إلى الكتائب وإلى من يليهم، وأمرهم بالحركة إلى المهدية، وحضهم على الجهاد للخوارج النكارية اللعناء، ونبذهم أن يأتوه خفافاً وثقلاً كما أمر الله عباده الذين قصدهم بذلك وعنى، وبعث بالكتب في السر والخفاء، لئلا يطلع عليها أبو يزيد ومن تبعه من الأشرار الخبيثاء. فأخذ أصحاب أبي يزيد بعض الرسل، ومعه كتاب من تلك الكتب/ وقد كان الرجل جعله مجلداً بين تائمه. وجاءوا إلى أبي * يزيد لعنه الله بالكتاب ففتحه وقراه، وهذا فضّه⁽¹³²⁾.

290
دش 112

(131) لعبد الله بن عباس، الصحابي الجليل، شأن خاص عند الشيعة، لأنه كان من أنصار علي، حضر معه الجمل وصقين والنهروان. وجعله الأميني (ص 49 ج 1) من رواة الغدير. والداعي إدريس هنا يندد بتناقض الخوارج في مواقفهم. فالذي عابوه على ابن عباس لم يعيروه على أنفسهم.
(132) فص الأمر: حقيقته وفحواه.

«باسم الله الرحمان الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين.

«من عبد الله محمد أبي القاسم القائم بأمر الله أمير المؤمنين إلى جماعة لهيصة⁽¹³³⁾، سلام عليكم. فإن أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي علي محمد (ط 200) عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى عترته الطيبين الأخيار.

«أما بعد، فقد تقدّمت كتب أمير المؤمنين إليكم يتلو بعضها بعضاً يأمركم بالإسراع في الخروج بالاحتفال بالخيّل والرجال لجهاد الفاسقين الكفرة المارقين من أهل أوراس، إذ جهادهم أفضل من جهاد المشركين، وكانوا بالأربس، بعد قتلهم من قدروا عليه من إخوانكم، وسبي ذراريهم، وانتهاكهم حرّمهم وأكل أموالهم. وتقوّوا على ذلك بنفاق أهل إفريقية كافّة معهم ومعاصدتهم (ر 128 ب) إيّاهم على فسقهم. وقد⁽¹³⁴⁾ آلت أمورهم إلى ما تقدّم به الكتاب من غدرهم بخليل داخل مدينة القيروان مع معونة الفجرة أهلها. وهم على ذلك، سيما أنّ الله (عج) أنزل بهم من الخزي والنكال وسبي الذراريّ / وانتهاب الأموال ما في أقلّه شفاء لما في الصدور، وعبرة لأولي العقول، جزاءً لهم بمكرهم.

«فتناقلتم عن القدوم، وتربّصتم عمّا لكم فيه الحظّ الجسيم لدينكم ودنياكم، حتى استقدر الكفرة مع دجالهم الذي نصبوه علماً * لنفاقهم، ونزلوا على اثنين وعشرين ميلاً من المهدية وانحفل جميع إخوانكم⁽¹³⁵⁾ بمن تخلّص من أهاليهم وأبنائهم إليها، وهم مثبتّون

(133) لهيصة بطن من كتامة

(134) في الجميع: فقد.

(135) القائم يدكي الحميّة القلبية في كتامة: فالنجدة المطلوبة هي للكتاميين المحاصرين بالمهدية.

.. طالباً النجدة

على المصافّ لقتال الكفرة الأخسرين، وهم منتظرون لقدمكم.

«فاعلموا ذلك، وبادروا بالقدم ساعة ورود هذا الكتاب إليكم. فإن كان سبب تخلفكم لخروج الرجال، فانهضوا بالخيول وحدها مسرعين، وجدّوا وخذوا في ذلك بالجدّ وقوّة العزم. واحذروا أن يكون لكم تثبّط وثناقل، مبتغين لما يُرضي الله (عج)، ويُحمد أمير المؤمنين إليكم، وتستزيدون من النعمة عندكم لأولاكم وأخراكم، إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله».

فلما قرأ أبو يزيد صاحب الحمار الكتاب، أمر بقتل الرجل الذي حمّله. وعلم أنها وصلت كتب كثيرة إلى كتامة بمثل ما في ذلك الكتاب، وخاف أن يحدث عليه أمر لا يطيق دفاعه، وتأتي كتامة ومن والاها من جهات أقطارها وأعمالها، ومن الذين منهم في عسكره. فارتحل / نحو المهدية بجميع عساكره. وكان ارتحاله من معسكر ميسور رحمة الله عليه نصف الليل من ليلة الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الأولى، أحد شهور سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة (جانفي 945). وحطّ رحاله بموضع يقال له «خربة جميلة»⁽¹³⁶⁾ على خمسة عشر ميلاً من المهدية. وافترق العسكر عن أبي يزيد ينتهبون ما وجدوا، ويقتلون الرجال ويستبون النساء. وانحجز الناس بالمهدية وانحصروا بها.

292

وأجمع الأولياء على أن يقصدوا أبا يزيد، حين افترق عسكره، إلى مناخه. فخرجوا من المهدية يوم الخميس لثمان بقين

(136) خربة جميل، في رحلة التحاني، 325، وهي غير مذكورة عند غيره. ويبدو أنه يستقي هو والداعي لإدريس من منبع واحد، وربما استخدم ابن الأثير أيضاً هذا المصدر المفقود.

من جمادى الأولى، في احتفال من الخيل والرجال. واتصل خبرهم بأبي يزيد، وقد وافق قدوم ابنه فضل بن مخلد في جيوش عظيمة من البربر. فوجه بهم لملاقاة الأولياء بموضع يقال له: «أشراف»⁽¹³⁷⁾ مسافة ثمانية أميال من المهدية، فوقع بينهم القتال. وأرسل ابنه إليه يخبره ذلك. فركب مخلد فيمن كان معه، ولم يترك أحداً من الرجال في الأخبية، وتوجه يريد القوم. فوافى أصحابه وهم في الهزيمة، وقد قُتل منهم ثلاثة عشر رجلاً. فترك أصحابه عن يمينه، وقصد إلى / وسط عساكر الأولياء. فلما رآوه ما تمالكوا أن انهزموا من غير قتال، وولوا إلى المهدية، وتبعهم البربر حتى انتهوا إلى باب الفتح⁽¹³⁸⁾. وبلغ أبو يزيد خندق المهدية المحدث الذي أمر أمير

أبو يزيد يقتحم
ضاحية زويلة..

293
.. قبل الهجوم
على المهدية

(137) أشراف عند التجاني، 325، كانت الوقعة بسوق الأحد، «وهو وسط بين المهدية ومعسكر أبي يزيد»، أي خربة جميل. وذكرت سيرة الأستاذ جودر، 88، سوق الأحد دون تحديد موضعه وقد يكونان مكاناً واحداً: ذلك أن خربة جميل تقع على 15 ميلاً من المهدية، وسوق الأحد في منتصف هذه المسافة، وأشراف على ثمانية أميال من المهدية

وتبقى قضية الوجهة بالنسبة إلى المهدية: شمالاً؟ أم غرباً؟ أم جنوباً كما نذهب إليه؟

(138) باب الفتح. أحد أبواب روض زويلة (انظره. ر. إدريس، 18). وكذلك باب المهدية المطل على سور المهدية. وبين زويلة وسور المهدية فضاء هو «المصلى». فأبو يزيد لم يصل إلى سور المهدية على الحقيقة، وإنما اقتحم باب زويلة الجنوبي - باب الفتح - ثم بابها الشمالي - باب المهدية - ووصل إلى فضاء المصلى

أما السور المحدث الموازي للخندق المحدث، فلعله سور بسيط بُني على زويلة بالحجارة والأتربة التي استُخرجت من الخندق المحدث. هذا ما ذهب إليه باشا سيرة جودر (تعليق رقم 123) وكان المعز فيما بعد قد همّ ببناء سور على روض زويلة (سيرة جودر، 112) ولكنه لم ينجز. ولم يتم ذلك إلا في عهد الصنهاجيين (البكري، 29، التجاني، 324). ويفهم من كلام ابن الأثير، 305/6 أن ثوار أبي يزيد بلغوا إلى السور المحدث - حول زويلة - بعد عبورهم الخندق المحدث - حول زويلة والمهدية معاً -.

=

المؤمنين القائم بأمر الله (عم) بحفره، وأشرف على المهدية، وذلك عند صلاة * المغرب. وأراد المبيت فأشار عليه أصحابه بالرجوع فرجع إلى معسكره بخربة جميلة بعد زوال الليل. وكتب مخلد بن كيداد الدجال إلى أبي عمار الأعمى، وهو بالقيروان، بخبر ذلك، فقرأ كتابه على المنبر، وكتبوا به إلى البلدان. وكثر جمع أبي يزيد وأتى الناس إليه من كل جهة (ط 202) وقصدوه من كل جهة، طمعاً في الحطام، وطلباً للنهب والسبي وأكل الحرام، وخيفة من أبي يزيد أن يعاجلهم بالاصطلام.

ورحل أبو يزيد يريد المهدية لثلاث خلون من جمادى الآخر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة (20 جانفي 945)، ووجه كثيراً من البربر إلى باب الفتح، وكان هناك عسكر أمير المؤمنين (عم) من كتامة. ووجه إلى الباب المعروف بـ «باب أكة»⁽¹³⁹⁾ أيوب الزويلي. وكان هناك من قواد أمير المؤمنين صندل الخادم الأسود في العبيد

= وينبغي أن لا يلتبس باب الفتح (في زويلة) بباب الفتح في المهدية، وهو «مدخلها الوحيد» المعروف اليوم بـ «السقيفة الكحلة» (ح. ح. عبد الوهاب، ورفقات، 374/3)

(139) في المطبوع: باب لكّة. وافترض الدشراوي (تعليق 254) أنه باب في سور المهدية يطل على قرية بكّة التي سيرد ذكرها في ص 312. وقد عدد البكري، 31، الأرياض المحيطة بالمهدية فذكر منها «بقّة» ثم «قاساس»، دون أن يعين اتجاهها في سرده لها. وقاساس ناقية اليوم في اسم «مسخة قاساس» إلى الجنوب الغربي من المهدية في منطقة «هنشير مياش» - ولعله موقع «ماتش» التي حلب المهديّ منها إلى مدينته الماء في أقداس وفناة حسب قول البكري، 27 - 28. فإذا كانت بقّة بعد قاساس شمالاً، فهي كما قال الدشراوي، على طريق سوسة، وبالتالي، ستتّح أن أبا يزيد قرر أن يحاصر المهدية من نقطتين على الأقل: من زويلة جنوباً وغرباً، ومن بقّة شمالاً، حتى يقطع عنها كل مدد.

وباب أكة أو بقّة ليس في سور المهدية، إذ ناه الوحيد كما قلنا هو باب الفتح أو السقيفة الكحلة.

المستترقين لأمير المؤمنين (عم). وتوجه أبو يزيد الدجال بنفسه،
ومعه أبطال الرجال من حماته وغزاته، ومن أهل القيروان، ومن
انضم إليه من جبل أوراس وأعمال إفريقية وسائر البلدان، وقد
انتقامهم واختارهم، فقصده الخندق المحدث، وكان عليه من رجال
أمير المؤمنين رشيق الرياحاني الكاتب في عدة من العبيد. فوقع
القتال بينهم وبين أبي يزيد على السور والخندق المحدثين⁽¹⁴⁰⁾.
فارتموا بالسهم وتطاعنوا بالرمح * واقتحم أبو يزيد ومن معه في
شاطيء البحر، فبلغ الماء صدور دوابهم، حتى جاوز⁽¹⁴¹⁾ الخندق
المحدث، فانهزم رشيق ومن معه حتى بلغوا إلى باب المهديّة
فأصابوه مغلقاً، فتحصّنوا بقصر الرباط⁽¹⁴²⁾ وتقحّم كثير منهم في
البحر وتعلّقوا بسور المهديّة وبالحجارة التي حوله في وسط
الماء فتحصّنوا بها من البربر. ووصل أبو يزيد إلى قرب الباب عند
مصلّى العيد⁽¹⁴³⁾ الذي ابتناه أمير المؤمنين المهديّ بالله (عم) حيث
وقع السهم من المهديّة، وقال إنّ الدجال ينتهي إليه إذ ليس بينه
وبين المهديّة إلا قدر مرمى القوس، وذلك أقصى مبلغه من
المهديّة. ثم تفرّق أصحاب أبي يزيد ينهبون ويقتلون، والناس فوق
سطوح بيوتهم يكبرون/ ويهلّلون⁽¹⁴⁴⁾ ويطلبون الأمان من أبي يزيد،

(140) السور والخندق المحدثان. لا يمكن أن يكون السور سور المهديّة، وقد كمل
سنة خمس (البكري 30) - ولعله كما قلنا منذ قليل سور وقتي بناء القائم
بمحصول حفير الخندق الذي أحاط بأرياض المهديّة. فالخندق والسور هما
بمثابة الخط الدفاعي الأول لحماية المهديّة.

(141) أبو يزيد هو الذي جاور.

(142) لا ذكر لقصر الرباط هذا بين زويلة وسور المهديّة. ولعله «قصر أبي سعيد»
الذي ذكره البكري في جملة الأرياض الملاصقة للمهديّة. ومعلوم أن «قصر»
تعني أيضاً الرباط الدفاعي.

(143) مصلّى العيد. أو الميدان أو رملة المهديّة (هـ. ر. إدريس، 451).

(144) سقط التهليل من رواية الكامل، 305/6 والتجاني، 326 وليس في محلّه من طلب
الأمان.

والحرب عند باب الفتح بين كتامة والبربر، وهم لا يعلمون ما صنع أبو يزيد، ولا حيث بلغ. وكانت للأولياء كُرَّة على البربر هزمهم فيها وقتلوا جماعة منهم. فأتى مخلداً رجل فأخبره بهزيمة أصحابه (ط 302) فخاف من المقام على باب المهديّة وتوجّه يريد باب الفتح ليأتي كتامة من ورائهم⁽¹⁴⁵⁾. فزحف (ر 130 أ) ومعه الطبول والبنود. فلما رأى من في الأرباض البنود وسمعوا الطبول والجلبة، ظنوا أنّ أمير المؤمنين القائم (عم) خرج * بنفسه من المهديّة لقتال ابن كيداد، فقويت نفوسهم ورفعوا بالتكبير أصواتهم، واشتدّ قتالهم. ووافى أبو يزيد من الأزقة والشوارع. فلما رآه أهل تلك النواحي من الأولياء، تيقنوا أنّه أبو يزيد، فمالوا عليه بالحرب والطرّد والقتل، وقُتل جماعة من أصحابه، ولم يجد مسلّكاً حتى هدم له أصحابه حائطاً فخرج منه. ووصل إلى ناحية القتال بعد صلاة المغرب، فقويت نفوس أصحابه وانهزم الأولياء، وقُتل من الفريقين خلق عظيم. وقتل من أصحاب أبي يزيد جماعة كثيرة حين افترقوا للنهب.

وكان حين وصل مخلد اللعين باب المهديّة، وأمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم) جالس في مجلس له على البحر، عُرِفَ بوصول أبي يزيد إلى المصلّى، وأنه بالقرب من الباب⁽¹⁴⁶⁾. وقال

(145) هذا دليل آخر على أنّه تجاوز زويلة وترك فريقاً من أصحابه يقاتلون الكتائبين بباب الفتح في جنوب زويلة أو عرييها. فإذا رجع من باب المهديّة الواقع شرقاً أو شمالاً في قبالة سور المهديّة، أمكنه أن يحصر كتامة من حلف
(146) أي باب الحديد من سور المهديّة، وقد أطنب الرّحالون في وصف ثقله ومتانته والإشادة بعظنة المهدي في تديره وتحصينه (البكري، 29، التجاني، 321).
وعبارة البكري «باب الحديد» تعني في نظرها مصراعي باب واحد والشعر يشهد بأنه باب وحيد
(بسيط):

باب حديد، وأبراج ثمانية تسخر العقل فيه أي تسخير
(ابن حمّاد، 10 / والورقات، 374/3).

ثقة القائم بالنصر
النهائي

جماعة من في الحضرة لأمير المؤمنين (عم) من رجاله وعبيده: «لو
خرج أمير المؤمنين بنفسه، ورآه الناس، رجونا أن يكشف الله هذا
الأمر بيمن طلعتة». وعظّموا الأمر، ولم يشكوا إلا أن أبا يزيد قد
ملك الأرباض. وهو، صلوات الله عليه، مستبشر إليهم، غير
مكرث ولا ملتفت إلى ما يقولون. فحين أكثروا القول، قال (عم):
«لو جاءني أبو يزيد حيث يأخذ بحلقتي هذا الباب⁽¹⁴⁷⁾، ما خرجت إليه
﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾» (الأنفال، 44)، وليبتلي الله المؤمنين ويمحق
الكافرين. والذي نفسي بيده، لينجز لنا وعده ولو كره المشركون.
ثم قال لبعض الخدم الصقالبة الذين كانوا بين يديه: «أمض إلى
سور المهدية واطلع عليه، فإذا رأيت الفاسق انصرف من مكانه،
فلوح إلينا بسيفك لنعرف وقت أنصرافه». فمضى الخادم كما أمره.
فلما انصرف أبو يزيد، لوح بسيفه، فقال أمير المؤمنين (عم) لمن
حوله: «ابشروا فقد بلغ الفاسق إلى أقصى مدى غايته، وقد (ر 130 ب)
انصرف عنكم، وليس ترونه بعد هذا بالغا إلى هذا المكان أبداً» (ط 204)
فاستبشر القوم وأيقنوا بقول أمير المؤمنين (عم) وابتهلوا إلى الله
سبحانه أن يفرج تلك المحنة، ويزيل تلك الفتنة، ويمكن لأوليائه
كما وعدهم، ويبلغهم من صلاح عباده أملهم.

أبو يزيد يقرب
معسكره من
المهدية

وقد كان الناس ظنوا حين انتهى أبو يزيد إلى المصلّى أن
ينصب هنالك فازته. فعاد أبو يزيد إلى محطّته وموضع فازته
بـ «ترنوط»⁽¹⁴⁸⁾ يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى
الأخرى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة (جانفي 945)، وأمر بحفر

(147) أي: باب مجلسه.

(148) ترنوط: على ستة أميال من المهدية (البكري، 31) في طريق سلقطة جنوباً

(التجاني 326)

خندق على معسكره * وتحصّن به . واجتمع إليه خلق عظيم من الأجناد والبربر، ومن بلاد إفريقية وأقصى المغرب وأدناه . وحاصر المهدية حصاراً شديداً، ومنع الناس من الدخول إليها . وخرج إليه إبراهيم الأشلّ من المهدية مستأمناً فقال له : يا إبراهيم، كيف حالكم في المهدية؟ ألم أفزعكم؟

قال له : والله ما أفزعتنا ولا اشتغلنا بك .

قال : فلماذا أغلق أبو القاسم باب المهدية؟

قال : قلّة اكتراث والله . لقد أخبرني أبو القاسم - يعني أمير المؤمنين (عم) - منذ سبعين يوماً⁽¹⁴⁹⁾ بأنك تبلغ إلى مصلى المهدية ثم لا تعود أبداً .

فقال أبو يزيد كالمستهزئ : أخبرك بهذا أبو القاسم؟

قال : نعم، أي والله، لقد أخبرني بهذا .

وزحف أبو يزيد بجموعه يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الأخرى (فيفري 945) وقصد إلى باب الفتح، وكان بينهم وبين أهل المهدية حرب شديدة قتل فيه جماعة من وجوه الأولياء وجماعة من البربر . واقتحم أبو يزيد بنفسه حتى صار إلى قرب الباب، فعرفه بعض عبيد الأولياء وقبض على لجام جواده وصاح : «هذا مخلد الفاسق، فلا يفوتكم!» فأتاه (ط 205) رجل من أصحاب أبي يزيد فضرب يده فقطعها ونجا الفاسق مخلد * . ولما رأى الدجال إقدام كتامة والعبيد وجنود أمير المؤمنين الذين في المهدية، وشجاعتهم وشدة شوكتهم وبأسهم (ر 131 أ) كتب إلى أهل القيروان يأمرهم بالخروج إليه بالفازات والسلاح والعدة . ووجه إليهم جماعة من أصحابه فأخذوا الناس

الهجوم الثاني : 23
جمادى 2 (10)
فيفري 945

(149) أي منذ انتصار أبي يزيد على ميسور وجيشه الأعظم .

بالخروج⁽¹⁵⁰⁾، وأخرجوا جميع ما معهم من القوة والعدة إلى عسكر أبي يزيد. فلما وصلوا، زحف إلى المهديّة بهم وجميع عساكره يوم الاثنين لسبع بقين من شهر رجب (مارس 945).

الهجوم الثالث: 23

رجب (11 مارس

945

299

وأنشأ الإمام القائم بأمر الله أمر المؤمنين (صلعم) خطبة يحرض فيها المؤمنين، وأمر المروزي⁽¹⁵¹⁾ قاضيه بالمهدية أن يقرأها عليهم. يقول فيها، بعد حمد الله (تج) والثناء عليه والصلاة على النبي محمد، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين:

«أيها الناس. إن هذا اللعين النكاريّ قد استشرى شره، واستوثباً مرتعته، وحملته الأمانى الغرارة، والنفس التي هي بالسوء أمارة، على أن غمط نعمة الله (تج) عليه، وسوّ له الشيطان الذي هو قريبه أن لا غالب له. وإنما أرخى له أمير المؤمنين في زمامه، ليعثر في [فضل]⁽¹⁵²⁾ خطامه فلعله الله لعناً وبيلاً، وأخزاه خزيّاً طويلاً، وصيّره إلى نار تلتظى ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ (الليل، 15)!

«وقد علمتم يا معشر كتامة ما مضى عليه آباؤكم وقدماء أسلافكم من لزوم * الطاعة والاعتصام بحبلها والتقيء بظلمها، والمجاهدة في الله حقّ جهاده، وأنكم خبيثة الله لهذا الحق المحمديّ الفاطميّ المهديّ حتى أظهره وأعلاه، وجعل لكم فخره

خطبة للقائم في
أهل المهديّة..

(150) يقول ابن أبي دینار: المؤنس، 59: نادى في القيروان: «من تخلف عن الجهاد معي، حلّ دمه وماله».

(151) أبو جعفر أحمد بن محمد المروزي: صجّب المهديّ والقائم ثم المنصور. وأبوه هو الذي امتحن فقهاء القيروان عند انتصاب الدولة الشيعيّة بها (طبقات أبي العرب، 239) ونظم أبو جعفر هذا أرجوزة طويلة في مناقب الفاطميين وحروبهم (الحواليات، 10 ص 157).

(152) زيادة من سيرة جودر، 55.

وسناه، فأنتم كحواري عيسى وأنصار محمد صلى الله عليهما.

«يا أبناء المهاجرين والأنصار، والسابقين الأولين المقربين! ليس بكم أزال الله دُولَ الظالمين، التي مضت لها أحقاب السنين، حتى جعلهم حصيداً خامدين؟ وأورثكم أرضهم وديارهم، فصرتم تغزّون بعد أن كنتم تُغزّون؟»

«نزل بإزائكم دَجّال لعين في شُرْمة ضالّة مضلّة لم يستضيئوا بنور هداية (ط 206): فهم كالأنعام المجفلة، والصور الممثلة، والخشب المُسنّدة، والحُمر المستنفرة. إن أقاموا هلكوا، وإن طولبوا أدركوا. فلا تنكصوا بعد الإقدام! (ر 131 ب) وأنتم حزب الله وهم حزب الشيطان، وقتيلكم في الجنة، وقتيلهم في النار. فأَيُّ حقّ بعد هذا الحقّ تطلبون، ومع أيّ إمام بعد إمامكم تقاتلون؟»

300

.. يدعوهم فيها
إلى قتال أبي يزيد

«فقاتلوا، رحمكم الله، أحزاب الضلال، وذئاب الطمع، وفراش النار. واطلبوهم في نواحي الأرض وأقاصي البلدان، وجميع الآفاق، حتى يُحقّ الله الحقّ ويُبطل الباطل ولو كره المشركون» (ط 122).

فلَمّا سمع الأولياء هذه الخطبة قالوا: «سمعاً وطاعة! وارتفعت الأصوات بالبكاء والضجيج، وانصرفوا للقتال، وقد أقبل في جموعه الدجّال، وقصد بجنوده كلها إلى ناحية تعرف بـ «دار قوام»⁽¹⁵³⁾، فوقع بينهم قتال عظيم وحرب شديد. وتواصى الأولياء وصبروا، واستبسّلوا وتذمّروا⁽¹⁵⁴⁾، فهُزم⁽¹⁵⁵⁾ مخلد الدجّال هزيمة منكرة، وقُتل

خية أبي يزيد
الثالثة .

(153) دار قوام: لم نهتد إليها

(154) تذامروا وتذمّروا بمعنى، أي. شجّعوا بعضهم بعضاً

(155) في الجميع: وهزم.

كثير ممن معهم من أهل القيروان، وفيهم سعيد الحبروني⁽¹⁵⁶⁾.
 قتل، وكان له مكان جليل عند أبي يزيد، وكان على الشيعة مشنعاً،
 ولأهل البيت مبغضاً. وقُتل جماعة من أكابر البربر. وانصرف إلى
 موضعه مغلوباً مهزوماً. وجزّ الأولياء رؤوس من قتل، فطافوا بها في
 المهديّة، وسرّوا وأيقنوا بالظفر، وقويت نفوسهم.

301
 .. كانت بادرة
 ظفر للأئمة ..

وقال الداعي الأجلّ جعفر بن منصور اليمن⁽¹⁵⁷⁾ أبي القاسم
 الحسن بن فرح بن حوشب قصيدته التي أولها (بسيط):

الحمد لله، هذا الفتح والظفر هذا الذي كان للإيمان ينتظر
 فاستبشروا يا رجال الدين وانتدبوا لحرب قوم، هم ضلّوا وهم كفروا
 وأيقنوا أنّ جند الله غالبهم وأنه، جلّ، للإيمان ينتصر *
 سيُهزم الجمع إذ جاؤوا لحربكم والمارقون، فقد خابوا وقد خسروا
 فإنّ وعد أمير المؤمنين لكم حقّ، به جاءت الآيات والسور
 عن جدّه المصطفى الهادي وحيدره وآله الغرّ، جاء العلم والخبر⁽¹⁵⁸⁾
 فلا تملّوا، ولا عن حربهم تهنّوا وإن بغّوا وطغّوا في الكفروا تشّروا⁽¹⁵⁹⁾
 واستنصروا الله واحموا عن حريمكم ودينكم، وانهضوا للقوم وابتدروا

دش 122
 .. أشاد بها
 الشعراء

وحين بلغ أهل وزداجة⁽¹⁶⁰⁾ هزيمة الدجال قويت قلوبهم،

(156) سعيد الحبروني: لم تذكر بقية المصادر هذا النصير لأبي يزيد، فلا نعرفه
 بالتالي.

(157) عرفنا (ص 50) بهذا الداعي - الشاعر، وسيعطينا المؤلف ترجمة له في السبع
 السادس.

(158) حيدر وحيدرة: اسم من أسماء عليّ بن أبي طالب عند الشيعة.

(159) اتشّروا. افعلوا من أشر (وزن فرح). جدّوا في كفرهم وتمادوا.

(160) وزداجة. ورد عند البكري، 56، أنّهم قوم يقطنون شرقيّ باحة القمح «في
 قرارات باسلي». ولعل باسلي هي Vazari الأثرية. على أن المعروف عن

وأرسلوا (ر132أ) إلى أمير المؤمنين ثلاثة فرسان منهم يسألونه أن يوجه إليهم عاملاً ليتقوا به على أبي يزيد. فبلغ ذلك مخلداً فأرصد لهم رصداً، وأخذ أحد الثلاثة الفرسان، وخلص منهم إلى المهديّة اثنان. وأخرج اللعين إلى وزداجة ابنه أيوب بن مخلد، وأمره بالمُقام بها وحفظ نواحيها.

وكان في عسكر أبي يزيد وليّ من أولياء أمير المؤمنين يقال له ورع بن علي، وكانت كتب أمير المؤمنين تتصل به سرّاً فيرسلها إلى بلاد كتامة وحيث أراد أمير المؤمنين، ويرفع إليه أخبار أبي يزيد. فشاع ذلك عنه. ودسّ إليه أبو يزيد رجلاً أراه النصيح حتى استحصل ما عنده، وأخذ * إلى البلدان كُتبه. فأوقف عليها أبا يزيد. فطلب أبو يزيد ورع بن علي وأوقفه على كتبه وقبض عليه، ثم أرسل لابنه إبراهيم بن ورع وقتلها جميعاً رحمة الله عليهما ورضوانه⁽¹⁶¹⁾.

واشتدّ الحصار على المهديّة، وقدمت مراكب كثيرة من صقلية وطرابلس بالطعام وغيره تريد المهديّة، فدفعها الريح إلى الشطوط وانتهبها أصحاب أبي يزيد. وبلغ سعر القمح والشعير بالمهديّة مبلغاً عظيماً من الغلاء.

وزحف أبو يزيد المرّة الرابعة بجنوده لقتال أهل المهديّة، فبلغ الماء المالح⁽¹⁶²⁾. ووقع قتال شديد بين الفريقين، وعاد مخلد

وزداجة أنها قبيلة زناتية تقطن بالمغرب الأوسط. فهي أقرب إلى مناصرة أبي يزيد منها إلى طاعة الأئمة (انظر فيما يأتي ص 325 هامش 197).

(161) لا نعرف ورع بن علي ولا ابنه إبراهيم. والاستعانة بالعيون والجواسيس أمر مشترك بين الحزبين كما نرى.

(162) الماء أو الوادي المالح: ذكر «الماء المالح» هنا وفي ص 306 من هذا الكتاب، ممّا يعني أن وقعتين دارتا بهذا المكان. في 23 سؤال، ثم في 11 ذي القعدة

الدجال منهزماً، وذلك يوم الجمعة لسبع بقين من شوال سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة (جوان 945). وكثر خروج/ الناس من المهديّة لشدة الجوع والجهد. وفتح أمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم) الأهراء التي كان المهديّ بالله (صلح) شحن فيها الطعام حين عمّر المهديّة، والقائم بعده. فأنفقها في الناس وفرّقها على رجاله وعبيده وقال: «لهذا الوقت أُعدّت». وعظم البلاء على الناس، واشتدّ بهم الجهد حتى احتاجوا إلى أكل الميتة والدوابّ وغيرها *. وصبر

303

الهجوم الرابع على

المهديّة: : 23

شوال/ 8 جوان

945

دش 125

= 333. ولا ندري أهو سبحة أم نهر؟ فالسباخ كثيرة في جهة المهديّة: سبحة قاساس، وسبحة القطعية، وسبحة الليانة غرباً، وسبحة ابن غياضة جنوباً، وكانت إلى عهد قريب تستخدم لاستخراج الملح فلصق بها اسم «سبحة الملح» أيضاً، وسبحة الأندلس، شمالاً، ثم سبحة «متاع المكنين» الخ.

والأنهار المالحة كذلك. منها وادي يمر بزرمدين ويصب في سبحة المكنين، ولعله يمرّ قبل ذلك بمساكن جنوب سوسة، ومنها رافد يصب في وادي شبية ثم في سبحة القطعية إلخ. فالاسم منتشر، ولا ثبات فيه، إذ يقول ابن عذاري، 218: الواقعة المشهورة بوادي الملح.

وما دمنا انصرفنا إلى مسلك جنوبيّ في تصوّرنا لتحرك أبي يزيد، فالرأي عندنا أن الماء المالح، أو الوادي المالح، أو وادي الملح، يقع بجهة السباح العربية: قاساس، أو القطعية أو سبحة الليانة.

هذا في خصوص الموقع. وهناك قضية أيضاً في خصوص التاريخ: متى كانت وقعة الوادي المالح؟ فالمشهور عند رواة السنّة هي الوقعة التي استشهد فيها صلحاؤهم كأبي الفصل الممسي وربيّع القطان قال ذلك المالكي (رياض، 293/2 و 323 و 345). وحدّد الدناغ استشهد الممسي بيوم الاثنين لثمان بقين من رجب، وهو تاريخ الهجوم الثالث على المهديّة. لكنّ المالكي، 345/2، يحدّد استشهد ربيع القطان بصر 334، ويدفع التاريخ الأول ويدقق: «وبينه وبين الممسي ستة أشهر»، أي المدة الفاصلة بين رجب 333 و صفر 334. فعلى ما يبدو، لم تكن وقعة الوادي المالح وقعة واحدة حصدت فقهاء القيروان في يوم واحد. والملاحظ أن ابن الأثير، 305/6 يقول: إن أكثر أهل القيروان هلكوا في رجب 333. ونقول أخيراً إنّ الداعي إدريس لم يذكر وفيات لأهل القيروان في «الماء المالح»، بل في الوقعة بين أبي يزيد وميسور، وكانت وفاتهم بسبب الرد الشديد (ص 282).

صبر أهل المهدية
وكتامة خاصة
للحصار

304

الكتاميون صبراً عظيماً لم يصبر أحد مثله جهاداً واحتساباً، يرجون به من الله ثواباً، ويدفعون عقاباً، في طاعة ولي الله وصفيته وخيرته من خلقه وابن نبيه (ط 208)، فطوبى لهم وحسن مآب ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر، 10). وكان الرجل منهم (ر 132 ب) إذا فرغ من الطعام ما عنده ولم يجد ما يطعم أهله أخذ بأيدي نسائه وأخرجهن من المهدية. وكان أصحاب أبي يزيد اللعناء يشبون من خرج من نساء أهل المهدية وأطفالهم. وخرج السوق وأهل البيع من الرجال والنساء. وكانوا يشقون بطون الرجال وأرحام النساء يطلبون الخبايا هنالك من دنائير ودراهم، ووجدوا أشياء من ذلك فتجرؤوا على ما هم فيه وتمادوا عليه. ثم كانوا يخافون أن/ يقتلوا عليهم، ولا يأمنون [ن] أصحابهم، إن وجدوا شيئاً، أن يأخذوه [منهم، فـ] كانوا يحملون أمصار بني آدم إلى القبروان، ويتبايعونها بينهم بالأثمان⁽¹⁶³⁾. وكانوا إذا وجدوا المرأة أخذوها سبية. يروى عن بعض أهل القبروان قال: «لقد لقيت امرأتين وهما تبكيان وتقولان: لو كان في السماء إله لغير هذا الفعل». وكان ذلك في شهر رمضان. فقلت: ويلكما! أتكفران في شهر رمضان؟.

دش 126
تنكيل عسكر أبي
يزيد بالنساء

* فقالتا: قبحك الله! أتكفرنا، وهؤلاء يدعون أنهم مسلمون، وقد ارتكبوا منا الحرام في شهر رمضان؟

ونقول: نعوذ بالله من هذه العقيدة⁽¹⁶⁴⁾، ومن المحن المؤدية إليها. وإن الله سبحانه هو خالق العدل والرحمة، المنزه عن الجور، [لا] كما يقول الجاهلون من العامة. وإنما هي شدائد تكون إملاء للظالمين وتمحيصاً للمؤمنين ليزداد الممتحنون من أهل الإيمان من

(163) التركيب هنا ملتبس، فحاولنا تقويمه شيء من الريادة والتغيير. والأمصار هي الأمعاء

(164) أي السحلة الخارجية النكارية

الله ثواباً، والظالمون المتمادون في الإثم والعدوان إثمًا وعقاباً ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (إبراهيم، 42)، كما قال تعالى في كتابه، وله العزة والافتدار.

وأتى رجل إلى أبي يزيد فقال له: «لقد مررت بقوم من البربر في شهر الله / المعظم⁽¹⁶⁵⁾ ارتكبوا الفاحشة من نساء، ثم شقوا بعد ذلك بطونهنّ وفروجهنّ يطلبون بزعمهم دراهم ودنانير، فلم يجدوا شيئاً.

فقال أبو يزيد اللعين: إنهم مشركون، وذلك حلال في سؤال، وهو أعظم أجراً في رمضان.

وأتى بأنواع (ر 133 أ) الكفر والتكر، وبلغ مبلغاً عظيماً من استحلال ما حرّم الله لم يبلغه (ط 209) أحد من الدهر.

واجتمعت كتامة وتآلفوا في موضع من بلادهم يقال له «الشرف الأحمر»⁽¹⁶⁶⁾ بقرب قسطنطينة⁽¹⁶⁷⁾ من أرض المغرب، على أنهم يأتون * بجمعهم وعساكرهم لنصرة أمير المؤمنين (عم). فأخرج أبو يزيد رجلاً يقال له: «ركو -المزاتي» في جموع عظيمة من أهل ورفجومة وغيرهم، فأوقع بالكتامين وبدّد شملهم. وورد كتابه إلى أبي يزيد فسرّ سروراً عظيماً، وقد كان عظم خوفه لهم⁽¹⁶⁸⁾.

(165) في الجميع، غير «ه»: في شهر رمضان.

(166) الشرف الأحمر بلاد كتامة. وسيأتي ذكر موضع آخر بهذا الاسم، في فحص القيروان (ص 357).

(167) قسطنطينية في الأصل، والتصويب من المطبوعين، ومن السياق واس الأثير، 305/6.

(168) ذكر ابن الأثير، 305/6 هذه الهزيمة لكتامة في بلادهم، ولم يسمّ ركو المزاتي ولا غيره وفي المقابل ذكر وصول زيري بن مناد في صنهاجة، وهو مدد سكت عنه الداعي إدريس.

وكانت البربر تنتهب ما بإفريقية وترجع إلى عسكر أبي يزيد.
فحين أفنوا ما بإفريقية كلها، توقفوا عن الوصول إلى أبي يزيد، ولم
يبق معه غير أهل جبل أوراس وبنى كملان. فحين اتصل أمر
تفرقهم بأمر المؤمنين القائم بأمر الله (عم) أمر الأولياء بالخروج إليه
لسبع مضت من ذي القعدة (جوان 945) فكان بينهم قتال شديد،
وعاد/ كل إلى موضعه.

306

وزحف الأولياء إليه أيضاً يوم السبت فلم يخرج إليهم أحد،
وأبو يزيد يبعث كل يوم في طلب الناس إلى البربر وإلى جبل
أوراس وإلى أعمال إفريقية، فكان إذا أتاه قوم ذهب عنه آخرون.
ثم لما كان يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة،
زحف الأولياء إلى أبي يزيد، وقد أتته عساكر من البربر، فاجتمع
الفريقان بالماء المالح * وكان بينهم قتال شديد قتل فيه جماعة من
أصحاب أبي يزيد، منهم رجل يسمى «خليفة» كان من أخص من
لديه وأقربهم إليه، فعظم ذلك على أصحاب أبي يزيد.

وقعة أخرى بالوادي
المالح بسعي من
القائم: 11 ذي
القعدة / 25 جوان
945

دش 128

وخرج الأولياء إليهم أيضاً يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة
خلت من ذي القعدة، فغنموا دواب من حول عسكر أبي يزيد
ورجعوا إلى المهدية.

ولما كان يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت⁽¹⁶⁹⁾ من ذي
القعدة، خرج الأولياء حتى أشرفوا على محط أبي يزيد، فخرج أبو
يزيد في غزاته وخوَص أصحابه (ر133ب) فأخذ على ميمنة القتال، وقد
كان التقى عسكره والأولياء، فقويت قلوب البربر، وكانت على الأولياء
هزيمة قتل منهم فيها خلق كثير، وهبت ريح/ عاصف أظلم لها
الجو (ط 210)، وعرف ذلك اليوم بـ «يوم الرياح».

307

(169) في الجميع، ما عدا «دش». نقيت، وهو خطأ واضح.

وتمادى الحصار على مَنْ بالمهدية، وهرب منهم كثير في المراكب إلى الروم ومصر وطرابلس وصقلية. ووافت أبا يزيد اللعين جيوش عظيمة كثيرة يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذي القعدة (جويلية 945). فخرج بعض جيوشه وسارع قوم من عسكره إلى جانب المهدية. فخرج إليهم الأولياء [وانهزم الأولياء]⁽¹⁷⁰⁾. واتصل خبر القتال بأبي يزيد فسار إليهم فوافى أصحابه منصرفين وعرفوه بظفرهم فقال لهم: «فارجعوا لقتال القوم!» قالوا: «أنا قد رجعنا على ظفر؟» فأبى إلا التماذي. ورجع القوم معه حتى صاروا بقرب الأولياء. فلما عرف الأولياء أن أبا يزيد قد زحف بنفسه، وعلموا مكانه، اختاروا منهم مائتي فارس من حماتهم وكماتهم فقصدوا أبا يزيد وحملوا عليه لا يلوون على غيره، والناس في القتال، فقتلوا في تلك الحملة كثيراً من غزاة أبي يزيد الذين حوله، وقوماً كانوا من الزويليين معه⁽¹⁷¹⁾. وخلص أبو يزيد بنفسه بعد أن استمات أصحابه عليه وترجلوا عن دوابهم. وأسر الأولياء خلقاً كثيراً منهم فربطوهم بالحبال وأدخلوهم المهدية، وقوي الأولياء بعض القوة.

دش 129

حملة أخرى على
المهدية: 28 ذي
القعدة 12/333
جويلية 945

308

وأرسل أبو يزيد في طلب الجنود والحشود/ فوافته بنو كملان وبنو إيليان ولوآة في ألف فارس، وأتاه مثلها من نحو باجة من ابنة أيوب.

ودخلت سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة

فخرجت في شهر المحرم (أغسطس 945) مراكب من المهدية تريد صقلية مشحونة بالعيالات والأموال فهبت عليها ريح عاصف وأرسلوها (ر 134 أ) فخرجت عليهم مراكب من سوسة، وأروهم أنهم

(170) انفردت «هـ» بهذه الإضافة، وهي زيادة واجبة كما سيظهر من السياق.

(171) هذه أول إشارة إلى انفصال العبيد الزويليين عن الأئمة، وهم في الأصل من عبيدهم المجلّين من فزان. وقد تعرفنا إلى زويلي آخر شديد العداء للفاطمين، وهو أيوب الزويلي أبو سليمان أحد قواد أبي يزيد الأشداء

من المهدية ليستأنسوا بهم ثم قصدوهم فغلبوا على مركبين صغيرين من تلك المراكب فقتلوا مَنْ بهما وانهبوا ما فيهما من الأموال وجاؤوا ببعضها إلى الدجال*.

دع 130

وفي هذا الشهر ظهر نائر أدعى أنه من بني العباس في ناحية باجة، وأجابه كثير من الناس. فاحتال فيه أيوب بن مخلد الدجال حتى أخذه أسيراً وأرسل به إلى القيروان إلى أبي عمار الأعمى. ووجدت معه أعلام سود مكتوب في كل علم منها: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، المهدي بالله». وأتاه أبو عمار بقوم من بغداد، فسألوه عن صفة بغداد، وفي (ط 211) أي ناحية منها كان سكونه⁽¹⁷²⁾ فلم يعرج جواباً. فأمر به أبو عمار الأعمى و[ب]مَنْ معه من أصحابه فصلبوا في القيروان في باب أبي الربيع.

ناثر يدعو إلى
العباسيين من وراء
أبي يزيد

وفي هذا الشهر قدم / بنو وشير إلى أبي يزيد، وهم من البربر، وكانوا يتوالون أمير المؤمنين، وكانوا ممن قاتل أبا يزيد بباغاية. فرغبهم أبو يزيد فوصلوا إليه وكانوا ستين رجلاً. فأمر أمير المؤمنين (صلعم) حسن بن علي بمكاتبتهم، لما يعلم من موالاتهم، فأجابوه وفروا عن الدجال إلى معسكر أمير المؤمنين. فأجزل صلاتهم، وصابحوا عسكر الدجال بالقتال مع الأولياء، فكانت لهم جرأة ونكاية في العدو.

309
بنو وشير يفصلون
عن أبي يزيد

وزحف الأولياء يوم الخميس غرة شهر صفر (سبتمبر 945) فبلغوا إلى خندق أبي يزيد وطافوا به فلم يخرج إليهم أحد.

ثم زحف الأولياء إليهم يوم الجمعة. وكان فيه قتال شديد، نصر فيه الأولياء على أصحاب أبي يزيد وعادوا ظافرين⁽¹⁷³⁾.

(172) السكون مصدر سكن بالمكان، قال كثير: وإن كان لا سُدَى أطالت سكونه...
(173) لا يدقق الداعي إدريس في سرد هذه الوقعات الحزنية، ولا يفصل نتائجها، مما يدل على أنها كانت مناوشات لا غير.

* واتفقت بين البربر وإبراهيم بن أبي سلاس أمور وأسباب، دش 131

وكانوا قد حسدوه على قربه من أبي يزيد. وهو الذي خرج من الأريس حين قرب أبو يزيد من نواحي إفريقية، وقد ذكرنا أمره⁽¹⁷⁴⁾. فأفسد البربر بينه وبين أبي يزيد وسعوا به إليه حتى خافهم على نفسه. فمالاً كثيراً من الجند على الرجوع إلى طاعة أمير المؤمنين (عم) والكون في حملته، فأجابوه إلى ذلك. وكاتب أمير المؤمنين (عم) وسأله (ر134ب) أن يخرج عسكرياً لقتال البربر ليصير إليهم [هو] ومن أطاعه من الجند، وأن يخرجوا معهم علماً أحمر ليكون علامة لهم ليصيروا إليه. فأخرج أمير المؤمنين (عم) الأولياء يوم الأحد لأربع خلون من صفر، فركبوا إلى معسكر أبي يزيد وناشبو القتال. وخرج أصحاب الدجال على ما جرت عليه عاداتهم، وإبراهيم بن أبي سلاس قد امتاز ناحية عنهم بالذين معه، وكانوا ثلاثمائة فارس. فحين نصبوا لهم العلم الأحمر، حملوا كأنهم يريدون القتال، فوصلوا إلى العلم وصاروا في جملة الأولياء، وسلم بعضهم على بعض، وكرّوا مع الأولياء على أصحاب أبي يزيد، فقتل خلق عظيم من البربر، وكان لجنود الإمام القائم بأمر الله (عم) الظفر (ط 132). . . ووصل إبراهيم بن أبي سلاس ومَن معه إلى المهديّة، فدخل إبراهيم وأكابر * الجند إلى حضرة أمير المؤمنين (عم) فقبلوا الأرض بين يديه، وتضرّعوا في العفو إليه، وتابوا عن⁽¹⁷⁵⁾ ذنوبهم وتنصّلوا من عظيم حوبهم، وأكثروا البكاء وأظهروا الندم. فرحمهم الإمام القائم (عم) وعفا عنهم، وخلع عليهم وأحسن إليهم.

دش 132

(174) في حصوص تقلّب ابن أبي سلاس في ولائه، انظر ص 258 هامش 61 وص 263 هامش 70.

(175) في الجميع: من

ثم أمر أمير المؤمنين الأولياء بالخروج إلى أبي يزيد فخرجوا إليه. وركب أبو يزيد بجنوده وجميع حشوده، وخرج إلى قتالهم بنفسه. وكان قتال عظيم استمات الفريقان فيه، وقُتل جماعة من الأولياء، وقُتل من أصحاب أبي يزيد أكثر من مائتي رجل. وانصرف الفريقان عند الرواح، وقد أثنوا بالجراح.

يش الثوار من أخذ
المهدية...

ولما هرب الجند مع ابن أبي سلاس، وكانت هاتان المعركتان في يومين متواليين، وطال الأولياء فيهما على المارقين النكارية، ضاقت⁽¹⁷⁶⁾ بهم الأحوال، وخافوا أن يعاودهم الأولياء القتال، ففترق أصحاب أبي يزيد عنه، وفروا منه، ولم يبق معه غير بني كملان وهوارة أوراس، وبهم كان يثق، وعليهم يعول. فاجتمع بعضهم إلى بعض بغير علم أبي يزيد ولا مشورته وقالوا: «قد افترق عسكرنا، ولا نأمن أن يصابحنا الكتاميون (ر 135أ) فنهلك. والرأي أن نتوجه إلى القيروان ونحشد أهلها مع سائر البلدان * ثم نعود إلى موضعنا في عدة وعدد». ثم ركبوا وهربوا من محط أبي يزيد، فلم يشعر حتى قد مضوا. فخرج في ثلاثين فارساً يريد أن يردّهم فامتنعوا ولم يرجعوا، ولا أمكنه/ الرجوع إلى مناخه. فسار أبو يزيد إلى القيروان، ورفع الله المحنة عن أوليائه الثابتين على الطاعة والإيمان، وفرّج الله عنهم ما كانوا فيه من الحصار ببركة وليه أمير المؤمنين القائم بأمر الله إمام ذلك الأوان، صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين الكرام، وعليهم من الله أسنى التحية وأفضل الصلاة والسلام.

.. ففترقوا عن
أبي يزيد..

دش 133

312

.. فاضطر إلى
فك الحصار

وحين انتهى إلى أمير المؤمنين (عم) رحيل الدجال، أمر الأولياء بالخروج إلى معسكره، وأن يعلموا حقيقة أمره: فوجدوا

(176) في الجميع: وضائق. وجعلناها جواباً

الفايزات خالية، والرجال عنها نائية. ومنحهم الله جميع ما في معسكر الدجال ومناخه من الأمتعة والأنفال والأخبية والفايزات والطعام والزيت والعسل وصنوف المآكل⁽¹⁷⁷⁾ فامتلاّت منها أيديهم، ورجعوا بها إلى أهاليهم بعد شدة الجهد والحصار، وما نالهم من أعداء الله الأشرار.

قال القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه): «قال الإمام المعزّ (صلع): ألا أخبركم عن جملة ما أنفق أمير المؤمنين القائم بأمر الله في تلك الفتنة؟

نقل عن النعمان: القائم قدّر سلفاً جملة المصاريف..

قلت: بلى، يا أمير المؤمنين، فأنّا لنحبّ ذلك.

313
دش 134

«فقال*: أمر (عم) هذا - وأوماً إلى خازن بيت/ مال القائم (عم)، وهو بين يديه - أن لا يُخرج من النفقة في ذلك إلا من ماله، وعزل له مائة ألف دينار وأثني عشر ألف درهم وقال له: احذر أن تنفق في شيء من أمر هذه الفتنة من غير هذا المال. فإنك إن أنفقت شيئاً من غيره، ذهب ضياعاً. ولا بدّ أن يتفد هذا المال في هذه النفقة كلّهُ.

«(قال المعزّ - صلع -): فوالله ما زاد عليه ولا نقص منه، ولا كان إلاّ كفاف النفقة في ذلك حتى انقضت الفتنة بفراغه.

.. التي ستفق في فتنة أبي يزيد

«ثمّ نظر إلى (ر 135 ب) الخازن فقال: أليس كذلك كان الأمر؟ قال: نعم، كذلك أمرني أمير المؤمنين القائم بأمر الله (صلع)، وما أنفقت غيره، وما بقي منه درهم فما فوقه، ولا احتيج إلى غيره»⁽¹⁷⁸⁾.

(177) في «دش»، سقط تعداد الأصناف فصار النصّ: .. ومناخه من المآكل.
(178) انظر هذه الرواية في المجالس والمسايرات، 551، وشيخ تصحيح مقدار الدراهم هناك إلى اثني عشر ألفاً، حسب ما جاء في نقل الداعي إدريس.

رجوع أبي يزيد
خائباً إلى القيروان

ووصل مخلص إلى القيروان⁽¹⁷⁹⁾ في قليل من العدد، ويسير من
العدد، بذل الهزيمة، وضعف العزيمة. فبات بمصلى القيروان.
وخرج إليه صاحبه أبو عمار الأعمى فعنقه ووبّخه وقال له: «تشاغل
عن الجهاد، وأكلت لذيق الطعام، ولبست لين الثياب، وافتضضت
الأبكار حتى أحببت ثمانى عشرة امرأة هنّ الآن مقيمات في
عسكرك، وكثر ما أتيت به من منكرك. ما هكذا * يفعل من قام لله
وأظهر (ط 214) نصر دينه.

دش 135

فقال له أبو يزيد: صدقت، وإنما كان / ما كان لذنوبي، وأنا
متنصل ممّا فعلتُ.

314

وأظهر التوبة بزعمه على يد أبي عمار، وأشهد أصحابه على
نفسه، ورجع إلى لبس الصوف وركوب الحمار. وكان فيما يقال من
أذلّ خلق الله إذا خاف، وأكثرهم بطراً وأشرّاً إذا أمن.

ولما رأى أهل القيروان ما هو عليه من الذل والقل، وما بلغ
به من الهزيمة والقل، خافوا من عساكر أمير المؤمنين أن تأتيهم،
وعرفوا ما قدّموه من بغيتهم وتعديهم. فاجتمع وجوههم عند محمد
ابن ميمون البلوقي وابن عمّ له يقال له موسى، فكاتبوا أمير المؤمنين
أن يوجّه بعساكره إليهم، وضمنوا له القبض على أبي يزيد متى
اتصلت جنود أمير المؤمنين (عم) إليهم. فلم يجبه أمير المؤمنين
(عم)، إلّا أنّه قال لرسولهم: «إنّ كان الأمر كما يقولون، فما
يمنعهم أن يأخذوه؟ وقد بقيت للفاسق مدّة لا بدّ أن يبلغها». فانصرف الرسول إلى أهل القيروان بغير جواب. وبلغ ذلك أبا يزيد

أهل القيروان
يتشاورون في
الرجوع إلى
الإمام...

(179) في الكامل، 306/6، كان وصوله إليها في سادس صفر، ممّا ينمي أن تكون
دارت وقعة بالوادي المالح في صفر 334، كما قال المالكي في وفاة ربيع
القطان (رياص، 345/2).

فطلبهم ووعدهم وأرضاهم بالقول وخوفهم من أمير المؤمنين (عم) وقال لهم: «إنكم قد ظاهرتُمونا عليه وأسأتم إليه، وإنكم بعد ذلك/ لا تأمنونه وإن أظهر لكم الأمان (ر 136 أ) ولا ينسى ما صنعتُم معنا بأوليائه، يا أهل * القيروان». فاعتذروا إليه وانصرفوا عنه.

دش 136

.. وكذلك أهل
سوسة وبقيّة
المدن.

وتسامع من كان تفرّق من عسكره بوقوفه بالقيروان، فجاؤوا من كلّ جهة إليه، ووفدوا من كلّ وجهة عليه. وكان أهل مدن إفريقيّة، لما اتّصل بهم هزيمة الدّجال من حصار المهدية، كاتبوا أمير المؤمنين (عم) أن يبعث عمّاله إليهم. وقبض أهل سوسة على أحمد الهواريّ عامل مخلد الدّجال، وعلى جماعة معه، ووجّهوا بهم إلى أمير المؤمنين. فحمد ذلك من فعلهم، ووجّه إليهم أمير المؤمنين سبعة مراكب مشحونة بعبئده، وقود عليهم رجلاً منهم يقال له عباس بن منذورة لضبط مدينة سوسة، وضبطها أحسن ضبط حتى قدم عاملها الحسين بن ناكسين من قبل أمير المؤمنين (عم).

وكتب الدّجال (ط 215) أبو يزيد إلى البربر يستنهضهم ويلومهم ويوبّخهم على افتراقهم عنه وتركهم إيّاه، فتوافدوا إليه. وخرج أصحابه إلى المدن والبلدان ليدفعوا أولياء أمير المؤمنين (عم) عنها، وأمرهم بالمسابقة إليها، وأوصاهم بالقتل والنهب والسلب، على ما جرت عاداته، وشاع به ظلمه، واستمرّت عليه أحواله/.

أبو يزيد يوجّه قوادة
لإرجاع المدن إلى
طاعته:

ووجّه أبو يزيد مسنويه بن بكر الكملانيّ وعياض بن أحمد الهواريّ إلى تونس. وكان أمير* المؤمنين (عم) وجّه إلى تونس عمّار ابن عليّ في جماعة من الكتّامين. ووجّه (عم) إلى باجة عقبان بن الحسن الجيمليّ، ووجّه إليها الدّجال أيّوب بن خيران (الزويليّ) المعروف بأبي سليمان. وأخرج الدّجال فليح بن محمد الهواري، وكان قاضيه في هواره أوراس، إلى الأريس.

فلما خرج أصحاب أبي يزيد عنه، فعلوا بوصيته، ومضوا على شاكلته، فلم يَمروا ببلد إلا قتلوا أهله واستبوا نساءه وولدانه. فأخربوا البلاد، وأهلكوا العباد، وفعلوا أفعالاً لم يسمع بمثلها من بعدها وقبلها، ولا جرت الفراعنة الأولى على شكلها.

وسبق مسنويه وعياض فيمن معهما من جنود البربر (ر 136 ب) عمار ابن علي والكتاميين الخارجين من المهدية، إلى تونس، فاستولت البربر عليها وملكوها بالسيف يوم السبت لعشر خلون من صفر، فأنهبوا ما فيها وقتلوا أهلها واستبوا ذراريها، وأحرقوا المسجد الجامع فيها. ولجأ كثير من أهلها إلى أن ارتموا إلى البحر فماتوا غرقاً، ونجا منهم من نجا فماتوا جوعاً وهزالاً.

مسنويه الكملاني
وعياض الهواري
إلى تونس...

وأقبل عمار بن علي والكتاميون، فخرج عياض ومسنويه ومن معهما/ من البربر لحربهم، فاجتمع الفريقان بموضع يقال له «بنو صلتان»، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكثرت جموع البربر على الأولياء * فهزموهم. وحال بينهم الليل، فالتجأ الأولياء إلى جبل الرصاص من أعمال تونس، ثم توجهوا إلى باجة فدخلوها، ثم خرجوا منها إلى صطفورة⁽¹⁸⁰⁾.

317
دش 138

ورجع مسنويه وعياض والبربر إلى تونس فاصطفوا أموالها وسباياها وتوجهوا بجميع ذلك إلى القيروان. ثم عاد عمار بن علي (ط 216) والكتاميون إلى تونس، وقد اجتمع معهم خلق عظيم من أهل تلك النواحي. وخرج البربر مع مسنويه وعياض من تونس للقاء الأولياء، فاجتمعوا بوادي بجرده⁽¹⁸¹⁾ ووقع القتال بين الفريقين، فانهزم البربر

(180) صطفورة هي المنطقة الشمالية الشرقية من البلاد التونسية، من منزرت إلى مصب محردة.

(181) نهر بجرده هو نهر محردة اليوم الذي يقطع البلاد من الشمال الغربي إلى الشمال الشرقي.

وقتل منهم ناس كثير. وحال الليل بينهم، وأثنى مسنويه بن بكر الكملاني جراحاً. وبلغت هزيمة البربر إلى مدينة تونس، فركب⁽¹⁸²⁾ الأولياء إلى مدينة تونس خلفهم يوم الأربعاء لخمس خلون من شهر ربيع الأول (أكتوبر 945)، فأخرجوا البربر من تونس بعد أن قتلوا منهم مقتلة عظيمة، وبلغ البربر بهزيمتهم إلى القيروان. وأصاب الأولياء بكورة تونس / ثلاثة آلاف جمل محملة طعاماً وغير ذلك، فتوجه بها عمار بن علي راجعاً إلى المهدية إذ كانت تونس خراباً لا مقام فيها ولا أهل لها. فلما وصل عمار إلى مدينة سوسة وافاه كتاب أمير المؤمنين (عم) أن يقيم في مدينة سوسة.

318

ولما وصل عقبان الجيملي ومن معه من الأولياء (ر 137 أ) إلى باجة، أصابوا بها بقية من أهلها كانوا يقيمون بها * الليل، ويخرجون النهار إلى الصحاري والقفار حذراً من البربر، واجتمع لعقبان جماعة ممن حول باجة من القبائل.

دش 139

ووجه أبو يزيد مسنويه الكملاني، وعياض الهواري، وابنه أيوب، وعلي بن بدر المصري⁽¹⁸³⁾، في عسكر عظيم، فدخلوا تونس مرة أخرى وقتلوا من بقي فيها وأخربوا باقيها. ثم توجهوا إلى باجة فخرج إليهم عقبان بن الحسن الجيملي ومن معه، فقتل ومن معه جميعاً رحمة الله عليهم. ودخل البربر مدينة باجة بالسيف فقتلوا من أصابوا بها وأحرقوها بالنيران واستبوا نساءها. وكان السبي والنهب بنواحي إفريقية في إقبال البربر وإدبارها، وغدوها ورواحها. وكانت البربر تدخل بالسبي والنهب إلى القيروان / ما لا يحصى كثرة، وكلما اتصل ذلك بمخلد، وما يلقي المسلمون ونساؤهم

. وأيوب ابنه إلى
باجة

319

(182) في الجميع - وركب

(183) في دش: الحصري، ولا نعرف هذا القائد

وأولادهم من البربر، سرّه ذلك وأبهجه، وأقرّ قلبه وأثلجته. وذكر له
ذاكر ما يلقي الناس من بغيهم، وما هم فيه من ضلالهم وغيهم،
فقال: «والله لأقتلن جميع من في المغرب بمن قتل من أوليائي!»
فقال له بعض جلسائه: «العفو أقرب إلى التقوى». فأغضبه ذلك
وأقبل يهيج كالبعير، ويكثر من القول النكير*.

دش 140

(ط 217) وعمل محمد بن مؤمن البلوقي وموسى ابن عمّه في قتل
مخلد، وحالفا على ذلك جماعة من البربر يسمّون بني بياضة،
واستمالا رجلاً يقال له عليّ بن بدر المصري من كبراء من مع أبي
يزيد، وكتبوا إلى أمير المؤمنين بذلك، وتعاهدوا على أن يغدروا
بأبي يزيد في حين ركوبه. فمضى رجل من بني بياضة إلى أبي
يزيد فأخبره ما هم فيه وما تمالؤوا عليه. فأمر أبو يزيد بقتل بني
بياضة في دورهم، وما زال اللعين بمحمد بن مؤمن البلوقي وابن
عمّه حتى قتلهما رحمة الله عليهما.

أهل القيروان
يتآمرون على أبي
يزيد...

وهجم البربر في يوم قتلهما (ر 137 أ) على رجل من وجوه أهل
القيروان، فأخذوا نعمته وحرمة وثلاث بنات أبكار كنّ له، ونجا
الرجل بنفسه في الليل. فحين صلّى الناس صلاة الصبح في جامع
القيروان/ قام الرجل مستغيثاً، وصاح وبكى، وعجّ واشتكى. فقام
كثير من أهل القيروان معه وصاحوا: النفي! النفي! حتى اجتمع
خلق عظيم، وخرجوا في الشارع الأعظم⁽¹⁸⁴⁾ يستغيثون إلى الله جلّ
ذكره. ووصلوا إلى أبي يزيد فأسمعوه قبح الكلام وأغلظوا له في
القول. فلطّف بهم واعتذر إليهم، وحبس الذين فعلوا ذلك من *

320

.. للتخلص من
العسف والاضطهاد
المسلّط عليهم..

دش 141

(184) الشارع الأعظم أو السماط الأعظم بالقيروان: هو السوق الرئيسي فيها، يمتد من
باب أبي الربيع إلى الجامع وربما إلى باب تونس، وطوله ما يريد على ميلين
(انظر. رياض الفوس، 49/2)

البربر، وأخرج حرمة الرجل وبناته من دورهم. وانصرفت جماعة أهل القيروان عن أبي يزيد فوافوا رجلاً مذبوحاً وأهله يحملونه. فسألوا عن أمره، فذكروا أن فضل بن مخلد الدجال ذبحه وأخذ ابنته، وكانت ذات جمال. فحمل الناس الرجل المذبوح إلى الجامع وصاح الناس: «لا طاعة إلا طاعة أبي القاسم أمير المؤمنين!» وكادوا أن يشبوا على البربر في دورهم. وخرج فضل بن مخلد ليسكن الناس في جماعة معه فسبّوه وسبّوا أباه أقبح سبّ وقالوا: «لا ذمة لكم، ولا أمان لمن أمّتم!»⁽¹⁸⁵⁾، ورجلوا قوماً من البربر عن دوابهم. وبلغ أبا يزيد فعلهم فخرج في جماعة كثيرة معه إلى باب تونس، وخاف أن يوقع أهل القيروان به. واجتمع إليه جماعة من أصحابه فلاموه وقالوا: «هجت العامة على نفسك، والسلطان من ورائك، ولا تأمن أن يكاتبوه ويمنعونا مدينتهم/ حتى يأتي عسكره». فاعتذر إليهم وعاهدهم ألا ينهب أحداً من أهل القيروان، ولا يغيّر عليهم أمراً، ولا يروا منه منكراً (ط 218).

.. وعلى كافة
جهات إفريقية..

321

وكثر دخول السبي مع البربر إلى القيروان، فرغبوا إلى أبي يزيد وسألوه أن يكفّ عن السبي، فأجابهم إلى ذلك وأمر بالنداء في عسكره: «من سبي حرّة أو أمّ ولد، فقد حلّ دمه!» وكان هذا النداء في أول النهار، ودخل عسكره في آخره *. فخرج أهل القيروان فانتزعوا السبي عنهم في ذلك اليوم واليوم الذي يليه. فيقال إنهم انتزعوا في ذينك اليومين ألف⁽¹⁸⁶⁾ محصنة من امرأة وطفلة. واتصل ذلك بأبي يزيد فغضب له وقال: «يمنعون أصحابي من حقهم،

دش 142
.. فيعدهم أبو
يزيد بالانتها..

(185) في الجميع: لا ذمة ولا أمان لكم ولمن أمّتم.
(186) في المخطوطين: ألف ألف، وفي الطبع: أربعة آلاف. وانتزع السبايا من أيدي الغاصبين بدأ به سحنون بن سعيد في قصته مع بعض قواد الأغالبة (أنظر معالم الإيمان ج 58/2).

ويحولون بينهم وبين ما أحلَّ الله لهم. » فقال له بعض البربر: « ألم تناد بالأمس أن لا تسبى حرّة ولا أمّ ولد، وعاقدت القوم، وعاهدتهم عليه؟ ولقد شاع في الناس أنه لا ذمّة لك، ومال الناس عليك ونفروا منك. »

وكان أبو يزيد وجّه سليمان الأعجمي الأسود إلى الجزيرة في عساكر كثيرة فحاصر بني زلال، وقد التجؤوا إلى بعض حصونها، فبذلوا له مالاً كثيراً ليرك حصارهم فتركه وانصرف إلى القيروان. ورجع أبو سليمان أيوب بن خيران من تونس إلى القيروان، فأخذ على الجزيرة، ولم يمرّ بمنزل إلّا سبى / نسائه وقتل وأحرق بالنار. ثمّ تألب أهل الجزيرة بالخلاف على أبي يزيد، فطردوا من كان عندهم من قديم الأيام من البربر. فانتقلوا من تونس إلى القصر القديم فترلوا مستنديّن إلى أبي يزيد. وكانت الرفاق⁽¹⁸⁷⁾ تخرج من الجزيرة بالطعام وجميع المرافق إلى المهدية، وخیول أبي يزيد تخرج من القيروان فتقطع عليهم وتذهب بما تذهب ويسلم ما يسلم *.

322

.. ولكنّها وعود
كاذبة

دش 143

وكان ثوبان بن أبي سلاس⁽¹⁸⁸⁾ مقيماً بالأربس. فحين اتّصل به هروب أبي يزيد عن محاصرة المهدية ورجوعه إلى القيروان، جمع حوله بني عمّه ومن كان بالبلد ودعا لأمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم). فأخرج مخلص الدجال فليح بن محمّد الهواريّ إلى الأربس كما قدّمنا ذكره. فحين اتّصل بفليح فعل ثوبان، عدل إلى مرماجنة فجمع من بها من هواره وبني كملان، وزحف إلى الأربس

(187) الرفاق ج رفقة بالتثنية، وهي جماعة المرافقين والقافلة المحروسة.

(188) يظهر أنه والد إبراهيم الذي انفصل عن أبي يزيد والتحق بالمهدية (أنظر ص 309 وهامش / 174)

فقاتل من بها أياماً، وكانت الحرب مرة لهم (ر 138 ب) ومرة عليهم. ثم إن البربر تكاثروا وأتوا الأريس من جميع جهاتها فغلبوا عليها. وخرج ثوبان فيمن معه ليلاً إلى قلعة شقبنارية⁽¹⁸⁹⁾ ففعدوا بها مع من بقي من الجند. ودخل البربر مدينة الأريس فانتهبوا وقتلوا من أصابوا فيها، وسبوا نساءها. / فيقال إنهم أخذوا لبني أبي سلاس ستين حرة من بنات وأخوات وزوجات، سوى الموالي والمماليك. وهدمت الأريس وأحرق كثير منها بالنار. وبقي ابن أبي سلاس ومن معه بقلعة شقبنارية، وانضم فليح الهواري ومن معه من جموع البربر إلى أيوب بن أبي يزيد فصاروا في جماعته، ومعهما جماعة عظيمة.

323

وكتب أهل إفريقية إلى أمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم) يشكون إليه ما حل بهم من القتل والنهب والسلب * ويضرعون إليه أن يخرج واحداً من رجاله إلى جبل شعب⁽¹⁹⁰⁾. فأخرج إليه أمير المؤمنين الحسن بن علي في مائة فارس من ملوسة إجابة لهم، وأمر الحسن بن علي على العسكر الذين مع أخيه عمار بن علي بسوسة، فانضموا إليه. وأعطى الناس الأرزاق وخرجوا إلى تونس. فلقي جماعة من أصحاب أبي يزيد بوادي الرمل⁽¹⁹¹⁾ فقتلهم وأخذ ما كان معهم من الأموال والمواشي. وسار في اليوم الثاني. فحين انتهى إلى القرب من فندق شكل⁽¹⁹²⁾ لقي خيلاً لأبي يزيد مع جمال

دش 144
خروج الحسن
الكلبي إلى ناحية
زغوان ثم تونس

(189) هي مدينة الكاف الحالية.

(190) جبل شعب. لعله جبل زغوان، كما أكد الدشرابي، وإن كان البكري، 46 سمي جبل زغوان باسمه.

(191) وادي الرمل ووادي الرملة: نهرا مختلفان بين جبل زغوان وحليج الحمامات. فوادي الرمل ينحدر من جبل الحربي إلى بوفيشة فالبحر. أما وادي الرملة فيمر بقرية الزريبة قبل أن يلتحق بوادي الرمل. والاسم بعد متشر ببلادنا، مثل الوادي المالح، وقد يتخذ النهر الواحد أسماء مختلفة من منبعه إلى متهاه.

(192) فندق شكل: ذكره البكري، 46، من بين قرى جبل زغوان. ولمحمد الطالبي: =

وبغال، فأسلموها إلى الأولياء ونجّوا بأنفسهم. وبات الأولياء ليلتهم تلك بمنزل داود⁽¹⁹³⁾. واتّصل بهم موت عقبان عامل باجة رحمة الله عليه، وقد قدّمنا ذكر ذلك⁽¹⁹⁴⁾. واتّصل بهم أيضاً أن أيّوب بن أبي يزيد قد/ ملك البلد بأسره. فاغتمّ الأولياء وكرهوا الانصراف إلى المهديّة وصاروا إلى تونس. فحين قربوا منها وأفوا ألف جمل ودوابّ وبغالاً كثيرة تحمل الطعام والأمتعة إلى مدينة القيروان، ومعها خمسون (ر 139 أ) فارساً من البربر وأربعمائة راجل. فقاتلهم الأولياء حتى غلبوهم على تلك الأحمال جميعها وعادوا إلى تونس. فوقع بين الفريقين قتال عظيم وظفر الأولياء وانهزم البربر واحتوى الأولياء على أخبيتهم (ط 220).

دش 145

اجتماع قوّاد أبي
يزيد على الحسن
ابن عليّ ..

ودخل الحسن بن عليّ تونس من * يومه. وأتاه أهل البلد، ولا متاع معهم، وقد لبسوا الجلود والأنطاع، فأمنهم وصرفهم إلى أوطانهم. وأقام فيمن معه خارج المدينة، وكانت القبائل الذين حولهم بين طائع ومتوقّف. واتّصل دخولهم تونس بأبي يزيد فأرسل إليهم جنوداً يتبع بعضها بعضاً، عليهم يدرس المزيّ، وموسى الصنهاجيّ، وأبو سليمان [أيّوب] الزويليّ وغيرهم، ففعدوا بوادي الرمل. وكتب مخلص أيضاً إلى سليمان الأسود وهو بالجزيرة قد انصرف عن محاصرة بني زلال كما قدّمنا ذكره، فأقبل بمن معه، واجتمع مع جند أبي يزيد فصاروا عساكر عظيمة، ورجعوا إلى تونس. فبرز إليهم الحسن بن عليّ ومعه / ثلاثمائة فارس وألف راجل فالتقوا بموضع يعرف بـ «خندق ميمون»⁽¹⁹⁵⁾، فوقع بينهم

325

= الإمارة، 173 هامش 5، والترجمة، 195 هامش 167 ملاحظة مطوّلة في شأن المواقع بين القيروان وتونس قد تحدّد موقع هذا الخندق.

(193) منزل داود: لم نقف عليه في مراجعنا

(194) مرّ مقتل عقبان في ص 318.

(195) لا نعرف هذا الموضع.

القتال الشديد فهزيمهم الأولياء وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وأخذ الأولياء خيولهم وما كان معهم واحتوا على أخبيتهم، ووصل إليهم من الخيل مسرّجة ملجمة ما يزيد على ثلاثمائة برذون، وستة بنود، وثلاثة طبول. ووتناحت الهزيمة على البربر فأسر منهم ألفا رجل قتلوا صبراً في خندق ميمون⁽¹⁹⁶⁾.

.. وهزيمتهم
بخندق ميمون

وقد كان عليّ بن حمدون، حين اتصل به هرب أبي يزيد من ترنوط وانصرافه عن محاصرة المهديّة، جمع جموعاً وهيّأ عساكر، وخرج يريد * المهديّة معاضدةً للأولياء، فأخذ على بلد وزداجة⁽¹⁹⁷⁾ إلى سطيف إلى القسنطينة ثم إلى لواتة، وصار معه منهم إلى بني هراش. ووافاه حسن بن منصور مقدّم بني هراش، وثوبان بن أبي سلاس⁽¹⁹⁸⁾ في جماعة من الجند الذين كانوا معه بقلعة شقبنارية ثم (ر 139 ب) رحل إلى بلطة⁽¹⁹⁹⁾ وضرب مضاربه هنالك. واتصل به هنالك أنّ حسن بن عليّ قد عقد [له] بتونس وأنه قد هزم البربر. فكتب إلى الحسن بن عليّ يعلمه وصوله حيث وصل إليه ويسأله القدوم عليه.

دش 146
تحرك عليّ بن
حمدون نحو
إفريقيّة .

وكان أيوب بن أبي يزيد في باجة. فحين اتصل به وصول علي بن حمدون إلى حيث وصل، زحف بعساكره إليه. وبات (ط 221) بالقرب منه عليّ بن حمدون/ لا يشعر به⁽²⁰⁰⁾ ولا يعلم خبره. ثم

326

(196) نلاحظ أنّ التشفي والوحشية مشتركان عند الفريقين، والداعي إدريس لا يحيي ولا يخفف عن أصحابه في العقيدة، ولعلّ هذه الصراحة راجعة إلى المصدر الذي ينقل عنه.

(197) يظهر من كلام المؤلّف أنّ وزداجة كانوا يقطون بين المسيلة وسطيف، خلافاً لما ذكره ابن خلدون، 144/6 من أنهم مستقرون ناحية (وانظر الرياض 1701/2 وهامش 49)

(198) وأبو الفصل بن أبي سلاس، عند ابن حمّاد، 19.

(199) بلطة. هي اليوم قرية مشرفة على سهل بو سالم بولاية جندوبة وتقع على عشرين ميلاً غربي ناحية

(200) في المخطوط: ولا يشعر به

.. ولكنه يلاقي
حتفه في معركة مع
أيوب بن مخلد

دش 147

صَبَّحَهُ أَيُّوبُ، وَعَلِيٌّ بْنُ حَمْدُونٍ قَدْ رَكِبَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى بَعْضِ الْقَبَائِلِ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَنْجِدَهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ كَثِيرَ الْغَمَامِ مَظْلَمَ الْجَوِّ. فَوَصَلَ إِلَى عَسْكَرِ ابْنِ حَمْدُونٍ فَاسْتَبَاحَ أَخِيَّتَهُ، وَمُضَارِبَهُ وَأَمْوَالَهُ. وَنَجَا ابْنُ حَمْدُونٍ عَلَى فَرَسِهِ وَقَدْ أَثْخَنَ جِرَاحاً إِلَى نَاحِيَةِ بَنِي دِيَارَةِ⁽²⁰¹⁾ فَتَرَدَّى بِهِ فَرَسُهُ فِي بَعْضِ الْأَوْعَارِ فَسَقَطَ وَانْكَسَرَ وَرَكَهُ وَتَهَرَّسَتْ عِظَامُهُ وَمَاتَ هُنَاكَ بَعْدَ أَيَّامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ *.

وكان الحسن بن عليّ حين وصل كتاب ابن حمدون إليه قد خرج إليه يؤمّه، ولم يعلم ما كان من قصّة أيّوب، ولا أنه خبر فعله مع ابن حمدون. وقد انضمت القبائل إلى أيّوب رغبة ورهبة، وتوجّه قاصداً لتونس لقتال الحسن بن عليّ، وهو في جيوش عظيمة وعدّة قوية. فبات وبينه وبين الحسن بن عليّ ستّة أميال، والحسن يريد عليّ بن حمدون ولا يعلم بشيء من أمره. وكان بينه وبين عسكر أيّوب جبل حائل. وكان أيّوب قد وجّه ألفي فارس فجعلها في طريق المهديّة لتحول بينها وبين الحسن بن عليّ إن رجع إليها. واتصل بكلّ واحد من الفريقين مبيت الآخر بقربه، فزحف بعضهم إلى بعض بعد أن طلعت الشمس، والبربر واثقة بكثرتها وقوتها، وقد نظرت إلى / قلّة من مع الحسن بن عليّ. فوقع بينهم الحرب، وكثر الطعن والضرب، وغلب البربر على عسكر الحسن بن عليّ. ثمّ تراجع أصحاب الحسن بن عليّ إليه وكرّ على البربر صابراً محتسباً،

327

(201) في «هـ». ناجة بني ديار، وفي «ر»: باجّة. ولا نعرف ناجة أخرى غير باجّة القمح وباجّة الزيت. فلذلك أعددنا بقراءة المطبوع. ناحية بني ديار، وإن كنا لا نعرف بني ديار.

هذا وإن رواية ابن الأثير، 307/6 للأحداث المولية تختلف كثيراً عن رواية الداعي إدريس: فعليّ بن حمدون لم يمّت بعد، وهو الذي تفهقر إلى بلد كتامة، لا الحسن الكلبي. وهو - عليّ الأندلسي - الذي جمع القبائل وفتح تبحس وباعاية وبقي ببلاد كتامة ينتظر قدوم المنصور.

فقتل من البربر مقتلة عظيمة، وكانت فيهم الهزيمة، وأغنم الله الحسن بن علي (ر 140أ) أثقالهم وما حواه عسكرهم. وكانت أثقال الحسن ابن عليّ قد سارت تؤمّ المهدية فوافتها خيل أبي يزيد فانتهبوها وقتلوا جماعة من أصحاب الحسن معها. وبلغ ذلك إليه وهو في طرد العدو (ط222) * فأرسل أخاه عمّار بن عليّ في خيل معه، فوجد عمّار البربر قد امتلأت أكفهم من تلك الأثقال وقد حازوها وهم يريدون عسكرهم، فأخرجهم منها واستردّ ما أخذوه وعاد ذلك إلى يده بعد أن حازوه. وسار عمّار يريد أخبية البربر ولحقه أخوه الحسن بن عليّ، وأصابوا أيّوب بن مغلّد فيها ومعه ألفا فارس، فبادرهم الحسن بن عليّ وأخوه ومن معهما، فولّى أيّوب ومن معه من البربر هاربين، وعلى أعقابهم ناكصين، وحاز الأولياء ما في عسكرهم. وانتهى أيّوب إلى أبيه الدّجال وهو في القيروان، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (نوفمبر 945). وعظم أمر هذه الواقعة على أبي يزيد، وأراد أن يرحل من القيروان هارباً فشجّعه أصحابه، وأشاروا عليه بالثبات / وبإيعوه على الموت.

واجتمع إليه عسكر عظيم من البربر فأخرج ابنه أيّوب بن مغلّد وأعاده إلى محاربة الحسن بن عليّ. فنزل أيّوب بموضع من كورة باجة يقال له «قافلة»⁽²⁰²⁾ في عساكر لا يحصى عددها، والحسن بن عليّ مع أهل وزداجة ومن انضمّ إليهم، ومن بقي معه من أصحابه. وكان نزوله في موضع وعر ليحوط عسكره، وكانت فيه أربع سبل، وجعل على بعضها أحمد المعروف بالكمين الوزداجي *⁽²⁰³⁾، فكان القتال بين الفريقين لا يزال، فمرة يغلب هؤلاء ومرة هؤلاء.

(202) لا يعرف قافلة

(203) لا نعرف عن هذا الوزداجي غير خيائته التي تأتي بعد قليل

.. فيتغلب بفضل
خيانة أحمد
الكمين الورداجي

ثم إنَّ أيوب بن مخلد راسل أحمد الكمين ووعده وبذل له .
 واجتمعت البربر عساكر عظيمة وزحفوا لقتال الحسن بن عليّ فغلبوا
 بالكثرة بعد قتال عظيم . وأدخلهم أحمد الكمين الورداجي من
 السبيل التي لديه فقتلوا من الأولياء مقتلة عظيمة وحازوا أخبيتهم
 وغنموا ما فيها . وخلص الحسن بن عليّ (ر 140 ب) ومن بقي معه إلى جبل
 من ناحية وزداجة، وقد حيزت أخبته وطعامه وعلفه، ووقعت معه علة
 عظيمة أشرف فيها على الهلاك، ومات جماعة لوباء⁽²⁰⁴⁾ المكان
 الذي كان فيه وقوفهم . وأساء أهل وزداجة إليهم ومالوا عليهم .
 وخاف الحسن بن عليّ غدرهم، ولم يجد سبيلاً/ للرجوع إلى
 المهدية فخرج إلى بلد كتامة . وكان يقاتلهم من مَرّوا به من
 القبائل . وخلصوا إلى بلد كتامة فعاودت الحسن بن عليّ العلة حتى
 أشفى على الهلاك وفارقه أصحابه إياساً منه . ثم رفع الله علته .
 فحين نقه منها كاتب كتامة ومزاة وغيرهم، ووجه أصحابه في الغزاة
 فما زالوا يغنمون . ووافاه جماعة من الكتاميين وقوم من البربر يقال
 لهم «بنو واسين»⁽²⁰⁵⁾ . واجتمع إلى الحسن بن عليّ خلق عظيم
 كثير من كتامة وغيرهم . وصار إلى قسنطينة وعسكر بها، ونُصبت
 فيها أخبته . ووجه عسكراً إلى هواره * سرمانه⁽²⁰⁶⁾ فقتلوهم وأخذوا
 مواشيهم، وعليهم كان اعتماد أبي يزيد .

329

خروج الحسن
الكلبي إلى بلد
كتامة..

دش 150

وحين اتصل ذلك بأبي يزيد أخرج عساكر جمّة لمحاربة
الحسن بن عليّ، وجعل عليهم ابنه فضلاً وابنه يزيد، فجرت بينهم

.. وأحده باغاية
وتيجس

(204) في «دش» . لوعر، وفي المطبوع: في نفس .

(205) بنو واسين: مرّ ذكرهم ضمن أنصار أبي يزيد (ص 256) وهم من زناتة (أنظر هـ .
ر إدريس، 244) وزناتة إباحية خارجية ستعد أن تناصر الفاطميين . ولعلّ
المؤلف وهم في الاسم .

(206) هكذا في «هـ» . وفي «ر» . سربانة وقرأ الدشراوي . سربانا (مصدر سري) .

حروب شديدة كان الغلب فيها للحسن بن عليّ، وملك مدينة تيجس ومدينة باغاية، وبقي على ذلك حتى وصل المنصور بالله (عم) إلى القيروان، فوصل إليه. وسنذكر ذلك فيما نأتي بذكره.

ووجه أبو يزيد حشاده ورجاله إلى قبائل البربر فأتوه من كلّ جهة، ورجع من القوة إلى ما كان عليه، وقد غلب على مدن إفريقية، وقتل أكثر الجند/ والكتامين الذين فيها. وصار الحسن بن عليّ إلى بلد كتامة ومات عليّ بن حمدون صاحب المسيلة رحمة الله عليه⁽²⁰⁷⁾.

330

حصار سوسة:
جمادى 2 سنة
334 / جانفي 946

وخرج⁽²⁰⁸⁾ مخلد الدجال لستّ خلون من جمادى الأخرى (جانفي 946) من سنة أربع وأربعين وثلاثمائة إلى مدينة سوسة ليحاصرها، وقد اجتمع إليه من البربر ومن أهل إفريقية (ط 224) والزويليين خلائق عظيمة. وكان في سوسة من قبل أمير المؤمنين القائم (ر 141 أ) بأمر الله (عم) الحسين بن ناكسين عاملها، وعبّاس بن مندورة، في عسكر كثير. فحاصر أبو يزيد سوسة حصاراً شديداً، وكان يقاتل أهلها كلّ يوم، فمرة له ومرة عليه. وأمر بجميع النّجارين * الذين بمدينة القيروان، فعملوا له ثلاث دبابات، ورجا أن يدخل سوسة

دش 151

(207) يتواصل الالتباس في خصوص عليّ بن حمدون والحسن بن عليّ. فمن ذا الذي خرج إلى بلد كتامة؟ الحمدوني أم الكلبي؟ وقد نبّه هـ ر. إدريس إلى اختلاف الروايتين وأحال إلى كافة المراجع وناقشها، وانحاز أخيراً إلى ما سماه «الرواية الفاطمية»، وهي رواية مؤلفها، التي تعظم الحسن بن عليّ فتنسب إليه كافة العمليّات بلطة ثمّ ببلاد كتامة فتيجس فباغاية (ص 19 - 21 من أطروحة عن بني زيري). وفي رواية ابن خلدون أيضاً، 15/7 أنّ الذي تحصّن بقسنطينة هو الحسن بن عليّ. وسيأتي في ص 388 أن جعفر بن حمدون هو أمير المسيلة الذي قدم إلى طنة على المنصور أثناء ملاحقته لأبي يزيد، مما يدعم تاريخ وفاة والده عليّ بن حمدون سنة 334.

(208) فخرج في المخطوط. ونسمح لنفسنا بتغيير الرابط حسب سياق السرد.

بها، فأحرق أهل سوسة بعضها. ووجه أمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم) سلاسل كان قد أعدها قبل الفتنة، طول كل سلسلة ثمانون ذراعاً، وفيها كلاليب، وكانت تُربط في حوائط السور وفي دور تقرب من السور، ثم ترمى الكلاليب في الدبابات حتى يتمكن الرجال منها وهم على السور. فلم يصنع في الدبابات شيئاً، وهي كالمنازل قد أعدت من الخشب ويدخل الرجال فيها، وهي على عجل تسير بهم. ثم نصب مخلد المنجنقات والعَرادات/ عليها، وقتل خلق كثير من أهلها، واشتد بهم الأمر، وطال عليهم الحصار، وعظم الصّر⁽²⁰⁹⁾، وكثر الجهد والضّر.

331

وكان الأولياء يسألون أمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم) أيام فتنة الدجال ومحاربتهم له في المهدية وغيرها، أن يُخرج إليهم أحد ولده في حروبهم، يستندون إليه ويأخذون ببركة رأيه ويكونون تحت رايته. فلم يجبههم إلى شيء من ذلك، لما اقتضته الحكمة ورآه وليّ الله ممّا آتاه الله من علمه وورثه عن آبائه وأجداده عليهم صلوات الله وسلامه. حتى إذا آن الوقت المعلوم، وبلغ أمر الحي القيوم، أظهر أمير المؤمنين أبو القاسم محمّد القائم بأمر * الله أمر ولده أبي الطاهر إسماعيل المنصور بالله صلوات الله عليهما لسبع خلون من شهر رمضان المعظم من سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (أفريل 946)، وفوّض عهده إليه، وأوعز (ط 225) إليه بوصيته وأعلم بذلك أهل دعوته، وأبان لجميعهم أنّه وليّ عهده (ر 141 ب) والخليفة من بعده. وكتب بذلك إلى الأمصار والبلدان والجزائر، وعرف به كلّ باد وحاضر. وكان المنصور بالله (عم) يومئذ قد بلغ من العمر ثلاثاً وثلاثين سنة.

تعيين إسماعيل
المنصور وليّاً
للعهد: 8 رمضان
13/334 أفريل 946

دش 152

قال القاضي النعمان بن محمّد⁽²¹⁰⁾: دخلت إلى المنصور بالله

(209) الصّر والصرة: الجلبة والصياح.

(210) المجالس والمسيرات، 138، وقد سقط هذا النقل من «دش». وفي تعيين =

(عم) أهنته بما أفضى الله (عج) إليه من / الكرامة. فقال: يا نعمان، وما عسى أن يكون الدرك من هذه الدنيا القليلة الوزن؟ والله لتاجر تكون بضاعته ألف دينار، ينال من الدنيا ما عسى أننا لا نناله منها. والله، لولا إقامة حقّ الله نُقيمه، وأمر بمعروف ونهي عن منكر نرجو ثوابه، وإنّ ذلك ممّا افترضه الله (عج) علينا، وألزمناه، ونصّبنا له وكلّفنا إياه، لكنّك إلى إثارة الخمول والإعراض عن الدنيا أسرع، وبذلك ألدّ عيشاً وأمتع.

خطبة المنصور في
عيد الفطر

ولما كان يوم الفطر خرج المنصور بالله أبو الطاهر إسماعيل ابن أبي القاسم القائم بأمر الله (عم) من قصره وقد حفّ به بنوه وإخوته وشيعته وأولياؤه وأهل دولته وعبيده، والناس يرفعون أصواتهم بالدعاء له ويسألون الله (تع) أن يركس عدوّه ويخذله، والأعلام تنشر والطبول تضرب، والمسرة قد ملأت القلوب وأثلجت الصدور، ونجوم السعد قد طلعت قاضيةً لأولياء الله بالظهور. فحين انتهى إلى المصلّى، صلّى صلاة العيد، وقام (عم) خطيباً فقال:

«باسم الله الرحمان الرحيم. الحمد لله الذي أحسن إلينا في قضائه، وأصفى الجزيل من عطائه، أحمدّه حمدَ مَنْ شكر حُسنه، وآثر في الأمور كلّها رضاه، وأستعينه / استعانة من لا يرجو غيره ولا يثق بسواه، ولا يتوكّل إلّا عليه في أولاه (ط 226) وأخراه. وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اصطفاه لوحيه، واختاره لتبليغ رسالاته، فابتعثه داعياً إلى الحقّ (ر 142 أ) وشاهداً على الخلق، فبلغ رسالة ربّه، ونصح لعباده، وجاهد في

= المنصور لولاية عهد أبيه وتأخر الإعلان عنها، ينظر تلخيصنا لمختلف الروايات في المجالس والمسائرات، 137، 220، 448، وهي تخالف ما يقوله الداعي إدريس من أنّ القائم أعلن عن التعيين.

سبيله، صلاة⁽²¹¹⁾ الله عليه نبياً مصطفى، ورسولاً مرتضى، وعلى آله، وسلامه ورحمته وبركاته.

«عباد الله! إنَّ يومكم هذا يوم عيد، شرفه الله وعظمه، وفضله وكرمه، ختم به شهر رمضان، وافتتح به حجَّ بيته الحرام، فأخلصوا فيه نيَّاتكم، وارفعوا إلى الله فيه طلباتكم، واستغفروا لسيئاتكم، فإنَّه يقول، جلَّ ثناؤه، وتقدَّست أسماؤه: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾ (نوح، 10). اتَّقُوا الله عباد الله! فبتقواه نجح الطالبون وفاز الفائزون، وهي وصية الله في الأولين والآخرين، وتمسَّكوا بطاعته، وحافظوا على ما استحفظكم الله (نع) من دينه وكتابه، واسترعاكم من حقوقه وحدوده. فلمثل ما رغبكم الله من جزيل ثوابه، وكريم مآبه، وخوفكم من عقابه وأليم عذابه، فليعمل العاملون!

«أَلْهَمْنَا الله وَإِيَّاكُمْ رُشْدَنَا، وعزم لنا ولكم / على تقواه، وأتباع هداه، وبلوغ رضاه».

334

وجلس (عم) جلسة خفيفة، ثمَّ قام فقال:

«باسم الله الرحمان الرحيم. الحمد لله مسبح النعماء، وكابيت الأعداء، ومستحقُّ الشكر والثناء، وصلىَّ الله أفضلَ صلاته على أفضل أنبيائه محمَّد خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وعلى آله الطيبين. اللهم صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد، وارحم محمَّداً وآل محمَّد، وبارك على محمَّد وآل محمَّد، كأفضل صلاتك وبركاتك ورحمتك على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنَّك حميد مجيد.

«اللهم، وصلِّ على شمس الهدى، الذي بضياؤه أشرق

(211) في المخطوط: وصلى، وغيره حتى يوافق العطف بسلامه ورحمته وبركاته.

الإسلام، وانجاب (ط 227) الظلام، وعزّ الدين، وتمّت النعمة على المؤمنين، عبد الله (ر 142 ب) أبي محمّد الإمام أمير المؤمنين، المهديّ بالله ابن المهديّين، الكريم ابن الأكرمين، صلّى الله وملائكته عليه، وأكرّم الله مثواه لديه، في المقام الكريم، والنعيم المقيم!

«اللهم، وصلّ على وليّ الأمر، ووارث المجد والفخر، الذي أعظمت عليه منّك، وأسبغت عليه نعمتك، وألبستّه حلل الكرامة، وتوجّته تاج البهاء والخلافة، وجمعت له خلافة الأنبياء المرسلين، وإرث آبائه الأئمة المستخلفين، الهداة المهديّين، الأوصياء المنتجبين، محمّد القائم بأمر الله أمير المؤمنين.

«اللهم، عرّفه فيما وليّته واسترعيته، واستحفظته عليه وائتمنته/، أفضل ما عرّفت أحداً قبله من خلفائك الأئمة الراشدين، آبائه المهديّين، من النصر والإعزاز * والتأييد والإظهار. وأوقع بأعدائه، شرقاً وغرباً، برّاً وبحراً، أشدّ ما أوقعت وأحللت بأحد من أعدائك من السطوات والنقمات، والقوارع المبيدات، والمثالات⁽²¹²⁾ المخزيات، ودمّهم تدميراً، واصلهم سعيّاً.

«اللهم، انصر به الدين، وأيّده بالظهور والتمكين، والعلوّ والقهر، والنصر والظفر، واجعل كلمته العليا، ويده الطولى، وجنّده الغالبيين، وحزبه المنصورين، وافتح له فتحاً مبيناً، تُعزّ به الدين، وتُشفي به صدور المؤمنين، إله الخلق ربّ العالمين، إنك سميع الدعاء، فعّال لما تشاء، لا تخلف الميعاد».

ثم نزل (صلع) وعاد إلى قصر أبيه أمير المؤمنين، والناس مستبشرون فرحون بيمن طلّعه وإقبال دولته.

(212) المَثَلَةُ والمَثَلَةُ: العذاب والعقوبة. قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ، وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ﴾ (الرعد، 6).

إشادة الشعراء
بتعيين المنصور:

وقال محمد بن أبي القاسم التونسي⁽²¹³⁾ في ذلك:

(طويل)

توسّم صباح المجد من أين يُشرق
ومثلّ، على أن النجوم كثيرة،
لقد صحّ للمرتاد ما كان يبتغي،
وقد كانت الأيام خرساً، فأصبحت
دش 156 5 * فما بعد هذا للوسائل ملجأً
تليق بإسماعيل نائرة العلى،
أمين تمتته الرئاسة مذ نشأ،
وكانت عيون الأمر من شغف به
تري غرة الميعاد، وهي جليلة (ر143أ)
... محمد 10 وطلعة وجه أكمل الله نورها،
التونسي ... وأخلاق مخلوق من البرّ والتقى
فقد وضعت تلك المواعيد حملها
شهدت بأن الله بالغيب عالم،
دش 157 رأى نجله من نعمة الله عنده
15 عليه دليل من تقاه، وشاهد
فأبرزه فينا لكل ملّة،
ولما استهلّت بالقواضل كفه،
ومالت أمانتي النفوس بأسرها
فيا صفوة الله المقدسة التي
20 إليك شكونا من أذى بربرية
وعرف الرضى والحلم من أين يعقب
بأي سراج تهتدي فتوق
وصاب له الغيث الذي كان يبرق
لها السن بالشكر لله تنطق
ولا للمنى في غيره متعلّق
ويغدو بها، من غيره وهو أليق
تتوق إلى أخلاقه وتشتوق
على رقة ترنو إليه وتطيق
تخبّ إلى الميقات فيه وتعنق
يكاد لها ضوء النواظر يرهق
أظن الرضى والحلم منهن يخلق
تماماً، وكانت قبل ذلك تطلق
وأن أمير المؤمنين موفق
يحاذه في أحكامه فتصدّق *
يلوح، ونور في علاه، وروّق
تُناط به الآمال منا فتعلق
تيقن باغي الرزق من أين يُرزق
إليه، فباتت في ذراه تُحقّق
تصبح منا بالصلاة وتغيب
نكاد لها، لولا ولاؤك، نفرق

(213) الأرجح عندنا أنه علي بن محمد التونسي الأيادي كما بيّنا في الحواريات، 17
سنة 1979 / ص 53.

وهذا بصنع الله فيك يصوننا، ونحن به في نيل رفدك أرفق

وقال محمد بن أحمد الطرزي⁽²¹⁴⁾ من قصيدة:

.. ومحمد
الطرزي

(طويل)

يحق لنا أن تُنصفَ الفخر والمجدنا ونكثر فيك الشكر لله والحمدنا
طلعت/ بنور يملأ الأرض بهجةً ونورا، وكفّ تبسط الأمل الجعدا

337

دش 158

* وأخرج المنصور بالله (عم) صدقات فرقها في المساكين،
ووجه مراكب كثيرة مشحونة بالطعام إلى فقراء سوسة والمحتاجين
منهم، ففرقت فيهم لما هم فيه من الحصار والجوع، فأتسع من
فضله البادي والحاضر (ط 229)، والداني والشاسع.

وشحن المراكب بالعدة والسلاح، ووجه ببعضها إلى مدينة
سوسة، وقود عليها رشيق الكاتب، فوصل إلى سوسة لإحدى عشرة
ليلة خلت من شوال (جوان 946).

ولما حضرت أمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم) الوفاة،
أحضر ولده الإمام المنصور بالله (عم) وأوصاه بما أراد من أمر الدين
والدنيا. ثم كان فيما قال له:

«يا بني، إني مُسلم ما أمرني الله بتسليمه إليك، وفقك الله
لما يرضيه ويُزلف لديه، ومهد لك البلاد، وجمع على طاعتك
العباد! لكنني يا بني أستودعك وديعةً أحب أن لا تضيعها بعدي.

القائم يوصي
المنصور بجوزر
خيراً

قال له: قل يا مولاي، صلى الله عليك، وأرجو أن ينسيء

(214) لا نعرف شيئاً عن هذا الشاعر الثاني. وقد ذكرت نسبة الطرزي في رياض
النفوس، 55/2. وفي ترجمة القاضي أبي القاسم القيسي المعروف بالطرزي في
معالم الإيمان، 7/3 - 9، وقال ناشر الرياض إن طرزة قرية بإفريقية. ولعلها
بقيت في اسم «جبل طرزة» حالياً قرب القيروان.

الله في أجلك، ويهب لنا ولكافة أمة جدك (ر 143 ب) عافيتك.
 قال: هيهات! قد بلغ الكتاب أجله! وديعتي عندك جوذر
 المسكين. فاحفظه، ولا يذل بعدي!
 فقال له المنصور (صلح): / يا مولاي، هل جوذر إلا واحد منا؟
 قال: نعم، هو كذلك لأن نفسي طابت عليه.

338

وكان أمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم) يختص ابن ابنه معذ
 ابن إسماعيل بن أبي القاسم، المعز لدين الله، صلوات الله عليهم،
 وعلى آبائهم، والطاهرين من أبنائهم، ويؤثره ويحبّه ويتوخّاه. قال
 القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه) فيما أتى عنه: «وذلك
 ممّا كنّا نعرفه ويبلغنا عنه. ورؤي عن الإمام المعز لدين الله (عم)
 قال: لقد قال لي القائم بأمر الله (صلح): لولا صغر سنّك، لجعلتُ
 هذا الأمر إليك، ولكن أنت أبو تميم حقّاً كما كُنيت. (قال الإمام
 المعز لدين الله): وكان كثيراً ما يقول ذلك ويكرّره: أنت أبو تميم
 حقّاً، أنت أبو تميم حقّاً، وما أعرف يومئذ ما يريد بذلك. (قال):
 وكنت يوم قبض (صلح) عليلاً متخلفاً لأمر عرض لي، فسأل عني،
 وكرهوا أن يخبروه بعليّ (ط 230)، ثمّ أغمي عليه. ثمّ أفاق فسأل عني
 وقال: اتّوني به! ثمّ أغمي عليه كذلك مراراً، كلّما أفاق سأل
 عني. فأُتِيَ بي إليه، وقد مُنِع الكلام. فلمّا رآني ضمّني إليه، ثمّ
 أغمي عليه، فنُحِيتُ عنه. وأفاق فردّني كذلك. ثمّ قبض صلى الله عليه (215).

نقل عن النعمان:
 محبة القائم للمعز

/ وذلك كفعل رسول الله (ﷺ) بالحسن والحسين (عم) حين
 قبض، وقد ذكرنا ذلك (216).

339

(215) المجالس والمسائرات، 95. وانظر كذلك ص 468 منه. وقد أسقط الدشراري هذا
 النقل أيضاً.

(216) مرّ فصل طويل في السبع الرابع (ص 6 - 26) في محبة الرسول (ﷺ) لسبطيه،
 والحادثة التي يشير إليها الداعي إدريس ذكرها في ص 26 من السبع الرابع.

وكانت وفاة أمير المؤمنين محمد أبي القاسم القائم بأمر الله،
صلوات الله عليه ورضوانه، ورحمته وبركاته، يوم الأحد لثلاث
عشرة ليلة خلت من شهر شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (ماي
946) بعد أن استقل الإمام المنصور بالأمر، وظهر فضله من السرّ
إلى الجهر، وعلم بقيامه أهل البدو والحضر⁽²¹⁷⁾.

وفاة القائم : الأحد
14 شوال 19/334
ماي 946

والحمد لله على ما منّ به من بقاء نعمه في الآخرين كما
كانت في الأولين، وصلى الله على محمد نبيه، وعلى عليّ وصيه،
وعترتهما المكرمين المفضلين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ
العظيم، وعليه نتوكل وبه نستعين.

(217) يعني هذا أن المنصور تولى قيادة الحرب وشؤون الدولة منذ تعيينه في رمضان.

البَابُ السَّادِسُ

خِلَافَةُ الْمَنصُورِ
(946/334 - 953/341)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمد الشاكرين، وصلاته على رسوله سيدنا محمد خير الأولين والآخرين (ر 144 أ)، وعلى عليّ وصيّ محمد وآله الطاهرين.

ذكر أخبار ممّا كان في أيام الإمام

المنصور بالله (صلع)

أمير المؤمنين أبي الطاهر إسماعيل بن أبي القاسم

صلّى الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، وأبنائه الأكرمين.

ووليّ أمير المؤمنين أبو الطاهر إسماعيل المنصور بالله بن محمد أبي القاسم القائم بأمر الله، بعد وفاة أبيه صلوات الله عليهما. وكان ذلك في أيام / تغلب اللعين الدجال على القيروان وأعمال إفريقية وكثير من أعمال الغرب، وهو محاصر لسوسة، وقد أظهر في البلاد الفساد، وأهلك بيغيه كثيراً من العباد. فكتب المنصور بالله وفاة أبيه القائم بأمر الله (عم)، عن القريب والبعيد (ط 231)، والعدوّ المباين والوديد⁽¹⁾، ودفنه سرّاً، وأظهر عليه جلداً وصبراً، لئلاّ يعلم العدوّ بذلك فتقوى عزمته، ويطلع عليه الوليّ، فيكثر فشله وتهدى قوّته. وغطّى ذلك بكثرة الصلوات، وأعطى

340

كتمان وفاة القائم

(1) الوديد: المحبّ أو جمهور المحبّين.

[فعم] (2) بالنعم والأيادي المتواصلات. ولم يتسم بإمرة المؤمنين، وكانت كتبه تنفذ: من الأمير إسماعيل، ولي عهد المسلمين، ابن أمير المؤمنين *. وأخرج جميع من كان في السجون، وأكثر من الصدقات للفقراء والمساكين. وولى المهديّة جوذر الأستاذ رحمة الله عليه، عبده وعبد جدّه وأبيه، المهديّ بالله والقائم بأمر الله (عم)، وهو من أهل السابقة الحسنى، والمكان عند الأئمة الأسنى. وجعل المنصور بالله (عم) إلى جوذر الحلّ والربط في جميع الأمور.

دش 161

وتهيأ الإمام (عم) للخروج للجهاد في سبيل الله. فجمع السلاح وآلة الحرب وافتقد ما يحتاج إليه، وهو بما وعده الله به من النصر قويّ القلب.

تفويض أمر الدولة
إلى جوذر الأستاذ

وقد/ أتى عن القاضي النعمان بن محمّد (رضي الله عنه) قال: «كنت جالساً عند المعزّ لدين الله (صلع)، فذكر أمر الفتنة وما كان فيها من عظيم المحنة، وما حلّ بالناس من ذلك، وما كشف الله عنهم بالمنصور بالله (صلع)، واستنقذهم على يديه فقال (عم):

341

«لقد أخبرنا المنصور بالله (عم) قبل الفتنة عن رؤيا رآها، ما غادرت شيئاً كان في ذلك. قال: رأيت آتياً أتاني، وفي (ر144ب) يديه ورق كبير، فنشره بين يديّ وقال لي: انظر إلى هذا! فنظرت فإذا فيه دوائر كثيرة. فقلت: قد رأيت هذه الدوائر، فما هي؟

استطرد في التنبؤ
بكشف المحنة
على يد المنصور

قال: هذه مملكتكم.

فجعلت أنظر إليها. فإني لكذلك إذ نظرت إلى سواد غشي كلّها غير واحدة كانت أقربهنّ * إليّ، فارتعت لذلك وقلت: إذا كانت هذه مملكتنا قد غشيها هذا (ط 232) السواد، فما ذلك لخير.

دش 162

(2) الزيادة من «ر».

فقال ذلك الرجل: ضع إصبعك على ما غشاه هذا السواد منها أولاً فأولاً.

ففعلت. فما وضعت إصبعي على شيء منه إلا تجلّى عنه ذلك السواد، وعادت على حسب ما كانت حتى أتيت عليها كلها، وذهب ذلك السواد عن جميعها. ثم انتبّهت.

(قال): وكذلك كان الأمر: لم يطق المنصور بالله (عم) أرضاً في طلب اللعين مخلد وأصحابه إلا أخرجهم منها، فلم يعودوا بعد ذلك إليها. ثم أمكن الله / (عج) من الفاسق وطهر الأرض من رجسه⁽³⁾.

قال القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه): وكان المهديّ بالله (ص)، والمنصور في بطن أمّه، يقول: «كاشف المحنة ومطفىء نار الفتنة في هذا الوقت حمل في بطن أمّه، عن قريب يولد. وكان المنصور (عم) يومئذ حملاً⁽⁴⁾. وكانت فتنة الدجال بعد ذلك، فأطفأ الله على يديه نارها، وعفى به آثارها.

وركب الإمام المنصور بالله (عم) إلى موضع يعرف بـ «دار الصناعة»⁽⁵⁾، يوم الأحد لعشر بقين من شوال [سنة 334] (ماي 946)، وأمر يعقوب بن إسحاق أن يشحن ستّة مراكب بالرجال، وأن يسير بهم سراً إلى سوسة. وقال له: «إذا كان بعد غد، يوم الثلاثاء، فانزل بمن معك من الرجال على * شاطئ البحر بالقرب من باب سوسة الشمالي، واجتمع مع رشيق الكاتب، ولا تقاتلوا أحداً

حملة بحريّة وبريّة
لتخليص سوسة من
الحصار

دش 163 .

(3) المجالس والمسائرات، 113 - 114.

(4) المجالس والمسائرات، 542.

(5) دار الصناعة بالمهديّة. أي ترسخانة الأسطول، وهي شرقي قصر المهديّ (التجاني، 323).

حتى يأتيكم من أوجهه من رجالي . وإن طلب مخلد والبربر قتالكم قبل ذلك، فلا تقاتلوهم!» فعظم ذلك على يعقوب، واستأذنه أن يمضي إلى داره ليقتضي بعض حوائجه ووداع أهله، فامتنع عليه الإمام (عم) (ط 233).

وتوجه يعقوب من يومه، ولم يعلم أحد أين يقصد (ر 145 أ) ولا ما أوعز إليه الإمام (عم). ثم قال الإمام لكتامة الذين بالمهدية وما/ حولها: «وافوني في غد بقرية بكة»⁽⁶⁾ بالسلاح والعدة، فإنني أريد أن أتزّه وأنظر آثار العدو. ومسافة بكة على ميلين من المهدية. فبكر (عم) من قصره في شردمة⁽⁷⁾ من عبيده وخدمه قبل الصبح لتسع بقين من شوال، ووافاه الأولياء من كتامة حيث وعدهم. فتوجه بهم مع ساحل البحر يريد سوسة⁽⁸⁾. فاجتمع إليه الأولياء وسألوه إلى أين يقصد، وقد اجتمعوا قدر ستمائة فارس. فقال لهم: «قد عزمتم على التماذي إلى هذا العدو، وأن ألقاه بنفسي، فإن الله سيدلني عليه». فتضرعوا إليه في الرجوع، وسألوه أن لا يخاطر بنفسه. فعند ذلك دعا بكبون بن تصولا⁽⁹⁾ * وأمره بالنفوذ إلى سوسة في جملة من الخيل التي معه، وأن يبيت بهم في الطريق ويصبح العدو بالقتال، وعرفه أنه أرسل يعقوب ومن معه من الرجال الذين في البحر إلى مدينة سوسة. وأمرهم بتقوى الله وطاعته، ووعظهم وذكر لهم فضل الجهاد، وأن لا يولوا الدبر. وقال لهم: «إني في أثركم أنظر/ كيف تفعلون». فتوجه كبون بالقوم الذين معه، طاعة للإمام (عم)، وقد حارت قلوبهم لما يعلمون العدو عليه من الشدة والقوة

343

المنصور يخطط
بنفسه لتخليص
سوسة

دش 164

344

(6) رأينا (ص 293 هامش 139) أن بكة قد تكون «بقة» المذكورة عند البكري، 31

(7) الشردمة: الجماعة القليلة.

(8) بكة / بقة تقع إذن في الشمال الغربي من المهدية في اتجاه المنستير ثم سوسة.

(9) كبون بن تصولا كان والي طبنة في بداية ثورة أبي يزيد (انظر ص 250 وما يليها).

والنجدة، وأنَّ عسكرهم يزيد على مائة ألف فارس وراجل⁽¹⁰⁾. وكان المتوجَّهون مع كبون أربعمائة فارس.

ورجع الإمام (عم) بمن معه من خدمه وعبيده إلى المهدية، فوافاها صلاة المغرب. ويات كبون بن تصولا بموضع يعرف بـ «بني سليم»⁽¹¹⁾، وبينهم (ر 145 ب) وبين العدو عشرة أميال. ويات يعقوب ابن إسحاق بمراكبه (ط 234) في تلك الليلة في البحر عند مدينة سوسة بإزاء العدو وعند باب سوسة الشمالي. فلما كان يوم الثلاثاء، ألصق مراكبه بالبر، وأنزل رجاله بالقرب من الباب الشمالي في هدوء وسكون، فجلسوا تحت درقهم⁽¹²⁾. وركب يعقوب دابته⁽¹³⁾ وقام في وسطهم، وخرج إليه رشيق الكاتب⁽¹⁴⁾ في من معه من الرجال، والرامة يحمونهم من أعلى السور*. فحين رآهم مخلد وما هم عليه من السكون، وامتناعهم من القتال، قال: «هؤلاء ينتظرون غيرهم». وتحول كبون في من معه من المكان الذي كانوا فيه بائتين، فأصبحوا بقرب معسكر أبي يزيد، وكان ذلك اليوم كثير الغمام مظلم الجوّ. فلما ظهرت الشمس من الغمام، تراءت خيول الأولياء مع/ شاطئ البحر، وصاح البربر: «هذه الخيل أتت من المهدية!» فركب أبو يزيد بنفسه، ونصبت أعلامه وضربت طبوله. وخرج أهل سوسة يبنودهم وطبولهم مع كبون، وصاروا عسكرياً واحداً قبالة أبي يزيد، وصار بإزاء يعقوب بن إسحاق التميمي ورشيق، أبو سليمان

يعقوب بن إسحاق
وكبون بن تصولا
يباغتان أبا يزيد..
دش 165
345
فيضerman النار
في أحصائه..

(10) عند التجاني، 327، كانت محلة أبي يزيد تضم مائة ألف خص - أي بيت من قصب - يسكن كل خص ثلاثة وأربعة وأكثر.

(11) لا نعرف هذا الموضع

(12) أي. تروسهم.

(13) يعني هذا أن المراكب تحمل الخيل أيضاً

(14) كان رشيق على قيادة العيد في الدفاع عن زويلة أيام الحصار (انظر ص 294).

الزويلي. فالتحم القتال واشتد الصراع، فانهزم الأولياء حتى دخل أوائلهم باب سوسة الجنوبي. ثم عطف الأولياء، وأطلق إرشيقي ويعقوب النار في الدبابات⁽¹⁵⁾ التي كان مخلد صنعها بقرب باب سوسة الشمالي، وأشعلا حطباً كان أعدّه ليحرق به سوسة، فاستشعلت النيران وأظلم الجو بالدخان. فلما رأى أبو يزيد ذلك ومن معه، ضعفت قلوبهم، وظنوا أن أبا سليمان ومن معه من أصحابه قد انهزموا، وكانوا لا يرون بعضهم بعضاً، لكون مدينة سوسة حائلة بينهم. ثم هزم يعقوب ورشيقي من كان بإزائهما، وألقوا النار في الخصوص أولاً فأولاً إلى أن صارت * النار بقرب الموضع الذي كان فيه أبو يزيد في قتال الأولياء. فانكسر أبو يزيد ونكص على عقبه، وحفّ به غزاته، وتوجّه هارباً منهزماً إلى مدينة القيروان لا يلوي علي أحد. وهرب البربر (ر 146 أ) على وجوههم / وافترقوا في كل جهة، وقتل منهم خلق كثير، وقتل علي بن بدر المصري، عُدّة أبي يزيد للمهم من أمره، وصاحب جيشه (ط 235) ومقدّم عسكره⁽¹⁶⁾. وغنم الأولياء ما كان في عسكرهم، ممّا سلم من الحريق بالنار بعد أن احترق أكثره. ووصل أبو يزيد إلى القيروان أوان صلاة المغرب مهزوماً مغلوباً. فلمّا وصل إلى باب أبي الربيع شتمه أهل القيروان بأقبح شتم، ومنعوه من الدخول ومن معه، وقتلوا منهم جماعة ممّن دخل القيروان.

دش 166
.. فيرفع الحصار
ويعود إلى القيروان

346

وكان في اليوم الذي انهزم فيه أبو يزيد حادث دعا أهل

(15) قد مرّ (ص 330) ذكر الدبابات والسلاسل والكلاليب.

(16) علي بن بدر المصري: ذكر المؤلف قبل هذا أن البلوقي وني بياضة المتآمرين على مخلد كانوا أدخلوا علي بن بدر هذا في حربهم (ص 319)، ولم يخربا بمآله عندما كشفت المؤامرة وقتل البلوقي وجماعته. وها نحن نراه اليوم يموت شهيداً في صفوف أبي يزيد، وكان الداعي إدريس لم يتبه إلى هذا التناقض.

القيروان إلى الخلاف على أبي يزيد: وذلك أن بربرياً يقال له: قيام أهل القيروان
 «فليح» من أهل أوراس⁽¹⁷⁾ ومن وجوه أصحابه - وكان قاضيه في
 عسكره - قتل رجلاً كان يخدمه من أهل القيروان، ورمى به في بئر،
 فأخرجه أهل القيروان من البئر، وتبّعوا الدم إلى دار فليح. وقام
 أهل الرجل وتناثل⁽¹⁸⁾ معهم أهل القيروان، ومضوا إلى أبي عمّار
 الأعمى فقصّوا عليه الخبر. فأحضر البربري فليحا وسأله عن الأمر،
 فأقر فليح بقتل الرجل، وقال أنه * مشرقىّ مشرك. وكان فليح مقبول
 القول عند البربر. فحين سمع أبو عمّار قول فليح، طرد أهل
 القيروان عن نفسه ودّحّرهم⁽¹⁹⁾ ولم يُرضهم بالقول والفعل.
 وانصرف/ الناس وقلوبهم مملوءة غيظاً، وذلك قبل هزيمة أبي يزيد
 عن سوسة. ووجد أهل القيروان بالغداة قتيلاً طريحاً في باب
 أصرم، فاتّبَعوا آثار الدم إلى دار فيها قوم من البربر، فعرفتْهم امرأة
 أن البربر قتلوه في تلك الدار، وأنهم يقتلون كلّ يوم رجلاً أو اثنين
 ويَطْمِرونهم في مطمورة في الدار. فأصاب الناس في تلك المطمورة
 ستّة رجال مقتولين، وقتلى غيرهم في مستراح، فتألّبوا وضجّوا
 ومضوا إلى أبي عمّار. فظنّهم أبو عمّار جاؤوه في القتل الأوّل
 فأرسل إليهم (ر146ب) فأسمعهم المكروه وانتهرهم، فعادوا عنه راجعين،
 فوجدوا البربري الذي [كان] القتلى في بيته فقصدوه، ففرّ عنهم
 ودخل داراً فيها امرأة مخلد بن كيداد فاجتمعوا (ط236) وأحاطوا بالدار.
 فأمرت امرأة مخلد⁽²⁰⁾ من ربط يدي الرجل البربري إلى رجله،

امرأة أبي يزيد
 تنصفهم من
 المعتدين

(17) فليح بن محمّد الهواري: مرّ بنا (ص316) أنه كان قاضياً على هواره أوراس،
 وأنه دوّخ جهة الأرس وعاث فيها فساداً (ص323).

(18) تناثل القوم: انصبوا واجتمعوا.

(19) هذه قراءة المطبوع. أمّا المخطوط، ففيه: ووضّهم ولا معنى للوَسْخ هنا. وقراءة
 الدشرابي: وأخّهم.

(20) امرأة أبي يزيد: ابن حمّاد، 19 بسميها «تاخيريت»، وابن الأثير، 307/6 يكتّنها «أم =

ورُمي به إلى أهل القيروان من سطح الدار، فتلقّوه بالسيف والرمح، ومات قبل وصوله الأرض، وجروا برجله وطاقوا به في أسواق القيروان وهم ينادون: «لا طاعة إلا طاعة إسماعيل!» وذلك لما اشتهر وبلغهم من فضل المنصور بالله (عم) وكرمه وحسن أخلاقه وشيمه*.

دش 168

فهم على هذه الحال إذ وصلهم أوائل المهزومين عن مدينة سوسة من أصحاب أبي يزيد/ فقويت قلوب أهل القيروان وصاحوا: «يا مهدي، يا قائم، يا منصور، لا طاعة إلا طاعة إسماعيل!» ومنعوا البربر عن دخول القيروان، وأحاطوا بدار أبي عمّار الأعمى، ومعه ثلاثون رجلاً وحاصروه. ووصل أبو يزيد أوان صلاة المغرب إلى باب القيروان، والحصار على أبي عمّار. فحين أرجعه الناس عن الباب، بات خارج المدينة إلى الصبح وبلغه خبر أهل القيروان مع أبي عمّار، وأنهم محاصرون. فأمر بجماعة من رؤساء أهل القيروان وعائبهم، فاعتذروا أن ذلك فعل السفهاء منهم. وخاف على أبي عمّار أن يُقتل، فأمر بركوب من معه وأظهر العطاء، ونادى بإعطاء الأرزاق. فتفرق الناس عن أبي عمّار، فخرج مع الذين كانوا معه حتى وصل إلى أبي يزيد، فتحدّثا أن أهل القيروان قد اختلفوا عليهم، وأنهم لا يركنون إليهم، وخافوا وصول مادّة⁽²¹⁾ المهدية، وقد افترق عسكرهم. وأجمع رأيهم أن ينصرفوا من القيروان حتى يجتمع عسكرهم ويأتيهم مدد البربر [ف]-يرجعون

تشاور أبي يزيد
وأبي عمّار في ترك
القيروان

= أيوب». ومعلوم أن أبا يزيد له ابن يسمّى أيوب. ويبدو أن امرأة مخلد، رغم أنها «على مذهبه» كما يقول ابن حمّاد، كانت أقلّ قساوة من زوجها، أو أكثر مداراة للخصوم.

(21) المادة هنا: المدد من الرجال والسلاح

إليها⁽²²⁾. وتوجهوا إلى ناحية سببية، فوقف في (ر147أ) الموضع المعروف بـ «كدية الشعير»، وبينه وبين القيروان مسافة يومين⁽²³⁾.

ولما انتهت البشرى إلى الإمام المنصور (عم)/ بهزيمة الدجال عن مدينة سوسة عشية الفتح، خرج المنصور (صلع) (ط 237) من المهدية إلى مدينة * سوسة صباح الأربعاء لست بقين من شهر شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (جوان 946)، ثاني اليوم الذي انهزم فيه الدجال. فنزل (عم) خارج مدينة سوسة، وانتهى إليه خبر أهل القيروان، ووصل إليه زيادة الله بن عبد الله⁽²⁴⁾ وجماعة من الأولياء الذين كانوا بمدينة القيروان، فأخبروه خبر أبي يزيد، وأشاروا عليه بالمصير إلى القيروان، وأن يؤمن أهلها⁽²⁵⁾ لأنه قد عظم اجترامهم وكثر خوفهم. فقال المنصور بالله (عم) لزيادة الله: «أنت تسعي حقاً

349
دش 169
خروج المنصور إلى سوسة..

(22) «إليه» في الجميع، على تدكير القيروان، وهو أمر مطرد عند الداعي إدريس، وعند غيره يقول عبد الواحد المراكشي (المعجب في تلخيص أخبار المغرب، القاهرة 1949، ص 356): «... وقد آلف الناس في أحبار القيروان، ومواقه وذكر علمائه ومن كان به من الزهاد والفضلاء، كتباً.»

(23) كدية الشعير ذكرها البكري، 146 بين سبية والقيروان، تفصلها عن سبية قرية الجهنيين وحبل مطور (أي جبل وسلات الآن: اطر النوري: نهاية الأرب، 19/24، والتحابي، 32) ثم قرية الهري. ويظهر أن هناك مسلماً آخر إلى سبية يمر ساقية مفس.

وفي الكامل، 308/6 أن أنا يريد «أخذ امرأته أم أيوب وتعه أصحابه بعيالاتهم».

(24) زيادة الله أبو نصر بن عبد الله بن القديم. «كان صاحب الخراج بإفريقية وجميع المغرب» (في حدود سنة 360) اطر ابن حوقل، 94 وهو ابن عبد الله بن القديم الذي عرفنا به ص 133، والأسرة خدمت الأغالمة ثم خدمت الفاطميين

(25) «أهله» في المخطوط والمطبوع، والداعي إدريس كما قلنا يذكر القيروان وفي خصوص الأمان، يقول ابن حماد، 25، إن المنصور «عفا عن أهل القيروان خاصة، إلا أهل الحصون»، ولعله يعني الذين شاركوا في حصار سوسة مع أبي يزيد، فكانت لهم بيوت حصن في محلة صاحب الحمام.

ولا أشك في نصحك». وكتب الإمام المنصور بالله (صلع) إلى أهل القیروان بالأمان.

ولما كان الصباح، أمر بضرب الطبول، ونادى مناديه بالرحيل، وقال لزيادة الله بن عبد الله: «أركب مع كبون إلى القیروان، فأمنوا الناس وعرفوهم جميل رأيي فيهم وصفحي عن زلاتهم». فسار كبون ومعه خمسون فارساً، فوقف خارج القیروان. ودخل زيادة الله مع جماعة ينادون للناس من قبل المنصور بالله (عم) بالأمان، ففرح الناس واستبشروا واطمأنت قلوبهم وخرجوا للقاء المنصور بالله (عم)، فوافوه وقد نصب/ مضاربه في الموضع الذي بنى فيه المنصورية⁽²⁶⁾. وكان نزول أمير المؤمنين المنصور بالله (عم) بظاهر القیروان يوم الخميس لخمس بقين من شوال * سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (جوان 946) فلما لقيه أهل القیروان، قربهم وأنسهم وأمنهم في أموالهم وأنفسهم، ووعدهم الخير وبشرهم بالظفر. ففرحوا بذلك مع فشل داخلهم، لما رأوا من القلة بعسكر الإمام وضعف دوابهم، إلا أنهم قد كرهوا أبا يزيد لما رأوا من جوره وظلمه، ونكره وكفره. وأحسن إليهم الإمام المنصور بالله (عم)، وتبين لهم من فضله وعدله ما انصلحت به نيّاتهم وقويت قلوبهم (ر147ب).

350

دش 170

.. ثم إلى
القيروان وقد صفح
عن أهلها

ووجد الإمام جماعة من نساء أبي يزيد وأولاده وحرّم أولاده وأولاداً لهم، وحرماً لوجوه رجاله، فأمر (صلع) بصيانتهم وحفظهم (ط 238) والإحسان إليهم، وأمر بحملهم إلى المهديّة وأجرى لهم فيها ما يسعهم عطاء ونوالاً، وجزاهاهم بسبى أفعاله إحساناً وإفضالاً.

(26) ميسرّع في بنائها بعد وقعة القیروان (صفر 335). وفي ابن حمّاد، 23 أن الموضع يعرف بـ «صلب الجمل»، فسَمي «صبرة» لأنّ المنصور كان ينادي في جنوده: صبرا يا عبيد. ثم سَمي المنصورية بعد النصر. وكان تأسيسها سنة 337، لا سنة 334 كما قال ابن حمّاد. انظر البكري، 25 وابن حوقل، 74.

.. ثم إلى قرية
الجزيرة بفحص
القيروان

351

دش 171

وكتب المنصور بالله (صلح) إلى القبائل بجمال إفريقية يأمرهم
بالقدوم إليه، فوصل القليل منهم، وتثقالوا وترهبوا. ووجه أبو يزيد
خيلاً مع ابنه فضل إلى فحص القيروان ليستخبروا الأخبار، فبلغوا
إلى قرية الجزيرة⁽²⁷⁾، وهي إذ ذاك خالية. / واتفق أن الإمام
المنصور بالله (عم) ركب ذلك اليوم إلى قرية الجزيرة، وسبق إليها
خمسة من فرسان الأولياء، وخادم يدعى فتوحاً، فوافتهم البربر،
فقتل * رجلان من الأولياء وأسر الخادم قبل وصول الإمام (عم)،
ومضت خيل العدو على ربح⁽²⁸⁾.

مقتل كبون بن
تصولا في كمين
نصبه فضل بن
مخلد

وأصبح البربر ثاني يومهم، وهو يوم الاثنين لليلة بقيت من
شوال، وقد خرج كبون بن تصولا ذلك اليوم في ثلاثمائة فارس
وثلاثمائة راجل يستخبرون خبر العدو. فتوافى الفريقان وكان بينهم
قتال عظيم، وتوغل الأولياء في الدخول عليهم، وقد جعل البربر
كميناً خلفهم، فخرج الكمين على الأولياء وعطف البربر عليهم فقتل
كبون بن تصولا وكثير من أصحابه رحمة الله عليهم، ولم ينج منهم
إلا قليل. فدخل على الناس أعظم غم ويشوا من الظفر، وأرجف
أهل جبال إفريقية وتوقفوا عن نصره الإمام (عم).

ووجه أبو يزيد إلى القبائل فاجتمع إليه خلق عظيم، وعاد إلى
ما كان عليه من القوة. وأمر المنصور بالله (عم) بخندق فعمل على

(27) قرية الجزيرة: في المجالس والمسائرات، 324، هي أحد المواضع التي فكر
القائم في إنشاء عاصمة جديدة بها، وقد ذكرها النعمان قبل المنصورية مباشرة،
مما يحمل على الظن أنها تقع بفحص القيروان وقد يكون الاسم محرفاً عن
«الجهنين» وهي على مرحلة من القيروان (ابن حوقل، 84)
(28) هكذا في النسختين. أي ريحوا المعركة. وفي المطبوع: على ربح. وسقطت
العبارة من مقتطفات الدشراوي.

عسكره⁽²⁹⁾. وكره ذلك وجوه رجاله وقالوا: إنه يُنسب بذلك إلينا الجبن.

فقال لهم: قد حفر جدّي رسول الله (ﷺ) خندقاً وتحصّن فيه، ونحن أولى أن نحتذي فعله ونقفو أثره.

فعمل (صلح)/ في الخندق بيده، وكان ذلك غرة شهر ذي القعدة (جوان 946). وأخذ الناس في حفر الخندق بالجد والاجتهاد، وواصلوا العمل في الليل والنهار * (ط 238). ورحل مخلد بن كيداد الدجال من أكمة الشعير راجعاً إلى ناحية القيروان (ر 148 أ) بعد قتل كبّون، وطمع في الأولياء، فنزل بقرية ممّس⁽³⁰⁾. ثم ارتحل لثلاث خلون من ذي القعدة غازياً لعسكر الإمام⁽³¹⁾ بجميع من معه، وخلف أثقاله بممّس. وكانت ليلة مظلمة فأخطأ في الطريق وتاه في الفحص، فما وافى القيروان إلا عند الفجر⁽³²⁾، وقد أراد الله نصر وليّه وخليفة نبيّه صلى الله عليه وعلى آله. فجعل مخلد عسكره ثلاث فرق: فرقة معه من وجوه رجاله وحماتهم وكلماتهم فقصده بهم إلى فسطاط الإمام المنصور بالله (عم)، وفرقة أمرها أن تأخذ على يمين العسكر، وفرقة على شماله. وممّته نفسه أنه إن فعل ذلك لم ينبج أحد من عسكر الإمام (عم). وكان وقت غفلة وقد نام الحراس، واشتغل كثير من عسكر الأولياء بالصلاة والتهجد. فوضع البربر

352

دش 172

هجوم أبي يزيد
على معسكر
المنصور قرب
القيروان

(29) لا يعيّن المؤلف، ولا ابن حنّاد ولا ابن الأثير، موضع هذا المعسكر بالتدقيق.
(30) في المخطوط: خمس. ولعلها قرية - أو ساقية - ممّس التي ذكرها البكري، 146، بين مسيبة والقيروان وهي على مرحلة غربي القيروان، ويعرف موضعها اليوم (فصل «القيروان» بدائرة المعارف الإسلامية لمحمد الطالبي) بـ«هنشير دوميص».

(31) يستعمل المؤلف «عسكر» في معنى المعسكر والجيش على السواء.
(32) معسكر المنصور قريب إذن من القيروان. وسيأتي دليل آخر: نساء القيروان يشاهدن المعركة من سطوحهنّ.

سيوفهم في الناس حول فسطاط الإمام، وتصايح العسكر: «العدو! العدو!» ووثب الناس بعضهم إلى بعض، وقامت الحرب على ساق، وركب الإمام (عم)/ ومنح الله الظفر على الفساق. فأخرج عسكر الإمام (عم) البربر، وقُتل منهم ثلاثون رجلاً، وأخذ الأولياء عليهم علمين. وصار أبو يزيد ومن معه إلى خارج الخندق واجتمع أصحابه إليه، ونظروا إلى قلة الأخبية والمضارب فعاودوا القتال.

353

دش 173

* وخرج الإمام المنصور بالله (صلع) راكباً فاصطفت الصفوف، وتدانّت الزحوف، وجعل الإمام (عم) يكرّ عليهم يميناً وشمالاً، ويصدقهم بحملات عليهم [ت]-توالى، وهو يصول بسيف جدّه ذي الفقار، ويحمل حملات الأسد الكرّار، والمظلة كالعلم على رأسه، فموضعه معروف، والخيّل تكرّ ألفاً بعد ألف، وهو يفرّق جماعاتهم، ويُردي ذوي البأس من كماتهم، والأولياء خمسمائة فارس يُعدّون، والبربر كما ذكر ثلاثون ألفاً أو يزيدون. ثمّ حمل البربر حملة رجل واحد على الأولياء فأدخلوهم إلى معسكرهم (ط 240)، وهرب جماعة منهم إلى ناحية القيروان، ونُهبت فازات (ر 148 ب) كثيرة من معسكر الإمام (عم)، وبقي وحده في عشرين فارساً من خدمه. وأقبل إليه الدجّال ومن معه من حماة رجاله وكماة أبطاله. فلما رأى المنصور بالله إقبالهم إليه، قصد أبا يزيد، ومعه سيف رسول الله (ﷺ) ذو الفقار. وكان الذي يمسك المظلة⁽³³⁾ على رأس

المنصور يخرج
بنفسه إلى
القتال..

(33) المظلة - من شارات الملك عند الخلفاء العاطميين، «اختصوا بها من دون سائر الملوك وهي شبه درقة في رأس رمح محكمة الصنعة رائقة المنظر. يمسكها فارس يعرف بها، فيقال «صاحب المظلة» وكانت عندهم خطة يتداولها من يؤهل لها، فيحاذي بها الملك من حيث كانت الشمس يقيه حرّها بظلها» (ابن حمّاد، 14) ابتدعها المهدي، وواصل السّنة ابنه القائم فكان «يركب بالمظلة في أيام أبيه»، خلافاً لما قال ابن عداري، 208. «لم يركب طول إمارته بمظلة». =

الإمام صقلياً من عبيده. فلما رأى جموع البربر قد أقبلت إلى الإمام (عم)، وفرسانهم قد حملت، نكس المظلة يريد أن يخفي مكان الإمام (عم) فانتهره الإمام وقال له: «ارفع المظلة يا هذا ولا تفزع ولا تخف، فإن الله وعدنا وعداً لا يخلف». وأقبل (عم) على * أبي يزيد لا يلوي على شيء دونه، وحمل كحملة جدّة عليّ بن أبي طالب على الكفار بذي الفقار. فألقى الله الرعب في قلب أبي يزيد، وقد كاد الإمام (عم) أن يضع السيف على رأسه، وولّى ناكصاً على عقبيه مدبراً عن حومة مراسه. وولّت جنود الخوارج من البربر، وأتاح لوليّه النصر عليهم والظفر، فقتل (عم) من أدرك منهم، وثبت في مكانه يمسح العرق عن وجهه.

دش 174

وكانت نساء القيروان⁽³⁴⁾ فوق سطوحهن فعَلَّتْ أصواتهن بالضجيج، والبكاء، ورَمَيْنَ المنهزمين من أصحاب الإمام (عم) بالحجارة، وجعلن يقرن: «أين تتركون مولاكم يا كلاب؟ أخرجتموه، وتركتموه وأسلمتموه! يا غربته! ويا وحدته!». وصاح أهل البلد وخشوا الهلاك من البربر وأن يحلّ بهم المنكر. فحين رأى الناس ثبات الإمام (عم) وثبات المظلة على رأسه، رجعوا إليه من كلّ جهة وأقبلوا من كلّ وجه فغيرهم (صلح) بجنبهم، وهو يسم في وجوههم، وقال: «ادخلوا في كُمّي!» فاحتشموا منه. ولم يظنوا فيه الثبات لأنهم يعرفون أنه ما لاقى الحرب ولا شهدا قبل ذلك المشهد، وابتهجوا حين رأوا حملاته على العدو، وهو كالأسد لا يلاقي كتيبة إلا هذها، ولا تكرر عليه إلا ردّها.

.. فيثبت وحده
في الميدان
والمظلة تعينه
للعدو

355

وتبعهما المنصور كما نرى الآن، ثمّ المعزّ كما يظهر من وصف شاعره ابن هانيء لها. وانظر ما كتبه عنها - وعس غيرها من الشارات - ماريوس كانار في فصله: Cérémonial... ص 417.

(34) دارت المعركة، على ما يظهر، على مقربة من أسوار القيروان.

وعاد القوم إلى القتال، وتمادى الحرب إلى وقت صلاة العصر، ورأى الناس من الإمام (عم) ما (ط 241) لم يكن مثله إلا من جدّه عليّ بن أبي طالب (صلع)، وهالهم ما رأوا منه من الكرّ والإقدام. وقال أبو يزيد لأصحابه: هذا إسماعيل؟

قالوا: نعم، هو إسماعيل.

فحرّك رأسه وقال: هذا يصلح أن يكون ملكاً حقاً (ر 149 أ).

تضامن أهل
القيروان مع
المنصور

وأصاب الفريقين حرّ العطش، وكان أهل القيروان يسقون عسكر الإمام (عم)، والبربر لا يجدون ما يستقون، فمالوا بعد زوال القتال إلى ماء آجن بباب تونس⁽³⁵⁾ ليشربوا منه ويسقوا دوابهم، فمنعهم أهل القيروان ورموهم بالحجارة والسهام من كلّ مكان، فانصرفوا إلى معسكرهم من قرية ممس، وقد أيقن الناس للإمام المنصور بالظفر، ورأوا منه من النجدة ما لم يظنّوه لأحد من البشر، وعظم في أعين الناس وفرح به أولياؤه وشيعته، وهابه رجاله ورعيته.

356

وقال عبد الله بن أصبغ من قصيدة، يذكر قتال الإمام المنصور بالله (عم) وما كان له في ذلك اليوم، حيث يقول:

(طويل)

إشادة الشعراء
بوقعة القيروان
(الجمعة 4 ذي
القعدة 7/334 جوان

(946

شعر ابن
أصبغ ...

ويوم بأرض القيروان شهدته وقد ظلّ فيه الجوّ أغبر أقتما
وطاشت به الأبطال خوفاً، وأخرست لموضع خطب يملأ السمع والفما
لدى معركٍ ضنكٍ تضايقٍ للردى فلا تُسمعُ الأصواتُ إلاّ تغمغما
أزال رجالاً هوّله عن صفوفهم ونكّب ذو الإقدام فيها وأحجما
5 وقامت بأهواء اللعين مطاعم فأقبل حثّا كالظليم مصمّما

(35) لعلها مواجل الأغالبة المعروفة اليوم - «الفسقية»

فلما دنا من حومة الليث في الوغى وبدر الدجى جاب الدجون متمما
 تراءت له تلك الجلالة، فانشى وهابك أن يدنو وأن يتقدما
 فسرت إليه مقدما متدرا دروع يقين أن تصاب فتقصما
 فولاك ظهرا أوقرتة ذنوبه وأعجله مراك أن يتلوما
 10 فمر، وكاد الخوف يضرم قلبه وأنى لكلب أن يعارض ضيغما؟
 فيا جمعة ما كان أعظم فضلها لك الله، جل الله، حى وأنما
 وعدت إليه عودة هاشمية فبان عن الأثقال رغما وأسلما⁽³⁶⁾

دش 177 * وقال (ط 242) محمد بن الحرث بن سعيد الأبروطي:

(طويل)

357 ولم أر كالمنصور/ بالله ناصراً لدين، ولا أحمى لملك وأمنعا
 هو الملك المخصوص بالنصر ملكه وحافظ ما قد كان ضاع وضيعا
 ألم تر يوم القيروان وقوفه، وقد همت الأكباد أن تنصدعا؟
 وأبرز عن وجه من الصبر أبيض يقابل وجهاً للكريهة أسفعا⁽³⁷⁾

وعاد مخلد بن كيداد إلى موضعه بممس فأقام يوم السبت.
 ورحل بالأثقال لخمس خلت من ذي القعدة فنزل على الشرف
 الأحمر بين الجزيرة والقيروان⁽³⁸⁾. وزحف يوم الاثنين إلى خندق
 الإمام (عم) فمنع الإمام من معه من الخروج إليه (ر 149 ب). ووقف مخلد

(36) لا يعرف عبد الله بن أصبغ هذا، وقد شرنا الأبيات في الحوليات، عدد 17 سنة 1979 ص 55.

(37) في خصوص هذا الشاعر، انظر الحوليات عدد 10 سنة 1973 ص 154 وعدد 17 ص 56. وانظر كذلك فيما يأتي ص 462 هامش 186. واسمه في المطبوع: محمد بن هارون.

(38) الشرف الأحمر: هو غير الموضع ببلاد كتامة المذكور ص 305، وقد يكون هو الكدية الحمراء التي عرفنا بها ص 262 هامش 68، وهي في عرب القيروان نحو جبل وسلات

ساعة ثم انصرف إلى باب أصرم، وكان الإمام قد جعل فيه المركوشيين⁽³⁹⁾، وعليهم قدام الصقلي⁽⁴⁰⁾ وجماعة من الأولياء، فوقع بينهم قتال يسير جرح فيه برزون قدام الصقلي، ودفع الله عن نفسه⁽⁴¹⁾، وانصرف الدجال إلى حيث كان معسكراً في الشرف الأحمر.

وزحف تلو ذلك اليوم، يوم الثلاثاء لسبع خلون من ذي القعدة، وجاء خبره إلى الإمام (عم) * ففرق على أوليائه السلاح والعدة، وأمرهم فلبسوا الأمانة واصطفوا صفوفاً، ووقفوا على خيولهم داخل الخندق، ونهاهم الإمام (عم) أن يخرج أحد من الخندق وأن يتعرضوا للقتال، والإمام واقف بينهم على فرسه، والمظلة على رأسه. وأقبلت طائفة من بني كملان كانوا في عسكر الدجال فدعوا بعلي بن حيدرة الكتامي وخلوا به سراً وسألوه أن يأخذ لهم من الإمام المنصور بالله (عم) أماناً ويطلب منه بذلك كتاباً. فرجع إلى الإمام فقال (صلح): «لا أمان لهم أو يأتوني برأس مخلص بن كيداد!» ونادى مناديه: «من جاء برأس مخلص بن كيداد فله عشرة آلاف دينار!».

ووقف رجل من البربر على دابته فسب الإمام (عم)، وأراد الأولياء من كل جهة أن يحملوا عليه، فزجرهم الإمام ونهاهم، حتى

(39) في الجميع: الرشكيس. وهذه قراءة الدشراري وقال. إنهم عبيد لاطييون ينسبون إلى ماركوس (عيون الأخبار هامش 332 والخلافة، 191). ولم تذكر بقية المصادر هؤلاء القوم.

(40) قدام الصقلي: هو عبد ابن حماد، 25 مدام والتصحيح من رياض النفوس، 381/2 «وقطع قدام الصقلي الخيل»، وإن كان المحقق خلط بين قدام اسماً وقدام ظرفاً.

(41) هكذا في الجميع، ولعله يعني. ودفع الله عنه.

دعاء من الإمام
يستجاب في الحين

استوفى اللعين قوله، ثم رفع الإمام (صلع) يديه إلى السماء (ط 243)
وقال «اللهم، خذ بحقي منه!» فما أتمّ قوله حتى ردّ الرجل السبّاب فرسه
فانقلبت عليه وصار سرج الفرس في بطنه فقتله، وحمل عليه الأولياء
فجزّوا رأسه. وسجد الإمام (عم) شكراً لله تعالى، وأكثر حمده على
ما منّ به عليه من إجابة دعائه وسماع ندائه. وكانت تلك آيةً للإمام
المنصور بالله (عم) واضحاً برهانها، ظاهراً بيانها، عاينها الفريقان
وشهد بها الجمعان.

دش 179

359

أبو يزيد يحرق
الزروع حول
القيروان

وأذن الإمام (عم) لأوليائه بالقتال * فوقع قتال عظيم بين
الفريقين / وأطلق البربر النار في بيادر الزروع⁽⁴²⁾ بياب سلم وبياب
أصرم وبياب تونس، وكان بها (ر 150 أ) سنبل عظيم وطعام، فعلا الدخان
وامتلأ الجوّ من القتام، وكان يوماً شديداً الحرّ عظيم الأمر، فهزم
البربر الأولياء حتى أدخلوهم الخندق. فحمل الإمام (عم) ورجع
الأولياء على البربر فهزموهم، وما زال القتال إلى صلاة المغرب،
فانصرف القوم عند الليل، وقد تناصف البعض من البعض، وغطت
القتلى وجه الأرض، وعاد كلّ إلى معسكره.

وقال بعض الشعراء في ذلك:

(طويل)

دلائل آيات الإمام كثيرة تلوح لمن كانت لديه بصائر
تردى التقى والصبر في كلّ موطن وصحّ له عند الإله سرائر
ألم تره حين انبرى ليسبّه شقيّ من الأغتام خلف مكابر
فجندله ذو العرش ساعة سبه وعاجله، والله للحق ناصر

(42) دارت هذه المعارك في منتصف شهر حوان، فالحال صيف والروع صار إلى
الحصاد

5 وما برحت رجلاه حتى تحكمت به، وبأحزاب الضلال، البواتر⁽⁴³⁾

ووجه الإمام (صلع) للحشود، فتوقف أكثر الناس وتربصوا.
وكان أول القادمين عبد الله بن * زلال الجزيري في جند الجزيرة،
فأنزلهم الإمام (عم) بباب تونس. وأمرهم الإمام فخذقوا على
مواضع عسكرهم. وكانت البربر تأتي خيلها كل يوم (ط 244) فتقاتل الذين
بباب أصرم وباب تونس. وقد جعل الإمام أبا الفضل بن أبي
سلاس⁽⁴⁴⁾ في عسكر معه من الجند بباب أصرم، وأمرهم فخذقوا
خندقاً يحوطهم، فامتنع القيروان من دخول البربر إليه، وفرق أبو
يزيد خيله على الطرقات تنهب وتسلب، وكانت تضرب حول
الخندق فتأخذ ما وجدت من الماشية. وأقبل أبو يزيد يوم الأربعاء
لنصف من ذي القعدة بحشوده وجنوده، فكان قتال عظيم فيما يلي
باب تونس، فدعا الإمام (عم) الحسين بن ناكسين الكتامي وأمره أن
يأخذ مائة فارس ويشق القيروان ويخرج إلى البربر من باب تونس⁽⁴⁵⁾
على غفلة. ففعل الحسين ما أمره به الإمام (عم)، فانهزم القوم
مدبرين وولوا على أعقابهم ناكسين (ر 150 ب).

وفي يوم الخميس لأربع عشرة [بقين] من ذي القعدة (جوان
946) قدم إلى الإمام المنصور بالله (صلع) مفرح الكتامي في عسكر
من أهل طرابلس عدتهم ألفان ومائتان وأربعون فارساً⁽⁴⁶⁾. فأنزلهم

(43) نشرنا هذه الآيات المجهولة في حوليات سنة 1979 ص 57. وهي هنا متأخرة عن
الحادثة التي تشيد بها، وكان على المؤلف أن يوردها بعد الفقرة السابقة.

(44) هو إبراهيم بن أبي سلاس صاحب الأريس (ص 258 و 310) وانظر: ابن حماد،
19 - 20.

(45) يظهر أن معسكر المنصور كان بجنوب القيروان، من جهة باب أبي الربيع.

(46) عند ابن حماد، 25 أن هذا المدد قدم من برقة وفيه ألف فارس، ولم يذكر
قائدهم.

في الخندق⁽⁴⁷⁾، وأسبغ عليهم العطاء، ووالى عليهم الآلاء. وقوي
عسكر الإمام، وجرت له الأحوال * على أحسن / نظام.

وأرسل الإمام (عم) خادمه مطيعاً في مائتي فارس ليأتيه بسلاح
وعدة من سوسة، وبلغ ذلك مخلصاً الدجال فسير للقائهم عسكرياً
كثيفاً، فخالفه مطيع ووصل إلى عسكر الإمام سالماً. ووافق عسكر
الدجال الذي خرج إليه رفقة عظيمة من القيروان تريد المهدية
بالأموال والنساء والعيال لينحصنوا بها لأنهم كانوا خائفين أن تكون
للعدة كرة فيغلب على القيروان، فأخذ البربر جميع ما في تلك
الرفقة.

جيش أبي يزيد لا
يقدر على معسكر
المنصور
وخرج ابن بازي من البربر في جيش من قبل الدجال فوصل
إلى باب تونس وقاتل من فيه، فهزم جند البربر وقتل ابن بازي،
وجيء برأسه وبرذونه إلى المنصور بالله (عم). وقتل في ذلك اليوم
من البربر شقر المكناسي، وطعن ركو على الخاصرة، وهما من
عيونهم ووجوه رجالهم (ط 245).

ولما كان يوم الإثنين لعشر بقين من ذي القعدة، وقد اجتمع
لأبي يزيد عساكر عظيمة من البربر وغيرهم، فوعدهم أنه يفتح
القيروان، وأباح لهم انتهاب ما فيها من الأموال، وسبي الحرير،
طمعوا⁽⁴⁸⁾ في ذلك، ووعده الصبر والقتال، وعاهده على ذلك منهم
الأبطال. وخرج أبو يزيد من يومه في جيوش كثيرة وعدة قوية،
وقصد بنفسه إلى ناحية باب تونس، فوقف على كدية، وألقى البربر
النار/ في ما بقي من بيادر الطعام، ووقع القتال بين الفريقين. فأمر
الإمام المنصور (عم) بشرى الخادم في جيش (ر 151 أ) معه فسلخوا وسط

(47) أي في معسكره المحاط بالخندق.

(48) في الجميع: وطمعوا، بدون جواب.

القيروان وخرجوا من باب تونس، واستتروا أن يراهم جنود الدجال، وراموا أن يجدوا فيهم فرصة، فوجدوهم حذرّين. وجاء إلى أبي يزيد من أخبره خبرهم، فأخذ حذره وبقي موضعه. ووقف الإمام على باب الخندق يُمدّ العسكر الذي بباب تونس بالخيّل والرماة. فلمّا رأى ثبات أبي يزيد، وجّه خيلاً من الذين معه ورجالة كثيرة وأمرهم أن يقصدوا أخبية أبي يزيد ففعلوا. فحين رآهم أبو يزيد قد أمعنوا في المسير، ترك القتال وتوجّه نحو أخبيته. وخرج الإمام المنصور بالله (عم) خلفهم، فكانت الهزيمة على أبي يزيد وأصحابه، وقُتل منهم عدّة كثيرة، وماتت لهم خيل أصيبت بالنبل، ووصلوا إلى معسكرهم مهزومين مكلومين، ورجع الإمام إلى معسكره غانماً ظافراً، وكان الله له وليّاً وناصرّاً.

المنصور يبيّ
سراياه في جميع
الجهات

ولمّا أصبح أبو يزيد قال للذين معه من عسكر البربر: «إنّ هؤلاء قد كثروا، ولا مصلحة لنا في قتالهم بعد تحصّنهم في خنادقهم وقوتهم ومظاهرتهم إلى القيروان. ولكنّ الرأي أنّا نُخرج خيولنا إلى ناحية المهدية ونقطع * عنهم الميرة. ومتى توجّهنا إلى جهات المهدية، فإنّ عيالات الكتاميين هنالك، ولعلّهم أن يختلف أمرهم وينفضّ جمعهم». وأخرج ابنه فضل بن مخلد إلى ناحية سوسة، ووجّه خيولاً كثيرة إلى ناحية المهدية وإلى ناحية الساحل، فكانت خيله تسبي وتغنم، وبلغت (ط 246) خيله إلى باب جمّة⁽⁴⁹⁾ وأرباض المهدية، واستاقوا غنماً وبقراً. وكان أكثر رجال المهدية وذوو البأس فيها مع الإمام (عم)، فوقع القلق والخوف مع نساء الأولياء المخلفات بجمّة وحول المهدية في أرباضها، وخافوا أن تهجم

دش 183
363

فصل بن مخلد
يقصد المهدية...

(49) جمّة هو اسم المهدية الأثرية، من عهد الروم: قومي Gummi ويبدو أنّه بقي في أحد أرباضها.

عليهم خيل البربر. وأرادت النساء دخول المهديّة فمنعهنّ جوذر الأستاذ عن ذلك. وبلغ الخبر الكتاميّين فوقع فيهم الانضراب⁽⁵⁰⁾ وأرادوا المسير عن عسكر الإمام إلى المهديّة، وشكوا ذلك إلى الإمام (عم) فبعث جيشاً كثيراً كثيفاً إلى (ر 151 ب) المهديّة فضبطوا نواحيها وحموها، وبطل ما كان مخلد دبر، واحتمت جوانب المهديّة عن البربر. وتوسّط البربر في الطرقات وأمعنوا بالفساد في كلّ الجهات، وكانوا يختطفون الأموال، ويشوّهون من يقع في أيديهم من الرجال، بقطع يده أو رجله، أو جدع / أنفه أو اصطلام أذنه، أو ما أشبه ذلك، وخافت السبل وعظم الفساد.

.. لسبي
الكتاميّات فيبطل
المنصور خطته

364

ولما كان نصف ذي الحجة (جويلية 946) جاءت خيل البربر فانتهدت إلى حول الخندق الذي فيه معسكر الإمام (عم) * حتى همّت أن تفتحمه. فعجّ الناس وضجّوا إلى الإمام، فخرج (صلح) فقاتل القوم بنفسه وهزمهم إلى مكان يعرف بـ «قصر عليّ»⁽⁵¹⁾. واشتدّ القتال فنزل الإمام في موضع القتال عن دابّته، ونُصب له كرسيّ فجلس عليه، والحرب بين يديه. فجاءه وجوه الأولياء وقالوا: لا نأمن أن تكون للعدوّ كرّة وينهزم الناس وأنت واقف، والصواب أن تركب جوادك.

دش 184

فضحك (عم) إليهم وقال لهم: لا تخافوا فإنّ النصر قد آن أوانه وحان حينه.

أنصار الإمام يشنونه
عن الظهور للعدوّ
خوفاً عليه..

فأشفق القوم وكثر رهبهم وألحوا في سؤال الإمام ليركب وقالوا: ألا ترى قوّة العدوّ وتكاثر غاراته، وإقبال كتائبه وراياته؟

فأمر الإمام (عم) أن يُنزع لجام دابّته وأن تُسقى من ماء

(50) الانضراب عوض الاضطراب في الجميع.
(51) لا نعرف قصر عليّ ولم نجده في المراجع.

هنالك، ليريههم أنه غير مكترث لما به يكثرثون، وأن الله قد آتاه علم ما لا يعلمون، ثقة بما هيأ الله له من وعده، وعلماً ورثه عن (ط 247) آبائه عن رسول الله جدّه صلى الله عليه وعلى آله. فما زال الناس يقاتلون والإمام (عم) واقف/ ينظر إليهم حتى كلّ الفريقان، وملّ الجمعان، فرجع كلّ منهم إلى معسكره، وعاد الإمام (عم) واثقاً بوعده الله في بلوغ وطره.

365

وكتب مخلد الدجال إلى الإمام (عم) يسأله ردّ نسائه وبناته وأولاده، ونساء رجاله وأولادهم الذين كانوا في القيروان وصاروا إلى المهدية، كما قدّمنا ذكر ذلك⁽⁵²⁾ وحلف * الأيمان المغلظة - إن الإمام ردّهم - (ر 125 أ) أنه يرجع إلى طاعته بصدق نية، وأنه يطلب الأمان ويسكن في قسطنطينية. فأجابه الإمام إلى ما ألحّ فيه الطلب والسؤال، ووجه إلى المهدية في وصول النساء والعيال. فلما علم أبو يزيد أن الإمام قد أرسل لأولاده، أراد أن يرسل خيلاً لتوصلهم إليه، وتحول بينهم وبين الوصول إلى عسكر الإمام ليأخذهم بالقهر والغلبة، ولا يحمل منّا للإمام (عم) فيما رامه وطلبه. وانتهى ذلك إلى الإمام (عم) فبادره ذلك اليوم بالزحف، وخرج من معسكره وخندقه، وذلك يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة (جويلية 946)، فبلغ (عم) إلى قصر عليّ. وخرج إليه أبو يزيد بنفسه وجميع جموعه، وقد كمن البربر كمينين، وأرادوا غرة جيش الإمام (عم) فلم يجدوا غرة ولا فرصة. وما زال الإمام (عم) يحرض عسكره ويعدّهم بالفتح والنصر، وكان/ يترك المظلة مع ممسكها ويمضي بغير مظلة في عسكره ليعاين القتال، ويحمل على الأعداء حملات الرئبال، فتارة يحمل عليهم من القلب، وتارة من الميمنة، وتارة من الميسرة،

دش 184

أبو يزيد يتوسل إلى المنصور في ردّ عياله ..

.. فيلبي طلبه ..

366

.. ويبطل خدعة أبي يزيد

(52) تقدّم خبر نساء أبي يزيد في ص 350.

ويصدقهم بالطعن والضرب. فقتل من البربر جماعة كثيرة، ولم يقتل أحد من أصحاب الإمام (عم)، وأيقن الدجال ذلك اليوم بالفسر والانزمام. وأرسل إلى الإمام يقول له: ألم يكن بيننا وعد إلى وصول العيالات والحرم؟ وكان ينبغي الصبر حتى يصلوا وينصرم ما عقدناه ويتم؟

فردّ الإمام (عم) إليه: إنه قد بلغنا أنكم قد أخرجتم خيلاً لتقطع الطريق وأخلفتم القول، وأنتم لا يؤخذ منكم بأمر وثيق. فقال أبو يزيد: نعم، قد هممنا بذلك وما فعلنا، ولم يتم لنا، مع خروجكم إلينا بالأمس، ما عليه عولنا.

وركب الإمام (عم) يوم الأحد ثاني اليوم المذكور يريد معاودة القتال، فهو (عم) يقوم الصفوف، ويعبئ العساكر، ويأمرهم بالصبر على طعن القنا وضرب السيوف. ثم وصلت ذلك اليوم عيالات أبي يزيد وأصحابه من المهدية. فرجع الإمام إلى معسكره وأمر بإزالة (ر 152 ب) العيال في موضع ستر، وأرسل إلى الدجال من ينبئه بوصولهم ويقول/ له: «بعثنا إليك الأمير إسماعيل الكريم، أيها الكلب اللئيم: أما بعد، فقد وصلت حرمكم وأولادكم، فوجه من تثق به ليصل إليك بهم». فبلغوا الرسالة ورجعوا بالجواب. وأمر الإمام (عم) أن تُنصب له فارة خارج الخندق، فنصبت الفارة وفرش. وقدم من ناحية أبي يزيد رجلان يقال لأحدهما مكحول، زوج ابنة الدجال. وكانت في العيال الذين قدموا. ويقال للآخر كمين بن عمرو، بربري من باغاية. فأمر الإمام (عم) بكسوتهما، وكسوة النساء والعيال، وأن يدفع لكل واحد من النساء وواحد من العيال عشرة دنانير من العين، وأعطى مكحولاً وكميناً البربريين مائة دينار. ووجه بالعيال ليلاً وزودهم أصناف الحلوى، وأمر بالمشاعل فأوقدت أمامهم، وأصبحهم من عبيده سعداً العامل في جماعة معه حتى

367

تسليم العيال إلى
مبعوثي أبي يزيد

أبو يزيد ينكر
الجميل ويوهم
أنصاره أن المنصور
هابه

368

استطرد في
استنجاد مخلد
بالناصر الأموي
دش 188

وافى أبا يزيد إلى معسكره. فحين وصل النساء والعيال إلى أبي يزيد (ط 249) وجّه بهم إلى جبل أوراس. ثم رجع إلى أصحابه فأظهر ما أضمر من غدره، وباح بما في مكنون سرّه، وقال: «إن إسماعيل ما أرسل إليكم بعيالكم، وصنع إليهم الصنائع التي علمتم، إلا حين داخله الخوف منا وعلم بأسنا، ففعل ذلك مداراة لنا. فجدّوا في أمركم وأذيقوا القوم ما عودوه/ من عظيم شرّكم!». فأنكر عليه كثير من عقلاء البربر غدره وقالوا: «كان الواجب أن تجزي بالصنيع مثله». وتفرّقوا عنه، وعلموا أن الإمام (عم) قد قويت عساكره وظهرت علامات نصره. وتمادى مع الدجال أهل أوراس وبنو كملان على العصيان والمروق، والامتناع عن الدخول في الطاعة والرجوع.

وكان قد وجّه أبو يزيد أبنه⁽⁵³⁾ إلى الأموي الذي كان بالأندلس يستنصره ويعدّه القيام معه. فأخرج معه الأموي عسكرياً وأموالاً، وتوجّهوا إلى ناحية تاهرت، فظفر بهم عامل * الإمام (عم) عبد الله بن بكار، وأرسل برأس أيوب إلى الإمام (عم) وذلك بعد انقضاء أمر أبي يزيد⁽⁵⁴⁾.

وحين اتّصل بالإمام (عم) ما تمادى (ر 153 أ) عليه المارقون من العصيان، وامتناعهم عن الطاعة، وتناهيهم في الإصرار والعدوان، أمر قبل طلوع الفجر بضرب الطبول، وأمر عساكره أن يتهيّؤوا للخروج. وخرج (عم) بنفسه الزكيّة أو ان طلوع الصبح، وذلك يوم

(53) أبه أيوب، في سنة 335 حسب ابن عداري، 214/2. أمّا بعثة سنة 334، فقيادة تميم ابن صاحب الطبقات أبي العرب التميمي: قدمت إلى قرطبة في أواخر شوال 333 ورحعت إلى إمريقية في سنة 334 (البيان المغرب، 213/2، وليبي بروفنصال: تاريخ، 104/2) ولم يذكر ابن عداري نتيجة الوفاة
(54) أي بعد وفاة أبي يزيد في المحرم 336. وقال ابن حمّاد، 39، أن عد الله بن بكار قتل أيوب غيلة سنة 333.

الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة آخر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (آخر جويلية 946)، وقد لبس لأمنه، وتقلد سيف رسول الله ووصيه / صلى الله عليهما ذا الفقار، وأخذ الرمح بيمينه واعتقل ذرقة على يساره، وتمادى إلى قصد العدو، وأتبعه الناس فعبأهم على مصافهم. وامتنع البربر عن الخروج من معسكرهم، فحضر الإمام (عم) أصحابه وأمرهم بالهجوم على فازاتهم والدخول عليهم في مستقرهم. فاستهال الناس ذلك واستعظموه وجنوا عنه، وما زالوا بالإمام (عم) يسألونه الرجوع حتى أغضبوه، فرمى الرمح عن يده (ط 250) ورجع مغضباً غاضباً إلى معسكره. فأقام أياماً بالخندق لا يخرج من مضربه، وحجب الناس عن الدخول إليه، حتى بلغ البربر احتجاجه، فأرجفوا وقويت قلوبهم، وظنوا أن امتناعه عن الخروج لعلّة وتوَعك، فأغاروا إلى كلّ ناحية وأفسدوا *، وأقام (عم) لا يواجه أحداً ولا يخرج إلى جيوشه عن مضربه، ولا يمدّ إليهم للسلام عليه يداً.

غضب المنصور
على أنصاره ..

.. لتهييهم أبا
يزيد

دش 189

ودخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة (2 أوت 946)

وأغارت خيل أبي يزيد فانتهبت السيارة من أهل القيروان إلى المهدية، وأخذوا كثيراً من الإبل والأحمال، وقتلوا جماعة عظيمة من الرفاق. واغتمّ الأولياء غمّاً شديداً لذلك، وكان ذلك يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم (5 أوت 946). وما زال الإمام محتجباً عن الناس إلى / يوم الأربعاء لخمس خلون من المحرم. فجاء أبو يزيد بجموعه قاصداً القيروان وقد انضمت إليه جماعة كثيرة من البربر، فوقع القتال عند باب تونس، وقامت الصيحة، وضجّ الناس إلى الإمام (عم)، فأمر بضرب الطبول نصف النهار، ونشرت الأعلام. وركب الإمام، وخرج على القوم، وقد وقع بين الناس قتال عظيم، وقتل رجال من الأولياء، واقتحم الخندق حتى صاروا يقرب الإمام (ر 153 ب). وحمل على الإمام عند خروجه فارس من البربر حتى دنا منه وهم

370

معركة أخرى بباب
تونس

أن يطعنه برمح، فحمل عليه الإمام، فما هو إلا أن حرك دابته إليهم فانقلبوا على أديبارهم منهزمين بعد قتال شديد وأمر عظيم. وقُتل جماعة من البربر وعقرت خيول * لهم. ورجعوا إلى معسكرهم وكفوا عن الطريق، وكان معظم همهم أنفسهم.

دش 190

فلما كان يوم الجمعة لسبع خلون من المحرم (9 أوت 946)، ركب الإمام إلى العدو على تعبئة الحرب، فبلغ إلى قريبهم، ولم يخرج إليه أحد. فرجع إلى الخندق، وطلع قبة قد أمر ببنائها، وأمر جنوده أن يجوزوا بين يديه (ط 251) فرأى منهم ما سره. وزحف البربر ذلك اليوم بعد الظهر/ إلى باب تونس، وانتشب القتال، واتصل أمر ذلك بالإمام (عم) وهو في قليل من الناس لكونهم مفترقين في الأسواق لحوائجهم. فركب (عم) تلك الساعة، وتمادى القتال، وقُتل من الفريقين خلق كثير. ودخل الظلام فأوقدت المشاعل وبقي القتال إلى الصبح، وتسمى تلك الوقعة «وقعة المشاعل». ورزق الإمام الظفر، وعاد الدجال إلى معسكره. ثم ركب الإمام ذلك اليوم حين انصرف من صلاة الفجر على تعبئة الحرب، وبلغ قرب العدو، فامتنعوا عن الخروج، وعاد الإمام إلى معسكره.

371

«وقعة المشاعل»
(7 - 8 محرم 335/)
أوت 946

وركب يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم وسار (صلح) يؤم العدو فوق قتال غير كثير، وأنكفأ البربر إلى معسكرهم فرجع الإمام إلى معسكره *.

دش 191

وخرج الإمام بعد صلاة الصبح، وقد ركب جواده واستلأم بعدة حربه وعباً جنوده فجعل في الميمنة أهل إفريقية، وفي الميسرة لهيصة وجيملة، وفي القلب بني بنطاس، وهو (صلح) معهم وعبيده بين يديه ورجاله الأولياء، وخاصّة جنده الذين لا يفرقون من (55)

الخروج الحاسم
(11 محرم 335/)
أوت 946 ..

(55) في (ر). لا يفرّون عن

القتال، ولا يهابون مبارزة الأبطال. وكانوا في أحسن زِيٍّ وأبهى عَدَّة، وذلك/ يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من المحرم (15 أوت 946) فحين صاروا بإزاء العدو، لم يخرج إليهم أحد، ووقف مغلل الدجال ومن معه في معسكرهم. فأخذ الإمام (ر 154 أ) معارضاً لهم شرقيّ عسكرهم، فانتشب القتال وبرز أبطال الرجال، وخرج الدجال مغلل ابن كيداد بنفسه في أبطاله ووجوه رجاله، وقد أحاطوا به. وكان قتال عظيم تلاحم فيه الفريقان واختلط الفئتان، وأقدموا إقدام من كره الحياة، وبرز مستعجلاً يريد (ط 252) الممات. وباشر الإمام (عم) الحرب بنفسه، وكرّ في أعدائه يطعن تارة برمحه، ويضرب تارة بذِي الفقار سيف جَدّه. وحمل الدجال في معظم جيشه. على ميمنة الإمام فهزمها، ثم صمد⁽⁵⁶⁾ القلب، إلى الإمام قاصداً، وله بكُماته وحماته عامداً. فقصده الإمام (عم) وبارزه، وصار كل واحد منهما يريد صاحبه، فهابت كتامة على الإمام (عم) * لما يرون مع الدجال، من البربر المعتادين للقتال، الذين قد حفّوا به من خلف وأمام، ويمين وشمال. فأمسك مشايخ كتامة الإمام وقالوا: «نحن نكفيك، وبأنفسنا نفيك». وحاولوا أن يؤخروه عن الإقدام، وأن/ يكون خلفهم، ينظر إليهم وهم يقاتلون بين يديه. فنهاهم عن ذلك وزجرهم، وبالرجوع إلى مراكزهم أمرهم، وقال: «كم هذا التخلّف عن هذا الكلب؟ والله لا أهملته ولا تركته!» وقال لعبيده ورجاله الذين بين يديه: «تحركوا نحو هذا الفاسق، وامشوا بنا إليه! فهذا يوم الفتح إن شاء الله».

دش 192
.. المكلّل بالنصر
المبين ..

وحمل على الدجال المارق لا يريد سواه، ولا يقصد إلا إيّاه، فكلّ من حال بينه وبينه^(56م) من البربر، حمل عليه فأرداه، وكرّ عليه

(56) صمد القلب، أي قصده.

(56م) الضميران يعودان على المنصور ومغلل.

بذي الفقار وقد انتضاه. فحين دنا من الدجال وكاذ أن يصل مفرق رأسه بذي الفقار، أدبر ناكصاً على عقبيه، لا يعوج على شيء ولا يلوي إليه، فانهزمت جيوشه شرّ انهزام، وفلقت السيوف المشرفية منهم الهام، وأخذوا بالنواصي والأقدام. وتركوا موضع معسكرهم وجميع مضاربهم وأخبيتهم. وانفردت بنو كملان، وكانوا حماة البربر، وأكثر من اجتهد مع ابن كيداد وصبر، فوقفوا على شمال معسكرهم على رابية من * الأرض. وخاف الأولياء أن تكون تلك مكيدة من العدو، وأن يكون لهم كمين في المضارب والفايزات. فاجتمعوا إلى الإمام (عم) وقالوا: «لا نأمن أن تكون (ر 154 ب) مكيدة، وأن يخبئوا لنا في معسكرهم كميناً، فمتى توسطنا ظهوروا علينا. وأفضل الرأي ما اقتبس من عندك، فما الذي تأمر به عبيدك وأولياءك وجميع (ط 253) جندك؟

دش 193

374

فقال (عم): أنا أقف بمن معي ناحية، وتدخل طائفة منكم إلى الأخبية، فإني ما دمت قائماً، فإن القوم لا يرجعون إلى أخبيتهم ولا يعرجون عن إدبارهم وهزيمتهم. فإن عادوا شددت عليهم، وأعدت ما ألفوه من الحملات عليهم. وإن خبئوا لكم كميناً، كنت لكم رداءً ترجعون إليه، وفيئة⁽⁵⁷⁾ تحيرون إليها وتفيئون نحوها.

فاستصوبوا رأيه وقالوا: وفق الله مولانا وسدده، فلقد هداه إلى الصواب وأرشده.

.. والقتل الذريع
في أصحاب أبي
يزيد

ودخلوا الأخبية فقتلوا من وجدوا بها من الرجال، وحازوا ما فيها من الغنائم العظيمة والأموال، وولت بنو كملان عند ذلك منهزمين، والسيوف تأخذهم ضرباً للأعناق، وجزاً منهم لكل وتين. وسجد الإمام (عم) وهو راكب على فرسه، ورجع إلى خندقه، وهو

(57) الفيئة: ما يرجع إليه ويعتصم به.

يكثّر من حمد الله وشكره، على ما أولاه من فتحه ونصره. ونادى مناديه: «من أتى برأس فله ربع دينار»، يحرّض الصبيان على جزّ رؤوسهم. وأمر * بعد ما حصل من الرؤوس، فزادت على عشرة آلاف رأس، وأمكن الله من المارقين الأرجاس، وأراح من بغيتهم وعتوهم الناس. وانصرف الدجّال فيمن بقي معه هارين / من جهات إفريقية، متوغّلين في الفرار لخيفة الجنود المنصورية.

دش 194

375

ولما أصبح الإمام (عم) من ليلة الفتح يوم الجمعة، أخرج أحمالاً من الدنانير والدرهم كثيرة، فتصدّق بها وفرّقها في الفقراء، والمساكين وذوي الحاجات من المسلمين. وتولّى تفريقها في القيروان قاضي الإمام وهو محمد بن أبي المنظور⁽⁵⁸⁾ رحمة الله عليه، وغيره من صلحاء البلد.

وأمر الإمام (عم) جعفر بن عليّ مولى جدّه المهديّ بالله (عم) إلى جامع القيروان، فصلّى الجمعة وأقام الخطبة، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي (ر 155 أ) وعلى آله وعلى (ط 254) وصيّيه والأئمة الطاهرين من ذريّته، وأكثر من حمد الله وشكره على ما فتح لأوليائه من النصر، وأحلّ بأعدائه من الذلّة والقهر، وما كشف الله به عن أهل الإسلام الخاصّ منهم والعامّ، من البلاء والمحنة، وما صاروا إليه من السلامة والأمنة، ثمّ قال:

المنصور يتصدّق
على الفقراء بعد
الظفر

«معاشر الناس! مولانا وسيّدنا الأمير إسماعيل المنصور بالله، أطال الله بقاءه * يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: قد علم الله سبحانه حسنَ نيّتي فيكم، وما أضمره من الخير لكم، وما أحبّه من صلاح

195
المنصور
رؤاها جعفر
حاجب...

(58) محمّد بن أبي المنظور الأنصاري: ولّاه المنصور قضاء القيروان سنة 334، وتوفّي على هذا المنصب سنة 337 وله ترجمة صافية في رياض النفوس، 257/2. وفي المخطوط: ابن أبي المنصور.

أموركم، وما أجد في نفسي من الغمّ لما حلّ بكم من البلاء، وما نزل بكم من الفقر وذهاب الأنفس/ والأموال. وإن لي آمالاً كثيرة حسنة أوّملها فيكم ما منعني عن إظهارها إلا كون هذا العدوّ بحذائي، ومحاربتي له، وما كان من هذه الوقائع بيني وبينه. فلو كنّا أظهرنا ما كنّا نؤمله من الإحسان إليكم قبل الظفر، لقال الجهّال: إنّما فعل ذلك استمالّة لقلوب الرعيّة وخروفاً من العدو. فلمّا كان من الله علينا ما علمتموه، ومن نصره لنا ما رأيتموه، وفتح لنا على عدوّه بمنّه وطّوله، أردنا أن نقابل منّة الله، جلّ وعلا، علينا، بالشكر له والإحسان إلى عباده، والرفق بخلقه، وأن يظهر بعض ما نوبناه فيكم، إذ كان إظهاره في وقت الفتح أولى وأشبه منه قبل ذلك، للوجه الذي ذكرناه:

«فقد ترك الأمير أعزّه الله، ما يجب عليكم في هذه السنة الآتية، وهي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، من العُشر، والصدقات، وجميع اللوازم⁽⁵⁹⁾. وفعل ذلك بجميع الناس مسلمهم وذميّهم، رفقا

.. ويعلن فيها عن إسقاط الجباية لسنة 335.

(59) التمييز بين العشر والصدقة هنا، يرجّح أنّ العشر تعني الضريبة المفروضة على البصائع المنقولة من مكان إلى مكان، وهي ضريبة من نوع المكوس التي تكاثرت في العهد العبّاسي، وفي العهد الفاطمي بمصر خاصّة. ولو كان المقصود بالعشر زكاة الأرض المعشّرة، أي المزروعة المسقيّة، لما ميز عن الصدقة.

والصدقة هي الزكاة، حسب تعريف الماوردي (الأحكام السلطانية، 113) وقد استشهد بحديث الرسول (ﷺ). «ليس في المال حقّ سوى الصدقة». ولمّا كان المفروض في الزكاة أنها تصرف إلى الفقراء والمساكين، وإلى أصناف من المحتاجين عدّتهم آية الصدقات (التوبة، 60)، فالمفهوم من قرار المنصور هنا أنها كانت تدخل بيت المال، أي خزينة الدولة، وأنّ الأمراء الأغلبية، ثم الخلفاء الفاطميّين قد اعتبروا الصدقات من مداخيل الدولة.

بقيت اللوازم: فلعلّها القبالات المختلفة التي يفرضها الحُكّام هنا وهناك، ويطلبها اللاحق في مستهل حكمه ثم يأخذ فيها بسيرة سابقة، وهي غير شرعيّة، =

بهم، وعوناً بهم على عمارة أرضهم وبواديهم. فليبلغ الشاهد الغائب، وليرجع كل بدوي منكم إلى باديته بلا مرزئة⁽⁶⁰⁾ عليه ولا كلفة. ثم إنه لا يؤخذ منهم * في إقبال السنين، إلا العشر والصدقة، الطعام من الطعام، والشاة (ر155 ب) من الغنم، والثور من / البقر، والبعير من الإبل⁽⁶¹⁾، على فرائض الله سبحانه، وسنة جدّي رسول الله (ﷺ). ثم بعد ذلك يساق إليكم من الإحسان، وإظهار العدل، وإحياء الحق، وإماتة الباطل ما تعظم به منّة الله عليكم، وتعرفون بركة أيامي ويمن دولتي إن شاء الله.

377

... والرجوع إلى
أحكام الشرع في
الأموال

= لم يأت بها قرآن ولا سنة وقد اعترف ابن عداري، 142 - 143، لأبي عبد الله الداعي - رغم تحامله المعروف على العبيدين - بإبطاله للضرائب غير المفروضة في الشريعة ولا نطن أن المصور يعني الضرائب الشيعية المخصصة بالمذهب الإسماعيلي من جنس «الخمس» الذي يدفع إلى الإمام، لا من الغنائم فحسب، بل من كل كسب يكسبه المؤمن وقد تعرضنا في تعليقاتنا على مصطلح «الأعمال» و«الواجبات» و«الفقات» في المجالس والمسائرات (انظر الفهارس) إلى هذا الجانب من سياسة المال عند الفاطميين ومهما يكن من أمر المداخيل المسقطة لسنة 335، فإن قرار المنصور هذا، بصرف النظر عن مرماه السياسي في تألف قلوب الرعية، وإرضاء مطامعها إلى العدالة الجائئة - وقد كان هذا الرجوع إلى الشرع مطلب أبي يزيد حين قام بزعمه محتسباً - هذا القرار يخفف من تهمة العسف الجبائي التي تساق بعض الدارسين إلى رمي العبيدين بها، اعتماداً على مراجع سنة يعترفون هم أنفسهم بتحيزها، ومن هؤلاء ج. مارسى: Berbére، 142، ور لوطربو: La Révolte، 110.

هذا، وقد تبسط فرحات الدشراوي في رسالته (ص 323 - 347) في سياسة الفاطميين الجائئة دون أن يعرض إلى أحكام هذه الخطة على أهميتها، وكتاب الداعي إدريس من مراجعه المذكورة بكثرة.
(60) المرزئة. الداهية والمصيبة.

(61) يقر المصور هنا ما قرره أبو عبد الله بقوله. «إما العشر حبوب، وهذا عين» (ابن عداري، 141) من أن الركاة «لا يؤخذ فيها عرص ولا ثمن» (ابن أبي زيد. الرسالة، 138). بقي أننا لا نفهم الحاجة في أن تكون زكاة المواشي من جنس المزكى، الثور من القر، والبعير من الإبل، مع أن الشرع قبل أن تكون زكاة الإبل شاة فأكثر

فكبر الناس عند ذلك وفرحوا بما سمعوا، وارتفعت أصواتهم بالبكاء والتضرع إلى الله (عج) في بقاء الإمام المنصور، وأن يجعل عدوه وعدو الأئمة المذلول المقهور، واستبشروا بما أظهر لهم الإمام (صلع) من عدله، وما أنعم به الله عليهم من فضله.

وكتب الإمام المنصور بالله (صلع) كتاباً إلى المهدية وأمر عبده وعبد آبائه الطاهرين جوذر الأستاذ أن يقرأه على المنبر في المهدية، وجعل عنوانه ولفظه إلى أمير المؤمنين القائم بأمر الله صلى الله عليه وقدس روحه ورضي عنه، وعلى ذلك كان يكتب عبده جوذراً. وكان جوذر يكتب إليه باسم أمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم) على ما نشرحه إذا انتهينا إليه بعون الله سبحانه ومنه. وهذه نسخة الكتاب بعد البسملة والصلاة على النبي وعلى آله:

دش 197

«الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله! *».

«والله أكبر! الله أكبر! والله الحمد!»

378

«الحمد لله على نعمه التي لا تحصى، ومنه التي لا

تجازى.

«والله أكبر، تكبير ولي عهد المسلمين، سيف أمير المؤمنين، ناصر الدين، شكراً لرب العالمين.
«يا وارث النبيين، يا سيد المسلمين، يا خليفة رب العالمين،
يا خير الخلق أجمعين، يا ولي رب العالمين!».

رسالة المنصور إلى
جوذر
موسومة باسم
القائم ..

«اليوم أعز الله دين جدك محمد رسوله المصطفى صلى الله عليه وعلى آله، وسنته وأمته، وأدعم به أركان الدين، وأظهر برهانه أمير المؤمنين وأفلج حجته، وأعلى كلمته، ونصر حزبه!»

«اليوم فتحت مشارق الأرض ومغاربها! اليوم ازداد الحق ضياء وعلاء وسناء!»

«الحمد لله ربّ (ط 256) العالمين، الذي نصر عبده، وأعزّ جنده (ر 156 أ) وهزم الأحزاب وحده.

«والله يا سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين، ما سُمع من عهد جدّك المصطفى رسول الله، صلّى الله عليه وعلى آله، بيوم كان أعزّ نصراً، وتأييداً وظفراً وقهراً، منه، بعد أن عاند الفسقة الكفرة الفجرة عناد من أيقن بالموت واستبسل، وناصب وعاند، فأبى الله (عج) إلّا إتمام نوره، وإعلاء كلمته، على كره الكافرين، ورجم الراغمين.

.. يعلمه بهزيمة

مخلد

أمام القيروان

«جملة ما أبشّر به سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين، أنّ قتلاهم غطّت الأرض، وامتأّت العسكر المنصور من غنائمهم، وكذلك القيروان، وما عجز الأولياء عن حمله واستقلوه، أطلقت/ عليه * النار فأحرقتة. واستولينا على مُناخ اللعين بما فيه من قليل وكثير، فقتل فيه ما لا يحصى، سوى ما قتل في المعركة، وليس إلى إحصاء من قتل سبيل لكثرتهم.

دش 198
379

«وكان اللعين قد صابر وحامي، فقصدته بنفسه فأخذته السيوف والرماح بين يديّ. وإن كان قد هرب بحُشاشة نفسه، فهو أسير يومه أو غده، وأنا راحل في إثره لأشقّ البلاد طولاً وعرضاً، أظأ ديار الفاسقين وأمحو بسيفك آثارهم بحول الله وقوّته، وعزّه ونصره.

«وقد بعثت بكتابي هذا إلى أمير المؤمنين مولانا وسيّدنا»⁽⁶²⁾.

وكان الأولياء قد اجتمعوا إلى الإمام المنصور بالله (صلع) وهو

(62) الرسالة في سيرة الأستاذ جوذر، 45 - 46 مع حذف بعض التفاصيل، وحذف الداعي لإدريس بالخصوص الفقرة الأخيرة التي تؤرّخ للوقعة بيوم الخميس 13 محرم 335. وفي هذا التاريخ اختلاف واسع تبسط فيه ماريوس كانار في تعليقه رقم 58.

رسالة من المنصور إلى فروع كتامة..

في الخندق أيام [قلة] عسكره وقوة عدوه الدجال وعظيم منكره، وسألوه أن يكتب إلى الكتاميين الذين بقسنطينة مع الحسن بن علي وغيرهم من سائر كتامة يأمرهم بالقدوم عليه. فكتب الإمام (عم) في شهر ذي القعدة من سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ما هذا فصه:

«من الأمير إسماعيل ولي عهد المسلمين، ابن أمير المؤمنين، إلى كافة كتامة.

«سلام على من اتبع الهدى، وأثر الآخرة على الأولى. فإننا نحمد الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله/ وعلى عترته الأبرار، الطيبين الأخيار (ر 156 ب).

380

«أما بعد، فإن كتابنا هذا إليكم، بعد نزولنا بالقيروان بجيوشنا المنصورة من أوليائنا وعبيدنا، وقد أعز الله نصرنا، وأتم وعده لنا، وأعز أوليائنا، وأذل أعداءنا وأظفرنا، ومكن لنا البلاد، وقمع بنا جميع العباد، طوعاً وكرهاً، والمنّة والشكر لله رب العالمين.

«وقد تابعت إليكم، معاشر كتامة، كتبنا ورسلنا، تحضكم على ما فيه رضى سيدكم ومولاكم، مولانا أمير المؤمنين، المقرون رضاه برضا رب العالمين، فتربصتم وثقالتُم إلى الأرض، ورضيتُم بالحياة الدنيا من الآخرة، وبالعاجلة من الآجلة، فعل الذين أصمَّتْهم الدنيا وأعمتْهم، ولا يعرفون معروفاً فيبصرونه، ولا منكراً فيرفعونَه⁽⁶³⁾، تبذلون أنفسكم وأموالكم على حمية الجاهلية التي معها خسران الدنيا والآخرة، وقد أعرضتم عن الجهاد الذي أمركم الله به، صفحاً، وزهدتم في الثواب، وأمتتم العقاب، كأنكم لم تسمعوا وعد الله ووعيده، ولا تُلِيْت عليكم آياته، ولا قامت عليكم

.. يوتخهم على قعودهم...

(63) في الجميع: فيعرفونه.

حَجَّتْهُ. ﴿كَلَّا، بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففون، 14)، يا أشباه الرجال ولا رجال! ⁽⁶⁴⁾ رَضِيتُمْ بالعار، فهل لكم صبر على النار؟.

«واعلموا أنني لا أكتب إليكم كتاباً بعد هذا، وأنني لم أكتب إليكم / هذا الكتاب إلاّ بسؤال من قبلنا من أوليائنا الذين جاهدوا وصبروا، وإلحاحهم وضرعهم، وطلبهم منا الإعذار إليكم، وتأكيدهم الحجة عليكم *، رجاء منهم أن تُنبئوا إلى ربكم، وتراجعوا التوبة التي هي أولى بكم، وتسارعوا إلى قضاء ما افترضه الله عليكم من الجهاد الذي فيه تمحيص الذنوب (ط 258)، ومحو العيوب، وتفريج الكروب.

381

دش 200

«وأنفذنا مع كتابنا هذا رجالاً تأكيداً للحجة عليكم، وقطعاً لمعاذيركم. فإن تتوبوا وتنبئوا تجدوا الله تواباً رحيماً. وإن تتولوا يُغن الله عنكم، ويستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم.

«والسلام على من اتبع الهدى، وأثر الآخرة على الأولى. وكتب يوم الأربعاء لليلة بقيت من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وصلى الله على النبي محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم».

وأنفذ الإمام (عم) هذا الكتاب مع نذير بن محمد (ر 157أ) الكتامي ومع جماعة من الكتاميين، وسير معهم جماعة من العبيد، وقدم على العبيد عبد الله بن جبر. فلما وصل الكتاب إلى كتامة، تحركوا مع الحسن بن عليّ، وتواردوا إليه إلى قسنطينة من بلاد كتامة. وسار الحسن بن عليّ في جيوش عظيمة، فأخذ على قصر الإفريقيّ، ثم على مدينة باجة فملكها/ وقتل عامل أبي يزيد فيها. ثم أتى إلى تونس ووافى الإمام المنصور بالله (صلع) بعد هرب

.. فيتحركون بقيادة الحسن بن عليّ الكلبي ..

382

(64) من خطبة للإمام علي (رصي الله عنه)

الدجال عن الجزيرة. وكان قدوم الحسن بن عليّ في أوّل المحرم سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة في جيوشه وعساكره، والإمام (عم) والأولياء وجميع الناس مسرورون بما هبّ الله لوليّه من النصر، وأتاح له من الغلبة على أعدائه والقهر. فهنّؤوا الإمام بالفتح، وحمدوا الله (تع) بعد تلك الظلمة، على طلوع الفجر وإنارة الصبح.

.. ويحرّرون باجة وتونس

وفي يوم وصول الحسن بن عليّ خرج الإمام (عم) إلى مدينة جلولا، فوافها قد أجلى أهلها وأخربها الدجال والبربر اللعناء، فدفع إلى أهلها عشرة آلاف درهم وأمرهم بينائها.

محمّد بن رماحس يغزو سواحل إفريقية بالأسطول الأمويّ..

وكان عبد الرحمان بن محمد الأمويّ صاحب الأندلس⁽⁶⁵⁾ قد جرت بينه وبين الدجال مخلد بن كيداد مكاتبة ومراسلة، وأراد عبد الرحمان أن يمدّ مخلد بن كيداد، لما جُبل عليه وآبأؤه من عداوة أهل بيت رسول الله (ﷺ)، فأخرج أسطولاً فيه عسكر كثيف وسلاح وعدّة وأموال جمّة، وولّى عليهم رجلاً من عمّاله يقال له محمّد بن رماحس⁽⁶⁶⁾ وكان عاملاً بمدينة بجّانة⁽⁶⁷⁾، وقبل ذلك كانت له تجارة وكان يختلف في الأندلس، فأطال محمّد بن رماحس/

383

(65) عبد الرحمان الناصر (300 - 350).

(66) محمّد بن رماحس: قائد الأسطول الأموي بالمرية وبجّانة تولّى هذا المنصب سنة 328 (المقتبس، 462) ولا يذكر ابن عذاري، ولا ليبي - بروفنصال في تاريخه، هذا التحرك من ابن رماحس، وهو غير عبد الرحمان بن رماحس المتأخّر (تاريخ إسبانيا الإسلامية، 262/2).

(67) بجّانة Pechina هي مركز البحارين الأندلسيين في الجنوب الشرقي من الجزيرة، وتقابل مليلة ووهران وتنس في العدو المغربية. وكانت العلاقات بين العدوتين كثيرة متواصلة حتى إن الأندلسيين أسسوا مركزاً وميناء بقرب تنس سموه تنس الحديثة (البكري، 61 وانظر تاريخ إسبانيا الإسلامية، 48/1 - 50). والمرية هي ميناء بجّانة تقع على مصبّ نهر بجّانة في البحر الأبيض المتوسط، وكانت في الأصل مرصداً لبحاري بجّانة، وستعرض لهجوم الأسطول الفاطمي في سنة 344.

الاعتذار، فزجره الأمويّ، ولم يعذره عن الخروج. فركب من
المرية، وهي في عمل بني أمية، وكان كاتبُ عبد الرحمان⁽⁶⁸⁾ قد
سبق إليها * بإصلاح ما فيها من المراكب. فلما وصل إليها ابن
رماحس، ودخل عليه الشتاء (ر 157 ب)، شتا بها في سنة أربع وثلاثين
وثلاثمائة. ثم وصل منها ودخل إلى حائط بونة⁽⁶⁹⁾، فاتّصل به هزيمة
أبي يزيد وغلبة المنصور بالله (عم) له، فكرّ راجعاً إلى ناحية
تنس⁽⁷⁰⁾ ثم إلى الأندلس. وأخذته في البحر أهوال عظيمة وغرقت
أكثر مراكبه، وغرق ما بها من الرجال والعدة، وخلص بنفسه.

دش 202
.. لمؤازرة
مخلد، لكن الغزو
يفشل

وإنه لما كان ما كان من هزيمة الدجال مخلد بن كيداد من
أعمال إفريقية وتولّيه، يروم نجاة نفسه، لا يلوي على الرجوع بقلب
ولا نية، قد ألقى الله الرعب في قلبه، ونصر وليّه ومن كان من
حزبه، وخلت من ظلمته تلك الأعمال، وزال الخوف عن أهلها،
وأنالهم الله بوليّه الأوطار والآمال، فأمن سربهم وصفا شربهم،
ونجّاهم الله مولاهم وربّهم، ممّا كانوا فيه، أخذ الإمام المنصور بالله
(عم) أهبة السفر واستعدّ للخروج في طلب عدوّ الله مخلد بن
كيداد، عدّة من استسلم لله ربه، وصبر وأيقن بما وعده الله سبحانه
من النصر والظفر، فأقام في خندقه⁽⁷¹⁾ باقي المحرم وشهر/ صفر
(أوت وسبتمبر 946)، وأمر بعمارة مدينة في ذلك المكان، وسماها
المنصورية، وأمر بإحكام سورها ورفع بنيانها * واستخلف على

المنصور يستعدّ
لمطاردة
أبي يزيد

384

دش 203

(68) لعلّه غالب الصقليّ (تاريخ إسبانيا الإسلامية، 64/2).

(69) بونة هي عبّابة الحالية، ولعلّه يعني بحائطها الميناء، وقد قال البكريّ، 55:
«ومدينة بونة برّية بحرية».

(70) تنس: انظر ص 160 هامش 55.

(71) الخندق هو المعسكر المحاط بخندق وسور، لا الخندق نفسه. وتعبير ابن
خلدون، 43/4 أسلم: وخندق على معسكره

المنصورية والقيروان غلامه قدام الصقلي، وأمره أن يأخذ في عمارة
المنصورية وأن لا يني . ويخطط لبناء
المنصورية

ونفض (عم) بعد عشرين يوماً مضت من ربيع الأول (أكتوبر
946)، طالباً رضى الله في أتباع مخلص اللعين حيث قصد ونزل،
وقد اجتمع للمنصور بالله (عم) من الجيوش ما لا يحصى عددها،
وكملت للقاء العدو أسلحتها وعددها. وحين فصل الإمام (عم) عن
(ط 260) المنصورية بعساكره، أمر مناديه فنادى: «من عزم على صحبتنا
والخروج للجهاد معنا، وكان ذا جبن عند اللقاء، وفشل عن مصادمة
الأعداء، فليرجع إلى وطنه، ولا يعد موضعاً، وهو منا في حل
وسعة. وحرام على من صحبتنا وفي نفسه شيء مما ذكرنا المسير
معنا». فرجع كثير من الناس حين سمعوا ذلك النداء، ولم يخرج
إلا من وطن نفسه على الصبر عند اللقاء⁽⁷²⁾.

ووصله (ر 158 أ) رسول ملك الروم مستخبراً عن أمر المملكة، حيث
بلغه أنها قد ذهبت، واستولت البربر عليها وتغلبت. فأمر الإمام
(عم) بالرسول أن يدخل إليه، وصرفه (عم) بعد أن أضفى إنعامه
عليه⁽⁷³⁾.

وانتهى الإمام (عم) / إلى مدينة سببية، فأقام يومين بها حتى
أنته القبائل ممن حولها مدعين، ووفدوا إليه داخلين في طاعته
وعليه مسلمين. ورحل من * مدينة سببية لخمس خلون من ربيع
دش 204

(72) هذا النداء أورده ابن حماد، 25 مقتضباً، والداعي إدريس يتبسط ويستخ.

(73) ذكرت سيرة جوذر، 61 «وصول بعض السراقة رسولاً من قبل ملك الروم بهدية» -
والسردغوس أو السردقوس لقب عسكري عند البيزنطيين - دون تحديد التاريخ.
وذكر ابن حماد، 37 «وصول السردغوس في نحو ثلاثمائة رجل»، ولكن بعد
الظفر النهائي بأبي يزيد.

الآخر، (نوفمبر 946)، فنزل حدّ مرماجنة في موضع يعرف بـ «سني سعيد»⁽⁷⁴⁾، وكان بها رجل من عمّال الدجال أبي يزيد يقال له مسنويه بن بكر⁽⁷⁵⁾ في جمع كثيف. فلما اتّصل به قرب الإمام (عم)، هرب على وجهه مولياً، ونجا بنفسه خائفاً وجللاً. فلما وصل إلى أبي يزيد، عمل أبو يزيد على أن يقصد باغاية قبل وصول الإمام إليها، وأن يبادرها، ورجا أن يتحصّن بها إن غلب عليها⁽⁷⁶⁾ فيأمن من عساكر الإمام وطلبها إن لجأ إليها وتعزّز بها. وبلغ الإمام (عم) مصيرةً إلى محاصرة باغاية وهو في قلعة مجانية، فأسرع (عم) مبادرة الدجال، متوكّلاً على الله (تع) في نصره مخلصاً في الابتهاال. فحين سمع الدجال بدنوّه منه، نجا هارباً بمن معه لا يلوي على شيء، وبطل ما كان أضمره من الغلبة على باغاية.

وخرج أهل باغاية إلى لقاء الإمام (عم) فسلموا عليه ودعوا له واستبشروا به، وحمدوا الله على ما منّ به عليهم من النظر إلى شريف طلّعه، وعرفوه أنّ اللعين كان محاصراً لهم، وأنّه نجا/ بنفسه حين دنت منه عساكر الإمام، وأسلم أخبيته وجميع ما فيها من رقيق وكراع ومتاع، وغير ذلك من الطعام والأنعام فهنّأهم (صلع) ما غمّوه وأكثر من حمد الله (تع) وشكره وسجد * على عرف جواده (ر 158 ب). وخرج إليه من أهل باغاية الصغير والكبير، فرحاً به وابتهاجاً برؤيته، فلاذوا به وازدحموا حول جواده، وأكثروا من التهليل والتكبير والدعاء والابتهاال إلى الله (تع) بطول بقاء الإمام وعزّه ودوام سعه ونصره. ودفعهم الحجاب عنه فنهاهم عن ذلك وأنسهم وقربهم. وجعلوا

(74) بنو سعيد، لم يذكر ابن حوقل ولا السكريّ هذا الموضع في المسالك بين سبيبة وباغاية. وقد مرّ (ص 258) أنّ أنا يريد بات بها أيضاً عند اقتحامه لإفريقية.

(75) مسنويه الكملائي، وقد مرّ خبره في احتلال تونس (ص 316)

(76) كانت باغاية حصناً ميعاً وقلعة مسورة منذ العهد الرومانيّ

يشكون إليه أحوالهم وما أصابهم من أعداء الله المارقين ونالهم، وعيناه تجريان بالدموع إشفافاً عليهم ورحمة لهم. ونزل (صلح) في غربي المدينة وأقام بها ثلاثة أيام، وأمر لأهل باغاية بأموال جمّة ففرقت على ضعفائهم وذوي الحاجة منهم.

محمد بن خزر
يتقرب إلى
المنصور...

وأتى الإمام كتاب محمد بن خزر⁽⁷⁷⁾ أمير البربر يصف ما هو عليه من الولاء والطاعة ويسأله الأمان، وأرسل إلى الإمام (عم) صهره بياضة بن خالون، ومحمد بن فضل، وهو بعض أقربائه. فأجابه الإمام يعده الجميل، ويأمره بالحيلة في أمر الدجال، والظفر به بقتل أو أسر. وقال له: «إنك إن فعلت ذلك / وظفرت به حتى تأتيناه به أسيراً، أو برأسه محمولاً، كان لك عندنا عشرون حملاً دنائير تقبضها من ساعة إيصاله إلينا. فقد جعلنا بذلك على أنفسنا يميناً مؤكدة، ولا يسعنا إلا الوفاء بها لمن أتى به أسيراً أو برأسه، كائناً من كان من الناس. فأجهذ نفسك في ذلك واغتنم مجداً أتاحه الله لك وفخراً * ساقه إليك، بالبدار إليه والمسابقة نحوه، تكن الحظي السعيد، والمغبوط الرشيد، فاعلم ذلك واعمل بحسبه إن شاء الله».

387

دش 206

.. فيدعوه إلى
القبض على أبي
يزيد

ثم اتصل بالإمام المنصور بالله (عم) أن أبا يزيد الدجال أخذ ناحية طينة ولا يدرى أين يتوجه. فرحل (صلح) من باغاية يوم الأربعاء لعشر بقين من ربيع الآخر (نوفمبر 946) حتى انتهى إلى مدينة نقاوس⁽⁷⁸⁾. فخرج (ط 262) منها يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ربيع

(77) محمد بن خزر الزناتي. مرّ خبره ص 159 هامش 51. وهذا الانضمام إلى الدولة الشيعية ليس منه الأول ولا الأخير، بل كان يتقلب في ولائه بحسب ميزان القوى (المقتبس، 266/5، وتاريخ إسبانيا الإسلامية، 107 - 110). والمنصور يحتاط منه، فلذلك يساومه في قبول ولائه.

(78) نقاوس: بين قصر بلزمة - قرب مروانة الحالية - شمالاً، وطينة - قرب بريكة =

الآخر، وقد لبس درعاً سابرياً⁽⁷⁹⁾ ومغفراً، وأخذ بيده دَرَقَة، وأمر الناس أن يسيروا على تعبئة الحرب، وقد أتاه أن أبا يزيد محاصر لطبنة. فحين سمع مخلد (ر 159أ) طبول الإمام، رحل بمن معه إلى ناحية الرمال.

المنصور يحل
بطبنة

ووصل الإمام إلى مدينة طبنة، فتلقاه أهلها جذلين مسرورين، حامدين الله (تع) على ما صرف عنهم من شرّ المارقين، مستبشرين. فأقام بمدينة طبنة / ثلاثة أيام. ووافاه بها جماعة من وجوه كتامة، فأمرهم بإحضار سبعين ألف فارس وثلاثين ألف راجل، على ما ذكره أبو نصر صاحب السيرة⁽⁸⁰⁾. ووجه وجوه كتامة ورؤساؤهم في الحشد لهم ولحوقهم بالإمام حيثما كان من البلاد.

388

وسار (عم) من مدينة طبنة يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الأولى (آخر نوفمبر 946) يريد إلى بسكرة في أثر * الدجال، فنزل بمدينة قسطلية⁽⁸¹⁾ وأقام بها يوم الأحد. ووافاه بها جعفر بن عليّ بن حمدون عامل المسيلة بهدايا من الخيل والإبل وغيرها. وأتى معه بثائر ثار في جبل أوراس وتسمى بالناصر لدين الله⁽⁸²⁾

دش 207

= الحالية - جنوباً، ويفصلها عن طبنة نحو ثلاثين كيلومتراً. ومر المنصور في رواية ابن حمّاد، 26، ببلزمة، محاذياً جبال بلزمة غير متوغّل فيها وانظر في خصوص الطريق بين إفريقية والزاب، ابن حوقل، 84 - 85 والكري، 50 (79) أي: درع رقيقة النسيج جيدته، مثل الثياب السابرية المنسوبة إلى كورة سابور بفارس

(80) أبو نصر صاحب السيرة: قال الدشراوي (عيون، تعليق 382) إنها سيرة المنصور. ولم يذكرها بوناوالا ولا إيفانوف في كتابيهما ويبدو أن الداعي إدريس استكثر العدد.

(81) قسطلية هذه غير قسطلية الجريد التونسي. وقد عمل شتارن Stern في محلة أرابيكا، 1954 ص 345 على تحقيق موضعها، فافترض أنه موقع قرية «ميزرفلتا Mesarfelta الأثرية بين طبنة وبسكرة.

(82) عند ابن حمّاد، 26: «تسمى بالإمام القائم بالحق وهو من أبناء الصاغة =

ادّعى النبوة وأتى بمخرقة كثيرة وألوان عجيبة استمال بها العامة، فعمل جعفر الحيلة حتى أخذه أسيراً، وأتى به الإمام، بعد أن كان عنده محبوساً. فأمر الإمام (عم) أن يشهر ويطاف به على جمل، ثم أمره بضرب عنقه وصلبه.

.. ثم ببسكرة..

ورحل (عم) يوم الاثنين لأربع خلون من جمادى الأولى، فنزل بقرية بسكرة. وأتى الإمام (عم) أن الدجال سلك الفيافي والقفار والرمال، وانتهى إلى جبل سالات⁽⁸³⁾، وهو جبل منيع رفيع، وفيه قبائل من البربر على / مذهبه خوارج أباضية. فأراد الإمام (عم) حين بلغه خبر المارق أن يسلك أثره ويمعن حيث توجه في طلبه، فاجتمع إليه الأدلاء وأهل البلد وذوو المعرفة بالطرق، وعرفوه (ط 263) أن هذه الطريق لم يسلكها أحد قط من العسكر، وأنه لا يسلكها الفارس الواحد إلا مخاطراً، لعدم الماء والكلا، وأنه ما حمل مخلداً على سلوكها إلا شدة الخوف وبغض الحياة. وأقام الإمام (عم) ببسكرة أربعة أيام *، ورحل منها يوم السبت لتسع خلون من جمادى الأولى راجعاً إلى طبنة. وقتل في طريقه قبلاً من البربر يقال لهم سدراتة⁽⁸⁴⁾ كانوا معاضدين للخارجي مخلص بن كيداد المارق. ووصل إلى مدينة طبنة فأقام بها يومين، وسار منها يوم

389

دش 208

.. فينقطع عنه
حبر
أبي يزيد

= بالقيروان، فسلخه المنصور حياً. وجعفر بن حمدون خلف أباه علياً على إمارة المسيلة بعد وفاته في ربيع الأول 334 في لقاء مع أيوب بن مخلص في جهة بلطة (انظر ص 326 هامش 200)

(83) جبل سالات بالتشديد (الميلي). تاريخ الحرائر، 89/2 في جهة بوسعادة على سبعين كيلومتراً جنوب المسيلة فيكون أبو يربد اتجه إلى الغرب محاذياً الصحراء بعد أن توغل في الجنوب. وإن الخوف من الصحراء لقلة الماء فيها والعلف هو الذي يشي المنصور عن ملاحقة خصمه بعد بسكرة.

(84) في المخطوط - سرواتة. وعرف ابن حوقل، 103، سدراتة بأنهم «قوم من البربر في عصابة رنائة من لواتة ومزاتة» وسدراتة مدينة قريبة من ورقلة، على ستمائة كم من الحرائر، أسسها فلول الرستميين بعد سقوط تاهرت.

الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى (ديسمبر 946)
قاصداً للدَّجَال حيث كان من الأوعار والجبال.

وكان الدَّجَال المارق حين انتهى إلى جبل سالات بمن بقي
من أصحابه، اجتمع إليه بنو برزال وغيرهم، من البربر الخوارج،
وصاروا على طريق الإمام (عم) فعملوا على أن يبيتوا عسكر الإمام،
وقد بات بموضع يقال له مقرة⁽⁸⁵⁾، فلم يتهياً لهم ذلك. فكمن
الدَّجَال مع أصحابه بين تلك الجبال والأوعار، في موضع يعرف/
«بعين السودان»⁽⁸⁶⁾ معتصماً بالوعور متحصناً بها، وقد سوّلت له نفسه
أن يهتبل في عسكر الإمام الغرة، فتكون له عليهم الكرة. فلما
طلعت الشمس، تراءت خيل العدو، وتصايح الناس بهم، واتصل
الصياح بالإمام فأمر من ساعته بحطّ الرحال وضرب المضارب
والأخبية في ذلك المكان، في قطعة من الأرض قد خفرت حولها
السيول ومّرت * عليها الحُؤُولُ⁽⁸⁷⁾، فصار عليها بصنع الله جلّ جلاله
خندق محفور لم يكن له إلاّ مسلك واحد. ولبس الإمام درعاً، وشدّ
وسطه بمنطقة، وأرخی لعمامته ذؤابة تزيد على الذراع، تقع على
منكبه الأيمن، وأخذ بيده درقة، وتناول رمحاً فهزّه ثم رمى به،
وأخذ ذا الفقار سيف جدّه (ﷺ) وقال: «ليس هذا يوم رمح، ولكنه
يوم ضرب وجلاد». وعباً عساكره فجعل في الميمنة جيملة ولهيصة
من قبائل كتامة وجعفر بن عليّ صاحب المسيلة، وألحق بهم بشرى

390 أبو يزيد يتجه إلى
جبال
الحضنة .
دش 209
.. ليقطع طريق
المنصور

(85) مقرة بتشديد القاف حسب الكري 51. بين طينة شرقاً، وقلعة أبي طويل (أي
جبل كيانة من جهة المسيلة) شمالاً وغرباً وهي اليوم على 77 كم جنوب
سطيف.

(86) عين السودان: جعلها ابن حمّاد، 28، بين جبال كيانة، أي حال الحضنة اليوم،
وعرف الواقعة بهذا الاسم «وكانت على أبي يزيد هزيمة عظيمة بموضع يعرف
بعين السودان»

(87) الحؤول، جمع الحول: السون والأعوام

الخدام بعد ذلك (ط 264)، وجعل في الميسرة ملوسة وإجانة من قبائل كتامة أيضاً، وجعل معه في القلب خاصّة الأولياء من كتامة والعبيد، وعسكر البرقيين⁽⁸⁸⁾. وجعل طائفة من رجال الجزيرة وجندها في ظهر الميمنة وأعطاهم بندا/ وطبلاً، وأمرهم بالقيام بمركزهم حتى يرد أمره عليهم. وجعل طائفة منهم أيضاً بالميسرة وأعطاهم بندا وطبلاً، وأمرهم بالوقوف أيضاً حتى يرد أمره عليهم. وأقبل يسير من الميمنة إلى الميسرة، يعدّل الصفوف ويوصيهم بالصبر على الجلال، ويعدهم (ر 160 أ) بما أعدّ الله للباذلين أنفسهم في الجهاد، وهو كالأسد الباسل والهزبر المنازل، وقد عرف كل شجاعته وصبره، ورجا من الله إمداده ونصره. وأفرق السلاح في الناس والتحم القتال*.

391

وقعة عين
السودان (13 جمادى
1 - 10/335 ديسمبر
946) . . .

دش 210

وأقبل أبو يزيد الدجال في خيول مجرّدة مختارة، وقد ازداد في الطغيان، ومنته نفسه الغلبة، ونفث في روعه بذلك الشيطان، وذلك لكثرة من معه، واعتصامه بتلك الأوعار والجبال، وكل من بها أنصاره على دينه ومذهبه. ووقف اللعين على تل مشرف على الفريقين جميعاً، ينظر القتال، ويسد ما يرى به الخل من عسكره بالخيول والرجال. ثم أرسل طائفة ممن معه قد انتقاها واختارها، فحملوا على ميمنة أصحاب الإمام (عم) إلى أن جاوزوا إلى مركز⁽⁸⁹⁾ الذين ظاهر الإمام بهم، فوقفوا بمركزهم. وقُتل من الأولياء في تلك الحملة حبيب بن محمد الجيملي رحمة الله عليه. ووجه الإمام (صلع) كتيبة من قبله فالتقت الميمنة حين هزيمتها وقوت أمرها. فحين/ رأى ابن كيداد ثبات الميمنة، وجه إلى أصحاب الميسرة بالقتال فهزموهم، واستشهد فيها أبو الغارات ابن تنوط الملوسي، وحسن بن واصل الملوسي، ومصالة بن عطاء الله

.. شديدة على
جند
المنصور..

392

(88) البرقيون: لعلهم المدد الواصل من طرابلس الذين مرّ ذكرهم ص 360.

(89) في النسختين: إلى المركز.

الإجاني⁽⁹⁰⁾ رحمة الله عليهم. فغضب الإمام عند ذلك، ونظر إلى موضع أبي يزيد فقصد إليه في الكتيبة التي معه لا يلوي على ميمنة ولا ميسرة، وقد كساه الله (عج) الهيبة والجلالة وألقى (ط 265) الرعب في قلوب أعدائه، وجعل النصر * والظفر أمام لوائه. فلما رأى الدجال المارق وأصحابه الإمام (عم) قد قصد نحوهم وأقبل عليهم، ولوا بين يديه منهزمين وعلى الأعقاب ناكسين. وتمادى الإمام في طلبهم وعملت السيوف فيهم، فقتلوا قتلاً ذريعاً، وكان الإمام (عم) يحمل عليهم منتضياً ذا الفقار، فيهدّ كتابهم ولا تنجيهم منه المسالك الضيقة والأوعار.

دش 211

.. ولكنها تتحول
إلى
نصر بفضل ذي
الفقار

وقد أتى عن القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه) قال: «قال المعزّ لدين الله (صلع): سمعت المنصور بالله قدّس الله روحه يقول: ما انتضيتُ ذا الفقار إلّا انهزمَ العدو بين يديّ إذا انتضيته. فقال جماعة ممّن حضر المجلس، وكان شهد مع المنصور بالله (صلع): /: والله لقد رأيناه يوم الخصوص، وكان يوماً شديداً، وقد أخذ العدو علينا مضايق الجبال، وأحدقوا بنا وأحاطوا من كلّ جانب، وهو بيننا (صلع) يقدّمنا، وهذا السيف في يده قد انتضاه، فإذا رفع يده به وحمل على ناحية من نواحي العدو، انهزموا بين يديه كأنما غشيتهم الصاعقة من السماء»⁽⁹¹⁾.

393

مناقب ذي الفقار

وقاتل الناس بين يدي الإمام (عم) قتالاً شديداً، وتحصّن الدجال اللعين بقلعة عقار⁽⁹²⁾ واعتصم بها *. وحين⁽⁹³⁾ دخل الليل

دش 212

(90) هؤلاء القواد قتلوا كل في قومه، ولا نعرف عنهم غير ما ذكره المؤلف هنا.

(91) المجالس والمسائرات، 114، والحديث فيها عن السيف ذي الفقار وقد أظهره

المعزّ لجلّاسه. والوقعة المروية غير وقعة اليوم، فهذه دارت في جمادى الأولى

335، وتلك ستقع في رمضان، وتسمى وقعة الخصوص أو وقعة الحريق.

(92) قلعة عقار: مرّ ذكرها ص 299.

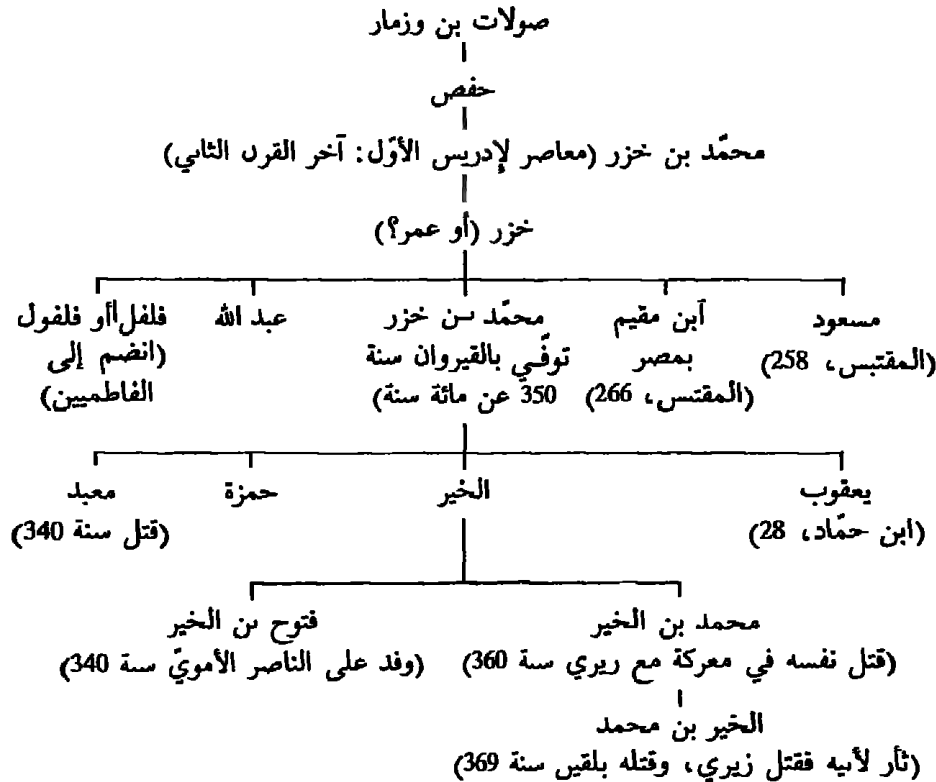
(93) في الجميع: فحين.

هروب أبي يزيد إلى جبل ..
هروب علي وجهه إلى جبل سالات. ونهب الأولياء أخبيته ومضاربه، ورجع الإمام (عم) إلى مضاربه عند صلاة العتمة بالمشاعل، مؤيداً منصوراً، مظفراً مجبوراً.

ورحل (عم) في غد ذلك اليوم، وهو يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى (10 ديسمبر 946) فنزل بالمسيلة، واستقبله أهلها فدعوا له وأثنوا عليه. وأخبروه أن أبا يزيد جاز بهم تلك الليلة هارباً، يريد إلى بني برزال بجبل سالات.

وقدم على الإمام (عم) يعقوب بن محمد بن خزر⁽⁹⁴⁾، وهو

(94) ذكر ابن حماد، 28، هذه الوفاة. ولا تذكر بقيّة المصادر أنما لمحمد بن خزر يسمى يعقوب. ولهذه الأسرة الزناتية المغراوية أسماء متكررة ومتنوعة يصعب معها معرفة الأشخاص المعنيين. واستوحيا من ابن خلدون، 25/7، ومن تاريخ الجزائر لمارك الميلي، 92، الشجرة التقريبية التالية:



بالمسيلة (ط 266) يوم الأربعاء لعشر بقين من جمادى الأولى (16 ديسمبر 946)، فخلع عليه وحمله على جواد وزاده جواداً آخر، وأحسن إليه وإلى من معه، وأمر بفازة فنصبت له.

394 / وكتب الإمام (عم) بخبر ذلك الفتح⁽⁹⁵⁾. فمن كتابه إلى قدام الخادم عامله على المنصورية والقيروان قوله (عم): «ثُمَّ إِنَّا نَهَضْنَا مِنْ طَبَنَةِ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ لِأَحَدِي عَشْرَةِ لَيْلَةٍ⁽⁹⁶⁾ خَلَّتْ مِنْ جَمَادَى الْأُولَى (8 دَيْسَمْبَر 946) فَتَزَلْنَا بِمَوْضِعٍ يَعْرِفُ بِمَقَرَّةٍ. وَرَحَلْنَا مِنْهَا لَيْلاً حَتَّى إِذَا أَصْبَحْنَا وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ، تَرَاءَتْ لَطَلَاتُنَا خَيْلٌ عَلَى طَرِيقِنَا، وَاتَّصَلَ الصَّرِيخُ بِنَا، وَأَنَّ الْفَاسِقَ نَزَلَ بِمَوْضِعٍ يَعْرِفُ بِعَيْنِ السُّودَانِ يَهْتَبِلُ غُرَّةً فِي سَاقَةِ عَسْكَرِنَا ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ (ر 161 أ) لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ (النساء، 141) * . فَلَمَّا أَبْصَرَهُمْ أَوْلِيَاءُ الدَّوْلَةِ وَأَنْصَارُ الدَّعْوَةِ، تَتَابَعُوا إِلَيْهِمْ وَصَارُوا نَحْوَهُمْ كَاللِّيُوثِ الضَّارِيَةِ وَالسُّيُوفِ الْمَاضِيَةِ، مَتَهَافَتِينَ إِلَيْهِمْ مُسْتَنْفِرِينَ عَلَيْهِمْ بِاللَّهِ (عج)، وَاثْقِينَ بِجَمِيلِ عَادَاتِهِ فِيهِمْ. فَأَمَرْنَا بِنَصَبِ الْفَازَاتِ بِصُدُودِهِمْ، وَتَعْبِثَةِ الْجِيُوشِ الْمُؤَيَّدَةِ إِلَيْهِمْ، وَقَصْدِنَا قَصْدَهُمْ، وَصُمْدِنَا نَحْوَهُمْ، وَقَدْ اجْتَمَعُوا وَتَأَلَّبُوا، وَتَحَاشَدُوا وَتَظَافَرُوا، وَأَصْرَوْا وَاسْتَكْبَرُوا، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ مَنْ كَانَ بِإِزَائِهِمْ فِي تِلْكَ الْبَقَاعِ مِنْ هَوَّارَةٍ وَمِنْ بَنِي بَرْزَالٍ، الْفَسَقَةُ الْأَرْذَالُ، مَظَاهِرِينَ⁽⁹⁷⁾ لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ مُصَرِّينَ مُسْتَبِيلِينَ، لَا يَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ثَوَاباً، وَلَا يَخْشَوْنَ عِقَاباً. فَلَزَمُوا مَصَافَهُمْ / وَرَكَنُوا

رسالة من المنصور
إلى قدام عامله
بالقيروان...
دش 213

395

(95) عند ابن حمّاد، 31 أن هذه الرسالة تلت «يوم الرؤوس» الذي جرح فيه أبو يزيد، وهي وقعة فحص باتنة، أي أدنة، الآتي ذكرها. وعنده أيضاً أن المنصور حتم رسالته بذكر قدوم مبعوث من العراق أرسله داعيان من الدعاة هناك. ولا ذكر لهذه الوفادة هنا.

(96) سبق للمؤلف أن قال: يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة (ص 389)

(97) في الجميع: مطافرين.

إلى تلك البقاع، ولاذوا بوعورها، وتحرّزوا بقربها، ولا عاصم لهم من الله. وظهرت علامات النصر وتباشير الظفر، فرجعنا إليهم ودلفنا نَحْوَهُمْ وَاقْتَحَمَ الأولياء عليهم ببصائر نافذة وعزائم مستحكمة، والتحم القتال، وتعلّق الرجال بالرجال، وقامت الحرب على ساق، وسطع قتامها، وتوقّد ضرامها، ودارت الحرب على قطبها، فلا يُسمع إلاّ طنين الطّبي، ولفح الطّلى، ووخز القنا. فجالدهم الأولياء أشدّ جلاّد، وقاتلوهم أصعب قتال، من وقت الضحى إلى وقت صلاة العصر، ومنح الله (عج) الأولياء الصبر ورزقهم النصر، وأسلم حزب الشيطان وأولياء الطاغوت إلى ذنوبهم *، وألقى الرعب في قلوبهم، وضرب في وجوههم، فحملنا (ط 267) عليهم حملة واحدة، فما كان إلاّ كحسوة الطائر حتّى ولّوا منهزمين. وأخذتهم سيوف الحق، وركبهم الأولياء يعملون سيوفهم في هامهم، ويروونها من دمائهم، حتّى أقحموهم في تلك القلاع، وتوغّلوا بين تلك الشعاب. وحجز الليل بيننا وبينهم، وقتل الله تبارك وتعالى حمائهم، وسقط أكثر خيولهم، واجتزّ (ر 161 ب) الأولياء من رؤوس أكابرهم ووجوه ضلّالهم عدداً كثيراً أمرنا بصلبها على مدينة / المسيلة. ولم ينج منهم ناجٍ إلاّ مُشخّناً جراحاً، وولج الأولياء أخبيّتهم واحتووا على ما فيها، وأضرموها⁽⁹⁸⁾ ناراً.

.. يصف فيها
وقعة عين
السودان

دش 214

396

«وكانت وقعة جعلهم الله بها نكالا لما بين أيديهم وما خلفهم وموعظة للمتقين. وأبنا إلى مناخنا بجميع عساكرنا المنصورة وجيوشنا المظفّرة أجمل إياب، سالمين غانمين، مؤيدين مظفرين.

«واستشهد من الأولياء في حال المعركة من أراد الله سعادته وتصييره إلى رحمته وقرار جنّته: حبيب بن محمّد الجيملي،

(98) في الجميع . فأضرموها

والمعروف بأبي الغارات ابن تنوط وحسن بن واصل الملوسيان، ومصاله بن عطاء الله الإيجاني، يغفر الله لهم، فقد بذلوا في * ذات الله تعالى مهجتهم، وجاهدوا في سبيله. وما نعلم أنه سقط أحد من عساكرنا غير هؤلاء الذين عرفناك أسماءهم، ولولا أن يُرجف المرجفون، لما أعلمناك بهم، لأنّ ثقل⁽⁹⁹⁾ المحنة يقلّ في جنب عظيم المنّة.

دش 215

«وكان تاريخه لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة (11 ديسمبر 946)».

397

وكثر الإرجاف بالقيروان بعد هذه الواقعة. فكتب/ قدام الصقليّ إلى الإمام (عم) يعرفه بخوض الناس وقولهم، فأجابه بجواب يقول فيه: «قد عرفتُك أنّي لم أركب الغرر، ولم أتجشّم الخطر، وإنّما خرجت لوعده قديم، من ربّ كريم، لا تبديل لكلماته، ولا خلف لوعده، فثّق بذلك ترشّد وتسعدّ إن شاء الله». الأراجيف تروج بالقيروان فيكذبها المنصور خوضهم، وأعرضوا عن إرجافهم وقولهم.

واجتمع لمخلد الدجال جماعة كثيرة من بني كملان جميعاً وبني برزال، وهوارة الغدير⁽¹⁰⁰⁾، وغيرهم من جموع البربر ومن الإباضية (ر162 أ) المارقين في جميع المغرب، واستندوا إلى كيانه وعقار، وهما جبلان منيعان، واستعدّوا لبذل الأنفس، وتذاكروا صبر

(99) في الجميع: لأنّ قليل.. ولا يوافق المقالة.

(100) عند ابن حمّاد، 28، أن أبا يزيد بعد وقعة عين السودان قسم قوّاته، فأخذ هو «نحو صحراء مدينة بني خزر (أي في اتجاه بوسعادة جنوباً) وأخذ أبو عمّار الأعمى وصاحب آحر له يسمى مكحول الأعمى نحو العدير (أي عدير هوارة وهو قرب المسيلة ويسميه البكري، 59: عدير واروا). ولاحق المنصور أبا يزيد إلى جبل سالات مباشرة بعد هذه الواقعة، خلافاً لما يرويه إدريس هنا

أسلافهم، وأقبلوا على عسكر الإمام (عم) في جموع عظيمة. فأسبل الإمام عليه درعه، واشتبك القتال، وقام الحرب وتدانى الأبطال *، ووقع الطعن والضرب، واختلطت الصفوف، وتضاربت الأبطال بالسيوف، وانهزمت ميمنة عسكر الإمام وميسرته، فكشف عن ساعده، وانتضى ذا الفقار سيف جده، وتحرك فيمن معه من خلصاء المؤمنين، وفرسان جنوده المستخدمين، واثقا من الله بالنصر، مستسلماً له في كل أمر. ونشرت الألوية بين يديه، وعمد مخلد بن كيداد / قاصداً إليه، فحين عاينه الدجال قاصداً نحوه، وحمل عليه وأمه، ورأى حملاته المهولة، وصلواته المعروفة المشهورة، نكص على عقبه مولياً، ولجموعه وعساكره مخلياً، وأدبر أصحابه بعده على الأعقاب، وعمل فيهم كل صارم قرضاب، فقتل وجوه الرجال وفرسانهم الأبطال، من بني كملان وبني برزال، وغيرهم من المارقين، ولّوا سراعاً منهزمين. وطلبهم الأولياء يقتلونهم بالسيوف ويسوقونهم مصارع الحتوف، حتى حالت بينهم ظلمة الليل. وصار ما كان في عسكر مخلد بن كيداد نهبا للأولياء وفيئاً لهم، وأغنمهم الله جميع ما كان معهم من الفازات والأخبية، والطعام والأمتعة. وعاد الإمام (عم) ثاني ذلك اليوم إلى الجبل⁽¹⁰¹⁾ ليتبع من بقي فيه فوجده (ط 269) خالياً، والقوم قد هربوا من ليلتهم. وغاب عن الإمام خبر الدجال أين سلك وأي موضع قصد *.

دش 216

398

معركة جبل عقار
(15 جمادى 1
12/335 ديسمبر
.. (946

دش 217

(101) هذه الواقعة بين يومي عین السودان والخصوص، لم يذكرها ابن حمّاد، وإنما ذكر «يوم الرؤوس» بأدنة أو فحص باتنة (ص 31)

الم ترفي بعد الزمان بالسر دان الحشايا بالخيل الضوا من
 وقتنا صدقنا لصغارهم يتوون ثورات الاسود الخوازة ارون في غنى عنا مشكرا
 اذا وجه الوادي بوقع العوا انا الطاهر المنصور قبل اهل بسين في اقدار ايام تحت العنا
 وكتب الامام المنصور بالله صلوات الى ولد ولوحهك معداني تميم المعزلة
 سلام الله عليه كتاب الذكر من قصص الغزوات وشوقي الدار طويل طويل
 اجوب التنازل وطول الرمال واحمل نفس المحول منقول اريد بذلك من خالق
 واعز دولة آل الرسول الى ان يرى السور لجسامنا وكل الركاب وبناه الدليل
 فواغرتاه وبيا وحشتاه وفي هذا قليل قليل وما ضقت فرجا ولكنني
 عشت بقلب صبور محمول وقد مت ذوالترين فيهم بفتح مباءين وعشر جليل
 وفي كل يوم من ارباب عطاء جديد وسنة جميل فليس حمارا على ما مضى
 وحسبي برؤي نعم الوكيل وولي ابو يزيد بعد بلاء المهرة بركة لا يدرك الخيل
 وفي مكان يارزل قد عراه الخوف واليهب السيف وضاعت عليه الارض
 برحبها وراى التلال العالية لا تستعد عنعتها واقام الامام المنصور
 بالله بالمسيلة فلم يبق قبيلة من قبائل تلك الجهات الا ذلت له والقدار
 وانتروا وجاءه القصاد ووافته الوفاد وارتحل الامام في يوم لليلة بقيت من
 جمادى الاخيرة بالناس وقد عباهم بعبية العرب وقد ايسرنا
 رفوفه خفتان احمد مشعل الوقيار واعتمت ثمانية سفرا فنهزل في شرقي جبال
 سالات على ادي سراج وسار يوم الاثنين فنهزل على عين خند برفي و
 جبال سالات فلما علم به مشعل له جبال توغل هاربا على وجهه في الزمان
 واتصل ذكرا الامام في فناء على طلبة حيث كان وقصد حيث قصد من
 الاوطان فسلح ابيحيوس مواضع ما سلكها جيسا قطع واجتمع اليه الزلاء

وفي صبر الإمام في ذلك اليوم وشجاعته يقول بعض الشعراء

(كامل):

يا أيها الملك الذي عادته وطباعه الإنعام والإحسان
لك كل يوم آية لم يأتها أحد، ولم يفخر بها إنسان
ولأنت ذاك الفارس الأسد الذي شهدت له وأقرت الفرسان

.. يشيد بها
الشعراء

وفي ذلك اليوم يقول الإمام المنصور بالله (صلع):

(طويل)

تبدلت بعد الزعفران وطيبه

صدا الدرع من مستحصدات المسامر (ر162 ب)

/ألم ترني بعث المقامة بالسرى ولين الحشايا بالخيل الضوامر؟
وفتيان صدق لا ضغائن بينهم يثرون ثورات الأسود الخوادر
أروني فتى يغني غنائي ومشهدي إذا أرهج الوادي بوقع الحوافر⁽¹⁰²⁾
5 أنا الطاهر المنصور من نسل أحمد بسيفي أقد الهام تحت المغافر

399

وكتب الإمام المنصور بالله (صلع) إلى ولده ووليّ عهده معذ

أبي تميم المعز لدين الله (عم):

(متقارب) *

دش 218

كتابي إليك من أقصى الغروب وشوقي إليك شديد طويل⁽¹⁰³⁾
أجوب الفيافي وأطوي الرمال وأحمل نفسي لهول مهول
أريد بذاك رضى خالقي وإعزاز دولة آل الرسول
إلى أن يرى السير أجسامنا وكلّ الركاب، وتاه الدليل
فواغربتاه! وواوحشتاه! وفي الله هذا قليل قليل

شعر للمنصور
يتشوق فيه
إلى ابنه المعز

(102) أرهج: أثار الغبار. وفي النسخ: إذا وهج.

(103) قيدنا القافية تلافياً للأقواء في الأبيات 2، 3، 6، 7.

وما ضقت ذرعاً، ولكنني نهضت بقلب صبور حمول
وقد منّ ذو العرش من فضله بفتح مبین وعزّ جليل (ط 270)
وفي كلّ يوم من الله لي عطاء جديد وصنع جميل
فلله حمداً على ما قضى وحسبي برّبي ونعم الوكيل *

دش 219

400

وولّى أبو يزيد بعد تلك الهزيمة لا يدري أين يحلّ وأي/
مكان ينزل، وقد عراه الخوف وأرهبه السيف، وضافت عليه الأرض
برحبها وسعتها، ورأى أنّ التلال العالية لا تمنعه بمنعتها.

وأقام الإمام المنصور بالله (عم) بالمسيلة، فلم تبق قبيلة من
قبائل تلك الجهة إلّا ذلت له وانقادت وأتته خاضعة طائعة، وجاءته
القصّاد، ووافته الرفّاد.

المنصور يستأنف

ملاحقة

أبي يزيد...

وارتحل الإمام (عم) يوم الخميس لليلة بقيت من جمادى
الأولى (24 ديسمبر 946) في طلب مغلّد الدجّال، وسار بعسكره من
الخيّل والرجال. فبات بوادي أوبة⁽¹⁰⁴⁾، وهو وادي مرّ مالح.
وارتحل من وادي أوبة لليلة خلت⁽¹⁰⁵⁾ من جمادى الأخرى، فسار
بالناس وقد عبّاهم تعبئة الحرب، وقد لبس جوشنا وفوقه خفّتان
أحمرّ مثقلّ بالوشي، واعتمّ عمامة صفراء، فنزل شرقيّ جبال سالات
على وادي مرّ مالح. وسار يوم الاثنين (28 ديسمبر 947) فنزل على
عين عذبة في وسط جبال سالات. فلمّا علم به مغلّد الدجّال،
توغّل هارباً على وجهه في الرمال. واتّصل ذلك بالإمام (عم) فعمل
على طلبه حيث كان، وقصده حيث قصد من الأوطان، فسلّك (عم)

.. فيعود إلى جبل
سالات..

(104) وادي أوبة: لم نجده في مراجعنا. والأودية التي تقطع الطريق بين المسيلة
ويوسعادة هي: وادي اللحم، وادي سيسب، وادي طرفة، وتجتمع الثلاثة
في نهر واحد يصب في شطّ الحصنة. فلعلّ وادي أوبة، ثمّ الوادي المرّ
المالح بعده، بعض هذه الثلاثة.

(105) في النسخ: بقيت. وسيأتي ص 403 أنّه ترك حائط حمزة في منتصف جمادى
الأخرى.

بجيوشه مواضع لم يسلكها جيش قط. واجتمع / إليه الأولياء فعرفوه
أنَّ الموضوع صعب سلوكه، وأنَّ مخلصاً قد ارتحل من الجبل حين
رأى عسكر الإمام، وولّى هارباً كما يولّي الهجرس عن الضرغام.
وبات الإمام، وقد بلغ الضرّ من العسكر مبلغاً عظيماً، وبلغ بهم
الجهد، وأيسوا من خلاص الخيول، فلم يكن همّ كلّ امرئ منهم
غير نفسه، وعدم العلف في ذلك المكان. فقلّ إنّه بلغ ما تحتاج
إليه الدابة من الشعير ديناراً ونصف دينار من الذهب، وقفيز الزيت
ديناراً. وماتت أكثر الخيل والجمال، ولم يكن لها ما تقتاته سوى
الحلفاء (ط 271).

.. ويقتحم
المسالك
الوعرة..

واجتمع الناس إلى الإمام فقالوا: «ليس وراء هذا الجبل
مسلك لخفّ ولا حافر، وإنّها قفار ورمال متّصلة ببلد السودان إلى
المشرق وإلى أقصى نهاية المغرب ليس بها أنيس ولا عمران، ولا
إنس ولا حيوان. وإنّ أبا يزيد لخوف السيف سلكها وسمح بنفسه لا
يضمّن عن الهلاك، بها، ولا يُعلم أين قصد ولا حيث استقرّ». فثنى
الإمام (عم) أعنة خيله وقصد أقرب المواضع التي فيها العمارة،
وهي بلد صنهاجة، واجتاز في طريقه على المياه المالحة والجبال
الوعرة، وانتهى إلى كدى / صنهاجة. وأصاب الناس في ذلك اليوم
ثلج⁽¹⁰⁶⁾ واشتدّ عليهم بالليل وتراكم على الأخبية والفايزات حتّى
تكسّرت أعمدتها على ما ذكر أهل السير والروايات وانفتحت [ت]
السماء بالسفح الهاطل * . وبات الإمام على غير طريق بين جبلين في
وعر هائل.

.. فيلقى جنده
العت
من الجوع
والبرد..

ورحل (عم)، وتخلّف كثير من الناس بين تلك الجبال في
خروقتها وصدوعها، اوودّع بعضهم بعضاً، وهلك منهم عالم كثير

(106) يوافق شهر جمادى 335 شتاء سنتي 946 - 947 (ديسمبر وجانفي).

في تلك الأخرى رحمة الله عليهم، كل ذلك مع ولي العهد جهاداً .. فيلجأ به إلى
 الله وفي سبيله وفي إحياء دين الله وطاعة ابن رسوله. ووقف الإمام
 (عم) ستة أيام بموضع يقال له «حائط حمزة»⁽¹⁰⁷⁾. وفيه وافاه زيري
 ابن مناد الصنهاجي بعساكر صنهاجة داخلاً في طاعته، متقرباً إلى
 الله (تع) بالجهاد بين يديه ونصرته. فخلع عليه الإمام (ر 163 ب) وأجزل
 له العتيقة والصلية، وحمله على فرس بسرج محلي وأكرم نزله، وعقد
 له على أهل بيته وعشيرته ومن يتصل بهم من قبائل البربر ممن دخل
 في طاعته. وانصرف زيري عن الإمام محبواً مكرماً، شاكراً لما
 طوّقه، مفضلاً منعماً، وكان صفح الإمام عنه غاية مطلبه ومنتهى
 أربه / فبلغ مرامه، ورجع من عطاء الإمام وتشريفه بالذي فاز به.

403

(ط 272) وورد على الإمام كتاب محمد بن خزري ذكر له حيث استقر
 مخلص بن كيداد ويسأل الأمان لبني كملان، فأجابه الإمام بما أقر
 عينه، وأكثر صلته وعطاءه * وأعلمه أن بني كملان يأتون فيما يطلبون
 بالبهتان، وأنه لا أمان لهم إلا أن يأتوا بأبي يزيد مكبلاً، وأنهم
 حيث فرّوا لن يجدوا عن جنود الله موثلاً.

دش 222

وسار الإمام من حائط حمزة للنصف من جمادى الآخرة
 (11 جانفي 947) فنزل موضعاً من بلاد صنهاجة يقال له:
 ولغلغ⁽¹⁰⁸⁾ على وادٍ فيه ماء جار. وفي هذا المكان رخص الطعام.

مرض المنصور
 ببلاد
 صنهاجة...

واعتلّ جسد الإمام (عم) لما قاساه في تلك الطريق من الثلج
 والماء الأجاج، وأقام ثلاثة عشر يوماً مغمى عليه في أشد الألم حتى

(107) رواية ابن حمّاد، 29، أكثر تفصيلاً وأقلّ تمجيداً: بعد التعب الشديد، رأوا ناراً
 في الليل، فإذا هي محلة أبي يزيد. فرفض أصحاب المنصور مواصلة الطرد
 وقالوا: «أعظم الفتح وأجلّ الغنيمة التخلّص ممّا نحن فيه». فرجع إلى
 المعنور ونزل عند طارق الفتى ثم بحائط حمزة (قرب البويرة).

(108) عند ابن حمّاد، 29: وادي لعلع.

أتاه طبيب فقصده له فوجد في جسده الخفة وأحس العافية.

ولما عرف الدجال أن محمد بن خزر قد صار في طاعة الإمام، ولم يجد فيه مطمعا، ولا أصابه له متبعا، اغتم لذلك غمّا شديداً، ومال إلى سوق لابن خزر يعرف بـ «تامرست» فأنتهبه⁽¹⁰⁹⁾. فبادر إليه ابن خزر وكانت بينهم وقعة قُتل فيها محمد بن عباس صهر ابن خزر وتسعة عشر من قومه/ من زناته. ثم كانت لابن خزر عليهم الكرة فقتل من بني كملان أصحاب أبي يزيد عدّة فيها كثيرة.

404

وعاد الدجال إلى بني برزال بسالات، وأظهر أن الإمام قد صار بتاهرت وأنه يريد * سجلماسة. وخرج الدجال إلى جبال أكة وهي بقرب المسيلة، وأرسل إلى هواره الغدير يذكر لهم أن إفريقية قد خلت، وأن الفرصة فيها قد أمكنت، ووعدهم أن يتبدىء بنهب (ر 164 أ) المسيلة، فأطمعهم ما ألفوه من النهب والسي، فنقذت فيهم تلك الحيلة، وسار وقد انضمت إليه جموع كثيرة يريد المسيلة، وقد طمع فيها لقلة ما بها من الرجال.

دش 223

.. وانقلاب مخلص
إلى
المسيلة..

وبلغ ذلك الإمام، فارتحل بعساكره من ولغلخ، وقد نقّة من العلة، وسار يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رجب / (27 جانفي

(109) في الأصل: سوق لابن خزر فأنتهبه يعرف بتامر/ رست، فأصلحنا بالتقديم والتأخير. ولا تعرف تامرست في مراجعنا، ولا يمكن أن تكون «تامرست» كما قرأ الدشراوي، هامش 418، لأن ابن حوقل، 87 يجعلها بين تيجس وميلة ويقول: هي قرية وسوق لكتامة. فلعل تامرست تقع في حدود بلد صنهاجة الغربية تجاه تاهرت وتلمسان، فهناك كانت منازل مغراوة قبل أن يجلوهم عنها الفاطميون. كما يمكن أن تكون متوغلة في الصحراء تجاه الأغواط كما يظهر من كلام مبعوث ابن خزر إلى المنصور: أنه أقام دعوته - دعوة المنصور - بمدينة الأغواط (ابن حماد، 30).

947⁽¹¹⁰⁾ فوافى مدينة المسيلة لخمس خلون من رجب يوم السبت (30 جانفي)، والدجال محاصر لها، وهو في أغفل (ط273) ما يكون، فلم يرعه إلاّ طلائع مقدّمة عسكر الإمام (عم) قد أقبلت. فلما رآها ومن معه، أيقنوا بالخزي والعار، وركنوا إلى الهرب والفرار. وأراد أبو يزيد أن يرتحل إلى بلد السودان، فلم يرَ بنو كملان وهوارة الغدير⁽¹¹¹⁾ ذلك الرأي / وأشاروا عليه بدخول جبال عقار وذكروا أنّه لا يجد أحصن منها. فدخل الدجال تلك الجبال⁽¹¹²⁾ وانتهى إليها فيمن معه من الرجال، وانحصر بها، ومعه خلق عظيم لا يحصى عددهم من النكارية المارقين الذين على مذهبه، وغيرهم من البربر الذين اتّصلوا به. فكانوا ينزلون⁽¹¹³⁾ من تلك الجبال إلى أدنة⁽¹¹⁴⁾ مدينة أوليّة قد خربت، وبينها وبين المسيلة اثنا * عشر ميلاً، فيتكمنون بها، ويتهبون من العساكر المنصورة رعاتها ومن يخرج لحطبها.

وأقام الإمام (عم) بالمسيلة بقيّة رجب وشعبان (فيفري - مارس 947). ولما كان يوم السبت لعشر خلت من شهر شعبان (6

405

واعتصامه بجبل
عقار

دش 224

(110) نزل المنصور بولغخ في 15 جمادى 2، فاعتلّ 13 يوماً، ثمّ نقه فتركها في 2 رجب أمّا ابن حمّاد، 29، فعنده أنّ مرض المنصور دام شهرين.

(111) هوارة الغدير: سكّان قرية الغدير، غدير وآزو الذي يذكره البكري، 54، 59، 76، ويسمّيه «النهر الرئيس» ويقول: «مدينة الغدير بين سوق (حائط) حمزة وطبنة، على مرحلتين من طبنة، وسكانها هوارة. ومن مدينة الغدير تنبعث عيون نهر سهر (نهر المسيلة) وموقعها اليوم يسمّى «برج الغدير» على ستة وعشرين كم من برج بوعريرج شرقاً.

(112) تلك الجبال: سقطت من «ه».

(113) من: الدين على مذهب.. إلى هنا: سقط من مختارات الدشراوي.

(114) أدنة: ذكرها البكري، 144، بين المسيلة وطبنة، وجعلها على مرحلتين من طبنة. ويسمّيها ابن حمّاد، 31، أدنة بالذال المعجمة، ويقول إنها تعرف بفحص باتنة (وهي غير باتنة الأوراس) على اثني عشر ميلاً من المسيلة.

أبو يزيد ينصب
كميناً
للمنصور قرب
المسيلة...

406

دش 225

.. لكن المنصور
يتصدى
له بنفسه..

407

مارس 947)، ركب الإمام إلى مدينة أدنة، وركب معه من الأولياء والعبيد أربعة آلاف فارس، وركب زيري الصنهاجي معهم في خمسمائة فارس. فوصل المنصور بالله (عم) إلى مدينة أدنة ولم يجد للعدو أثراً، وهم قد كمنوا بالبعد من أدنة في خمسمائة فارس. فحين رأوا كثرة الخيول، وقفوا في المكن مخفين. فلما رجع المنصور (عم) منصرفاً، حملوا على المتأخرين ووقعت الصيحة حتى اتصلت بالإمام، فرجع في وجوهم، وأمر مقدّمه/خيله أن يحملوا عليهم. وتزايدت خيل العدو وغاراتهم (ر164ب) ومددهم، ونزل الدجال بنفسه مدداً لهم، ومعه ثلاثة بنود وخلق عظيم من الرّجال والفرسان، وهو لا يعلم أنّ الإمام (عم) مع خيله، فانتهازها فرصة بكاذب ظنه، وأقبل بمن معه من الخيل والرّجال على الميسرة، وكانت بالموضع تلال وآكام. وبصر به الإمام فدعا بجوشن فلبسه، وأرسل إلى عسكره بالمبادرة إليه وأن تخرج الطبول والبنود. وضاق الوقت، فلم * يمكن الإمام تعبئة الجيوش، وأمر من معه أن يكون قتالهم جلاداً (ط2/4) بالسيوف وطعنًا بالرماح، وأن يلازموا القوم القتال ويدنّوا منهم. وأخذ درقة بيضاء وجرد سيفه ذا الفقار ومشى في تلك الوهاد والتلال، ففاجأ الدجال اللعين مفاجأة الليث للحمار، وثب عليه وثبة الأسد الكرّار. فحين رأى المظلة ولّى هارباً على وجهه وأسلم أصحابه وأولاده. وركبتهم خيل الأولياء تطوهم بسنابكها، وتعلوهم السيوف جزاً للرؤوس عن غلاصمها⁽¹¹⁵⁾. ومالت ميمنة الأولياء على ميسرتهم واستحزّ القتل فيهم، فقتلوا أبرح قتل في رؤوس الجبال، وبطون/ الأودية والتلال. وفرّ⁽¹¹⁶⁾ الدجال المارق معتصماً بالوعر ومعه أحد عشر فارساً، فأدركه - وقد توسّط في

(115) الغلاصم ج الغلصمة: العنق.

(116) في النسخ: ومّر.

الوعر - خمسة فرسان من الأولياء، فيهم زيري بن مناد الصنهاجي، فقعر الصنهاجي جواد أبي يزيد، وأركبه أصحابه على برذون آخر. وقتل ابن للدجال اسمه يونس، وطعن اللعين طعنتين، إحداهما بين كتفيه والأخرى في وركه ومال في سرجه فاحتضنه بعض رجاله⁽¹¹⁷⁾ ونجّاه الوعر وخلّصه أهل البلد فخلص إلى يومه المقدّر. وطردهم الأولياء أكثر من أربعين ميلاً حتى كلّت الخيول وملّ الرجال وتقصّدت الرماح، ونزل بأكثر الأعداء الحين المتاح. وجرّ في ذلك * اليوم ألف وسبعون رأساً وجّه بها إلى المهدية، وغنم الأولياء من الخيل والسلاح (ر 165 أ) ما يكثر عدّه ويبعد حدّه.

.. فيطل
خطته...
.. ويقتل ابنه
يونس

دش 226

وفي هذا اليوم يقول الداعي جعفر بن منصور اليمن، أبو القاسم [بن الحسن] بن فرح بن حوشب⁽¹¹⁸⁾ نصر الله وجهه، وكان حاضراً تلك الوقعة:

(بسيط)

يَهْنَأُ لَكَ النَصْرُ فِيمَا رَمَتْ مِنْ سَبَبٍ يَا سَيِّدَ الْخَلْقِ مِنْ عَجْمٍ وَمِنْ عَرَبٍ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يُرِينَا اللَّهُ مَعْجَزَةً مِنْ نَصْرِهِ لَكَ، تَجْلُو غَمَّةَ الْكَرْبِ
وَأَنْتَ فِي كُلِّ حَالٍ تَبْتَنِي رُتْبًا فِي الْمَجْدِ، فَازْدَدْ عَلَا فِي الْمَجْدِ وَالرُّتْبِ

إشادة جعفر بن
منصور
اليمن بوقعة
المسيلة

408

5 /يَوْمُ الْمَسِيلَةِ يَوْمٌ لَا كِفَاءَ لَهُ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ فِي سَالِفِ الْحَقْبِ
لَمَّا غَدَا الْمَارِقُ الدِّجَالُ مَخْتَبِلًا كَالْكَلْبِ فِي سَخْفٍ مَعْدَاهُ فِي الْكَلْبِ
يُرُومُ غَرَّةَ جَيْشٍ كَانَ أَبْرَزُهُ نَجْلُ النُّبُوَّةِ مِثْلَ الْعَارِضِ اللَّجْبِ

(117) سقوط أبي يزيد من فرسه وإصابته بجروح في الكتف والفخذ، ذكرهما ابن حمّاد، 31 في وقعة «فحص باتنة» (أو «يوم الرؤوس» لأن الثوار فقدوا عشرة آلاف قتيل من بني كملان ومزاتة). ولم يقل ابن حمّاد إن يونس بن مخلد لقي حتفه في هذه الوقعة، بل قال إنه خلص أباه من قبضة زيري بن مناد.
(118) في الجميع: جعفر بن منصور اليمن أبي القاسم.. ممّا يوهم أنّ كنية «أبو القاسم» هي لمنصور اليمن. والتصحيح من بوناوالا، 70.

فَعِنْدَ مَنْصَرَفِ الْقَوْمِ اسْتَغَارَ عَلَى دَش 227
 * وَسَيِّدِ الْخَلْقِ إِسْمَاعِيلَ حَيْثُ
 فَكَّرَ، هَمَّتْهُ كَاللَّيْثِ، مَعْتَزِماً
 10 وَاسْتَنْهَضَ الْجَيْشَ عِزْماً عَنْ مَعْسَكَرِهِ
 فَارْتَاعَ بَعْضُ نَوَاحِي الْخَيْلِ وَاضْطَرَبَتْ
 بِلَ صَارِمٍ كَحَسَامِ الْجَدِّ مَنْصَلَتْ
 وَسَيْفٌ جَدِّيهِ - أَعْنِي ذَا الْفَقَارِ - بِهِ
 فِي كَفِّهِ، وَلَهُ النَّصْرُ الَّذِي لَهُمَا
 15 مَشْمَرٌ بَلْبَاسِ الْحَرْبِ مَدْرُوعٌ
 يُحْيِي الْقُلُوبَ سُرُوراً، وَالْعَيُونََ، بِهِ
 ثَمَّ اسْتَلَاذَتْ بِهِ أَنْصَارُهُ زُمَراً
 * وَلَمْ يَزَلْ، مَذْ بَدَا لِلنَّاسِ، عَادَتُهُ دَش 228
 وَعَادَةُ الْمَارِقِ الدَّجَالِ عَنْهُ إِذَا
 20 409 لَمْ يَلْقَهُ عَسْكَرُ الدَّجَالِ فِي بَلَدٍ
 فَاشْتَدَّ حَرُّ وَطِيسِ الْحَرْبِ وَاسْتَعْرَتْ
 فَأَدْبَرَتْ غُصْبُ الدَّجَالِ وَانْقَلَبَتْ
 يَحَاذِرُونَ فَلَا يَغْنِيهِمُ الْحَذَرُ
 وَكَيْفَ، لَا كَيْفَ، يَنْجُو مَنْ يَكُونُ لَهُ
 25 فَعِنْدَهَا صُرْعُ الدَّجَالِ وَابْتَدَرَتْ
 حَتَّى آتَقَاهَا بَرَجِسٌ مِنْ عَصَابَتِهِ
 وَرَاغٌ مِنْ وَقْعِهَا الدَّجَالُ نَاحِيَةً
 وَلَّى وَأَفْلَتَ مِنْ حَذِّ الظُّبَى هَرْباً
 وَلَّى إِلَى مَدَّةٍ فِيهَا مَنِيَّتُهُ دَش 229

أَوَاخِرَ الْجَيْشِ بِالتَّهْوِيلِ وَالصَّخْبِ
 فِي مَوْكَبِ الْخَيْلِ مِثْلَ الْبَدْرِ فِي الشَّهْبِ
 عَلَى مَتَابَعَةِ الدَّجَالِ بِالطَّلَبِ
 وَسَاوَرَ الْحَرْبَ فَيَمَنْ كَانَ لَمْ يَغِبْ
 وَسَيِّدِ الْخَلْقِ لَمْ يَفْشَلْ وَلَمْ يَهَبْ
 يَمْضِي فَيُثْبِتُ فِيهِ كُلَّ مُضْطَرَبٍ
 إِلَى الرَّشَادِ اسْتِقَادَاتِ جَمْرَةِ الْعَرَبِ
 مِنْ ذِي الْمَعَارِجِ، فَرَضَ جَاءَ فِي الْكُتُبِ
 بِجَوْشَنٍ مِنْ حَدِيدٍ شَيْبَ بِالذَّهَبِ
 كَالشَّمْسِ وَاللَّيْثِ عِنْدَ الْبُشْرِ وَالْغَضَبِ
 مَعاً، كَمَا لَاذَتْ الْأَفْلَاكُ بِالْقُطْبِ
 إِذَا غَدَا نَاهِضاً بِالْجَيْشِ، لَمْ يَخْبُ (119)
 تَرَاءَتْ الْفُتَاتَانِ، النُّكْصُ لِلْعَقَبِ
 إِلَّا ثَنَى رَأْسَهُ قَسَراً عَلَى الذَّنْبِ
 تَرْمِي بَنِيهَا مَعاً بِالْجَمْرِ وَاللَّهَبِ
 تَحْتَ السُّيُوفِ الصَّوَادِي شَرٌّ مَنْقَلَبٍ
 وَيَهْرَبُونَ فَلَا يَنْجُونَ بِالْهَرْبِ
 مَوْلَى الْبَرِيَّةِ إِسْمَاعِيلُ فِي الطَّلَبِ؟
 لَهُ الْحَرَابُ كَصُوبِ الْعَارِضِ الْخُضْبِ (ط276)
 فَمَزَّقَتْهُ حَدَادُ السَّمَرِ وَالْقُضْبِ
 وَمَرَّ يَهْوِي بِوَجْهِ تَاعَسَ تَرَبُ *
 إِذْ كَانَ فِي قَتْلِهِ الْمِيقَاتِ لَمْ يَجِبْ
 بِعَاجِلٍ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ مُقْتَرَبِ (ر165ب)

(119) فِي «هـ»: مَزِيداً لِلْبَاسِ. وَفِي «ر»: بِمَزِيدِ الْبَاسِ. وَفِي دَش: مَزِيداً لِلْبَاسِ.
 وَاخْتَرْنَا قِرَاءَةَ الْمَطْبُوعِ.

30 وظل أصحابه صرعى كأنهم أعجاز نخل قديم العهد منقلب
مقتلين الوفاً في الفلا جزراً مطرّحين على الأذقان والركب
وأصبحت هامهم مجموعة فلحاً كأنها الحنظل المنقوف في السهب⁽¹²⁰⁾
راحوا بخزي وهون غير منصرم وفاء جند الهدى بالعزّ والسلب

* * *

يا ابن الأئمة، يا تاج النبوة، يا من لا نظير له في المجد والحسب
35 لا زلت في نعم تترى سوابغها وفي سرور طوال الدهر والحقب
الله أعطاك ملكاً وارتضاك له لما اصطفاك بلا شك ولا كذب
/ فالحمد لله حمداً دائماً أبداً حمداً آمريء في مزيد الله مرتقب

410

وأقام الإمام المنصور بالله (عم) بالمسيلة إلى سلخ شهر
شعبان (25 مارس 947)، والعساكر توافيه من كل جهة وتأتيه من كل
وجهة، وهو يسأل عن خبر أبي يزيد حيث صار، ويتطلع إلى ما
يأتي من قبله من الأخبار، حتى عرف أنه تحصن بموضع من جبل
عقار تحت قلعة شاكر⁽¹²¹⁾ وهي متصلة بقلعة كيانة، وقد اجتمع إليه
جماعات كثيرة من الإباضية، ممن بذل نفسه واعتقد جهاد المسلمين
فرضاً عليه لا ينبغي له تركه، وقد اعتصموا بجبال كيانة، وهي جبال
شامخة ومسالكها وعرة ضيقة، ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ
اللَّهِ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ (الحشر، 2)، وسبب وليه
لطلبهم حيث ذهبوا.

اعتصام أبي يزيد
بجبل
كيانة..

(120) فلحاً: قطعاً مفلوكة. والشاعر لا يذكر مقتل يونس بن مخلد، رغم الصبغة
الاستعراضية الوصفية التي غلبت على هذه المدحة. والشهب: الفلوات.
(121) قلعة شاكر: عند ابن حماد، 32: «قلعة تناكر وتقول الربر للموضع الآن
شيكرو، إلا أن الذي حاربها هو قيصر الفتى، وقد أرسله المنصور للتغلب
على هوار الغدير والانتقام منهم لأنهم آووا أبا عمار الأعمى بعد وقعة عين
السودان. والتقارب في الخط بين تناكر وشاكر يبعث على الخلط بين
الكلمتين.

وسار الإمام (عم) من المسيلة يوم الجمعة غرة شهر رمضان (26 مارس 947) في جموع عظيمة وجنود كثيرة، فنزل بموضع يقال (ط 277) له «قلعة الحجارة»⁽¹²²⁾ بينه وبين محط أبي يزيد مسافة ستة أميال. وأصبح من غد، يوم السبت، فركب في زبي الحرب، عليه جوشن وهو متقلد بذي الفقار، وأمر الناس أن يركبوا في عدة الحرب، وسارت القبائل حوله / طوائف طوائف، وقبائل قبائل، وترك المضارب مواضعها * وقصد أبا يزيد، فسلك سبلاً صعبة وطرقاً متضايقة بين جبال عالية في مواضع وعرة لا يسلكها إلا واحد بعد واحد، ولا تسلكها الخيل. فنزل (عم) عن دابته في بعض تلك الأوعار وسار راجلاً في أكثرها حتى أشرف على أخبية الدجال ومضاربه. ورتب الناس للمقاتل في ذلك الوعر بما وجد السبيل إليه، ووعظهم (ر 166 أ) وأمرهم بالتقوى ونهي النفس عن الهوى، وإخلاص النيات في طاعة الله (تع) وجهاد أعدائه الذين استحلوا سبي ذراري المسلمين، وأتوا بالمنكرات في الدين. ونهاهم عن النهب كي لا يشغلهم عن عدوهم فيميلوا عليهم.

411

دش 231

. . . ومسير

المنصور إليه

وانتشب القتال في ميمنة الدجال مع بني كملان، فاستعملوا الهزيمة⁽¹²³⁾ والمواضع ضيقة، ثم عطفوا على الأولياء فوقى الله

(122) قلعة الحجارة: المذكور عند ابن حماد، 32، أن المنصور «نزل بموضع يعرف بالناطور، وهو موضع معروف بأروس من جنات القلعة». ويعني ابن حماد قلعة قومه، وكان من معالمها قصر «العروسان» الذي قد يكون اسمه اتخذ من اسم «أروسن» هذا. ولابن حماد شعر رقيق في الحنين إلى موطنه رواه التجاني، 116.

أين العروسان، لا رسم ولا طلل وأين ما شاد منه القادة الأول؟ ولعل قلعة الححارة هي الناطور.

(123) فاستعملوا الهزيمة: لعله يعني أنهم تظاهروا بها حتى يتبعهم جنود المنصور فيفترقون ويسهل الرجوع عليهم بالقتل.

شرّهم. وعظم القتال، وتكافحت الأبطال، وصارت نيار⁽¹²⁴⁾ الحرب هروب مخلد إلى مضطربة فلا تسمع الأذان إلا همهمة. ونظر المنصور بالله (عم) إلى موضع الدجال فقصدته لا يعرج عنه ولا يلوي على شيء دونه، وقد سلّ ذا الفقار. فترك الدجال أخبثته وطلع به غزاته وبأولادهم ونسائهم/ إلى جبل منيع بإزائهم. فأمر الإمام بإلقاء النيران في أخبية أبي يزيد وإشعالها لكي لا يشتغل الناس بها*، واشتدّ الحرب مع بني كملان، وقد انهزموا وهم يراجعون القتال، ويمسكون هزيمتهم حالاً بعد حال، ويتعطف منهم الكماة والأبطال، والإمام (عم) في إثرهم.

ووجد الناس في أخبية أبي يزيد ومضاريه من الإبل والكراع والرقيق، ومن أمتعة إفريقية وخزّها وديباجها، ما لا يوصف. واشتغل الناس بالنهب، وكانوا يبادرون ما لم تصل إليه النار، وكلّ من أثقل ظهره (ط 278) بالغنيمة انصرف عن موضع القتال، والإمام (عم) ومن خلص معه في طلب بني كملان حتى وصلوا إلى أخبيتهم، وكانت في مكان بين الجبال لم يشعر الأولياء به. فأخرجوا منها أولادهم ونساءهم، وساقوهم بين أيديهم، وهم يكافحون عنهم حتى انتهوا إلى قلعة شاكر، وهي بالقرب منهم، وهي متمنعة شامخة، وأسلموا أخبيتهم (ر 166 ب) وما فيها. وأمر الإمام بإحراقها فاشتعلت النيران وثار الدخان، وأظلم الجو واشتدّ الحرّ. ووجد الناس فيها من الأنعام والرقيق وديباج إفريقية أكثر/ ممّا وجدوا في أخبية أبي يزيد. واشتغل الناس بنهبها، فأمر الإمام بردهم، وعقر الدوابّ والجمال، وقُتل من أصيب معه شيء من النهب من الرجال. فما منعهم ذلك عن

(124) هكذا في الجميع، ولعلها جمع «نير» في معنى الشلّة. حرب ذات نيرين. كما قد تكون محرقة عن نار أو نيران.

الانتهاز، ولم يبقَ مع الإمام إلاَّ عدَّة قليلة، ثمَّ تراجع كثير من الناس إليه.

وحين رأت المارقة اشتغال العسكر بالنهب، وأنَّه لم يبقَ مع الإمام إلاَّ القليل، طمعوا فيه وفيمن معه، فاخترطوا سيوفهم وكسروا أجفانها ووضى بعضهم * بعضاً بالصبر، ووعدهم [أبو يزيد] بالغنيمة وكروا على من صار مع الإمام (عم)، فلا يُسمع إلاَّ وقع السيوف، ووخزُ الرماح، واشتدَّ الكفاح، وعلا بعضهم على الجبال، وكانوا يرسلون الصخور. وأحاط القتال بالإمام ومن معه، وكانت جنوده كلَّما أرادوا الجولة أوهموا بالهزيمة لم يجدوا أمامهم إلاَّ تلك النار المشتعلة في الأخبية فيرجعون إلى الإمام ويلوذون به، وكان خوفهم من النار أعظم من خوفهم من العدو، وكلَّما أقبل العدو من ناحية قالوا للإمام: «هذا العدو» فيميل عليهم بوجهه ويكرّ عليهم بسيفه فيقتل ويجرح، وينهزمون ولا يحتملون رؤيته، وكلَّما/ رأوه، ألقى الله الرعب في قلوبهم. فتجادلوا بالسيوف حتى تفلَّلت، وتشاجروا بالرماح حتى انكسرت، وفترت الأيدي، وأهلك الفريقين العطش، مع كثرة الأنهار في ذلك المكان، وكاد أن يتفانى الفريقان. وكان ذلك اليوم شديد الحرِّ عظيم الأمر. فنزل الإمام (عم) عن ظهر جواده وشرب من الماء بيده، وأخذ قوساً فرمى وهو جالس فقتل وجرح، وتباعدت عنه البربر قليلاً، فركب فرسه. ودامت الحرب، وما زال الطعن والضرب حتى اصفرَّت (ر 167 أ) الشمس فمَلَّ الفريقان، ووقفت الخيل وكلُّ السلاح *، وعجب البربر من صبر الإمام (عم).

.. ولكن ذلك لم يردع جنده عن النهب دش 233

414

ثبات الإمام في القتال

دش 234

ورجع (صلع) على طريقه التي أقبل منها، والقتال قائم، والكفاح دائم. وفرَّق البربر رجالهم على الجبال الشامخة ليرسلوا الصخور من أعاليها على من يمرَّ بالطريق التي تحتها ويسلك فيها. فحين صار الإمام (عم) بالقرب من المكان الوعر الضيّق الذي لا

ينجو من يمرّ تحته من الصخور التي ترسل فيه، نادى منادٍ من ناحية العدو وقال: «إِنَّ عليَّ نعمة الأمير إسماعيل ونعمة آبائه، وهذه طريق صعبة ضيقة، وقد ترصد العدو/ بالحجارة، فلا تسلكوها، وجوزوا هذه الطريق»، وأشار إلى طريق أخرى. وقيل إنه من أصحاب خليل بن إسحاق، ويُعرف بمحمود⁽¹²⁵⁾. فتنبأ الإمام (عم) عن تلك الطريق وسلك الطريق التي أشار إليها ذلك الرجل، وتخلص الجيش بأسره، ووصل الإمام إلى محطته غانماً سالماً. وأوقدت المشاعل بين يديه، وجعل سفهاء العسكر يشتُمون من ركن إلى النهب ويسلقونهم بالسنتهم. فنهاهم الإمام عن ذلك وقال: «لا يُعير أحد ولا يُسب، فإنَّ الأمر عظيم هائل، وإنَّ الخلل دخل على القوم إذ خالفوا أمرنا». وسمّى أهل المغرب هذا اليوم لشدة بأسه وعظم هوله «اليوم العظيم»⁽¹²⁶⁾.

هاتف يثني
المنصور عن
طريق مخوفة

وأمر الإمام (عم) بجمع النهب، فأتى الناس به ولم يبق منه شيء، فاصطفى الخيل * والأنعام، وأمر بما كانت النار تحرقه فأحرق، جزاءً للذين انتهبوه بما صنعوا، وعقاباً لهم بما خالفوا من أمره وضيعوا.

دش 235

وأوى الدجال المارق إلى قلعة كيانة، وهي أحصن تلك الجبال وأمنعها، ليس لها إلا مسلك واحد وطريق متوغر على ظهر (ر167ب)

(125) لم يُذكر هذا النصير المجهول عند ابن حمّاد، كما لم يذكر إرسال الصخور على جنود المنصور

(126) ابن حمّاد، 31، يسميه «يوم الحريق» لا اليوم العظيم ويختصر الأحداث، فلا ذكر للهاتف من أصحاب خليل. وبالعكس، يذكر قدوم «أبي يعقوب بن خليل» - ولعله ابن للقائد المقتول - في حمسة وعشرين مركباً إلى مرسى الدجاج (بين الجزائر وبجاية). ويخالف أيضاً في اسم المكان: الناظور لا قلعة الحجارة. ويوافق في التاريخ: الجمعة غرة رمضان والسبت ثانيه. وعند المقرئ وغيره، يسمى «يوم الخصوص».

جبل منيع لا يُرام مسيرة يوم، ثم ينتهي إلى رمال، منها كانت تأتيهم الميرة (ط 280) /. وسأل الإمام (عم) الأدلاء عن السلوك إلى قلعة كيانة، فكلّهم ذكروا ما هي عليه من المنعة والمسالك الوعرة. فأقام (عم) بمناخه بقلعة الحجارة شهرَ رمضان (مارس - أبريل 947) يستخير الله سبحانه.

حصار قلعة كيانة

ووفد جفنة الخادم بحشد كتامة يوم الخميس لسبع خلون من شهر رمضان (غرة أبريل 947)، ومعهم ثائر كان ثار ببلد كتامة من أرض مسالمة من كتامة، وادّعى النبوة وأحلّ المحرمات. فأمر الإمام بعض قرابة ذلك الرجل فقتله بعد أن أشهر وطيف به وعرف الناس كفره ونكره⁽¹²⁷⁾.

ولما كان يوم السبت لتسع خلون من شهر الله المعظم (3) أبريل 947، أمر الإمام بعمل قفص من خشب محمول على بكرتين وقال: «إني سوف أدخل مخلداً المارق في هذا القفص وأجعل معه قردين». فعجب الناس من ذلك وكثر * قولهم فيه، فمن منكر ومستبشر، حتى كان كما ذكر (عم).

المنصور يهيم

القفص لأبي

يزيد

دش 236

وجاءت البشرية إلى الإمام يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان (8 أبريل) أن قيصر الخادم وزيري بن مناد ملكا على غدير وان⁽¹²⁸⁾ قهراً بالسيف، وكان الإمام أرسلهما في جحفل كثير الخيل / والرجال. وأقبلت القبائل يطلبون الأمان، فكان الإمام يخلع عليهم ويحسن إليهم.

417

(127) لم يذكر ابن حمّاد هذا الخبر، وذكره ابن الأثير، 311/6 باقتضاب دون تعيين القائد.

(128) غدير وآرو أو وان: هو غدير هواره الذي مرّ ذكره (هامش 111). وقد ذكر ابن حمّاد، 32، هذه الحملة التأديبية من قيصر وزيري، وقد قهرا بها هواره الغدير، ثم أهل قرية الميرى (المرأة) ثم أوسجيت (أولاد عقلة اليوم).

وأمر بابتداء مصلي بقلعة الحجارة ليصلي فيه العيد، لانتني عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان. وركب (عم) بقية ليلتين من الشهر (22 أبريل) في عشرة آلاف فارس، وسار في طريق متوعدة، وأودية منخفضة، وكان يتسنى جبالاً بعد جبل، وينزل في كثير منها عن فرسه، حتى وقف تحت قلعة كيانة التي صار إليها المارق الدجال، فوجد فيها موضعاً ضيقاً، فأبصره ورجع إلى معسكره (ر 168).

المنصور يصلي
صلاة العيد
تحت قلعة كيانة
دش 237

ولما كان يوم الأحد غرة شهر شوال من سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة (25 أبريل 947) ركب (عم) إلى المصلي الذي بناه فصلي بالناس صلاة العيد وركي إلى المنبر وخطب فقال *:

«باسم الله الرحمان الرحيم. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام، 1)، إلهاً معبوداً، ورباً محموداً، لا نتخذ من دونه إلهاً، ولا نُشرك به شيئاً.

«الحمد لله الذي ﴿يُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُّوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحج، 65).

«الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله. والله أكبر! والله الحمد. ﴿سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولاً﴾ (الإسراء، 108)، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (الروم، 17 - 18)، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ عَمَّا يُصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الصفات، 180 - 182).

«الحمد لله أولاً قديماً لم يزل، وآخرأً باقياً لم يحل، وعالماً حكيماً لم يجهل، وجواداً كريماً لم يخل، وسعت رحمته كل شيء فلا يقنط منها إلا الضالون، وفطر بريته لعبادته لا يستنكف عنها إلا

الخاسرون، وثبتت حجته بحسن دلالته فلا يُنكرها إلا الجاحدون. خُشِعت له النفوس بتعظيمها، وأذعنت له القلوب بخشوعها، وانحسرت الأبصار دونه عن مرامها، وسلّمت لعزّه القوى بعجزها، وشهدت له العقول بفطرتها أنّه كما وصف نفسه حيّ قيوم ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة، 255)، ليس كمثله شيء ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام، 103)، جلّ ثناؤه، وتقدّست أسماؤه وعزّ بهأؤه وعلا علاؤه.

دش 238

«وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى، وأمينه المرتضى، أرسله بالنور الساطع، والبرهان القاطع، إلى جميع بريّته/ شاهداً لمن كان قبله من الرسل ومصدّقاً لما بين يديه من الكتب، ودليلاً على الله، وداعياً إليه، على حين فترة من الرسل، وانقطاع من الوحي، وطموس من الحق، وضلال من الخلق، فبلغ عن الله رسالته، وصدع (ط 282) بأمره، ودعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاهد [في] الله حقّ جهاده، وأدى الأمانة إلى عباده، وعبد ربّه حتى أتاه اليقين، صلّى الله عليه في الأولين والآخرين، وعلى آله الطيّبين الطاهرين، الأوصياء المنتخبين، الكرام المهديّين.

419

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي لا غناء بكم عنه، ولا موئّل لكم دونه في ممات ولا محيى، ولا آخرة ولا دنيا، وابتدال أنفسكم فيما يُحبّ ويرضى، ويقربكم إليه زلفى.

خطبة عيد الفطر

سنة 335

«ألا إنّ هذا يومٌ جعله الله لكم عيداً ومنسكاً، انقضى فيه الصومُ ودخلت به أشهر الحجّ، فحاسبوا أنفسكم رحمكم الله! فمن ذكر خيراً فليحمد الله وليزدّد، ومن ذكر تقصيراً فليستعّتب، أو سوءاً فليتب، فإنّ الله تعالى: ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، وَيَعْفُو عَنْ السَّيِّئَاتِ، وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الشورى، 25).

«وقد فرض الله عليكم زكاة فطرتكم، وجرت به سنة نبيكم سيّد الأنبياء، صلى الله عليه وعلى آله. فليؤدّ كل امرئ منكم عن عياله، ذكورهم وإناثهم، صغيرهم وكبيرهم، صاعاً من برّ أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من تمر، من طعامه، لا يأكل * من شيء ويؤدّي من آخر، فإنّ ذلك محرّم عليه وغير مجزّ عنه.

«عصمنا الله وإياكم بالتقوى، واستعملنا وإياكم فيما يحبّ ويرضى، وجعل الآخرة خيراً لنا ولكم من الأولى».

الخطبة الثانية (129)

«باسم الله الرحمان الرحيم. الحمد لله المتوحّد ربّوبيّته، المتفرّد بوحديّته، الأوّل القديم، الحيّ القيوم أحمدّه بمحامده كلّها، على أصغر نعمه وأجلّها، حمداً يوجب حمداً على حمد، للتوفيق منه والرشد.

«وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، إخلاصاً لتوحيده، واعترافاً بربوبيّته.

«وأشهد أن محمداً عبده (ط 283) انتجبه، ورسوله ابتعثه، تمّت بالوحي نبوّته، ونطق البرهان بحقيقة رسالته، ﷺ، وأعلى ذكره، وسلّم وكرّم.

«أيّها الناس، إنّ الله أمركم بأمر (ر 169 أ) بدأ فيه بنفسه، ثمّ ثنى بملائكته فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (الأحزاب، 56). اللهم، صلّ على عبدك ورسولك صلاةً تامّةً باقيةً، تزيده كرامةً إلى كرامته / وشرفاً إلى شرفه، وصلّ على جميع أصحاب الكساء،

(129) أورد الداعي إدريس الخطبة الثانية دون روابط ولا تعليق.

الطاهرين الأذكىاء: عليّ أمير المؤمنين، وفاطمة الزهراء، سيّدة نساء العالمين، والحسن والحسين، الأكرمين الأبرّين، وعلى الأئمة المهديّين من ذرّيّة الحسين، أعلام الهدى، وبدور الدجى، وسادات الورى، أولياء الرحمان، وحجج الأزمان، ودعائم * الإيمان.

دش 240

«اللهم، صلّ على وارث كلّ مجد وثناء، وفضل وعلا، عبدك المرتضى، ووليّك المصطفى، وخليفتك العدل الرضى، عبد الله أبي محمّد الإمام المهديّ بالله أمير المؤمنين، الذي استضاءت بنوره الأفاق، وعمّ به الإشراف، شمس الورى، وبدور الدجى، وكاشف الضياء، والمحيي لما درس من معالم الهدى، بأفضل صلواتك التامات، وبركاتك الناميات، وكراماتك الباقيات.

الصلاة على النبي
وعلى
الأئمة

«اللهم، وصلّ على وليّ عهده في حياته وخليفته بعد وفاته، المنتجب المجتبي، المكرّم المرتضى، محمّد أبي القاسم الإمام القائم بأمر الله، ابن المهديّ بالله أمير المؤمنين، حامل حجّة الجبار، ووليّ الأبرار، وسيف الله البتار، ووارث سيف جدّه ذي الفقار، صلاة تفضل صلاة المصلّين رافعة في علّين، خالدة في الغابرين، باقية إلى يوم الدين.

«اللهم، إنّي عبدك ووليّك أنعمت عليّ فأعظمت، وأفضلت فأجزلت، ورفعني / وكرّمت، بما أفضيت إليّ من خلافة الآباء الأكرمين، الأئمة المهديّين، ونصبتني علماً للدين، وأقمتني إماماً للمؤمنين.

422

«اللهم فأتمم عليّ نعمتك، كما أتممتها من قبل عليّ الآباء والأجداد، الأكارم الأمجاد، حملة علمك، وخزان وحيك، وأمنائك على خلقك، وصّفوتك من عبادك، وخيرتك من آل نبيّك * الذين جمعت لهم شرف الدارين، وفضل المقامين.

دش 241

«اللهم، وأعني على رعاية عهدهم (ر 169 ب) وإنجاز وعدهم (ط 284) وقضاء دينهم، وتمام أمرهم، وإحياء ذكرهم، وإعزاز أوليائهم، وإذلال أعدائهم. واجمع بيني وبينهم، اللهم، في مستقر رحمتك، وقرار جنتك، ومجاورة نبيك، مع النبيين والصدّيقين، والشهداء والصالحين، آمين يا رب العالمين.

الابتهاال إلى الله طلباً لعونه على العدو

«اللهم، إن تغري في البلاد، وهجري للمهاد، لقضاء ما فرضته علي من الجهاد، في سبيلك ونصرة دينك، وتحصين أمة رسلك.

«اللهم، وافتح لي فتحاً مبيناً يسيراً، وأجعل لي من لذك على عدوي الذي هو عدوك سلطاناً نصيراً، إنك على كل شيء قدير.

«اللهم، اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، ولمن هو لاحق بهم من بعدهم غير ملحد في أسمائك، ولا معادٍ لأوليائك،/ ولا مُوالٍ لأعدائك. وأكمل أجركم، وسلم لهم أديانهم، حتى يلقوك موفين بعهدهم، مستوجبين لثوابك، إنك أنت الغفور الرحيم. ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل، 90)، والحمد لله رب العالمين».

423

دش 242

ونزل (عم) فركب فرسه ورجع إلى مضربه *.

تلميح المنصور إلى وفاة القائم في خطبته...

ونقول إنه قد أبان في خطبته هذه وفاة أبيه الإمام القائم بأمر الله، قدس الله روحه، بقوله: «اللهم إني عبدك...» حتى قال: «... بما أفضيت إلي من خلافة الآباء الأكرمين الأئمة المهديين، ونصبتني علماً للدين، وإماماً للمؤمنين»، إذ لا يكون إماماً ولا خليفة إلا بعد انقضاء عمر والده ومصيره إلى جوار الله ربّه.

وفي مثل ذلك، ذكر منصور الكاتب العزيزي الجوزري قال:
«وصل كتاب من الإمام المنصور بالله (صلع) إلى جوذر الأستاذ بأوامر
وأحكام وحوائج، فقرأت في هذا الفصل تصريح المنصور بموت
القائم (قس). وذلك أنه أوصى في الكتاب بصيانة مخلفي القائم
بأمر الله (عم) وإجراء رسومهم حسب ما كانت عليه (ط 285)، وهذه نسخة
الفصل:

وأقول بعد الصبر والاحتساب: / الحمد لله على جميع
الأحوال. قد تعلم اللهم أنني طالما ناجيتك في ظلم الليالي مبتهلاً متضرعاً
إليك (ر 170 أ) أن لا تشهدني فقدّه، ولا تحييني بعده، فأبى قضاؤك
الماضي، وحكمك النافذ. فصبرني على ما [به] ابتليت، ورضني
بما قضيت. وصلوات الله وبركاته ورحمته على جسمه المطهر
وروحه المقدس في الدنيا والآخرة.

424

.. وكذلك في
رسالته إلى
جوذر

(قال منصور) فعند ذلك علم الناس أن القائم بأمر الله قدس
الله روحه، وصلى عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، قد توفي⁽¹³⁰⁾.

رجع الحديث:

وأصبح المنصور (صلع) اليوم الثاني من الفطر لليلتين خلتا من
شوال، فأمر بالنداء في العسكر بالرحيل إلى الموضع الذي تحت
قلعة كيانة، فعظم ذلك على من في عسكره لصعوبة المسالك
وضيق الأمكنة. ورحل (عم) من يومه فنزل تحت قلعة كيانة في
قبلتها، على مقدار غلّو سهم، والدجال وأصحابه ينظرون إليه من
قبة القلعة. فحين رأوا نصب الفازات، أيقنوا بالهلاك، وعلموا أنه
لات حين مناص، وماج بعضهم في بعض، وأسقط كثير من نسائهم

(130) سيرة جوذر، 46 وقد سقط هذا الفصل من مقتطفات الدشراوي.

الأجنّة. وهطلت تلك العشيّة السماء بالأمطار، وكانت البروق اللوامع / والرعود الهائلة. ولَمّا كانت العشيّة وغابت الشمس، أمر الإمام (عم) عسكره أن يبرزوا بخيلهم ورجلهم إلى ناحية العدو لتتقطع من العسكر أطماعهم، وفعل ذلك ثلاث ليالٍ. ثم رتب العسس بالليل والنهار على مجامع الطرق لئلا يدخل أحد إلى القلعة بميرة ويصلّهم بحاجة⁽¹³¹⁾.

425

المتصور ينظم
حصار كيانه

ولَمّا كان في اليوم الرابع، يوم الخميس لخمس خلون من شوال (29 أفريل 947)، أمر الإمام (ط 286) بحفر خندق على معسكره في سفح القلعة في السهل والوعر، وقسمه على قبائل كتامة وعلى الزويليين، وجماعات الجند والعبيد، وأخذ معولاً بيده فحفر به مبتدئاً. فحين رآه الناس * سارعوا وأخذوا في الحفر. وركب (عم) آخر النهار لينظر ما حفر في الخندق، وسار لقطع الأشجار التي بسفح الجبل من الزيتون والثمار.

دش 243

ورأى المارقين قد أقبلوا للقتال فأمر بقتالهم، وانتشبت القتال فقتل جماعة منهم بالنبل. ثم صرف الناس عند المساء وصلى بهم المغرب تحت القلعة وانصرف (عم) إلى مضاربه.

خروج مفاجئة
للثوار تبوء
بالفشل

426

ولَمّا رأى المارقون ما عليه الناس من حفر (ر 170 ب) الخندق، عملوا على أن يبيتوا العسكر من ليلتهم، وعلم ذلك / الإمام، فأمر الناس كافة أن يخرجوا من معسكرهم وأن يبيتوا في مصافهم بخيلهم ورجلهم، وأن يلزموا الصمت والوقار، فإذا دنا العدو منهم عرفوه بذلك. وأقبل العدو في أول الليل فصاحوا فوجدوا العسكر في

(131) ذكر ابن حمّاد، 30، أن الميرة كانت تأتيهم من سدراتة وبنطيموس من جهة بسكرة. فأمر المتصور ابن خزر بالإغارة على سدراتة فانقطعت الميرة عن أبي يزيد.

مصافهم صُمتاً لم يكلموهم كلمة، ولا وجدوا فيهم فرصة ولا غفلة، فرجعوا إلى قلعته.

وفي يوم الأربعاء لإحدى عشرة خلت من شوال (5 ماي 947) نزلت جماعة من المارقين يتعرّضون للقتال، فخرجت إليهم طائفة من جند الإمام (عم) واشتدّ القتال بينهم. وركب الإمام بعد العصر فوقف تحت القلعة وما زال القتال⁽¹³²⁾، وقُتلت جماعة من المارقة وكثرت فيهم الجرحى. وصعد الإمام إلى بعض * القلعة فوقف قليلاً، وأمر الناس بالانصراف فانصرفوا إلى معسكرهم.

دش 244

ولثلاث عشرة بقيت من شوال يوم الثلاثاء (11 ماي) أمر الإمام (عم) عسكره بالزحف نصف النهار إلى القلعة. فترجّل الناس وصعد الإمام إلى بعض القلعة وصلى العصر هنالك. وبُسط له بساط (ط 287) فجلس عليه طويلاً والناس في القتال. وأخذ قوساً فرمى عنها بأسهم، وحرّض الناس. فلما كان المغرب أمرهم بالانصراف فانصرفوا إلى معسكرهم، وقد قتلوا من العدو وأثخنوهم جراحاً. وعاد الإمام إلى مضربه جذلاً مسروراً.

المنصور يضيق
الحصار...

427

وبعث الإمام في تلك الأيام قيصر وشفيعاً خادميّه وزيري بن مناد ليحصروا قلعة كيانة من جانب آخر فنزلوا بين غربيها وشمالها، وكانت تلك الجهة فسحة للمارقة في رعي أنعامهم. فصارت القلعة بين العسكرين، وبين العسكرين أربعة أميال، فصارت المارقة في ضيق وحصر. ووجه الإمام (عم) طارقاً ووصيفاً خادميّه الصقليين في عسكر كثيف لحصار قلعة شاكر⁽¹³³⁾، وكانت آهلة معمورة، وفيها جماعة كثيرة من هواره وغيرهم على مذهب أبي يزيد نكارية *.

.. من غربي
القلعة وشمالها.

دش 245

(132) يستعمل الداعي إدريس «ما زال» في معنى تام، أي دام وتواصل.

(133) قلعة شاكر: انظر ص 410 هامش 121.

وأمر الإمام (عم) يوم الجمعة لعشر بقين من شوال (14 ماي) بالزحف (ر 171 أ) إلى قلعة كيانة وخرج (صلح) معهم وسار إلى سفح القلعة، وأمر بقطع شجرها، وكان بها شجر زيتون وثمار، فعظم ذلك على المارقين، ودام القتال إلى المساء.

.. ويقطع
أشجارها
وثمارها..

وحرك الإمام عساكره للزحف يوم السبت ثاني ذلك اليوم فخرج الناس. وأرسلت/ السماء سجالها⁽¹³⁴⁾ فانصرف الناس. وسكن الغيث بعد صلاة الظهر، فخرج (عم) وأمر الناس بالزحف، فكان بينهم قتال عظيم مات فيه جماعة من المارقة رمياً بالسهم وطعنًا بالرمح، ويسط للإمام بساط فقعد عليه. ودخل الليل وأوقدت المشاعل، وأمسى القتال إلى ثلث الليل ثم انصرف الناس. وما زال القتال مستمراً كل يوم إلى يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة (3 جوان 947).

428

ويقاتل الثوار ليلاً
ونهاراً

وجاء قوم من أهل قلعة شاكر سرّاً إلى الإمام فأحسن إليهم، ووعدوه بفتح القلعة وإدخال أصحاب الإمام إليهم، وتركوا رهائن منهم (ط 288)، وأمر الإمام أن يدفع إليهم طبل. وأمر وصيفاً وطارقاً بالمصير إليهم⁽¹³⁵⁾، فأدخلوا وصيفاً وطارقاً إليهم في جماعة من عسكر الإمام (عم) فملكوا القلعة وضربوا الطبل وأوقدوا النيران. فأمر الإمام عسكره بالتكبير وعرفهم أن قلعة شاكر قد فتحت*. فعظم فتحها على أبي يزيد وأصحابه وكادت قلوبهم أن تطير جُبناً وجزعاً. وركب الإمام صبيحة الخميس إلى سفح قلعة شاكر، ونزل القوم الذين كانوا سبب فتحها فقبلوا الأرض بين يدي/ الإمام، وهنّؤوه بالفتح وهو يحمد الله (تع) ويشكره، ويعدّد فضله ويذكره. وعفا عن سائر

استسلام قلعة شاكر
صلحاً

دش 246

429

(134) سجال ج سَجَل بالفتح: الدلو الكبيرة، أو الماء الذي في الدلو.

(135) قال المؤلف منذ قليل إنهما أرسلتا لحصارها (ص 427).

أهل قلعة شاعر وأحسن إليهم وأجرى الوظائف عليهم. وأمر طارقاً
فانصرف بالعسكر المنصور، وأمر وصيفاً بالمقام في القلعة مع القوم
الذين كانوا سبب فتحها.

وزحف مخلد بن كيداد المارق في ليلة الجمعة بعد فتح قلعة
شاعر في أصحابه إلى خندق الإمام، وافترقوا على ثلاث فرق،
وكان في الميمنة ابنه فضل، فقصد ناحية ملوسة وصنهاجة فوجد
فيهم غرة فكبسهم وقتل الحسن بن نصر الصنهاجي وأخذوا عليهم
بنداً. وكان أبو سليمان الزويلي في مسيرة المارقة فقصد جيملة
ولهيصة فوجدهم حذرين، وقاموا في وجهه فهزموه. وقصد أبو يزيد
إلى باب الخندق وفيه الأولياء والعبيد، فثاروا في وجوههم وقتلوا
جماعة من المارقين. وأمر الإمام (عم) أن لا يبرز من الخندق
أحد، وأن يثبت الناس في مراكزهم ففعلوا، وانصرف الدجال ومن
معه خاسئين*.

زحف فضل بن
مخلد وآيوب
الزويلي على
معسكر ملوسة
وصنهاجة، بدون
نتيجة

دش 247

ووصل صبيحة يوم الجمعة مسراتة⁽¹³⁶⁾ أهل قلعة عقار،
يسألون العفو والأمان على يد وصيف الخادم فأمّنهم الإمام (عم)
ووصلهم وكتب السجلات بالأمان لهم، وأمرهم أن يسلموا ما كان
بأيديهم من كراع وسلاح مما انتهبوه إلى وصيف، فأجابوا وفعلوا (ط 289).

430

استسلام أهل عقار
صلحا

وركب الإمام (عم) إلى سفح قلعة كيانة يوم الثلاثاء لأربع
عشرة بقيت من ذي القعدة (8 جوان 947)، ورمى عن قوسه بأسهم
أصاب سهم منها رجلاً من المارقين فقتله. ونزل جماعة من قلعة
كيانة ليرعوا دوابهم في أوعار ممّا يلي معسكر زيري بن مناد

زيري بن مناد
يستولي على
دواب الثوار

(136) مسراتة بطن من هواة (انظر فصل هواة بدائرة المعارف الإسلامية). ومربنا
(ص 405) اعتصام أبي يزيد بجبل عقار وانطلاقه منه إلى معركة يوم المسيلة.
ويظهر من كلام المؤلف هنا أن قلعة عقار بقيت مساندة لأبي يزيد بعد معركتي
المسيلة والخصوص.

الصنهاجي، فكبسهم زيري وأخذ عليهم أثني عشر برذوناً بسروجها، وأمر بها إلى معسكر الإمام (عم) فطيف بها في العسكر، ونظر إليها المارقون فساءهم ذلك.

وأمر الإمام بقوس اللولب⁽¹³⁷⁾ فأحضرت إليه، وزحف إلى قلعة كيانة ورمى عن قوس اللولب بين يديه فأصاب رجلاً من المارقين بسهم فقتله. ونادى مناديه بالزحف من غد ذلك اليوم، فكان بين الناس قتال شديد، ومات خلق عظيم في ذلك اليوم، وأكثرهم من المارقين * أصحاب الدجال. وأرسل الإمام إلى عسكره بعد العصر أن ينصرفوا فعادوا جميعاً إلى خندقه.

وفي يوم عرفة (غرة جويلية 947) وردت رفقة عظيمة تحمل سمنا وعسلًا ليكون عيداً للمارقين، وأرادوا أن يصلوا بها ليلاً إلى القلعة ويدخلوه من بعض نواحيها فأضاء الصبح عليهم ولم يصلوا، وتسرع الأولياء عليهم فانتهبوا (ر 172 أ) جميع ذلك.

ولما كان يوم النحر، يوم الجمعة لعشر خلون من ذي الحجة (2 جويلية 947) ركب الإمام (عم) فرساً ورداً أحمر بحفاف⁽¹³⁸⁾ مذهّب، وقد لبس (عم) قباء أصفر وتعمّم عمامة صفراء وأرخى ذؤابته، وحفّ به أنصاره وجنوده وأولياؤه وعبيده، وانتهى إلى مصلى كان عمّل له قبل ذلك⁽¹³⁹⁾ فنزل وصلى صلاة العيد، وارتقى منبراً كان بني له من الحجارة وخطب (عم) فقال:

(137) قوس اللولب: قوس يجذب وترها ويشدّ بواسطة آلة لولبيّة، لا باليد مثل القوس العادية (ملحق دوزي).
(138) قراءة تقرّبيّة. والحفاف: الطرة واللؤابة من الشعر وغيره. واختار الدشراوي: بشفاف، والمطبوع: بتجاف.
(139) يبدو أنّه غير المصلى المذكور في عيد الفطر (ص 417).

«باسم الله الرحمان الرحيم. الحمد لله المتوحد بالربوبية،
المتفرد بالوحدانية، المتعزز بالقدرة والبقاء، المتجبر بالعظمة
والكبرياء، الأول بلا غاية، والآخر بلا نهاية (ط 290)، المتعالي عن تشبيه
الجاهلين وتحديد الواصفين وتكييف الناعتين ودرك أبصار
الناظرين⁽¹⁴⁰⁾.

«وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله.*، أكرمه بالنبوة، واصطفاه بالرسالة، وجباه بالفضيلة،
وابتعثه بالنور ساطعاً، وبالحق صادعاً، وبالهدى آمراً، وعن الكفر
زاجراً، وعلى الأنبياء مهيمناً، ولما جاؤوا به مصدقاً. فبلغ الرسالة
وهدى من الضلالة، وأنقذ من الهلكة، وأفهم معالم الدين
وفرائضه، وبيّن حدوده وشرائعه، وجاهد في سبيل الله حق جهاده
حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه في الأولين والآخرين، وعلى آله
الطيبين الطاهرين الأكرمين، الأئمة المهديين الكرام الأبرين.

دش 249

432

خطبة المنصور في

عيد

الأضحى 335..

«أوصيكم عباد الله بما أوصيتُ به نفسي قبلكم من تقوى الله
ومراقبته، والعمل بما يرضيه، ويقربنا وإياكم إليه، ففي تقواه رضاه،
وبرضاه الفوز بالجنة والنجاة من النار ﴿وَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ
الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (آل عمران، 185)، ﴿وَمَا أَلْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (الحديد، 20).

«ألا وإن يومكم هذا يوم حرام من شهر حرام، يعظم على
الأيام: يوم الحج الأكبر، امتحن الله تبارك وتعالى فيه إبراهيم
خليله، وفدى فيه من الذبح ولده صلى الله عليهما، وافترض على
كافة أهل الإسلام، الحج إلى بيته الحرام، الذي جعله مثابة للناس
وأماناً. فتقربوا إلى الله (تع) فيه (ر 172 ب) بما أمركم به. وأفضل ما أنتم

.. يحدّد فيها

شروط

الأضحى

(140) الشيعة مثل المعتزلة، ينفون الصفات، وبالتالي ينفون رؤية الله بالأبصار.

مقربوه إناث الإبل، وإناث البقر، وفحول الضأن⁽¹⁴¹⁾/. واجتنبوا المريض من الحيوان ومعائب العيون والآذان⁽¹⁴²⁾، والمشوه منها بالزيادة في خلقه والنقصان، فإنها غير مقبولة منكم * بذلك جرت سنة نبيكم، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأئمة من ولده الأطهار الأبرار، عليهم أفضل السلام ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا، وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ (الحج، 37).

«تقبلَ الله منا ومنكم، وكتب لنا ولكم حج بيته الحرام، والوصول إلى مشاهدته العظام، ومواقفه الكرام، بإعزاز نصرنا وتمام أمرنا وإنجاز متقدم وعده لنا، إنه لا يُخلف الميعاد، ولا يعجزه ما أراد».

الخطبة الثانية:

«باسم الله الرحمان الرحيم. الحمد لله المبدئ المعيد، الكريم المجيد، الفعال لما يريد، خالق الخلق، وباسط الرزق،

(141) يقول القاضي ابن رشد (بداية المجتهد، 416/1): ذهب مالك إلى أن الأفضل في الضحايا الكباش، ثم البقر، ثم الإبل، بعكس الأمر عنده في الهدي. وقد قيل عنه: الإبل ثم البقر ثم الكباش. ويقول القاضي النعمان (دعائم الإسلام، 183/2 رقم 665) نقلاً عن جعفر الصادق: أفضل الضحايا الإناث من الإبل، ثم الذكور منها، ثم الإناث من البقر، ثم الذكور منها، ثم الفحول من الضأن، ثم الموجه منها (أي الخصي) ثم النعاج، ثم الفحل من المعز، ثم الإناث منها.

فكلام المنصور موافق للفقهاء الجعفريين، وليس مخالفاً للفقهاء المالكيين، ولعل هذا منه استدراج لأهل المغرب وتألف لقلوبهم.

(142) القاضي النعمان (دعائم، رقم 668). عن علي (عم) أنه نهى عن الأضحية المكسورة القرن، والعرجاء البين عرجها، والمريضة البين مرضها، والعجفاء التي لا تنقي (أي التي لا مخ في عظامها) والعوراء البين عورها... ونهى النبي (ﷺ) عن أعضب الأذن والقرن.

ومنزّل القطر، ومدبّر الأمر، وارث السماوات والأرض وما عليها،
وإليه ترجعون.

«الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله.

«والله أكبر! الله أكبر! والله الحمد.

«أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن
محمدًا عبده المصطفى، ورسوله المرتضى، وأمينه على ما أوحى،
والمنقذ من الضلالة والردى، صلى الله عليه وعلى آله الكرام
المهديين، الأئمة الطاهرين: عليّ أمير المؤمنين وسيد الوصيين
وخيرة المسلمين، وفاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين، والحسن
والحسين، والأئمة من ولد الحسين الطاهرين، بقيّة رسول الله
وثماره، ووارثيه وحججه على العباد من جبال الدين، وسادات
المؤمنين، وأولياء العالمين، وعلى الإمام المرتضى * والوليّ
المصطفى، عبد الله أبي محمد الإمام المهديّ بالله أمير المؤمنين،
وارث فضل الأئمة المهديّين من آبائه الخلفاء الراشدين، وصفوة
الصفوة من الأولين منهم والآخرين، الذي قامت به دولة المؤمنين،
وبسيفه ذلت رقاب المنافقين، وعاد الإسلام غضاً ناصراً، والدين
مضيئاً، والحقّ مشرقاً زاهراً، وأحى به الله من الدين ما اندرس،
ومن الحقّ ما التبس، وجمع الله له شرف الدنيا وفخرها، وآتاه فضل
الآخرة وذخرها، صلوات الله عليه ورضوانه ورحمته وحنانه.

.. ويصليّ على
أهل الكساء
والأئمة...

434

دش 251

«اللهم، وصلّ على وليّ عهد، وباب مجده، وخليفته من
بعده، المتقلّد لإمامة المتوّج بالكرامة، عبد الله (ر173أ) أبي القاسم القائم
بأمر الله، ابن المهديّ بالله، أمير المؤمنين، سليل خير النبيين وبقيّة
الماضين، ونجيب الأئمة المهديّين، صلاة تزيده بها كرامة وعُلاً
وشرفاً/، سامية القدر، عالية الفخر، نامية الذكر، باقية على الدهر (ط292)

435

«اللهم، وكما قلّدتني خلافتك التي كرّمتها وشرفتها، وحظرتها⁽¹⁴³⁾ وحرّمتها، ولعنت من غير أهلها مدّعيتها⁽¹⁴⁴⁾، وأخزيت مناوئها، وقصّرت أيدي المتطاولين إليها، واخترت لها الواحد بعد الواحد من آبائي المهديين، الكرام المصطفين، الخلفاء الراشدين، ثمّ أورثتني مقامهم، وأحييت بي ذكرهم، وأتممت فيّ أمرهم، وقفيت بي على آثارهم، ونصبتني لما نصبتهم، من الاحتجاج بنا على * خلقك، والقيام بأمرك، ونصرة دينك، وإعزاز ملّة رسولك، ونصرتني وأظهرتني وأظفرتني، وأعززت بي الأمة، وكثرتهم بعد القلّة، وجمعتهم بعد الفرقة، وكشفت عنهم مذلّة الفتنة، ودياجير الظلمة، بدولتي التي أعززتها ونصرتها، وأيامي التي آثرتها فاخترتها، وسيوفي التي أمضيتها على الدّجال وحزبه، والنفاق وأهله، فجعلتهم بها حصيداً خامدين، فأصبح الحقّ مشرقاً، والباطل زاهقاً، فضلاً منك عليّ ونعمة جدّدتها، إلى نعم قبلها، أسبغت عليّ وأجزلتها، اللهم، فالهمني شكر نعمتك، ووفّقني للعمل بما يرضيك عني، ويؤلفني لديك، ويقربني إليك، فإنّه لا حول ولا قوة إلّا بك، عليك توكلت، وإليك أنيب، وأمرني إليك فوّضت، وبك اعتصمت.

دش 252
.. ويتهل إلى الله
أن
يسدّد خطاه في
خلافته

436

«صلاتي ونسكي، ومحياي ومماتي، لله ربّ العالمين. اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، وتقبّل أعمالهم وزكّ سعيهم، وأهدهم وآرأف بهم، إنّك أنت الرؤوف الرحيم».

ثمّ نزل (عم) فنحر ناقة بيده وانصرف إلى مضربه.

(143) هكذا في المخطوط والمطبوع، والمعنى: جعلها محظورة محرّمة على غيرنا.

(144) تقديم وتأخير استوجه السجع، والسياق هو: ولعنت مدّعيتها من غير أهلها.

ولمّا ضاق بمخلد المارق الأمر، وانقلب عليه الدهر، وأيقن بالهلاك، وانهمك في العجز والذلة شرّ انهماك، وعرف أن لا خلاص له ممّا وقع فيه (ر 173 ب) ولا فكاك، أصدر ابنه فضل بن مخلد إلى معبد بن محمّد بن خزر، وكتبه في * نصبرته، ولا طقه في معاضدته، وأن يفكّ خناقه، ويطلق من العجز والوهن وثاقه (ط 293). وكان معبد يرى رأي الخوارج المارقين، ويتبرأ - برىء الله منه! - من عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين وخليفة خاتم النبيّين، صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين. فأجابه ابن خزر بحشد الحشود، وجمع الجنود. وأنكر عليه ذلك أبوه محمّد بن خزر، وعرفه أنّه لا نصير له من الإمام ولا وزر، وكذلك نهاه أخوه، فأبى قولهما، وخرج لنصر مخلد بن كيداد، وقد خذله خالق الأرض والسماء. فكتب أبوه محمّد بن خزر وأخوه الخير بن محمّد بن خزر⁽¹⁴⁵⁾ إلى الإمام المنصور بالله (صلع) بالبراءة من فعل معبد، وعرفاه ما أزمع عليه من نصر مخلد.

دش 253

معبد بن خزر يهبّ
لنجدة
أبي يزيد...

437

وزحف معبد مع فضل بن أبي يزيد إلى يشكر والي طبنة في أيّام حصار الدّجال، وإحاطة أمير المؤمنين على قلعة كيّانة بالخيّل والرجال. فرجع فضل ومعبد بالهزيمة والخسار، وغلبهما من هنالك من جنود الإمام وروابطه⁽¹⁴⁶⁾ الذين أيّدهم الله بالانتصار. ووصل الخبر بهزيمتهم إلى الإمام المنصور بالله (عم) يوم الخميس لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجّة (8 جويلية)، فحمد الله (تع) على

.. ولكنه يخيب
في
امتلاك طبنة

(145) معبد بن محمّد بن خزر: تكرار عبارة «أبوه» إلى جانب عبارة «أخوه» في خصوص الخير، يدلّ على أن معبداً هو ابن للزعيم الزناتي، لا أخ، خلافاً لما ورد عند ابن خلدون، 26/7: «وكان أخوه - والحديث عن محمّد بن خزر معبد في موالاة أبي يزيد...». هذا، وفيما يلي، سيسند الداعي إدريس معبداً إلى خزر مباشرة، فنضطرّ إلى إصافة «محمّد» بين معبد وخزر. وانظر هامش 94، ففيه شجرة بني خزر.

(146) روابط ج رابط، أي رابط الجأش القويّ الشجاع، وهو جمع شاذّ مثل فارس وفوارس.

ما أولاه، وسجد له شاكراً على ما رفع من منار الحق به وأعلاه * . دش 254

ثم إن مخلد بن كيداد حرّض أصحابه المارقين وذمرهم وقال لهم إن عسكر الإمام قد تفرّق، وأشاع كذباً وبهتاناً أن الإمام (عم) ليس هو في معسكره، وأنه ذهب لجمع العساكر بنفسه، وأن المعسكر خال منه. ونزل المارق الدجال فيمن معه ثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة يوم الجمعة (9 جويلية) إلى معسكر الإمام، وضرب طبوله ونشر بنوده، فوثب عليهم الأولياء وقتلوا منهم ما لم يحصى عدداً من الرجال، وقتلوا من الفرسان ثمانية عشر فارساً، والإمام في مضربه لم يبرز للقتال. وعاد الدجال خائباً خاسراً، ومن بقي من أصحابه قد أثخنوا جراحاً.

ودخلت سنة ست وثلاثين وثلاثمائة

فكان أول شهر المحرم يوم الخميس⁽¹⁴⁷⁾. وفي هذا اليوم (23 جويلية 947) عاد فضل (ط 294) بن مخلد ومعبد [بن محمد] بن خزر المارقان إلى مدينة طبنة، وكان القتال بينهم وبين روابط الإمام (عم) فيها إلى الزوال. ثم انهزمت المارقة، فقتل من فرسان ابن خزر خمسة عشر فارساً، ومن رجالته عدد كثير، وانقلبوا خائبين وعادوا مغلوبين لا غالبين.

وما زال القتال بين عسكر الإمام والمارقين أصحاب الدجال، والإمام يبشّر أصحابه بقرب الفرج والظفر ويقول لهم: «إن لم آخذ أبا يزيد، وأظفر به * فلست ابن فاطمة الزهراء، ولست بإمام لكم». وكان أيضاً يقول لأوليائه: «إني ألبس في اليوم الذي آخذ فيه أبا يزيد ثياباً معصفرة⁽¹⁴⁸⁾ فإذا رأيتهموني لبستها فثقوا بالنصر والفتح، إن شاء الله تعالى».

(147) في موافقات كاتينوز، غرة محرم 336 وقعت يوم الجمعة لا الخميس.
(148) في الجميع: مصفرة، ولا معنى لثوب مصفر، وإنما يكون أصفر صريحاً. =

وزحف المنصور بالله (صلح) بعساكره إلى المارقة في قلعة
 كيانة لثمان بقين من المحرم (13 أوت 947) حين طلعت الشمس،
 بعد أن أرسل إلى زيري ومن معه أن يزحفوا ممّا يليهم، واقتل
 الفريقان أشدّ القتال. وكان الإمام يرتّب الناس في القتال
 ويحرّضهم، ويجلس أحياناً إلى موضع مشرف ينظر القتال. وعطش
 الناس، فأمر (عم) بالروايا⁽¹⁴⁹⁾ والقرب فملئت ماء وحملت على
 البغال إلى المقاتلين في عسكره، وبقي القتال إلى بعد العصر،
 وصبر الناس وعظم البأس، وقتل من الفريقين مقتلة عظيمة، وعاد
 الإمام إلى موضعه في معسكره بمن كان معه.

الزحف على قلعة
 كيانة

فلما كان من الغد صبيحة الجمعة، خرج الإمام إلى القتال،
 وخرجت جميع عساكره واشتدّ القتال، وتفانى الأبطال، وزحف
 قيصر وشفيع وزيري فيمن معهم من جهتهم، وطلع قدر ثلاثمائة
 رجل من العبيد والزوليين من أصحاب حسن بن رشيق * إلى القلعة
 فهدموا فيها بيوتاً ثمّ نزلوا. فأمر الإمام . لكلّ رجل منهم بمائتي
 درهم فجعلوها في صرر وطاقوا بها في العسكر، فكان ذلك ممّا
 حرّض الناس على القتال.

دش 256
 440

ولما كان يوم السبت لستّ بقين من المحرم (14 أوت)، خرج
 (ر 174 ب) الإمام المنصور (عم)، وقد لبس ثوباً أحمر موشحاً مذهب
 الأكمام والأذبال وعمامة (ط 295) حمراء معلمة الطرفين مذهبة وقد أرخى لها
 فؤابة، وييده درقة مغشاةً بديباج أحمر مصبغ بصفرة، وأمر الناس أن
 يخرجوا للقتال. فاستبشروا بالفتح وأيقنوا بالنصر وعرفوا أنّ ما

المنصور يرتدي
 الثياب
 الأحمر التي تبشر
 بالنصر...

= والسياق فيما يأتي يدلّ على أن المنصور لبس ثياباً حمراء. وعصفر الثوب:
 صبغه بالجريال، وهو مادة حمراء، والجريال اسم من أسماء الخمرة.
 (149) الروايا ج راوية: مزادة الماء من جلد

وعدهم به الإمام قد آن، وظهر ما علمه لهم وبان. فخرجوا للقتال فرحين مشوقين، وزحفوا بأجمعهم على المارقين، وقد أرسل الإمام إلى زيري وشفيع وقيصر أن يزحفوا في عساكرهم، وأن يصدقوا العدو في حملتهم، فتداني الفريقان، وتقارب الجمعان، واشتد القتال، وتلازمت الأبطال. وطلعت عساكر الإمام في تلك الأوعار، وقد صار المارقون على أعلى التلال يلقون الصخور العظيمة من رؤوسها، فلا تمرُّ برجل ولا دابة إلا طحنت ما تمرُّ عليه وصيرته رميمًا، وغادرته هشيماً. واستمر القتال إلى نصف النهار، وكلَّ الناس وملوا وعطشوا، وأثخن الأولياء جراحاً، وأخذتهم * الحجارة، وكاعوا⁽¹⁵⁰⁾ عن النزال، وأتعبهم شديد القتال، فزجرهم الإمام وأغضبه كلالهم وملالهم، وكرَّ بنفسه على الأعداء، ومعه ثلاثة آلاف فارس وأكثر من عشرة آلاف راجل حتى توسَّط في الوعر الذي لا مسلك فيه للخيال والرجال.

441
دش 257

فقطع عند ذلك المارقون، وسوّلت لهم بالغلب كاذبات الظنون، وحملوا حملة واحدة منحدرين، مجتهدين في قصد الإمام (عم) غير مقصّرين، فارتدع من كان مع الإمام، وانفضوا عنه وأسلموه، وبقي وحده حين قصده وتعاوروه بالسيوف والرمح والحجارة. وثار عجاج مظلم، ولم يظن أصحاب الإمام إلا أنه قد قُتل. ووصل الفسقة إلى الإمام فتجاذبوا رداءه حتى مزقوه مزقاً، وقبضوا ركابه، ورُمي برمح فأخذ في درفته وأصاب صدره، وضرب فرسه بأحجار فمار به حتى كاد الجواد أن يقع فثبته الإمام وحماه الله (تع) عن المارقين الطغام. وانجلى (ر 175 أ) الغبار، وهوقائم على ظهر فرسه، ثم كرَّ عليهم في تلك الوعر فولّوا الأدبار، وركنوا عنه إلى

... ويتقدّم
وحده
فيقطع فيه
الأعداء...

(150) كاع يكيع: هاب وملّ.

الفرار. ورآه الأولياء سالماً ففرحوا بسلامته / واستبشروا، وحملوا على الأعداء (ط 296) وتذمروا. وحرّضهم * الإمام (عم) وصاح بهم، فطلعوا تلك الوعور لم يشهم فيها ضيق المسالك ووعورها، وحجارتها وصخورها. وافترق المارقون يميناً وشمالاً، وهربوا على وجوههم لا يرومون إقبالاً، ومُلكت قلعة كيانة قهراً، وحيزت بالسيوف قسراً، وسمتها⁽¹⁵¹⁾ جنود الإمام من كلّ جانب، ودنت من الدّجال وأصحابه المارقين النواثب.

وانحاز أبو يزيد الدّجال في أولاده وغزاته وثقات أصحابه في قصر أولي في أعلى القلعة وطلعوا يقاتلون في أعلاه. فأمر الإمام أن تضرب له فارة في رأس الجبل بقرب قصر الدّجال، وجلس عندها يحرض العسكر على القتال. وأحاطت العساكر في ذروة القلعة بقصر الدّجال رمياً بالحجارة إلى أعلاه ورشقاً بالسهم وطعنأ بالرماح، وأطلقوا النار في باب القصر، والمارقون يقاتلون من أعلاه مصرون على البغي، لا يرتدعون عما هم عليه من الغي.

.. ولكته يثبت لهم...

وكتب الإمام (عم) لمن في القصر بالأمان إن أسلموا الدّجال، ورُفع إليهم كتاب الإمام على رمح فرموا به وتمادوا في الضلال. فحين أظلم الليل، وقد كلّ المؤمنون وملّوا لشدة القتال، حرّضهم الإمام وأمرهم بالصبر، وإيقاد المشاعل من حول القصر، وأمر بالإحداق به والحفظ كي لا يخرج من فيه *، والإحاطة به. وخرج (عم) من فازته، وبُسط له بساط بقرب القصر فبات عليه، وأوقدت المشاعل بين يديه، وأمر بإيقاد ما في تلك الأوعار من الأشجار فصارت القلعة كالنهار المضئيء. وبات الناس على

..... ويمتلك القلعة...

(151) سمتها (سما يسمو) بمعنى علتها، ولا وجه لتعويضها بـ «تسمتها» أو «سمنتها» كما في مقتطفات الدشراوي.

محارسهم، والبنود بين يدي الإمام منشورة، والطبول تضرب بين يديه وأصواتها عالية مشهورة.

فلما كان آخر الليل، حمل المارقون حملة رجل واحد من ذلك القصر، وقد حملوا أبا يزيد وصاحبه أبا عمّار الأعمى بين أيديهم. فاختلط الناس وقُتل من المارقة في تلك الحملة من قُتل، ونجا من نجا، وسقط من سقط (ر 175 ب) في تلك الأوعار. فكان ممن قُتل من المارقة أبو عمّار الأعمى، ويدرّس المزاتي، وجعفر المعروف بالناظر، وجماعة من وجوه (ط 297) المارقين. وأخذ الأولياء رجلاً منهم أسيراً وأتوا به الإمام فسأله عن مخلص الدجال فعرفه أنه خرج من القلعة محمولاً.

.. ويحاول الثوار
الإفلات في
خرجة يائسة

444 وطلّبه الأولياء فلم يجدوه/ فشقّ ذلك عليهم وغمّهم حتى كأنهم المغلوبون. وبيات الناس على مصافّهم حتى أذن للفجر المؤذّنون، فقام الإمام فصلّى بطهوره من أمسه، لم يغمض ولا اضطجع، ولا نام ولا هجع. فلما سلّم من صلاته قال: «يا إخواننا، لو علم الفاسق موضعاً أوعر من هذه القلعة لصار إليه، مع أنّ * وعد الله حقّ ولو كان مخلص في السحاب لسقط في كفيّ، وأوقعه الله في يدي». فهو في الكلام إذ أتوا بأبي يزيد أسيراً. وكان قد خرج في تلك الحملة يحمله أصحابه حتى خلّصوه من المعركة، ثمّ ولّوا وأسلموه، فذهب لينزل في الوعر، وكان أعرج لا يحسن المشي، فسقط في وهدة، ثمّ قام فسقط في أخرى، فوهى جسده وشجّ رأسه، وبقي لا يطيق حراكاً ولا براحاً. فلما أضاء الضياء، وقرب طلوع ذكاء، عرفوه فأتوا به مأسوراً.

دش 260
خية المنصور
إفلات
أبي يزيد...

وجاءت البشرية إلى الإمام (عم) فسجد على الأرض شكراً لله، وحمده على ما أنعم به عليه وأولاده، وأمر للذي بشره بألف

.. ثم فرحه
بالعثور عليه
طريحاً جريحاً
445

دينار من العين، وأمر بالمارق فجعل إلى مضرب وحوله ناس
يمسكونه، وهو من الضعف والجراح لما به⁽¹⁵²⁾، وقد أحاط به
الناس يهللون ويكبرون، ويحمدون الله سبحانه ويشكرون/، كيف
صير ذلك اللعين إلى الذلة بعد أن أخذته العزة بالإثم وكان على ما
كان عليه من التجبر، فأوقعه الله في يد الإمام (عم) أسيراً، وأصاره
لديه ذليلاً حقيراً.

دش 261

وركب الإمام على دابته، والسرور يظهر على أسرة وجهه،
وقد بلغه الله من مرامه إلى كنهه، ونصره على المارقين الكافرين، وأيد
الله الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين (ر 176 أ)، وهو (عم)
يكثر الحمد لله * والشكر، ويخضع له سبحانه تواضعاً في السر والجهر،
غير طائش لفرح، ولا تائه ذي مرح. فلما انتهى إلى فسطاطه،
التفت إلى الناس وهم به محدقون، وإليه من كل جهة يرمقون،
فقال: «يا إخواننا، أذهبوا إلى مضاربكم، واستريحوا من تعبكم،
وأكثروا من الحمد والشكر لله ربكم، فإن الله (تع) قد فرج عنكم
وأراحكم من عدوكم (ط 298) وانتقم لكم منه جزاء بما ارتكب منكم، وله
في الآخرة عذاب النار بما قدمت يداه والله سبحانه المحمود
المشكور على ما أنعم به وأولاه». ودخل الإمام (عم) إلى
الفسطاط فنظر إلى الدجال ملقى في الأرض فصرف عنه وجهه وأمر
بدوائه وعلاجه.

أبو يزيد في قبضة
المنصور
(24 محرم 21/336
أوت 947)

446

وكتب الإمام (عم) بخبر الفتح إلى الأعمال، ويبيشهم/ بما
أعطاه الله من الظفر وأمكنه من عدوه الدجال. ومن ذلك ما أملاه
بنفسه، فكتب إلى قدام الصقلي عامله على المنصورية والقيروان:

«باسم الله الرحمان الرحيم، وبه نستعين. من الأمير إسماعيل
ولي عهد المسلمين، وابن أمير المؤمنين، إلى قدام.

(152) هكذا في الجميع. وعند الدشراوي: وهو في الضعف، ولا يزيل الغموض.

«سلام عليك. فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى عترته الأطهار الطيبين، الأخيار الطاهرين.

«الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله.

المنصور يزف إلى
قدام
خير النصر...

«والله أكبر! الله أكبر! والله الحمد والشكر، رب العالمين، الذي نصر عبده وأنجز وعده، وتفرّد بالمن على عبده السابغات الكاملات، فأظهرني تبارك وتعالى متوجّجاً بعزّه، رافلاً في حلل كرامته، مبيّوّاً من الفخر ذراه، ومن المجد أعلاه ﴿وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَيَلْغَتْ أَلْقُلُوبُ الْخَنَازِرِ﴾ (الأحزاب، 10) وظنّ العباد بالله الظنون، فجلا بي الظلام، وأنقذ بي الأنام، وثبت بي الإسلام، وجمع بي الأئمة بعد الفرقة، وأمنهم بعد الخوف، وأعزهم بعد الذل، وحقن بي الدماء، وسكن بي الدهماء، وعمر الخلاء، وأيدني من نصره وإعزازه بما اعترف لي به المؤمن المساعد، والكافر المعاند، لقصر طول/ المخلوقين وقوتهم عن بلوغ شيء مما أملوه، ودرك قليل حاولوه، فضلاً عن هذه النعم الجليلة، والمن الجميلة (ر176ب) التي قصرت [عنها] الآمال، وغضت الأبصار، وانقطعت الأطماع عن درك بعضها، فأصارها (عج) إليّ كلّها، ورآني أهلها، وتوحد بالنعمة عليّ^(152م)، ولم يجعل لمخلوق عليّ منّة، تشريفاً لقدس عبده، ابن محمد رسوله، على ملوك الدنيا وعبيد الهوى الذين لها يسعون (ط 299)، وعليها يتناجزون، وبغارها ينقلبون.

447

.. مفضلاً سير
الأحداث..

«فلم أزل، منذ انتصبت للجهاد في سبيله، وأبرزت نحري دون دينه، باذلاً نفسي، متعباً جسمي، مستصغراً كلّ عظيم، ركاباً لكلّ هول * متعرّفاً من الله أجلّ الصنع وأكمل التوفيق في كلّ وجه

دش 263

(152م) هكذا في المخطوط. ولعلها: وتوجّها. وفي المطبوع: وتوجه.

أَمَمته، ورأي رأيت، وموقف حرب وقفته، إلى أن أتم الله عليّ النعمة وأكمل المنّة بالإمكان من عدوّ الله الخاسر أبي يزيد ذليلاً أسيراً⁽¹⁵³⁾ بعد حرب كانت بيننا وبينه ثلاثة أيام متواليات لم يكن قبلها مثلها أبداً.

«بدأناه بالزحف يوم الخميس لثمان بقين من المحرم عند طلوع الشمس، فقاتلناه قتالاً شديداً إلى بعد العصر. ثم عاودناه القتال يوم الجمعة بأهول من القتال الأول وأصعب إلى بعد العصر أيضاً. وصباحناه يوم السبت فأيقنوا بالهلاك واستماتوا، واشتدّ القتال في وعر شديد، فجعلوا يُلقون علينا الصخور العظيمة، لا تمرّ بفارس ولا راجل إلاّ طحنته وأصارته رميماً، فلم يزل القتال من أول النهار إلى ضاحيته، وكلّ الناس وملّوا، ولهثت الخيول من حرّ يُسقط أطيّار الجوّ. وتقطّع الأولياء جراحاً، وأثخنوا بالحجارة، وهابوا الإقدام وكاعوا، فأغضبني ذلك وزجرتهم وأوعدتهم، وتقدّمت إليهم⁽¹⁵⁴⁾ بمُطْحِيّة⁽¹⁵⁵⁾ فيها أكثر من ثلاثة آلاف فارس ونيف على عشرة آلاف راجل. ورأى العدوّ إقدامي عليهم فأيقنوا بالموت وانهزموا بين يديّ، حتى إذا توسّطت الوعر الشديد الهائل البهيم، ظلّوا أنّهم قد ظفروا فيما دبّروه وحملوا عليّ حملة رجل واحد، وارتدع * لها كلّ من معي وأسلموني⁽¹⁵⁶⁾.

448

دش 264

(153) رسالة المنصور - وهي ولا شك وثيقة ديوانيّة - تؤيّد المصادر التي قالت إنّ أبا يزيد لم يقتل في الحصار، وإنّما أسر جريحاً، ومنها ابن حمّاد وابن الأثير.

(154) إلى الأعداء.

(155) مطحية: اخترناها بالتشديد، على الفاعلية، من طحّى: نشر ومدّ، وأيضاً: أهلك.

(156) نلاحظ أنّ الداعي إدريس، في عرضه السابق للأحداث، قد لازم هذه الرسالة في تفاصيلها وحتى في عبارتها، غير أنّه بالتكرار والإعادة، ولعلّه نقلها بحذافيرها من أحد المصادر الإفريقية المفقودة.

«فقصدي الفسقة وتعاوروني بالسيوف والرماح والحجارة، وثار عجاج مظلم طبق الأرض، فوصلوا إليّ حتى تجاذبوا (ر 177أ) ردائي فمزقوه، وقُبضت ركابي، ورُميت في تلك الحملة برمح أخذته في درقة عند صدري، وأثخنوا فرسي بضرب صدره وناصيته بالحجارة، ومار بي يميناً وشمالاً، فوثقت بالله رباً، وطبت بالشهادة في سبيله نفساً وقلت: يا نفس! حبذا والله موقفٌ عشت بعده عزيزاً حميداً، أو رحت منه شهيداً سعيداً، إلى لقاء جدّي رسول الله (ﷺ)! فوالله ما ثبت عنهم عانا (ط 300)، ولأني لمنفصل في غلالة ورداء ودرقة. وما هو إلا أن تجلّى الغبار فأروني في وجوههم فانهزموا وولّوا الأدبار، واتّبعهم وحدي في وعر لا مسلك للخيل فيه. ورآني الأولياء فاستيقنوا بسلامتي فعطفوا عطفة واحدة وصحت بهم وحرّضتهم، فاستأسدوا عليهم، واجتازنا منهم في تلك المعركة زهاء أربعين رأساً، وافترقوا في هزيمتهم يميناً وشمالاً، ومُلكت القلعة بالسيف قهراً، وعنوة وقسراً.

.. ومنّداً بتخاذل
من
تخاذل من
أصحابه..

449

.. فعرضوه للوقوع
في أيدي
العدو

«وانجحر اللعين أبو يزيد وولده وغزاته وأصحابه وثقاته في قصر أوليّ⁽¹⁵⁷⁾ في ذروة القلعة أشبه شيء بعُرف الديك، فأحاطت به الجيوش من كلّ ناحية، رمياً بالحجارة، وطعنًا بالرماح، ورشقًا بالسهم، وإشعالًا بالنار في أبواب القصر، والفسقة مصرون * على كفرهم ويغيهم وغيهم. فكتبت لهم في ذلك المقام كتاباً منشوراً بأمانهم إن هم خرجوا إليّ وأسلموا اللعين، وعرفت أن جهلهم وعماهم يحملهم على كفر النعمة، وإن بكفر النعمة اجتلاب النقم وأردت، بذلك، الاستظهار بالحجة عليهم عند الله، تعالى ذكره،

دش 265

450

(157) القصر الأوليّ: هذا مصطلح عند القدماء لعت الآثار المعماريّة البونيقيّة والرومانيّة والبيزنطيّة. هذا، ولم تكشف الأبحاث بقلعة بني حمّاد - وهي أقرب الأماكن لـ «قصر» كيانه - عن آثار سابقة لتأسيس القلعة.

فأخذوا الكتاب فمزقوه، فأول من مَدَّ يده إلى تمزيقه أصابه سهم في
نحره فخر ميتاً.

المعركة النهائية

دامت

ثلاثة أيام

«وتمادوا على الإصرار واستماتوا، وألح الأولياء في قتالهم،
وهم من ذلك القصر في حصن منيع لا يرام، إلى الظلام، فأمرت
بإيقاد المشاعل، وبت ليّتي كلّها ساهراً، وبنودنا خافقة، وطبولنا
هادرة، ورجالنا على الركب، وسيوفهم على عواتقهم. فلما كان آخر
الليل، حمل اللعين وأصحابه من ذلك القصر حملة واحدة
كالخنازير، فاختلط الناس، فقتل في تلك الحملة من الفسقة من
قتل ونجا من نجا، فكان ممن قتل أبو عمار الأعمى (ر 177 ب) ويدرس
المزاتي وجعفر المعروف بالناظر. ونجا من نجا منهم مترامياً بنفسه
من أعلى القلعة إلى وعر شديد هائل، وأخذنا منهم أسيراً فعرفني
أن اللعين خرج من القلعة هارباً، فلم أصدقه وأمرت الأولياء بالثبات
على مصافهم وتعبثهم حول ذلك القصر.

دش 266

* «ولم أزل قائماً حتى لاح ضياء الفجر، وإذا اللعين قد جرح
في تلك الحملة، فحملة ثلاثة من أصحابه حتى خلّصوه من
المعركة، ثم ولّوا وأسلموه. فذهب لينزل من القلعة فسقط، ثم قام
ليلحق بأصحابه فسقط سقطة أخرى أوهت جسده كلّ ورأسه فلم
يستطع (ط 301) حراكاً ولا براحاً فبقي ملقى على ضفة الوادي. فأتينا به
أسيراً بحمد الله ومنه، وصنعه وعونه، عند صلاة الفجر من يوم
الأحد لخمس بقين من المحرم. ورأيت من سوء حاله وما أصابه
الله إليه من الذلّ وأحلّه من النعمة، ما في بعضه شفاء للغليظ وإبراد
للغليل. فحمدت الله وشكرته، وتوثقت من اللعين، وأمرت بمداواة
جراحه والرفق به إلى أن أصل به إلى المهدية إن شاء الله.

451

المنصور يأمر

بإخراج

الصدقات شكراً

الله...

«فأحمد الله أنت ومن قبلك من رعايانا، وأكثرنا معاشر العباد
من الشكر لله، وتصدّقوا إلى الله بعق الرقاب، والصدقات من

أطيب أموالكم وأزكاها وأحلها مكسباً. واذكروا ما كنتم فيه أمس، وما أصبحتم فيه اليوم من العز بعد الذل، والأمن بعد الخوف، والطمأنينة بعد الروع، والاجتماع بعد الفرقة، والدعة بعد شدة المحنة بعدو الله وعدو رسوله ودينه، يسميكم مشركين، ويحكم في المسلمين بحكم فرعون. فاحمدوا الله على ما صرف عنكم ووهب لكم، ممّا جمّل رأينا فيكم ونوايانا إليكم⁽¹⁵⁸⁾ من الإحسان إليكم⁽¹⁵⁹⁾ وإلى قُرْبِكُمْ، والدفاع عنكم، وتحصين * حرمانكم وحقن دمائكم، متحملاً في ذلك ما لم يتحمّله قطّ ملك غيري، وأهوالاً لم يقاسيها أحدٌ غيري، لم أرد بذلك من المخلوقين جزاء ولا شكوراً، إلاّ القُرْبَةَ إلى الله، تعالى ذكره، والزلفى لديه والرغبة عنده.

دش 267

452

«فلله الحمد على إنجاح سعيي وتبليغي أُملي، وإيَّاه أسأل، وإليه أرغب في العزم على أداء شكره، (ر 178) وتوفيقي لما يرضيه. حسبي الله ونعم الوكيل، والسلام عليك ورحمة الله. وكتب يوم الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، والحمد لله ربّ العالمين».

وأكثر الإمام من الصدقات على مَنْ في عسكره من أولي المسكنة والحاجات. وكتب إلى عمّاله في الآفاق يعرفهم ما أعطاه الله من النصر، وأولاه من الأمر، ويأمرهم بإظهار الصدقات من ماله وإنفاقها على ذوي الحاجات والمسكنة في كلّ صقع ومكان، حتى استغنى أولو الفقر، وكثر ما في أيديهم بفضل وليّ الأمر.

.. ويبادر هو
بالتقرّب
والشكر...

وكان ممّا كتب إلى جوذر الأستاذ، عبده وغذّي نعمته ونعم آبائه، الذي اختاروه (ط 302) واصطفوه، وكان عندهم في المكان المكين

(158) في الجميع: ممّا جعل رأينا فيكم ونوينا إليكم.

(159) في الجميع: والإحسان عليكم.

والمنزلة الجليلة، يعرفه الإمام (عم) ومن قبله بما من الله عليه وأسدى إليه من الفتح الجليل وأسر الدجال، وما أنعم عليه به ربه الكبير المتعال، ويأمره ببث الصدقات/ والأموال على من كان في المهدية وأعمالها، وأن يعم بذلك غنيهم وفقيرهم، وداخل السجل رقعة بخط الإمام فيها:

«يا جوذر، أسعدك الله بطاعته وتوَلَّاكَ بكفائته. إنا قد أوجبنا على أنفسنا من الصدقات وفعل الخيرات، شكراً لله (عج) على ما أنعم به علينا من هذا الفتح العظيم قدره، الجليل خطره، ما قد نفذ [به] أمرنا إلى كل عامل بما يعمل به من جهته حسب ما رسمناه له ولك⁽¹⁶⁰⁾، صانك الله، بما يمثله⁽¹⁶¹⁾ في إخراج ما رسمناه من الصدقة على الفقراء بالمهدية ومن حولها.

«لكننا لم نجد في باب العتق أزكى عملاً، ولا أقرب قرباناً عند الله (عج) من عتق رقبة مؤمنة طاهرة زكية مثلك: فأنت حرّ لوجه الله العظيم، ورجاء ثوابه الجسيم، قد أعتقتُ جسمك وروحك في الدنيا والآخرة. وسمّيناك، تشريفاً لك، بـ «مولى أمير المؤمنين». فاجعل مكاتبك لمن كبر قدره وصغر من جميع الناس: «من جوذر مولى أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان»، ولا تكن أحداً، ولا تقدّم على اسمك اسماً إلا اسم مولاك أبي تميم (ر 178 ب)، أستودعُ الله، وبارك في عمره»⁽¹⁶²⁾.

.. فيعتق جوذراً
الأستاذ

(160) في الجميع: وإليك.

(161) في الجميع: تمثله. وقد أسقط الدشراوي هذا النقل عن سيرة جوذر، 51.

(162) ورد في هامش «هـ» توضيح لمستلزمات هذا القرار، قرار عتق جوذر وتلقيه بمولى أمير المؤمنين: لا تكن أحداً، أي: لا تقل لأحد: أبو تراب ونحوه، لأن الكنية تعظيم، إلا إذا كتبت إلى الإمام المعز (صلع)، فقدم اسمه على اسمك، أي المشهور المعروف إذ الكتاب، إذا يكتب إلى أحد، يقدم اسمه =

فكان ذلك من تشریف جوذر، وما خصّه الله وولّيه به، فبان فضله وعلا عند/ أولياء الله محلّه، وكان إلى انتهاء عمره يكتّاب من علا ودنا بما خاطبه به الإمام، ولا يتواضع إلا لإمامه الذي فرض الله ولايته، وأوجب، بعد طاعته وطاعة رسوله، طاعته، أو لوليّ العهد الذي هو حجة الإمام، والمستحقّ بعد وفاته، لعظيم المقام.

ولما كان بعد يومين من أخذ أبي يزيد (الثلاثاء 26 محرم/ 17 أوت 947)، أمر الإمام المنصور بالله (عم) بإحضاره إليه لإقامة الحجة عليه. فحين دخل على الإمام قال: السلام عليك!

فقال له الإمام (صلح): السلام على من (ط 303) اتّبع الهدى، ولا سلام على من كفر وعصى!

المنصور يقيم
الحجة على
أبي يزيد...

فسكت مخلد. فقال له الإمام: أي عدوّ الله، كيف رأيت صنع الله؟ ألم ينصر الحقّ، على قلة أنصاره، وخذل الباطل، على كثرة أعوانه؟

فطأ رأسه. فقال له الإمام (عم): ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ: لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ، وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ. فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ (الأنفال، 48).

فرفع مخلد رأسه وقال: أقدرك الله، والعفو أولى بك.

قال الإمام (عم): أي عدوّ الله! تشتم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟
قال: معاذ الله! وكيف أشتم عليّاً، ونحن حزبه الذي نصرناه على أهل الشام؟

= ثمّ يكتب الكاتب. فقال مولانا لجوذر: إذا كتبت إلى أحد فقلّمْ اسمك على اسمه. (وانظر تعليق ماريوس كانار في ترجمة السيرة، هامش 95 و96).

قال له الإمام (عم): أَوَكان عليّ محتاجاً إلى نصرِكَ؟ كَلّا، والذي فضّله وكرّمه! سيفُ عليّ ناصره، والله مؤيّده، لا أنت ولا غيرك.

فأفحم عن الجواب. فقال له الإمام: أَوَلَمْ تشتم من هو خيرٌ من خيراتِ عليّ؟⁽¹⁶³⁾.

قال المارق: ومن هو خيرٌ من خيراتِ عليّ عندك؟

قال الإمام: أمير المؤمنين أبو القاسم، الذي جمع الله له شرف النبوة والإمامة بمحمد وعليّ وفاطمة صلوات الله عليهم.

قال: معاذ الله! لا والله، ما شتمته!

قال له الإمام: كذبت!

قال: بأيّ شيء كذبتني، وأنت لم تسمع ذلك مني؟.

قال الإمام: إن لم أسمع، فقد سمعه كافة أوليائنا من

أصحابنا.

قال مخلد: بلى، قد كانت معي عاثة لا خلاق لهم.

فقال الإمام: تكلمّ آمناً بملء فيك: ما الذي نقمت فيه على

أمير المؤمنين؟

فسكت. قال له الإمام (عم): تكلم!

فسكت أيضاً.

فقال له الإمام: والله (ر 179 أ) لتقولن!

فرفع المارق رأسه ثم قال: نعم، كان أبو القاسم كريماً حوله

قوم سوء هجنوه.

فقال الإمام: بماذا؟

... فيزعم الثائر أنّه
إنما خرج مستكراً
لفرض الضرائب
على الناس

(163) خير هنا ليس أفعل تفضيل، بل مفرد خيرات، مثل حسنة وحسنات، وفهم أبو يزيد أنّه تفضيل على عليّ.

فسكت. فقال الإمام: لتقولن!

قال المارق: هذه القبالات التي فيها الجور على المسلمين.
فقلت منكراً لذلك، أريد إصلاح أمور الناس.

456

/ قال: فهل علمت أن ذلك عن رأي أمير المؤمنين وأمره؟

المنصور يحتج

قال المارق: لا أعلم، إلا أنهم قد فعلوا.

قال: فهلاً كنت تشكو ذلك إلى أمير المؤمنين وتطلعه عليه،
فإن غير المنكر، كان الذي أردت، وإن هو لم يفعل، اتخذت
بذلك عليه الحجة؟
لم ينبه القائم إلى ذلك...

فسكت. قال الإمام (عم): وإنما (ط 304) قمت [كما] زعمت،
للإسلام محتسباً؟

قال: نعم.

قال: فهل غير الإسلام، ونقض شريعة محمد (ﷺ) وبطل
وأهلك أمته غيرك؟

قال: وكيف؟

قال الإمام: وكيف أيضاً؟

قال: نعم، وكيف؟

قال الإمام: بما ارتكبت من المحارم، وصغرت من العظائم، .. حتى يرفع
وسفكت من الدماء، وهتكت من الحرمات.
الجور

قال المارق: ذلك من أقوام سوء أتبعوني.

قال الإمام: عن معرفة منك [أم] عن جهل؟

قال: بل عن جهل مني بهم.

قال الإمام: أولاً يوجب⁽¹⁶⁴⁾ عليك فعلهم حجة عند الله (تع)

ولا [عند] عباده؟

قال المارق: لا.

(164) في الجميع: يجب.

قال الإمام: إذا كنت لا ترى الحجّة عليك واجبةً بفعل أصحابك، فمن أين رأيت الحجّة واجبة على أمير المؤمنين بفعل عبيده في أقصى البلدان، وملكه بحمد الله أوسع من البحر الذي فيه الجواهر والغنّاء؟

فسكت المارق. فقال الإمام/: ما تقول في بني كملان هؤلاء خاصّة؟

457

قال: قوم سوء ملاعين.
قال الإمام (عم): قد نقضت قولك، وأكذبك لسانك إذ زعمت أنك جاهل بأهل الشرّ من أصحابك، ثمّ هذا قولك في بني كملان، وهم عمدتُك وعقدتُك، وآخر من حصل معك من أصحابك أصحاب الشيطان. ويلّ لك من الله!
قال المارق: فإني أتوب على يديك.

أبو يزيد يدّعي أنّه
جهل ما
يرتكبه أتباعه من
منكرات

قال الإمام: برئت إلى الله منك! لمّ نقضت اعتقادك وخالف قولك فعلك؟

قال: بماذا؟

قال الإمام: بالفرار من الزحف. فهو من الكبائر عند أولياء الله، وعندكم أيضاً أعداء الله، وأنت القاتل إنّ الموت أشهى عندك من الحياة، والضامن لأصحابك أنك لا تنهزم أبداً.
قال *: ومتى انهزمت؟

دش 271

قال (ر 179 ب) له الإمام (عم): ألم تنهزم من سوسة، ثمّ من القيروان، ثمّ من تامديت، ثمّ من دامران، ثمّ إلى قدورة وإلى أرض السودان، ثمّ إلى الجبال ثمّ إلى تامروت؟ (165).

(165) قد تكون هذه المواضع هي التي مرّ بها أبو يزيد في تقهره بعد أن خسر معركة القيروان. فتامديت (في النسخ: تامريت) تقع بين نهر ملاق وتيفاش (البكري، 53) ودامران وقدورة لم نهتد إليهما، ولعلهما بين باغاية وطبنة. أما تامروت فلعلها محرفة عن تامرست (انظر ص 404 هامش 109).

قال: لم أهرب، ولكنني دخلت الغرب.

قال الإمام: دخلت الغرب بشدودك رواحك من القيروان،
ورحلت مشتتياً لدخول الغرب؟ بل أخرجك والله ابن
رسول الله (ﷺ) بذي الفقار سيف جدّه، صاغراً قمياً مهزوماً ذليلاً
خازياً خائفاً طريداً، فدخلت/ الغرب برغمك والله وصغارك، بعار
الأمْد وخزي الأبد في الدنيا، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ (القلم: 33).
فسكت المارق وأطرق. ثم قال (ط 305) الإمام: لم
استعملت الكذب الذي هو عار ونار؟

قال: ومتى كذبت؟

قال الإمام: ومتى صدقت؟ أوليس من كذبك وزورك كتابك
بالأمس إلى الأمويّ الشقيّ تدّعي فيه أنك حصرتني وقتلت رجالي
وأخذت فازتي، وأني محصور بمدينة المسيلة؟
قال: ما كتبت بهذا.

قال الإمام: يا غلام، أحضر كتبه التي أخذناها مع رسوله منذ
أيام بطوابعها⁽¹⁶⁶⁾.
فانقمع المارق وتلجلج لعلمه بما في كتبه وقال: العفو!
العفو!

قال الإمام: دعها يا غلام! ثم قال له: وأيضاً تصف نفسك
بالعقل والدهاء، وترى نفسك لتدبير الحروب * وقود الجيوش وسياسة
الأمر، وامرأة من جهلة الناس أعقل منك؟

قال: من هي؟

قال الإمام (عم): أمراؤك⁽¹⁶⁷⁾ التي حذرتك سوء العواقب،
امرأة أبي يزيد
أرجح منه عقلاً

(166) لم يسبق للمؤلف أن ذكر قبض هذه الرسائل. ويبدو أنها لم تصل إلى الناصر
الأمويّ لأن ابن عذارى لا يذكرها، وإنما وقف عند وفادة أيوب بن محلد سنة
335 (البيان، 224/2).

(167) قد مرّ بنا (ص 347 وهامش 20) شاهد على تعقل أم أيوب زوج أبي يزيد

وأمرتكم بما لو أطعتموها فيه، لكان في طاعتها رشدك، من النزول إليّ والاعتراف بذنبك والتوبة إلى الله (تع) ربك، وأعلمتكم أنك إن لم تفعل كنت مأسوراً، وأن الله لا يدعك حتى بأخذك بكبير جرمك وعظيم ذنبك.

قال المارق: لقد قالت ذلك.

قال الإمام (عم): أتدري بم بلغت ما بلغت، على خساستك ونذالتك وسقوطك وخمولك وجهلك؟

قال: للقيام لله.

قال: معاذ الله! من قام لله نصره الله! ولن يقوم الله إلا أولياء

الله!

قال: فيماذا تقول؟⁽¹⁶⁸⁾.

قال: بهوانك والله على أمير المؤمنين⁽¹⁶⁹⁾. وإنك تعلم أنه لو برز إليك لدق (ر 180 أ) عنقك ووقص ظهرك وانقضى مذ حين أمرك. ولكنه أبى ذلك، احتقاراً لك واستصغاراً لشأنك. ولقد سمعته يقول: لو أخذ عدو الله بحلقتي هذا الباب ما خرجت إليه، ليَقْضِيَ الله أمراً كَانَ مَفْعُولاً، وليبتلي الله المؤمنين فيمحق الكافرين. والذي نفسي بيده، لينجز الله وعده لنا، ولو كره المشركون!⁽¹⁷⁰⁾.

فسكت. قال الإمام (عم): قد أخذتكم بالسيف قهراً، وصرت في يدي قسراً، أسيراً بلا عقد ولا عهد. فَلَا تَقْتُلُنَّكُمْ * قِتْلَةً هي أضرب عليكم من كل قتل.

دش 273

(168) أي: بم بلغت ما بلغت، في رأيك أنت؟

(169) أي القائم بأمر الله. وفي إلحاح المصادر الشيعية في تبرير زهول القائم، إنما بالثقة المطلقة في «وعد الله له»، وإما بالاستهانة بمخلد، وإما بالأميرين معاً كما يفعل المنصور هنا، دليل على أن الانتقاد راج في الأوساط العاطمية أيام حصار المهدي وبعده الحصار. وقد ذكر المؤلف (ص 260 وانظر هامش 63) توسل جلّاس القائم إليه كي يُظهر الحزم بعد سقوط الأريس.

(170) مرّ هذا الكلام من القائم ص 296.

قال: كيف؟

قال الإمام (عم): بالإحسان إليك، والإفضال عليك والرفق بك. ثم لا ينالك من عقوبتي شيء أكثر من سجنك في دار واسعة ورزق جارٍ لتعلم أنني وليّ الله وابن رسوله، وأن الله فضل أخلاقنا كما طهر أعراقنا، ليكون ذلك قاتلاً لك غمّاً وهمّاً، وحسرةً وكمداً على ما فاتك من الفوز بطاعتنا، وعلى ما أعدّ الله لك من العذاب بمعاندتنا. ومن أنت/ أيها الكلب؟ فوالله ما في قتلك ذك من فوّت، ولا شفاء من غيظ. أخزى الله دولة لا يحييها إلا موتك! خذوه!». 460

فأخذه الخدم وهو ثقیل دنف، وهو يلتفت ويقول: «جزاك الله خيراً! جزاك الله خيراً! فعلت ما يشبهك! سلام الله عليك!».

واشتدت بالدجال العلة لما ناله من السقوط، فمات قبل الفجر سحراً لليلة بقيت من المحرم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة (20 أوت 947)، والإمام في معسكره⁽¹⁷¹⁾. فأمر الإمام (عم) به فسلخ

(171) في موت أبي يزيد تختلف رواية ابن حمّاد، 35: أوصى المنصور خيراً بالأسير الجريح وسلمه لحراسة جعفر بن عليّ الحاجب، ولكنه مات بعد يومين من الأسر (وهنا بعد أربعة) ويضيف ابن حمّاد: «وقيل إنّ الدم نزفه وهو يكلم المنصور فمات بين يديه». ورواية ابن عذارى، 220/1 تبعد كثيراً: اعتصم أبو يزيد بالجبل المعروف باسمه (لا كيانه) وأخذ حياً مجروحاً فجعل في قفص من حديد وجيء به إلى المنصور بالمهدية فقتله وصلبه على الباب الذي ضرب عليه برمحه (أيام الحصار). أما ابن خلدون، 44/4 فيكتفي بالقول إنه هلك في سلخ المحرم 336 وكذلك ابن الأثير 311/6.

هذا وإنّ خبر المناظرة الطويلة بين المنصور وخصمه لا يتفق مع حالة الضعف والتهشم والتزيف التي يوصف بها أبو يزيد فهذا الاحتجاج منه وهذا الدفاع عن مبدإ الاحتساب لله يتطلبان صحّة قويّة في العقل والجسد. وانظر في المجالس والمسائرات، 336، هامش 1، صورة من الحجّاج بين المنصور ومخلد حسب رواية المقرئ في المقفى.

لكنّ المنية تعاجل

الثائر

المغلوب

دش 274

جلده وحشي بالتبن بعد أن أُخرجت أحشاؤه ومُلح وعُولج حتّى ظهرت صورته كأنها ناطقة. وجُعِل في صندوقين طويلين وأمر الإمام بحمل الصندوقين، فكان إذا ورد مدينة أمر بإخراج ذلك الجلد، ويُحْمَل على جمل، ويُلبس شيئاً على رأسه *، ورجل يُمسكه من خلفه كي لا يميل وينادي عليه⁽¹⁷²⁾ وعلى كتفه وصُلبه قردان⁽¹⁷³⁾ يصفعانه ويلعبان عليه.

وفي ذلك يقول محمّد بن ناسك التونسي⁽¹⁷⁴⁾ من قصيدة طويلة:

(متقارب)

ففاضت على غير مَأْمَلَةٍ وقد كَثُرَ اللّهُ أوزارَهَا⁽¹⁷⁵⁾
فأركب تمثاله بازلاً يَعُرُّ المَطْيُ وأكوارَهَا⁽¹⁷⁶⁾
وزاملَ قردَيْن فوق البعير كأسرى تَفَاوَضُ أسرارَهَا

(172) وينادي عليه: أي يعلن عن قدوم ركبه حتى يجتمع الملأ لمشاهدته.

(173) القردان ذكر وأنثى في تدقيقات ابن حمّاد، 33.

(174) لا نعرف محمّد بن ناسك التونسي هذا، وكنا افترضنا في الحواريات، 17/1979 ص 66 أنه قد يكون الإيادي، ولكن الافتراض يبدو لنا اليوم بعيداً، نظراً إلى أنّ إدريس يورد شعراً للإيادي بعد شعر ابن ناسك مباشرة، وما كان يفوته التصحيح إن كانا نفس الشخص.

(175) مَأْمَلَة، مؤنث مأمل، أي: أمل. والمعنى: مات أبو يزيد، وما كنّا نرجو موته ولا نريده. وإنّ استبقاء المنصور لحصمه فسرته المصادر بطرق مختلفة: فابن حمّاد، وهو يتأرجح بين الإعجاب بالمنصور لكفاءته الحربيّة والسياسيّة، والنقمة على الدعوة والدولة الشيعيّة، يقول: طمع المنصور في الوصول به إلى القيروان، أي شاهداً حيّاً على انتصاره (مثل مواكب قواد رومة القديمة) لكنّ هذا البطر لا يناسب ما يؤكده إدريس من تواضع المنصور، ولذلك فسّر الداعي عفو المنصور بما يشير إلى قوله المتنبي: وما قتل الأحرار كالعفو عنهم...

ويبقى تفسير المنصور نفسه: لم يقتله لأن الجلم من شيم آل البيت.

(176) يَعُرُّ المَطْيُ: منظره مع جثمان الثائر يزري بالمطايا ورحالها (عرّه يعرّه: ساءه وألحق به الشر).

5 فما يرعيان له حُرْمَةً إذا ما القروُد رعت جَارَهَا
وقد عُلِّمًا/ قَبْلَ أَنْ يَلْقِيَاهُ، وَحُدًّا الْأَكْفَ وَأَظْفَارَهَا⁽¹⁷⁷⁾
فِيهَا هَامَةٌ غَادِرًا صَحْنُهَا وَقَدْ هَتَكَ الصَّكُّ أَسْتَارَهَا
وَيَا لِحِيَّةٍ، ذَاكَ يَلْهُو بِهَا وَهَذَا يُنْتَفُ أَوْبَارَهَا
أَتَيْتَ بِهِ خَاسِئًا حَاسِرًا يَزُورُ الْقُرَى لَا كَمَا زَارَهَا⁽¹⁷⁸⁾
الشعراء يتشققون من أبي يزيد: ابن ناسك...

وقال علي بن محمد الإيادي الشاعر يذكر ارتقاء مخلد بن
كيداد الدجال المارق إلى قلعة كيانة، وما كان من المنصور بالله
(عم) حتى أمكن الله منه وأسرّه، ويصف كيف فعل بعد ذلك به،
حيث يقول من قصيدة:

(رمل)

فارتقى الملعون من خِيفَتِهِ فِي ذُرَى أُعِيطَ عَالٍ مُضْطَعِدٌ⁽¹⁷⁹⁾
فِي ذُرَى خُلُقَاءَ مَلَسَاءَ، عَلَى ذَلِكَ الْمَعْقِلِ لَيْسَتْ بِصَدْدٌ⁽¹⁸⁰⁾
مَعْقِلٍ مِنْ فَوْقِهِ اللَّهُ، وَمِنْ تَحْتِهِ الْمَنْصُورُ فِي جَيْشٍ مُعَدٌ⁽¹⁸¹⁾
فَارْتَقَى الْمَنْصُورُ بِالسَّيْفِ، لَهُ يَوْمَ طَعَنَ كَشَائِبَ الْبَرْدِ *
5 وَاثْقًا بِاللَّهِ فِي غَرْبَتِهِ، عَنْ بَنِي أَحْمَدَ نَاءٍ مُنْفَرَدٌ⁽¹⁸²⁾
فَإِذَا مَخْلُودٌ فِي كَفِّ الرَّدَى مُوْتَقٍ الْجِيدِ بِحَبْلِ مِنْ مَسَدٍ
قَدْ رَمَتْهُ الْحَرْبُ عَنْ غَارِبِهَا وَاهِي الرُّكْنِ ذَلِيلُ الْمُسْتَنْدِ

... والإيادي
دش 275

(177) حُدَّتْ أَظْفَارُ الْقُرْدَيْنِ لِنَتْفِ لَحْيَةِ التَّمَالِ.

(178) حَاسِرًا: مَكْشُوفَ الرَّأْسِ وَالصَّدْرِ، أَيْ أَعَزَلَ مِنَ السَّلَاحِ، لَا كَمَا كَانَ فِي اقْتِحَامِهِ الْأَوَّلِ لِلْمَدَنِ وَالْقُرَى.

(179) فِي الْجَمِيعِ: مَصْعَدٌ أَوْ مَصْمَعَدٌ، وَأَثَرُنَا أَنْ تَكُونَ «مُضْطَعِدًا» (افْتَعَلَ مِنْ صَعَدَ) وَهِيَ حَالُ مِنَ الرَّجْلِ.

(180) الْخُلُقَاءُ: لَا نَتَوَّ فِيهَا، فَهِيَ صَعْبَةُ الْارْتِقَاءِ، لَكِنْ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعِ الْمَنْصُورَ: لَيْسَتْ بِصَدْدٍ: لَيْسَتْ بِمَانَعَةٍ صَعُودِهِ إِلَيْهِ.

(181) جَيْشٍ مُعَدٌ: مَجْهُزُ الْعِتَادِ وَالْعِدَّةِ (مَفْعُولٌ مِنْ أَعَدَ).

(182) نَاءٍ: نَنْتَظِرُ نَائِيًا، عَلَى الْحَالِيَةِ مَعْطُوفًا عَلَى «وَاثِقًا».

كنفيضٍ أخرجته أمه ليس إلا نبض روح وجسد⁽¹⁸³⁾
 فأوى من كرم المنصور في كنف رحب وخفض ورغد
 10 طلباً منه لبقياً روحه، وبقاء الروح أشفى للكمد
 فأبى الله سوى إعجاله، وعذاب الله للوعد أهد⁽¹⁸⁴⁾
 فنضا عنه أديماً دنساً كان قد أسرف فيه ومرد
 كأديم التيس، لما لم تطب ريحه، جرد منه فانجرد
 وحشاه سالخوه سَعفا مائلاً ما بين كعب وكند
 ثم رقاه على مُستخْصِدٍ باسقى أجرد ما فيه أود⁽¹⁸⁵⁾
 وكان الشاعر الفزاري أيام غلبة مخلد الدجال المارق قد
 مدحه وهجا الأئمة (عم). فقال أبو محمد عبد الرحمان العتقي⁽¹⁸⁶⁾
 يحرض المنصور (عم) على الفزاري:
 (مقارب)

462

الفزاري بعد
 أن كان
 مدح الناصر وهجا
 الأئمة...

أمنصور هاشم، من لا يحب حياتك، لا صحبته الحياة! (ط308)
 وعاجله، قبل أن ينتهي إلى أمد يتغيه، الممات!
 أيمشي الفزاري فوق التراب، وأظفاره فيكم داميات؟

(183) في سيرة جوذر، 48 - 49: نبض عرق

(184) في سيرة جوذر، 48 - 49: للجسم أهد.

(185) المستحصد: القوي البنية من الناس والدواب، ولعله يعني البعير البازل الذي وصفه ابن ناسك في الآيات المتقدمة (ص460).

(186) المقطوعتان الآيتان تنسبان في مخطوط القصيدة الفزارية الذي اعتمدنا عليه لنشرها (انظر الهامش 189 الآتي) إلى «محمد بن عبد الله الأبرقطي أو الأبروطي» وقد مر شاعر بهذا اللقب، إلا أن اسمه محمد بن الحرث بن سعيد (ص356 هامش 37). ونقل الداعي إدريس هنا يُطل هذه النسبة. والعتقي الذي يذكره، لعله والد العتقي المؤرخ صاحب «التاريخ الجامع» المفقود، فإن تداول الكنية والاسم بين عبد الرحمان ومحمد يرجح عندنا هذا النسب، خصوصاً وأن المؤرخ توفي بعد هذه الحوادث بكثير (انظر الوافي بالوفيات طبع ألمانيا، ج 3 ص 239 ترجمة رقم 1251 حيث أرخ لوفاته بمصر بسنة 384).

5 وَسَبُّكُمْ زَلٌّ لَا يُقَالُ فهل تُغْفَرُ الزُّلُّلُ الْمُؤَبَّاتُ؟ (187)
 فأين بوادرك المهلكات، وأين عزائمك المنجزات؟
 أَرِخْ مِنْهُ مُلْكَكَ، لَا تُبْقِهْ! فأفعاله كلها منكرا
 وجاز اللعين بأفعاله، فآثاره فيكم باقيات

وقال أيضاً يحرضه عليه (ر 181 أ) من أ):

(الكامل)

أَيُّظَنَ وَغَدُ فِزَارَةٍ ظَنُّ أَمْرِيءَ جَهْلِ الْعَوَاقِبِ، وَهُوَ لَا يَتَفَكَّرُ
 أَنَّ الَّذِي ارْتَكَبَ اللَّعِينُ وَنَالَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْوَحْيِ ذَنْبٌ يُغْفَرُ؟ (188)
 هِيَهَاتَ تِلْكَ جَنِيَّةٌ مَطْوِيَّةٌ فَإِذَا أَتَى الْأَجَلَ الْمُؤَقَّتُ، تُنْشَرُ
 وَاللَّهِ مَا الْمَنْصُورُ عَنْكَ بِغَافِلٍ، لَكِنْ تَبَيَّنْتُ الَّذِي يَتَدَبَّرُ
 فَوَافِي الْفَزَارِيِّ الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ (عم) تَائِباً مُسْتَغْفِراً،
 مُتَنَصِّلاً مِنْ ذَنْبِهِ مُعْتَذِراً، وَأَنْشَدَهُ «الْقَصِيدَةُ الْفَزَارِيَّةُ» (189) الْمَعْرُوفَةُ
 الَّتِي أَوَّلُهَا:

(187) الزلل الأولى اسم من زل: زلق وأذنب والزُّلُّلُ الثانية: نرى أنها جمع زلة
 والمؤبقات وصف لها.

(188) لعل «اللعين» تعني أبا يزيد، فيكون العتقي مشيراً إلى مدح الفراري لأبي يزيد،
 وهو مدح لم يصلنا.

(189) نشرنا القصيدة الفزارية في الحواريات، عدد 10 سنة 1973 ص 128 عن مخطوطة
 المتحف البريطاني، وبشرها إبراهيم الدسوقي جاد الرب ضمن كتابه «شعراء
 المغرب حتى خلافة المعز» القاهرة 1973، ولم نطلع عليه إلا مؤخراً.
 والقصيدة الفزارية في المخطوطة التي استعملناها مصحوبة شرح للأعلام
 الكثيرين المذكورين فيها، بين أجواد وأبطال وأسياد في الجاهلية خاصة،
 ولعلها اكتسبت شهرتها - حتى صارت تعرف بالقصيدة الفزارية - من هذا
 الاستعراض التاريخي لأمجاد العرب القدماء، الذي يدل، فيما يدل، على
 رسوخ قدم الأفارقة في الثقافة العربية الإسلامية، ومعرفتهم الجيدة
 بـ «الميثولوجيا» العربية. والشرح مجهول المؤلف، إلا أنه يبدأ بترجمة وجيزة =

... فاستوجب
 نقمة الشاعر
 العتقي ...

463

(طويل)

لعمرك ما أوس بن سعدى بقومه ولا سيّد الأوبار قيس بن عاصم⁽¹⁹⁰⁾
ولا كان ذو الجدّين بين كتائب لهاميم من بكرٍ وحىّ اللهازم⁽¹⁹¹⁾
ثم ذكر كبراء العرب وملوكها وذوي البأس منها إلى أن قال⁽¹⁹²⁾:

ولا كان قعقاع بن شؤر إذا آحتبى جليس له لم يشق بين الأقاوم⁽¹⁹³⁾

. فهو اليوم
يمدح المنصور
بالقصيدة الفزارية

= للمراري منقولة عن المؤرخ أبي عبد الرحمن محمد العتقي صاحب «التاريخ
الجامع إلى أيام العزيز الفاطمي» (انظر ص 32 من السبع السادس)، ولعله ابن
الشاعر أبي محمد عبد الرحمن العتقي الذي مرت أبياته التحريضية على
الفزاريّ.

(190) أوس بن سعدى هو أوس بن حارثة الطائيّ، ينسب إلى أمّه لأنها حملته على
الحلم إراء بشر بن أبي خازم وكان هجاء فظفر به فهتم بقتله فزينت له سعدى
العفو فغسل بشر هجاءه بمذائح في أوس وأمّه. وقيس بن عاصم المنقري هو
من حلماء تميم، وهو الذي قال فيه الرسول (ﷺ): هذا سيّد أهل الورى (انظر
البحث المطول الذي ديل به عفيف عبد الرحمن رسالته: الشعر وأيام العرب
في العصر الجاهليّ، بيروت 1984، ص 559).

(191) ذو الجدّين كناية عن بسطام بن قيس الشيبانيّ البكريّ «أفرس من في الجاهليّة
والإسلام»، وإن كان اللقب يطلق على جده الأعلى عبد الله بن همام، وذو
الجدّين: ذو الحظّين.

واللهاميم مجموعة من بطون بكر بن وائل، واللهزمة: وسط الحنك، دلالة
على وسط النسب، ومه حديث أبي بكر الصديق: أمنّ هامها أم لهازمها؟
واللهاميم: الأجواد من الناس والجياد من الخيل.

(192) أسقط الداعي إدريس ثلاثين بيتاً في تعداد أعلام الفروسية والوجود والمروءة حتى
يصل إلى القسم المدحّي من القصيدة المرائية، وهو الذي يهمه، ما دام يذكر
أخبار المنصور. وكان الفزاري قد خصص القسم الأوّل، أي نصف القصيد
لدوي المروءات القديمة، وجعلهم جميعاً بمثابة متبداً الجملة وعلّق الخبر إلى
البيت الرابع والثلاثين: (ما كل هؤلاء .) نأمنع منّي في كنف المنصور
الح.

(193) القعقاع بن شؤر الدهليّ. تكرّى أيضاً من الأجواد وهو تابعي يضرب به المثل
في حسن المجاورة.

بأمنع مني في جوار خليفة
 35 كريم الأيادي والمساعي، نمت له
 شريف الأداني والأقاصي مقدم
 له من إمام المرسلين وصنوه
 معالي هي الفخر الصحيح، وغيرها
 ومن ذابقيس الشمس في رونق الضحى
 وما غدر مشحوذ اللسان مثقف
 أبنت، أمير المؤمنين، سوى التي
 تقي وندى ما بين حلم ونجدة
 وكذبت أطماع البغاة، فادبروا
 45 رجوا من فساد الملك ما أطمعتهم
 فصبت عليهم محصداً كأنها
 ولولا حذار من عقابك أرجفوا
 وإني لأدري أن أبغض من نمي
 ظلم وظلم وكذاب المقال وفاجر
 50 وللكذب المشنوء في القلب سورة
 أمنت بك النكد اللثام وبغيتهم
 عطوف على أهل البيوتات راحم⁽¹⁹⁴⁾
 أبوة صديق من ذؤابة هاشم
 إذا ما عددنا فضل أهل المكارم
 علي، معالي ثابتات الدعائم⁽¹⁹⁵⁾
 معاني مجاز بين واه وسالم
 إلى كوكب في غيب الليل عاتم؟
 يرى الشكر في الإنعام ضربة لازم؟⁽¹⁹⁶⁾
 يزيد سناء ذكرها في المواسم
 وعفو وإمضاء على كل ظالم
 لأعقابهم ما بين خاز ونادم
 أمانيتهم، والله ليس بنائم⁽¹⁹⁷⁾
 شبيب قطروا كف الغيم ساجم⁽¹⁹⁸⁾
 فعافوا وعاف الناس طير الأشائم
 إليك، وإن أولاك نصح مداوم⁽¹⁹⁹⁾
 وباغ وعات مستحل المحارم⁽²⁰⁰⁾
 أضرب من الداء العياء الملازم
 وتسوية من جاهل غير عالم

464

(194) كأن الفزاري يفتخر بنسبه، وكان أبوه عاملاً على الخراج لعبيد الله المهدي، وجده كان من أهل الجدل والمناظرة (انظر الحواريات عدد 10 ص 119).

(195) في الحواريات، 134: وصنوهم.

(196) ضربة لازم وضربة لازب: شيء ثابت لا بد منه. وأسقط الناقل بيتاً قبل هذا البيت. ونحن نرقم الأبيات بترتيب نص الحواريات.

(197) في الحواريات: ما وعدتهم أمانيتهم.

(198) المحصداً. الخيل القوية البنية.

(199) نمي إليك (الحديث): نقله إليك عني، ولعله يعني العتقي حصمه الذي تقدمت أبياته.

(200) في الحواريات: وحاسد وباغ وكل مستحل.

بقافيةٍ لو حُصِّلَتْ لتطايَّرتْ شعاعاً ولم تثبتْ على فكرٍ ناظم
أيحسبها المغرورُ تُنشد بعده وتُنقل من قرطاسها المتقادم؟
وما هي إلا كالفسيِّ، متى انحنت أعالیه يُطرح من جياذ الدراهم⁽²⁰¹⁾
55 وإن التي أنشدتها بثنائكم⁽²⁰²⁾ مُحَبَّرَةٌ ما دامَ نسلُ لَآدم (ر 181 ب)
رأيت عدوًّا باسمًا غير عابس وكان زماناً عابساً غير باسم
يكاسرني، والعينُ أعدلُ شاهد على غيب ودّ أو دفين سخائم
وكان غراب البين قد طار قلبه يهزُّ ذنابه كسير القوادم
وإنِّي لأرجو منك أجراً يُقرّني على رغم مجدوع المعاطس راغم
ولا شيء إلا في يد الله، إن قضى بها يسرت في كفّ أروع صارم⁽²⁰³⁾
/ومدّ بها الوهابُ نفساً كريمة معوذةً بذلّ الله والكرائم
فمثلي يبقى شكره وثناؤه ومثلك يرجي للأمور الجسائم
يفني بها الركبان في كل بلدة وتُحْدَى بها خوص الركاب الرواسم⁽²⁰⁴⁾
فعفا عنه المنصور بالله (عم) ووصله وحمله على جواد وأجرى عليه
وأحسن إليه⁽²⁰⁵⁾.

465

(201) الدرهم القَسِيّ: الرديء الزائف، والجمع قِسيان كصبيّ وصبيان (اللسان).
ويبدو أنّ الفزاريّ في هذه الأبيات الثلاثة يسخر من شاعر وينتقص قصيدته
التي ستموت بموته، فلذا شبهها بالدراهم المبهرجة الزائفة، ولعله يعني العتقيّ
كما قلنا، ويدعو المنصور إلى أن يميّز بين الصحيح والبهرج، فلا تسوية بين
جاهل وعالم.

(202) في الحوَلِيّات: زينتها بمديحك.

(203) في الحوَلِيّات: في كفّ أغلب هاشميّ.

(204) الركاب: الإبل والمطايا، والخصم منها ج خوصاء: الغائرة العينين لطول السفر
وتعب الرسيم.

(205) في رياض النفوس، 490/2 - 494، خبر عن إنشاد الفزاريّ أمام المنصور، ولكنّه
ينشد قصيدة أخرى غير الفزارية، وهي في هجو بني عبيد حسب المالكيّ،
أنشدها بطلب ملجّ من المنصور، فلم يعرض له بعد سماعها بسوء، وجعل
المالكيّ ذلك من بركات الزاهد القيروانيّ أبي إسحاق السبائيّ الذي كان
الفزاريّ توصل به.

وأمر أمير المؤمنين المنصور بالله إسماعيل بن أبي القاسم القائم بأمر الله (صلع) بالسلام عليه بإمرة المؤمنين، بعد أن أظفره الله بمخلد المارق الدجال اللعين، يوم الخميس لليلة بقيت من المحرم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة (19 أوت 947)، فنادى المؤذنون قبل الأذان لصلاة الظهر: «السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته» وأندروا بالصلاة والناس في غفلة، فسر الناس وجأوا يهتئون بالخلافة، فحدثهم حديثاً طويلاً، ووعظهم ووعدهم جميلاً. وخرج الناس من عنده واثقين بعدله مستبشرين بما ظهر لهم من فضله. وأمر (عم) بإنشاء الكتب إلى الأمصار والأعمال بأنه أمير المؤمنين، فكان مما انتسخ من ذلك، بعد البسملة والحمد لله (تع) والصلاة والسلام على محمد/ النبي وآله الطاهرين، قوله إلى عامل إفريقية:

466

«ولم يزل أمير المؤمنين يأخذ نفسه ببطي ما آتاه الله من شرف الخلافة التي اصطفاه بها ورآه أهلاً لها، وفخر الإمامة التي جلّله الله (تع) سرايلها منذ أصار ذلك إليه، للذي قدره أمير المؤمنين من إيثاق عرى الإيمان * وتحصين بيضة الإسلام، ولما كان شاغلاً به قلبه، مُعِلاً فيه نفسه، ناصباً بدنه، مستفرغاً وسعه، من الجهاد في سبيل الله، والتوغل في طلب الفاسق اللعين مخلد بن كيداد من المفاوز والرمال، والشعاب والجبال، لا يأخذه ونى ولا تلحقه سامة حتى يأخذ (ر 182 أ) لحق الله من باطله، ولدينه من إفكه، ويظهر الأرض من رجسه ونحسه، وكره أمير المؤمنين إظهار ما اختاره الله تبارك أسماؤه لوليّه الإمام القائم بأمر الله (صلع) من النعيم المقيم (ط 311)، والثواب الكريم، وما أصاره إليه من سعة رحمته وبحبوحه جنته مع أنبيائه المصطفين، وآبائه الخلفاء المهديين، صلوات الله عليهم أجمعين، فيجدد الكافر عند وقوفه على ذلك راحةً، ويُظهر لوفاته

.. ويكتب بذلك إلى الأمصار..

دش 281

.. ويرر كتم وفاة القائم باتقاء شماته العدو

(صلح) شماتة. فرأى أمير المؤمنين / إخفاء ذلك إلى وقته ليهلك الله الكافر بغيظه، ويُميته بحسرتة.

«فلما أنجز الله لأمر المؤمنين وعده، وأعزَّ جُنده، وأفلجَ حجَّته، وأمكنه من عدوِّ الله وعدوِّ نبيِّه، وبسط فيه يديه وأمضى أمره، وشفى غليل أوليائه المؤمنين بما أراهم فيه من القلَّة والذلَّة، وسوء الحال وكسوف البال، وأقرَّ عيونهم وأذهبَ غيظَ قلوبهم، وازدادوا بصيرة إلى صافي بصائرهم، وأهلك الله (تع) الفاسق، وقطع مدَّته، وأراح الأرض من كفره، وأصاره إلى أليم سعيه وجحيم ناره، وتمَّت كلمة ربِّك الحسنی * لوليِّه، أحبُّ أمير المؤمنين إبداء ما اختصَّه الله به من كرامته، وآثره من مرتبته من بهاء الخلافة وسناء قدرها وجلالتها، ونافذ سلطانها، وساطع برهانها، والتسمي بها، والإشهار بما حباه الله من فخرها. وأمر بإنشاء الكتب إلى جميع الآفاق على الرسم النافذ إليك في صدر كتاب أمير المؤمنين. فاستمرَّت به الألسنُ وحسُن الأثر وطاب الخبر وانتظم أمر الدين وقامت شرائعه، وخابت نائرة أهل الإلحاد فيه والصدود عنه، وأزال الله من قلوب الديَّانين⁽²⁰⁶⁾ ما كان خامرهم، ورجع إلى الحقِّ / نافرهم، وانقمع الباطل وأهله، وأرتج الكفر وسبله، وأصبح الحقُّ بأمير المؤمنين ظاهرةً أعلامه، وسراج الدين ساطعاً برهانه، ووقعت الأمور بالرفق والتعديل، وجرت المجرى الحسن الجميل (ر 182 ب).

دش 282

«ورأى أمير المؤمنين إعلامك ما منحه الله من تطوُّله واختصَّه به من فضله، لتحمد الله (تع) عليه وتتقدَّم في إذاعته وإشادته فيمن قبلك من الأولياء والعبيد والرعية، ليتَّصل سرورهم ويتجدَّد لله (تع) شكرهم، ويحمدوا الله على ما منحهم ببركة أيَّام أمير المؤمنين،

(206) الديَّان هو الله تعالى، وهنا هم الحكَّام والساسة.

[من] الاعتناء⁽²⁰⁷⁾ بأمورهم وصلاح شؤونهم، وبث العدل في كافتهم، ونفي الجور والظلم عن حاضرهم وبأديهم، و[على] ما جمع الله لهم في هذه الدعوة الميمون طائرها، السعيد شكورها، من السلامة والألفة والاستقامة واستئثار * الرفاهية والدعة والسعة، وسكون الدهماء، وحقن الدماء (ط 312)، وصلاح الخاص والعام.

دش 283

«فأقم الدعاء على جميع المنابر بكور إفريقية وأعمالها، وجميع البلدان والآفاق، أفضل وأكمل ما دعي به للأئمة المهديين، صلوات الله عليهم أجمعين، ومُرّ بإثبات ذلك في الطراز وفي دار الضرب⁽²⁰⁸⁾ فيما قبلك.

المنصور يأمر بطبع
اسمه
على الطراز والسكة

«واكتب إلى أمير المؤمنين بخبرك وخبر من قبلك / واتصال مسرتهم واعترافهم بفضل الله (تع) عليهم ببركة دولة أمير المؤمنين، وإظهار دعوته وسعد طلعتة ويمن طائره، إن شاء الله، والسلام عليك ورحمة الله».

469ا

فاستبشر الناس في الآفاق والأعمال بأخبار الدولة الشريفة المنصورية، وبما مكن فيه لولي الله، عليه الصلاة والتحية.

وجاء معبد بن محمد بن خزر، وقد اجتمع إليه البربر ومن كان انضم إلى مخلص الدجال، فاجتمعت إليه جنود كثيرة، فوافى بها

(207) في الجميع - والاعتناء، فأكملنا بـ «من» الموصول المبهم «ما» منّهم
(208) دار الطراز ودار الضرب من مؤسسات الدول الإسلامية. وللمرحوم ح. ح. عبد الوهاب وصف للدينار المنصوري الذي أدخلت عليه خطوط «الأزواج» وعُيّن فيه الشهر والسنة. وكان أبو يربد ضرب ديناراً في مدة استيلائه على القيروان فحمّله شعار الخوارج - لا حكم إلا لله. (الورقات، 440/1 - 441).
وعند ابن حمّاد، 36، أنّ المنصور أمر بأن يكتب اسمه على «الطرر»، أي الرايات والأعلام التي تصنع في دار الطراز مثل الحلل النفيسة والخلع السلطانية.

معبد بن خزر يأتي
لنصرة
أبي يزيد، جهلاً
بوفاته

دش 284

إلى الجبال والتلال التي حول معسكر أمير المؤمنين المنصور بالله (عم)، فوافى الدجّال قد قُضي أمره، وحق به مكره، وذاق الربال، وحق به من الله النكال. وحين اجتمع مع معبد من آجتماع، أمر أمير المؤمنين المنصور بالله (عم) إلى زيري بن مناد وقيصر وشفيع الخادم، وقد كانوا صاروا إلى المسيلة، فوصلوا إلى أمير المؤمنين * فوافوه يوم الجمعة، وقد برز عسكر الإمام إلى عسكر معبد. ومنح الله أوليائه الظفر عليهم فهزموهم هزيمة فاحشة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة.

ورحل الإمام (عم) ثاني وصولهم يوم السبت ثاني صفر⁽²⁰⁹⁾ من معسكره مؤيداً منصوراً / مظفراً محبوراً، وقد (ر 183 أ) أذلّ الله له الظالمين، ومكّنه من المارقين، وأيد الله الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين. فلما أخذ الناس في الرحيل، زحف معبد بن محمد بن خزر في من معه، وسار في ساقية عسكر أمير المؤمنين (عم)، وماج الناس ووقع القتال. فأمر أمير المؤمنين بشري الخادم ومن معه من العسكر بحفظ ساقية العسكر. وكمن زيري بن مناد للمارقين، فحين وصلوا إليه، خرج عليهم الكمين وثار في وجوههم، فقتل منهم جماعة وكفوا عن القتال. ووصل أمير المؤمنين إلى المسيلة فأقام بها سبعة عشر يوماً. ووافته من كتامة هناك عساكر عظيمة. وأمر (ط 313) بإخراج جلد الدجّال، وطيف به على جمل في مدينة المسيلة.

.. لكّنه يرّد على
الأعقاب

ووافى أمير المؤمنين (عم) بنو كملان، يتضرعون ويسألون العفو والأمان، فأمنهم وعفا عنهم ووسعهم بعظيم حلمه، بعد أن

(209) ثاني صفر 336 كان يوم اثنين، إذ انتهى المحرم - وهو ذو ثلاثين - يوم السبت 21 أوت 947 حسب موافقات كاتينوز.

أغلظ لهم في القول على معاضدتهم مخلد بن كيداد وإعانتهم له * في
جُرمه وظلمه، فأكثروا الضرر إليه فكتب لهم سجلاً بالأمان،
وأوسعهم بالعفو والإحسان.

دش 285

بنو كملان يطلبون
العفو

471

مروق حميد بن
يصل بتاهرت
ولجوءه إلى
الأندلس

ووصل إلى أمير المؤمنين (عم) وهو بالمسيلة، كتاب أهل
تاهرت يُعلمونه أنَّ حميد/ بن يصل المكناسي تغلب على ما يلي
تاهرت، وطمع في تاهرت فوافاه وحاصرها. وكان أمير المؤمنين
على مسير إلى إفريقية، فرق لأهل تاهرت ونهض من المسيلة في
الساعة التاسعة من الليلة المصباحة عن الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة
بقيت⁽²¹⁰⁾ من شهر صفر (7 سبتمبر 947)، فوصل إلى تاهرت يوم
الاثنين غرة شهر ربيع الأول بعد العصر (20 سبتمبر) فنزل خارج
المدينة، وتلقاه أهلها الصغير منهم والكبير، فرحين مستبشرين بما
آيد الله [به] الإمام من النصر، وقضى له من الأمر. وذكروا أنَّ
حميد بن يصل قد رحل لا يعلمون حيث قصد ولا أين يَم. ولم
يعلموا بوصول أمير المؤمنين إليهم لشدة الحصار عليهم، حتى
سمعوا طبوله وأقبلت عليهم طوائع خيله. فأمنهم (عم) وأسمعهم
خيراً، وأمر بجلد أبي يزيد فطيف به. ووصل الخبر إلى أمير
المؤمنين (عم) أنَّ حميد بن يصل قد ركب البحر وقصد (ر 183
ب) الأندلس إلى بني أمية⁽²¹¹⁾.

(210) هنا يستقيم الحساب مع جداول كاتينوز، ولكنه يخالف ما قاله إدريس منذ قليل:
إذا كان يوم الثلاثاء هو السابع عشر من الشهر - وصفر له 29 يوماً - فإنَّ
الثاني منه يوم اثنين لا يوم سبت كما قال. وعند ابن حَمَاد، 36، أنَّ التوجه
إلى تاهرت كان لسبب بقيت من صفر، فالاختلاف بأسبوع ويوم
(211) حميد بن يصل: هذا القائد المكناسي خدم بتاهرت المهدي ثم القائم، وحارب
باسمهما ابن عمه موسى بن أبي العافية، واستقل بتاهرت أيام ثورة أبي يزيد،
وانضم أخيراً إلى المروانيين بالأندلس. انظر عنه: البيان المغرب، 195 =

وأتصل بأهل تنس وصول أمير المؤمنين إلى تاهرت، فأقبلوا إليه مسرعين، وعرفوه أنهم على طاعته. فأحسن إليهم وبرهم وكتب لهم سجلاً شريفاً قرّره⁽²¹²⁾ فيه وأمنهم * وقلد أمير المؤمنين (عم) مسروراً الخادم عمل تاهرت يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول (21 سبتمبر)، وحمله على فرس بسرج محلي.

دش 286

472

واعتلّ أمير المؤمنين (عم) بتاهرت علّة شديدة فأقام عشرين يوماً لا يطيق قعوداً ولا قياماً، ويش الناس منه وأرجفوا بموته وأهمتهم أنفسهم وخافوا أن تخطفهم الأيدي و[يـ]تغلب عليهم كلّ معاند معتد. ثمّ منّ الله (تع) ببرّءه وسلامته (ط 314).

مرض المنصور
بتاهرت

وقد روى القاضي النعمان بن محمّد (رضي الله عنه) عن المعزّ لدين الله معدّ أبي تميم، ابن المنصور بالله، [و] وليّ عهده والخليفة من بعده، عليهما السلام، أنّه قال:

«لقد أخبرني أمير المؤمنين المنصور بالله (عم) أنّه لما اعتلّ بتاهرت العلّة التي أشفى فيها على الموت، اشتدّ يوماً به الوجع ويش من نفسه. قال: فذكرت ما يجب لله (تع) عليّ من تسليم الأمر إليك والوصيّة بذلك، فأرسلتُ في طلب فلان وفلان - وذكر جماعة من أوليائه - لأذكر لهم ذلك من عهدي إليك فبعد أن مضى الرسول نمت، وما كنت أنام قبل ذلك أيام العلّة، فرأيت رجلاً وقف عليّ فقال لي: ما الذي أردت أن تقول لهؤلاء القوم الذين أمرت بإحضارهم إليك؟

والمجالس والمسائرات، 252 وكتاب الاستقصاء، 188/1 وتاريخ إسبانيا الإسلامية، 102/2.

ويقول ابن حمّاد، 36 إن المنصور أحرق منبر تاهرت لأنه خطب عليه لعبد الرحمان الناصر.

(212) في «هـ»: قدرهم. وقرّر هنا بمعنى: أقرّ أعينهم وسرّهم.

قلت: أريد أن أشهدهم على عهدي ووصيتي.

قال لي: ولم ذلك؟

فقلت: لما أنا فيه من العلة، وقد يثست من نفسي.

قال: أفظنت أن الله (عج) يقطع بك عن أملك، وقد قمت

له وبذلت من نفسك في طاعته ما بذلته؟ كلا! والله لا ينالك شيء

مما تخوفته حتى يجمع الله لك شملك ويبلغك ما تحب!

(قال): ثم انتبهت والرسول قائم فقال: قد حضر القوم.

قلت: أدخلهم!

فأدخلهم إليّ فعرفتهم ما بعثت فيه إليهم، وأنا من العلة والضعف فيما لا يطمع لي في الحياة من رأيي. فوالله ما أمسيت يومئذ إلا مفيقاً، وعادت القوة في أيام قلائل باتصال الصحة، فانصرفت بعد (ر 184 أ) بلوغ الأمل ونيل البغية⁽²¹³⁾.

المنصور يزور
بعض المعالم
الأثرية في بلاد
لواتة..

وركب الإمام (عم) يوم الخميس لليلة بقيت من ربيع الأول⁽²¹⁴⁾ إلى صخرة تعرف بـ«ساعة»، وهي صخرة عالية يجري عليها الماء وينحدر منها، فنظر إليها. ورجع إلى المناخ، وآثار العلة ظاهرة في وجهه وشريف جسده، والناس يدعون له، وهم مستبشرون بعافيته. وأقام أمير المؤمنين (عم) بتاهرت.

ثم سار (صلع) يريد قبائل لواتة⁽²¹⁵⁾ وكانوا قد خرجوا عن

(213) المجالس والمسائرات، 555.

(214) سبق للمؤلف أن حدّد غرة ربيع الأول بيوم اثنين، فالتاسع والعشرون منه يكون يوم اثنين لا محالة وفي جداول كاتينور يوافق يوم الخميس المذكور اليوم الثاني من ربيع الثاني (21 أكتوبر 947).

(215) لواتة: عند ابن خلدون، 117/1 أن «أمة عظيمة منهم كانت تسكن على وادي مينة قبلة تاهرت» وفي تاريخ الجزائر، 151، عدّ الشيخ مبارك الميلي قبيلتي =

الطاعة. وكان خروجه من تاهرت يوم الأحد لثمانٍ خلون من ربيع الآخر⁽²¹⁶⁾ فانتهى إلى أرض لواتة آخر نهار الأربعاء لإحدى عشرة ليلة مضت من / ربيع الآخر، فوجدهم قد هربوا من بين يديه إلى الرمال (ط 315) والبراري المتصلة بأرض السودان حيث لا ماء ولا مرعى، ولا أنيس يدعى. فأقام بأرضهم إلى يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر (4 نوفمبر 947). ووجد بها آثاراً عجيبة للروم، وبقية قصور مبنية بحجارة عظيمة على ثلاثة أجيال وفيها حجر قد كُتب فيه بالرومية. فأمر الإمام (عم) من قرأ ذلك المزبور فإذا تفسيره: «أنا سليمان السردغوس. هذا بلد يُعرف بموريطانيا. خالف أهل البلد على الملك جستنيانوس وعلى والدته توذرة، فأخرجني إليهم فبنيتُ هذا البناء لأذكر به، وفتح الله لي»⁽²¹⁷⁾.

سدراة (بسكرة) ومزاتة (باغاية) من فروع لواتة. وانظر فصل «لواتة» في دائرة المعارف الإسلامية.

أما صخرة «نائة» فلعلها «الصخرة العظيمة المنقطعة من جبل النصرى» على أربعة كم من تاهرت وثلاثة من قرتوفة، والمسماة اليوم «مائدة القرايين» (خريطة تاهرت رقم 33، المعلم رقم 11 من أطلس س. قزال). كما قد تعني الصخرة وماؤها المنحدر شلالات نهر مينة المنبثقة من مضيق صخري على 14 كم من تاهرت في جنوبها الغربي (ومعلوماتنا عن مطالعة لا عن معاينة).

(216) يوم الأحد 5 ربيع الآخر في الواقع (24 أكتوبر 947).

(217) السردغوس أو السردقوس ج السُرادة والسراقة: هو مثل الدمستق الدماقة، لقب عسكري بيزنطي ورتبة وظيفية، أصلها لفظ Strategos اليوناني (انظر ملحق دوزي في المائة). وقد ورد اللفظ عند ابن حمّاد، 37 وعند ابن عذاري (حوادث 317) في معنى قائد الأسطول، وفي سيرة جودر، 61.

وسليمان السردغوس هو «شولومون الأرمني» Solomon الذي حكم شمال إفريقيا للبيزنطيين بعد حملة بيليزير Bélisaire ضد الوندال. ودارت الوقائع فعلاً في عهد الإمبراطور جوستينيانوس الأول (527 - 567 م) وزوجته - لا أمّه تيودورا. وهذه الإشارة، وقد نقلها الداعي إدريس عن تاريخ الرقيق كما نقلها ابن خلدون نفسه، لا تخلو من عناصر الصحة: اسم القسائد، واسم الإمبراطور، وذكر المتمردين من البربر على الحكم الرومي. لكن المؤرخين

ورجع أمير المؤمنين من لواتة راجعاً إلى إفريقية يوم السبت
لعشر بقين من ربيع الآخر (5 نوفمبر) فانتهى إلى مدينة المسيلة
لليلة بقيت من ربيع الآخر. وأقام بها يوم الأربعاء [29 ربيع 2 - 27
نوفمبر] وارتحل يوم الخميس سحرا غرة جمادى الأولى (18
نوفمبر)، فانتهى رابع ذلك اليوم يوم الأحد (21 نوفمبر) إلى مدينة
سطيف فأقام بها ثلاثين يوماً.

وفرض على كتامة أربعة عشر ألف بيت يوافون المنصورية
فيستكنون فيها، وأقام هذه المدة لانتظارهم . وكان كثيراً ما يركب
فيتنزه . ونظر إلى قصر سطيف ورأى عجائب ما فيه، وهو مبني *
بالحجر الكبير والأجر، طوله ثلاثمائة ذراع، وعرضه ستون ذراعاً، وفيه
(ر 184 ب) آثار عجيبة، وفيه قطعة رخام مكتوب عليها بالرومية . ففسرت
فإذا كتبها: «ملك هذا الملك وهذه السيدة هذا البلد وعاشا في هذا
القصر سبعين سنة ثم ماتا، فأف للنديا!»⁽²¹⁸⁾.

الغربيين، مثل ديل Ch Diehl في دراسته الضخمة عن إفريقيا البيزنطية، يفنون
أن يكون الحكم البيزنطي نفذ إلى جهة تاهرت، أي إلى ولاية «موريطانيا
القيصرية» وعاصمتها شرشال. فيقول ديل، ص 266 وقد اطلع على رواية
الرقيق: لعل هذه الكتابة نقشها بعض الرؤساء البرابرة من حلفاء شولومون، أو
بعض مبعوثيه إلى القبائل.

أما الأجيال الثلاثة التي وجدت فيها هذه الكتابة، فهي قبور «الجدار»
الهرمية الشكل، التي تنتشر بجهة «فرنندة» على خمسة وثلاثين كم جنوب
تاهرت (انظر وصفها في أطلس قزال المذكور، خريطة تاهرت، المعلم 66،
مع الملاحظة أن اسطيفان قزال لا ينقل الكتابة، فقد كانت مفقودة من المعلم
حين زاره في بداية هذا القرن، وهو على كل حال لا يثق بصحتها). وأنا
نتشوف إلى رسالة جامعية ألقتها باحثة جزائرية في موضوع الأجدار أو أهرام
فرنندة لنعرف حقيقة هذا الزبر.

(218) قصر سطيف الأثري: هو الحصن البيزنطي المشيد حوالي سنة 540 م: (أطلس
قزال، خريطة 16، معلم رقم 364) وكان طوله، حسب تقدير الأثريين، 158
متراً، وعرضه 107 أمتار. وفي أرقام المؤلف ما يوافق في الطول ويخالف في
العرض.

وقدم إلى الإمام رجل من أولاد مخلد بن كيداد مستأمنًا، يدعى أحمد⁽²¹⁹⁾ فأمنه وخلع عليه وأعطاه ألف درهم.

ورحل أمير المؤمنين من مدينة سطيف يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الآخرة (18 ديسمبر) فانتهى إلى مدينة ميله عشية الجمعة وأقام بها تسعة أيام، وفيها وافته حشود كتامة وعبالهم، فأنفذهم إلى إفريقية مع عبيده وأوليائه⁽²²⁰⁾.

.. حيث يجند
الأسر
الكتامية لتعمير
المنصورية

وارتحل من ميله ليلة الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة (3 جانفي 948) وانتهى (ط 316) يوم الثلاثاء لأربع بقيت منه (11 جانفي 948) إلى مدينة سبيبة. وخلع على جماعة من أوليائه خلعا نفيسة ليلبسوها حين دخولهم المنصورية. واستقبل أهل المنصورية وأهل القيروان في مدينة سبيبة. ورحل منها ثاني ذلك اليوم يوم الأربعاء، وما زال الناس يتلقونه حتى أطل على المنصورية فاستقبله أهل القيروان من الرجال والنساء والولدان بالتهليل والتكبير، حامدين الله على ما من [به] على المؤمنين والمسلمين

476
وصوله إلى
عاصمته الجديدة

(219) أحمد بن مخلد: لم يرد اسم أحمد في أبناء أبي يزيد عند ابن حمّاد، 19 وهم: يزيد وأيوب وفضل ويونس.

قتل أيوب، «قتله عبد الله بن بكار غيلة سنة 333» (ابن حمّاد، 38).
وقتل فضل باحبة باغاية في ذي القعدة 336، وطيف برأسه في القيروان والمهدية، ثم أرسل الرأس مع جلد مخلد المحشو إلى صقلية لعرضهما على الناس، فعطب المركب وغرق رأس فضل. أمّا تمثال أبي يزيد فأرجعه الموج إلى شاطئ المهدية فصلب «على مجرى الخاية» (ابن حمّاد، 38).
وقتل يونس في حصار كيانة سنة 335 حسب إدريس المؤلف (ص 407).
أما يزيد، فقد انقطعت أخباره منذ محاربته للحسن بن علي الكلي على باغاية وتيجس (ص 329).

هذا وسيدكر ابن سادس لأبي يزيد يدعى إبراهيم (ص 72/2).

(220) لا يندقق المؤلف هنا: هل بلغوا الأربعة عشر ألف أسرة التي طلبها المنصور؟ ويقول ابن حمّاد، 39 إن بني كملان طلبوا الأمان، فعفا عنهم، شريطة أن يسكنوا القيروان. فكانت إعادة لعملية القائم معهم بعد حملته المغربية.

من النظر إلى غرته، سائلين الله أن يتمّ عليهم النعمة بدوام مملكته، شاكرين الله على ما منّ به عليهم من الأمن بعد الخوف العظيم، وتلف الأنفس والأموال وهتك الحريم. فسجد الله جلّ ذكره على عُرف فرسه وحمده خاضعاً متواضعاً لعلوّ جلاله وعظيم كبريائه.

ووصل قصره بالمنصورية، الذي ابتناه قدام خادمه في غيبته. وكان وصوله (صلع) إلى قصره بالمنصورية صلاة العصر من يوم الخميس ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وثلاثمائة 14 جانفي 948 بالنصر والتمكين والفتح المبين⁽²²¹⁾.

وعن أبي بكر جهور بن عليّ بن جهور بن زيد الهمدانيّ الوادعي (ر 185 أ) رحمة الله عليه⁽²²²⁾ أنّه قال: «وقال ابن حوقل البغداديّ: المنصورية مدينة بالغرب بناها المنصور (قس)، حسنة عجيبة الأبنية، واسعة الأفنية، معدومة النظير».

وفي ثاني وصوله (عم) إلى المنصورية، أمر بإخراج جلد الدجّال المارق أبي يزيد، فطيف به ثلاثة أيام متوالية وعليه الطرطور والقردان، وهو على جمل كالراكب، ورجل يمسكه من ورائه لكي لا يميل. ثم أمر به إلى المهديّة فصنع به كذلك، ونُصب على سورها حتى خرقتة الريح.

477
التطواف بجثة أبي
يزيد

(221) كان المنصور أمر ببناء المنصورية في صفر 335 قبل انطلاقه لملاحقة أبي يزيد (انظر ص 384) فبناء القصر لم يدم أكثر من 15 شهراً. على أنّ استقرار المنصور بالعاصمة الجديدة لم يتم، حسب ابن حوقل، 74، إلّا في سؤال 337، وهو مخالف لما سيذكره إدريس بعد قليل (ص 478). وانظر التاريخ الصحيح ص 500.

(222) لا نعرف جهور الوادعي هذا. والفقرة المنسوبة إلى ابن حوقل تخالف عبارة الرحّالة: فهو لا يعدو الإخبار بانتقال المنصور إليها من المهديّة يوم الثلاثاء ليلة بقيت من سؤال 337.

ووصل إلى أمير المؤمنين (عم) وهو بالمنصورية، ولده وليّ عهده والخليفة من بعده، معدّ أبو تميم المعزّ لدين الله، وليّ عهد المسلمين يومئذ، صلوات الله عليه * وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين.

دش 291

وأمر أمير المؤمنين المنصور بالله بأن تُطبع الدنانير والدراهم باسمه بالمنصورية، وارتفع⁽²²³⁾ أول الضريبة إليه، فبعث منها إلى عبده الرفيع مكانه عنده، جوذر الأستاذ، بألف دينار من العين، إلى المهدية وكتب معها رقعة بخطه وهي:

«يا جوذر، صانك الله وسلّمك! بعثنا إليك بألف دينار رباعية منصورية ممّا ضرب على اسمنا، فاقبضها لنفسك، مباركاً لك فيها، وأحذر أن تردّها إلى بيت المال، فإنّي أعرفك وشحّك على أموالنا، وما من أموالنا شيء أذكى من مال وضعناه/ بأيدينا حيث نشاء ابتداء منّا، ولا أعظم بركة على من وصل إليه بطيب أنفسنا. وإنك عندنا لأهل لكل خير، وما ترضى أن تستكثر هذا لبعض من تحت يدك، فاعلم ذلك»⁽²²⁴⁾.

دنانير جديدة باسم المنصور

478

وأقام أمير المؤمنين المنصور بالله (عم) في مدينة المنصورية التي ابتناها، في عزّ ظاهر، وملك قاهر، قد خضعت له الأعناق، ودانت له في جميع الآفاق، وخمل أهل الشقاق والنفاق.

ثمّ إنّ فضل بن مخلد، سليل الدجال المارق، انصرف عن معبد بن محمد بن خزر إلى جبل أوراس، وموّه على الناس أنّ

(223) هكذا في الجميع، ولعلّها: ورفع إليه أو: وأن ترفع ..
(224) سيرة جوذر، 60. وفي تعليق ماريوس كانار، رقم 154، أنّ الدينار الربيعي يساوي ربع دينار. وانظر فصل «دينار» في دائرة المعارف الإسلامية. فعلى أساس 4,24 غرام للدينار العادي، يكون وزن الدينار الربيعي 1,06 غرام.

خروج فضل بن
مخلد في
الأوراس وقسطيلية
دش 292

أباه حيّ لم يمت. فاجتمع إليه أوباش الناس وطفامهم، من
البربر وغيرهم، ممّن يريد الفساد والشغب على المسلمين، ومن
تعود النهب والفتنة واختلاس أموال الناس وسبي الحرير ظلماً وإثماً*.
فنزل (ر 185 ب) بهم فضل المارق من جبل أوراس إلى ناحية قسطيلية
ثم إلى ناحية قفصة، واجتمع أهل الفساد إليه من كل ناحية، وبلغ
إلى موضع يعرف بـ «فجّ الحمار»⁽²²⁵⁾، فأرجف الناس بأخذه قفصة
وقسطيلية.

479

خروج المنصور في
طلبه
بجمونس
الصابون..

واتّصل ذلك بأمير المؤمنين فنهض (عم) ومعه ولده معدّ أبو
تميم وليّ عهد المسلمين وابن أمير المؤمنين، وكان مسيره من
المنصورية/ يوم الاثنين مستهلّ شهر شعبان الكريم سنة ست
وثلاثين وثلاثمائة (15 فيفري 948) ومعه عسكر كثيف. فأنتهى يوم
الأربعاء لعشر مضين⁽²²⁶⁾ من شعبان إلى قرية «جمونس الصابون»
وكان فيها قوم من أهل الفساد قد تحصّنوا بقصرها. فلما دنت منهم
جنود الإمام، فرّوا على وجوههم يطؤون الرمال، وتركوا النساء
والأولاد والأموال. فأمر أمير المؤمنين (عم) بصيانة النساء والولدان،
وانتهاب ما في القصر من الأموال وحريقه بالنار. وأقام هناك ثلاثة
أيام ثم ارتحل، فترك طريق قفصة يساراً، وجاز في طريقه بقرية يقال
لها «برجمانة»⁽²²⁷⁾، وكان قد أوى إليها قوم من المفسدين. فأمر

(225) فجّ الحمار عند البكريّ، 47، 75 أيضاً، وفجّ الحمار عند ياقوت في مادة
طراق. وهو موضع بين قفصة وفريانة حالياً، على طريق القيروان. وانظر
الورقات، 308/3 - 314 حيث حاول ح. ح. عبد الوهاب تحديد هذه المواقع
القديمة.

(226) في الجميع، بقين، ولا يستقيم مع الاثنين غرة الشهر ولا مع السبت لعشر بقين
منه فيما يأتي. هذا وإنّ غرة شعبان 336 كانت يوم الثلاثاء حسب موافقات
كاتينوز (الثلاثاء 15 فيفري 948).

(227) جمونس الصابون: هي قرية بئر الحفيّ الحاليّة في رأي العلامة ح. ح. =

بحريقها ونهبها. وأقام بمدينة سبيطة يوماً وطاف في بنيانها ومشى في آثارها، وهي المدينة التي كان فيها جرجير صاحب إفريقية⁽²²⁸⁾، وهي التي افتتحها عبد الله * بن [أبي] سرح أيام عثمان بن عفان في سنة سبع وعشرين من الهجرة. وهي مدينة أولية مبنية بالحجارة والأجر، يخرج من تحت سورها نهر. وانتهى إلى مدينة قفصة يوم السبت لعشر بقين من شعبان (4 مارس 948) فنزل بظاهرها بين مشرقها وشمالها، وكان ذلك المحط/ كثير العقارب والغبار، فانتقل منه إلى جنوب المدينة مسافة ميلين فنزل بين الأشجار والبساتين، واستراح الناس من الريح. ووقف بها إلى يوم السبت.

دش 293

.. وقفصة...

480

وأتصل به الخبر أن فضل بن مخلد لما علم خروج الإمام المنصور بالله (عم)، رجع هارباً إلى أوراس، وأنه قصد إلى مدينة في جنوب جبل أوراس يقال لها مديلة⁽²²⁹⁾، وعاملها من قبل أمير المؤمنين باطيط بن يعلى بن باطيط. فارتحل أمير المؤمنين (ر 186 أ) من قفصة يوم الأحد لثلاث بقين من شعبان (12 مارس) فأنتهى عشية الاثنين ثاني ذلك اليوم فنزل بحصن يقال له: «ماواس»⁽²³⁰⁾ به نخيل

.. وماواس

= عبد الوهاب. وهي عند ابن حوقل، 92. كمونس الصابون. وذكر البكري، 75 «قصرها الكبير، وهو مخزن لجماعة (/مجاعة؟) أهلها».

أما برجمانة، فلم نجدها في مراجعنا. وإذا كان المنصور قادماً من القيروان تاركاً طريق قفصة على يساره كما يقول المؤلف، ومتوجهاً إلى سبيطة، فإن برجمانة هذه قد تكون بين قمودة (سيدي بوزيد) شرقاً وسبيطة والقصرين غرباً.

(228) هو البطريق البيزنطي جريجوريوس الذي قتل في معركة سبيطة.

(229) مديلة: يذكر ابن حوقل، 87 «مدالة» بين تهودا ونفطة، على الطريق من بسكرة إلى الجريد التونسي. ولم يذكرها البكري حين فصل مراحل هذه الطريق، ولكن ذكر قرية «قيطون بياضة»، وهو أول بلد سماطة، ومنه يتفرع الطريق إلى ثلاثة اتجاهات: إلى بلد السودان، وآخر إلى طرابلس، وآخر إلى القيروان.

(230) ماواس: لم نهتد إلى موقعها. ولعلها كانت توجد بين تهودا/ سيدي عقبة غرباً =

وعيون جارية، وهو حصن منيع قد أحاط به وإد عميق. وكان أهل ماواس من شيعة فضل بن مخلد المارق، وقد أوى إليهم كلّ مفسد وذاعر وسارق. فأعطاهم أمير المؤمنين الأمان على أنفسهم وأولادهم وأموالهم على أن يُخرجوا الطعام إلى الأسواق لتشتري منه العساكر ما * يقتاتون به، وأعطاهم علمين فخرقوا العلمين وباينوا بالخلاف ونادوا: لا طاعة إلا طاعة فضل بن أبي يزيد! / فكرر إليهم أمير المؤمنين الإعذار والإنذار، وحذّره عواقب الإصرار، فتمادّوا في العصيان والطغيان.

دش 294
481

فأمر أمير المؤمنين وليّ عهده المعزّ لدين الله، صلوات الله عليهما، لقتالهم، وهو يومئذٍ حدث السنّ ابن سبع عشرة سنة لم يشهد حرباً ولا حضر قتالاً. فنهض إليهم وأمر الناس بالقتال ووقف موضعاً يرى منه القتال ويدبّره، وكان إذا رأى خللاً في موضع سدّه أو فرصة اهتبلها، وكان يمشي تارة في اليمين، وتارة في الشمال، يحرض الناس على القتال ويدبر أمرهم، ويدبّر لهم ما يصنعون، وهو مع ذلك على سكينه ووقار من غير ترك للمكيدة والحذر. ورثي فيه (عم) من قوّة الجأش وحسن التدبير، مع حداثة سنّه وقلة ممارسته بالأمور ما لا يوجد في بشر، إلاّ فيه وفي الطاهرين من آبائه (عم) حتى إنّ بعض من حضر ذلك القتال سأل بعض خاصّته: «أشهد مولانا الأمير حروب المهدية؟»

المنصور يوكل إلى
ابنه معذ
أبي تميم قتال
المارق..

فقال: والله ما رآها ولا شهد شيئاً منها!

= إلى قفصة شرقاً، بين قسطنطينية الزاب، تلك المنطقة التي عرّفها شتارن في فصله بمجلة أرابيكا، 345/1954 وافترض انطباق مصطلح «قسطنطينية» عليها، وهي في منتصف المسافة بين طنبه وبسكرة، وقسطنطينية تونس، أي منطقة الجريد.

فكثر تعجبه. وليس بعجب أن يجعل الله ذلك في سلالة/
النبوة وفرع الوصاية ومستقر الإمامة.

دش 295

ولما كان غروب الشمس غلب * الأولياء على الحصن وفتحوه
عنوة وقتلوا أهله وانتهبوا ما فيه. ولم ينتهكوا حرمة ولا استباحوا
حرّة. وانصرف المعزّ لدين الله إلى أبيه أمير المؤمنين (عم) مؤيداً
مسدداً، تحفه ألوية النصر، ويتهج به وجه الدهر. واستقبله أمير
المؤمنين قائماً على رجله، وقبّل ما بين عينيه وضّمه إلى صدره،
وقال له: «أنت ابني حقاً!». وأمر بجزّ الرؤوس فزادت على
ثلاثمائة، وبعث بها إلى المنصورية وإلى المهديّة. وأمر أمير
المؤمنين بقطع نخيلهم وأشجارهم يوم الثلاثاء مستهلّ شهر رمضان
ويوم الأربعاء (14 - 15 مارس 948).

.. فيظهر من
التدبير
والحنكة مع صغر
السنّ ..

.. ما تقرّ به عين
المنصور

وقال الداعي جعفر بن الحسن منصور اليمن، فيما كان للمعزّ
(عم) من فتح ماواس:

(كامل)

آنعم بعزّك يا ابن خير الناس وبما حباك الله في ماواس
من نصرة لك إذ ذهبت مطالباً لعصابة الأردال والأنجاس
لما طغوا متمردين، وغرهم شيطانهم بالمكر والوسواس
فتمنعوا في حصنهم واستقبلوا جيش الإمام بجندل وتراس
فعفا ومنّ عليهم فتعرّضوا للباس من ملّك شديد الباس
/وتحرّزوا طاغين قد عطفهم للحين شقوتهم على الإبلas
جعفر بن منصور
اليمن
يشيد بوقعة ماواس

483

* * *

فهنالك أنهضك الإمام عليهم فنهضت مثل النور في الإغلاس
في عسكر المؤمنين أعزة بالله لا عزل ولا أنكاس
فسرّته يا ابن الخليفة بالذي مارست أول مشهد ومراس (ط 320)
10 وشفيت منهم صدره وأخذتهم بالقسر والإرغام والإتعاس

ساورتهم في حصنهم متوقلاً⁽²³¹⁾ لهم بسورة باسل قنعاس
وعزيمة منصورية قد حفها سقت المنايا والحتوف إليهم
بالمشرفية والرماح شوارعا 15 وسحائب النشاب تمطر فوقهم
فأبحت حصنهم بياسك عنوة وقتلتهم في رأس حصن لم يكن
في مثل رجع الطرف صاروا غيرة 20 أمسوا حصيدا خامدين كأنهم
ما زلت حين وردت تعرك جمعهم حتى صدرت بهامهم مقطوعة
وكان ما قد كان من أجسادهم جسد يسير على البلاد براس

* * *

484

/فبقيت للمنصور بالله الذي أصفاه بالملك الجليل الراسي
ثم ارتضاك له ولياً في الهدى والحق، تنصر أهله وتواسي
25 زهت العلا بأبي تميم واعتلت دار الهدى وهت قوى الأنجاس
صلى عليك الله ما هزت صبا أعطاف خوط البانة المياس⁽²³⁴⁾

وكتب أمير المؤمنين (عم) إلى الأفاق بخبر فتح ماواس وبفرار
ابن الدجال. ومن ذلك كتابه إلى عامل المنصورية، وهو:

«باسم الله الرحمان الرحيم. تقدم كتاب أمير المؤمنين
لتعريفك حال اللعين بن اللعين، وأنه، لما اتصل به خروج أمير

(231) وقل يقل في الجبل وتوقل فيه: صعد.

(232) في القرآن: ﴿جعلناهم حصيداً خامدين﴾ (الأنبياء، 15).

(233) غسا الليل: اشتد ظلامه.

(234) الخوط ج خيطان: الغصن الناعم.

هذا وقد نشرنا هذه القصيدة في الحواريات، 69/17 - 70.

المؤمنين من المنصورية، استولى عليه من شدة الرعب والهيب ما ولى له هارباً من قصور قفصة⁽²³⁵⁾ على وجهه إلى قفار الأرض ومفاوزها، متعمقاً فيها، متروّعاً من موضع إلى موضع، لا يستقرّ به قرار، في ليل ولا نهار، معوّلاً على النجاة بالجدّ في الفرار، وتولية الأدبار. فقد باء بغضب الله وخزيه، وضربت عليه الذلّة والمسكنة، يحسب كلّ صيحة عليه، لفرط الخيفة، وأنّ الأرض تخطفه والسماء تدمغه، مقدّراً، لجهله وذهاب عقله، أنّ العساكر المنصورة لا تقصده بها لقلة الماء.

رسالة المنصور إلى قدام ..

فنهض أمير المؤمنين، مستعيناً بالله، واثقاً بنصره، معتمداً على (ر 187 ب) معونته في إهلاك اللعين بن اللعين، وجميع حزبه الأخسرين. فنزل بموضع يعرف بـ «توربغين» من عمل قفصة، فوجد أهله من بني يفرن وكلالة وبرأوية وبني شدّاد وبني وريمت قد هربوا منه وضربوا⁽²³⁶⁾ إلى أمثالهم * من ذوي الفسوق والمروق. فقدم إليهم أمير المؤمنين الجيوش المؤيّدة، وصمّدهم في طريقهم، و[في] الانتقام لدين الله منهم، فتسنّموا في غد يومهم إليهم وإلى بني يفرن أهل بيت اللعين، وإلى بني واسين في الجبل المعروف بجبل ترشوان من عمل قسطلية، والجبل المعروف بـ «أياش» من عمل الزاب، وأوقعوا بهم فيهما، وأنزلوا ما كان لهم بهما من الأموال والأثاث والأغنام والأنعام، وأضرموا خصوصهم ناراً، وهدموا الحصن المعروف بـ «تامقرا»⁽²³⁷⁾، قصر الفاسق بشر بن منصور المكناسي

485

دش 299

.. يفصل فيها
وقعة
ماواس ..

(235) قصور قفصة: مصطلح الجغرافيين العرب للعمران المحيط بمدينة قفصة:

«وحولها أكثر من مائتي قصر عامرة أهلة، تطرد فيها وحواليها المياه. تعرف بقصور قفصة» (البكري، 47).

(236) ضوى إليه يضوي: مال وانضمّ ولجا.

(237) في هذه الرسالة أماكن كثيرة لم نهتد إلى تحديد مواقعها. فلا ذكر لها عند ابن =

بعمل الزاب، واحتووا على ما كان بهما من مذخور أطعمة قبائل
 الفسقة مكناسة بني مولاب، ومزرعة أهل فيلاج من أجناد المخدول
 بشر بن منصور، وبني مناوة من بني مغراوة، فجاسوا خلال ديارهم
 ودوخواهم. والتجأ الفسقة إلى أهل بيوتاتهم بالمدينة/ المعروفة
 بماواس من أعمال الزاب، واجتمعوا إليها من كل أوب متظافرين
 على الغواية مستعدين، شاكي السلاح وأصناف العدة، واثقين بكثرة
 أعدادهم وعتادهم، وقوة شوكتهم وبأسهم، ووعورة مدينتهم
 وحصانتها، وشموخ بنيانها، وعظم خندقها الهائل، المعجب منظره،
 المؤنس من رame، مقدّرين أنها مانعتهم وعاصمتهم ودافعة بأس الله عنهم.
 ولم * يعلموا أن ذلك من (ر 188 أ) استدراج الله لهم لما يريد من
 الانتقام منهم. فالفاهم أمير المؤمنين مصرّين على ضلالتهم،
 منهمكين في غيهم (ط 322) وعمائتهم، متهوّرين في غوايتهم، غامطين
 نعمة ربهم، مرتكبين مساخطه، متعرّضين لحلول قوارع سطواته، قد
 استحکم غضب الله عليهم، وأذن الله بهلاكهم وتعجيل أرواحهم
 إلى أليم عذابه وشديد عقابه، بما احتقوا من الآثام، وارتكبوا من
 الإجرام، وما الله للعبيد بظلام. فقدم إليهم أمير المؤمنين الأعدار
 والأندار، والتخويف والتحذير، تأكيداً لحجة الله (عج) عليهم،
 ومظاهرة لمنه عندهم، لينبوا إلى أرشادهم ويبصروا حظهم، فلم
 يزددهم ذلك إلا عنوداً وإصراراً، وعتواً واستكباراً/.

= حوقل والبكري، ورسم أسمائها غير ثابت، والقبائل المذكورة، لئن كانت
 تجمعها نحلة الإباضية، فهي متوزعة في مناطق شاسعة من قسطلية والزاب
 وجهة تاهرت، حتى المغرب الأقصى.

والملاحظ أن الداعي إدريس، وقد اعتاد أن ينقل محوى الرسائل قبل
 إدراج نصّها، لم يبدأ هذه المرة بنقل ما فيها، ففاجأنا بهذا العدد الكبير من
 المواضع والقبائل.

.. ويشيد ببلاء
وليّ عهده
أبي تميم المعزّ.

«فأنهض الأميرَ أبا تميم، مدّ الله في عمره وأدام عزّه،
لحربهم، فصمد إليهم جَلَدًا مشمراً في ذات ربّه، وما يُزلف لديه
ويُحظّيه عنده، فاستبشر الأولياء والعبيد به، وبأدروا إلى حسن
السمع والطاعة والقبول عنه، والمسارة إلى مناجزة الكفرة الفجرة
بأنفس حميّة وقلوب حنقة ونيات خالصة وعزائم نافذة، واثقين من الله
الكريم بالعون والتأييد والتمكين في إعزاز الدين والمسلمين، وإذلال
المنافقين والمشاقين.

دش 301

«واستقدموا إلى الفسقة فوجدوهم جادّين في باطلهم، مُبلسين *
على كفرانهم مستبسلين بحلول النفاق بهم، غيرَ مستبقيين على
أنفسهم، راكنين إلى الموت مستريحين إليه، متهافتين عليه تهافت
الفراش على النار. ففاجزوهم القتال، ودعّوهم للنزال، وشمرت
الحرب عن ساقها، وأذاقتهم مرارة مذاقها.

«وولج الأمير أبو تميم، أعزّ الله نصره وأدام عزّه، إليهم من
أضيق المسالك راجلاً مصطبراً، ومتوكلاً على الله محتسباً، متأملاً
لأحوال الأولياء، راعياً لعوراتهم. وضمّ إلى نفسه أهل البأس
والمراس بالحروب، والبصر بموارد الإقحام ومصادر الإحجام.
وسأل أهل المعرفة بوعر المدينة/ عن أيّ ناحية تمكن الفرصة فيها
واهتبال الغرة منها، وحرّض الأولياء على مكافحة عدوّ الله وعدّوهم،
ووقفهم على ما لهم بالاجتهاد في الجهاد من جزيل الثواب وكريم
المآب. فصدقوهم المقارعة طعنًا بالرماح وضرباً بالسيوف ورشقاً
بالسهام ورمياً بالحجارة، حتى ساوروهم بمعقلهم وأنزلوهم منه عنوة
وقسراً، وغلبة وقهراً (ط 323)، وأدركوهم في كلّ مهرب، وأخذوهم بكلّ
نفق ومرقب، وقتلوهم شرّ قتلة وأنكأها. وأضرّمو أعراس المدينة ناراً،
وأحقّوا أعالي جدرانها بحضيضها، وأحلّ الله بهم من الغير والعبر
ما جعله الله لخليفته في بلاده، وحبّته على عباده، آية واضحة،
ودلالة لاثحة، على اختصاصه بالفضيلة التي لم يؤت بها سواه، وعرف

488

به ذوي الحجى والنهى مواقع * النعمة والنعمة، ودواعي أسباب
السعادة والشقوة، واهتدى له ذوو البصيرة فسعدوا، وأتعظ به أولو
الشك فرشدوا. وأحتوى الأولياء من ديار الكفار الفجار من أصناف
الأموال النفيسة والأمتعة الجمّة، وكثرة الكراع والإبل، والبقر والغنم
والطعام ما يطول ذكره، ويعظم قدره عن وصف حدّه.

«وآب الأمير أبو تميم، تَمَّ الله أمره/ وأعزّ نصره بالجيوش
المظفّرة إلى مركزهم أفضل أوبة وأرضاها الله، لم يمسهم سوء ولا
كلم، والله الحمد على ذلك خالصاً دائماً، والشكر خالداً زائداً سرمداً.
«وأمر أمير المؤمنين بعد ذلك بما أفضل الله به وأسبغ، وتطوّل
فأوسع، وبعث رؤوس مُقَدِّمي الفسقة ومذكورهم وذوي. التقدّم
منهم، وكتب أسماءهم في رقاع عليها، لتطوف بها في المحافل فيما
قبلك، وتوجّهها (ر 189 أ) إلى جوذر لينشرها فيما قبّله، ويعاين خواصّ
الأولياء وعوامّ الرعيّة، من جميل صنع الله ومنايح إحسانه، وفواضل
أمتنانه، ما يُسرّون به، ويعرّفون بقدر نعمة الله فيه، ويقابلونها
بحقّها، ويسعون بشكرها إلى استدراجه (237م)، فأعمل به!.

.. ويأذن بعرض
رؤوس
القتلى بالقيروان
والمهديّة

دش 303

«وكتاب أمير المؤمنين من ماواس، وهو راحل إلى قسطنطينية
للانصراف منها إلى دار ملكه، إذ قد زال اللعين ابن مخلد، ولبس
مهامّة الرمال وغوامض التلال، إلى حيث غاب شخصه واستتر أثره،
ولم يعرف خبره، والله طالبه حيث * كان مهربه، ومنتقم منه بعظيم
ذنوبه عاجلاً، بحوله وقوّته.

«وكتب يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان في سنة
ستّ وثلاثين وثلاثمائة، والصلاة والسلام على محمّد النبي وآله».

(237م): قراءة تأليفيّة ففي «هـ»، الأصل المعتمد: واستدراجه معادها. وفي «ر»: إلى
استدراجه معادها. وفي المطبوع: واستدراجه معادها. وقرأ الدشراوي: واستدراجه
معادها. وهذه العبارات كلّها تترجم معنى الآية: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾
(إبراهيم، 7).

ورحل أمير المؤمنين (عم)/ من ماواس لخمس ليالٍ خلون
من شهر رمضان (19 مارس) فوافى قصره بالمنصورية يوم الثلاثاء
للنصف من رمضان (28 مارس) وأقام إلى يوم الثلاثاء لخمس بقين
منه (4 أبريل 948) وسار يوم الجمعة إلى المهدية فنزل قصره
بالمهدية عشية السبت⁽²³⁸⁾.

وكان يوم الفطر يوم الخميس مستهلّ شوال من سنة ست
وثلاثين [وثلاثمائة / 14 أبريل 948]. وخرج أمير المؤمنين المنصور
بالله (صلح) لصلاة العيد إلى المصلّى الذي ابتناه الإمام المهديّ
(عم) خارج المهدية، ووليّ عهده المعزّ لدين الله أبو تميم خلفه،
وسار أعمامه أولادُ المهديّ بالله (عم) وإخوته أولادُ القائم بأمر الله،
وأولاده⁽²³⁹⁾، خلف المعزّ لدين الله. وسار في عساكره بالوقار
والاستغفار والتسبيح حتى انتهى إلى المصلّى، فقصى صلاة العيد،
وارتقى المنبر وخطب فقال:

باسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله، شكراً لأنعمه التي لا يُحصى لها عدّد، وتعريضاً
للمزيد من فضله الذي لا ينفد. ولا إله إلا الله إخلاصاً للتوحيد.
والله أكبر، إجلالاً لذكر الله تعالى العليّ المجيد. سبحان الله
المستشهد [ة] آياته على / قدرته، الممتنع [ة] من الصفات

(238) خرج المنصور من المهدية في شوال 334 وعاد إليها في أواخر رمضان 336،
فملاحقته لأبي يزيد دامت قرابة الستين.

هذا، وإنّ حساب الأيام من الشهر عند المؤلّف مضطرب: رحل المنصور
من ماواس يوم 5 رمضان، فوصل إلى المنصورية يوم الثلاثاء 15 رمضان فتوقف
بها أياماً. ولكنّ الثلاثاء الموالي يكون يوم 22 رمضان (لثمان بقين منه) ورحيله
إلى المهدية يكون يوم الجمعة 25 رمضان (لخمس بقين من الشهر) ووصوله
إليها يوم السبت 26 رمضان (وهو 25 منه في جداول كاتينوز / 8 أبريل 948).
(239) أي أولاد المنصور، إخوة المعزّ.

ذاته، ومن الأبصار رؤيته، ومن العقول تحديده، ذي الكبرياء والعزة والجلال والقدرة، والسَّناء والعظمة، له السماوات العلى والأرضون السفلى، وما فوقها وما تحت الثرى، كلُّ خاضع لعظمته، متذلِّل لعزَّته، متصرِّف بمشيئته، واقع تحت قدرته.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اختاره وارتضاه، وانتخبه واصطفاه، وكرمه وأصفاه، وبعثه بالهدى ودين الحق، الذي تعبد به مَنْ في السماوات من الملائكة المقربين، ومن في أرضه من الثقلين، فاضطلع عليه السلام بما حُمِّل، وبلغ ما به أُرسِل، صادعاً بأمر ربِّه، صابراً على البأساء والضراء في جنبه، إلى أن أظهر الله دينه على الأديان، وأزهق بحقه أباطيل الأوثان. صلى الله عليه وآله وسلم، وشرف وكرم.

عباد الله،

أوصيكم بتقوى الله وطاعته، وخشية الله ومراقبته، والتقرب إلى الله بما يرضيه، فإنه بما في قلوبكم عليم، وبأعمالكم بصير لا تخفى عليه خافية، ولا يعزُّب عنه في السماوات والأرض مثقال ذرة، ولا يُنجي من سخطه، ويوصل إلى رحمته، إلا طاعته. ﴿وَمَنْ * يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (الأحزاب، 71).

دش 305

492 ألا وإنَّ الله (عج) جعل يومكم هذا عيداً عظيماً على الأيام، /
ختم به شهراً مفضلاً على الشهور، وافتتح به أيام شهور الحج إلى البيت العتيق الذي كرمه وعظمه، وجعله قبلة الصلوات، ومحلاً للبركات، ومنزل الرحمات، ومثابة للناس وأمناً، ومناراً للدين وعِلماً. فتقربوا إلى الله في يومكم هذا بأداء فطرتكم التي هي زكاة صومكم، وسنة نبيكم سيِّد الأنبياء صلى الله عليه وعلى آله وسلم،

تحديد زكاة الفطر

كُلَّ أَمْرٍ مِنْكُمْ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِهِ ذَكَوْرِهِمْ وَإِنَائِهِمْ، صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ، صَاعاً مِنْ بُرٍّ، أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ، مِنْ طَعَامِ أَهْلِيكُمْ لَا مِنْ غَيْرِهِ، فَلَيْسَ بِمَقْبُولٍ إِلَّا ذَاكَ. وَأَكْثَرُوا مِنَ الدُّعَاءِ، وَاسْتَشْعَرُوا الْحَذَرَ وَالرَّجَاءَ. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ، وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الحشر، 18) فَقَرِيبَ اللَّهِ، كَانَ قَدْ (240).

وَلِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَهْمَلْكُمْ إِهْمَالِ الْهَمَجِ، وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ، وَلَا عَذْرَ بَعْدَ إِضْبَاحِ الْمَنْهَجِ، وَتَأْكِيدِ الْحَجَجِ، بِرَسُولِهِ وَأُتَمَّةِ الْهَدْيِ مِنْ ذَرِيَّتِهِ، عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَفْضَلُ سَلَامِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ. وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ لَمَّا يَرْضِيهِ وَيُزَلِّفُ لَدَيْهِ، وَيُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ، فَإِنَّا لَهُ وَبِهِ، وَصَلَوَاتُ اللَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الْأُتَمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ الَّذِينَ بِالْحَقِّ/ قَضَوْا وَيَقْضُونَ، وَبِهِ عَدَلُوا وَيَعْدِلُونَ.

493

وَجَلَسَ جَلْسَةً خَفِيفَةً، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ:

بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالصَّلَوَاتُ الْغَادِيَاتُ الرَّائِحَاتُ الْنَامِيَاتُ الزَّاكِيَاتُ الْبَاقِيَاتُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ الطَّيِّبِينَ، الْأُتَمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ، السَّادَةِ الْأَكْرَمِينَ، الطَّاهِرِينَ الْأَبْرَرِينَ. حَمْدًا حَمْدًا! شُكْرًا شُكْرًا! أَنْجَزْتَ وَعْدَكَ، وَنَصَرْتَ عَبْدَكَ، عَلَى كَرِهِ الْكَافِرِينَ، وَصَغَارِ الْمَاكِرِينَ الْأَخْسَرِينَ الْأَفْجَرِينَ (ط 326)،

(240) كَانَ قَدْ: كَانَ الْغَدُ قَدْ حُلَّ لِقَرَبِهِ. وَالتَّرَكِيبُ يَنْظُرُ إِلَى بَيْتِ النَّابِغَةِ:

(كامل)

أَفْدَ التَّرَحُّلَ، غَيْرَ أَنَّ رُكَابَنَا لَمَّا نَزَلَ بِرَحَالِنَا، وَكَأَنَّ قَدْ (ديوانه، 93)

أحزاب الدجال اللعين، المغضوب عليهم الضالين، الأنجاس
الأرجاس، الأذلين الأتعاس، الأشقياء الأخزياء، الملعونين في
الأرض والسماء.

حمداً حمداً! وشكراً لك شكراً! عوداً وبدءاً، لا مكافئاً
نعماءك ولا مجازياً آلاءك، معترفاً بالعجز عن الشكر، ولو بكل لسان
طول الدهر.

سلام الله وصلواته ورحمته وبركاته وتحياته وزكـ[يـ]ـهـه عليه كما يا
أمير المؤمنين، يا خليفتي رب العالمين، يا ابني الهداة المهيدين،
يا أبتاه! يا جداه! يا ابني محمد رسول الله! سلاماً مسلماً لله فيما
قضاه علي من فقدكم، صابراً على ما امتحنني الله به بعدكم، أو أن
الحسرة، وشرق * العبرة عليك يا أبتاه يا محمداه! يا أبا القاسم! يا
جبله! واشوقاه! واللماه! / وخالق الأرض والسماء، باعث الموتى
ومميت الأحياء، ما أنا في ريب من اختيار الله تبارك وتعالى لك،
ونقلك إلى دار كرامته ومستقر رحمته التي بوأها محمداً رسوله عليه
السلام جدك، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب أباك، وفاطمة
الزهراء البتول أمك، وآباءك الطاهرين المهيدين الأبرار. لكن لوعة
المحزون باعثة للشجون، مبكية للعيون. فإنا لله وإنا إليه راجعون،
وله مسلمون، وعلى كل حال تصرف بنا حامدون، ولنعمائه
شاكرون.

فقد أعظم الله (عج) النعمة، وضاعف المنّة بما ربط على
قلبي من الصبر، ثم أكرمني به من العز والنصر الذي أرسى به
قواعد الإسلام، ونور به قلوب المؤمنين بعد الإظلام، وبعد انقطاع
الرجاء، لتطاول مدة البلاء، بالفتنة العظمى وأهوالها، وبلبالها،
وزلزالها، ظلماء بهماء، عمياء صماء، جاهلية جهلاء، بدجال
النفاق، وأحزابه المراق، أعداء الدين، وأنصار إبليس اللعين،

المنصور يترحم
على القائم...

دش 307

494

.. ويحمد الله
على قهره
أبا يزيد

أَمَهِلَهُمُ اللَّهُ اسْتِدْرَاجًا، وَأَمَلَى لَهُمْ فزادوا في الغيِّ لَجَاجًا، لِيَمِيزَ اللَّهُ
الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَلِيَرَى أُولُو الْأَلْبَابِ مِصْدَاقَ وَعْدِ اللَّهِ فِي
الْكِتَابِ: ﴿أَلَمْ، أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا، وَهُمْ لَا
يُفْتَنُونَ؟ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ/ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت، 1 - 2)، وَعَدًا مِنْ اللَّهِ لَا يُخْلَفُهُ
وَحُكْمًا لَا يَبْدِلُهُ، فِي الْأَوَّلِينَ مِنْ عِبَادِهِ (ط 327) وَالْآخَرِينَ، إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،
فَكَانَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ عَلَى أَعْدَائِنَا فَتْنَةٌ أَصَمَّتَهُمْ وَأَعَمَّتَهُمْ،
وَأَضَلَّتَهُمْ وَأَرْدَتْهُمْ، وَأَتَعَسَتْهُمْ وَأَرْكَسَتْهُمْ، وَأَذَلَّتَهُمْ وَأَخَزَتْهُمْ، وَلَنَا
وَلِأَوْلِيَائِنَا مَحَنَةٌ أَكْسَبَتْنَا أَجْرًا وَذَخْرًا، وَأَعَقَبَتْنَا عِزًّا وَفَخْرًا، كَانَ وَجْهَهَا
شَتِيمًا، وَعَقْبَاهَا كَرِيمًا، لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ (عج) مِنْ تَجْدِيدِ دَوْلَتِنَا
وِإِعْزَازِنَا، وَإِظْهَارِ نِعْمَتِهِ عَلَيْنَا، وَتَكْفُّلِهِ بِنَصْرِنَا، وَتَمْحِيطِ أَوْلِيَائِنَا،
وَتَمْحِيقِ أَعْدَائِنَا، حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ مَتْنَاهَا، وَبَلَغَتْ أَقْصَى مَدَاهَا
وَرَجَعَ الشَّيْطَانُ خَاسِرًا، وَنَطَقَ هَادِرًا، وَأَذَكَّى نَارَهُ، وَأَدَامَ إِصْرَارَهُ،
وَأَسَفَ اللَّهُ جَبَّارَهُ (241)، أَذْنُ اللَّهِ بِالنَّقْمَةِ فِيهِ بِتَسْلِيْطِ (ر 191 أ) عَبْدِهِ وَوَلِيِّهِ
عَلَيْهِ، فَجَلَّى اللَّهُ ظُلْمَهَا، وَنَوَّرَ بُهْمَهَا، وَكَشَفَ غَمَاءَهَا، وَصَرَفَ لَأْوَاءَهَا،
بِي وَعَلَى يَدِي، كَرَامَةً مِنْ اللَّهِ خَصَّنِي بِهَا، وَفَضِيلَةً حَبَانِي بِشَرَفِهَا،
وَنِعْمَةً لِي ذَخَرَهَا، وَعَلَيَّ قَصْرَهَا، وَوَصَلَ بِحَدِيثِهَا قَدِيمَ النِّعْمَةِ عَلَى
آبَائِي الطَّاهِرِينَ، وَسَالَفَ مِنْهُ عَلَى أَجْدَادِي الْأَثَمَةِ الْمَهْدِيِّينَ.

فتنة مخلد كانت
امتحاناً
للدولة...

.. وابتلاء لرجالها

شَهَرَتْ دُونَ ذَلِكَ السُّيُوفُ فَكَسَرَهَا، وَدَلَفَتْ إِلَيَّ الزُّحُوفُ
فَهَزَمَهَا، وَتَظَاهَرَتْ عَلَيَّ جُنُودُ الْكُفْرَةِ/ فَخَذَلَهَا، وَطَمَحَتْ الْعُيُونُ
نَحْوِي فَطَمَسَهَا، وَرُفِعَتْ الرُّؤُوسُ فَنَكَسَهَا، وَشَمَخَتْ الْأَنْوُفُ
فَأَرْغَمَهَا، وَصُعِّرَتْ الْخُدُودُ * فَأَضْرَعَهَا، وَأَبَى جَلَّ جَلَالُهُ إِلَّا إِيْتَامَ
وَعَدِي وَأَمْرِي، وَإِعْزَازَ نَصْرِي، وَإِظْهَارِي وَإِظْفَارِي، وَتَأْيِيدِي

(241) فِي الْقُرْآنِ: ﴿قَلَمًا أَهْلًا أَهْلًا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ (الزخرف، 55).

وإعلائي، إنجازاً لوعده محمداً عليه السلام بإعزاز ملته، وإعلاء
حجته ونصر أئمة الهدى من ذريته. فأمضى قضاءه قادراً، وكبت
أعداءه قاهراً، لا معقب لحكمه، ولا رادّ لأمره ولا شريك في
الحمد له.

يا أهل دعوتنا، يا أنصار دولتنا، يا كتامة!

كتامة هم الأنصار
الأوفياء..

أحمدوا الله واشكروه على ما خصكم به من نعمه،
وجسيم منته، وفضلكم به على كافة الخلق، في غرب وشرق.
بداكم عز وجلّ بالنعمة العظمى، ثم شفّعكم بالمنة الكبرى، ووالى
بينهما عليكم من سوابغ النعماء بما لا يُحصى: بصركم، والناس
عميان، وعلمكم، والخلق جهال، وهداكم، والعباد ضلال، إلى دينه،
ونصرة حقه وطاعة وليه، علم الهدى وسراج (ط 328) الدجى، وقطب
الدين، وحبله المتين، فأرقاكم بالسبق إلى نصرته، والسعي في
طاعته، والتفنيء بظل دولته، والاستنارة بضياء حكيمته، حتى إذا
قضى الله زلزال البلاد، واختبار العباد، [و] جلّ الأرض الظلام،
وزلزل الأقدام، وعظمت الخطوب، / واشتدّت الكروب، ويشتت
القلوب، عصمكم الله، وهدى قلوبكم، وثبت أقدامكم إلى أن
جلاها الله عنكم خاصّة، وعن العباد كافة بنا وعلى أيدينا، فكانت
عليكم نعمة، وعلى العباد حجة، فانجلت عنكم والله بيض الوجوه،
موفين بعهد الله، معتصمين بحبله (ر 191 ب).

اللهم إنّي أصبحت راضياً عن كتامة⁽²⁴²⁾ لا اعتصامهم بحبلك،
وصبرهم على البأساء والضراء في حنبك، تعبداً لنا، واعترافاً
بفضلنا، وأداء لما افترضه الله على العباد لنا، وتوسلاً إليك بطاعتنا.

(242) أصبح راضياً عنهم بعد أن ويخهم عن تقاعسهم في محاربة أبي يزيد (انظر
رسالته ص 380).

اللهم فأَرْضْ عنهم، وضاعف حسناتهم، وأَمْحُ سيئاتهم
وأَحْشُرْهم في زُمْرَةِ نَبِيِّكَ الذي دانوا به، وولِيكَ الذي وآلوه وأبق
نعمتك عندهم، وأَتَمِّمها عليهم، وأَكْمِلْ حسناتك إليهم، وخلِّد العزَّ
في أعقابهم، وأَجْزِلْ ثوابهم، وأَهْدِهِمْ! وطَهِّرْ قلوبهم، إِنَّكَ سَمِيعُ
الدعاء قريبٌ مجيبٌ!«.

ونزل (صلح) فانصرف إلى قصره، وأمر بإطعام الناس، وفرق
صدقات على الفقراء والمساكين.

ولأَتَتِي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة (24 ماي) جيء إلى
الإمام المنصور بالله (عم) بأبي بردعة أسيراً⁽²⁴³⁾، وكان قد ثار أيام
شغل المنصور بعدوه، وقطع السبل وأخافها، وضرب على المنازل
وانتهبها. فأمر به أمير المؤمنين فسلخ على باب المهدية.

أسر ابن بردعة
الثائر

[وفي تاريخ الحسن بن جعفر الأنصاري⁽²⁴⁴⁾: وفي سنة
أربعين وثلاثمائة، أخرج الإمام المنصور بالله (عم) أسطولاً عظيماً
إلى صقلية للغزو منها، مع فرج⁽²⁴⁵⁾ الخادم. واجتمع بابن أبي

(243) لاعلم لنا بأبي بردعة هذا وذكر ابن الأثير 47/7 ثائراً اسمه سعيد بن يوسف غلبه
بلكين بباغاية.

(244) المؤرخ الحسن بن جعفر الأنصاري: نقل عنه إدریس أربع مرّات، هذه أولها،
ولا نعرف من هو بالتدقيق، إلا أنا عثرنا عند السخاوي (الإعلان بالتوبيخ،
110) عن اسم مؤرخ يدعى الحسين بن إدریس الأنصاري الهروي وشهر باسم
«ابن خرّم». وفي أعلام الزركلي، 251/2 أنه توفي سنة 301 أو سنة 351، ولا
يمكن أن يكون صاحبنا لأن أحد النقول عنه (انظر ص 133/2) يذكر خروج
المعز إلى مصر، أي بعد سنة 362. وهذا النقل، مثل النقول الثلاثة الأخرى،
مقحم في نصّ الداعي إدریس أو مزيد عليه في الهامش، وإنما أدرج في
النصّ ضمن الكتاب المطبوع فقط.

(245) في النصّ المقحم: فورج، والتصحيح من ابن الأثير، 339/6 وابن خلدون،
45/4، ولا يأتي الخبر في محله من الترتيب التاريخي، إذ يروي حادثة وقعت
سنة 340، ونحن ما زلنا في سنة 336.

الحسين،⁽²⁴⁶⁾ وصاروا إلى قلورية من بلاد الروم، فكان فتحاً عظيماً، [غزوة فرج الخادم والتقى بجليان⁽²⁴⁷⁾ صاحب أسطول الروم آخر ليلة من ذي الحجة إلى صقلية وقلورية] (28 ماي 952) فغنمناه وقتلاً كثيراً من رجاله، وغنما جميع ما معه من أموال، ورجعنا إلى عند الإمام (عم).

وفي سنة إحدى وأربعين جمع معبد / بن محمد / بن خزر⁽²⁴⁸⁾ جموعاً كثيرة، وسار إليه زيري بن مناد أمير صنهاجة فهزم عسكره من البربر، وأسر معبدًا وحمله (ط 329) إلى المنصور بالله (عم)، فقتل وصلب هو وابنه⁽²⁴⁹⁾.

498 ووصل باطيط بن يعلى بن باطيط / برأس فضل المارق ابن مخلد لعشر بقين من ذي القعدة⁽²⁵⁰⁾. وكان فضل المارق قد زحف من جبل أوراس إلى مدينة باغاية وحاصرها، فأتاه باطيط مظهراً الدخول في طاعته فوثق به واطمأن إليه، فاحتال باطيط حتى اختلى به وفاوضه. فلما تمكن منه باطيط وأمكنته الفرصة فيه، سل سيفه وضربه حتى أمضاه واجتزأ رأسه وسار به. ولم يشعر عسكره بذلك

قتل فضل بن أبي يزيد

(246) أي الحسن بن علي الكلي (انظر ص 264) وقد ولي صقلية من 336 إلى سنة 341 (انظر ابن خلدون، 47/4، وسيرة حوذر، تعليق 132 والترجمة، هامش 184 و422).

(247) في المطبوع: بسلحان، وليس لنا وثوق بهذا ولا بداك، فابن خلدون، 45/4 يسميه «رجار ملك الإفرنج» مع أنه يقول فيما بعد، 209/4 أن قسطنطين ملك الروم أرسل بطريقاً في البحر في عسكر كبير إلى صقلية واجتمع هو والسرديوس. وكذلك ابن الأثير، 339/6 يذكر الواقعة ولا يذكر اسم القائد البيزنطي. ويتفق ابن خلدون مع ابن الأثير في تحديد الواقعة: يوم عرفة من سنة 340، خلافاً لما يقول الحسن الأنصاري: آخر ليلة من ذي الحجة.

(248) معبد بن خزر عند الحسن الأنصاري، وفقاً لما رأيناه عند ابن خلدون الذي يجعله أخاً لمحمد بن خزر.

(249) لم تذكر المصادر ابناً لمعبد بن محمد بن خزر ثار معه.

(250) رجعنا إلى حوادث سنة 336.

إلا بعد ساعات طويلة، وقد نجا باطيط. فافترق العسكر وانحلّ أمرهم.

فأمر أمير المؤمنين (عم) بالطواف برأس فضل بن مخلد والنداء عليه. وأحسن إلى باطيط وخلع عليه. وأحمد الله نار الفتنة، وقضى لرايات وليّه بالعزة والرفعة، وللناس في ظلّ دولته وسعادة أيامه بالأمن والدعة، وأبطل الله سعي المارقين وكيد الباغين، واستأصل شأفة المفسدين. وأمنت (ر 192 أ) السبل والأطراف، وقرّ كلّ من قد وجلّ قلبه وخاف.

وقل في ذلك الداعي جعفر بن الحسن منصور اليماني بن فرج ابن حوشب رضوان الله عليه (طويل):

ألا يا أمين الله يا عالي اليد ويا مصطفى آل النبي محمد
ويا خير من ألقى إليه قيادها أمور الوري من ذي مغيب ومشهد
* هنيئاً لك التوفيق في كل حالة من الله والتأييد في كل مقصد
ولا زلت مسروراً بفتح مبيّن مدى الدهر محبوا بنصر مجدّد/

دش 312

499

* * *

5 أراد النجا إذ فرّ فضل بن مخلد لينجو فما أنجاه طول التبعد
وألقى المنايا شرعاً يقتضيه رصّدن له بالحتف في كل مرصد
حتمت على كلّ القبائل أخذه وتطلّابه في كل خبت وفدند⁽²⁵¹⁾
وطاشت به للحنّ شقوة جدّه إلى أجل وافاه من غير موعد
تعرّض في قصوى النواحي ببغيه يريد من الأيام ما لم تعود (ط 330)
10 فمدّت عيون المارقين غضيضة إلى مبرق بالثرهات ومُرعِد
فثارت له بالمشرفيات عصبّة مخافة ليث في المهالك مُورد
وقامت لسلطان الإمام وسعده ونصر لمن والاه بالعزّ مُسعد

جعفر بن منصور
اليمني يشيد
بأخذ فضل

(251) الخبت: ما اطمأن من الأرض واتسع. والفدند: المكان الغليظ منها.

* فدارت رَحَى الموت المبيد سريعة على الناكثِ بنِ المارق المتمرد 313 دش
 فأضحى ابن دَجَال النفاق، ورأسه على صعدة تُهوي به كلُّ فدقد
 15 يسير بها من قام في نُصرة الهدى بداراً إلى باب النجاح المصمّد
 إلى باب خيرِ الخلق، للحمد عنده ومن يكتسبُ فعلاً من الخير يُحمد
 ففاض عليه من عطاياه زانجرٌ كذي لَجَبٍ يطفو على الشطّ مزبد

* * *

ولم يزلِ المنصورُ بالله قادراً يبيد عِداه بالقنا المتقصّد⁽²⁵²⁾
 إذا قيل للطاغين في كل بلدة: سينهض إسماعيل في اليوم أو غد
 20 أطارهم من قال، في كل موضع، وأقلقهم بالدُّعر في كلِّ مقعد
 فأمسوا معاً: إمّا طريداً مُزايلاً/ جداراً وإمّا طائعاً لم يُشرد
 500 فيها تلك أقطار الهدى وقراره مسددة فيها بهيئة أصيد
 فيا خالق الدنيا وليك قائمٌ * بحقك فانصره على كلِّ مُعتد
 أبو الطاهر الميمون، أنتَ اصطفيتَه إماماً مُتمّاً عن رسولك أحمد
 25 فمهّد له الدنيا بأن قد جعلته إماماً شهيداً في العباد لمشهد

* * *

ألا يا أمير المؤمنين، لقد قضى لك الله حتماً بالعلا فاعلٌ وازدد
 ودُم للهدى والمكرّمات ممتّعاً بعزّ على طول الزمان مخلّد
 فدونكها يا ابن النبي محمّد نتيجةً ودّ خالص متجدّد
 فمَنْ أو أفضل مُنعماً بقبولها فمن يُعط حظاً من قبولك يسعد
 30 وصلى عليك الله ما قال قائل وما خطّت الأقلام في الطرس بيد
 وأقام أمير المؤمنين (عم) بالمهديّة إلى سلخ صفر (337/ استقرار المنصور
 7 سبتمبر 948)، واستعمل على المهديّة عبده وعبد آبائه جوذر، وانتقل بالمنصورية

(252) المتقصّد: المتكسّر، ولعله يعني: حتى وإن تكسّر الريح بيده، فهو يهزم العدو لا محالة.

فسكن قصره بالمنصورية، وذلك في شهر ربيع الأول من سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة (سبتمبر / أكتوبر 948)، ومعه وليّ عهده والخليفة من بعده أبو تميم المعزّ لدين الله، وخواصّ دعائه وأوليائه، وسائر أهله وولده⁽²⁵³⁾. فجعل المنصورية مسكناً وأقام بها، وقد انصلح له الجمهور، وقامت/ بسيفه الأمور، ودخل الناس في طاعته مهطعين، وشملهم ظلّ مملكته مكرهين وطائعين. فاستقرّ الملك في قراره، وقام المجد على ساقه، وأحمد الله نيران أعدائه وأهل شقاقه (ر 193 أ) وشمل الناس عدله وعمّهم فضله، ونصب عمداً الشريعة وأقامها، وأظهر سننها وأحكامها، وأقام باطن الدعوة وظاهرها، وأحكم قواعدها ومشاعرها، وأبان نواهيها وأوامرها.

ونصب أمير المؤمنين المنصور بالله (عم) القاضي الأجلّ النعمان بن محمد بن حيون التميمي (رضي الله عنه) للقضايا بالمنصورية والقيروان وأعمال إفريقية، وأمضى حكمه في جميع ما استولت عليه المملكة العلوية، والدعوة الشريفة الفاطمية. وجعل قضائته في الآفاق، عن أمر القاضي النعمان يصدرن ويوردن، وفي تيار ما استفاده من علم الأئمة يرّدون. وقد كان قبل ذلك استقضاءه بطرابلس، ثمّ أمره بالكون بحضرته في المنصورية وقلده أمر قضائته ودعوته⁽²⁵⁴⁾.

تعيين النعمان
قاضياً على
كافة إفريقية

قال القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه): «... وكان أمير المؤمنين المنصور بالله استقضاءني بمدينة طرابلس. ثمّ أنفذ أمره إليّ بالقدوم فقدمت، فلما أشرفت على المنصورية واجهت المعزّ لدين الله صلوات الله عليه خارجاً لبعض ما كان يخرج إليه/

(253) هذا التاريخ أوفق لما قالته المصادر الأخرى ممّا سبق للمؤلف أن ذكر (انظر ص 476 هامش 221).

(254) هنا تنتهي المقتطفات من الكتاب التي نشرها الدشراوي.

في موكب ضخم. فنزلت ويادرتُ إليه للسلام عليه وهيأتُ كلاماً. فما هو إلا (أن) قربت منه وملأتُ عيني [من شخصه الزكي حتى]⁽²⁵⁵⁾ ملأتُ صدري هَيْئَتُهُ ورأيتُ جلال الإمامة في وجهه، فوالله ما دريت ما أقول ولا عَوَّلْتُ إلا على تقبيل الأرض. ثم أومأ إليَّ بيده فقَبَلْتُهَا. وَأَفْجَمْتُ هَيْئَةً لَهُ وَإِجْلَالاً، فابتدأ إليَّ بالكلام/ فقال: «قدمتَ خيرَ مَقْدَمٍ وبارك الله فيك وجزاك خيراً عن نفسك، فقد أنتهى إلينا خبرُك، سر راشداً إلى باب أمير المؤمنين!». وَحَرَكَ دَابَّتَهُ.

ولما مثلت بين يدي المنصور بالله صلوات الله عليه، قال لي نقل عن النعمان
فيما قال: يا نعمان، إذا جرى الله المحسنين خيراً فجزاك الله عناً في فرحه
أفضل الجزاء... بخدمة الأئمة...

فما كنتُ بشيءٍ أسرَّ منِّي بما سمعتُ يومئذٍ من المنصور والمعزَّ لدين الله صلوات الله عليهما.

وقال القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه): ولما استقضاني المنصور بالله صلوات الله عليه على المنصورية أمرني بالجلوس للنظر بين الناس في سقيفة قصره وقال لي: لو اتسع لي أن أجلسك بين يدي في مجلسي داخل قصري لكان ذلك أعجب لي. فإذا كان ذلك لا يمكن فاجلس في سقيفة قصري فإنه أحقَّ موضع أقيمت فيه الحقوق ونفدت فيه الأحكام.

503 فجلست حيث أمرني فيه بالجلوس، فضاقت/ الحال لذلك
بأكثر الخصوم سيما بالنساء والضعفاء ومن يتهيب الدخول من باب
قصر أمير المؤمنين (ص). فتبينت ذلك ورفع إليَّ أيضاً. فتهيئت
مفاوضة أمير المؤمنين (صلح) فيما رآه وأمر به، إلى أن خرج المعزَّ

.. وفي ظروف عمله

(255) هذه العبارة غير موجودة في نص المجالس والمسايرات، 51 - 52.

بالمنصورية... لدين الله (صلع) يوماً فيما يخرج إليه فسايرته فقال لي: يا نعمان، كيف الحال في جلوسك في السقيفة؟ فتهيت أن أقول له في ذلك بخلاف ما قاله أمير المؤمنين، فذكرت له قوله وأمسكتُ.

فقال: كيف بالمرأة والضعيف ومن تفتحهم العيون ومزاحمة رجالنا وعبيدنا؟ وكيف بك إن وجب عندك حدّ أو أدب على أحد؟ فأين يتهيأ لك أن تقيمه هنالك؟ لا والله ما هو بموضع يصلح لذلك! ولأن تكون بارزاً للناس ظاهراً يصل إليك الضعيف ويبلغ حاجته لديك، وتقف المرأة وتبلغ إليك في استتارٍ ويمكنك إقامة ما يجب إقامته من الحدود والآداب، أهناً وأجمل وأفضل (ط 333).

فقلت: الرأي ما رآه الأمير وفقه الله وسدّده.

وكان ذلك ممّا رأيت أنّ الله عزّ وجلّ فهمه إيّاه من وجه الصواب، وهداه إليه من فضل الخطاب.

ثمّ لما انصرفْتُ خرج إليّ توقيع من المنصور بالله صلوات الله عليه مع مال أمر به/ لا ابتناء موضع فسيح أجلس فيه حيث يصل فيه إليّ الناس ويمكنهم ما يريدونه من أمورهم على ما ينبغي عندي»⁽²⁵⁶⁾.

504

وفيما أتى عن القاضي النعمان بن محمّد (رضي الله عنه) قال:

ولما أرحلني المنصور بالله (صلع) عن مدينة إطرابلس إلى الحضرة المرضية وافق وصولي إليها غداة يوم الجمعة. فخلع عليّ يوم وصولي وقلّدي، وأمرني بالسير من يومي إلى المسجد الجامع بالقيروان وإقامة صلاة الجمعة فيه والخطبة إذ لم يكن يومئذ بالمنصورية جامع، وأمر بجماعة من خاصّة بوابي القصر الأعظم

(256) المجالس والمسائرات، 69 - 70.

بالمشي بين يديّ بالسلاح إلى أن أقمت الصلاة والخطبة وانصرفت.

«ثم خرج توقيعه من غد إلى ديوان الرسائل بأن يكتب لي عهداً بالقضاء بمُدن المنصورية والمهدية والقيروان وسائر مدن إفريقية وأعمالها، فذكر ذلك وانتشر [في الناس] وعلموا أمثالي، أيام كنت بإطرابلس، أمره (صلح) فيما عهده إليّ في [عهد] القضاء عليها، من إقامة الحق على الشريف والمشروف، والعدل بين القوي والضعيف.

«فانتهى إليّ عن جماعة ممن تعود الأثرة ومن عودهم إياها للذمام والطعمة، وعن المخالفين لي في المذهب ممن تطاعم الرئاسة، أن ذلك ساءهم وأحفظهم واشمازت منه قلوبهم. فقام فيه من اعتاد/ الأثرة أنفة وحمية، ومن عودها الناس خيفة على نفسه [وتقية]، ومن خالف المذهب ديانة وعصية، فأسروا في النجوى واجتمعوا عليّ لاجتماع الأهواء من خاصّ وعامّ، وقريب وبعيد، فخلصوا نجياً في الحيلة بالبغي عليّ، وسدّوا بالمكر سهامهم إليّ، لغير ذنب مني إليهم ولا جناية مني أوجبت ذلك منهم، فشنعوا عليّ من الأشانيع ونسبوا إليّ من المكروه ما الله يسألهم عنه ويثيبني إن شاء الله بفضله، عليه، وتهياً لهم بذلك بعض ما أملوه بحسب ما أوجب الزمان وتهياً في الإمكان، ممّا لم يكن عليّ [منه] بحمد الله وفضل وليّه ضير ولا نقص.

505

.. وفيما لقيه من
حسد
الحساد..

«ولما صرت إلى ما أصارني إليه المنصور وقمت بما وجب عليّ القيام به منه، وسمّعوا ثناء الناس ممّا تطاعّموه من العدل ورأوه من الإنصاف، جعلوا يُشيعون فيهم الأشانيع، ويدسون من يثبها فيهم أني أنسب المكروه إليهم وأسعى بهم وأحرّك ما فيه حتفهم، وما علموا أنّهم يكرهونه، نسبوه إليّ ليؤغروا صدورهم عليّ ويذهبوا بشكرهم لي، مع أصناف من الحيل والأذى والمكروه لا يفترون

عنها ولا يملّون منها - يطولُ ذكرُها - ووجوه من الأذى كثيرةٌ ثُبِتَتْ
عندي وصَحَّتْ لي .

«فضاق صدري بها وحملني ذلك بعد صبر طويل على رَفْعِها
إلى المعزّ لدين الله (صلح) / فضَمَنْتُ جُمْلًا منها رقعةً ودَفَعْتُها إليه .

506

«فوقَّع إليّ بخطه في ظهرها: يا نعمان، والله لولا معرفتي بك
لنَسَبْتُكَ عند وقوفي على رقعتك هذه إلى الجهل، إذ كنت قد
علمت ما مرّ على مواليك من أذى من نصب لهم وعاداهم وردّ أمر
الله (عج) وكذب رسوله فيهم، من المِحنِ العظيمة . لكنّ أنفسنا قد
تمرّنت على حَمَلِ المكروه، وظهورنا قد قويت على النهوض
بأثقاله . وأنت بحمد الله، فلم ينلْك ما يدخلُ عليك منه نقصٌ في
دينك ولا ذلٌّ في دنيائك، وقد ضِقتَ من هذا الذي وصفته وبلغَ
منك . أفما علمت أنّك الجاني على نفسك ما منه ضجرت إذ قد
تبَيَّنَ لك مخالفةُ السُّفل الرُّعاع لأولياء الله ورفضُهم لأحكام الله
ونصبُهم وطعنُهم على أتباع الحقّ وأهله، وأردت أن لا يكون منهم ما
قد كان إليك . وكنت تدعنا وتتبعهم [وتتعافى] ممّا قد بُليْنَا وبُلي
أتباعنا [به منهم]»⁽²⁵⁷⁾ .

.. وما وجده عند
المعزّ من
عطف وتأيد

«وإذا كنت اتبعتنا على بصيرة ومعرفة فاصبر على ما لا بدّ منه
فقد قال مولاك عليّ (صلح): رضى الناس غاية لا تدرك⁽²⁵⁸⁾ . وحسبك
عملك بطاعة الله وعملهم بمعاصيه . وأنت أعلم بنفسك منهم بك .
فإن كان بينك وبين الله شيء تخافه، فمنه فاحذر! وإن لم يكن،
فهذا لك زيادة في الأجر . ولقد كان الواجبُ عليك أن تسأل الله
الزيادة لك من هذا/ الحسد، فإنّك لا تزدادُ بقربنا رفعةً إلا زدتَ

507

(257) الزيادات من المجالس، 348 . وفي الجملة: وكنت تدعنا... إشارة إلى أنّ
النعمان كان سنيًا مالكيًا في أوّل أمره .

(258)، شرح ابن أبي الحديد، 939/5 رقم 501 .

من كثرة الحاسد وكَيْد الكائد. فإن كنتَ تَسْأَلُ اللهَ رفعَ ذلكَ عنكَ في حين ضيقِ صدركَ فاستقلِ الآن! فقد كان بعض الحكماء إذا دعا اللهَ لنفسه قال: «رَبِّ اجعلني محسوداً ولا تجعلني مرحوماً!» ثَقِ باللهِ رَبِّكَ وينا، فوالله لا ينالُكَ مَعَ الثِّقَةِ باللهِ وعِزِّ الدَّولَةِ مكروه تحذُّرُهُ في دين ولا دنيا! هذه الألسنةُ الحداد هي متاجر النساء والسُّفَل والأوغاد، تذهب بالإعراض عنها وتزول بالأطراح لها، وتزیدُ وتعظمُ ما علم السُّفَل نفاقها. فلا تُصغِرِ إلى سماعها وَلَا تُلقِ بالأُ بِهَا! فوالله ما سبيلهم عندي إلا كَسَبِيلِهِمْ عند المنصور (صلع)، فلقد سمعته يقول ويؤكد ذلك ويحلف عليه - وذكر كلاماً -: «وَلَا هُمْ اللَّهُ ما تولَّوه وجزاهم بما اعتقدوه! ومع هذا فللملِكِ سياسةٌ يساس بها، ولنا حدودٌ لن نتعدَّها. واللَّهُ يُظهِرُ أمره على رغم الراغمين ولو كره المشركون! والله / يؤتي فضله من يشاء، والله سميع عليم.

«فلما قرأت توقعيه هذا سلوتُ ممَّا كان ضاق به صدري. وكأنما كنت في غفلة عما ذكره (صلع)».

508

ونقول: ما أبلغ هذه الموعظة من وليِّ الله / وأثبتها، وأسمائها في الفضل وأبلغها! فإنه لا يحسد إلا أهل الفضل على ما آتاهم الله من فضله، وأولاهم من جزيل خيره وبره. وما أحسن الإعراض عن كلام الأردال والأوغاد، وأسلى ذلك للقلب وأبرده في الفؤاد! ومن أصغى سمعه لما يقولون وينقلون، ويفضُّلون من المحال ويحملون، وقع من ذلك في العوبص، ولم يكن عن شغل قلبه من محيص، إذ هو، إذا جاراهم في ميدانهم، أهان نفسه وساواهم في النقص، ولا يستريح إلا بالإعراض عن الخوض في مداحض جهلهم (ط 336) وترك البحث عن أمورهم والفحص. وقال تعالى في كتابه الكريم، المنزل على خير المرسلين: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف، 199). ولو أوردنا ما أتى عن أولياء الله (صلع)، لطال القول به، واحتجنا

إلى أبواب كثيرة تتسع في أمر ذلك وسببه، ولا يزال أهل الفضل محسودين على قدر فضلهم، ممتحنين ممن ينتقص (ر195ب) من قدرهم، وليس كمثلهم.

وفيما أتى عن القاضي النعمان (رضي الله عنه) في فضل المنصور بالله (عم) قال:

«سمعت المعزّ لدينار (صلح) يقول: كنت مع المنصور بالله أمير المؤمنين، عليه السلام في بعض أسفاره، وقد نزل منزلاً أقام فيه في قصر له بذلك/ المنزل وبستان قد أحاط به فيه ماء جار. فخرجت يوماً أمشي في نواحي ذلك المنزل، فلما انصرفت أتيت بحسب العادة فوجدته تحت بعض تلك الأشجار في يوم صائف حار، حاسر الرأس وقد حلّقه، وإن العرق ليرشح منه، وهو يؤلف كتاباً يكتب نسخته. فقلت: يا مولاي، في مثل هذا الحرّ؟ ألا تقوم إلى مجلسك؟

فقال: دعني! فقد قطع عليّ كلامك شيئاً كان أتصل عندي، ولمثل هذا جلست وتحملت هذا الحرّ، لأنّه قد تهيأ لي من القول ما خشيت إن قمت عن مكاني أن ينقطع عني.

«فجلست حتى قضى حاجته، ودخل فأقام ملياً لم يخرج، فخشيت عليه أنّه عرّض له عارض من ذلك الحرّ، فأرسلت إليه أسأله عن ذلك، فقال: ما عليّ من بأس بحمد الله. ثمّ تمادى قعوده. وأذن لي فدخلت إليه، فأصبته على حال ما أحبه من السلامة والعافية. فقلت: يا مولاي، إلى كم تُقيم في هذا البيت وأنت بموضع نُزْهة وتفرّج ونظرٍ إلى هذه المياه والأشجار؟

فقال: أخبرك والله: إنّي رأيت أن بعض هذا الحيوان العظيم الخلق يعلو ظهري فخشيت أن يكون ذلك بعض أسود هذه الغياض وأعوذ بالله!

509

نقل آخر عنه في
صبر
المنصور على
الضيق...

فقلت: كلاً! لا يفعل الله ذلك!

قال: نعم، كلاً! لا يفعله/ إن شاء الله تعالى، ولكنني عرفتُك
ما عرض لي.

ثم ركب من ذلك المنزل في غلَس الصَّبح يريد غيره،
ودعاني، فسأيرته وتحتي فرس، فقال: حرَّكهُ لَأَنْظُرَ إِلَيْهِ! فحرَّكته،
وحرَّك هو فرسه، فدار به دورة خاف لها أن يسقط به فترامى عنه
وشبَّ الفرس⁽²⁵⁹⁾، فعلا ظهره ولم يضُرَّه، فبادرتُ إليه ونزلت عن
فرسي فأصبته قد ركب ولم ينله مكروه. وقال: هذا ما ذكرته لك!
وحمد الله وأثنى عليه⁽²⁶⁰⁾.

.. وتمرَّسه
بالشدائد

«وقال المعزّ لدين الله (صلع) وقد ذكر التنجيم: كان (ر 196 أ)
المنصور بالله (عم) فيه ماهراً. (قال) وقال لي (صلع): والله ما طلبتُ
علمهُ لشيءٍ ممَّا يراه الناس من القضاء به ولقد وقفتُ في مواقف الحروب
التي وليتها أيامَ الفتنة إلى حين انقضائها، فما وقفتُ قطُّ موقفاً منها
باختيارٍ بعلم من علوم النجوم. ولكن كثيراً ما كان الأمرُ يقع بقلبي،
ويُحبَّب إليّ، وقضايا النجوم تُخالِفُه وتمنَعُ منه، فلا ألقي لتلك
القضايا بالاً ولا ألتفتُ إليها، وأعملُ ما يقع بقلبي ويُحبَّب إليّ،
فيكونُ في ذلك التوفيقُ والنصر، وضدُّ ما تُوجه أحكامُ النجوم. والله
ما طلبنا هذا العلم إلا لما يدلُّنا عليه من توحيد الله جلَّ ذكره وتأثير
حكيمته في منفعلاته، فإنَّك أن تشغل نفسك بغير هذا، ولا تلتفت
إليه!»⁽²⁶⁰⁾.

511 وخرج أمير المؤمنين المنصور بالله (عم) من المنصورية/ إلى

(259) شبَّ الفرس: رفع قائمته الأماميتين.

(260) المجالس والمسائرات، 132 - 133.

المنصور يخرج
الأسطول
لغزو قلورية

ناحية تونس، فأخرج الأساطيل لغزو الروم مع الحسن بن علي، وشحن الأساطيل بالرجال والعدّة والأموال. فخرج بها الحسن بن علي فانتهى بها إلى بلد الروم، ومعه بعض قواد أمير المؤمنين، فغزوا وسبيّا وملكوا قلورية، ثم رجعا منها إلى جزيرة صقلية بالعساكر ليشتيا بها، وقد كان أمير المؤمنين أمرهما بالمقام. فلما انصرفا، كتب إليهما أمير المؤمنين (عم) كتاباً غليظاً، وشدّد عليهما فيه، وأمرهما بالرجوع إلى حيث أمرهما به، ساعة وصول كتابه. وكان في كتابه (عم) إليهما: «كأنّي بكما قد قلتما حين رأيتما الانصراف: «إنّ الحاضر يرى ما لا يرى الغائب»، وقد رُتُما في أنفسكما أنّكما الحاضران لما قبلكما، وأنا الغائب عنه، وليس كما ظننتما: بل أنا الحاضر وأنتما الغائبان عنه». قال القاضي النعمان ابن محمّد (رضي الله عنه): «ففعلا ما أمرهما أمير المؤمنين، فكان لذلك الفتح العظيم، وسبقا طاغية الروم إلى موضع لو سبقهم إليه لما تهيأ ذلك الفتح. فهزماهم، واحتوت عساكر المسلمين عليها وأثخنوا بالقتل فيها. وكان ذلك بسبب رأيه المقرون بالتوفيق. وعادا (ر 196 ب) بمن معهما سالمين، وحصلت الهيبة في قلوب المشركين»⁽²⁶¹⁾.

وجاءت الهدايا إلى أمير المؤمنين (عم) من/ ملك الروم، وسأله الهدنة. فأراد (عم) أن يُري ملك الروم نعمة الله عليه وقوة الإسلام، وأنّ ما آتاه الله خير ممّا آتاهم، وأراد أن يصرف رسل طاغية الروم بأفضل ممّا جاؤوا به وأحسن. فكتب إلى الأستاذ جوذر عامله على المهدية بأن يحمل إليه من الخزائن التي تحت يديه

512

(261) نفس المصدر، 240. والقائد مع الحسن الكلبي هو فرج الخادم. ويبدو أنّ هذه الغزوة إلى قلورية هي التي نقل المؤلّف خبرها فيما سبق (ص 497) عن الحسن الأنصاري، وأرّخها صاحبه بالتاسع من ذي الحجة سنة 340.

أشياء وصفها له، ممّا يصلح أن يُبعث به إلى الملوك. وكان فيما كتبه إلى جوذر قوله في الكتاب:

المنصور يدعو
جوذراً إلى
انتقاء هدية سنّة
لملك
الروم

«وأنا أعرف من حرصك على أن لا يكون في الدنيا شيء حسنٌ إلا وهو عندنا وفي خزائنا، ممّا أظنه يحملك على الشحّ على النصارى بمثل هذا الذي أمرناك بإنفاذه إلينا. فلا تفعل! فإنّ ذخائر الدنيا في الدنيا تبقى، وإنّما أدّخرناها لمباهاة الأعداء، والدلالة على شرف أنفسنا وعلوّ همّتنا وسخاء قلوبنا بما تضيّن به النفوس ويشحّ به كلُّ أحد»⁽²⁶²⁾.

قال منصور الجوذريّ العزيريّ: «وكان المنصور بالله (صلع) من النظر إلى الدنيا بمثل هذه العين وسماحة نفسه، على حال مشهور ظاهر معروف، قدّس الله روحه وصلىّ عليه. فبعث (عم) بذلك إلى ملك الروم، إظهاراً لعزّ الإسلام/ وما آتى الله أوليائه من خزائن الأرض، وسماحة أنفسهم بالحطام».

513

قال القاضي النعمان بن محمّد (رضي الله عنه): «وسمعت المعزّ لدين الله (عم) يقول في فضل المنصور بالله (صلع): لمّا خرج المنصور بالله، صلوات الله عليه إلى ناحية تونس في حين إخراجه الأساطيل إلى غزو الروم نزل خربة (ط 339) قرطاجنة وهي لَمِنْ إحدَى عجائب الأولين في البناء، فأقام بها أياماً.

نقل آخر: إعجاب
المنصور
بآثار قرطاج...

«(قال): فدخلت عليه في صبحه يوم من تلك الأيام، فقال لي: أخبرك برؤيا رأيته البارحة عجيبة: أفكرت من الليل في عجائب هذا البنيان، فاشتغل قلبي به، وقلت في نفسي: ليت شعري من بناه؟ وهل هو واحد أم تعاقبه جماعة؟ وكيف كان

(262) سيرة الأستاذ جوذر، 61.

اقتدارُ من بناه عليه مع عِظَمه واتساعه؟ (ر 197 أ) وقلت: إن كان الذي بنى هذا ملكاً واحداً، فكيف اتسع لذلك والعمرُ لا يبلغه؟ وإن تداوله ملك بعد ملك، فكيف اتفقت آراؤهم على هذا المكان وقلما تتفق الأهواء على سكنى البلدان، سيما الملوك؟

«فَنَمْتُ وَأَنَا أَفَكِّرُ فِي ذَلِكَ. فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَيَّ، آدَمَ شَدِيدَ الْأَدَمَةِ، تَعْلُوهُ صُفْرَةٌ، خَفِيفَ الْعَارِضِينَ مَحْدُورًا⁽²⁶³⁾ معتدلاً القامة، عليه ثوب أبيض / قد أتشح به فسلم عليّ، فرددت عليه السلام وقلت: من أنت؟

قال: عبد من عباد الله بُعِثْتُ إِلَيْكَ.
قلت: مرحباً بك! ورفعت يدي إليه، فأكبّ عليّ وقبل عَضُدِي. وقلت له: اجلس! فجلس. وسكت أنظر ما يقول، فسكت وتبسم في وجهي تبسماً خفيفاً.

فقلت: يا هذا من أنت، وما له جثث؟
فقال: أنا صاحب هذه المدينة.
قلت: وكيف أنت صاحبها؟
قال: أنا الملك الذي ابْتَنَيْتُهَا، وَمَلَكَتُ أَهْلَهَا.
فقلت: وحدك أم شاركك فيها غيرك؟
قال: بل وحدي ابْتَنَيْتُهَا حَتَّى أَكْمَلْتُهَا وَسَكَنْتُهَا وَأَقَمْتُ عَمْرِي بِهَا إِلَى أَنْ مِتُّ فِيهَا.

فقلت له: لقد أعطيت ملكاً عظيماً وبَسْطَةً، أفما كان لك عدو فحاربته فشغلك عن هذا البناء؟
فحرك يده وجمع أصابع يديه جميعاً وقربهما وقال: كان لي عدو كثير، ومن ذا يخلو من الأعداء؟

(263) محذور بالحاء المهملة: سمين في غلظة.

قلت: فما كان دينك ومذهبك؟

قال: التوحيد.

قلت: فما صرت إليه؟

قال: إلى خيرٍ والحمد لله!

قلت: قد جمع الله لك أمر الدنيا والآخرة.

قال: وما تنكر من ذلك؟ إذا كانت هذه البقاع من هذه الأرض
قد منحت ما تراه من المنحة، فكيف بالأرواح الشريفة وما يخصها
الباري إذا ارتضاها؟

قلت: أجل، فما اسمك؟ فتسمي لي باسم لم أسمع بمثله
في لغة من اللغات ولا / عرفتُ معناه، إلا أنه كثير عدد الحروف.
«وقال المعزّ عليه السلام: أظنه قال: فيه مثل عشرة أحرف
وذكر بعضها. وقال: كتبها المنصور عليه السلام. (قال) ثم تحرك
للقيام، فقلت: ألا تجلس؟ أنست بك.

فقال: ما بُعثت إليك إلا وأنا على شغل، فإن أُحييت أن
تسأل عن شيء فاسأل عما بدا لك!

«(قال): فسكت مفكراً فيما أريد أن أسأله عنه، فقام ومضى،
وانتبهتُ»⁽²⁶⁴⁾.

وأقام أمير المؤمنين المنصور بالله (عم) بالمنصورية التي
ابتناها، في عظيم ملك ورفيع عزّ، قد فتح أبواب رحمته للمؤمنين
وأفاض عليهم علوم آبائه الطاهرين، وسقامهم من صافي تيارها
المعين، وأفاد الراغبين وهدى الطالبين، وولده وليّ عهده والخليفة
من بعده المعزّ لدين الله (صلع) قد انتصب معه وأستقام أمره، وعلا
ذكره، ولاذ الدعاة به، وجعلوه السبب بينهم وبين أمير المؤمنين،
وهو (عم)، مع فضله وسامي محلّه، أقرب قريب إليهم، يدنو منهم

فضائل المعزّ وليّاً
للعهد

(264) المجالس والمسائرات، 201 - 202.

ويؤنسهم ويخصّصهم بقربه وبرّه، ويدنيههم إلى والده ووليّ أمره، وقد اعتدلت الأمور، وخَفَّتْ أهلُ الشقاق والنفاق، لهيئة سيف وليّ الله الإمام المنصور.

516

ولم تطل الأيام حتى اعتلّ أمير المؤمنين المنصور بالله (عم) العلة التي كانت سبب وفاته. قال منصور العزيزي الجوزري فيما أتى عنه: «وآخر كتاب قرأته من كتب أمير المؤمنين المنصور بالله إلى الأستاذ جوذر عامله على المهدية، جواباً عن كتب كثيرة كتب بها الأستاذ فألفت الإمام عليلاً ثقيلاً فتأخّرت الجوابات مدّة، ثمّ انتبه (صلح) من علته فكتب إلى الأستاذ بخطّ يده بعد البسملة:

«صانك الله يا جوذرا وردت كتبك فوقفت على ما فيها وفهمت ما ذكرته من جميعها. وتأخّر الجواب لشغل مرّة وعلل مرّة، وضعف شامل للجسم كلّ. والحمد لله على كلّ الأحوال. وكلّ ما يكتب إليك أبو تميم، فمما أشفاه به. أستودعك⁽²⁶⁵⁾ الله».

فأمّا ما نعى به أمير المؤمنين المنصور بالله نفسه وأخبر باقتراب أجله، فمن ذلك ما رواه القاضي النعمان بن محمّد (رضي الله عنه) قال: «وقلب المعزّ لدين الله (صلح) يوماً كتباً وأنا بين يديه، وتصفح كتاباً منها فأدام النظر فيه ثمّ استعبر (ر 198 أ) وقد نظر إلى شيء في عرض الكتاب. ثمّ قال (عم): نظرت في هذا الكتاب وهو بخطّ المنصور بالله، فرأيت قصّر فيه وحال عن جودة/ خطّه المعروف، فلم أدر لم كان ذلك حتى رأيت هذا البيت في عرضه، وهو بيت تمثّل به، وهو قول لبّيد:

517

(265) في النسخ، وفي سيرة جوذر، 72: أستودعه.

(طويل)

بَلَيْنَا وما تبلى النجوم الطوالح وتبقى حصونُ بعدنا ومصانعُ⁽²⁶⁶⁾
ثم قال المعز: هذا نعي نعي به نفسه فحال خطئه، وأظنّ ذلك كان
في علته، وإلى هذه والله المصير⁽²⁶⁷⁾.

وعن القاضي النعمان بن محمد قال:

جلست يوماً بين يدي الإمام المعزّ لدين الله عليه السلام،
فجرى كلام قيل إنّه في بعض الكتب، فدعا بالكتاب الذي قيل إنّ
ذلك فيه لينظر إليه، فأتي برزمة من الكتب فوضعت بين يديه فجعل
يتصفحها كتاباً كتاباً [ليجد الكتاب الذي طلبه] إلى أن مرّ على يديه
كتاب فيه تعليقات بخط المنصور في ما كان يؤلفه، فلما رآه استعبر
وجعل يتصفحها حتى مرّ على موضع فأدام النظر فيه، ثم تنفّس
الصعداء وقال: والله لو لم يكن له غير هذا لكفى به معجزة من
أمره. وما رأيته قبل وقتي هذا.

ثمّ أَرَانَا ذلك وقال: هذه الخطبة التي أَلْفَهَا وخطب بها في
عيد الفطر الذي قُبِضَ بَعْقِيهِ⁽²⁶⁸⁾، كأنّه أراد أن يقول، ثمّ بدا له من
ذلك فتركه.

518 فنظرنا إلى ذلك بخطه/ نعرفه وقد ضرب عليه بعد أن كتبه،
وفيه: وقد مضت ليالي الشهر وأيامه، وحان انقضاء العمر وانصرامه.
ثمّ قال المعزّ عليه السلام: أراد والله أن ينعى إلينا نفسه ثمّ
بدا له من ذلك.

(266) مطلع مرثية في أخيه أريد (ديوان لييد، صادر، 88).

(267) المجالس والمسائرات، 104.

(268) توفي المنصور في آخر شوال 341 (19 مارس 952).

فأبكاني ذلك وقلت: وأي نعي أكبر من قوله يومئذ وقد انصرف من المصلّى ووقف بصحن القصر (ط 342) ويده على كتف أمير المؤمنين يوصيه بأوليائه وأهل مملكته وقد أحاط الناس به وهو يستعبر، وصيّة من قد أيقن بقرب الأجل؟ والله لقد كاذ يومئذ كلامه أن يصدع الأكباد. فكان من أعجب ما ظهر منه يومئذ للناس فرأوه عياناً وسمِعوه، وإن كان قليلاً من فهم ذلك، إلا بعد أن قبض عليه السلام⁽²⁶⁹⁾.

(قال): وذكر الإمام المعزّ لدين الله (صلع) يوماً - وأنا جالس بين يديه - ما لاقاه المنصور، - قدس الله روحه وصلى الله عليه وعلى آله وآبائه - من حرب أهل الفتنة إلى أن جلاها الله (تع) على يديه، وما مرّ عليه (صلع) في ذلك من التعب والنصب، ومقاساة السّفر ومباشرة الحرّ والقرّ، وما خرج إليه من ذلك دفعةً بعد الخفض والدعة من غير دُرية في ذلك ولا ممارسة، وما عرض له لذلك من العلل.

فقلت له: يا مولاي، / لئن كان قاسى لذلك جسيماً، فقد كشف الله (تع) بذلك على يديه عن الأمة بلاءً عظيماً، وحصّن به ... وجزع المعزّ عليه (عج) دينه من أن يبدل، وسنة نبيه محمّد (ﷺ) من أن تُغيّر.

فقال: أجل، وما زال (صلع) في محنة عظيمة ومزاولة شديدة إلى أن نقله الله إلى دار كرامته ومحلّ راحته وقرار جنّته.

ثم قال (عم): لقد دخلت إليه في آخر أيامه (صلع) وقد اشتدّت علّته، فرأيت منه ما عرفت له الموت في وجهه، فما تماكنت أن استعبرت، فنظر إليّ وقال: ما لك؟

(269) المجالس والمسائرات، 240.

قلت: أفكرت فيك وفي المهديّ بالله - قدّس الله روحه - وأنه قدّ أفضى الله (تع) إليه بما أفضى به من كرامته وإن كانت المحن قد عارضته، فقد آل أمره إلى راحة طويلة ودعة ونعمة. وأنت - صلوات الله عليك - فمذ أفضى الله (عج) بهذا الأمر إليك لم تنفك من الحروب والمقارعة والأسفار والمزاولة إلّا إلى العِلل والأسقام والأمراض والآلام، فأسأل الله لأمر المؤمنين تعجيل الراحة ودوام العافية.

فقال: لئن قلت ما قلت فيما عرفته وظهر (ط 343) إليك، للذي استتر وغاب عنك أكثر. أتدري مُدّ كم أنا أزاول المحن؟
قلت: مُدّ كم يا أمير المؤمنين؟

520

قال: مذ والله قبض الله المهديّ بالله (عم) صُرِفَتْ / إليّ المحنُ العظام، وإن كنت لَمَمْتَحَنًا قبل ذلك بِمَحَنٍ كثيرة: إنه لما كان من أمر الله في المهدي (صلع) ما كان، لم يتقدّم القائم (عم) للصلاة عليه حتّى أخذ بيدي وخلا بي فقلّدتني عهدَه [وأسرّ إليّ ذلك واستكتمني إياه. فوالله، ما علم بذلك منه إليّ، بعد الله، غيري]⁽²⁷⁰⁾ وأقيمت مدّة أيام حياته ثلاث عشرة سنة أنظر إلى من قُرب منه ومن بُعد عنه (صلع) يسعون بالفساد في دولة هي لي قد قلّدتني الله أمرها، وأنا كأقلّ الأبعدين لا أمر ولا أنهي، ولا أتعرض

(270) سقطت هذه الفقرة من النقل هنا، وقد وردت في النقل الأوّل لكلام المنصور

هذا (ص 240) وفي المجالس والمسايرات، 448.

وفي قضية كتمان القائم والمنصور للتعين، ينظر التعليقات في ص 448 من المجالس والمسايرات، مع الإحالات.

هذا، وقد تعرّض الداعي إدريس إلى هذا الموضوع فيما سبق (ص 332

وهامش 209).

لشيء أنكره ولا أومىء إليه، ولا إلى شيء يتوهم من أجله عليّ شيء مما أنا فيه، وأهل خاصتي يؤذون ويستطال عليهم فلا يجد عندي أحد منهم نصرة ولا قياماً أكثر (ر 199 أ) من أن أقصيه عن نفسي وأبعدهم عن قربي، ويُنال مني وأسمع، وتهضم أموالي وتوكل، وأنا في ذلك كله بمعزل أتجرع غصص الغموم وأتحمل فادح النوازل صبراً على ما حُمِلت، وقياماً بما قُلدت، وحفظاً لما استرعت، وصيانة لما استودعت، من أن تشخصني فيه آبهة القدرة أو أن يظهر عليّ منه عز المملكة. ولو بقيت على ذلك أيام حياتي ما عدوت ما كان مني، ولو شئت لبسطت يدي ولساني وأنفذت أمري، لأن الله (تع) قد جعل إليّ ذلك. ولكني / لم أزل على ذلك من حالي إلى أن كان من أمر الله (تع) في القائم (عم) ما كان، وكان من الأمر ما قد انتهى إليك وشاهدته، وذلك هو الذي علمت. وإنه - في جانب ما قد مضى عليّ ولقيته من قبله - لأقل من أن ألتفت إليه أو أذكره.

محنة المنصور في
أيام
القائم...

521

فاستعبرت لما سمعته من ذلك، وأكثر من الصلاة على المنصور (عم) وقلت: يا مولاي، هذا والله الصبر الذي وعد الله (تع) أن يوفّي أهله أجرهم بغير حساب.

.. بكم ولايته
للمهد

ولقد رويانا عن عليّ (صلع) ما ذكره مما امتحنه الله به في حياة رسول الله (ﷺ) وبعد وفاته من المحن التي يمتحن بمثلها أوليائه، فما بلغت كلها ما ذكره المنصور (صلع) في هذه الواحدة وما قد عرفنا من حاله يومئذ وما جرى عليه مما أجرى جملة خبره في حديثه هذا. ولقد كنا نتعجب من خموله وتواضعه وتوقيه [أيام القائم] (271)، ومحله منه محله، ونحن لا ندري ما أفضى الله به إليه يومئذ ونستعظم ذلك منه. فكيف لو علمنا بما أصاره الله (تع) إليه؟

(271) الزيادة من المجالس، 449.

فقال المعزّ لدين الله (صلع): إِنَّ عَلِيًّا وَإِنْ كَانَ قَدْ امْتَحَنَ بِمَا /
امْتَحَنَ بِهِ، لَمْ يَكُنْ يَدْعُ (صلع) شَيْئاً فِي نَفْسِهِ يَحْمِلُ لَهُ عَلَيْهِ حَتَّى
يَضْرِبَ بِهِ وَجْهَ الْمُخَالَفِينَ لَهُ وَالْمُعَانِدِينَ عَلَيْهِ وَالْمُتَخَلِّفِينَ عَنْهُ، إِمَّا
تَصْرِيحاً وَإِمَّا تَعْرِيفاً، وَفِي ذَلِكَ بَعْضُ مَا يُسَلِّي الْغَمَّةَ وَيَذْهَبُ
الْغُلَّةَ. وَالْمَنْصُورُ (صلع) كَالْمَغْضِيِّ عَلَى شَوْكِ الْقِتَادِ وَالْقَابِضِ عَلَى
جَمْرِ الْغَضَا، ثُمَّ لَا يَرَى أَنَّهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَخْصَصَ النَّاسَ بِهِ
وَأَقْرَبَهُمْ إِلَيْهِ، صَلَاةُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ مِنْ صَابِرٍ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ
مَحْتَسِبٍ فِيهِ. فَضَاعَفَ اللَّهُ لَهُ أَجَرَ ذَلِكَ وَأَحْسَنَ عَلَيْهِ جَزَاءَهُ! (272).

وفيما رواه عن المعزّ لدين الله (عم) قال: «سمعت المنصور
بالله (صلع) يقول: «إِنَّمَا يَسْتَحِبُّ الْفَاضِلُ الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا لِيُظْهِرَ اللَّهُ
(عج) مِنْهُ مَا هُوَ كَامِنٌ مِنَ الْخَيْرِ فَيَعْظُمُ ثَوَابُهُ، وَيَجُلَّ فِي الدَّارِ
الْآخِرَةِ قَدْرُهُ، وَإِلَّا، فَإِنَّ الَّذِي لَهُ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلُ مِمَّا فِي
الدُّنْيَا» (273).

قال القاضي النعمان (رضي الله عنه): «وسمعت المعزّ (صلع)
يقول: لَمَّا احْتَضَرَ الْمَنْصُورُ (عم) وَقَرَّبَ مِنْهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا قَرَّبَ،
أَغْمِيَ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُ مِنْهُ مَنْظَراً لَمْ أَتِمَّالِكْ لَهُ أَنْ بَكَيْتُ. وَأَفَاقَ وَأَنَا
أَبْكِي. فَقَالَ: مَا لَكَ؟ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنِ الْبُكَاءِ؟

وقلت: وكيف يحسن الصبر بمن يراك / على هذه الحال (ط 345) يا
مولاي؟

فقال: ما جازيتني جزائي: أنا أسرُّ لك وأفرح بما يصير إليك
بعدي من عاجل الدنيا، ويسوءك أنت وتحزن بما أصير إليه من نعيم
الآخرة! لا تعد إلى هذا! ولا تستقبل ما خولك الله من دولتك

المنصور ينهى
المعزّ عن الجزع
عليه

(272) المجالس والمسائرات، 248 - 250.

(273) هذه الفقرة من غير المجالس.

بالحزن والبكاء، بل فأفرَح بما آتاك الله من دنياك، وما أصارني إليه وأعطاني في آخرتي»⁽²⁷⁴⁾.

«قال المعزّ (صلع): وكان فيما أوصاني المنصور (صلع) عند وفاته أن قال لي: دع عنك ملازمة قبري والاختلاف إليه! فإن ذلك يبعث الحزن ولا يؤدي إلى غاية من الحزم، وإتما يفعلهُ الجهال من الرجال. فإن لم يكن لك من ذلك بدّ، فالوقفة بعد المدّة للترحم، ثمّ تنصرف بسرعة. ومن عرف مصير الأرواح، لم يلتفت إلى محلّ الأبدان»⁽²⁷⁵⁾.

قال القاضي النعمان بن محمد: سمعت الإمام المعزّ لدين الله (صلع) يقول: دَخَلْتُ على المنصور بالله عليه السلام في مرضه الذي توفّي فيه وقد اشتدّ به. وبين يديه الدواة وقد أخذ صحيفة ليكتب فيها، وتناول القلم فلم تُثَبِّتْ يده فسقط على ثوبه فغيّره مدّاه. فلما رآني قال: أتدرّي ما هذا؟

قلتُ: ما هو يا مولاي؟ (ر 200 أ).

قال: «ظهر والله / في قلبي وأطلّعت [نفسي] الآن من علم الله وحقيقة توحيده وغيب مُلكه»⁽²⁷⁶⁾ على ما لم أكن أظنّ أنّي أطلّع على مثله ولا أستطيع، لما أنا فيه، اللفظ به. فدعوتُ بالدواة لأكتب ذلك وأفيدك إيّاه، فلم أملك القلم. وأخذ مكان المداد في ثوبه بأطراف أصابعه وقال: هذه معذرتي إليك!

524

(274) هذه الفقرة من غير المجالس.

(275) المجالس والمسائرات، 131.

(276) في المجالس، 129: ملكوته. وسقطت «على» منها ومن النسخ، فزدناها وفقاً للسياق.

ثم قال: وهذه بشرى من الله في مثل هذا المقام وما يُطلَعُ أوليائه عليه في حين قبضهم إليه.

قال المعز عليه السلام: فما أدري كيف فُجعت به من ذلك وما داخطني له. ولكنني تجلّدتُ وقلتُ: يُبقي الله أمير المؤمنين ويمدُّ في عُمره ويُنسيء في أجله.

فقال: هيهات! قد والله قُرب الأجل وأزف الوقت!

فما كان بأوشك من أن قبضَ صلواتُ الله عليه ورحمته وبركاته»⁽²⁷⁷⁾.

«(قال): وخدمت المهديّ بالله صلوات الله عليه من آخر عمره تسع سنين وشهوراً وأياماً»⁽²⁷⁸⁾، والإمام القائم بأمر الله من بعده (صلع) أيام حياته، في إنهاء أخبار الحضرة إليهما في كل يوم طول تلك المدة إلا أقلّ الأيام. وكان لهما صلوات الله عليهما من النعم والفضل عليّ في ذلك ما لا أحصيه عدداً ولا أقوم ببعض شكره أبداً.

525

«وكنيت أخدم المنصور بالله صلوات الله عليه/ بعض أيام المهديّ بالله صلوات الله عليه وأيام القائم (صلع) كلّها، وكانت له عليّ من النعم والآلاء ما لا أحصي عددها. وكانت خِدمتي إياه في جمع الكتب له وانتساخها»⁽²⁷⁹⁾. فلما قبضَ القائم صلوات الله عليه،

جزع النعمان على المنصور..

(277) المجالس والمسايرات، 129.

(278) في خصوص دخول النعمان في خدمة الخلفاء الفاطميين مباشرة، انظر ص 79 من المجالس والمسايرات، التعليق رقم 1، وقد خضنا أيضاً في سنّ القاضي وتاريخ ولادته وناقشنا الافتراضات المختلفة.

(279) بحثنا كذلك - ص 80 من المجالس، هامش 3 - مسألة الخطط التي تولّاها النعمان، ومنها «صاحب الخير» كما تدلّ عليه عبارته «وانهاء أخبار الحضرة إليهما»، وأمين مكتبة المنصور.

استقضياني قبل أن يُظهر أمره⁽²⁸⁰⁾ - وكنت أول من استقضاه من قضايته - وأعلى ذكرى ورفع قدرى، وأنعم عليّ من النعم بما لو أخذت في وصفه لقطع بطوله ما أردت ذكره. فلم تكن قبله عليّ نعمة أعظم من نعمته مع الذي افترض الله عز وجلّ عليّ من معرفة حقه ومودته. فلم يكن في أيامه أحد أعز عليّ منه ولا أعظم قدراً ولا أجلاً في قلبي خطراً. وكنت إذا تمنيتُ كان أفضل ما أتمناه أن أموت في أيامه وعلى رضاه (ر 200 ب).

«فلما اعتلّ صلوات الله عليه العلة التي قبض فيها تداخلى لذلك دُعرٌ شديد وخوف عظيم. وكان المعزّ لدين الله صلوات الله عليه في أيامه سببي إليه، ومعولي في جميع أموري عنده عليه، وكنت ألقاه، والمنصور على عِلّته، فأسأله عنه فيذكر من صلاح حاله ما أسكنُ إليه. ثم استأذن لي يوماً في جماعة من الأولياء فادخلني عليه، فرأيتُه شديد العلة ضعيفاً، فما خرجت من بين يديه حتى كاد قلبي يذوبُ وجعلت ألقى المعزّ [كلّ يوم] فأسأله عن حاله / فيذكر أنه صالح الحال، وأنا أرى في وجهه صلوات الله عليه من أثر الغم ما غيره وأحاله عما كان عليه من الإشراق والنضارة، وأرى كلّ يوم ذلك يزيد به، والغمّ بذلك يتضاعف عليّ، حتى رأيت من حال المعزّ لدين الله صلوات الله عليه ما أربى غمي .. ومواساة المعزّ به على غمي بما كنت أتوقّعه في المنصور صلّى الله عليه وآله.

526

له

«حتى خرج في اليوم الذي قبض فيه، (ط 247) ولا علم لي بذلك فلقيته بحسب ما كنت ألقاه. ورأيتُ ظاهر حاله أصلح ممّا كنت أراه، فسررت بذلك ثم سألتُه سؤال مستبشّر عن المنصور قدس الله

(280) أي قبل أن يعلن عن وفاة القائم بصفة رسمية بعد الظفر بأبي يزيد في المحرم

روحه، فقال لي: يا نعمان، إذا كانت هذه الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض والجبال زائلة ذاهبة فانية، فما ظنك بما دونها من هذا البشر؟ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران، 185) كما قال الله جلّ ذكره: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص، 88). فعلمت أن المنصور قد قبض (صلع). وهجم عليّ من ذلك ما كدت أن أسقط له إلى الأرض. ثم تداركت نفسي، ورأيت الناس حولي، فاستكننت وقلت كلاماً نحو ما قاله المعزّ صلوات الله عليه لا أفهمه، وأنسانيه ما كنت فيه. وانصرفت عنه والعبرة تخنقني والدموع تبدو من عيني حتى صرت إلى خلأ في الفحص، فأرسلت عيّرتي / ورفعت (ر 201 أ) عيّرتي ويكثت كذلك ملياً حتى خفت ذلك عني وأقمت أياماً على ذلك: إذا امتلأ صدري وعيل صبري خرجت إلى ذلك المكان فاستفرغت ما عندي»⁽²⁸¹⁾.

527

وكانت وفاة أمير المؤمنين المنصور بالله، صلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته ورضوانه، عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين، في آخر شوال من سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة (19 مارس 953). فأظهر أمير المؤمنين المعزّ لدين الله من الصبر من بعده والتأسي لفقده ما أظهر المنصور بالله أوان وفاة القائم بأمر الله (عم)، ولم يشقّ عليه جيب ولا ضرب عليه وجه، وذلك لما أوصى به المعزّ.

وفاة المنصور (آخر شوال 19/341 مارس 953)

وكتب أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (صلع) إلى عبده جوذر عامله على المهدية، فكان كتابه⁽²⁸²⁾:

(281) المجالس والمسائرات، 79 - 82.

(282) سيرة الأستاذ جوذر، 73 - 74.

«باسم الله الرحمان الرحيم»
«الحمد لله على ما أبلى وأولى حمداً كثيراً»

«سَلِّمْكَ اللهُ يَا جَوْذِرَا قَدْ نَعْلَمُ اتِّصَالَكَ بِنَا وَتَمَسُّكَكَ بَوْلَايَتِنَا وَمَحَلُّكَ فِي صَدُورِنَا، وَتَقَرَّرَ عِنْدَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَكْفِي وَيَغْنِي عَنْ التَّعْدَادِ، وَمَا أَظْنَهُ (ط 248) يَخْفَى عَلَى الْمَوْشُوسِينَ وَالْقِرْدَةِ الْمُخْزِينَ، فَضْلاً عَنْ ذَوِي الْوَلَايَةِ وَالطَّاعَةِ. فَكَيْفَ بَمَنْ اجْتَمَعَتْ لَهُ الْوَلَايَةُ مَعَ الْقَدَمِ، وَالرَّضَى مِنْ جَمِيعِ الْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ الْفَاضِلِينَ / صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ؟ إِنَّ اللَّهَ، وَلَهُ الْحَمْدُ، خَلَقَ الْخَلْقَ لِإِظْهَارِ جُودِهِ وَفَضْلِهِ، وَرَزَقَهُمْ بِمَنِّهِ وَإِحْسَانِهِ، وَقَهَرَهُمْ بِالْمَوْتِ لِيُعْلَمَ الْمَخْلُوقِينَ أَنَّهُ، جَلَّ جَلَالُهُ، هُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِالْبَقَاءِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ. فَلَمْ يَبْقَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الدُّنْيَا الْخَسِيسَةِ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلِكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا إِمَامٌ فَاضِلٌ وَلَا خَسِيسٌ رَذِلٌ، إِلَّا صَارُوا إِلَى الْحَكَمِ الْعَدْلِ، فَتَعَالَى اللَّهُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

528

المعزّيني

المنصور لجوذر..

«وَمَنْ كَانَتْ حَالُهُ عِنْدَنَا كَحَالِكَ، وَجِبَ أَنْ تُشْرِكَهُ فِي سُرُورِنَا وَحُزْنِنَا، وَفِي جَمِيعِ مَا تَصَرَّفَتْ بِهِ أَحْوَالُنَا. وَكَانَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ السَّابِقِ وَأَمْرِهِ النَّافِذِ أَنْ أُجْرَى عَلَى (ر 201 ب) مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُكْمِهِ وَقَضَائِهِ مَا أَجْرَاهُ عَلَى آبَائِهِ الْمَهْدِيِّينَ وَجَدَّهُ مُحَمَّدَ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. فَامْتَحَنَنِي بِفَقْدِهِ وَأَوْحَدَنِي مِنْ بَعْدِهِ فِي الدِّيَارِ الْمَوْحِشَةِ وَالْقُصُورِ الْخَالِيَةِ، وَالْبُلْدِ الْمَشَاقِقِ، بَيْنَ كُلِّ عَدُوٍّ وَفَاسِقٍ، قَدْ اجْتَمَعُوا مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ مِنْ شَرْقٍ وَغَرْبٍ، وَبَرٍّ وَبَحْرٍ. فَأَنَا فِيهِمْ الْفَرِيدُ الْغَرِيبُ الْوَحِيدُ، الْمُتَوَكِّلُ عَلَى ذِي الْقُوَّةِ الْمَجِيدِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ!

«مَا أَعْظَمَ مُحْتَتِي، وَأَشَدَّ بَلِيَّتِي، وَأَكْبَرَ رِزْيَتِي! فَعَلَى اللَّهِ أَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ أَفْوُضُ.

على عظام النبيين وعلى الأمام المنصور، صفوة الرضا
والجديته ربه العالمين قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنهما
واستفاضوا بالنصير، صلى الله عليه وسلم ورى أمير المؤمنين المعز لدين الله
كل يوم صل ويصبر صبره ويحسن ظاهره وإذا علم من مكانه
عند وجهه كان لديه وهو قومه من قلبه ما فكر كنت أخاف عليه
إن أحدث به حادث من أجله فليت منه من العز والصلة
والتجمل وجميل الأمر ما قد أتيت إن ذكر الابتقال الإمامة
اليه ورأيت ثانياً لها وخائلاً لها فيه وأنا على ذكرها أعلم جزعاً
غير أنه سهل على بعض ما رأيت من سيرة أمير المؤمنين المعز لدين
الله وحسن عزائه وما منحه الله من التسطر والكفاية وإياه
من الصنع والرعاية وظننه علم رى ثم ظاهراً لي ما بين إيشارة
الجرح عندني وقل عبدي في قوتي التي ما بخطه بالغا فاحسن
عزاه وجميل صبره راعى الكثرة مني وهو لا يبقى وانت أحسن
عندنا ما كنت وأحله عنده ونحن كنا بسبيل اليه ولن يقطع
ذكر السبب لدينا لكن أنشأ الله فطرب نفساً وقرعنا فاحسن
بنا ظنك وتكفن إلى ما تحبه لدينا نفسك فبيننا كنت أخشى
من الوجد عليه أضرار بعد بني عن صلح لتأيد الله له وتوفيقه
إياه وما وهب له من جميل المناداة وجزاه من حسن العادة والمجاهرة
الذي إليه مرجع الأمور كلها المنزلة على خير ما نفع من أئمة
أوتيت بها فأت بجزيل منها أو مثلهما وصل الله على عظمائهم من
اعتصم من عازته بنين جبالها وعلى رصير وعازته التي بارأيه

«فعليك فيما/ قبلك بالاحتراز ما أمكنك، والضبط ما

استطعت، ومنع هؤلاء القردة من الوصول إلينا، والخروج من أبواب بيوتهم، فضلاً عما سوى ذلك. والكتمان ثم الكتمان، عن الأهل والخاصّ والعام⁽²⁸³⁾! وإن اتّصل بهم شيء من ذلك فكذب ما استطعت، وخوفهم ما قدرت! ولا تحمّل نفسك من الهمّ والغمّ ما لا تحمله، وأعلم أنّه لو كان ذلك نافعاً، لتقدّمتك فيه أنا، والخلق أجمعين، واضطّلمت نفسي من قبل هذا اليوم. ولكن لا رادّ لأمر الله، ولا دافع لقضائه، ولا متوفّي دون أجله! يقول الله جلّ من قائل: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف، 34). فواغوثة بالله من شدة فجيعتنا! وواغوثة من عظيم مصيبتنا! عجل الله لنا الاجتماع معه، والحشر في زمرة، والورود معه على حوض جدّه! فيا سروراً اتّصل بالمهديّ بالله، والقائم بأمر الله، ويآبائه البررة من كريم هذه الجوهرة! ويا عظيم داهية ولد فاطمة بعده!

.. ويأمره بكتمان
الخبر
عن الخاصّ والعامّ

«أستغفر الله لنفسي من الزلل، وأتوكّل عليه في التوفيق للعمل بما يرضيه ويزلف إليه. والسلام عليك.

«وصلّى الله (ر 202 أ) على محمّد خاتم النبيّين وعلى الإمام المنصور صفوة الوصيّين، والحمد لله ربّ العالمين».

قال القاضي النعمان بن محمّد (رضي الله عنه): /«واستفاض

(283) التكتّم عن موت المنصور. يرى ماريوس كانار في ترجمة السيرة، تعاليق 159، 161 و 203 أنّ المشبوه فيهم والمحلّ منهم هم إخوة المنصور وعمومته، وهم المقصودون في نظره بعبارة «القردة المخزيين». وقد نبّه ناشرا السيرة أيضاً إلى الخصومات والدسائس الجارية في قصور الخلفاء وأولادهم (انظر التعليقين 68 و 69 من هوامش السيرة وكذلك التعليقين 74 و 80). والرسالة إلى جوذر توجد في السيرة، ص 73 - 74 كما قدمنا.

أمر المنصور (صلح) وأرى المعز لدين الله كل يوم يتسلى ويزيد صبره ويحسن ظاهره، وأنا أعلم من مكانه عنده ومحله لدينه وموقعه من قلبه ما قد كنت أخاف عليه إن حدث به حادث من أجله. فرأيت من العزاء والصبر والتجلد وجميل الأمر ما قد أيقنت [معه] أن ذلك لانتقال الإمامة إليه. ورأيت تأثيرها ومخايلها فيه. وأنا على ذلك ما أتمالك جزعاً [وهلعاً]. غير أنه سهل عليّ بعض ذلك، ما رأيته من صبر المعز لدين الله صلوات الله عليه وحسن عزائه وما منحه الله جل ذكره من القسط والكفاية وأولاه من [لطيف] الصنع والرعاية.

تجلد المعز في مصابه

«وأظنه (صلح) رأى في ظاهر حالتي ما بين له شدة جزعي وقلة صبري. فوقع إليّ يوماً بخط يده [أعلاها الله]: يا نعمان، ليحسن عزائك ويجهل صبرك! فمولاك مضى، ومولاك بقي. وأنت واجد عندنا ما كنت واجداً عنده. ونحن كنا سببك إليه ولن ينقطع ذلك السبب لدينا لك إن شاء الله تعالى، فطب نفساً وقر عيناً وليحسن بنا ظنك وتسكن إلى ما تحبه لدينا نفسك!»

فبينا أنا كنت أخشى من الوجد عليه إذ صار يعزيني عنه، صلوات الله عليه، لتأييد الله له وتوفيقه إياه وما وهب له من جميل المأدة وأجراه عليه من حسن العادة⁽²⁸⁴⁾.

والحمد لله الذي إليه مرجع الأمور كلها، المنزل على نبيه ﷺ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴿ (البقرة، 106). وصلى الله على محمد الفائز من اعتصم من عترته بمتين حبها، وعلى وصيه وعترته التي أبان الله عظيم فضلها. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(284) المجالس والمسائرات، 82.

قَبْلَكَ بِالْإِحْتِرَازِ مَا امْتَنَكَ وَالْخَبْطَ مَا اسْتَطَعْتَ وَمُنَحَ
 هُوَ لَا تَقْدِرُ مِنَ الْوَصُولِ الْيَنَاءَ وَالْخُرُوجِ مِنْ أَبْوَابِ بَيْتِهِمْ فَضْلًا
 عَنْ مَا سَوَّدَ لَكَ وَالْكَتْمَانِ ثُمَّ الْكَتْمَانِ عَنْ لَدُنْهِ وَالْخَبْرَ وَالْعَامَ
 وَإِنْ اتَّصَلَ بِمَنْ شَاءَ مِنْ ذَلِكَ فَكَذِبَهُ مَا اسْتَطَعْتَ وَخُوفَهُمْ
 مَا قَدَّرْتَ وَلَا تَحِلَّ نَفْسُكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَلَا تَعْلَمُ مَا عِلْمُكَ لَوْ كَانَ
 ذَلِكَ نَافِعًا لَتَغَدَّ بِكَ شَيْءٌ أَوْ الْحَقُّ أَجْمَعِينَ وَأَصْعَلَيْتَ نَفْسِي
 مِنْ قَبْلِ عَذَابِ السُّورِ وَكَذَلِكَ لَا رَدَّ لِي إِلَهُ وَلَا دَافِعَ لِعِقَابِهِ وَلَا
 مَتَوَلِّيَ دُونِ أَجْلِ يَقُولُ اللَّهُ حُلِّمْ مِنْ قَائِلٍ فَإِذَا ابْتَدَأَ الْجَلِيمُ
 فَلَا يَسْتَأْخِرُ مِنْ سَاعَةٍ وَلَا يَسْتَقْدِرُ مِنْ قُوَّةٍ وَثَابَ بِاللَّهِ
 شِدَّةً فَجَعَلْنَا أَوْ غَوَّاهُ مِنْ عَظِيمٍ مَصْنُوبًا لِحُجْلِ اللَّهِ لَنَا
 الْجَمْعُ مَعَهُ وَالْحَشْرُ لَمْ يَزِدْهُ وَالْوَرْدُ مَعَهُ عَلَى حُضْرٍ
 حِينَ فَيَأْسُرُ وَرَأَيْتُ بِالْمَهْدِيِّ بِاللَّيْلِ بِأَمْرِ اللَّهِ
 بِأَيَّامِهِ الْبَرَّةِ مِنْ كَرِيمٍ عَذَابُ الْجَحِيمِ وَيَا عَظِيمَ دَاهِيَةٍ وَلَدَ
 قَاطِعَةٍ بَعْدَ اسْتِغْفَارِهِ لِنَفْسِي مِنَ الزَّلَّةِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ فِي
 التَّوْفِيقِ لِلْعَمَلِ بِمَا يَرْضِيهِ وَيُزِيلُ لِيهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى آلِهِ أَمَامِ الْمَنْصُورِ صَفْوَةِ الْأَوْيَاتِ
 وَالْمُهَذَّبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَتُهَا النَّبِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

عليه

راية واستفاض امر النصوص صلوات الله عليه وآله
 امير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه وآله
 وينبغي صبره ونجس ظاهره وانا اعلم من مكانه عناءه وحمل
 كان ليدته وموقعه من قلبه ما قد كنت احاي عليه ان حدث
 به حادث من اجله فرائت منه من العراء والصبر والقلد
 وجميل الامور ما قد ايفت ان ذلك لا تنقل الامامة اليه
 ورأيت تانيه حار ونحايه لعمالي وانا على ذلك انما الكثر عا
 غير انه سهل عليه بعض ذلك ما رأيت من صبر امير المؤمنين
 المعز لدين الله وحسن عرايه وما منعه الله من انقطاع
 الكفاية واولاه من الصنع والرياسة وافقه صلوات الله عليه
 رأي في ظاهره حاله ما بين له شدة الخزع عندي وقل
 فوقع الي يوم ما يخطر ^{ليحسن} عزاله ويحمل صبرك
 فولاك معي ومولاك بتي وانت واجد عندنا ما كنت واجد
 صديقه ونحن كما سببنا اليه ولن ينقطع ذلك السبب لدينا
 لك ان شاء الله غطب نفسا وقر عيننا وليحسن بنا ظنك وان تكن
 الي ما قبله لا ينافسك فينا كنت اخت من الوجه عليه
 اذ صار بعزني صلاوات الله عليه لتانيه الله له

خاتمة الأصل المعتمد، وهو نسخة «هـ» (الهمدانية)

تَمَّت تمام بعون الله تعالى وحسن توفيقه ومادّة وليّه في أرضه، سلام الله عليه، في تاريخ الثامن عشر من جمادى الأخرى، يوم الجمعة، من سنة 1310 / (1898). كتبه عبد سيّدنا ومولانا طول الله عمره، يوسف ابن المرحوم محمّد عليّ، ساكن سورت، غفر الله ذنوبهما وحشرهما في زمرة سيّدنا محمّد وآله الطاهرين أجمعين.

يا قارئ الخطّ، قل بالله، مجتهداً آغفر لكاتبه، يا خير معبود

خاتمة المخطوط المقابل به، نسخة «ر» (رحمة الله)

تَمَّت النسخة المباركة الموسومة بـ «عيون الأخبار» من تأليف الداعي الأجلّ، الذي كان مثواه في العلوم أحلّ، ولم يجار فيما أتى به وجعل، واستنبط من العلوم الإلهيّة ونقل، سيّدنا ومولانا إدريس عماد الدين بن الحسن، قدّس الله روحه، ورزقنا شفاعته، ولا حرماً مقبول ضراعتة، بقلم أحقر الغلمان وعبيد داعي الزمان غالب بن عليّ حسين محسن الجبليّ اليعبريّ، في عام غفرانك في الهجرة المنوّرة على صاحبها أفضل الصلوات وأتمّ التحيّات وأزكى التسليمات الطاهرات، في عصر عصرة الدهور، وداعي النشور، وسلطان النضور، ومعنى البيت المعمور، الراقي على الذروة من الطور، سيف الله المشهور، وعلمه المنشور، سيّدنا ومولانا أبي محمّد طاهر سيف الدين، أطال الله عمره في التأييد، وحشرنا معه في المآب، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه، بمَنّه وفضله، نهار الجمعة لخمس عشرة ليلة خلت من شهر شوّال 1351 / (1931).

الفصل السابع

خِلَافَةُ الْمُعَرِّ
(975/365 - 953/341)

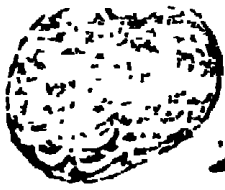
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ فَتَعَيَّنَ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الْجَامِعِ أَوْلِيَاءَهُ مُنْقَلِقَةً أَسْبَابَ النِّجَاحِ الْقَائِلِ
 تَعَاثِي كَرِيمِ كِتَابِهِ تَلْكَ الرِّسْلَ فَضْلَنَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ
 مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهَ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ وَوَصَّلَى اللَّهَ
 عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ الْوَسِيلَةَ إِلَى اللَّهِ الَّذِي فِي غَلْظِ سِتْرِهِ
 الدَّعَوَاتُ وَعَلَى وَصِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَآلِهِمَا أَفْضَلُ
 السَّلَامِ وَاسْمِ الصَّحَابَةِ ذُرِّيَّةٍ مِنْ أَجْنَابِ الْكَانِ فِي أَيَّامِ
 الْأَمَامِ الْمُعْزَلِينَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاسْمِ أَبِي تَحِيْمٍ
 ابْنِ إسماعيلَ النَّصْرِيِّ بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ
 عَلَيْهِمَا وَعَلَى آلِهِمَا الطَّاهِرِينَ وَابْنَيْهِمَا الْأَكْرَمِينَ قَدْ ذَكَرْنَا
 فِي إِخْبَارِ الْأَمَامِ النَّصْرِيِّ بِاللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 وَلَهُ الْأَمَامِ الْمُعْزَلِينَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَذَكَرْنَا الْأَنْبِيَاءَ مِنْ بَعْضِهِمْ مَا أَنَا لَهُ
 فَضْلُهُ خُصَّةً بِذَلِكَ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَوَحِّجِ فِيهِ إِدْرَاكُهُ وَنَاقِي بِنْدِ

ذم
 الصلوات

تَابَتْ قِيَامُهُمْ
 مَا بَاتَ ذِكْرُهُمْ
 مَرَّاضَارُ
 وَأَبَانُهُ

في القول

السبع السادس: الورقة الأولى.



القول
تحتضرها و تأتي منها بجلالها و بالله نستعين و علمه
يستحق كل و شوقنا مع اسبوعين من ائمة دور النبي محمد ^{صلعم}
القائمين بعد الرضا امير المؤمنين علي و أربع اربعة من
ائمة الظهور الذين اولهم جده امير المؤمنين ابو محمد
الامام المهدي بالله صلعم و كان القاضي النعمان ^{رض}
من يتقدمت له القدم في خدمة الامام المهدي بالله عم
في اخر خلافته و كان قد ظهر فضل القائيم بامر الله عم
له و اخيره ثم اطلعه الامام المهدي بالله على فضل
ولد فله الامام المنصور بالله و انه ثالث الائمة
في الظهور قال يا امير المؤمنين ^{تلقه} ثلاثه ائمة في عصر واحد
يستكثر ذلك فاره الامام المهدي بالله المعز لدين الله
و هو صبي في مهده و قال هذا راغبنا يا نعم و قد جمع
في وقت ابراهيم الخليل النبي و اربعة و هم ابراهيم الخليل النبي
المرسل في دور الذي اوحى الله اليه فقال ارجع اهلك
للناس اماما قال و من ذريتي فكان معه اسمعيل و

السبع السادس: الورقة الأولى.

ذكر نُبذ من الأخبار ممّا كان في أيّام الإمام
المعزّ لدين الله
أمير المؤمنين معذّ أبي تميم بن إسماعيل المنصور بالله،
صلوات
الله عليهما وعلى آبائهما الطاهرين وأبنائهما الأكرمين..

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله الجاعل أوليائه لخلق أسباب النجاة، القائل (تع)
في كريم كتابه: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، مِنْهُمْ
مَنْ كَلَّمَ اللَّهَ، وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ (البقرة، 253).

وصلّى الله على رسوله محمّد، الوسيلة إلى الله، الذي بفضله
تُستجاب الدعوات، وعلى وصيّيه عليّ بن أبي طالب وآلهما أفضل
السلام وأسنّى التحيّات.

قد ذكرنا في أخبار الإمام المنصور بالله (صلع) ما تأتّى ذكره
من أخبار الإمام المعزّ لدين الله أمير المؤمنين، صلوات الله عليه
وعلى آبائه والطاهرين من أبنائه. ونذكر الآن بعض⁽¹⁾ ما آتاه الله من
فضله وخصّه به، وما كان من الفتوح في أيّامه، ونأتي بنذ من
القول نختصرها، ونأتي منها بجُمليها، وبالله نستعين وعليه نتوكّل.

(1) في الأصل وفي المطبوع: من بعض.

هو سابع أسبوعين من أئمة دور النبي محمد (ﷺ) القائمين بعد الوصي أمير المؤمنين عليّ، ورابع أربعة من أئمة الظهور الذين أولهم جدّه أبو محمد الإمام المهديّ بالله (صلع).

وكان القاضي النعمان (رضي الله عنه) ممّن تقدّمت له القدم في خدمة الإمام المهديّ بالله (عم) في آخر (ط 10) خلافته. وكان قد ظهر فضل القائم بأمر الله (عم) له ولغيره. ثمّ أطلعه الإمام المهديّ بالله على فضل ولد ولده الإمام المنصور بالله، وأنّه ثالث الأئمة في الظهور. قال: «يا أمير المؤمنين، ثلاثة أئمة في عصر واحد؟» يستكثر ذلك. فأراه الإمام المهديّ بالله المعزّ لدين الله وهو صبيّ في مهده، وقال: «هذا رابعنا يا نعمان!».

وقد اجتمع في وقت إبراهيم الخليل النبيّ أربعة، وهم: إبراهيم الخليل النبيّ المرسل في دوره، الذي أوحى الله إليه فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ (البقرة، 124). فكان معه إسماعيل / وإسحاق ويعقوب.

2/2

ثم كان في وقت موسى بن عمران: كان معه أخوه هارون، ويوشع بن نون، وفنحاص بن هارون.

ثم في وقت نبينا محمد (ﷺ) خير الأنبياء وخاتمهم، الذي ختم الله بنبوّته وبرسالته النبيّين المرسلين، وفضّله على خلقه أجمعين، وجعل شرعه باقياً إلى يوم الدين: كان في عصره أخوه وناصره، ومعاضده على إقامة دين الله ومُظَاهِرُهُ، وأبو الأئمة من ذرّيّته ومُصَاهِرُهُ، عليّ وصيّهِ أمير المؤمنين وخاتم الوصيّين، وأبناهما الحسن والحسين.

لا مانع من وجود أربعة أئمة في زمن واحد...

وكان مع جعفر الصادق ابنه إسماعيل بن جعفر، وابن أبيه محمد بن إسماعيل، ثلاثة أئمة في عصر واحد.

وكان كذلك المهديّ بالله، والقائم بأمر الله، والمنصور بالله،
والمعزّ لدين الله.

ولا تكون الإمامة إلّا في واحد بعد واحد، هو المختصّ
بفضلها، والحائز لشريف محلّها، يشير إلى الخليفة من بعده،
وينصّ عليه، ويبين لأهل دعوته القائم مقامه، ويُسلم إليه. فكانت
تظهر في المعزّ لدين الله الفضائل، وتقوم باستحقاقه لخلافة آبائه
الطاهرين الدلائل.

(ط 11) وقد أتى عن القاضي النعمان بن محمّد (رضي الله عنه)
فيما رواه عن الإمام المعزّ لدين الله (عم) أنّه قال: «إني لأذكر من أمير
المؤمنين المهديّ بالله (عم) يوماً كنتُ حُمِلتُ فيه إليه، وأنا يومئذٍ
فطيم أعقل الكلام وأحفظ ما يكون، فتناولني وقبّلني، وأدخلني
تحت ثوبه، وكشف عن بطني وألصقها ببطنه ثمّ أخرجني وبارك
عليّ، وسألني عن حالي، وأجلسني في حجره، ودعا لي بمأكّل.
فأتيتُ بطبقٍ من فضّة مذهبٍ فيه موز وتَفَاح خريفيّ وعِنَبٌ، فوَضِعَ
بين يديّ، فلم أتناول منه شيئاً. فأخذه بيده وناولنيّه، فأخذته بيديّ،
فقال: امضِ به فكل أنت ما فيه وأعْطِ الطبقَ فلانة - وذكر بعض
البنات وهي يومئذٍ في مثل سنّي - فقلت له: لا، بل آخذ أنا الطبق،
وأعطيها ما فيه. فضحك وتعجّب من انتباهي لذلك، ودعا لي
بخير، وقال للخادم: احمله! فحُمِلْتُ وحُمِلَ معي الطبقُ بين يديّ،
وقال: سيكون له نَبأ، / ومثل هذا من الكلام، لم أضبطه أنا عن
المعزّ (صلع)⁽²⁾.

فطنة المعزّ منذ
الصغر

3/2

«ثمّ قال المعزّ: كان المهديّ واحد الزمان وخبيثة آل محمّد،
وعالمهم، وكاشف جلباب المحنة عنهم».

(2) المجالس والمسائرات، 541.

(قال): وكان المعزّ لدين الله (صلع) يحلّ من جدّه القائم (صلع) محلاً خصباً مذ نشأ. وكان يقربّه ويدنيه ويسرّ إليه دون أبيه. وكان رسوله وسفيره إلى الناس فيما يأمر به وينهى عنه ويحتاج إليه. فإذا خلا كان بين يديه، ومتى غاب عنه أرسل إليه.

«وكذلك كان الإمام المنصور من جدّه المهديّ بهذه المنزلة، لا يفارقه (ط 12) ويحدّثه سرّاً ولا يعلم أحد ما يجري بينهما. فأخبرني بعض من كان يدخل إلى المهديّ (صلع) في أكثر الأوقات لما لا بدّ له منه، أنّه لم يكن قطّ دخل إليه في خلوة إلّا وجد المنصور (عم) بين يديه يناجيه، فإذا رآه تنحّى من بين يديه حتى يقضي ذلك الرجل حاجته، فإذا خرج، عاد إليه (قال): وما سمعت قطّ ما يجري بينهما. وما علمت أحداً ممّن يقرب من المهديّ كان يحلّ منه محلّ المنصور، ولا رأيت أحداً يخلو معه فأدخل عليه على ذلك إلّا كلمه بحضرتي وسمعت ما يجري بينهما، إلّا المنصور.

حظوته عند جدّه القائم ..

«فذكر المعزّ يوماً مثل هذا من حاله، وأنّ المهديّ بالله كان يغذيه بالحكمة ويرشّحه للإمامة، بحسب ما كان القائم بأمر الله يفعل به هو»⁽³⁾.

.. مثل حظوة المنصور عند المهديّ

وعن القاضي النعمان قال:

«وسايرت المعزّ لدين الله (صلع) في بعض أسفاره فذكر القائم (صلع) واختصاصه إياه ومحبّته له وقربّه منه وما كان امتحن به المنصور (صلع) من طول ستر أمره وتركه إظهاره إلى أن قرب وقت انتقاله.

(3) المجالس والمسايرات، 501.

فقال المعزّ (صلع): دخلت إليه بعد أن أظهر المنصور (صلع) ونصبه للناس بعد مدّة اثنتي عشرة سنة من يوم أفضى إليه بذلك⁽⁴⁾، وذلك قبل وفاته (صلع) بثلاثة أيّام⁽⁵⁾، وعنده بعض حرمه، فأمرها فتنحّت عنه، ثمّ أدناني من نفسه، وضمتني إلى صدره، وقبل بين عينيّ، وبكى فبكيت لبكائه، ولا أدري ما أبكاه.

ثمّ قال لي: يا بنيّ إنّ مولاك ومحبّك مفارقك بعد ثلاث. وعقدها بيده.

قلت: بل يُبقي الله أمير المؤمنين / ويمدّ في عمره ويقدمنا قبله.

4/2

قال: اسمع ما أقول لك: إنّ أخوف ما أتخوفه عليك من أيّك (ط 13) ما علمه من إثاري إياك وإيثارك أمري على أمره، وميلك إليّ دونه، وما أعلمه من ميله إلى أمّهات إخوتك⁽⁶⁾. فأخشى خشية المشفق عليك أن يعدل بهذا الأمر [عنك] إلى غيرك منهم. وكلّا لا يفعل الله ذلك إن شاء الله! ولكن متى رأيت منه أثرة عليك أو ميلاً عنك فاصبر صبر من أحله الله محلّك، وأقامه مقامك. فأنت والله صاحبها، ولولا صغر سنك اليوم ما عدت⁽⁷⁾. وعن قريب تصير إليك فأوصيك بتقوى الله واحتمال ما حُمِلت والصبر على مضض ما يؤتى إليك. وإخوتك إخوتك! فأحكم معاملتهم في يومك وغدك!

(4) في الأصل: إليه الأمر بذلك، وفي المطبوع: إليه بذلك الأمر: واستبقينا قراءة المجالس، 468. هذا وإنّ تعيين المنصور وليّاً للعهد وقع عند دفن المهدي، في ربيع الأوّل 322، وقد نبهنا إلى تضارب الروايات في خصوص شهود التعيين ومدّة كتمانها: انظر هذا الكتاب، ص 236 وكذلك المجالس والمسائرات، 468 - 469 والهوامش مع إحالاتها.

(5) توفي القائم، حسب رواية إدريس (ص 339) يوم 13 شوال 334 (ماي 946).

(6) كان للمنصور خمسة أبناء وخمس نوات (أتعاض الحنفاء، 133)، ويبدو أنّهم من أمّهات مختلفات.

(7) عدت: جاوزت.

أصدقاء الخلاف
والتنافس
في الأسرة الحاكمة

ثم أدركه ضعف وبهر، قطع الكلام له ساعة ثم تنفس الصعداء فقال: الإخوة وما الإخوة؟ يتهول أمرهم، لما كان ناله (صلح) من المشقة في سياسة أمرهم. ثم خفق. ورأيت أن الكلام أجهده، فقمْتُ عنه وخرجت. فإذا بالمرأة من وراء الباب تسمع ما جرى من الكلام - وهي بعض أمهات الأولاد - فهنأتني بما سمعت وقبض (صلح) ثالث ذلك اليوم [كما قال]⁽⁸⁾.

فحين أفضت خلافته إلى المنصور بالله (عم) ورأى الخير كله في ولده الإمام المعز لدين الله، عهد إليه بعهد، وأطلع على ذلك خلصاء أهل ولايته وودّه، وأقام جوذراً خادماً له في قصره بالمهدية، وفوض إليه جميع أمورها بالكلية، وخرج لحرب الدجال حتى فتح الله عليه، فأظهر النص على المعز لدين الله، وأشاد ذكره وأعلى أمره. وكان قرينه في سفره وحضره، وخليله في كل أمر، وموضع أمانته وسره. ولم يكن أحد يتصل إليه من الأبواب والدعاة وأهل المملكة، إلا على يد المعز (عم) وتسببه إليه. وكان يظهر له فيه من مخايل الفضل، ويشاهد فيه من علو القدر، ما يزيده منه قرباً وعلواً، ورفعة لديه وسمواً (ط 14).

المنصور فوض
أمور الدولة
إلى وليّ عهده
المعز

وقد جاء عن القاضي النعمان (رضي الله عنه) قال:

«خرج أمير المؤمنين المنصور بالله (صلح) في أيامه لبعض ما كان يخرج إليه من اطلاع الحال. فأنهى إلى طنباس⁽⁹⁾ وخرج المعز عليه السلام معه، وكنت فيمن خرج معهما. فأنهى إلى وادٍ يجري فيه ماء المطر/ فيسقي أراضي كثيرة لمنازل شتى فإذا فيه سدّ عظيم. فلما انتهى إليه ووقف عليه، وقف إليه رجلان من وكلاء

5/2

(8) المجالس والمسائرات، 468 - 469.

(9) طنباس: حاولنا أن نعرّف بهذا الموضع في ص 268.

الضياع، فذكر أحدهما أن الآخر سدّ بذلك السدّ عن الضياع التي يتولّاها، ما كانت تشرب به من سيل المطر. وذكر الآخر أنّ ذلك من حقّه، ومما يجب له أن يفعله. واحتجّ كلّ واحد منهما في ذلك بحجج كثيرة وعلت أصواتهما واعتكر الكلام بينهما. وكان تنازُعهما، والمنصور صلوات الله عليه [يسمعُ كلّ ذلك] لم يفصل بينهما، والمعزّ صلوات الله عليه قائم على فرسه ناحية، والناس بالبعد ركوب على دوابّهم، وقيام، ينظرون إلى ذلك ويسمع أكثرهم كلام الوكيلين. وكنت فيمن يسمع ذلك ولا أرى وجهاً لفصل ما بينهما، وكلّما قلت في نفسي: قامت الحجّة لأحدهما، أدخل الآخر عليه حجّة.

فقال لي بعض من كان في الموكب ممّن قرب منّي: أما تسمع ما دار بين هذين؟

قلت: نعم.

قال: فما ترى فيه؟

فقلت: والله ما وقفت من ذلك على حقيقة أمر أقطع القول به ولقد اشتبه عليّ أمرهما، وحسبك ما ترى من توقّف أمير المؤمنين (صلع) عن الفصل بينهما، ولكنّي أقول: إنّهما لو وقفا بين يدي الأمير - أعني المعزّ لدين الله صلوات الله عليه - لفصل بينهما.

المنصور والمعزّ
في
حكمتهما...

قال: ومن أين قلت ذلك؟ (ط 15).

قلت: لعلمي به. والله ما ضاق عليّ أمر رأيته ولا آشتهبه عندي وجه الحقّ فيه فرفعته إليه إلّا أجابني عنه قبل استيفائه آخره، أو عندما يستوفيه، بجواب ما خطر ببالي بعد الرويّة له والفكر فيه الأيام الكثيرة والليالي العديدة، ممّا لا أشكّ فيه أنّه الحقّ الذي لا وجه له غيره. وذكرت له وجوهاً من ذلك.

فإنِّي لعلی ذلك أحدثُّه عنه وهو يتعجَّب ممَّا يهيئه الله له ويهديه إليه من الصواب في ذلك إذ نظرنا إلى الرجلين قد انصرفا من بين يدي المنصور بالله عليه السلام، إليه، فوقفا بين يديه، وكان أقرب إلينا من المنصور (صلع). فما هو إلَّا أن وقفا بين يديه حتَّى انصرفا إلينا، وما سمعنا لهما كلمةً. وجاء أحدهما حتَّى وقف بيني وبين الرجل الذي كنت أخاطبه ورأيت وجهه يتهلَّل. فقلت له: ما كان من أمركما؟

قال: انقطع كلامنا، وفصل الأمير بيننا في كلمة واحدة بعد ما سمعت ما كان بين يدي مولانا عليه السلام /.

6/2

فقلت: وكيف ذلك؟ ونظرت إلى الرجل الذي كنت قلت له من ذلك ما قلت، وقلت له: ألم أقل لك؟

قال له الرجل: وكيف كان ذلك؟

قال: إنَّه لما طال مقامنا وكثر كلامنا بين يدي أمير المؤمنين، قال لنا: اذهبا إلى مولاكما ينظرُ فيما بينكما!

فانصرفنا إليه فلمَّا مثلنا بين يديه وأردنا أن نتكلَّم قال: اسكتا! أكفيكما ونفسي. ثم نظر إلى صاحبي فقال: أليس هذا الوادي وما يجري فيه من الماء وما يسقي من الأراضي لنا؟

قال: نعم.

قال: وأنتما تنازعتما في هذا السقي ليطلبَ كلُّ واحد منكما به توفيرَ ما يجري لنا على يديه؟

قال: نعم.

قال: فأخبرني! لو كنتَ وكيلاً على الموضعين جميعاً، أكنتَ تسقي موضعاً وتدعُ موضعاً بلا شرب؟ فسكت.

فقال: قل: لا، إن كنت تؤثر قول الحق!

قال: يا مولاي ما كنت أفعل ذلك.

قال: صدقت! فما كنت لا تفعله لنفسك فلا تلزمه لغيرك.
اذهب فأزل السد وأسق أنت ما عندك، وهذا ما عنده، بحسب ما
يعطيك الماء ويعطيه. فحكم لي بما كنت طلبت، فانصرفت.

فنظر إلي الرجل الذي كنت خاطبته وقال لي: كأنما والله
كُشف لك عن غيب هذا الأمر!

قلت: ما ذاك إلا بما جربته وعرفته بما قدمت عندك ذكر
البعض منه.

ثم نظرت في هذه القضية العجيبة التي ألهمه الله عز وجل
إياها وسترها عن الإمام. فذكرت قول الله عز وجل: ﴿وَدَاوُدَ
وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا
لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾
(الأنبياء، 77)، وما روى لنا الرواة عن أئمتنا صلوات الله عليهم من
أن رجلين اختصما إلى داود النبي عليه السلام في غنم لأحدهما
وقعت في زرع الآخر فأفسدته، فقال داود عليه السلام في ذلك قولاً
ثم صرفهما إلى سليمان عليه السلام لينظر بينهما، فقال سليمان:
إن كان صاحب الغنم تعمد إرسالها في الزرع فهو ضامن لما
أفسدت. فإن لم يتعمد ذلك وأفلتت من غير إرادة منه ولا قصد
لذلك، فلا شيء عليه، والعجماء جبار (من العجم: البهائم،
والجبار: الهدر)، يعني أن ما أصابت البهائم من ذات أنفسها فهو
هدر.

(قال): وهذا فإنما يكون في النهار (ط17)، وعلى أصحاب الحوائط

7/2

حياطة حوائطهم بالنهار. فأما إن أفلتت بالليل / فصاحبها ضامن لما

أَصَابَتْ، تَعَمَّدَ ذَلِكَ أَوْ لَمْ يَتَعَمَّدْ، لِأَنَّ أَهْلَ الْمَوَاشِي عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْوَطُوا مَوَاشِيَهُمْ لَيْلاً وَيَمْنَعُوهَا مِنَ الْخُرُوجِ عَنْ مَنَازِلِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَى أَهْلِ الْحَوَائِطِ أَنْ يَحْفَظُوا حَوَائِطَهُمْ لَيْلاً. فَفَهُمُ اللَّهُ سَلِيمَانٌ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ، وَحَجَبُهَا عَنْهُ لِيَرِيَهُ فَضْلَهُ فِي حَيَاتِهِ وَيَسُرَّهُ بِمَا أَوَدَعَهُ مِنْ حِكْمَتِهِ. وَكَذَلِكَ فَهُمْ الْمَعْرُوفُ لِلدِّينِ اللَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ الْمَنْصُورِ (عَم) وَحَجَبُهَا عَنْهُ لِيَرِيَهُ فَضْلَهُ فِي حَيَاتِهِ وَيَسُرَّهُ بِمَا أَلْهَمَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ، وَيَبَيِّنُ لَهُ مَا آتَاهُ لِيَقَرَّ بِهِ عَيْنُهُ.

وكما روى لنا الرواة أيضاً عن أئمتنا صلوات الله عليهم أن أعرابياً أتى إلى مسجد رسول الله (ﷺ) في أيام عمر فأتاه فقال له: إني رجل مُحْرِمٌ مررتُ على بَيْضِ نَعَامٍ فَجَنَيْتُ وَشَوَيْتُ وَأَكَلْتُ. فقال: مَا عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمٌ، وَلَكِنْ اجْلِسْ! فَالْسَّاعَةَ يَجِيءُ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ ذَلِكَ. فَجَلَسَ حَتَّى أَقْبَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ. فَقَالَ عُمَرُ لِلْأَعْرَابِيِّ: سَلْ هَذَا! وَكَانَ الْحَسَنُ (صَلَع) يَوْمئِذٍ غُلَاماً مَعَ عَلِيٍّ، فَاتَى الْأَعْرَابِيُّ إِلَى عَلِيٍّ (صَلَع) [فَقَالَ: إني رجل مُحْرِمٌ مررتُ على بَيْضِ نَعَامٍ فَجَنَيْتُ وَشَوَيْتُ وَأَكَلْتُ] (10).

كذلك الحسن بن علي كان فقيهاً حكيماً على حدائنه

فقال له علي: سل هذا! وأوماً إلى الحسن (صلع).

فقال الأعرابي: يَا وَيْلَتَاهُ! مَا لِي وَلَكُمْ يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ؟ أَعَجَزْتُمْ عَنِ الْجَوَابِ؟ كُلَّمَا سَأَلْتُ وَاحِداً مِنْكُمْ أَحَالَني عَلَى الْآخَرِ!

فقال له عبد الله بن مسعود: سله يا أعرابي فإنه من أهل بيت

النبوة!

(10) في النسخة: فأعاد عليه السؤال، وقد أعاد النعمان السؤال فعلاً.

فسأله الأعرابي. فقال له الحسن (صلح): يا أعرابي، ألك إبل؟

قال: نعم.

قال: فخذ بَعْدَةَ الْبَيْضِ نوقاً فاضربهنّ بالفحل، فما حمل منهنّ وفصل من أولادهنّ، فاجعله هدياً.

فقال (ط 18) الأعرابي: فرجّت عني فرج الله عنك! وقام. فاستقبله عمر، فقال: ما الذي قال لك؟ فأخبره، فقال: ارجع [إليه]، فقل له: أما علمت أن النوق يُزْلَقْنَ⁽¹¹⁾؟

فقال له الحسن (صلح): قل للذي قال لك هذا: أو ما علمت أن البَيْضَ يَمْرُقْنَ⁽¹²⁾؟

فقام إليه أبوه (صلح) فقبل بين عينيه وقال: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ^{١٠} وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران، 34).

فقال/ عبد الله بن مسعود: إنّ الذي فهم هذا الغلام هذه القضية العجيبة، هو الذي فهم سليمان بن داود عليهما السلام تلك القضية، والذي أنطق هذا الغلام بالحكمة هو الذي أنطق يحيى بن زكريا بالحكمة. والله لو ردّوا الأمر في نصابه لأكلوها خضراء خضرة عن أيّمانهم وعن شمائلهم! فقال له عمر: يا ابن مسعود، أتؤلّب علينا الناس؟ فقال له الحسن عليه السلام: كنت تفتيه ولا ترشده إلينا.

فهذه القضية أيضاً كانت من الحسن (صلح) بحضرة عليّ

(11) أزلقت الناقة: رمت بولدها قبل تمامه، أجهضت.

(12) مرقت البيضة (وزن فرج): فسدت فصارت ماء.

(صلح) إلهاماً من الله له لِيُقَرَّ بِهِ في حياته عَيْنَهُ كما ذكرنا في قضية المعز (صلح).

ودلّ قول الأعرابيّ أنّه شوى البيض وأكلهنّ على أنّه لم يكن فيهنّ فراخ فأمره الحسن (صلح) لذلك بأن يرسل الفحل في عدّة نوق كعدّة ما أصاب من البيض فما حمل من ذلك الضرب ونتج، أهده. وإن لم يحمل أو حمل بعضها لم يكن عليه غير هدي ما نتج لأنّ البيض كذلك قد تفسد كما قال الحسن (عم)، وإن كان فيها فراخ لم تنشأ فيها الأرواح كان عليه أن يضرب النوق بالفحل حتى يتبين حملها فما نتج منها كان هدياً. وإن كانت قد نشأت فيها الأرواح كان عليه أن يضرب النوق بالفحل حتى تحمل وتتحرك أجنحتها في بطونها فما نتج بعد ذلك منها أهده، وما مات في بطونها لم يكن عليه بدله لأنّ الفراخ كذلك قد تموت في البيض⁽¹³⁾.

وقول المعز عليه السلام للرجل: ما لم تكن تفعله لنفسك فلا تلزمه لغيرك، من قول آبائه (صلح): أحبب للناس ما تحب لنفسك وحسبك أدبا لنفسك ما كرهته من غيرك. ومن قول بعضهم لبعض من سأل عن نكاح المتعة فقال: هل ترضى لنفسك أن تُنكح ذاتٌ محرّم منك نكاح متعة؟

قال: لا والله؟

قال: فكفاك بهذا أن لا ترضى لغيرك إلّا ما ترضاه لنفسك⁽¹⁴⁾.

الفقه الإسماعيلي
يرفض
نكاح المتعة

(13) لم يذكر القاضي النعمان هذا الحكم في باب الديات من كتابه «دعائم الإسلام»، وإنما ذكر قضية حكم فيها عليّ حكماً مماثلاً أقره الرسول (ﷺ) بعد أن عجز عنه الشيخان (دعائم ج 2 ص 424 عدد 1477).

(14) الإسماعيلية ينكرون نكاح المتعة. انظر قول القاضي النعمان في كتاب الاختصار =

وكلام الأئمة (صلح) كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعض/، لأنهم بنور الله يستبصرون، ومنه يقتبسون، ويحكمه ينطقون، وعن أسلافهم يأخذون، فهم حجج الله عز وجل في الأرض كما قال الله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ (15).

هذا قول القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه). ومما أتى عنه قال (16):

«حدّثني بعض إخواننا عن المنصور بالله (صلح) أنه قال: أردت أن أستعمل على بعض الثغور عاملاً، فأجلت فكري في اختيار من أراه يصلح لذلك، فلم يقع اختياري إلا على رجل - سمّاه لي الرجل - (قال): فلم أرَ اختياري كلّما أجلته، وفكري كلّما صرفته يقع إلا عليه، فعلمت أن ذلك من توفيق الله.

فأردت امتحان ما عند الله (عج) لمن رجوته لمقامي وآثرته بأمر. فكتبت اسم الرجل الذي خطر ببالي في ورقة وختمت عليها ووضعتها بين يديّ ودعوت به - يعني المعز لدين الله صلوات الله عليه - فسلم ثم وقف، فقلت: يا بني أردت إخراج عامل إلى بلد كذا وكذا - وذكر البلد - فمن تراه يصلح لذلك؟

فقبل الأرض وقال: يا مولاي، وأي رأي لي مع رأيك، والله يملّك بالتوفيق؟

= (دمشق 1957 ص 109). «ولا يحل نكاح المتعة». فهو إنكار صريح وانظر كذلك دعائم الإسلام ج 2 ص 229 حيث ينقل القاضي إنكار عليّ الشديّد لهذا النوع من النكاح.

(15) هذا النقل الطويل من المجالس والمسائرات، 60 - 65.

(16) المجالس، 71.

فقلت: قُل لي على ذلك! فامتنع عن القول وجعل يعتذر ويستعفي .

فقلت له: لا بدّ من أن تقولَ في ذلك، فإنّي ذكرتُ رجلاً، واسمُه في هذه الرُّقعة فخذُ أنتَ رقعةً فاكتب من تراه.

مثال آخر من توارد
الحكمة
عند المنصور
والمعزّ..

(قال): فلمّا لم يجد من ذلك بدّاً تناول قلماً و رقعةً وكتب، ودفع إليّ الرقعة، فإذا فيها اسم الرجل الذي وقع اختياري عليه، فحمدت الله على ما أنعمَ به عليّ فيه، ورميتُ إليه بالرقعة التي ختمتُ عليها، وفيها ذلك الاسمُ وقلت له: فُكِّهَا وانظُرْ ما فيها! ففعل. فلمّا رأى ما وافق من ذلك من رأيي حمد الله تعالى واستبشر وتهلّل وجهه لذلك.

وهذا ممّا قدّمت ذكره وكرّرت من إدخال الله السرورَ على أوليائه بما يُريهم فيمن أقاموه مقامهم وفوضوا إليه أمرهم. ثمّ أخبرني المعزّ عليه السلام بهذا الخبر بعد ذلك.

وفيما رواه أيضاً عن الإمام المعزّ قال⁽¹⁷⁾:

وسمعتَه (صلع)/ يقول: انتهت إلى / القائم بأمر الله (صلع) في آخر إِيّامه وفاةً داع من دعائه ببعض جزائر المشرق⁽¹⁸⁾، وتنازع وصيّته رجلان من أهل دعوته، كلاهما زعم أنّه أوصى إليه. فلمّ

10/2

(17) المجالس، 265.

(18) قد مرّ التعريف بالجزيرة (ص 39) وانظر: افتتاح الدعوة 1 والمقدمة الفرنسية 39، الحاشية 1.

يَمُضُ القائم (عم) من أمرهما شيئاً حَتَّى قُبِضَ قَدَسُ الله روحه .
واشتغل المنصور (عم) بما كان فيه من أمر الحرب إلى أن أَخْمَدَ
الله (عج) به نار تلك الفتنة⁽¹⁹⁾ وأزال به المحنة . وكاتب الدعاة ،
فاحتاج إلى إثبات داعٍ بتلك الجزيرة وكان لكلا الرجلين اللذين
ادّعا الوصية من الداعي المتوفى رسولُ بالحضرة أتى من عنده
بكتاب يذكر أنه أوصى إليه ويسأل إطلاقه .

فقال لي يوماً: من تراه يصلح من هذين الرجلين لهذه
الجزيرة؟

فقلت: الله ووليّه أعلم .

قال: قل على ذلك .

فتوقّفت واستعفيتُ .

.. ومثال ثالث

فقال: لا بدّ من أن تقول، وقد قلت أنا في ذلك ولكنني
أردت أن أعلم ما عندك فيه، هل يوافق ما قلته أم يخالفه (ط 21) .

فقلت: يُنظرُني أمير المؤمنين (عم) .

فقال: أنظرُتك .

فانصرف فأجلت فكري وأدرت نظري فوق اختياري على
أحدهما، فكتبتُ اسمه في رُقعة وجئتُ بها إليه فوضعتها بين يديه،
فقال: ما هذه؟

فقلت: اسم الرجل الذي وقع اختياري عليه . فتركها
مكانها وأخرج رُقعةً مُدرّجةً فقال: وفي هذه اسم مَنْ وقع اختياري

(19) فتنة أبي يزيد .

أنا عليه منهما. وفتحهما فإذا اختاره واختاري قد وقعا على رجل واحد. فسُرت بذلك وحمدت الله (تع) عليه.

ثم جئته بعد ذلك فقال: أسرك موافقتك إياي في أمر الرجل؟

قلت: وكيف لا تسرني موافقة مولاي؟

قال: أفأزيدك سروراً؟

قلت: إن تفضل أمير المؤمنين (عم).

فأخرج إليّ رقعة فيها توقيع القائم عليه السلام بخطه باختيار ذلك الرجل.

وقال: قلبت كتبه فمرت بي على غير تعمّد.

ورأيت الرّقاع الثلاث التي كتب القائم والتي كتب المنصور والتي كتبت أنا كأنها كُتبت من نسخة واحدة يقابل بعضها بعضاً. وكان فيها: ادعى وصيّة / فلان فلان وفلان، فنظرت إلى كتاب كلّ واحد منهما فرأيت أنّ فلاناً أحقّ بذلك لوجه كذا ووجه كذا، لم يزد ما في رقعة منها على أخرى.

11/2

(قال): فآدناني المنصور بالله إلى نفسه واعتنقني وضمّني إلى صدره وقبل صفحة عنقي وألصق خدّه إليها مدّة طويلة وهو يبكي حتّى بلّ بدموعه أطواقِي وبكيتُ لبكائه. ولا والله ما علمت ما كان معنى ذلك البكاء حتّى قبض (صلع) فعلمت حينئذٍ أنّ ذلك كان وداعاً منه لي، وأنّه رأى - لمّا رآه - أنّ في ذلك أجله قد قُرب لمّا رآه انتقل إليّ من التأييد.

قال القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه):

وليس هذا الذي قاله المعزّ (صلع) بخلاف ما قاله من انتقال ما

عند الماضي، وإنما ينتقل إلى الباقي في آخر دقيقة تبقى من نفس الماضي، إنما ذلك في استكمال الأمر واستحقاق الإمامة ووجوب الطاعة، لأن ذلك لا يكون في اثنتين باقيتين.

وأما الدلائل والبراهين والقوة والتأييد فإنها توجد في الحجج في حياة الأئمة كما ذكر (صلع)، وتزيد حالاً بعد حال إلى وقت الكمال، كلما قرب أجل الأول تقوّت أسباب حجته وظهرت علاماته. ولذلك ما كان من بكاء المنصور (صلع): لما نظر إلى المعز (صلع) قد وافقه ووافق القائم (عم) علم أن ذلك من قوة الدلائل، وأن أجله قد قرب.

وعلى مثل هذا تجري أمور أكثر العالم، لا ينتقل الشيء إلى الشيء دفعة واحدة ولا يكون ذلك إلا على التدرّج والنمو شيئاً بعد شيء كنمو الخلق ودخول الفصل من الزمان في الفصل، حتى ينقضي الشيء من الشيء ويخلص بنفسه ويتبين بحالته وينسخ ما قبله.

ومن ذلك ما روي عن جعفر بن محمد (صلع) أنه قال: عليّ (صلع) عالم هذه الأمة ونحن نتوارث علمه، وليس يهلك منا هالك حتى يرى من أهله من يعلم مثل علمه (صلع).

وفي مثل بكاء المنصور (صلع) لما رأى اتصال المائدة⁽²⁰⁾ بالمعز صلوات الله عليه، قال بعض الحكماء: من سره بنوه ساءته نفسه⁽²¹⁾، يعنون أن [هـ] بكمال الولد وزيادته يكون نقصان الوالد وانحطاطه. وفي ذلك يقول بعض الشعراء:

(20) المائدة هنا: النفع الإلهمي والإلهام الرباني في قلب الأئمة.

(21) هذا من أمثال العرب (مجمع الميداني، رقم 4017).

(رجز):

12/2

/إذا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا واضْطَرَبَتْ مِنْ كِبَرِ أَجْسَادُهَا
وَجَعَلَتْ عِلَاتُهَا تَعْتَادُهَا فِيهِ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا⁽²²⁾
فإذا كان هذا في ظاهر خلق الأبدان وما يداخلها من الزيادة
(ط 23) والنقصان، فكيف به في باطن علم الأديان؟!

وفيما رواه عن المعزّ لدين الله (صلح) القاضي النعمان (رضي
الله عنه) قال⁽²³⁾:

وسمعتَه (صلح) يقول يوماً: لَمَّا احتضر المنصور بالله صلوات
الله عليه جعل يوصيني بما أعمل عليه بعده، وهذا قائم - وأوماً إلى
رجلٍ من عبيده كان قائماً بين يديه - (قال): ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَقَدْ دَمَعَتْ
عَيْنَاهُ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَتُعَايِنَنَّ [ن] مِنْ مَوْلَاكَ هَذَا وَمِنْ جَمِيلِ أَفْعَالِهِ وَسِيرَتِهِ
وَمَا يُجْرِيهِ اللهُ مِنَ الْخَيْرِ لَهُ وَعَلَى يَدَيْهِ، وَيُضْعُهُ مِنَ الْجَمِيلِ لَهُ،
وَيُؤَيِّدُهُ بِهِ وَيُمْكِّنُهُ لَهُ وَيَفْتَحُهُ عَلَيْهِ، مَا لَمْ تَرَ قَطُّ وَلَا سَمِعْتَ بِمِثْلِهِ.

ثقة المنصور بالمعزّ

فقال له الرجل: يا مولاي، وأي شيء بقي له من ذلك لم
تفعله أنت؟

قال: كثير، والله، جداً، هو في القوة لم يظهر بعد إلى
الفعل، يُظْهِرُهُ اللهُ لَهُ وَيُجْرِيهِ عَلَى يَدَيْهِ.

وقال القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه): «قال المعزّ
(صلح): شهدت مشهدين لو حمّلت الجبال ما حمّلتها لما أطاقته:
وهما وفاة القائم بأمر الله، ووفاة المنصور بالله».

(22) البيتان خرّجهما الطيّب العشّاش في الحوّلّيات، 1972/9 ص 129 منسوين إلى
أيمن بن خريم.
(23) المجالس، 93.

وحين أفضت خلافة الله إلى أمير المؤمنين الإمام المعزّ لدين الله معذّ بن إسماعيل أبي تميم قام بالأمر والتزم بالصبر على جليل المصيبة وعظيم الرزية، كما قال القاضي النعمان في بعض ما أتى عنه، وقد ذكرناه، وهو قوله في المعزّ: «فبينا كنت أخشى من الوجد عليه، إذ صار يعزّيني عنه، وأنا أعلم من مكانه لديه وموقعه من قلبه، ما كنت أخاف عليه إن حَدَّثَ به حادثٌ من أجله. فرأيت منه من العزاء والصبر، والتجلّد وجميل الأمر، ما قد أبقت [معه] أن ذلك لانتقال الإمامة إليه (ط 24)، ورأيت تأثيرها ومخايلها فيه، لتأييد الله له، وما وهبه من جميل المادّة، وأجراه عليه من حسن العادة»⁽²⁴⁾.

13/2

وكنتم أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (ص) وفاة والده أمير المؤمنين من آخر/ شهر شوال يوم وفاته إلى عاشر ذي الحجة يوم النحر (28 أبريل 953)، فخرج لصلاة العيد وعليه شعار السكينة وهيبة الإمامة، فصلّى صلاة العيد ثم ارتقى المنبر وخطب خطبته التي أظهر فيها وفاة أمير المؤمنين المنصور بالله فقال:

«باسم الله الرحمان الرحيم، وبه نستعين.

«الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله!».

«والله أكبر، الأعزّ الأقدر، الخالق المدبّر، ذو الكبرياء والجبروت، والعزّة والملكوت، الأحد الصمد، الفرد المتفرّد، الأعلى القاهر، الباطن الظاهر، الأوّل والآخر، مبدع السموات والأرض بالقدرة، ومالكها بالعزّة، ومدبّرها بالحكمة، وخالقها بما فيها من عجائب الفطرة، وبدائع التركيب والصنعة، الذي كلّ شيء من مواتٍ وحَيٍّ ناطقٍ بالدعاء إليه، والدلالة عليه، والشهادة له بالتوحيد والتعظيم والتمجيد، فتكوّنه الأشياء كلّها من عدمٍ شاهدٌ بأن لا شيء قبله، وانتهأؤها إلى الغايات دليلٌ على أن لا غاية له،

المعزّ يعلن عن
وفاة المنصور
بعد شهر وعشرة
أيام .

(24) المجالس، 82، والنقل هنا بتصرف.

وإحاطته بحدودها منبىء بأن لا حد له، فالضعف والعجز والفقر والنقص الذي لم يخل منه مخلوق أفصح ناطق وأصدق شاهد للخالق وحده جل ثناؤه بالإلهية والفردانية، والقدرة والربوبية، والتمام والكمال، والأزل والدوام، تبارك الله رب العالمين، أحسن كل شيء خلقه (ط 25)، وتكفل لكل حي رزقه، ثم هدى بالعقل الذي قامت حجته ووجبت طاعته، والكتب والرسل الذين تمت بهم كلمته، فصلّى الله عليهم أجمعين، وعلى محمد سيد المرسلين الذي رفع ذكره، وأعلى قدره، فأكرمه بالوسيلة، واختصه بكل فضيلة، وأبتعه هادياً للعباد، ونوراً في البلاد، علّم به من الجهل، وهدى به من الضلّ، وكثر به من القلّ، وأعزّ به من الدلّ، فألف به بعد الشتات، ونور به دياجي الظلمات، صلوات الله عليه وعلى آله المهديين، الأخيار الطيبين.

أيها الناس، إنّ الله / لم يخلقكم عبثاً، ولم يهملكم سدى، ولم يجعل عليكم في الدين حرجاً، ولم يضرب الذكر صفحاً، بل للعبادة خلقكم، ويطاعته وطاعة رسوله أمركم، وجعل للطاعة أعلاماً منصوبة وفروضاً مكتوبة، ومن أفضل أعلامها وأكرم أيامها يوم الحج الأكبر إلى بيت الله العتيق، مَبَوًى⁽²⁵⁾ إبراهيم خليل الله، وقبله محمد رسول الله ﷺ، فتقربوا إلى الله بما أمركم به ورزقكم إياه، من بهيمة الأنعام، مقتدين بسنة محمد نبي الرحمة والهدى، ومستشعرين لله التقوى، فإن الله عز وجل يقول: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ (الحج، 37) فبالتقوى تُقبل الأعمال ويُدرَك الأمل. وكبروا الله على ما هداكم وأشكروه على ما أولاكم.

ألا وإن خير الهدي الإبل، وخير الإبل إنائها، وكذلك من

14/2

.. في خطبة عيد
الأضحى

(25) المَبَوًى: المنزل.

البقر ثم الفحول من الضأن. وسلامة الضحايا سلامة الأعين والأذان، وأن تكون من حلال الأموال.

نسأل الله لنا ولكم قبول (ط 26) العمل بامتثانه وبلوغ الأمل من رضوانه، ورحمته وإحسانه.

ثم جلس جلسة خفيفة وقام للخطبة الثانية فقال:

الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله.

والله أكبر! الله أكبر شأنًا وأعظم سلطانًا، وأوضح آياتٍ وبرهانًا عن أن تنكر العقول توحيدَه، أو تروم تحديده، خالق السموات والأرض، ومالكهما ومدبرهما الفرد الصمد، الواحد الأحد، الذي لا شريك له ولا نِد، الخالق القدير، الرحمان الغفور، النافذ قضاؤه، الكائن ما يشاؤه، المتقن كل شيء صنعا، الموسع كل شيء رزقًا، والمحيط بكل شيء علمًا، أحمدُه وأستعينه وأستغفره وأشهد به، وأفوض إليه وأتوكل في كل الأمور عليه.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا خيرته من عباده، ونجيبه من بريته، وصفوته من المتطهرين، ورسوله إلى كافة العالمين، وبعيته بالإمامة إلى الثقلين ليبلغ حجة الرب، ويوضح محجة الحق، فأدى رسالة الله ورحم ورأف بعباد الله، وصبر على الكبار من مكر الكفار إلى أن أدال الله للحق على الباطل، والهدى على الأضال⁽²⁶⁾ وألهم فيه المجاهل⁽²⁷⁾، محمد

15/2

(26) في الأصل وفي المطبوع: الأضائل، ولا وجود لهذه الكلمة في المعاجم. وأخترنا أضالل من الضلال لمقابلتها للهدى، رغم أن جمع أضلولة هو أضاليل، ولكن الخطيب اختصر المد لموافقة السجع.

(27) ألهم المجاهل: سقطت من المطبوع وكذلك من سيرة جوذر، 78. ولعل المعنى: أضاء الحلكات أو الطرق في الظلام، مثل البرق إذا ألهم، أي استمر وميضه.

عليه أفضل الصلاة وأزكاها وأكملها وأنماها، وأخلدها وأبقاها، وعلى الأئمة المهديين من عترته الكرام الأبرين الذين اختارهم للخلافة، وارتضاهم للإمامة، وأكد بوصية الرسول حجّتهم وأوجب في التنزيل طاعتهم، بعد تفضيله إياهم على (ط 27) العالمين بأبوة محمد سيّد المرسلين، وعليّ أفضل الوصيّين، ومن أمّهم سيّدة النساء، خامسة أصحاب الكساء، صلوات الله عليهم أجمعين، وعلى أميرَي المؤمنين المهدي بالله والقائم بأمر الله، سيّدي الوري وإمامي الهدى، اللّذين أعلى الله بهما دعوة الحقّ، وأنطق بهما الإيمان والمؤمنين، وأقام بهما دعائم الدين، وأزهق بحقّهما باطل المدّعين، وأكاذيب المتخرّصين، وقطع بسيوفهما دابر الظالمين.

اللهمّ آخِصَّ الإمام الفاضل، والوصيّ العادل، والبرّ الكامل، والغيث الوابل، ذا الآيات الباهرات، والمعجزات النافذات، الباذل نفسه الكريمة في حين الأزل والكربات، الصابر في البأساء والضراء حتى طهّر الأرض من جبايرة الأعداء، عبدك ووليك ونجيك وصفيك أبا الطاهر المنصور بك، والمتوكّل عليك والمفوّض إليك، العامل بما يرضيك ويقرب إليك ويزلف لديك، الذي فجّعنا بفقدته، وأوحدتنا من بعده، وأفردتنا منه وأوحشتنا فقبلت دعاءه، وأجبت نداءه، وجمعت بينه وبين أحبّته في مستقرّ جنّتك وسعة رحمتك.

المعزّ يترحم على المنصور..

وإنّ القلق وشدة الحرق عليك يا أبتاه! يا سيّده! يا إسماعيله! يا أبا الطاهراه! يا بحر علوم الأئمة الطاهرين الهداة المهديين! يا بقيّة أبناء الرسول، وأبناء الوصي والطاهرة البتول! يا إمام الأئمة ومفتاح باب الرحمة، يا سراج الهدى وشمس الوري، ومجلّي الطغياء! (28)، يا مخصوصاً من الله بتعجيل الكرامة! عظم

(28) الطخواء والطغياء: الليلة الشديدة الظلمة.

والله علينا المصائب بك ، وجلّ البلاء، وعدم العزاء لفقدك، وقصرت الألسن عن (ط 28) درك إحصاء فضائلك، وتعداد مناقبك، فوالذي اختصّ بكرامته، وحباك بجزيل عطائه، وشرفك بأبوة رسوله، لولا ما أوعزت إليّ به وأكّدت عليّ، من القيام بحقّ الله والذبّ عن أمة جدّك رسول الله، واستنقاذهم من غمرة الجهالة، وبحار الضلالة، ومهاوي الفتن، ومعاطب المحن. وما تقرّر عندي، ورسخ في صدري من الجزاء بمقدار الوفاء لله ولرسوله، ولأئمة الهدى، لضربت على وجهي سائحاً في البلاد، قالياً للمهاد، راضياً ببلغة من الزاد، إلى أن يلحقني الموت سريعاً بك، فأفوز بقربك، ورحمة ربك.

.. ويتوجّع
لفقده..

لكنني فكرت ونظرت وتدبّرت، فلم أر لي وجهاً أستوجب به درجتك واللاحاق بشرفك سوى الصبر والاحتساب، فتجلّدت، وصبرني ربي فصبرت، وغلب عليّ اليقين فأمسكت، فأقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم الرحمان الرحيم، له الحمد على ما أبلى، والشكر على ما أولى.

معاصر أوليائنا، والقائلين بطاعتنا، والمتمسكين بولايتنا! هذه والله المحن الشداد، المنضجة للأكباد، هذه الزلازل العظام التي لا تثبت لها الأقدام، هذه المشاهد التي لم تألّكم أثمتكم لها تبييناً ولم تزل راغبة إلى الله في تثبيت أقدامكم وعصمة قلوبكم عند حلولها بكم، ووقوع المحنة فيها عليكم. فتشبّثوا تسلموا، ولا تفضّلوا فتندموا! فلن يُخلي الله أرضه وعصره في كلّ زمان من قائم لله بالحقّ، شاهد على الخلق، يقرّ به المؤمنون، ويجحد به الكافرون الضالّون الأخسرون. إنّ الله بحمده خلق الخلق من غير حاجة كانت منه إليهم، لكن لعبادته وإظهار فضله وجوده عليهم (ط 29)، وجعل الحياة فيهم قوّة عاملة، والموت كأساً دائرة، وما بعد الموت جزاء للعمل، ويبيّن لكم بين هذين نهج السبل برسله المتتجيين، وبأئمة

.. ويدعو الأتباع
إلى التمسك
بجبل الأئمة..

الهدى المختارين، وجعل ثوابهم وحظهم على مقدار بلاغهم وقيامهم، واضطلاعهم بأمره وإرشاد خلقه، وجعل بينهم درجات في الفضل فقال جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (فاطر، 32). تبارك الله رب العالمين، الذي لم يرض بالدنيا ثواباً للمؤمنين، ولا عقاباً للكافرين.

أيها الناس! ما من حيٍّ إلا وهو رهين بالموت، ولا موت إلا وبعده نشور، ولا نشور إلا بحساب، فثواب أو عقاب. فطوبى لمن لقي الله متمسكاً بحُجْزَةٍ⁽²⁹⁾ أوليائه، معتصماً بعصمتهم، قائماً بلوازم الطاعة المفروضة عليهم بحججه وأصفيائه، متقيّاً بظلال ألوية عترة سيدنا محمد رسول الله سيّد المرسلين، يوم لا ينفع إلا الدين، ولا يُنْجِي إِلَّا صَحَّةُ الْيَقِينِ، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا، وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران، 30).

أيها الناس! إنما الأعمال بخواتمها، والجزاء من الله بحسب الوفاء لله ولرسوله، ولأئمة الهدى من ولد الرسول، وقد شاهدتم سيّد الأئمة وراعي الأئمة وسراج الدجّة في مواطن ومشاهد قضى فيها فرض ربّه عليه، وأدى وديعة جدّه محمد لديه، وبيّن لكم من سننه ما إن اقتديتم به لن تضلّوا ولن تنبّت (ط 30) أيديكم من رحمة الله، ولن تعشوا أبصاركم عن قصد السبيل الأقوم، والتمسك بالدليل الأعظم، وما من وليّ سالف إلا وبعده وصيٌّ خالف قائم الله بحقه مُستنجز ثوابه، عامل بما يرضيه حسب طاقته، ومنتهى استطاعته، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة، 286)، ولا يرتضي للقيام بدينه وهداية

(29) الحجة بالضم. عقدة الإزار والثوب.

.. ويؤكد أن
الإمامة لا
تنقطع...
18/2

خلقه ورعاية أمة نبيه إلا الأفاضل الأمجاد، الأحاد الأفراد، ذوي
الهمم العالية، والأخلاق الرضيّة، والنفوس الأيّّة، من خالص
الذرية. وقد جرت سنة الله في خلقه، ونفذ في حكمه ما لا يُستطاع
له جحد، ولا للقول به ردّ، من مواصلة الرسل لتبيين السبيل في
الزمان بعد الزمان، لإعلان دينه حسب الإمكان، فأوجب للعباد
الثواب بطاعتهم وإجابة دعوتهم وقبول هدايتهم، والعقاب
بإسقاطهم وجحدهم وإنكارهم، وليس للمؤمن بأولهم جحد
آخريهم، ولا ينفع جاحد أولهم تصديق آخريهم، للثواب والرحمة من
العذاب الأليم، والخزي المقيم. وقد قرن الله طاعة أئمة الهدى
بطاعة الرسل، وطاعة الرسل بطاعته، فقال ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرُّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء، 59). بذلك جرت عادته في
الأنبياء والمرسلين، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ
اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر، 43). وهل لمقرّ نبوة موسى ورسالة عيسى
عليهما السلام حاجة بتفضيل سيّدنا محمد خاتم النبيين وسيّد
المرسلين إذا أنكر نبوته، وهل له انتفاع بأعماله أو ثواب لعبادته؟

النور - أيها الناس فينا مَصُون، وعطاء ربك لنا غير ممنون،
فأين تذهبون، وفي أي أرض تتيهون، ﴿هَيْهَاتَ! هَيْهَاتَ لِمَا
تُوعَدُونَ!﴾ (المؤمنون، 36). فأطيعونا تهتدوا، وتمسكوا بحبلنا
ترشدوا، واعملوا بما (ط 31) تفوزون به في أخراكم تسعدوا! ولا تجعلوا
أكبر همكم دنياكم، فإن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أبا الأئمة
المهديين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، قال: «إِنَّ اللَّهَ أَحَلَّ
حَلَالًا وَأَعَانَ عَلَيْهِ، وَحَرَّمَ حَرَامًا وَأَغْنَى عَنْهُ»، فدعوا ما قلّ لما كثر،
وما ضاق لما اتسع! فقد أمرتم بالعمل، وتكفل لكم بالرزق، فلا
يكون طلب المضمون لكم أولى بكم من طلب المفروض عليكم!

اللهم أوزعني شكر نعمتك ووفقني لما يرضيك ويقرب إليك،

ويوجب المزيد من فضلك، والذخرَ عندك بإتمام نعمتك عليّ في الدنيا والآخرة، إله الخلق ربّ العالمين! اللهم آيدني بنصرك، وافتح لي على أعدائك فتحاً تحيي به الدين، وتعزّ به ملة محمد سيّد المرسلين، وآرزقنا زيارة قبره والارتقاء على منبره، وحلول داره، وقضاء الحجّ إلى بيتك الحرام، والوقوف بتلك المشاهد العظام براياتنا، وقد جدّدت لنا العزّ ولأوليائنا، وقد أيدتنا وإياهم بالنصر، وأكرمتنا بالظفر وأظهرتنا على القوم الظالمين، وأخضعت لنا رقاب المعاندين العاصين. وقد تقدّم منك الميعاد للآباء والأجداد، ولا خُلفَ لوعدك، ولا رادّ لأمرك، والرضا والتسليم بما قضيت، عجلت أو أجلت.

اللهم اجعل ما منّنت به من إحسانك، وما تجدد لي من فضلك ونعمتك عليّ وعلى العباد، رَحمةً منك. اللهم، واقرن بكل عزّ تجدّده لي ذُلّاً تُسكّنه قلبي لعظمتك وجلالك وهيبتك، فلا عزّ إلّا في الخضوع والعبودية لك، ولا غنى إلّا في الفقر إليك، ولا أمن إلّا في خوفك، ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا برضاك، يا ربّ العالمين! اللهم، اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، وأخصص أولياء دولتنا وأنصار دعوتنا المُجاهدين الصابرين الشاكرين، من رحمتك، بما استوجبوه بطاعتك وقضاء فروضك (ط 32) وموالات أوليائك ومعاذة أعدائك.

وصلّى الله على محمد سيّد المرسلين في الأولين والآخرين، اذكروا الله العظيم يذكركم. وأستغفرُ الله لي ولكم، والحمد لله وصلواته وسلامه على سيّدنا محمد وآله أجمعين⁽³⁰⁾.

وخرج أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (صلح) بعد انقضاء عيد

(30) الخطبتان مدرجتان بسيرة جودر، 77 - 84، ولم يصرّح المؤلف بنقلهما عنها.

الأضحى بشريف نفسه، وقد أوعز إلى كتامة فجاءته منهم جنود المعز يجهز جيشاً عظيمة يوم عيد الأضحى. وجمع جُندَه وعبيده، فاجتمع الكلُّ له إلى يوم الأضحى وسمعوا خطبته التي قدّمنا ذكرها، وذلك في سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة⁽³¹⁾.

وقصد (صلع) إلى جبل أوراس⁽³²⁾، على حصانته ومنعته وكثرة أهله، والناسُ بعقب فتنة، وأطراف المملكة على سبيل المعصية، والسبُلُ خائفة، ولهب نار الفتنة لم يخمد، وحرّها لم يبرد، ورؤساء القبائل الذين هاجوا الحرب وعتوا واستكبروا وتمادوا في إثارة الفتنة والشغب، ممتنعون في معاقلهم في الجبال والأطراف.

20/2

فنهض إليهم أمير المؤمنين (عم) بجنوده المنصورة، وأعلامه المشهورة، فأنزلهم من صياصبيهم، ودان له دانيهم وقاصيهم، وقذف الله الرعبَ في قلوبهم. وملك عليهم جبل أوراس عنوة، وأخذهم بالعفو على عظيم الذنب والهفوة، وسار فيهم بالصفح والعدل، وأجرى فيهم من حسن السياسة ما اعترفوا جميعهم له بالفضل، فدانوا له خاضعين، وأقبلوا إليه متواضعين، وكان له في ذلك الفتح العظيم، والظفر العميم، وحقت الدماء، وسكنت الدهماء وأمنت الروعات واطمأنَّ الناس، وألف الله له قلوب العباد، وقطع به أسباب الفساد، فلم يعرض له عارض، ولم يبق معارض.

وفود محمّد بن
خزر خاضعاً
مبايعاً..

وأثاه محمّد بن خزر أبو (ط 33) معبد، أمير البربر وابن أميرها، ومن له رئاستها وسياستها، فألقى بيده إليه، وتطارح بنفسه عليه، وأثار

(31) إن كان إدريس يعني تاريخ الخطبة، فهي سنة 341. وإن كان يعني الحملة على أهل أوراس ففي 342 كما قال.

(32) هذه الحملة في الأوراس ذكرها المقرئزي (أتعاظ، 134) وابن حمّاد، 40، دون أن يصرّحاً أنها كانت بقيادة المعز بل يقول ابن حمّاد أن المعز توقّف بالأربس، وقوّد على الجيش زيدي بن مناد.

الله طريق رشد، وطلعت له طوالع سعده، فدخل في دعوة الإمام (عم) وأخذت عليه البيعة، وعاد بعد النصب⁽³³⁾ إلى رأي الشيعة، متوالياً لعلّي بن أبي طالب أمير المؤمنين والأئمة من ذريته الطاهرين. فشمله من تطول الإمام المعز لدين الله وإنعامه، وجوده وإكرامه، ما صار به كأحد العبيد المملوكين، وهو في ذلك في المكان المكين، لم تتضع رئاسته، ولم تدن مكانته. وهو وآباؤه مملكون على البربر من قبل الإسلام، ولهم الانقياد إليهم، وهم فيهم جارو الأحكام. ونقل أولاده وعياله وأهل بيته إلى باب أمير المؤمنين وحضرته، وحلّ عنده ومعه في قراره ودار مملكته، راغباً في ذلك أشد الرغبة، جاعلاً طاعة إمامه إلى الله أفضل وسيلة وقربة.

وسار معه قواد البربر ووجوهم والمشهورون بالرياسة منهم، كأيوب بن سماك⁽³⁴⁾ وأبي الغزو⁽³⁵⁾ مسنويه وغيرهم، طائعين غير مكرهين، خاضعين مستسلمين. فأحبوا الكون في جملة الإمام (عم) والحلول في دار مملكته، لما شملهم من الإفضال والإنعام.

.. وشافعاً في أصحاب أبي يزيد الباقيين

وانصرف أمير المؤمنين من سفره ظاهراً ظافراً، عزيزاً/ قاهراً، قد دانت له الجبابرة، وذلت العظماء صاغرة. ووصل إلى دار مملكته بالمنصورية سالماً غانماً. ثم وصل إلى المهديّة مدينة جدّه فأقام بها أياماً. وأقبل على الأستاذ جوذر إقبالاً حسناً، وأفضل عليه إفضالاً واسعاً.

21/2

(33) النصب: عداوة الشيعة وكراهيتهم وانتقاص أئمتهم.

(34) لا نعرف أيوب بن سماك، ولكن نعرف أيوب بن خيران الزويلي أبا سليمان، وهو أحد قواد أبي يزيد المرهوبين (انظر ص 259 و 267 وما يليها).

(35) لعلّه مسنويه بن بكر الكملاني الذي كانت له مشاركة في صفوف أبي يزيد، ولا سيما في احتلال تونس (انظر ص 316 - 318 و 385).

وراجعه الأستاذ في حاجة طلبها منه في حوائج الدين، ومما يُنتفع به في الآخرة من العلم، فكان جواب أمير المؤمنين (عم):

«يا جوذر صانك الله! والله ما وعدتك بشيء وأنا أرجع (ط 34) لك فيه، وإنك لمحقوق عندنا لكل خير، وبالله ما ادّخرنا عنك شيئاً نُحبُّ إعطاءه لغيرك، وما في نيتك وولایتك كدر نحتاجُ إلى تصفيته، ولم يبق لك علينا إلا إسعافك بما سألت. ونحن فلم نجىء إلى المهدية إلا بالمستخف من القش⁽³⁶⁾، ولا يتهياً وصول هذا إليك إلا من يدي إلى يدك، ونحن نصل إلى المنصورية على خير وعافية إن شاء الله. والذي تطلبه بها، ولا يتهياً أن يُخرجه غيرنا. فبعد يومين أو ثلاثة إن أمكنك أن تُظهر أنك عليل، وتختفي عن الناس، بعد أن تسكن وحشتهم منا، ثم تنسل إلينا بالليل من حيث لا يعلم بك إلا من تثق به، إلى أن يكون نزولك عندنا، فتنال ما أملت، وتشاهد زيارة قبر المنصور بالله صلوات الله عليه، وتنصرف من وقتك. فإن وصولنا من المهدية يبعد من الساعة إلى حين الربيع، والموت بيد الله، وقد قال عز وجل: ﴿وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ بَأْيَ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (لقمان، 34). وأنا أوجه إليك بكتاب مليح هو بخط المنصور بالله صلوات الله عليه فيه كلام الأئمة عليهم أجمعين أفضل التحية والسلام، ومواعظ، تتدبره هذين اليومين، ونحن لك على إتمام ما أملت، فكن من ذلك على ثقة إن شاء الله»⁽³⁷⁾.

وخرج الإمام أمير المؤمنين راجعاً إلى المنصورية. فبعد أيام

(36) القش بالفتح: يابس النبات، وكناية المنزل وما خف من متاع البيت ولوازم السفر وهو استعمال قريب من معناه في العامة: الأثاث والمتاع.

(37) سيرة جوذر، 85.

قلائل (ط 35)، نفذ الأستاذ على حسب ما أمر به الإمام، فبلغ الأمل من حاجته، وانصرف مسروراً لم يشعر به أحد⁽³⁸⁾.

ولم يَقم جوذر الأستاذ بعد ذلك بالمهدية إلا قليلاً. ثم نقله أمير المؤمنين / إلى المنصورية، وأسكنه عنده في دار البحر داخل قصره⁽³⁹⁾ كما جرت به عادته من السكنى مع مواليه حيث كانوا⁽⁴⁰⁾. وهو الذي عنه القاضي النعمان حيث قال: «سمعت المعزّ لدين الله (صلح) يقول لبعض خاصّة عبيده وقد قدم عليه من المهدية، وكان مقيماً بها، وأمره بالمقام بحضرته وخصّه بالقرب منه لتقديم ولايته وصحبته وعفافه: إِنَّكَ لَنْ تَعْدَمَ بِقَرَبِكَ مَنَّا خيراً تُفِيدُهُ وَمَسْرَةً تَغْتَبِطُ بِهَا وَتَطِيبُ نَفْساً بِوَرُودِهَا وَنِعْمَةً تُحَوِّزُهَا وَتُسْتَفِيدُهَا كَمَا لَا يَعْدَمُ مِنْ قُرْبٍ مِنْ عَدُوِّنَا وَحَلٍّ مِنْ خَاصَّتِهِ مُحَلِّكٌ مَنَّا، مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَلَعْنَتِهِ وَخَزِيهِ وَمَقْتِهِ فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُ حَسَبَ مَا يَسْتَحِقُّهُ، وَلَمَّا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَنْكِي وَأَشْقَى، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ (طه، 127). كما أَنَّ مَا أَعَدَّ لِأَوْلِيَائِنَا وَلِمَنْ سَعِدَ بِقَرَبِنَا وَرِضَانِنَا مِنْ ثَوَابٍ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ عِنْدَهُ أَجَلٌ وَأَعْظَمُ مِمَّا يَظُنُّهُ وَيَسْمُو إِلَيْهِ أَمَلُهُ.

22/2

.. ويسكنه بقربه
بالمنصورية

(38) إن كانت حاجة جوذر هي الوقوف على قبر المنصور، فلنأخذ نتساءل عن سبب هذا التكتّم في خروجه من المهدية: احتياطاً من عناصر الشغب ضمن الأسرة الحاكمة؟ كما نستغرب أن يجعل الداعي إدريس هذه الرغبة من جوذر «حاجة من حوائج الدين، ومما يتنفع به من العلم في الآخرة». على أن سيرة الأستاذ - وعنها ينقل صاحبنا بالحرف أو بتصرف - لم توضح حاجة جوذر «المتقدّم ذكرها»، ولعلّها أنموذج من خطأ المنصور، بدليل قول المعزّ: والذي تطلبه يوجد بالمنصورية ولا يخرجّه غيرنا. ولم يتبّه ماريوس كانار ولا ناشرا السيرة إلى غموض هذه الفقرة. وقد أخطأوا جميعاً في فهم عبارة «القش» المتقدّم شرحها، لأن نصّ السيرة يقول: بالمستحقّ من القيروان.

(39) في خصوص دار البحر بالمنصورية، انظر المجالس والمسائرات، 326 هامش 2، وص 552 هامش 1.

(40) نقل عن السيرة، 85، ولكن بتصرف كبير.

فَقَبِلَ الْأَسْتَاذُ⁽⁴¹⁾ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَنْ حَضَرَ مِمَّنْ خَصَّهُ بِقُرْبِهِ، وَحَمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَوْلَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَشَكَرُوا لَهُ ذَلِكَ بِمَا قَدَرُوا عَلَيْهِ⁽⁴²⁾.

وَكَانَ الْعَمَّالُ فِي الْمَهْدِيَّةِ عَلَى يَدِ جَوْذَرٍ مِنْ تَحْتَ أَمْرِهِ، وَهُوَ الْمُرَادُ فِيهِمْ وَالْمَصْدَرُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَوْلَاهُ. وَكَانَ «نَصِيرٌ» خَلِيفَتُهُ فِي الْمَهْدِيَّةِ، وَ «نَظِيفٌ» صَاحِبُ بَيْتِ الْمَالِ، وَ «حُسَيْنُ بْنُ يَعْقُوبٍ» (ط 36)، صَاحِبُ الْبَحْرِ، وَكُلُّهُمْ مِنْ مَمَالِكِ الْأَثَمَةِ وَعَبِيدِهِمُ الَّذِينَ نَشَأُوا عَلَى يَدَيْ جَوْذَرٍ فِي الطَّهَارَةِ وَالْأَمَانَةِ وَالْخَصَالِ الْمَحْمُودَةِ وَالْأَفْعَالِ الصَّالِحَةِ، اقْتِدَاءً بِأَثَمَتِهِمْ وَسِيرًا عَلَى نَهْجِهِمْ، وَاسْتِنَارَةً بِأَنْوَارِ سِرْجِهِمْ.

قَالَ الْقَاضِي النِّعْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ):

وَكَانَ اعْتِمَادِي أَيَّامَ الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ (صَلَعَ) فِيمَا أَحَاوَلَهُ عِنْدَهُ وَأَرْفَعَهُ إِلَيْهِ، وَأَطَالَعَهُ فِيهِ، عَلَى الْمَعَزِّ لِذَيْنِ اللَّهِ (صَلَعَ). فَمَا أُرْدَتَهُ مِنْ ذَلِكَ بِدَأْتَهُ بِهِ وَرَفَعْتَهُ إِلَيْهِ وَسَأَلْتَهُ حَسَنَ رَأْيِهِ فِيهِ: فَمَا أَمَرَنِي أَنْ أَفْعَلَهُ مِنْ ذَلِكَ، فَعَلْتُهُ. / وَمَا كَرِهَهُ لِي، تَرَكْتَهُ. فَكَانَ لِي فِي ذَلِكَ رِفْدٌ عَظِيمٌ وَفَرَحٌ كَبِيرٌ، وَلَمْ أَكُنْ أَعْمَلُ [شَيْئًا] عَلَى رَأْيِهِ إِلَّا ظَهَرَتْ لِي بَرَكَتُهُ وَالسَّعَادَةُ فِيهِ، وَلَمْ يَنْهَنِي عَنْ شَيْءٍ فَتَرَكْتَهُ، إِلَّا تَبَيَّنَ لِي بَعْدَ ذَلِكَ غَيْبُهُ⁽⁴³⁾.

فَلَمَّا قَبِضَ الْمَنْصُورُ بِاللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَبَرَكَاتُهُ وَرَحْمَتُهُ،

(41) فِي الْمَجَالِسِ، 464: فَقَبِلَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، وَلَا تَدْرِي لِمَاذَا يَكْتُمُ الْقَاضِي اسْمَ جَوْذَرٍ.

(42) الْمَجَالِسِ، 463 - 464

(43) غَيْبُ الْأَمْرِ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ: عَاقِبَتُهُ وَأَيْضًا فَسَادُهُ، مِنْ غَيْبِ الطَّعَامِ (نَصَرُ): بَاتَ فُفْسِدَ.

احتجّت إلى مطالعة المعزّ (صلح) ومعاملته بما كنت أعامل المنصور وأطالعه به، فعدمت من دونه ما كنت وجدته فيه دون المنصور (عم)، فبقيت وقتاً طويلاً أتهيب ذلك وأخاف التقحّم فيه. فلما طال ذلك عليّ كتبت إليه رقعة رأيت أن أقدم فيها عذراً عنده فيما عسى أن أرفعه إليه وأخاطبه فيه، كان فيها:

قد علم أمير المؤمنين (صلح) اعتماد عبده، فيما كان يرفعه إلى المنصور قدّس الله روحه، على فضل رأيه ومطالعه به قبل رفعه، وعمله فيه بعد ذلك على أمره ونهيه، وأنّ ذلك ممّا وجد غبّ عاقبته ودامت السلامة وحسّنت الحال له به. ولم يجد عبداً أمير المؤمنين (ط 37) الآن دون مولاه مولى يعتمد في مثل ذلك عليه فيما يخاطبه به ويرفعه إليه. وقد روى فيما يرويه عن مولاه عليّ أمير المؤمنين (صلح) في فصل من فصول كلامه ذكر فيه الواجب على الأمة للأئمة، فقال فيه: وإذا كان العلماء في زمان إمام حقّ وأهله فاسقون، وجب على العلماء عرض أنفسهم على إمامهم، وتعريفهم من الكفاية والأحوال الصالحة ما لديهم وتسليم أنفسهم إليه ليُسَلِّمَهم إلى الأشكال والحدود التي يجدها أبلغ وأنفع لما يريد.

والذي يجب على عبد أمير المؤمنين من هذا كشفه لمولاه من حال نفسه، اعتقاد ولايته والإخلاص له فيها، وذلك أصل ما لا يزكو عمل إلاّ به، والصدق فيما يقوله له وعليه. لا يسأله الله عن كذب إن شاء الله لا يتعمّده ولا يقصده، والتسليم لمولاه واستفراغ المجهود فيما يتحرّى به رضاه.

وأمير المؤمنين أعلم بعبده وما يراه أهلاً له. فإن وقع من أقواله وأفعاله شيء/ بخلاف [موافقة مولاه]⁽⁴⁴⁾ فمن حيث رأى أن

24/2

(44) سقط من المخطوط.

يقع ذلك بموافقته وهواه، وقد قال جدّه رسول الله (ﷺ): «تجاوز الله لأمتي عن خطيئها ونسيانها وما أكرهت عليه»⁽⁴⁵⁾ وأمير المؤمنين (صلع) مُخَيِّ سَنَةِ جَدّه ومقتفي أثره ومنجز وعده لأهل عصره ومتبع أمره، فإن أمر عبده بإيراد أموره عليه على جميل الظن في الصّبح به وبلوغ الأمل من التجاوز عنه، فعل من ذلك ما هو أهله.

فوقع إليّ في ظهر الرُّقعة بخطّه: صانك الله يا نعمان، وقفتُ على كلّ الذي وصفته في رقعتك هذه واستدلت من لفظك على شيء قد تبين لي منك ولم أتحقّقه إلّا عند وقوفي على رقعتك هذه: والذي تبين لي منك، فنفارك عمّا كنت عليه من الانبساط (ط 38) والاستراحة إلينا فيما عساه يعرض لك ويقع إليك. فرأيتُ منك انقباضاً أوحشني إذ لم يكن له سبب ولا علةٌ تُوجبه، بل الأمل فيك خلافاً ما يسمو إليه أملك من التشريف والتنويه باسمك ورفع منزلتك إذ لم أكن أطلع إلّا على خير وأحوال يجب أن يكون عليها كلّ وليّ لنا مثلك. وكان الأولى بك التزيّد في السعي المحمود ليكون حالك حالاً يغبطك بها الوليُّ ويكيّدك عليها العدو، وفّقك الله وسدّدك.

والذي وصفته من حالك مع من صلّى الله عليه⁽⁴⁶⁾ وألحقنا به، فحالك لم تخفَ علينا بل كنّا أصلها وفرعها وإن كان الشخصُ الجسمانيّ المقدّس قد غُيِّب عن أبصارنا ونُقل إلى سعة رحمة الله، فإنّ المادّة الروحانيّة متصلةٌ غير منقطّعة، والحمد لله ربّ العالمين. فمولاك مضى وإمامك خُلف، فاحمد الله واشكره وسلّم لأمره،

(45) هذا الحديث رواه النعمان في دعائم الإسلام، 284/1 بغير إسناد. وأخرجه مسلم في صحيحه، 146/2 عن معمر عن قتادة، بلفظ مغاير.

(46) أي المنصور بالله، والجملتان دعائيتان وإلحاقهما بالاسم الموصول غريب عن العربيّة.

واكتب إليّ بما عساك تُحبُّ ذكره ليأتيك من أمرنا ما تعمل عليه إن شاء الله (تع)، والسلام عليك.

(قال القاضي):

فما أعلمُ أني سررت منذ كنت، سروري يومئذٍ، لما قرأت هذا التوقيع وأسقطتُ عن نفسي وحشة التعقُّب وأزحت عنها مؤنة التحفُّظ واعتمدت فيما أعامله به وأرفعه إليه / وأخاطبه فيه على حسن النية وسلامة الطوية وترك التصنع في [كل] الأمور. فما زلت أتعرف على ذلك منه صلوات الله عليه فضلاً عندي يتجدد ونعمة تتصل وأسباب خير تتأكد، أكمل شكرها عندي الإقرار بالعجز عنه، وأبلغ وصفها لدي الاعتراف بالتقصير فيه⁽⁴⁷⁾.

25/2

وكان للقاضي النعمان (رضي الله عنه) مع الأئمة الذين عاصروهم المكان المكين، والمنزلة التي يقل فيها المماثل والقرين. وقد ذكرنا خدمته للإمام المهدي (ط 39) بالله، والقائم بأمر الله، والمنصور بالله، وهو يزداد في وقت كلِّ إمام رفعة، وترفع درجته مع كلِّ إمام، ومن آمن معه. وازداد في أوان المعز لدين الله سموً ورفعة وعلوً، وقرباً منه ودنوً. ورفع ذكره، وأبان فخره، وجعله قاضي القضاة، وأضاف إليه الدعوة، وأسماه في مراتب الدعوة إلى أسمى ذروة. وجعل إليه إزالة المظالم، وأمضى حكمه على كلِّ حاكم. وأمره بقراءة كتب الأئمة من آبائه، ونشر علومهم على أتباعه وأوليائه، وأن يرتبهم على مراتبهم، ويوليهم من ممن ولي الله بحسب علومهم وما هو من واجبه.

منزلة النعمان تعلو
عند
المعز. . .

قال القاضي النعمان:

ولما فتح المعز لدين الله (صلع) للمؤمنين باب رحمته وأقبل

(47) المجالس والمسائرات، 351 - 353.

على أوليائه بوجه فضله ونعمته، أخرج إليّ كتباً من علم الباطن وأمرني أن أقرأها عليهم في كل يوم جمعة في مجلسٍ في قصره المعمور بطول بقائه. فكثُر ازدحامُ الناس وغصَّ بهم المكان وخرج احتفالهم عن حدِّ السماع وملؤوا المجلس الذي أمر بإسماعهم فيه، وطائفةٌ من رَحبة القصر، وصاروا إلى حيث لا ينتهي الصوت إلى آخرهم. وقيل له في ذلك (صلح) ووُصف له أن فيهم مَن قد شملته الدعوة أهل تخلف ومن لا يكاد أن يفهم القول، وأن مثل هؤلاء لو مُيزُوا وجُعِلَ لهم مجلس يُقرأ عليهم فيه ما يحتملون ويفهمون، لكان أنفعَ لهم.

26/2

فهم بذلك (صلح)، فعظم الأمر على أهل هذه الطبقة ورأوا أنه إنما قَصُرَ بهم من أجل تخلفهم في حالهم. وجرى ذكر ذلك / بين يديه وأنا حاضر وقد دعا بالحجّام ليأخذ من شعره⁽⁴⁸⁾ فدخل، وقمت وتَنَحَّى من كان بين يديه فدعاني ووقف الحجّام على رأسه، فقال لي: لقد مرَّ بي البارحة في أمر هؤلاء ما منع من إبعادهم من كتاب الله، وذلك ما ذكره (عج) في سورة هود، فانظر ما هنالك.

.. فيقيمه لقراءة
كتب

الباطن في مجالس
الدعوة

فلم يتهيأ، لما كان عليه، أن أستفهمه عن ذلك (ط 40) ولا كيف مرَّ به ذلك: أمِن قراءة قرأها أم في رؤيا رآها؟ غير أنني قلت: أنظره يا مولاي.

فانصرفت ونظرت في سورة هود فوجدت في قصّة نوح قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ: مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ

(48) الحجّام هنا الحلاق، وقد رأينا في أخبار المهديّ تقيوس: المزيّن بمعنى الحلاق أيضاً.

أَرَادْنَا بِأَدْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ
 قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ
 فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ؟ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ
 عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ
 مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ
 إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ
 الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ
 اللَّهُ خَيْرًا، اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿

(هود، 25 - 31).

فعلمت [من] هذه الآيات [أنه] أراد وأمر - أدام الله علوه أمره -
 بإسباغ رحمته على كافة المؤمنين، وأوسعهم منها جماً من عطائه
 وجزيلاً من نعمائه، وإن كان ذلك لا يستقر إلا في قراره ولا يعيه إلا
 أهله ولا يأخذ كل أمرٍ إلا قسطه بحسب ما فيه من القوة وما
 يتصل به من المادّة، كما أن ضوء النهار قد يتصل بالأبصار وإنما
 يقبل منه كل بصير بقدر صحته وقوته، والذي لا صحة له ولا قوة فيه
 منها لا يتصل به شيء من ذلك الضوء، كما أن آنية لو وضعت
 تحت سماء ممطرة لم يستقر الماء إلا فيما كان منها أجوف، وما
 كان مسطحاً ومكبوباً على رأسه أو ملقى على جانبه لم يدخل فيه
 شيء من ذلك الماء، وما استوى (ط 41) على اعتداله منها وكان ذا
 جوف أخذ من الماء بقدر سعته / واحتماله وصغره وكبره.

27/2

وكذلك هذا الأمر. وقد قيل إن بعض الأئمة أطلق لبعض
 المؤمنين قولاً من الباطن ويحضرته بعض غلمانته، فظن بعض من
 حضره أنه لم يره فنبه عليه وأشار له إليه فقال: قد رأيت، وليتكم
 أنكم تفقهون ما أقول!، وقد أخبر الله (تع) بمثل ذلك عن قوم
 سمعوا من رسول الله (ﷺ) ما لم يفقهوه ولا وعوه فقال: ﴿وَمِنْهُمْ

من يَسْمَعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
مَاذَا قَالَ آنفًا؟ ﴿١٦﴾ (محمد، 16). فأخبر الله (عج) أنهم شهدوا
وَسَمِعُوا ما سَمِعَ أُولُو الْعِلْمِ فلم يعرفوه ولم يعرفوا ما قَالَه
رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)، فأخبر عن رسول الله (ﷺ) أَنَّهُ قَدْ جَمَعَ مِثْلَ هَؤُلَاءِ
فِيما أَسَمَعَهُمْ مع ذوي الْعِلْمِ. وقد شاهدنا مِثْلَ هَذَا ورأينا كَثِيرًا من
قَوْمٍ يَسْمَعُونَ ولا يَعْلَمُونَ ما سَمِعُوهُ ولا تَعَلَّقُوا شَيْءٌ مِنْهُ بِقُلُوبِهِمْ،
وقوم سمعوا ذلك معهم ووعوه وعلموه وانتفعوا به، وأولياء الله أعلم
بما يفعلون وبمن يَخْصُونَ ومن يَجْمَعُونَ وعلى أي شيء يجمعون
ويُفَرِّقُونَ، كل شيء عندهم من ذلك بمقدار ووزن وعلى منْهَاجٍ
وسننٍ⁽⁴⁹⁾. هذا ما رواه القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه).

[مناقب القاضي النعمان]

وكان القاضي النعمان من أهل العلم والفضل، وله تأليفات كثيرة
وعِلْمٌ مشهورة. وقد أقر المخالفون بفضله واتساع علمه. وإنما ألف
ما ألف وجمع ما جمع، وصنّف ما صنّف، ممّا أخذه عن أئمة
الذين عاصروهم، ممّا ألقاه إليهم آباؤهم الطاهرون (صلح). ولم
يؤلف تأليفاً ولا جمع كتاباً حتى عَرَضَهُ⁽⁵⁰⁾ عليهم شيئاً فشيئاً فثبتوا
الثابت منه الصحيح، وَقَوَّمُوا الأود بالتصحيح. ومن (ط 42) بحرهم
اغترف، وبهم عرف ما عرف، وبفضلهم فيما ألف وصنّف اعترف.

النعمان في تأليفه
الكثيرة
يصدر عن وحي
الأئمة

فمن تأليفه في الفقه:

كتاب الإيضاح⁽⁵¹⁾، إيضاح ما أجمعت الرواة عليه في الفقه،

(49) المجالس والمساربات، 386 - 388.

(50) «حتى يعرضه» في المتن، وجاء التصحيح في الهامش.

(51) كتاب الإيضاح مفقود (بونواولا، 51) ولم يبق منه إلا جزء من كتاب الصلاة.

والثابت منها بالأسانيد الصحيحة والروايات المتَّفقة، وهو مِثْتان وعشرون جزءاً كما ذكر في قصيدته المختارة المنتخبة⁽⁵²⁾ :

أَلَفْتُ مِنْهَا مَائَتَيْ كِتَابٍ تَزِيدُ عَشْرِينَ عَلَى الْحِسَابِ

وكتاب «مختصر الإيضاح»⁽⁵³⁾، في الثابت منه فيما رواه عن الأئمة / الطاهرين. وكان ابتداءه في تأليف هذا الكتاب على عهد أمير المؤمنين المهديّ بالله (صلع)، بأمره، على ما أراه وأصله، وبينه له وفصله.

28/2

كتبه في الفقه ... وكتاب الأخبار، في الفقه: ثلاثة عشرة جزءاً.

وكتاب الاتفاق والافتراق، فيما اختلف فيه الفقهاء، ووافق قول أهل البيت (صلع): سبعون جزءاً.

وكتاب المقتصر، اختصره عن «الاتفاق والافتراق».

ثمّ إنّه أَلَفَ كتاب «دعائم الإسلام في الحلال والحرام، والقضايا والأحكام»، عن الإمام المعزّ لدين الله أمير المؤمنين. وذلك أنّه حضر النعمان وجماعة من الدعاة عند أمير المؤمنين المعزّ، فذكروا الأقاويل التي اخترعت، والمذاهب والآراء التي اختلفت بها فرق الإسلام وما اجتمعت، وما أتت به علماؤها وابتدعت، وتسامت إليه من العلم بغير برهان مبين وآدعت. فذكر أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (صلع) قول جدّه رسول الله (ﷺ) فيما أثبت روايته آباؤه الطاهرون: «لَتَسْلُكَنَّ سَبِيلَ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ حَذُو النَعْلِ بِالنَعْلِ، وَالْقَذَةُ بِالقَذَةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحَرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ»⁽⁵⁴⁾.

... منها «دعائم الإسلام»

(52) الأرجوزة المنتخبة كثيرة النسخ (بونوالا، 52)، وهي في الفقه أيضاً.

(53) مختصر الإيضاح مفقود أيضاً (بونوالا، 52).

(54) في الجامع الصغير للسيوطي، 122/2: لتركبن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وفراعاً بذراع حتى ..

وفي حديث آخر: «لترَكِبَنَّ سنن من كان قبلكم ذراعاً بذراع، وباعاً بباع، حتى لو سلكوا خشرم دبر لسلكتموه». ثم ذكر لهم المعز (صلع) قول رسول الله (ﷺ): «إذا ظهرت البدع في أمتي فليُظهر العالمُ علمه، وإلا فعليه لعنة الله!»⁽⁵⁵⁾. ونظر (ط 43) إلى القاضي النعمان فقال: «أنت المعنيُّ بذلك يا نعمان!» ثم أمره بتأليف كتاب الدعائم، وأصل له أصوله، وفرع له فروعه، وأخبره بصحيح الروايات عن الطاهرين من آبائه، عن رسول الله (ﷺ) دون ما أنت به الرواة على اختلافها، وابتدعته على تفرق أنواعها وأصنافها، وقال له: «إنّا قد روينا عن الإمام الصادق جعفر بن محمد (صلع) أنه قال: بُنِيَ الإسلام على سبع دعائم:

- 1—الولاية، وهي أفضلها، وبها وبالوليّ يوصل إلى معرفتها. .. اعتماداً على جعفر الصادق
- 2 — الطهارة.
- 3—الصلاة.
- 4—الزكاة.
- 5—صوم شهر رمضان.
- 6—الحجّ إلى بيت الله الحرام.
- 7—الجهاد.

وأمره، فابتدأ بذكر ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (صلع)/ وتبيين ما خصّه به النبي (ﷺ) من فضله، وأنه أولى الأئمة بخلافته، بعد ذكر الإيمان الذي لا يقبل الله عملاً إلاّ به، ولا يزكو إلاّ من كان من أهله. وذكر ولاية الأئمة من ذرية الرسول (ﷺ) وإيجاب الصلاة عليهم، والبيان بالتوقيف على الأئمة، وأنّ الإمامة لا تكون إلاّ بالنصّ والتوقيف، ومنازل الأئمة عند الله (عج)

(55) الجامع الصغير، 31/1 مع اختلاف كذلك.

وبراءتهم ممّن غلا فيهم، وشيئاً من وصاياهم لأوليائهم وشيعتهم.
وذكر ما أوجب الله (تع) من مودّتهم، والحضّ على أخذ العلم
من الذين أوجب الله الأخذ عنهم.

ثمّ ذكر فرائض الإسلام من طهارة، وصلاة، وزكاة، وصوم،
وحجّ وجهاد، وما يلي ذلك من ذكر الحلال والحرام، والقضايا
والأحكام، والأشربة والبياعات، والمأكولات والمشروبات، والطلاق
والمناكحات، والموارث والديات، والشهادات، وسائر أبواب الفقه
المثبتات الموجبات. فأتّم القاضي النعمان هذا الكتاب الموسوم
بـ«دعائم الإسلام». على ما وضعه له أمير المؤمنين (ط 44) المعزّ
لدين الله (صلع) وأصله، وكان يعرضه عليه فضلاً فصلاً وباباً باباً، فيثبت
الثابت منه، ويقيم الأود، ويسدّ الخلل حتّى أتمّه، فجاء كتاباً جامعاً
مختصراً على غاية الأحكام، وتلك معجزة أمير المؤمنين المعزّ لدين
الله (صلع)، أظهرها على يد داعيه وولّيه النعمان بن محمّد (رضي
الله عنه)، وبيان لشريعة جدّه محمّد رسول الله (ﷺ)، رفعا لمعالم
الإسلام، وأمرأ بالسنة، وتركاً للبدعة التي قال عنها النبيّ (ﷺ):
«كلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار»⁽⁵⁶⁾.

ثمّ أمر أمير المؤمنين القاضي النعمان، فاختصر من كتاب
دعائم الإسلام «اختصار الآثار، في ما روي عن الأئمة الأطهار»،
وقرّبه للراغبين، وأبانه للطالبيين. قال القاضي النعمان:

سألني بعضُ القضاة والحكّام والطّلبة بسطَ كتاب مختصر من
قول أهل البيت (صلع) يقربُ معناه ويسهلُ حفظه وتخفّ مؤنّته.
فابتدأتُ شيئاً منه، وقدّرتُ أنّ الكتابَ إذا كمل قام على من يريد
انتساخه بدينار فما دونه، وسمّيته «كتاب الدينار» وذكرت ذلك في

(56) لم نجد هذا الحديث فيما لدينا من مراجع

بسط افتتاحه ورفعته ما ابتدأته منه إلى المعز (صلح) / وطالعه فيه
وسألته قراءته عليه وسماعه منه ليكون ماثوراً عنه. وكتبت مع ما
رفعته منه إليه رقعة ذكرت فيها ذلك له.

فوقع إلي صلوات الله عليه بخطه في ظهرها:

باسم الله الرحمان الرحيم، صانك الله يا نعمان، وقفت على
الكتاب وتصفحته فرأيت ما أعجبنى فيه من صحة الرواية وجودة
الاختصار. ولكن فيه كلمات يعتاص على كثير من أوليائنا معرفتها
فاشرحها بما يقرب من أفهامهم، فيستوي في معرفته والإحاطة بعلم
ألفاظه الشريف والمشروف، فإنه يجيء طريقاً قريباً المأخذ. وسمه
«كتاب الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمة الأطهار»⁽⁵⁷⁾، فإن ذلك (ط 45)
أشبه به من «كتاب الدينار» لأن فيه من علم أولياء الله ما يحق على
كافة الخلق طلبه بأرواحهم فضلاً عن أموالهم. وهذا الاسم يضع
من قدره عند ذوي النعم ويروون أنهم يصلون إليه وإلى ما هو أجل
منه ببذل اليسير من حطام دنياهم، ويروون أن الذي جمعوا وقمشوا
من سحتهم⁽⁵⁸⁾ هو الغنيمة التي عليها المدار إذ كان الفساد على
عقولهم أغلب طباع اللؤم عليهم، إلا من عصم الله منهم، وقليل
ما هم.

ثم وقع بعد ذلك [ب] إصلاح أشياء تُصلح فيما رفعته منه،
وحذف أشياء مما كتبه وأثبتته فيه، ذكرها وعلم عليها. وقرأته بعد
ذلك قراءة عليه وأثبت فيه كل ما صححه وارتضاه وأسقطت مما
كنت كتبت فيه ما أمر بإسقاطه منه وأخذته لفظاً. وأذن لي أن

(57) ذكره إيفانوف برقم 65 وعنوان: مختصر الآثار، أو: اختصار الآثار.

(58) قمش، على وزن ضرب ونصر، جمع فتات الشيء من هنا وهناك والقماش
والقشاش بمعنى، مثل القمش والقش. والسحت بضم السين، ما خبت من
الكسب.

أرويه - لمن أخذه عني - عنه، عمن ذكره فيه من آبائه الطاهرين (صلع) بعد أن أثبت⁽⁵⁹⁾ ذلك عنهم. فعظمت فائدتي فيه وجلت نعمته عليّ به، ولم أكن تعرّضت برفعي ذلك إليه [إلى] غير ذلك ليصح لي ما كنت قد أثرتُه عن آبائه وجمعتُه من كتب الرواة عنهم وسمعتُه قبل ذلك منهم. وفتق لي فيه (صلع) وأمدني من بحر علمه بما صار به هذا الكتاب مشتملاً على جميع الحلال والمحرام، والقضايا والأحكام. وصح لي ذلك عنه فيما أعملُ به من الفرائض المفروضة عليّ وأفيتي به من يسألني، وأقضي به في أحكامي بحمد الله ونعمته وفضل وليّه. وأنا أوْمَلُ إن مُدَّ/ في عمري [أن] أعرض كلَّ شيء أتدبّرُ به كذلك وأخذه صحيحاً عنه. والله يُبْلِغني ذلك ويُمَنِّ عليّ به بحوله وقوّته. فقد رُوِيَتْ عن بعض من لحق جعفر ابن محمد الصادق (صلع) أنّه قال له: يا مولاي، أحبّ أن أعرض ديني عليك. (قال): وذلك من الفرض الواجب: فشهد (ط 46) الشهادتين وأقرّ بالأئمة واحداً بعد واحد يسميهم حتى بلغ إليّه.

فقال له: أعلم أنّ من دان الله (عج) بهذا، فقد دأته بالدين الذي لا يقبلُ غيره ولا يرضى من أحدٍ سواه، واستحسن ذلك منه وصوّبه من قوله، فمن فتح الله له في عرض أصول دينه وفروعه على وليّه، فقد أتمّ نعمته إذ وفّقه إلى أخذها عن إمامه وتصحيحها عن وليّه.

والحمد لله على ما فتح لي فيه من ذلك. وأسأله البلوغ إلى ما أوْمَلُهُ ممّا بقي منه وقبولاً لذلك وتوفيقاً لما يَرْضَاهُ منه⁽⁶⁰⁾.

(59) أثرتنا الإسناد إلى المعز على الإسناد إلى النعمان المتكلم.

(60) المجالس والمسائرات، 360 - 361.

وللقاضي النعمان بن محمد من التأليف في الفقه:

- كتاب يوم وليلة، / وهو كتاب / لطيف في الصلاة المفروضة.

وله - كتاب الطهارة والصلاة وفروضها وسننها.

وله رسالة الأرجوزة المنتخبة: قصيدة مزدوجة نظمها في أبواب الفقه.

وله كتاب كيفية الصلاة على النبي (ﷺ): كتبه ردّاً على من خالفه.

وله كتاب: التقريع والتعنيف لمن لم يعلم العلم فتعاطى التصنيف: جزآن كبيران.

وله الرسالة المصرية في الردّ على الشافعي: جزآن كبيران.

وكتاب في: الردّ على أحمد بن سريج البغدادي⁽⁶¹⁾: جزآن.

وله رسالة البيان: يردّ فيها على ابن قتيبة⁽⁶²⁾.

وله كتاب اختلاف أصول المذاهب: جزآن.

وله كتاب نهج السبيل إلى معرفة علم التأويل: جزآن.

وله القصيدة المختارة: الأرجوزة في الإمامة والحجّة فيمن يستحقّها، ومن ادّعاها وليست له⁽⁶³⁾.

(61) أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، أبو العباس (ت 918/306): كبير الشافعية في عصره، نشر المذهب في أكثر الأفاق، وله تأليف كثيرة بلغت فيما قيل أربعمئة مصنف. وله مساحلات مع علماء المذاهب الأخرى، مثل محمد بن داود الظاهري. وإليه تنسب مسألة «دور الطلاق» أو «المسألة الدائرة» التي عرفت بالمسألة السريجية (انظر دائرة المعارف الإسلامية وأعلام الزركلي).

(62) عنوانها الكامل، كما ذكره بوناوالا، 63: رسالة في البيان في الردّ على ابن قتيبة وكتابه عيون المعارف في بعض الأحاديث المروية عن رسول الله (ﷺ) في القضايا والأحكام.

(63) نشرها بوناوالا بعنوان «الأرجوزة المختارة» (رقم 25 من مؤلفات النعمان). ويبدو =

وأما الذي له في الأخبار، فله:

كتاب شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: ستة عشر جزءاً.

وله كتاب مناقب بني هاشم ومثالب بني أمية: جزءان.

وله كتاب افتتاح الدعوة وابتداء الدولة: جزءان⁽⁶⁴⁾.

كتب النعمان في
التاريخ
والسير...

وقال القاضي النعمان: «أمرني أمير المؤمنين بجمع أخبار الدولة في كتاب، ومناقب بني هاشم ومثالب بني عبد شمس في كتاب، ففعلت، وجمعت في كل فن من هذين الفنين كتاباً جامعاً ضخماً يشتمل على أجزاء كثيرة، على ما رتبته لي وأفادنيه. ورفعتهما/ إليه فاستحسنهما وارتضاهما واستجاد معناهما وقال عليه السلام: أما أخبار الدولة ومن قام فيها وسعى في إقامتها من الدعاة والمؤمنين، فإني أحب أن تُخلد أخبارهم هكذا في الباقيين، ويبقى ذكرهم بالخير في الغابرين، ويخلفهم فيها دعاء السامعين، ويُعرف ذلك لأعقابهم من بعدهم مما أعدّه الله عز وجلّ لهم من الكرامة في دار المقامة، وهذا مما يجب علينا لهم من الحفظ والحقّ إذ لم يلحقونا فنؤدّي ذلك إليهم.

32/2

وأما فضل الآباء ومناقبهم، وضعة الأعداء ومثالبهم، فإن ذلك مما ينبغي أن يعرفه الأبناء والذرية والأولياء، ويكت به المخالفون والأعداء، وينشر في الأنام ويبقى على الأيام، وإن كان فضل أهل الفضل وضعة أهل الضعة معروفين غير مجهولين وظاهرين غير

= من كلام الداعي إدريس أنها هي كتاب الإمامة الذي يذكره بوناوالا كمؤلف مستقل (رقم 26).

(64) بلغت قائمة مؤلفات النعمان في ثبت بوناوالا 62 عنواناً (ص 48 - 68). وافتتاح الدعوة نشر في تونس وبيروت وهو غير ذي جزئين.

مُسْتَوْرَيْن، فقد أَلْقَوْا كَثِيرًا مِنَ الشُّبُهَاتِ وَاحْتَالُوا بِصُنُوفٍ مِنَ
الاحتِيَالَاتِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا
نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف، 8).

وله كتاب معالم المهدي: جزء واحد.

وله كتاب حدود المعرفة في تفسير القرآن والتنبيه على
التأويل: سبعون جزءاً.

وله كتاب تأويل الدعائم: الموجود منه اثنا عشر جزءاً،
إلى آخر كتاب الجهاد.

وله أساس التأويل (ط 48): ألفه قبل تأويل الدعائم، وفيه: تأويل
الولاية وقصص الأنبياء (صلع). والموجود منه سبعة عشر جزءاً.

وله دامن الموجز في الرد على العتقي⁽⁶⁵⁾: أربعة أجزاء.

.. وفي الجدل
والمناظرة

وله كتاب التعقب والانتقاد: جزء واحد.

وله رسالة إلى مرشد⁽⁶⁶⁾، الداعي في مصر، في تربية
المؤمنين: جزء واحد.

وله كتاب تأويل الرؤيا: جزء واحد.

وله كتاب منامات الأئمة: جزء واحد.

وله كتاب التوحيد والإمامة من خطب أمير المؤمنين عليّ
ابن أبي طالب: جزءان.

(65) العتقي: ذكر إيفانوف (رقم 91) ويوناوالا (رقم 31) الكتاب، ولم يعرفوا بالعتقي.

وهو ابن عبد الرحمان العتقي الشاعر الذي مر ذكره ص 462 (هامش 186 و 189).

ولعله هو المؤرخ أبو عبد الرحمان العتقي صاحب «التاريخ الجامع» الذي ألفه

للعزيز الفاطمي، وكان ذكر فيه بعض فضائل بني أمية وبني العباس فغضب عليه

العزیز. هذا مع التنبيه إلى أن النعمان مات قبل تولي العزيز.

(66) افترض يوناوالا، 66 أن هذا الداعي هو أبو عيسى المرشد الذي سيكلفه جوهر

بولاية المظالم بعد فتح مصر (انظر الاتعاظ، 165).

وله كتاب الدعاء: جزءان.
 وكتاب إثبات الحقائق في معرفة توحيد الخالق: جزء واحد.
 وكتاب في الإمامة: أربعة أجزاء.
 وكتاب الهمة في آداب أتباع الأئمة: جزءان.
 والأرجوزة الموسومة بـ«ذات المنن» في سيرة الإمام المعز:
 جزءان.
 والأرجوزة الموسومة بـ«ذات المحن» في سيرة مخلد بن
 كيداد المارق الدجال: جزءان.
 وكتاب المجالس والمسائرات مع المعز لدين الله (صلع):
 أربعة أجزاء⁽⁶⁷⁾.
 وكتاب الحلي والثياب: جزء واحد.
 وكتاب الشروط.
 وله رسائل كثيرة إلى القضاة وغير ذلك.
 فهذا ما ذكره صاحب «سيرة كتامة»⁽⁶⁸⁾. ومن هذه الكتب ما
 هو موجود في جزيرة اليمن معروف مشهور، وهو الأكثر منها. وقليل
 منها هو مفقود⁽⁶⁹⁾، ولا شك في وجود ما فُقد منها حيث مقام الإمام
 العظيم، وحبّة الله على خلقه أجمعين، الذي لا يخلو منه زمن،
 الوارث لمقامات آبائه (صلع)، ما همل غيث وهتن، وآبائه الأكرمين
 وعقبه الباقية فيهم الإمامة إلى يوم الدين⁽⁷⁰⁾.

(67) كتاب المجالس يشتمل على ثمانية وعشرين جزءاً، فلعّل الداعي إدريس يعني
 بالجزء تارة الكراسة وتارة المجلّد.

(68) سيذكر إدريس اسمه في ص 129/2: حيدرة بن محمّد بن إبراهيم. ولا نعلم عنه
 شيئاً.

(69) بل المفقود أكثر من الموجود، وإن وجد، فإنّه مضمّن به عند أصحابه ممنوع عن
 عامّة الباحثين.

(70) لعلّ الداعي إدريس يعني هنا مستقرّ الدعوة الإسماعيليّة في وقته باليمن.

المنصور أيضاً
أوحى إلى
النعمان بمادة
بعض
كتبه

وفيما ورد عن القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه) قال: «خرج إليّ من (ط 49) المنصور (عم) توقيع يقول فيه: يا نعمان، استخرج من كتاب الله ما رفضته العامة وأنكرته. فقلت في نفسي: وأي شيء في كتاب الله يتهماً لأحد يدينُ بدين الإسلام أن يُنكره ويرفضه؟ وتعاظمت ذلك ورأيت في الوقت أنني لا أجد منه حرفاً، ولم أستحسن مراجعته. ثم استعنت بالله عز وجلّ وعلمت أن ذلك لم يقله وليّ الله إلّا وهو موجود، ففتحت المصحف لأقرأه، فأول ما وقعت عيني عليه: بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. [ف] ذكرت قول من قال إنها ليست من القرآن فأثبت⁽⁷¹⁾ ذلك، وانفتح لي القول حتى جمعتُ من ذلك جزءاً فيه عشرون ورقة. فرفعته إلى المنصور صلوات الله عليه فاستحسنه وأعجب به ثم قال: تماداً فانتهيت إلى سورة المائدة، من أول فاتحة الكتاب والبقرة، وقد جمعت من ذلك أزيد من ستمائة ورقة. وكان المنصور عليه السلام إذا لقيته أعجبه ما رفعته إليه منه، وقال: ما تقدّم لأحد مثله. ثم قبض صلوات الله عليه ورحمته وبركاته ولم أتممه»⁽⁷²⁾.

وفضائل القاضي النعمان بن محمد مشهورة، ومناقبه مأثورة مذكورة. وهو الذي قال فيه أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (صلع) «من أتى بعشرٍ عشير ما أتى به النعمان، ضمنت له على الله الجنة! وأما جعفر، فلنا فيه قول آخر»، يعني جعفر بن الحسن منصور اليمن، وكان أبوه من أكبر الدعاة وأفضلهم.

(71) فأثبت ذلك: لعلّه يعني أنّه قرّر أن البسملة هي من صلب القرآن كما يقول الشافعيّ، خلافاً لقول مالك (انظر فصل «بسملة» في دائرة المعارف الإسلامية).
(72) المجالس والمسايرات، 135. وذكر بوناوالا (رقم 35) هذا الكتاب بعنوانه الذي ذكره المنصور في أمره للنعمان: ما رفضته العامة من كتاب الله وأنكرته. ولم يرد كتاب البسملة في قائمة مؤلفاته.

[مناقب جعفر بن منصور اليمن]

وهذا الداعي، جعفر، ابن منصور (ط 50) اليمن، هاجر مملكة أبيه وترك حطام الدنيا ولم يطمع فيه. وهاجر إلى حضرة الأئمة (صلح) فكان له عندهم الفضل العظيم، والمكان الكريم. /ويلج جعفر بن منصور اليمن مع أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (صلح) مبلغاً يقصر عنه المدى، وصار في الفضل والزهد علماً مفرداً.

منزلة جعفر بن منصور اليمن كذلك رفيعة
34/2

ويروى أنّ القاضي النعمان بن محمد اعتلّ بعلّة، فزاره جميع الدعاة وأولياء الدولة وقوادها، ثمّ نَقَه من علّته وزال عنه ما كان يجده، فأتى إلى حضرة أمير المؤمنين المعزّ بعد زوال علّته فسأله عن حاله وألمه وحِمِد الله على ما منّ به من عافيته. ثمّ قال له: من زارك من أوليائنا؟.

قال: كلّهم زارني، إلّا جعفر بن منصور اليمن.

فأخذ أمير المؤمنين (ص) في حديثه. ثمّ أمر بكتب فأحضرت إليه ففتح كتاباً منها وقال للنعمان: «انظر في هذا الكتاب!» فلمّا نظر فيه وتصفّحه، قال أمير المؤمنين: ماذا تقول في هذا؟.

قال: وما عسى أن أقول في قولكم، صلوات الله عليكم؟.

فقال له الإمام: هذا تأليف مولاك جعفر⁽⁷³⁾ إعلاماً له بعالي فضله وبياناً لسامي محلّه. فلمّا خرج القاضي النعمان من حضرة إمامه، لم يكن له قصد غير دار جعفر. فلمّا استؤذن له عليه، خرج مبادراً إليه، إجلالاً له ومعرفة بعالي محلّه. فلم يتمالك القاضي النعمان أن وقع على رجليه يقبلهما، اعترافاً له بالفضل وتواضعاً، غير مستنكف ولا مستكبر، ولا حاسد له على علوّ مقامه ولا منكر.

(73) ورد في هامش المخطوط: وهو كتاب «سر النطقاء». وذكر هذا الكتاب عند بوناوالا (ص 72) تحت رقمي 1 و 2 بعنوان: سرائر ثم أسرار النطقاء.

ه من أولياء عظم الله محلهم ورفع قدرهم عند أوليائه
أولئك إخوان الصفاء وخلان الوفاء الذين لا يتعارضون ولا
لا يترافضون! جعلنا الله ممن أتبعهم واقتدى بهداهم
ثالثهم⁽⁷⁴⁾ ولا قطع بنا عنهم، بحق صفوته من خلقه،
ن عباده! (ط 51).

داعي جعفر بن منصور، أعلى الله قدسه، تأليفات كثيرة
أهل البيت، من توحيد الله جلّ جلاله، ومعرفة ملائكته
، وابتداء خلقه، وقصص الأنبياء، وعلم الملائكة، وذكر
لشريعة، [م]ـ ما هو الحق المبين الذي تتجلى به قلوب
وله سيرة في ذكر أبيه المنصور وافتتاحه اليمن⁽⁷⁵⁾ وقد
ذلك.

* * *

ن لأمر المؤمنين المعزّ لدين الله (صلع) من الحلم والصفح
له العدو البعيد، وجعله له من جملة الخول والعبيد. وقد
كان له من دنو أهل جبل أوراس، وخضوعهم له بعد العتو
. قال القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه):

أحصي ما رأيت المعزّ عليه السلام في مجلسه / وتصرفه
35/2 جه يُعترض بما يوجب العقوبة والغضب، وربما اعترض
ن عبيده في رأيه، وقطع عليه كلامه واحتجّ عليه من يأمره
وراجعه فيما لا ينبغي المراجعة فيه، ممّا يضيق لذلك
عود إلى فضائل
المعزّ حضرته وسمعه، فما رأيت قطّ غضب لشيء من ذلك ولا

بالفتح: الفضل.

بونالوا 12/74 بعنوان: سيرة ابن حوشب. والداعي إدريس لا يذكر شعر
رغم أنه نقل منه كثيراً.

وأكبر ما رأيت منه أنه خرج يوماً إلى خارج المنصورية في بعض ما يخرج له، فازدحم الناس على ركابه وأحاطوا به من كل جهة يسألونه حوائجهم ويرفعون إليه قصصهم، وقد أقام لذلك من يتولاه فأبوا إلا مواجهته به، وهو في ذلك يُقبل عليهم ويسمع منهم ويأمر بقضاء حوائجهم، إلى أن جاء من ذلك ما لم يُمكنه معه المشي، ونفر به الفرس تحته، ودار به. فأمرهم بالانصراف، وأمر من بين يديه من المشاة بصرفهم، فألحوا عليه ولم ينصرفوا عنه وقصّر المشاة عن دفعهم، فتناول رمحا من يد بعضهم وقال: ما جزاء أحدكم إلا ضربه بهذا! ثم نظر (صلح) إلينا وتبسّم في (ط 52) الوقت بعقب ذلك وقال: أما ترون ما نحن فيه؟ وتحدّث، كأنه لم يعارض بشيء.

ولقد نالني ومن رأيت حولي ممّن كنّا نسايره لما رأينا من ذلك، غمّ وغضبٌ شديد، فلا والله ما كان منه في ذلك إلا ما ذكرته ممّا استعمله، وطبّعه الكريم يظهر استعماله إياه كما يُستعمل القضيبي على الطفل إذا جهل ليروّع ويُفزع من أجله.

ولقد تأسّيت به في الحلم عمّن يجهل ويخالف الواجب من دخلتي وعبيدي والإعراض عن زلّاتهم والصفح عن هفواتهم: ولقد بطّروا لذلك وحال عليّ كثير من أمرهم. ثمّ قرنت ما كنت أجده من ألم الغيظ والعقوبة بما صرت إليه من راحة الحلم ولذّة العفو والإغضاء، فرأيت أنّ الذي صرت إليه من ذلك أفضل. وقد كنت كثيراً ما أعاقبُ فأندم على العقوبة إذا سكن غضبي، وأعاتب في ذلك نفسي. ثمّ صلح لي بحمد الله مع الدوام على ذلك كثير من الأمور ممّا لم يكن يصلح بالعنف.

وكذلك رأيت أمر المعزّ عليه السلام على ما منحه الله من الحلم والأناة والصبر يأتي مع ذلك بحسن العواقب وجميل الأمور.

وكثيراً ما فُكِّرْتُ في ذلك فذكرتُ له قول بعض أهل الأدب وقد رأى بعضُ الناس عبيداً له يفعلون في أموره غيرَ الواجب فقال له: ألا تُؤدِّبُ عبيدَكَ هؤلاء وتُصلِحُهم؟ فقال: قد رمت ذلك فرأيتُ أنَّ إصلاح حالي أعودُ عليَّ من إصلاح أحوالهم فتركُهم كذلك، يصفو منهم من صفا ويكُدُّ منهم مَنْ كُدُّ⁽⁷⁶⁾.

(قال): وركب المعزَّ (صلح) يوماً من أيام الربيع إلى مكان وُصف له أنَّ فيه زهراً حسناً ونبثاً عميماً، وفي الطريق الحامل إليه مثلُ ذلك. فلما خرج (صلح) من باب المنصورية اكتنفه النَّاس يسألونه حوائجهم ويرفعون أمورهم (ط 53). فما زال يُقبَلُ بوجهه على الواحد بعد الواحد والجماعة بعد الجماعة منهم ويكلِّمهم ويجيبهم حتَّى انتهى إلى المكان الذي وُصف له، وانصرف وهو على مثل ذلك ما ملأ عينه ممَّا أراد النَّظر إليه ولا أعاره الطرف إلاَّ اختلاسا، ولا أضجره ما كان من أمر النَّاس. وإنا حوله لنضجّر له لذلك، وإنَّ المشاة بين يديه يدفعون النَّاس فيأمرهم بتخلية مَنْ يدفعونه منهم، وإنَّ كثيراً منهم ليطيل مسايَرتَه ويكرِّرُ حاجتَه فيأمره مَنْ حوله بالانصراف ويغمِزُه بعضهم إرادة التخفيف عليه وأن ينظرَ إلى ما خرج إليه، فينهاهم عن ذلك ويأمر أن يدعُوا مَنْ كلَّمه إلى أن يقضي حاجتَه وينصرفَ عن رأي نفسه.

بشاشته نحو رعاياه

وهذا دأبه في أكثر خروجه صلوات الله عليه، ولا أعلم ولا سمعتُ أحداً وُصف بمثل ذلك من الصَّبر⁽⁷⁷⁾.

(قال): ولقد حضرت يوماً مجلس أمير المؤمنين المعزَّ لدين

(76) المجالس والمسائرات، 211 - 212.

(77) المجالس والمسائرات، 259.

الله (صلح) فتحدث ملياً. ثم قال لبعض الخدم بين يديه: أصلح الحمام.

قال: نعم.

فجلس بعد ذلك طويلاً ولا أشك إلا أنه قد كان أمر قبل ذلك بإصلاحه. ثم دعا بالفرس فركبه ومشينا بين يديه إلى الحجرة التي فيها الحمام من قصره. فدخل فنزل ليدخل الحمام فأصاب بابه مقفلاً ولم يصلح بعد، فسأل عن المفتاح، فلم يوجد. فوقف طويلاً وما تنكر وما بدا منه غضب ولا قال في ذلك قولاً. ثم دعا بالكرسي فجلس عليه وجعل يتحدث حتى أتى بالمفتاح، وأصلح الحمام. وقام فدخل، وما حرك ذلك منه ساكناً ولا أهاج كامناً. وإن الذي زعم له أنه أصلح الحمام من العبيد (ط 54) لقائم بين يديه. ولقد تداخلني من ذلك غيظ شديد عليه وعلى من يلي إصلاح الحمام⁽⁷⁸⁾.

ومما رواه القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه) من حلم أمير المؤمنين المعز لدين الله (صلح) وصبره وتغمدته/ قال:

37/2

وذكر المعز لدين الله (صلح) يوماً رجلاً كان ورد عليه من جهة المغرب يُعنى بعلم النجوم، فأحسن أمير المؤمنين (صلح) نزله وكساه وحمله ووصله وأجرى عليه جارية لقصده إياه [من بعيد] ورحلته إليه، ولم يلبث إلا قليلاً حتى سأل الإذن له في الانصراف فأذن له. وكنا نتعجب لذلك منه. فقال المعز لدين الله (ص) لي يوماً - وأنا بين يديه -: ألا أخبرك بسبب انصرافه؟

حلمه مع منجم
مخادع

قلت: يفعل من ذلك أمير المؤمنين ما رآه.

(78) المجالس والمسائرات، 210.

فقال: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمَّا وَفَدَ عَلَيْنَا وَصَارَ إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِنَا مَا صَارَ، حَسَدُهُ بَعْضُ أَهْلِ صِنْعَتِهِ مِمَّنْ أُولِعَ بِالشَّنَاعَةِ عَلَيْنَا، فَذَكَرَ لَهُ مَوْلِدًا مِنَ الْمَوَالِيدِ فَقَالَ: مَا تَرَى لِمَنْ وُلِدَ بِهِذَا الْمَوْلِدِ؟
قال: أَرَى التُّحُوسَ قَدْ أَظْلَمَتْهُ، وَلَا أَشْكُ أَنْ آيَامَهُ قَدْ انْقَضَتْ.

قال له: فذلِكَ الَّذِي أَنْتَ فِي نَزْلِهِ وَقَصْدِكَ إِلَيْهِ، (قال - عم -:
يعني) وهذا مولدُه. فرأى الضعيفُ العقلَ أَنَّ انصرافَه بما نال مِنَّا غَنِيمَةً، فَسَأَلْنَا الْإِذْنَ - وَقَدْ انْتَهَى إِلَيْنَا مَا قِيلَ لَهُ - فَأَذْنًا لَهُ، فَانصَرَفَ. وَلَقَدْ رَفَعَ إِلَيْنَا فِي حِينِ انصرافِهِ رَقْعَةً تَعَرَّضَ فِيهَا لِلْمَسْأَلَةِ. وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ أَمَرْتُ لَهُ بِمَائَتِي دِينَارٍ، فَصُرْتُ فِي صِرَّةٍ، وَكُنْتُ عَلَى الْبَعْثِ بِهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى وَقْتِ رَفْعِهِ فَرَأَيْتُهُ وَقْتُ سَعْدٍ. فَقُلْتُ: لَا أَظُنُّهُ إِلَّا وَقَدْ تَحَرَّى لِرَقْعَتِهِ هَذَا السَّعْدَ وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَا أَبْطَلُنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ، فَتَرَكْتُهَا عَلَى أَنْ نَجْعَلَهَا لَهُ فِي وَقْتٍ آخَرَ عَلَى غَيْرِ (ط 55) سُؤَالِهِ. فَأَنْسَأْتُهَا وَخَرَجَ مُحْرُومًا.

فقلت له: لَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ وَلِيَّهِ مِنَ الصَّبْرِ وَالْحِلْمِ وَالتَّغْمُدِ مَا لَا أَظُنُّهُ أَعْطَاهُ أَحَدًا.

فقال (عم): أَوْلَمْ أَخْبِرْكَ عَنْ فُلَانٍ مَذَّ مَدَّةً بِأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ فِينَا وَكُنَيْتُ لَكَ عَنْ كَلَامِهِ، فَرَأَيْتَ ذَلِكَ أَغْضَبَكَ وَأَهْجَكَ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ لِي: وَدِدْتُ أَنِّي ظَفِرْتُ بِهِ فِيمَا يَوْجِبُ بَسْطَ الْيَدِ بِالْمَكْرُوهِ إِلَيْهِ، فَأَنِيْلَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَشْفِي بِهِ صَدْرِي مِنْهُ؟

قلت: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ كَانَ ذَلِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ.
قال: أَفَكُنْتُ فَاعِلًا بِهِ وَمُنْتَقِمًا مِنْهُ بِمِثْلِ انْتِقَامِ اللَّهِ (عج) لَنَا؟
قلت: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟
قال: أَوْمًا بَلَّغَكَ خَبْرَهُ؟
قلت: لَا وَاللَّهِ.

قال: قد هلك منذ ثلاثة أيام بأكله أصابته في فمه فأكلت
داخلة وخارجه.

قلت: إلى غضب الله.

قال: نعم، إلى سعي ناره. أتدري ما كتب⁽⁷⁹⁾ فيما بلغنا
عنه؟

قلت: لا، إلا أن يخبرني أمير المؤمنين.

قال: حكم علينا فيما دلته بزعمه عليه النجوم بأن أمرنا ينقطع
ويزول في الوقت الذي قطع الله فيه مدته بالآفة التي أصابت/ ما
لفظ ذلك به، أفكنا نقدر على أن نفعل به أكثر من هذا؟ إن كثيراً
ممن يتصل بنا أذاه وقوله فينا لربما قيل لهم: أما تخافون أن يعلم
بمثل هذا منكم؟ فيقولون: هو ممنوع منا. ثم تبسم (ص) وقال:
نعم والله، إني لممنوع من الظلم والتعدي، وإن الله (عج) لينتصر
لي ويتقمم ممن تناول مني ما ليس له. أما والله لو شئت لبطشت بهم
ولانتصفت منهم، ولكني لو فعلت ذلك وعلم الناس أنني أنتصر
لنفسي من مثل هذا لأكثروا من البغي على بعضهم من بعض،
وشغلوا صدري بذلك كما شغلوا به من قبلي، ولكني تغافلت
عنهم، وما الله بغافل عما يعمل الظالمون، وهو أعلم بما يُسرون
وما يعلنون (ط 56).

38/2

قلت: الحمد لله الذي منح أمير المؤمنين هذا الفضل
العظيم، وأبانه بهذا البرهان المبين، ووسمه بالآناة والصبر والحلم
وولي الانتقام له من أهل البغي والظلم. وأمير المؤمنين وسلفه،
كما قال أصدق القائلين: ﴿ذُرِّيَّةٌ مِنْ بَعْضِ اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ﴾ (آل عمران، 34).

(79) في المخطوط: ما كتبت. وفي المطبوع: ما كتبت عندك.

ثم ذكرت في مثل ما ذكر من منعه المنجم المحروم ما منعه
لثلاً يرى أن علمه بالنجوم وتوحيه ساعة السعد، به نال ذلك، ما
رويناه عن جعفر بن محمد (ص) أن داراً صار له نصفها عن بعض
مواليه ونصفها لرجل كان يعنى بعلم النجوم، وأنه دعاه (ص) إلى
قسمتها فسوّف ذلك إلى أن اختار لنفسه ساعة سعد، فأتاه فيها بعد
مدة يسأله القسمة، فأرسل معه من يقاسمه، فانصرف إليه يذم علم
النجوم وقال: يا ابن رسول الله (ﷺ) كنت أحب ناحية من هذه
الدار فمطلت بقسمتها إلى أن تخيرت لنفسي ساعة سعد ووثقت
فيها بأنني أنال بُغيتي. فلما قُسمت الدار ورُمي السهم وقع لك ما
كنت أحبّ ولي ما كنت أكره.

جعفر الصادق
كذلك كان
لا يعمل بالتنجيم

فقال له أبو عبد الله (صلع): لولا أن ترى أن اختيارك أشارك
إلى ما تحبّ لأعطيناك ما أحببت، نعم، ولتركنا الكلّ لك، ولكن
لا، والله ما تأخذ إلا ما صار لك. ولكنني أفيدك ما إن قبّلتك كان
خيراً لك ممّا أردته.

قال: وما هو، جعلني الله فداك؟

قال: إذا أصبحت فتصدّق بصدقة / فإنها تذهب عنك نحس
يومك، وإذا أمسيت فتصدّق بصدقة فإنها تذهبُ نحس ليلتك.

فتبسّم المعز لدين الله (ص) وقال: هو كما قال (عم).

* * *

وقام أمير المؤمنين (عم) بأمور دعوته وفتح أبواب (ط 57)
علمه وحكمته. وكان يجلس بنفسه ويعظ شيعته وأوليائه بالمواعظ
الجليلة ويشوقهم للعلم والعمل، ويعلمهم بنفسه، ويدنو لصغيرهم
وكبيرهم، وظهر عنه من الحكمة والعلم والبيان ما لم يشاهد مثله.
وكان مبرزاً في فنون العلم بالغاً منها مبلغاً يقصر عنه أولو الفهم.
وقد ذكر القاضي النعمان بن محمد من فضائله ومناقبه وعلمه ما لا
شغف المعزّ بالعلم
والحكمة

يكون إلا عنه وعن أمثاله من حجج الله وأوليائه الذين أقامهم الله (عج) لهداية عباده، واختارهم في بلاده، وجعلهم خلفاء النبيين وأئمة المؤمنين. وظهر من المعزّ لدين الله (ص) من البلاغة والعلم ما دلّ على تأييد الله له، إذ كان ذلك على قرب عهده وممارسته، ولم يعلم الناس أنّ معلماً علمه، ولا ملقناً لقنّه غير وليّ الله الذي أفضى إليه سرّه وألقى إليه زمام أمره، وأودعه علم ما عنده من علم آبائه وأجداده الذي أخذوه عن رسول الله (ﷺ)، ممّا نزل به الروح الأمين على قلبه. وهو مع ذلك حريص في العلم مجدّد في طلبه، مستكثر منه، راغب فيه.

ولقد روي عن القاضي النعمان قال:

وسمعت صلوات الله عليه يقول فيما يجده في نفسه: والله إنّي لأجد من اللذة والراحة والشهوة في النظر في الحكمة ما لو وجده أهل الدنيا لأطرحوها له، ولولا ما أوجب الله سبحانه عليّ من أمور الدنيا وإقامة ظاهرها لأهلها ومصالحهم فيها، لرفضتها للتلذذ بالحكمة، والنظر فيها، وإن كان الذي قلّدته من أمور الدنيا والنظر فيها حكمةً بالغة لمن أبصر وحجّة لمن تدبّر ونظر⁽⁸⁰⁾.

وممّا أثره القاضي النعمان من مثل ذلك عن الإمام المعزّ لدين الله (ص) قال:

وسايرت المعزّ لدين الله (صلح) يوماً في بعض ما خرج إليه فذكر شيئاً من العلم في فنّ جرى الذكر فيه منه، فقال: ذكرت مثل هذا مذ ليالٍ، وأنا أعرف كتاباً فيه كلامٌ منه مستقصى فأمرت بإحضاره، فلم يعلم من يقوم على الكتب مكانه، فقامت بنفسي إلى

(80) المجالس والمسائرات، 94.

خزانة الكتب، وفتحتُ بعض الصناديق وأنا قائم أطلب ذلك الكتاب من المكان الذي قدّرتُ أنّه فيه، وذلك في أوّل الليل، وقلّبت الكتب، فجعلت إذا مرّ بي كتاب أتصفّحه فيعرض لي فيه ما أحبّ أن أستقصيه، ثمّ يمرّ على يدي غيره فيجري منّي كذلك مجراه، فلم أزل قائماً كذلك أتصفّح كتاباً بعد كتاب وقد شغلني ذلك عن أن أذكر ما أنا فيه فأجلس، حتّى جاز نصف الليل، ونهني على ما أنا عليه وجعّ شديد بقدمي من طول القيام. فانصرفت، وأصبحتُ وقد عرض لي من ذلك وجع مؤلّم برجلي كان من سبب ذلك.

فقلت: هذه والله يا مولاي الشهوة للعلم، والرغبة فيه التي لم يتحدّث بمثلها عن أحد قبل أمير المؤمنين (ص)، فهنّاه الله ما وهبه من ذلك، وبارك له فيه.

فأطرق (ص) كالمستحيي من ذلك وتكلّم بكلام خفيّ لم أفهمه عنه⁽⁸¹⁾.

فهذه رواية القاضي النعمان بن محمّد (رضي الله عنه). وسيرة الأئمة من آل رسول الله (ﷺ) معروفة، وفضائلهم موصوفة، فلا يوجد في أخبارهم وآثارهم إلّا ما يشهد بفضلهم وعلوّ محلّهم من أمر بمعروف ونهي عن منكر وموعظة وذكرى للمؤمنين، وقول حسن، وعبادة لله، مع زهد في الدنيا وتذكير بالآخرة، ونشر (ط 59) علم الرسول ووصيه.

وليست كسيرة بني أميّة وبني العبّاس وأخبارهم، التي هي لهو بطنبور، وذكر قذع، وإحياء باطل، وإماتة سنّة، وإظهار بدعة، وملاعبة قينة.

شتان بين سيرة
الأئمة وسيرة بني
أميّة وبني العبّاس

(81) المجالس والمسايرات، 533.

فماذا الذي يطعن فيهم الطاعنون، ويقول فيهم القائلون، الذين على أولياء الله يفترون، إلا بغياً عليهم، وحسداً لهم، وإنكاراً لفضلهم، ممّا آتاهم الله (تع) من المجد الأسنى، والمقام الأشرف الأعلى، ولأنّهم مالوا بالناس عن عاداتهم الدنيّة، و[عن] إقبالهم على الشهوات المحرّمة في الشريعة الحنيفيّة. فلذلك مالوا عنهم وعادوهم وافترّوا عليهم آفتراءً عظيماً وقالوا فيهم قولاً منكراً. ولمن أنصف في قوله وحكم عقله، وجد فضلهم عظيماً ومقامهم عند الله كريماً وآمن بالله وبهم، وسلّم لله فيما أوجب من طاعتهم تسليماً.

وقد روى القاضي النعمان عن أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (صلع) قال:

وسمعتُه يوماً صلّى الله عليه وآله يقول في مجلس: «أما إني لو شئتُ رضّي الناس لبلغتُ رضاهم بأيسر الأمور عندهم. ولكن ذلك، لو تدروُنَ، فيه اقتحامُ النار.

41/2

فقل له: وما هو يا أمير المؤمنين؟

قال: التّخليةُ بينهم وبين شهواتهم: تُبيحُ لهم - ونعوذ بالله المظاهرة بشرب الخمر والزّنى واللواط وإظهار الملاهي والمعازف، كما يفعله اليوم المتغلّبون من ملوك الأرض لأنفسهم، ويبيحونه لمن تغلبوا عليه. فما كنّا نسمعُ منهم إلا الثناء والشكر. ولكنّ الله عزّ وجلّ قلّدنا أمورهم وافترض علينا تقويمهم واستنقاذ من أناب إلينا منهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم. فنحن نريد نجاتهم من النار، وهم يسخطون علينا، ونُحبُّ (ط 60) إدخالهم الجنّة، وهم يكرهون ذلك منا.

فذكر له بعض من حضر المجلس أمر المتغلّبين من بني أميّة بالأندلس، وأنهم ورعاياهم يشربون الخمر ويبتاعونها في أسواقهم

جهاراً، ويتفكّهون بالغلّمان صراحاً ويزنون علانية، وأنّ حبس⁽⁸²⁾ النساء عندهم ليأتي إليه من أراد ذلك فيدخل إلى السّجان فيختار من النساء على عيّنه من أراد، ولكل واحدةٍ منهنّ رسمٌ معروفٌ، فأيتهنّ اختار دَفَعَ رسمها وفجرَ بها، في وجوه كثيرة من المنكر ظاهرة بيّنة، ذكرها.

فسوق بني أمية
عليّ

فقال عليه السلام: «هذا الذي قدّمنا ذكره. ونحن نعلم أنّ استصلاح ظاهر العامّة واستمالة قلوبها أيسر وأقرب من استصلاحها واستمالتها بالدين والحمل على الحق، لأنّ الحقّ مرٌّ إلّا عند القليل، وما كره الناس منّا في القديم والحديث غيره، ولولا حمل عليّ، عليه السلام، الناس عليه جميعاً وتركه الإغضاء عن شيء منه، والرخصة فيه والمداراة عنه، لما عدل إلى معاوية من عدل، ومال إليه عنه. فالرخصة في الباطل، والإدهان في الحق، والحيث، والأثرة بالدنيا، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة حقوق الله وحدوده التي أمر بإقامتها، كان سبب تغلب بني أمية أولاً، وبه تمسكوا إلى اليوم. وتمسكنا بالحق هو الذي قصّر بنا عند عامّة الناس. لا والله، لا ندعه حتى يظهر الله أمره، فقد قال جلّ ثناؤه: ﴿بَلْ تَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (الأنبياء، 18) وأرجو أنّ ذلك قد قرب أوانه وحنّ حينه إن شاء الله»⁽⁸³⁾.

وفيما أتى عن القاضي النعمان بن محمّد (رضي الله عنه) قال
(ط 61):

وانتهى إلى أمير المؤمنين المعزّ (صلح) أنّ مركباً لبني أمية

(82) في المجالس: سجن.

(83) المجالس والمسائرات، 92 - 93.

قدم من المشرق، فلما صار بين صقلية وإفريقية مرّ بجزيرة فصادف فيها قارباً فيه نفرٌ قدِموا من صقلية يريدون إفريقية، وفيه كتاب من عامل صقلية إلى أمير المؤمنين. فخاف الأندلسيون أن يندروا⁽⁸³⁾ بهم فأخذوا رجلاً⁽⁸⁵⁾ قاربهم واختطفوا بعضَ أمتعتهم وأخذوا فيما أخذوا الخريطة⁽⁸⁶⁾ التي فيها كتاب عامل صقلية، وتركوا القاربَ بمن فيه بالجزيرة لا يجدون ما يحملهم إلى أن مرّ بهم مركب، فركبوا فيه وأتوا بالخبر.

غزوة الحسن بن عليّ على المربة

فغضب أمير المؤمنين صلوات الله عليه لذلك وأمر بإخراج مراكب حربية وأدخل فيها رجالاً من رجال البر والبحر وأمر عليهم حسن بن عليّ⁽⁸⁷⁾ عامل صقلية في سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وأمره بطلب المركب حيث أخذ، وإن وصل إلى الأندلس فلا ينصرف عنه حتى يُحرقه. فلم يلحق المركب إلا وقد أرسى بالمربة مرسى الأندلس ومجمع مراكبها وأساطيل الأمويّ المتغلب عليها ودار صناعة مراكبه وبها عُدته. واتصل الخبر بالأمويّ أن الأسطول قد نفذ إليه⁽⁸⁸⁾ فأعدّ عساكره وعمر مراكبه بالعدة والسلاح والرجال،

(84) في المخطوط: أن يندروا، ويدر يتعدى بإلى فأصلحنا من المجالس، 164.

(85) رجل القارب: سكّانه، أي دفته. انظر ملحق دوزي في المادة.

(86) الخريطة: وعاء أو كيس من جلد تدمس فيه الأوراق وغيرها.

(87) الحسن بن عليّ الكلبي، وقد مر ذكره كثيراً في هذا الكتاب (انظر ص 264 و 497 خاصة).

وتوفي هذا القائد الكبير بصقلية في 18 ذي القعدة 15/354 نوفمبر 965

«فرحا بانتصار وقعة المجاز». وفي خصوص الحادثة التي يرويها المؤلف هنا عن

النعمان، ينظر ملخصها في الافتتاح، 336، وابن خلدون، 46/4، والعيون

والحدائق، 488/2 و 575 وابن الأثير، 349/6، في أخبار سنة 344، وهو التاريخ

المشهور، لا كما قال المؤلف: سنة 343، وهي إضافة وردت في الهامش، ولم

ترد عند النعمان. وسيأتي بعد قليل تاريخ عودة الأسطول: 24 ربيع الأول (من

سنة 344)، وهو غير موجود في المجالس، 165.

(88) في المجالس، بعد هذا. «وسبقت مراكبه راءة في البحر بخبره». والراءة:

المراقبون والطلّاع.

وجاء حسن بن عليّ في مراكبه، وكانت قليلة العدد [و] إنَّما أُخْرِجَتْ لِطَلْبِ المَرْكَبِ، فَأَيَّدَ اللهُ وَلِيَّهَ وَوَهَبَ لَهُ النِّصْرَ، فَاسْتَوْلَى حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى أَسَاطِيلِ الْأُمَوِيِّ وَأَضْرَمُوهَا نَاراً وَغَادَرَ مَا فِيهَا رَمَاداً. وَنَزَلَ مِنَ الْأَسْطُولِ مِنَ الرِّجَالِ وَاسْتَوْلَوْا عَلَى الْمَرْيَةِ [فَأَحْرَقُوهَا وَخَرَبُوهَا بَعْدَ أَنْ قَتَلَ مِنْ وَقَفَ لَهُ بِهَا] ⁽⁸⁹⁾، وَانْهَزَمَ جَمْعُ الْأُمَوِيِّ، فَأَحْرَقُوا مَا بِهَا مِنَ الْمَرَائِبِ وَالْخَزَائِنِ وَالْعُدَدِ (ط 62) وَالْقُوَّةَ، وَانْتَهَبُوا جَمِيعَ ذَخَائِرِهَا، وَهَرَبَ مَنْ اسْتَطَاعَ الْهَرَبَ مِنْ أَهْلِهَا. وَلَمْ يَعْضُوا لِمَنْ بَقِيَ بِهَا مِمَّنْ اسْتَسْلَمَ، بِمَكْرُوهِ، وَقَاتَلُوا مَنْ نَاصِبَهُمْ أَوَّلًا، وَأَحْرَقُوا الْمَرْكَبَ الَّذِي صَنَعَ أَهْلُهُ مَا صَنَعُوهُ، فِيمَا أَحْرَقُوهُ. وَلَمْ يَكُنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرُهُمْ بَغَيْرِ ذَلِكَ، فَانْصَرَفُوا سَالِمِينَ غَانِمِينَ لَمْ يُرْزَأْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِسُوءٍ، فَوَصَلُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسِتِّ بَقِيَّةٍ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ (18 جُولَيَّةِ 955) ⁽⁹⁰⁾.

وَحَلَّ بِالْأُمَوِيِّ الدَّاهِيَةُ وَاضْطَرَبَ عَلَيْهِ الْبَلَدُ وَخَافَ خَوْفًا شَدِيدًا، فَأَلَّفَ مَرَائِبَ وَجَمَعَ جَمِيعَ رِجَالِهِ وَمَنْ يَوْصَفُ بِالنِّكَايَةِ بِلَدِهِ وَأَخْرَجَ أَسْطُولًا فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ بَعْدَ أَنْ كَتَبَ إِلَى طَاغِيَةِ الرُّومِ ⁽⁹¹⁾

(89) إضافة لا توجد في المجالس، 165، وهي من نص مغاير لا ينقل عنه النعمان، بدليل اضطراب الضمائر. وبوجه عام، بدأ الداعي إدريس ينقل عن النعمان بشيء من التصرف.

(90) السنة المذكورة هي 344 لا 343 كما مر. والإشارة لا توجد في المجالس. وهي في المخطوط - وفي المطبوع - وردت في الطرة، فلا ندري هل هي من كلام إدريس حقاً. ولا يدقق ابن خلدون، 46/4 التاريخ، ولا ليفي بروفنصال: تاريخ إسبانيا الإسلامية، 208/2، ولا الدشراوي في أطروحته، 226 - 227. أما ابن الأثير، 349/6، فلا يعدو ذكر السنة: 344، ويضيف أن الحسن بن علي استولى بالمرية على المركب المعتدي، وكان فيه جوار مغنيات جليلين من المشرق إلى عبد الرحمن الناصر.

(91) طاغية الروم هو المصطلح الذي يعين به النعمان الإمبراطور البيزنطي، وهو في هذه الآونة قسطنطين السابع «الفرفوري» (905 - 959 م).

يسأله النصر، وأهدى إليه هدايا وأرسل إليه رسلاً من قبله، فأجابه إلى ذلك. وجاءت أساطيل الروم من القسطنطينية مع الدمستق ومراكب بني أمية من الأندلس.

فجمع أمير المؤمنين المعز لدين الله عليه السلام الأولياء وعرفهم ذلك وأن الروم سألوه عقد هدنة إلى مدة طويلة على أن ينصرفوا عنه، وقال لهم: ما ترون في ذلك؟

فقالوا: أمير المؤمنين أعلى عينا. والذي نراه نحن مهادة الروم، فما علينا من ذلك، وأن نصرف وجوهنا إلى هؤلاء بجملتنا.

فقال: معاذ الله! ما كنت بادئاً إلا بمن بدأ الله عز وجل به، قال تبارك اسمه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ (التوبة، 73)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ (التوبة، 123). فهم أقرب إلينا، وحسبنا انتصاراً بالله على هؤلاء الفسقة بني أمية انتصارهم بالمشركين إخوانهم في الدين علينا ودخولهم في جملتهم وكونهم في حزبهم، وكفاهم بذلك خزبة وعاراً في دنياهم وأخراهم⁽⁹²⁾.

وأخرج عمار بن علي⁽⁹³⁾ بن أبي الحسين في عساكر عظيمة، فانتهى إلى صقلية فظفر بالروم وغرق كثيراً (ط 63) من أساطيلهم، وذلك في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة.

.. وغزوة شقيقة
عمار إلى
قلورية

وخرج أمير المؤمنين المعز لدين الله (ص) من المنصورية

(92) المجالس والمسائرات، 165 - 166.

(93) في المخطوط والمطبوع: عمار بن الحسن، وهو وهم، لأن عماراً هو أخو الحسن بن علي. وقد غلظ البحر في هذه الحملة فعطبت المراكب الفاطمية وغرق عمار (انظر أعمال الأعلام لابن الخطيب، نشر ح. ح. عبد الوهاب، ص 476/50. وانظر كذلك الترجمة الفرنسية لسيرة جوذر، الهامش 422 و 462).

متوجّهاً إلى المهدية بعد أن جمع كتامة وأهل إفريقية في جيوش تملأ الفضاء، ورايات تخفق في جو السماء، وقوة تبهر، وعدة تزهر. فحين صار في المهدية، أمر بعمل الأساطيل، وانتقى فيها الحماة والكمأة، واختار فيها أولي النجدة والمراس، ممن لا يهولهم باس، وقدم عليهم جوهرأ عبده، الكاتب، وحسن بن علي عامل صقلية، وأنفذ الأساطيل، وأمر بكون العساكر في كل مرسى بطريق الأندلس⁽⁹⁴⁾.

وأقبل أسطول الروم فلقي أساطيل⁽⁹⁵⁾ أمير المؤمنين في صقلية. وأقبل أسطول بني أمية لميعاد المشركين. وفتح الله لوليّه على الروم فانهزموا في البحر، بعد أن وقعت بينهم وبين عسكر أمير المؤمنين وقعة عظيمة ومعركة شديدة قتل فيها وغرق خلق عظيم من الروم. وولّوا هاربيين بين يدي أساطيل أمير المؤمنين (عم) إلى مجازرية⁽⁹⁶⁾ ليحموا بلدهم، وأتبعتهم فيما هنالك، فلقوهم في البحر أيضاً فهزموهم وفلّ الله شوكتهم. ونزلت عساكر أمير المؤمنين

(94) تختلف رواية الداعي إدريس عن كلام النعمان، بإضافة اسم جوهر قائداً على الأسطول. ولا ذكر لحملة بحرية قادها جوهر في كتب التاريخ، ما عدا إشارة من ابن الخطيب (ج 3 من أعمال الأعلام، ترجمة رفائلا كستريلو، 32) تقول إن القائم بأمر الله جهّز أسطولاً إلى حنوة بقيادة جوهر، ولعلّ ابن الخطيب خلط بين جوهر وجعفر بن عبيد. وقد ذكر ابن الأثير، 249/6 حملة حنوة تحت سنة 323، ولم يذكر جوهرأ فيها.

(95) الأساطيل هنا بمعنى المراكب. انظر دوزي في المأدة.

(96) مجازرية أو ريو: اليوم مجاز مسينا الفاصل بين صقلية ومقاطعة قلورية Reggio di Calabria من جنوب إيطاليا. والواقعة التي يروي المؤلف تفاصيلها بخطابته المعهودة دارت سنة 956/345، وهي «خسر وقعة» والمجازة التي تلت وقعة «الحفرة»، وكانت انتصاراً للفاطميين برّاً ثمّ بحراً سنة 353. وإلى هذه الوقعة الثانية يتعرض ابن هانيء في قصيدته اللامية الآتية بعد قليل، خلافاً لما يوهم به سياق الكلام عند المؤلف.

بأرضهم وأكثر القتلى فيهم، وأحرقت مدائنهم، وأخربت كنائسهم، ونالت فيهم غاية الأمل من النكاية.

قال الحسن بن جعفر الأنصاري في تاريخه: «فقتل الروم قتلاً ذريعاً ما سمع بمثله إلا في وقعة اليرموك مع الروم بالشام عند طبرية»⁽⁹⁷⁾.

وانتهى أسطول بني أمية إلى بعض مراسي المغرب الخالية القليلة العدد فنزلوا بها يريدون أن يؤثروا أثراً يرجعون به إلى بلدهم ليسكنوا به من خلفهم، فخرج إليهم أهل تلك الناحية فقتلوا منهم بشراً كثيراً فهزموهم فمات في البحر أكثر ممن قُتل، وغنموا ما كان معهم من السلاح، ووجهوا برؤوس من قتلوه وبما غنموا. واتصل بأهل الأندلس خبر الروم فانصرفوا منكوبين خاسرين.

44/2

ووصل البريد إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله، وقد خرج للتنزه، وهو في جحفل عظيم، فنزل عن فرسه وخرّ ساجداً لله (تح) شكراً وتواضعاً، وعقر وجهه الشريف في التراب. فقال محمد بن هانيء الأندلسي الأزدي يصف الفتح وانهزام المستق ومن قتل معه من الروم النصاري، ووصول البريد، ويمدح أمير المؤمنين المعز لدين الله (كامل):

وقعة مجاز ريو سنة

345

يوم عريض في الفخار طویل ما تنقضي غرر له وحجول
ينجاب منه الأفق وهو دجنة ويصبح منه الدهر وهو عليل
مسحت ثغور الشام أدمعها به ولقد تبّل التراب وهي هُمول

(97) قول الحسن الأنصاري هذا ورد في الهامش، ولا ندري هل هو من متن الكتاب أصلاً. على أن المطبوع أورد أيضاً هذه الفقرة (ص 63) ولقب المؤرخ بـ«الهاللي». وانظر ما قلناه عن هذا المؤرخ ص 497.

وَجَلَا ظِلَامَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِهِ 5 مُتَكَشِّفٌ عَنْ عَزْمَةِ عَلَوِيَّةٍ
 مَلِكٌ تَلَقَّى عَنْ أَقَاصِي ثَغَرِهِ فَلَوْ أَنَّ سُفْنًا لَمْ تُحْمَلْ جَيْشُهُ
 لِلْكَفْرِ مِنْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلٌ حَمَلَتْ عِزَائِمَهُ صَبًا وَقَبُولٌ
 شَعْرُ ابْنِ هَانِيءٍ فِي الْإِشَادَةِ لَوْ أَنَّ سَيْفًا لَيْسَ يَتِيكَ حَدُّهُ
 بَرَقَ تَلَقَّى عَنْ أَقَاصِي ثَغَرِهِ بَشْرَى تَحْمِلُهَا اللَّيَالِي شُرْدًا
 أَنْبَاءُ ذِي دَوْلٍ إِلَيْهِ تَدُولُ تَأْتِي الْوُقُودُ بِهَا فَلَا تَكَرَّرُهَا 10
 خَيْرُ الْمَسَاعِي الشَّارِدُ الْمَحْمُولُ وَيَكَادُ يَلْقَاهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ
 جَذُّ الرُّقَابِ بِكَفِّهِ التَّنْزِيلُ قَبْلَ السَّمَاعِ الرَّشْفُ وَالتَّقْيِيلُ
 بَرَقَةُ الْمَجَازِ... مَاءُ الْهُدَى فِي صَفْحَتَيْهِ يَجُولُ

* * *

لِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى إِخْبَاتَهُ 15 لَمَّا أَتَاهُ بِرِيدُهَا الْإِجْفِيلُ
 وَسُجُودَهُ حَتَّى التَّقَى عَفْرُ الثَّرَى وَجَبِينُهُ وَالنُّظْمُ وَالْإِكْلِيلُ
 لَمْ يَنْبِهِ عِزُّ الْخِلَافَةِ وَالْعُلَى وَالْمَجْدُ وَالتَّعْظِيمُ وَالتَّبْجِيلُ
 بَيْنَ الْمَوَاكِبِ خَاشِعًا مُتَوَاضِعًا وَالْأَرْضُ تَخْشَعُ بِالْعُلَى وَتَمِيلُ
 فَتَيَمَّمُوا ذَاكَ الصَّعِيدَ فَإِنَّهُ بِالْمِسْكِ مِنْ نَفْحَاتِهِ مَعْلُولُ
 سَيَصِيرُ بَعْدَكَ لِلْأُئِمَّةِ سُنَّةٌ فِي الشُّكْرِ لَيْسَ لِمِثْلِهَا تَحْوِيلُ
 مَنْ كَانَ ذَا إِخْلَاصٍ لَمْ يُعْيِهِ فِي مُشْكِلٍ رَيْثٌ وَلَا تَعْجِيلُ 20
 لَوْ أَبْصَرْتَكَ الرُّومُ يَوْمَئِذٍ دَرَتْ أَنْ الْإِلَهَ بِمَا تَشَاءُ كَفِيلُ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْ مَقَاوِلِهِمْ إِذَا سَمِعْتَ بِذَلِكَ عَنْكَ، كَيْفَ تَقُولُ؟
 وَدُّوا وَدَادًا أَنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ صِدْقًا وَكُلُّ ثَاكِلٍ مَثْكُولُ
 هَذَا يَدُلُّهُمْ عَلَى ذِي عَزْمَةٍ لَا فِيهِ تَسْلِيمٌ وَلَا تَخْذِيلُ
 أَنْتَ الَّذِي تَرِثُ الْبِلَادَ لَدَيْهِمْ فَالْأَرْضُ قَالُ وَالسُّجُودُ دَلِيلُ (ط 66)

* * *

قُلْ لِلدُّمُسْتَقِّ مُورِدِ الْجَمْعِ الَّذِي 25 مَا أَصْدَرْتَهُ لَهُ قَنًا وَنُصُولُ
 سَلَّ رَهْطٍ مَنُوبِلٍ وَأَنْتَ غَرَرْتَهُ فِي أَيِّ مَعْرَكَةٍ ثَوَى مَنُوبِلُ؟
 مَنَعَ الْجُنُودَ مِنَ الْقُفُولِ رَوَاجِعًا تَبَّأَ لَهُ بِالْمُنْدِيَّاتِ قُفُولُ!

لا تُكَذِّبَنَّ! فكلُّ ما حَدَّثْتُ مِنْ
وإذا رأيتَ الأمرَ خالَفَ قَصْدَهُ
30 قد قالَ رأيكَ في الجِلاَدِ ولم تَزَلْ
ويعثَّتْ بالأسطولِ يحملُ عُدَّةً
ورميتَ في لَهَوَاتِ أَسَدِ الغابِ ما
أَدَّى إلينا ما جمعتَ مُوفِّراً
حتى قال في قصيدته فيما يقول:

إِنَّ التي رامَ الدُّمُسْتُقَ حَرَبُها
لا أرضُها حَلَبٌ، ولا ساحاتُها
55 لَيْتَ الهَرَقْلَ بدا بها حتى انثنى
فلتَعَلِّمِ الأعلاجُ علماً ثاقِباً
70 وليَعْبُدُوا غيرَ المسيحِ فليس في
ما ذاك ما شَهِدَتْ له الأسرى به
بَرِئْتُ مِنَ الإسلامِ تحتَ سيوفِهِ
سَلَكْتُ سَبِيلَ المُلْجِدِينَ ولم يَكُنْ
حتى يقول في مدح أمير المؤمنين:

مَنْ يَهْتَدِي دُونَ المِعْزِ خَلِيفَةً
مَنْ يَشْهَدُ القُرْآنُ فِيهِ بِفَضْلِهِ
105 وَالوَصْفُ يُمَكِّنُ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ
وَالنَّاسُ إِنْ قَيسُوا إِلَيْهِ فَإِنَّهُمْ
تَرَدُّ العِیونُ عَلَیْهِ وَهِيَ نَوَاطِرُ
غَامَرَتُهُ فَعَجَزَتْ عَنْ إدْرَاكِهِ
كُلُّ الأئِمَّةِ مِنْ جُدُودِكَ فَاضِلُ
110 فَافْخَرْ فَمِنْ أَنسابِكَ الْفَرْدَوْسُ إِنْ
وَأَرَى الْوَرَى لَغَوًّا، وَأَنْتَ حَقِيقَةُ

خَبِرَ يَسُرُّ فَإِنَّهُ مَنْحُولُ
فَالرَّأْيُ عَنْ جِهَةِ النُّهْيِ مَعْدُولُ
آرَاءِ أَغْمَارِ الرِّجَالِ تَفِيلُ
فَأَثَابْنَا بِالْعُدَّةِ الْأَسْطُولُ
قَد بَاتَ، وَهِيَ فَرِيسَةُ مَأْكُولُ
ثُمَّ انْثَنَى فِي الْيَمِّ وَهُوَ جَفُولُ

لِلَّهِ فِيهَا صَارُمٌ مَسْلُولُ
مِصْرُ، وَلَا عَرَضُ الْخَلِيجِ النَّيْلُ
وَعَلَى الدُّمُسْتُقِ ذِلَّةٌ وَخُمُولُ...
أَنَّ الصَّلِيبَ وَقَدْ عَزَزْتَ ذَلِيلُ
دِينِ التَّرْهَبِ بَعْدَهَا تَأْمِيلُ
إِذْ يَهْزَأُ الطَّاغِي بِهِ الضُّلَّيْلُ (ط 67)
أَلَا اِعْتِدَادُ الصَّبْرِ وَهُوَ جَمِيلُ؟
مِنْ بَعْدِ ذَاكَ إِلَى الْحَيَاةِ سَبِيلُ

إِنَّ الْهَدَايَةَ دُونَهُ تَضْلِيلُ
وَتُصَدِّقُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلُ
لا يُطْلَقُ التَّشْبِيهُ وَالتَّمْثِيلُ
عَرَضُ لَه فِي جَوْهَرٍ مَحْمُولُ
فَإِذَا صَدَرْنَ فَإِنَّهُنَّ عَقُولُ
لَكِنَّهُ بَضْمَائِرِي مَعْقُولُ
فَإِذَا خُصِصَتْ فَكُلُّهُمْ مَفْضُولُ
عُدْتُ، وَمِنْ أَحْسَابِكَ التَّنْزِيلُ
مَا يَسْتَوِي الْمَعْلُومُ وَالْمَجْهُولُ

شَهِدَ الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا لَكَ بِالْعُلَى إِنَّ الْبَرِيَّةَ شَاهِدٌ مَقْبُولٌ
وَاللَّهُ مَدْلُولٌ عَلَيْهِ بِصُنْعِهِ فِينَا، وَأَنْتَ عَلَى الدَّلِيلِ دَلِيلٌ⁽⁹⁸⁾

وقال أيضاً يمدح الإمام المعزّ لدين الله (صلع) ويذكر خيبة/
بني أمية وقصورهم فيما تناولوا إليه⁽⁹⁹⁾ [بسيط]:

أَلْوَلُّوْ دَمْعُ هَذَا الْغَيْثِ أَمْ نُقَطُّ؟ مَا كَانَ أَحْسَنَهُ لَوْ كَانَ يُلْتَقَطُ
بَيْنَ السَّحَابِ وَبَيْنَ الرِّيحِ مَلْحَمَةٌ، قَعَاقِعُ وَطْبَى، فِي الْجَوِّ تُخْتَرَطُ
كَأَنَّهُ سَاخِطٌ يَرْضَى عَلَى عَجَلٍ، فَمَا يَدُومُ رِضَى مِنْهُ، وَلَا سَخَطٌ (ط 68)
أَهْدَى الرِّبْعِ إِلَيْنَا رَوْضَةً أَنْفًا، كَمَا تَنْفَسُ، عَنْ كَافُورِهِ، السَّفَطُ
5 غَمَائِمٌ، فِي نَوَاحِي الْجَوِّ، عَاكِفَةٌ، تَحْدَرُ مِنْهَا وَابِلٌ سَبِطٌ
كَأَنَّ تَهْتَانَهَا، فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ، مَدٌّ مِنَ الْبَحْرِ، يعلو ثم ينهبط
وَالْبَرْقُ يَظْهَرُ فِي لَأْلَاءِ غُرَّتِهِ، قَاضٍ، مِنَ الْمُزْنِ، فِي أَحْكَامِهِ شَطَطُ
وَلِلْجَدِيدِينَ، مِنْ طُولٍ وَمِنْ قِصَرٍ، حَبْلَانِ: مُنْقَبِضٌ عَنَّا وَمُنْبَسِطٌ
وَالْأَرْضُ تَبْسُطُ فِي خَدِّ الثَّرَى وَرَقًا، كَمَا تُتَشَرُّ، فِي حَافَاتِهَا، الْبُسْطُ
10 وَالرِّيحُ تَبْعَثُ أَنْفَاسًا مَعْطُورَةً، مِثْلَ الْعَبِيرِ، بِمَاءِ الْوَرْدِ يَخْتَلِطُ
كَأَنَّمَا هِيَ أَنْفَاسُ الْمُعَزِّ سَرَتْ، لَا شُبْهَةَ لِلْنَّدَى فِيهَا، وَلَا غَلَطُ
تَاللهِ! لَوْ كَانَتْ الْأَنْوَاءُ تُشَبِّهُهُ، مَا مَرَّ بُؤْسٌ عَلَى الدُّنْيَا، وَلَا قَنْطُ
شَقُّ الزَّمَانِ لَنَا عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ، مِنْ دَوْلَةٍ، مَا بِهَا وَهْنٌ وَلَا سَقَطُ
حَتَّى تَسْلُطَ مِنْهُ، فِي الْوَرَى، مَلِكٌ، زِينَتُ بَدْوَلَتِهِ الْأَمْلاكُ وَالسُّلْطُ
يَخْتَطُّ، 15 فَوْقَ النُّجُومِ الزُّهْرُ، مَنَزَلَةٌ، لَمْ يَدُنْ مِنْهَا، وَلَمْ يُقَرَّنْ بِهَا الْخِطَطُ
إِمَامٌ عَذْلٍ وَفَى فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ، كَمَا قَضَوْا فِي الْإِمَامِ الْعَدْلُ، وَاشْتَرَطُوا
قَدْ بَانَ بِالْفَضْلِ عَنْ مَاضٍ وَمُؤْتَنَفٍ، كَالْعِقْدِ، عَنْ طَرْفِيهِ، يَفْضُلُ الْوَسْطُ
لَا يَغْتَنَدِي فَرِحًا بِالْمَالِ يَجْمَعُهُ، وَلَا يَبِيتُ بَدْنِيَا، وَهُوَ مَغْتَبَطٌ (ط 69)

(98) القصيدة 40 من طبعة زاهد علي، وفي طبعة صادر، ص 256.

(99) القصيدة 26 من طبعة زاهد علي، وفي طبعة صادر، ص 184، والتوطئة منقولة من الديوان.

لكنه ضِدُّ ما ظنَّ الحُسودُ به، وفوق ما ينتهي غالٍ ومُنْبَسِط
يُزري بفيض بحار الأرض، لَوْجُمَعَتْ، بنانُ راحتِهِ المُغْلُولُ، الخَمِيط
وجهٌ، بجوهر ماءِ العرش، مُتَّصِلٌ؛ عِرْقٌ، بمحضِ صريحِ المجد، مرتبط
شمسٌ من الحقِّ، مملوءةٌ مطالعُها، لا يهندي فحوها جورٌ، ولا شَطَط
يُروِّعُ الأسدُ منه، في مَكامِنِها، سيفٌ له، بيصينِ النَّصْرِ مختَرَطٌ

20

خابت أُمِيَّةٌ منه بالذي طلبتْ، كما يَخِيبُ برأسِ الأقرعِ المُشْط
وحاولوا من حضيض الأرض، إذغضبوا، كواكباً، عن مرامي شأوها شَحَطُوا
هذا، وقد فَرَّقَ الفرقانُ بينكما، بحيثُ يفتَرِقُ الرِّضوانُ والسُّخْط
النَّاسُ غيرُكُمْ، العُروْبُ في شَرَفٍ، وأنتم، حيثُ حَلَّ التَّاجُ والقُرْط
ولستُ أشكو لنفسي في مودَّتكم، لأنَّكم، في فَوَّادي، جِيرةٌ خُلِطُ

.. وفي التَّهَكُّمِ
بيني أُمِيَّةٌ
أحلاف الروم

30

يا أَفْضَلَ النَّاسِ، من عُربٍ، ومن عَجَمٍ، وآلِ أَحْمَدَ، إِنْ شَبَّوا، وَإِنْ شَمِطُوا
لِيَهْنِكَ الفَتْحُ، لا أَنِّي سَمِعْتُ به؛ ولا على اللَّهِ، فيما شاء، أَشْتَرِطُ
/ لكن تَفَاءَلْتُ، والأقْدَارُ غَالِبَةٌ، واللَّهُ يَبْسُطُ آمالاً، فتنبسط
ولستُ أسألُ إِلَّا حَاجَةً بَلَّغْتُ، سؤلَ الإمامِ بها، الرُّكَّاضَةُ النَّشْطُ
من فوقِ أدْغَمَ، لا يَجْتَازُ غَايَتَهُ نَجْمٌ، من الأفقِ الشَّمْسيِّ، منخرط (ط70)
يَحْتِثُّ رَاكِبٌ، ضاقتْ مَذاهِبُهُ، بادي التشحُّبِ، في عُثُونِهِ شَمَطُ
إِنَّ المُلُوكَ، إِذَا قيسوا إِلَيْكَ معاً، فأنت، من كَثَرَةٍ، بحرٌ، وهم نُقْطُ

47/2

35

وأرسل ملك الروم إلى أمير المؤمنين المعزَّ لدين الله (صلع)
بأموال جليلة وهدايا عظيمة، ورغب في التوقُّفِ عَمَّنْ بقي من الروم
بأرض قلورية، على مال قطعه على نفسه يؤدِّيهِ، وجزية يحملها إلى
أمير المؤمنين، وأسرى من أسرى الشرق المسلمين يطلقهم.

سفارة بيزنطية
تطلب هدنة

ورأى ذلك أمير المؤمنين صلاحاً للدين وللمسلمين بعد أن
أقدره الله وأمكنه وشفى صدره وصدور المؤمنين به (100).

(100) استأنف لإدريس الثقل عن المجالس والمسائرات، 167 .

قال القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه): والذي قدم إلى المعز بطريق من بطارقة الروم وأشرافهم، رسولاً من طاغيتهم صاحب القسطنطينية، بما أوجبه على نفسه من مغرم الجزية عن أهل أرض قلورية. وجاء منه بهدايا كثيرة من آنية الذهب والفضة مرصعة بالجواهر، وديباج وحرير، وغير ذلك⁽¹⁰¹⁾ من نفيس ما عندهم، ويكتاب من مرسلهم يخضع فيه إلى أمير المؤمنين (عم) ويرغب ويسأل، ويطلب الكف عن حربه ويسأل المودعة. ويبحث بعدد كثير من أسرى أهل الشرق، [م]ـاً لم يكن قط قبل ذلك طاغية الروم بحث بمثلهم إلى ملك من ملوك المغرب، ولا إلى أحد ممن مضى من الأئمة قبل المعز (ص)، ولا [ك]ـان طاغية الروم يؤدي خراجاً ولا جزية عن أهل مملكته إلى غيره (صلع). فقبل ذلك الرسول الأرض مراراً بين يدي المعز لدين الله (ص) ومثل بين يديه، وأدى إليه رسالة مرسله ودفع إليه كتابه واستأذنه في إدخال هديته، وذلك بعد أن أوصل مال الجزية إلى عامل صقلية على الرسم الجاري في ذلك.

فأذن له أمير المؤمنين (صلع) في إدخالها وأسعفه بقبولها وكان أكثر ما أدى إليه الرسول عن طاغية الروم وما جاء في كتابه إليه سؤاله الهدنة مؤبدة على ما أجراه من/ الخراج والجزية على أهل قلورية، وبأن يرسل رسولاً من قبله ليسر بذلك ويفعل فيه ما يجب على مثله لمحبيته بزعمه.

فأجاب المعز (صع) رسوله عن ذلك بأن الدين والشريعة يمنعان من الذي سأل من الهدنة المؤبدة لأن الله (عج) إنما ابتعث محمداً رسولاً (ﷺ) وأقام الأئمة من ولده من بعده يدعون إلى دينه

المعز يرفض الهدنة الدائمة . .

(101) في المجالس، 367: ويرفون وغير ذلك. . وحذف الداعي إدريس البرفون.

ويجاهدُونَ مَنْ خَالَفَهُ حَتَّى يَدْخُلُوا فِيهِ أَوْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدِهِمْ
صَاحِرُونَ دَاخِلُونَ فِي حُكْمِ إِمَامِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَذِمَّتِهِ، وَأَنَّ الْمَوَادِعَةَ
إِنَّمَا تَجُوزُ لِمُدَّةٍ مَعْلُومَةٍ عَلَى مَا يَرَاهُ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ صِلَاحاً لَهُمْ
وَلِلَّذِينَ، وَلَوْ كَانَتْ مُؤَبَّدَةً لِبَطْلِ الْجِهَادِ الْمَفْرُوضِ عَلَى الْعِبَادِ،
وَانْقَطَعَتْ دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ وَخَوِلَفَ حُكْمُ الْكِتَابِ.

وعرّفه أنّه ممّا ينبغي لمثل من كان في محلّ ملكه الذي أرسله
ألا يغيب عنه مثل هذا من شريعة من يخاطبه ويكاتبه وألا يسأل ما
لا توجبه الشريعة لمن يسأله.

(قال): فاعترف العليّ بذلك على مُرسيله وسأل الزيادة في
مدّة الهدنة عنه له.

فقال المعزّ (ص): جواب هذا ما ذكرنا له في كتابنا⁽¹⁰²⁾ أنّه
ما دام على ما شرطناه عليه وأوجبناه لنا على نفسه لم نبدأه بحرب
حتى ننبذ إليه عهده، أو بعد أن تنقضي مدّة المودعة بيننا وبينه، لا
نخفّر ولا نغير كما تخفرون أنتم وتغديرون.

وعدّد عليه أشياء من ذلك فعّلوها، فاعتذر منها عن ملكه بأنّ
ذلك لم يكن عن علمه وأنّه أنكره وطالب من فعله فأعجزه.

فقال له أمير المؤمنين المعزّ (صلح): فإذا كان الأمر على ما
تصفه من ملكك أنّه يُغلب على أمره ويعجز عن خالفه وغلب عليه
من أهل ملته، فأَيّ فائدة في مودعته إذا كان عاجزاً مغلوباً؟

(102) في المجالس، 368: في كتابنا المقدّم معك قبل اليوم إليه. فهذه إذن وفادة ثانية
للمبعوث نفسه (انظر الدسراوي: الخلافة، 243 و 250، وكتاب شلومبرجي عن
نقفور فقاس، 468). والوفادة التي يرويها النعمان هنا وينقلها عنه المؤلّف هي
سفارة سنة 969/358، في عهد الدمستق نقفور فقاس. أمّا السفارة الأولى،
فعلى عهد قسطنطين السابع.

ولكن هل لك ولله في أن أعقد له ما يتفق معي على عقده،
 على من يرى أنه في غير مملكتي ممن يقاتله من أهل المشرق كابن
 حمدان وغيره؟ فإن خرجوا عما أعقده عليهم فلا عقد بيني وبينه.
 فأما من حوته مملكتي وحدود طاعتي فقد علم وعلمت أنهم أقدر
 على أهل دينه ومملكته وبلده - لو قد أرادوا الخفر والغدر - منهم. فهل
 بلغه أو/ بلغك أن أحداً منهم تعدى لي، فيما جعلته له، أمراً
 وخالف شيئاً منه؟

.. ويعرض على
 المبعوث
 عقداً يهتّم واجهتي
 الشام
 وقلورية ..

49/2

فجعل العليّ يعترف بذلك وبالفصل لوليّ الله (ص) ويسأله
 ويرغب إليه. فأعرض المعزّ عن جوابه عن ذلك وجعل يسأله
 عن كيف الحال بينهم وبين أهل طرسوس وابن حمدان في
 حروبهم ومعاملتهم إياهم، في حديث أطاله. وكان ذلك العليّ
 يجيبه عما يسأله من ذلك عنه⁽¹⁰³⁾. فنظر بعض من في المجلس إلى
 بعض كمن لا يدري ما معنى السؤال عن ذلك والمفاوضة فيه. ثم
 عاود العليّ في سؤال رسول يرسله إلى ملكه وذكر له تواتر رسله
 عليه وعلى آبائه مذ أفضى الله (عج) بالأمر إليهم وأنه لم يَمْضِ
 (ط 73) رسول منه ولا منهم إليه.

فقال المعزّ (ص): إن أحداً من الناس لا يرسل رسولاً إلى
 أحد إلاّ لحاجة تعرض له إليه أو لأمر يجب له عليه. ونحن بحمد
 الله، فلا نعلم أن لنا إلى صاحبك من حاجة ولا له علينا واجب.
 فلماذا نرسل إليه؟ اللهم إلاّ أن يكون أمراً من أمور الدين ينبغي لنا
 مراسلته ومفاوضته فيه وهو من المباح في دينه، ولكننا نظنّ أنه
 يكبر عليه. فإن نحن أرسلنا فيه إليه، فعلمت أنه يجيبنا فيه، سهل
 علينا أن نرسل إليه رسولاً كما سأل وسألت عنه. فلولا أن ذلك لله

.. ويرفض إرسال
 سفير
 عنه إلى ملك الروم

(103) أي: عما يسأله عنه من ذلك، والثقل ناتج عن التأخير، وهو من القاضي
 النعمان.

(عج) ولدينه لم نفعل ذلك، ولا ينبغي لنا أن نفعله، إلا بعد أن يتحقق عندنا أنه يجيب إليه، لأننا لا نرى أن نسأل أمراً، وإن كان الله (عج) فنَجِبَةً⁽¹⁰⁴⁾ فيه. ولأن ذلك، لو كان، لكان سوء عاقبته عليه. ونحن لا نلزمك الجواب في ذلك عنه، والقطع فيه عليه، إذ ذلك مما لا يلزمك ولا ينبغي لك، ولكننا سنأمر بذكر ما نريد ذكره لك وتنصرف وتقف على ذلك منه لأنه أمر كبير. فإذا علمت منه بالحقيقة أنه يجيب عنه، عرفتنا ذلك عنه فيسهل علينا أن نرسل فيه إليه. ولو كان ذلك فيما تحويه الدنيا بحذافيرها واشتملت عليه بأقطارها، لما سهل علينا أن نرسل فيه رسولا من قبلنا. ولكنه لما كان لوجه الله (عج) وابتغاء ثوابه سهل علينا ووجب لدينا.

فاستعظم العليج القول في ذلك وأقبل على أمير المؤمنين بالمدح/ والشكر حتى خرج في قوله ذلك إلى الكفر والتشبيه الذي يعتقده. فرد ذلك المعز (صلح) عليه وتواضع الله (عج) كما يجب أن يتواضع له، وعرفه ذلك ليعلم أنه لم يرضه من قوله وإن كان عند نفسه إنما قصد به تعظيمه ورأى أن ذلك مما يجوز عنده. ثم أمره (صلح) بالانصراف إلى المكان الذي (ط 74) أنزله فيه، فانصرف.

ثم عطف على من كان في المجلس كأنه أطلع على ما كان في قلوبهم، فقال: «لعل بعضكم أنكر ما أطلنا سؤاله عنه عن أمرهم مع أهل المشرق؟ ولم نرد بذلك منه الحديث والمذاكرة، ولكني علمت أنه رسول قد لقن ما يقول وأوقف عليه، وعلى ما يجيب فيه مما قد لعل مرسله علم أنه سيسأل عنه. فأتيناه من مكان نعلم أنه لم يتقدم إليه فيه، ولم يعلم مرسله أنه يسأل عنه، حتى أخذنا منه من قبله ما تقوم به حجتنا عليه من وجه كذا ووجه كذا». وعدد وجوهاً

(104) جبهه بالمكروه: استقبله به فاصابته الجبهة، أي المذلة. والمعز، بهذا الجواب الملتوي، يقترح على الامبراطور مناظرة في الدين.

كثيرة ممّا سمعناه جرى بينهما لم ندر أنّ في ذلك حجة حتّى ذكره (صلح) فإذا فيه حجج وكيدة لم تظهر لإحدهم من حضر إلاّ عند ذكره إياها وبيانه لها.

فقبّلوا الأرض بين يديه وأظهروا السرور بما وهب الله من التأييد له وأمدّه من الحكمة والعلم به. وكان ذلك منه (صلح) بعد أن سألهم ما رأوه في مخاطبته إياه فيما خاطبه، وما توهّموه في مراده بذلك، فلم يكن عند أحدٍ منهم علمٌ من ذلك. ثمّ سألهم هل فيما سمعوه منه حجة يروّون أنّها تقوم عليه أو على مرسله؟ فما علم أحدٌ منهم ذلك. فبعد ذلك قال ما قاله لهم ممّا ذكرته عنه (صلح).

هذا قول القاضي النعمان⁽¹⁰⁵⁾ فيما ثبت وروده عنه.

وقال محمّد بن هانئ المغربي يمدح أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (ص) ويذكر ورود رسل الروم يضرعون في الصلح:

(طويل)

<p>شعر لابن هانئ في ذكر سفارة أخرى 51/2</p>	<p>ألا طرقتنا، والنجوم رُكودُ، وفي الحيّ أيقاظُ، ونحن هُجودُ وقد أعجلَ الفجرُ الملمّع خطوها، وفي أخرياتِ الليل منه عمودُ سرت عاطلاً، غصبي على الدُّروحده، فلم يدِرِ نحرٌ ما ذهاه، وجيد فما برحتُ، إلاّ ومن سلك أدمعي قلائد في لبّاتها، وعُقود (ط 75) 5/ وما مُغزِلُ أدماء، دانٍ بريرها، ترَبُّعُ أيكاً ناعماً، وتروُد بأحسن منها، حين نصّت سوافها، تروغ إلى أترابها وتعيد ألم يأتها أنا كبرنا عن الصِّبَا، وأنا بِلينا، والزمانُ جديداً؟ فليت مشياً لا يزال، ولم أقل، بكاطمة: ليت الشباب يعود!</p>
---------------------------------------------------------	--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

(105) المجالس والمسائرات، 367 - 370. وقد نشر فرحات الدشراوي هذه الفقرات في

حوليات الجامعة التونسية، عدد 1965/2 ص 28 - 31.

(106) القصيدة 13 من طبعة زاهد عليّ، وفي طبعة صادر: ص 96.

10 ولم أر مثلي، ما له من تجلُّد؛ ولا كالليالي، ما لهن موائق؛
ولا كالمُعزِّ، ابن النبي، خليفة، له الله، بالفضل المبين، شهيد
وما لسماء أن تُعدَّ نجومها، إذا عُدَّ آباء له وجُود
فأسيافه، تلك العواري نصولها، إلى اليوم، لم تُعرَف لهنَّ عُمود
ومن خيله تلك الجوافل، إنها إلى الآن لم تُحطَّط لهنَّ لُبود...

إلى أن قال فيها:

60 ألا في سبيل الله تبدُّل كل ما
فلا غرَّو أن أعزَّزَ دينَ محمدٍ، تَضِنُّ به الأنواء، وهي جُمود
وباسمِكَ تدعوهُ الأعادي، فإِنَّهم، فأنت له، دون الأنام، عقيد
غَضِبْتَ له أن تُلَّ، بالشام، عرشه، يُقروْنَ حَتْمًا، والمُرادُّ جُحود
فبِت له، دون الأنام، مُسَهَّدًا، وعادَكَ، من ذكرِ العواصم، عيد
برَغَمِهِم أن أَيْدِ الحقِّ أهله؛ ونام طليقُ خائنٍ، وطريد⁽¹⁰⁷⁾
فللوحى منهم جاحِدٌ ومكذَّبٌ، وأن بَاءً، بالفعل الحميد، حميد
وما سرَّهم ما ساءَ أبناء قيصرٍ، وللدين منهم كاشِحٌ وعَنود
هُمُ بَعْدُوا عنهم، على قُرب دارهم، وتلك تِراتٌ لم تزل، وحُقوق
وقلتُ: أناسٌ ذا الدمستق شُكره، وجَحْفُلك الداني، وأنت بَعِيد
وتقبيلُه الترب، الذي فوق خدَّه، إذا جاءه، بالعفو منك، بريد
تُناجيك عنه الكُتُب، وهي ضِراعةٌ، إلى ذِفْرَيْتِه، من ثراه، صعيد
70 إذا أنكرتُ فيها التراجمُ لفظه، ويأتيك عنه القول، وهو سُجود
ليالي تقفو الرُّسُلَ رسلُ خواضع، فأذمُّعه، بين السُّطور، شُهود
وتأتيك، من بعد الوفود، وفود...

(107) الطليق: كناية عن العباسيين، وقد كان جدُّهم الأعلى العباس أسرفي بدر ثم أطلق. والطريد كناية عن بني أمية وكان جدُّهم مروان بن الحكم لعين رسول الله (ﷺ) وطريده من المدينة.

ويقول فيها:

فليت أبا السبطين، والتربُ دونه، يرى كيف تُبدي حُكمه وتُعيد
90 ومَلَكُكَ ما ضَمَّتْ عليه تهائمٌ، ومَلَكُكَ ما ضَمَّتْ عليه نُجود
وأخذك قسراً، من بني الأصفر، الذي تذبذب كسرى عنه، وهو عنيد⁽¹⁰⁸⁾
إذاً لرأى يُمناك تخضب سيفه، وأنت عن الدِّين الحنيف تَدود
شهدت! لقد أوتيت جامع فضله، وأنت، على علمي بذاك شهيد
ولو طُلبت في الغيث منك سجيّة، لقد عَزَّ موجودٌ، وعَزَّ وجود (ط 77)
95 /إليك يفرُّ المسلمون بأسرهم، وقد وُثِّروا وُثراً، وأنت مُقيد
وإنَّ أمير المؤمنين كعهدهم، وعند أمير المؤمنين مزيد

52/2

ولم يزل ملك الروم يرّد رسله وبطارقته إلى أمير المؤمنين
ويتضرّع بالطفاه وهداياهم في طلب الهدنة. وهو نقفو⁽¹⁰⁹⁾. ولأمر
المؤمنين المعزّ لدين الله (عم) كتاب ألفه وأرسل به إليه في الحجة
على النصارى في إثبات ما جحدوه من نبوة محمد (ﷺ)، وما يشهد
بذلك ممّا في التوراة والإنجيل وفي صحف الأنبياء، [م]ـمّا لم
يعرفه إلّا أولياء الله (صلح) ولا يوجد علمه إلّا عندهم، وهو كما قال
أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (صلح): «لو تُنيت لي وسادة،
لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم». ولا
شك أن ذلك السيل من ذلك الجبل، وهل ينبت الخطيئاً إلّا الأسل؟

«الرسالة المسيحية»
من
المعزّ إلى طاغية
الروم

(108) بنو الأصفر: الروم.

(109) في المخطوط: يقفو، وفي هاشمه: يعفو وفي المطبوع: وهو يتوسل إلى.
ونظنّ أنّه اسم الإمبراطور البيزنطي - الدمستق نقفور فقامس - الذي ارتقى إلى
العرش سنة 963/352.

والرسالة المشار إليها هنا هي «الرسالة المسيحية» المنسوبة إلى المعزّ
خطاً (انظر: البيليوغرافيا القرمطية لماسينيون، رقم 19، وفهرس دي سلان
للمكتبة الوطنية بباريس رقم 131). وقوله عليّ الآية توجد في شرح النهج
923/5 رقم 242.

ولا تؤخذ الجواهر إلا من معادنها، ولا يوجد اللجين والعقيان إلا في خزائنها⁽¹¹⁰⁾. ولو ردت الأمة الكتاب إلى الله وإلى الرسول لعلموا، ولو سلموا في الطاعة لولاة الأمر من آل محمد لسلموا. ولكنهم رضوا بالحياة الدنيا عن الآخرة، فأبوا بالصفقة الخاسرة، وتولوا غير العترة الطاهرة، وقدموا برأيهم الطغاة الجبابرة، بغير نص من رسول عليه يُعولون، ولا برد إلى أهل الذكر الذين هم عن المشكلات يُسألون، فتعساً لهم! ولا يخسر إلا المبطلون!.

وهذا الكتاب الذي أمر به أمير المؤمنين المعز لدين الله (عم) إلى صاحب الروم معروف موجود، مباح لمن أراد الاطلاع عليه والورود⁽¹¹¹⁾.

ولما انتهى إلى الأموي صاحب الأندلس أمر الروم ومطالبة ملكهم في الصلح، ساءه ذلك وكثر وجله، وخاف الوقعة به. قال القاضي النعمان: «... فدرس رسولاً من قبله، وكتب كتاباً على لسان بعض رجاله إلى بعض رجال أمير المؤمنين في المودعة (ط 78) والصلح وكف الحرب، ويذكر ما يُتوقع في ذلك من سفك دماء المسلمين واشتغال بعضهم ببعض عن غزو المشركين. وجاء الرسول بالكتاب وأدى بلسانه عن صاحبه ما لم يرد الكتاب به من طلب الصلح والألفة وكف الحرب والفتنة. وذكر الرسول ذلك لأمر المؤمنين (صلح) شفاهاً. فقال له:

الناصر الأموي
يطلب الصلح
بطرق ملتوية..

أما تخوفه من الحرب والفتنة وسفك الدماء، فما ظهر منا ما يتخوف منه ذلك، وما نحن بمن يؤمنه منه. ولكن بغى علينا من بغى من أهل عمله فانتصرنا بالله فنصرنا الله وبلغنا فوق آمالنا،

53/2

(110) يستعمل الداعي إدريس «الخرائب» في معنى معدن الشيء وموضع خزنه. وهذه الجمل المسجعة تبدو كأنها جكم مأثورة، ولكننا لم نجدها في كتب الأمثال.
(111) تحدثنا عن هذه الرسالة المسيحية في كتابنا عن ابن هانيء (ص 77 و 298).

فقام وقعد وأبرق وأرعد، وَوَالَى علينا المشركين الذين رأى الآن اشتغالنا به واشتغاله بنا داعياً إلى ترك قتالهم وجهادهم، وأن ذلك نقصٌ وكفٌ على الإسلام. فهلاً رأى ذلك إذ بعث أمواله وهداياه ورُسُلَه إليهم واستنصرَ عَلَيْنَا بهم؟! فكيف رأى الله عزَّ وجلَّ فعل بهم وجمعيتهم⁽¹¹²⁾؟ أَلَمْ يَصْرِفَ الجَمْعَيْنِ مغلوبَيْنِ خائبَيْنِ خاسِرَيْنِ؟ ونحن بُعِدُ فما رأى منا إليه حركةً. فما هذا القلق؟ وما هذه العجلة؟

وأما ما دعا إليه من السِّلَم والكفِّ والموادعة والصُّلح - وهو يزعم أنه أميرُ المؤمنين، كما تسمَّى دون من سلف من آبائه⁽¹¹³⁾، وإمام الأُمَّة بدعواه وانتحالِه، ونحن نقول: إننا أهلُ ذلك دونَه ودون من سواه، ونرى أن الله (عج) فرضَ علينا محاربةَ مَنْ انتحل ذلك دوننا وأدعاه، مع ما بينَ أسلافنا وأسلافه ومن مضى في القديم والحديث من آبائنا وآبائه من العداوة القديمة الأصلية والبغضة في الإسلام والجاهلية، وما اعتقدوه لنا في ذلك في الإسلام وطلبونا به في قديم الأيام (ط79)، من لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وآله آباهم وقتل من قتلَه على الشرك والكفر منهم، وطلبهم بثأرهم ودمائهم، وطلبنا نحن [إياهم] بمن قتلوه مِنَّا كذلك في سلطانهم وأيام تغليبهم - فكيف بالصُّلح الذي ذكره بعد هذا النبأ الجليل خطرُه؟ يَأْبَى لنا ذلك قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة، 22). ما أنا

.. فيذكره المعز
بالترات
القديمة بينهم...

(112) جمعيتهم: أسطوليهم: الرومي والأموي.

(113) أي من سلالة عبد الرحمان الداخل. ومعلوم أن الناصر هو أول من تلقب

بالخلافة، وكان ذلك سنة 317.

بالمداهن في دين الله ولا بالراكن في المودة إلى أعداء الله ولا بالمخادع في أمر من أمور الله!

أرجع بجوابي هذا إليه فما له عندي سواء، وما لي من الأمر من شيء إن الأمر كله لله ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (الشورى، 10) وإن حرّكني الله إليه وقذّف في قلبي حربه وغزوه فلا أشك أن الله عزّ وجلّ أراد قطع دابره وأصطلام شافته وتطهير الأرض من رجسه وحسّم أيامه ومُدّتّه، وإنّ لا يقذف ذلك في قلبي ويصرف إلى من سواه وجهي، فلأمر هو بالغه فيه وإملاء هو محتجّ به عليه ومُدّة سبقت في علم الله له/. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ مَا نُمِلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ (آل عمران، 178). فلينظر أحد الأمرين وليتوقّع وجهاً من الوجهين: إمّا هلاك يُعَجِّلُ أَصْطِلَامَهُ، وإمّا إملاء من الله يوفّر آثامه. ونحن ننتظر من الله عزّ وجلّ إحدى الحُسْنَيْنِ ونرجو لنا منه خير الأمرين: إمّا نصر من الله يعجّله لنا عليه فيشفي قلوبنا وقلوب المؤمنين، وإمّا أن يُمِلِّيَ له على ما هو عليه من معاصيه ومساوئه ومخازيه، ففي ذلك سرور من رأى عدوه عليه. فقد كان يقال: حسبك درك أمل من عدوك أن تراه عاملاً بمعاصي الله، وذلك أن المعاصي تعجّل الدمار (ط 80) وتولج عمّا قليل عذاب النار.

54/2

.. ويرفض
المصالحة

وصرف أمير المؤمنين الرّسول وأمر الذي وردّ عليه الكتاب⁽¹¹⁴⁾ أن يُجِيبَ عن كتابه إليه جواباً غليظاً و[أن] يتوعّده فيه، ففعل. وانصرف الرّسول بالجواب والكتاب⁽¹¹⁵⁾.

(114) المراسلة لم تكن مباشرة بين الناصر والمعزّ، ولكن بواسطة رجلين من خاصتهما، والنعمان لا يذكر الأسماء إلا قليلاً.

(115) المجالس والمسائرات، 168 - 169.

قال القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه): وجاء الرسول الثاني بكتاب آخر من الأمويّ، فرفع الكتابان إلى أمير المؤمنين (عم) وقرئاً جميعاً علينا بين يديه. وفيهما من التغيرات والفساد وسوء التوجيه ما قد ذكره القاضي النعمان في كتاب المجالس والمسائرات⁽¹¹⁶⁾. وذكر احتجاج أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (عم) على كلّ فصل منه، وتبيين فسادهِ وعوارهِ.

وصرف الرسول بلا جواب منه سوى أن قال له: قد قيل إنّ الصّدق يُنبئُ عَنْكَ لا الوعيدُ، وكتب المنصور عليه السّلام إلى ملك الرّوم: إذا نطق السيفُ سكّت القلمُ.

وأمر الذي ورد عليه الكتابُ أن لا يجيبَ عنه بحرف، وانصرف الرّسول خائباً. وأمر بتجهيز الجيوش إلى أرض المغرب لتتبع كلّ من مال إلى بني أميّة بالقتل واجتياحهم عن جديد الأرض.

فأخرج أمير المؤمنين (عم) عبده قائد القوّاد جوهر الكاتب في جيوش عظيمة، فخرج إلى المغرب واستفتح البلاد، ونفى أتباع بني أميّة والقائلين بإمامتهم، عنها. وكانت في ذلك فتوح عظيمة.

وكان أمير المؤمنين على العزم في أن يرسل أساطيل في البحر إلى الأندلس لقطع (ط 81) دابر بني أميّة واستئصال شأفتهم، إلى أن حصل من الروم النصارى ما حصل من الغلبة على حلب والشام، واستذلّاهم أهل الإسلام. فانصرف عزم/ أمير المؤمنين من المغرب إلى الشرق والشام، وافتتح مصر والشام. وسنذكر أخبار

55/2

(116) هذه المرّة الأولى التي يذكر فيها الداعي إدريس نُقِلَ عن كتاب المجالس والمسائرات.

ذلك إذا انتهينا إليه بعون الله سبحانه وبركات أوليائه عليه وأملى الله لبني أمية الظالمين، ومتّعهم إلى حين حتى ما أملى لهم، ونالوا من الدنيا ما هو في الآخرة أشدّ وبسوف يلقون عملهم بما ظلموا به العباد، وسعوا بالفساد، وذلك كما قال أمير المؤمنين (عم) فيما ذكره الأمويّ حيث قال: «وإن حركني الله إليه وقذف في قلبي إلى قوله: وإن لا يقذف ذلك في قلبي ويصرف إلى وجهي، فلا أمر هو بالغه فيه، وإملاء هو محتجّ به عليه، في علم الله له. قال الله (عج): ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ، إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِذَا عَمَرُوا، ١٧٨﴾. فليُنظر أحد الأمرين وليتوقع أحد الوجهين

وانتهى جوهر القائد إلى البحر المحيط بالمغرب و إلى أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (عم) يجعل قدرها ويبعا وفي ذلك يقول محمّد بن هانئ المغربي⁽¹¹⁸⁾ يمدح أمير المعزّ لدين الله (صلع) ويذكر هديّة القائد جوهر:

حملة جوهر
المغربيّة

(طويل)

ألا هكذا فليهد من قاد عسكرياً وأورد عن رأي الإمام هديّة من أعطى النصيحة حقّها وكان بما لم يُبصر الـ
ألا هكذا فلتُجلب العيسُ بُدناً ألا هكذا فلتُجنب الـ
مُرفلةً يسحبن أذيالَ يُمْنٍ ويركضن ديباجاً وو
تراهن أمثالَ الظباء عواطياً لبسن بيّرين الرّيب

شعر ابن هانئ في
فتوح
جوهر بالمغرب

5

(117) مرّت هذه الفقرة ص 53/2 - 54.

(118) يدعى ابن هانئ «المغربي» أيضاً، إلى جانب «الأندلسي»، وقد ح. ح. عبد الوهاب: هو مغربيّ ابن مغربيّ.

يُمَشِّينَ مَشْيَ الْغَانِيَاتِ تَهَادِيًا
وَجَرُّنَ أَذْيَالَ الْحِسَانِ سَوَابِغًا
فَلَا يَسْتُرْنَ الْوَشْيَ حُسْنَ شَيَاتِيهَا
عَلَيْهِنَّ زِيُّ الْغَانِيَاتِ مُشْهَرًا
فَعَلَّمْنَ فِيهِنَّ الْحِسَانَ تَبَخُّثَرًا
فَيَسْتُرُ أَحْلَى مِنْهُ فِي الْعَيْنِ مَنْظَرًا

إلى قوله:

25 أَلَا إِنَّمَا تُهْدَى إِلَى خَيْرِ هَاشِمٍ
مَنْ اسْتَنْ تَفْضِيلَ الْجِيَادِ لِأَهْلِهَا
وَجَلَّلَهَا أَسْلَابَ كُلِّ مُنَافِقٍ
وَقَلَّدَهَا الْيَاقُوتَ كَالْجَمْرِ أَحْمَرًا
وَقَرَّطَهَا الذُّرَّ الَّذِي خُلِقَتْ لَهُ
30 فَكَمْ نَظْمٍ قُرِطٍ كَالثَّرِيَّا مُعْلَقٍ
/ وَكَمْ أُذُنٍ مِنْ سَابِجٍ قَدْ غَدَتْ بِهِ
تُحَلَّى بِمَا يَسْتَغْرِقُ الدَّهْرَ قِيَمَةً
وَأَفْضَلَ مَنْ يَعْلُو جَوَادًا وَمَنْبَرًا (ط 82)
فَأَوْطَأَهَا هَامَ الْعِدَى وَالسُّنُورَا
وَكُلَّ عَنِيدٍ قَدْ طَفَى وَتَجَبَّرَا
يُضِيءُ سَنَاهُ وَالزُّمُرْدُ أَخْضَرَا
وِفَاقًا وَكَانَتْ مِنْهُ أَسْنَى وَأَخْطَرَا
يَزِيدُ بِهَا حُسْنًا إِذَا مَا تَمَرَّمَرَا
يُنَاطُ عَلَيْهَا مُلْكُ كِسْرَى وَقِصْرَا
فَتَخْتَالُ فِيهِ نَخْوَةٌ وَتَكْبُرَا

56/2

وانتهى فيها إلى قوله:

أَلَا إِنَّمَا كَانَتْ طَلَائِعُ جَوْهَرٍ
وَلَوْ لَمْ يُعَجَّلْ بَعْضُهَا دُونَ بَعْضِهَا
أَقُولُ لِصَحْبِي إِذْ تَلَقَّيْتُ رُسْلَهُ
وَقَدْ مَارَتْ الْبُزْلُ الْقَنَاعِيْسُ أَجْبَلًا
45 فَطَابَتْ لِي الْأَنْبَاءُ عَنْهُ كَأَنَّهُ
لَعَمْرِي! لَشَنَ زَانَ الْخِلَافَةِ نَاطِقًا
تَضِجُ الْقَنَا مِنْهُ لَمَّا جَسَّسَ الْقَنَا
هُوَ الرَّمْحُ فَاطْعُنْ كَيْفَ شَتَّ بِصَدْرِهِ
لَقَدْ أَنْجَبَتْ مِنْهُ الْكَتَائِبُ مِذْرَاهًا
50 وَصَرَفَتْ مِنْهُ الْمُلُوكُ مَا شَاءَ صَارِمًا
وَلَمْ أَجِدِ الْإِنْسَانَ إِلَّا ابْنَ سَعِيهِ
بِبَعْضِ الْهَدَايَا كَالْعُجَالَةِ لِلْقُرَى
لِضَاقِ الثَّرَى وَالْمَاءِ طُرْقًا وَمَعْبَرًا
وَتَدُ غَضَبِ الْبَيْدَاءِ خُفًّا وَمَنْسِرَا
وَقَدْ مَاجَتْ الْجُرْدُ الْعَنَاجِيْعُ أَبْخَرَا
لَطَائِمُ إِبِلٍ تَحْمِلُ الْمِسْكَ أَذْفَرَا
لَقَدْ زَانَ أَيَّامَ الْحُرُوبِ مُدْبِرَا
وَتَضَرَّعُ مِنْهُ الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالسُّرَى
فَلَنْ يَسَامَ الْهَيْجَا وَلَنْ يَتَكَسَّرَا
سَرِيعَ الْخُطَى لِلصَّالِحَاتِ مُيَسَّرَا
وَسَهْمًا وَخَطِيئًا وَدِرْعًا وَمِغْفَرَا
فَمَنْ كَانَ أَسْعَى كَانَ بِالْمَجْدِ أَجْدَرَا

وبالهمة العلية يُرقى إلى العلى فمن كان أرقى همة كان أظهر
ولم يتأخر من يريد تقدماً ولم يتقدم من يريد ت
وقد كانت القواد من قبل جوهر لتصلح أن تسعى لتخدم
55 على أنهم كانوا كواكب عصرهم ولكن رأينا الشمس أبهى
فلا يُعَدُّ الله عبدك نصره فما زال منصور الين
إذا حاربت عنه الملائكة العدى ملآن سماء الله باسمك
وما اخترته حتى صفا ونفى القذى بل الله في أم الكتاب
ووكّلته بالجيش والأمر كله فوكلت بالغيل الهزبر الغضنة
قال القاضي القضاعي⁽¹²⁰⁾ رحمة الله عليه:

وأصل جوهر رومي. جاء به خادم يعرف بـ «صابر»،
من صابر إلى «خيران»، ومنه إلى «خفيف». وحمله خفيف⁽²¹⁾
الإمام المنصور بالله، فعلا ذكره معه وسايه في غزواته⁽¹²²⁾.
كاتبه وكاتب أمير المؤمنين المعز لدين الله (عم). ثم انتو

ترجمة جوهر

(119) القصيدة 23 من طبعة زاهد علي. وفي طبعة صادر، ص 140.
(120) القاضي القضاعي: أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي. خدم ال
بمصر وتولى القضاء لهم. له كتابان في التاريخ. أخبار الخلائف
الخلفاء، ولعل ترجمة جوهر منقولة عن أحدهما. توفي القاضي القضا
1062/454 (أعلام الزركلي).

(121) في المخطوط والمطبوع: ضامن. وقد مر بنا ملتبساً بصائن وصابر وغيره
ص 214. وقرأ العلامة أماري في نقله عن القضاعي: صابر وخيران
(المكتبة العربية - الصقلية، 197). وعند ابن عذاري، 221/1: صابر
دون المرور بخيران.

ولا غناء في كتاب علي إبراهيم حسن عن جوهر الصقلي، في
مبدل خدمته للفاطميين. وذكر المقرئ (اتعاظ، 140) «خفيفاً ال
صاحب السترة»، مبعوثاً من المعز إلى كتامة.

(122) رغم هذه المشاركة للمنصور في غزواته، لم يرد ذكره قط في الوقائع
يزيد.

الحال إلى أن بلغ مع الإمام المعز المنزلة السنّية والمكانة الجليلة. وأخى بينه وبين جوذر، وقرن بينهما لفضلهما ودينهما وأمانتهما ولمودتهما للأئمة ونصيحتهما. وجعل جوهر⁽¹²³⁾ قائد القوّاد وسيّره في عساكره وأمره على جنوده فاستفتح/ البلاد، وجرى في خدمة الأئمة بالصلاح والسداد.

وثار ابن واسول⁽¹²⁴⁾ فتغلّب على سجلماسة وخلع طاعة الأئمة وتسمّى «بالشاعر لله أمير المؤمنين» وكذلك أحمد بن بكر⁽¹²⁵⁾ تغلّب بمدينة فاس. وكان أمير المؤمنين القائم بأمر الله (عم) قد أمكنه الله منه بعد أن كان تغلّب، وأتّى به إليه أسيراً فأمر باعتقاله فاعتقل بالمهدية مدة القائم. ثم منّ عليه المنصور بالله وأطلق سبيله، فعاد إلى تغلبه وفسقه، وخلع طاعة الأئمة من عنقه، ودعا إلى بني أميّة وأظهر، لعنه الله، لعن الأئمة على منبره. فكان من رأي أمير المؤمنين إخراج عسكر إلى سجلماسة ثم إلى فاس. والطريق (ط 84) فيه المشقّات والبعد، والانقطاع والمخافات، على ما يعظم في صدور الناس أمره ويتهيّون سلوكه لذلك واقتحامه.

(123) في المخطوط: الجوهر.

(124) محمّد بن الفتح المدراري ابن واسول: تغلب على ابن عمه المتصّر واستولى على إمارة سجلماسة وانشغل عنه الفاطميون بمقاومة موسى بن أبي العافية في المغرب ثم أبي يزيد. وقبض عليه جوهر في حملته هذه سنة 347 وأرسله أسيراً إلى المنصورية وقال ابن عداري، 222 إن جوهر أقتله في رجب (سنة 348)، وهذا مخالف لما عند ابن خلدون، 47/4 من أنه وصل أسيراً في قفص إلى إفريقية. وبقي مدة في الأسر كما يشهد بذلك كتاب المجالس والمسائرات، 411.

(125) أحمد بن بكر بن سهل الجذامي «صاحب مدينة القرويين بفاس» (المقتبس، 348). أسره جوهر بعد فتح فاس سنة 348 وبعث به إلى المنصورية مع ابن واسول. وكان أسر مرة أولى سنة 323 على يد ميسور الفتى وبقي مدة أسيراً بالمهدية (انظر المجالس، 385، هامش 2).

فأمر أمير المؤمنين (ص) أن يُنْدَبَ إلى ذلك من سار إليه من شبَّان كتامة طائعا. فلم تمضِ أيام حتى أتاه منهم من العدد فوق ما أراد، مسارعين إلى ذلك فرحين به. وأسبغ عليهم العطاء وأجزل لهم الجباء، وقَدَّم عليهم أبا الحسن جوهرًا غلامه وغلَام أبيه المنصور، وجعلهم تحت رايته وفي جماعته.

قال القاضي النعمان (رضي الله عنه):

فلما أرادوا الخروجَ حضر الشيوخ من كتامة وحضرت معهم مجلس أمير المؤمنين، فذكر مسارعة مَنْ سارع منهم إلى الخروج في ذلك الجيش، وأنه كان فيما تقدَّم يتهوّل ذكرَ سلوك ما ندَّبَهُم إليه دون تعاطي الخروج إليه وذكر تنافُلِهِم - قَبْلَ ذلك - عما هو دون ذلك.

ثم قال (صلح): وهذا الذي كنت ذكرته لكم في غير مجلس ومقام، أني لو ندبْتُ من عَسَيْتُ أن أندبَهُ منكم لوجدتُ فيه ما أريده.

ثم أذن لمن سارع منهم إلى الخروج، فدخلوا عليه فوجاً فوجاً، وغصَّ القصرُ بهم فأثنى عليهم خيراً وقال لهم قولاً جميلاً طويلاً، كان فيما حفظت منه أن قال لهم:

بارك الله فيكم وأحسن صحابَتكم والخلافةَ عليكم! فقد صدقْتُ ظنِّي فيكم وأملِي عندكم وأنتم من معدن البركة وعنصر الخير. بكم بدأ اللّهُ إظهارَ أمرنا وبكم يُتمُّه ويصلُّهُ بحَوْلِهِ وقُوَّتِهِ، وقد علمتُ مسارعتكم إلى ما ندبْتُم إليه وإجابَتكم لما أُرِدْتُم له، وأرجو أن تبلغُوا من ذلك بحسب الأملِ فيكم، ويرفَعُ الله (عج) (ط 85) بذلك درجاتكم ويُعَلِّي ذكركم. أنتمُ البنون والإخوة/

المعز يطرِي كتامة
لخدمتهم
الطويلة...

58/2

وَالْأَقْرَبُونَ 'مَا يَعْدِلُكُمْ عِنْدِي أَحَدٌ وَلَا يَبْلُغُ مَبْلَغَكُمْ مِنْ قَلْبِي بِشَرٍّ،
وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا لِي فِي قُلُوبِكُمْ.

ما نصر الله ولياً من أوليائه قبلنا بمثل نصرتكم لنا. على ذلك
مضى أولكم وعليه أنتم، على محبتنا ونصرتنا وموالاتنا تتناسلون
وتنسلون، وبها غديتكم وعليها فطرتكم. فأبشروا بما قسم الله (عج)
من الفضل لكم، فأنتم حزب الله وأنصاره وجنوده وأحباؤه. والله ما
أردت بهذا البعث الذي بعثتكم فيه شراً استدفعه ولا دفع مكرهه
أخافه ولا استكثاراً من دنيا أصيبتها:

أما المكروه فقد علم الخاص والعام والقريب والبعيد أن غاية
أمانى من حولنا من أهل الأرض من المتغلبين ممن دان بجملة
الإسلام، والمشركين، أن يسلموا منا ويتعافوا من بأسنا وما أحد
منهم أمسى وأصبح اليوم بحمد الله يطمع في شيء مما عندنا.

وأما اكتساب حطام الدنيا فيها⁽¹²⁶⁾ نحن ننفق من أموالنا على
هذا البعث ما لا نرى أننا نرتجع مثله وإن مكنتنا الله وأيدنا ونصرنا،
ولكننا أردنا بذلك وجوهاً: منها ما افترضه الله (عج) علينا من جهاد
من خالف أمرنا وتسمى بأسمائنا وأدعى ما جعله الله (عج) لنا.
ومنها أن الله (عج) قد امتحن عباده بالجهاد في سبيله معنا، فنحن
نندبهم إليه لنعلم المجاهدين منهم والصابرين، ويرفع الله (عج) به
درجاتهم ويجزل مثوباتهم وينقل حالاتهم⁽¹²⁷⁾. فكم منكم اليوم ممن
ينفذ في هذا الجيش تابعاً يعود (ط 86) متبوعاً، ومرووساً يصير
رئيساً إنما يرفعكم عندنا وعند ربكم نيأتكم وأعمالكم، وبها

(126) في المخطوط، وكذلك في المجالس: فهذا نحن.

(127) أي: تتحسن أحوالهم وتكثر أرزاقهم.

تَتَوَسَّلُونَ إِلَيْنَا، وَإِلَى بَارِئِكُمْ. لَوْلَا السَّنَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِاتِّبَاعِهَا، الَّتِي لَا يَصْلُحُ الْعِبَادُ إِلَّا بِهَا، مَا قَدَّمْتُ عَلَيْكُمْ أَحَدًا مِنْكُمْ وَلَا مِنْ غَيْرِكُمْ إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عِنْدِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ الْمَقْدَمَ، وَلَكِنْ لَا يَصْلُحُ النَّاسُ إِلَّا بِرئيس. وَقَدْ قَدَّمْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ قَدْ عَلِمْتُمُوهُ - يَعْنِي جَوْهَرًا -⁽¹²⁸⁾ وَأَقَمْتُهُ فِيكُمْ مَقَامَ نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ مَعَكُمْ كَأُذُنِي وَعَيْنِي، وَكُلَّ أَمْرٍ مِنْكُمْ عَلَى نَفْسِهِ بِصِيرَةٍ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكُمْ بِأَجْزَلِ عَطَاءٍ أُعْطِيَتْهُ مَنْ قَبْلَكُمْ إِلَى أْبَعَدَ مِنْ مَسَافَتِكُمْ هَذِهِ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَمْ يُعْطِ مَنْ قَبْلَكُمْ أَحَدٌ قَبْلِي مِثْلَ مَا أُعْطِيْتُكُمْ، وَلَا اسْتَكْثَرْتُ لَكُمْ ذَلِكَ بَلْ اسْتَقَلَّه لِأَقْلَكُمْ. وَالَّذِي لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدِي فِي الَّذِي تَسْتَقْبِلُونَهُ / أَجَلٌ وَأَكْبَرُ. فَسِيرُوا عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ وَيُمْنِهِ وَسَعَادَتِهِ وَنَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ! كُونُوا عِنْدَ مَا رَجَوْتُمْ لَهُ مِنَ الْغَنَاءِ وَالْكَفَايَةِ وَصَلَاحِ الْحَالِ بَيْنَكُمْ! أَحْسِنُوا عَشْرَةَ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ وَعَشْرَةَ مِنْ تَصَحُّبُونَهُ مِنْ غَيْرِكُمْ، وَأَنْزِلُوا مَنْ يَنْفَذُ مَعَكُمْ مِنْ عِبِيدِي مَنَازِلَ إِخْوَانِكُمْ، وَأَجْمِعُوا مَعَهُمْ كَلِمَتَكُمْ، فَهُمْ لَكُمْ عَضُدٌ وَلُحْمَةٌ، وَمَوَالَاتِي تَجْمَعُكُمْ وَإِيَّاهُمْ، فَلَا تَجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ فَرْقًا، أَحْسِنِ اللَّهُ لَكُمْ الصَّحَابَةَ وَعَلَيْكُمْ الْخِلَافَةَ.

.. ويبرر تقديم
جوهر
عليهم ..

59/2

.. ويدعوهم إلى
مؤاخاة
العبيد ..

فَقَبِّلُوا الْأَرْضَ مَرَارًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَشَكِّرُوا مَا كَانَ مِنْهُ وَوَعَدُوا مِنْ أَنْفُسِهِمُ الْوَفَاءَ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَغَلَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّرُورِ بِمَا سَمِعُوا مِنْهُ مَا ظَهَرَ فِيهِمْ وَتَبَيَّنَ عَلَى وَجُوهِهِمْ.

ثُمَّ أَمَرَ بِإِدْخَالِ مَنْ نَفَذَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ مِنَ الْحَضَرَةِ مِنْ قِبَائِلِ الْبَرَبِ مَنْ كَانُوا قَدْ دَخَلُوا فِي الْفِتْنَةِ وَأَنَابُوا، بَعْدَ الْمَقْدَرَةِ عَلَيْهِمْ،

(128) هذا التوضيح غير مذكور في المجالس، 256. وفي «اعتذار» المعز لكتامة عن إسناد قيادة الحملة إلى جوهر دليل على وجود منافسة بين كتامة والعبيد الصقالبة.

إليه، فقبلهم وعفا عنهم، كبني كملان وغيرهم، وقد سارعوا أيضاً إلى الخروج. فلما صاروا بين يديه (صلح) قبلوا الأرض ووقفوا (ط 87)، فقال بعض من حضر من شيوخ كتامة: هؤلاء يا مولانا ممن قال الله (عج) فيهم /: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ (الممتحنة، 7).

قال: نعم! قد فعل الله ذلك بهم لما سبق لهم عنده من السعادة ففازوا بالولاية بعد العداوة، وبالهدى بعد الضلالة، وبالنصرة بعد القطيعة والمنابذة لنا والمحاربة، فتوبتُهم مقبولة وذنوبهم إن شاء الله مغفورة.

فقبلوا الأرض بين يديه واعترفوا بنعمته وشكروا فضله وعفوه. فقال: كم سارع منكم إلى الخروج في هذا العسكر المنصور؟

قالوا: كلنا يا مولانا مُسَارِعٌ إِلَيْهِ، فمن قبلته فهو السعيد! قال: بارك الله فيكم ووفقكم، وأنا أنظر إن شاء الله فيما يصلحكم.

وأدخل العبيد فأوصاهم بمثل ما أوصى به الأولياء. وأمرهم .. ويوصي العبيد بأن يكونوا لهم إخوة ومعهم ألفة. وودّعوا وخرجوا⁽¹²⁹⁾. بالمثل

ولما سار القائد أبو الحسن جوهر الكاتب بمن معه من عساكر أمير المؤمنين وجنوده في سنة سبع وأربعين وثلاثمائة، تقدّم إلى أهل سجلماسة من قبل أن يحلّ بهم بمدة، بكتب منه بالتحذير لهم، وأوعز إليهم في القبض على ابن واسول، وأنهم، إن فعلوا ذلك، أمّنهم وأحسن إليهم وعفا عن ذنوبهم/ التي اقترفوها بطاعته على ما ارتكبه من عظيم جرمه وإلقاتهم بأيديهم إليه.

60/2

(129) المجالس، 255 - 258

جوهري يظفر بابن
واسول..

ولما قرب العسكر منهم، خرج [ابن واسول] من مدينة
سجلماسة هارباً بنفسه، فلقيه نفر من أهل المدينة فأخذوه وأتوا به
القائد. فعاتب القائد أهل سجلماسة في تركه، ثم رأى الصفح
عنهم، وولى عليهم والياً منهم، وانصرف بجميع عساكر أمير
المؤمنين إلى مدينة فاس. فقتل جوهري في طريقه يعلى بن محمد
الزناتي⁽¹³⁰⁾ في إفكان (ط 88). وكان صاحب فاس تسمى
بـ «الإمام» وجعل على قصره مظلة ينصبها علامة لجلوسه، وترفع إذا
قام.

فلما صار القائد بذلك الصقع الذي فيه أحمد بن بكر
المتغلب بمدينة فاس، الخالع لطاعة الأئمة (عم) من عنقه، الداعي
إلى بني أمية، أجاب وأناب كل من في ذلك الصقع، وفاؤوا إلى
الطاعة، سوى أحمد بن بكر، فإنه أصرّ وتمادى على غيّه.

وأحاطت العساكر بمدينة فاس، وطال عليها الحصار واشتدّ
الأمر، وكاد الناس أن يغلبهم اليأس لطول إقامة الجيوش عليها
وهرب من هرب من العسكر عنها. قال القاضي النعمان⁽¹³¹⁾:

قال المعزّ يوماً، وقد ذكر أحمد بن بكر وهو في هذه الحال
يعني من الحصار:- لقد رأيت البارحة عدو الله، وكأني أتيتُ به
فأمّرت بقتله فجعل يسترحمني فقلت: والله لو وجدتك تحت أستا
الكعبة لما أقلتُك ولقتلتُك. فجعل يراجعني كالمحتجّ عليّ في قوله
هذا ويقول: وما يوجب قتلي تحت أستا الكعبة؟

.. ويأحمد بن
بكر..

(130) يعلى بن محمد اليفرني، صاحب إفكان: كان منافساً لمحمد بن خزر
وكلاهما من زناتة. فلما لحق ابن خزر بالمعز وحظي عنده، أعلن اليفرني
ولاءه لبني مروان، فقتله جوهري وأحرق مدينته.

(131) المجالس، 358.

فقلت: أقل ما يوجه مراجعتك إتي هذه - فأسمع قائلاً من خلفي يقول، ولم أره: أحسنت والله! أصبت، أصاب الله بك المرشد! إيه والله! لمراجعتك إتيك هذه توجب قتله لعنه الله! - فالتفت فإذا الذي يقول ذلك المنصور بالله (عم).

(قال): فلم يكن بين هذا اليوم الذي حدثنا بهذا الحديث فيه، وبين اليوم الذي فتح الله فيه عليه وأقدره على اللعين ابن بكر وأخذه أسيراً إلا أقل من عشرة أيام.

(قال): سمعت أمير المؤمنين المعز لدين الله (صلع) وقد أتاه فتح مدينة فاس بعد أن كان أكثر الناس يثسوا من ذلك لطول إقامة الجيوش عليها (ط 89)، وهرب من هرب منهم عنها لقوة أهلها وكثرة الأطعمة فيها ووعر خنادقها وحصنها - قال حسن بن جعفر الأنصاري في تاريخه: «وكانت في فاس حروب وملاحم وحصار أحد عشر شهراً من ظاهر السور، ومات في الحصار أحمد بن بكر، وبقي ولده محمد بن أحمد بن بكر ومحمد بن واسول فأسرا جميعاً»⁽¹³²⁾ - فقال (صلع): هذا من قول الله (عج): ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرِّسْلُ / وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ (يوسف، 110). والله ما استيسر رسل الله من فضله (عج) ونصره إياهم، ولكنهم استيسروا ممن خذلهم ولم يقيم بواجب حق الله (تع) الذي افترضه

.. بعد حصار شاق

61/2

(132) هذه الإضافة مقحمة في هامش النسخة، وهي تقطع كلام المعز بصفة واضحة. وقد سبق نقل عن هذا المؤرخ المجهول في ص 43 من هذا السبع. هذا وإن تحديد مدة الحصار بأحد عشر شهراً لا نجده إلا عند الأنصاري هذا. فرواية ابن الأثير 354/6 تقول إنه دار على مرحلتين الأولى سنة 347 بعد قتل اليفرنى وإحراق افكان في جمادى 2 فلم يقدر جوهر على فاس فسار إلى سجلماسة وأخذ ابن واسول ثم عاد إلى فاس فنصب الحصار من جديد فطال - دون تحديد - فصعد زيري بن مناد على السلالم إلى سورها فأخذها في رمضان 348. ولم يتعرض الدشراوي في رسالته 231 - 232 إلى مدة الحصار.

في جهاد عدوهم، فقطعوا من الخلق رجاءهم، ووصلوه بالله ربهم، فاتاهم نصره الذي به وعدهم.

وقد كان المعز لدين الله (صلع)، كلما ورد عليه من أمر فاس هذه أمر يثس معه من سمعه من فتحها، يقول - ونحن نسمعه من غير موطن، إذا أتى مثل هذا -: ما أتوكل في أمرها وكل أموري إلا على الله (عج)، ولا أرجو غيره، وإني لواثق بفضله ونصره.

ثم قال (صلع) لما أتاه الفتح: واللّه إني لربما أريد أن أسأل الله - تعالى - في الزيادة من فضله فيما يكون من مثل هذا فاستحي أن أسأله ذلك لكثرة ما أولاني منه، له الحمد لا شريك له. وإني لربما سألت الله (تع) طول البقاء لعدوي ليخزيه الله بذنوبه، ويرى ويسمع من صنع الله عندي ما ينيكه ويؤلمه.

ثم قال (عم): أتدرون ما أردته بالكتاب الذي كتبته منذ قريب لأهل فاس هؤلاء الأشرقياء؟ - وقد كان كتب إليهم كتاباً بالأمان إن (ط 90) أنابوا، وعرفنا به، فلما انتهى إليهم ردوه فلم يقبلوه..

قلنا: الله ووليّه أعلم.

قال: والله إن أردت بذلك إلا هلاكهم بإقامة حجة الله تعالى عليهم، وإلا فقد علمت أنهم، متى جاءهم وهم يرون أنهم في قوة وأن عساكرنا قد سثمت من المقام عليهم وانحل بعضها عنهم، وجاءهم مثل هذا من عندي، أنهم يدفعونه. فأردت أن أجعله ككتاب رسول الله (ﷺ) إلى صاحب فارس⁽¹³³⁾ إذ أتاه فمزقه فمزق الله تعالى ملكه، وككتاب المنصور بالله (صلع) إلى مخلد اللعين

(133) رسالة النبي (ﷺ) إلى كسرى ويدعوه فيها إلى الإسلام. أوصلها عبد الله بن حذيفة القرشي فمزقها فقال رسول الله: اللهم مزق ملكه. فقتله ابنه شيرويه (أسد الغابة في ترجمة الصحابي، رقم 2889).

وأصحابه، وقد حاصرهم بقلعة كيانه، إذ كتب إليهم الأمان فردّوا كتابه، فأمكنه الله (تع) منهم في أقرب وقت. وكذلك أردتُ بكتابي الذي رأيتموه، وكان كما أردت ذلك بحمد الله ونعمته.

ثم حمد الله (تع) بما هو أهله، وشكر فضله بما قدر عليه وأمكنه⁽¹³⁴⁾.

(قال): ولما قرب وصول الجيش من المغرب إلى الحضرة أمر الإمام المعزّ لدين الله (عم) لابن واسول وابن بكر بعمل عجلتين ليكون كلّ واحد منهما على واحدة تجرّ به في حين النداء عليه. وذلك ممّا لم يُعلَم أنّه سبق إليه ولا رآه أحد. وجعل يصفّهما للنّجارين، فقال: يُجعل سطح من ألواح وعلى خشبة مصّابة ويرفع على أربع فلّك ويبنى عليه بُرج من ألواح واسع الأسفل ضيق الأعلى، يكون طوله عشرة أذرع، ويكون في أسفله قفص من خشب، ويشقّ له من خلفه بابٌ يدخل فيه أسير⁽¹³⁵⁾ ويغلق عليه، وله سقف، فوقه تابوت من البرج؛ له باب يفتح ويُغلق، وفيه شباك يسير (ط 91) بقدر ما يدخل منه الضوء، وفي وسط القفص خشبة عظيمة كصاري المركب في أسفلها مرود على سطح السرير يخرج من وسط سقف القفص وسقف التابوت الذي فوقه، ويظهر على سقفه منها مثل قامّة، وعلى رأسها سرير بمقدار ما يجلس فيه الجالس حوله حاجز من شباك مخروط يمنع من السقوط عليه. ويكنّ في التابوت رجلان لا يُريان وفي الخشبة معهما وتدان بهما يُديرانها فيدور السرير الأعلى بمن يكون عليه ليرى كلّ من حوله وجهه ولا يعلمون بما يديره.

المعزّ يخترع
قفصين
لعرض الأسيرين
على الرعايا

(134) المجالس، 492.

(135) في جميع: أسد، فأصلحنا بما يوافق الغرض.

فتعجبنا لذلك لما عَمِلَ⁽¹³⁶⁾ ورأيناه، كيف اخترع ذلك
واهتدى إليه صلوات الله عليه.

فقال (عم): رأيتُه فيما يرى النائم قبل أخذِ هذينِ الفاسقينِ
بمدة فجعلت أنظر إليه كما هو الآن بين يدي وأقلُّبه وأقول: ما
هذا؟ فيقال لي: هذا يكون ينادى على أعدائك عليه، ففهمتُ
صورته وعملته على ذلك⁽¹³⁷⁾.

(قال): ولما قفل الجيش المنصور من أرض المغرب بعد أن
أظفر الله (تع) وليه بابن واسول المدعي الإمامة وابن بكر الناكث
المتغلب بفاس، وفتحها الله على وليه وما والاها من أرض المغرب
[في سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وكانت غيبة القائد جوهر إلى أن
رجع اثنين وثلاثين شهراً]⁽¹³⁸⁾، أخذ القائد جوهر أبناء جميع وجوه
أهل المغرب ورؤسائه رهائن عنده، وقدم بهم ويكل وجهه كان بذلك
الصقع ممن يطاع له ويخاف جانبه. وجاء فيهم بجماعة من
الحسينيين الذين تناسلوا من ولد إدريس [بن عبد الله] بن الحسن بن
الحسن بن علي بن أبي طالب - وقد قدمنا من خبره⁽¹³⁹⁾ - وكانوا قد

(136) القفصان صنعا إذنُ بإفريقية ولم يتحلما جوهر بالمغرب كما يقول المؤرخون.
(137) للمعز معرفة بعلم الحيل وباع في الاختراع. انظر استنباطه للقلم الخزان في
المجالس والمسائرات.

(138) هله إضافة في هامش المخطوط، وليست من كلام النعمان في المجالس. ولا
تدري هل هي من كلام الداعي إدريس أم من تعليقات صاحب المخطوط:
فقد يحدث أن يضيف في الطرة بعض الشروح والتفاصيل من مطالعته، مثل
المعلومات التي ينقلها عن طبعة زاهد علي لديوان ابن هانيء.
وفي خصوص جوهر، ننبه إلى أن القاضي النعمان لا يذكر اسمه بل
يكتفي بعبارة «القائد».

(139) تقدم خبره في السبع الرابع، 344. وفي النسخة: إدريس بن الحسن. وهو
إدريس بن عبد الله بن الحسن كما بينا (انظر كتاب الاستقصاء، 1/155).

تَأْمُرُوا فِي الْقِبَاثِلِ وَادْعُوا الْمَلِكَ . فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْحَضْرَةِ ، أَمَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (ص) بِإِنْزَالِهِمْ ، وَكَسَاهُمْ ، وَوَصَلَهُمْ وَحَمَلَهُمْ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمُ النَّزْلَ الْوَاسِعَ فَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ مَدَّةَ ثَمَنٍ مِنْ عَلَيْهِمْ بِتَسْرِيحِهِمْ وَإِطْلَاقِهِمْ إِلَى بِلْدَانِهِمْ ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِصَلَاتٍ وَخِلْعٍ وَحُمَلَانٍ . وَبَعَثَ مَعَهُمْ إِلَى آبَائِهِمْ وَأَكَابِرِ أَهْلِهِمْ بِكُسَى وَصَلَاتٍ وَسُرُجٍ مُغْرَقَةٍ .

63/2

المعزّ يحسن إلى
الادارة
ويسرّحهم إلى
بلادهم ...

/وأمر بإدخالهم في حين خروجهم ليودّعوه، فصُفّوا بين يديه، وأدنى الحسنين منهم، وأمرهم بالجلوس. ثم قال للجميع: قد علمتم ما كان من إحساننا إليكم، وفضلنا عليكم، وعَفَوْنَا وَصَفَحْنَا عَمَّا سَلَفَ مِنْ أُمُورِكُمْ، وَقَدْ سَرَحْنَاكُمْ لِمَا اتَّصَلَ بِنَا مِنْ شَهَوَاتِكُمْ وَمَنْ خَلَفْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ، فِي سَرَاخِكُمْ، وَشَوْقِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ، فَأَثَرْنَا إِسْعَافَكُمْ بِذَلِكَ وَالْمَنْ بِهِ عَلَيْكُمْ. فَاعْرِفُوا ذَلِكَ وَتَلَقَّوْهُ بِالشُّكْرِ وَحَمِيدِ السَّعْيِ وَحَسَنِ الطَّاعَةِ تَعْرِفُوا مِنَّا الْمَزِيدَ عِنْدَكُمْ، وَيَتَّصِلَ فَضْلُنَا لَدَيْكُمْ وَمَعْرُوفُنَا عِنْدَكُمْ. وَلِيَعْلَمَ مَنْ أَدْلَى إِلَيْنَا بِالنَّسَبِ مِنْكُمْ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَتَوَسَّلُ بِهِ مَنْ اعْتَصَمَ بِالطَّاعَةِ وَتَمَسَّكَ بِهَا، فَأَمَّا مَنْ عَصَى أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَخَالَفَهُمْ فَقَدْ انْقَطَعَ نَسَبُهُ مِنْهُمْ، كَمَا قَطَعَ اللَّهُ (تَع) نَسَبَ ابْنِ نُوحٍ مِنْهُ لَمَّا عَصَاهُ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ الطَّاعَةَ لَنَا عَلَى كَافَّةِ خَلْقِهِ وَقَرَّنَهَا بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَجَعَلَهَا دِينًا تَعْبُدُ الْعِبَادَ بِهِ، وَأَقَامَنَا لِإِقَامَةِ دِينِهِ، لَمَّا عِبَّانَا بِمَنْ أَطَاعَ مِنْكُمْ وَلَا مِنْ عَصَى، وَلَكِنَّا إِنَّمَا نُرِيدُ بِذَلِكَ إِقَامَةَ مَا أَمَرَنَا اللَّهُ - تَعَالَى - بِهِ مِنْ إِقَامَةِ دِينِهِ. وَلَوْ أَنَّ هَذَا الْفَاسِقَ ابْنَ بَكْرٍ أَطَاعَنَا مَا بَخَلْنَا عَلَيْهِ بِفَاسٍ وَمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا، وَمَا لُذَلِكَ عِنْدَنَا وَلَا لِلدُّنْيَا بِأَسْرَها مِنْ خَطَرٍ نَبْتَغِيهِ مِمَّنْ تَغْلَبُ، وَلَا نَقِيمُ أَنْفُسَنَا لِمُحَارَبَتِهِ لَوْلَا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ (تَع) عَلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَخْدَمَنَا لَهُ. وَلَوْ سَلِمَ ذَلِكَ إِلَيْنَا الْفَاسِقُ وَمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَأَطَاعَهُ عَلَى مَعْصِيَتِنَا لَمَّا عَرَّضُوا أَنْفُسَهُمْ لِلتَّلَفِ (ط 93) وَحُرْمَتِهِمْ لِلانْتِهَاكِ، وَإِنْ كَانَ مَا جَبَلْنَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الصَّفْحِ وَالرَّحْمَةِ مَنَعَنَا مِنْ انْتِهَاكِهَا - وَقَدْ عَرَّضُوهَا

للالتهلاك - ومن سفك دمائهم وهلاكهم عَنْ آخرهم - وقد استهذفوا بها للسفك وبأنفسهم للهلاك - ولكننا عفونا عند المقدرة، وصفحنا بما جَبَلْنَا الله (تع) عليه من الصفح والمرحمة، وأبقينا على من بقي منهم ومن أقدرنا الله تعالى عليه من جميعهم، وصُنَّا حُرْمَهُمْ، وعَفَقْنَا عن دمائهم. وَمَا لهذا الفاسق الذي أقدرنا الله (تع) عليه، بعد الذي كان منه من الحرب والمناصبه بعد عفونا قديماً عنه وإحساننا إليه⁽¹⁴⁰⁾ من المِقدار ما يُوجب عُقْلَتَهُ وإِبْقَاءَهُ إِلَّا لما أردنا أن يديم الله (تع) به حَسْرَتَهُ من كَوْنِهِ في الأسر، ونظره إلى فضل الله علينا وعلى من تُنِيلُهُ إِيَّاه مَمَّنْ رأينا المنُّ عليه والإحسانَ إليه منكم ومن أمثالكم مَمَّنْ آثَرَ طَاعَتَنَا والتسليمَ لأمرنا وأَنَابَ إلينا ولم يصِرَّ على معصيتنا، فيعلم أَنَّ الله (تع) لو أراد به خيراً لَوَفَّقَهُ إلى ذلك وقدره له، فنال من فضلنا وإحساننا ما قد نال غيره. ففي ذلك ما يُنكي اللّهُ (تع) به صدره، ويديمُ له حَسْرَتَهُ وأسفه، فينال من ألم عذابه - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - في دنياه صدرأ مِمَّا أعدّه له قبلَ مصيره إلى عذابه الدائم والخلود في خِزْيِهِ اللّازِمِ.

إِنَّا والله ما نبتغي من طاعتكم لنا وتسليمكم لأمرنا وإِنَابَتكم وإِنَابَةَ غيركم إلينا عَزّاً إلى عَزَّنَا نستفيدُه، ولا عَرَضاً من أعراض الدنيا نستزيده. ولقد خَوَّلْنَا اللّهُ (تع) من ذلك وملَكْنَا وأعطانا بفضله علينا وإحسانه إلينا ما لا نتعاطى أن نقومَ بِشُكْرِهِ، ولا تمتدَّ أَعْيُنُنَا إلى غيره استقلالاً لما خَوَّلَنَا اللّهُ (تع) وأعطانا من جزيلِ كرائمه وأفضلِ علائقه، وأعزَّنَا به من عَزَّ سلطانَ حقِّه، وأمجدَنَا من مجد شرف دينه، وما وصل من أسبابنا بأسباب جَدَّنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ (ﷺ)،

(140) أي: إطلاق سراحه من المهديّة سنة 341 ورده إلى إمارته بعاص. انظر كتاب الاستقضاء، 189/1 - 190. وكان ميسور الخادم قبض عليه سنة 323 ويعث به إلى المهديّة (المقتبس، 348، البكري، 128).

وأن جعلنا (ط 94) أئمة خلقه الذين لا يقبل منهم إلا من أقبل عليهم، ولا يرتضي إلا من ارتضوه. فما بعد ما عندنا من فضله ونعمته فضل نعمة ينبغي أن نتناولها من أحد من عباده ولا فوق ما أعطانا من الشرف والمنزلة ما يؤمل أن نرتقي إليه بشيء نستزيده من قبل أحد من خلقه، بل قد أحوج الله (تع) جميع العباد إلينا، دنيا وديناً، وله الحمد على ما خولنا وأعطانا ومن به علينا، ولكننا نذنب أنفسنا وأبداننا ونستعمل أولياءنا وننفق أموالنا فيما استعملنا الله فيه، واستخدمنا له، وأمرنا بإقامته من معالم دينه والذب عنه وإقامة شرائعه، وإحياء ما أماته المبتطلون من سننه وأحكامه. فنحن ندعو من أناب إلى ذلك ونحضرهم عليه، ونجاهد من عيّد عن ذلك وصدّف عنا فيه.

.. ويحذّره من
نبد ولائ
الأئمة

فاعلموا ذلك منا وعرفوه من تصيرون إليه، وإنكم لن تعدموا فضلاً من الله ومنا ما اعتصمتم بحبلنا وتوليئتمونا، ولن تفوتوا الله (تع) وتفوتونا إن صدقتم عن أمرنا وأصغيتم إلى / عدونا، ويد الله العليا وأيدينا عليكم وعليهم، وعلى كل من عصانا وصدف عن أمرنا، وعداً وعدنا (عج) إياه في كتابه، وواجباً أوجبه تبارك وتعالى في إيجابه. [ف-] إلى من عسى أن تميلوا عنا؟ ومن تستبدلون بنا؟ ودعوة من تؤثرون على دعوتنا، وهي دعوة جدنا محمد (ﷺ)؟

65/2

وطواغيت بني أمية الذين مال نحوهم ودعا إليهم وأصغى إلى باطلهم هذا النذل ابن بكر واستبدلهم بنا، هم عدو جدنا محمد (ﷺ) وحربه ولعناؤه وطرداؤه وحزب الشيطان وجنوده. ونحن حزب الله وحزبه - كما وعد - الغالبون، وحزب رسول الله، وذريته المطهرون. والله ما تثبت أنفسهم الخسيصة، ولا تتعاطى مقاومة فضلنا، ولا ينكرون - وإن أبدوا ما أبدوه من محاربتنا ومعاداتنا - حقنا. وإن قلوبهم لتخافنا وجلودهم لتقشعر منا. ولو قرب جلد ميت

منهم إلى جلدٍ مَيِّتٍ مِنَّا لا قَشَعَرٌ منه، كما (ط 95) قد قيل إنَّ ذلك يعترى جلودَ بعض الحيوان إذا قُرَّبَ من جلود بعض السباع. ولِّلَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لَنَا مِنَ الْهِيبَةِ فِي صُدُورِ عَدُوِّنَا وَالْخَوْفِ هُوَ أَشَدُّ مِمَّا جَعَلَهُ اللهُ - تعالى - في قلوبِ الحيوانِ للسباع لا محالة .

فَمَنْ ذَا يَعِدُنَا بِالْأَرْجَاسِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ وَمَنْ هُوَ فِي مِثْلِ حَالِهِمْ، إِلَّا مَنْ أَعْمَى اللهُ قَلْبَهُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ شِقْوَتُهُ وَحَيْنُهُ؟ فَاعْرِفُوا فَضْلَ مَا وَفَّقَكُمُ اللهُ (تع) إِلَيْهِ وَحِبَاكُم بِهِ، وَقُومُوا بِفَرْضِهِ وَاشْكُرُوهُ عَلَى مَا وَهَبَكُم مِنْهُ، وَمَنْ عَلَيْكُمْ بِهِ مِنْ رِضَانَا، تَسْتَدِيمُوا نِعْمَتَهُ بِذَلِكَ وَتَسْتَزِيدُوا فَضْلَهُ. أَمَّا إِنِّي لَمْ أَقُلْ مَا قُلْتُمْ فِي نَفْسِي تَكْبَرًا، وَلَا وَصَفْتُ مَا وَصَفْتُمْ مِنْ فَضْلِ اللهِ (تع) عِنْدِي فَخْرًا، بَلْ قُلْتُ ذَلِكَ اعْتِرَافًا بِفَضْلِهِ عَلَيَّ، وَشُكْرًا لِنِعْمَتِهِ، وَأَنَا أَقَلُّ عِبَادَهُ عِنْدَ نَفْسِي، تَوَاضَعًا لِعَظَمَتِهِ، وَأَذْلُهُمْ لَدَيْهَا، تَذَلُّلاً وَخُضُوعًا لِقُدْرَتِهِ.

وَاسْتَعْبِرْ (صَلِح)، وَظَهَرَتْ خِشْيَةُ اللهِ عَلَى وَجْهِهِ فَقَبِّلُوا الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاعْتَرَفُوا بِفَضْلِهِ، وَشَكَرُوا لَهُ بِمَا قَدَرُوا عَلَيْهِ، وَذَكَرُوا مَا يَعْتَقِدُونَهُ وَمَا يَعْلَمُونَهُ مِمَّنْ خَلَفُوهُ وَرَاءَهُمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِمْ وَاعْتِقَادِهِمْ طَاعَتَهُ وَوَلَايَتَهُ، وَوَدَّعُوا وَانصَرَفُوا.

وَكَانَ قَدْ أَدْخَلَ قَبْلَهُمْ وَجْوهَ أَوْلِيَائِهِ مِنْ كِتَابَةِ وَغَيْرِهِمْ وَخَاصَّةً عَبِيدِهِ، فَحَضَرُوا الْمَجْلِسَ. فَلَمَّا انصَرَفَ الْقَوْمُ نَهَضَ مَنْ كَانَ جَالِسًا مِنْهُمْ لِلْقِيَامِ، فَأَمَرَهُمْ / بِالْجُلُوسِ فَجَلَسُوا. وَوَقَفَ كَذَلِكَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ وَاقِفًا، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ وَسَأَلَهُمْ عَنْ أَحْوَالِهِمْ، وَذَكَرَ مَنْ مَضَى مِنْ أَسْلَافِهِمْ وَتَرَحَّمْ عَلَيْهِمْ، وَحَضُّهُمْ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَسْلَافُهُمْ مِنَ الرُّغْبَةِ فِي الْحِكْمَةِ وَطَلَبِهَا وَسَمَاعِهَا وَالْمَوَاطَبَةِ عَلَيْهَا.

فَذَكَرْتُ لَهُ مَوَاطَبَتَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَاجْتِمَاعَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ وَاحْتِفَالَهُمْ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَى الْجَامِعِ لِشُهُودِ الْجُمُعَةِ وَالتَّهَجِيرِ إِلَيْهَا، ثُمَّ (ط 96) مُقَامَهُمْ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْجُمُعَةِ لِسَمَاعِ الْفَقْهِ وَالْمَنَاطَرَةِ

مواظبة الأولياء على
الصلاة
وسماع الحكمة

فيه قبل انقضاء صلاة العصر، ثم احتفالهم بأجمعهم ومن عسى أن فاتته صلاة الجمعة منهم إلى القصر المعمور بطول بقائه لسماع الحكمة وما يظهر من إقبالهم عليها ورغبتهم فيها (140م)

فقال: هذا الذي نريده منهم ومن غيرهم مما فيه حظهم وصلاح أحوالهم وتمام نعمة الله عليهم. إنهم، ومن مضى من أسلافهم، كانوا مع من مضى من آبائنا (قدس الله أرواحهم)، وقليلاً ما يُنعمون عليهم مثل ما ننعم نحن على هؤلاء بحسب ما أوجب الزمان وجرت به الحكمة في أعصارهم (صلح) وعصرنا هذا المبارك من بعدهم. إنهم كانوا يأخذون أقل ما سمحوا لهم به من العلم والحكمة، فلما أخذوا ذلك عنهم تركوهم، ولم ينقموا عليهم تركهم لسؤالهم المزيد من فضل الله (تع) لهم. ونحن نبذل لأهل عصرنا ما يجب في بدء الأمر بذله لهم، ونزيدهم ما رأينا الرغبة والإقبال منهم، وننعم عليهم إذا سكتوا عن طلب الزيادة منا لهم ونحب أن نجعل جميعهم أعلاماً يُهتدى بهم، وسُرجاً يُستضاء بنورهم، وعلماء يقتبس الخلائق منهم.

فقبلوا الأرض بين يديه، وشكروا فضله وجزيل ما أولاهم من نعمه.

فقال (عم): أحب لكم ولغيركم خاصةً ولجميع من تمسك بولائتنا عامة أن يكون ما تُكنه صدوركم لنا موافقاً لما تنطق به ألسنتكم عندنا، فإن الله (تع) إنما يجزي العباد بيناتهم، وإلا، فمثل من يسمع الخائب اللعين - يعني رجلاً يُسمى قيصر⁽¹⁴¹⁾ كان قد

(140م) هذا دليل على أن النعمان ينظم مجالس المناظرة - كالتى كانت تقع أيام أبي عبد الله وأخيه أبي العباس مع فقهاء القيروان - وكذلك مجالس الحكمة، أي تعليم مبادئ الدعوة الإسماعيلية. والمجالس الأولى عمومية تدور في المسجد الجامع. أما مجالس الدعاية فخاصة وتقع بقصر الخليفة بالمنصورة.
(141) قيصر: تحدثنا عن هذا الخادم الصقلي في ص 237. وقد قتله المعز مع صاحبه مظفر سنة 960/349.

نَافِق - وقد سألَه بعضُ رجالنا رَفَعَ حاجَةً إلينا فأعرض عنه، وقال: إِنَّمَا تُقَضَّى حَوَائِجُ الرِّجَالِ إِذَا احتَاجَ إِلَيْهِم، واليومَ فليس لمولانا عدوٌ يَحْتَاجُ معه إلى الرجال - فيطوي هذا عَنَّا ويرضاه (ط 97) مِن قوله، ويصحبُه ويتولاه بعده، أَيْكون/ قد حفظ ما أُخِذَ لنا عليه وصَحَّتْ لنا نِيَّتُهُ؟

67/2

فقالوا: لعن الله من فعل ذلك.

المعزَّ يحذرهم من

النفاق

الذي وقع فيه

قيصر

الخادم

قال (عم): نعم، ورحم الله من بلغه إلينا نصيحةً لنا كما أخذناه عليه وأنكره بقلبه لما سمعه منه. فمثل هذا فارغوه من أنفسكم ولا تَتَّخِذُوا لَكُمْ ولائِجَ من دوننا، فوالله ما أَحْوجُناكم إلى ذلك، وإلاَّ فَأُخْبِرُونِي: أَيُّ كَبِيرٍ مِنْكُمْ أو صَغِيرٍ كَتَبَ إِلَيَّ رُقْعَةً في ليل أو نهار يقول إنه يريد الدخولَ إِلَيَّ فحجبته، أو الاجتماعَ معي لحاجة يريدُها أو لأمر يُنْهيه إِلَيَّ فمَنَعْتُهُ أو دَفَعْتُهُ؟ إِذَا والله لا يقول ذلك قائلٌ مِنْكُمْ ولا يَتَعَلَّقُ به عَلَيَّ، فَأَيُّ حِجَّةٍ لَكُمْ في وضع أنفسكم لمن هو دوني، وأنا أريد رفعتكم وتُشْرِيفَكُم؟

فَقَبِّلُوا الأَرْضَ بين يديه وشكروا له واعترفوا بفضله وإِحسانه⁽¹⁴²⁾.

وقال محمد بن هانئ المغربي الأندلسي يمدح القائد جوهراً ويذكر ابن واسول وأسرَه ويشير إلى ابن بكر من قصيدة⁽¹⁴³⁾ يقول فيها:

(طويل)

كثيرٌ وُجُوهِ الحَزْمِ أَرْدَى به العَدَى، وأنحى به لَيْثُ العَرِينَةِ، فانتَحَى

(142) المجالس والمسائرات، 483 - 488.

(143) القصيدة العاشرة من طبعه زاهد عليّ، وفي طبعة صادر، ص 75

شعر ابن هانيء في
أسر
ابن واسول

20 ولما اجتباؤه، والملائك جُنْدُهُ،
فقلّدها جَمَّ السِّيَاسَةِ، مدرهاً،
نحاهم به أمضى من السيف وقَعُهُ،
وقد نَصَحَتْ قُوَادُهُ، غيرَ أَنِّي
رآه أمير المؤمنين كعهده
25 ولما تَغَشَّتْ جَانِبَ الأرضِ فتنَةً،
رمى بك قارونَ المغارب، عاتياً،
ورامَ جماحاً، والكتائبُ حَوْلَهُ،
لمهلكهم، دارت على قُطْبِهَا الرِّحَى
إذا شاءَ رَامَ القَصْدَ، أو قال أفصَحَا
وأجزَلَ من أركانِ رضوى، وأرجحَا
رأيتُ ربيبَ المُلِكِ، للملِكِ، أنصَحَا
لديه، ولم تَنَزَّحْ به الدارُ مَنَزَحَا
تَشَبُّ لَطَى الهيجاءِ أَلْفَحَ أَلْفَحَا
وفرعونها، مُسْتَحِيحاً ومُذَبِّحَا
فَوَافَاكَ فِي ظِلِّ السَّرَادِقِ، أَجْمَحَا (ط98)

ويقول فيها:

وأدركتَ سُولاً في ابنِ واسولَ عَنَوَةً،
والأُ أَبْنَهُ فِي العُصَاةِ، فَإِنِّي
35 يَمُوتُ وَيَحْيَا بَيْنَ رَاجٍ وَآيسٍ،
تَضُمُّنُهُ حَجَلٌ كَلْبَةِ أَرْقَمٍ،
أُرِيكَ بِمِرَاةِ الإِمَامَةِ كَاسِمِهَا،
وقد سَلَبْتُهُ الزَّاعِيَةَ مَا ادَّعَى،
فَمَا خَطْبُهُ، شَاهَتْ وَجْوهُ دُعَاتِهِ،
40 /وكان الجُدَامِيُّ، الطويلُ نِجَادُهُ،
... أقولُ له، في مُوثِقِ الأَسْرِ، عَاتِباً،
لئن حَمَلْتَ أَشْيَاعَ بَغِيكَ فَادِحاً،
وزحزحتَ منه يَذْبُلَا، فَتَرَحَّزَحَا
أرى شارباً منهم يَمِيلُ مُرْنَحَا
فكانَ له الهَلْكُ المُوَالِشُكُ أَرْوَحَا
إذا خَرَسَ الحادي تَرَنَّمَ مُقْصِحَا
على كُورِ عَنَسٍ، والإمامَ المرشَحَا
فأَصْبَحَ تَنِيناً، وَأَمْسَى ذُرْخَرَحَا
وَجُدَّعَ من مَأْفُونِ رَأْيٍ، وَقُبَّحَا
بهيماً مَدَى أعصارِهِ، فتوضَّحَا
68/2 تُجَادِبُهُ الأَغْلَالُ، والقيدُ مُقَمَّحَا
يغولُ، لقد حُمِلَتْ ما كانَ أَفْدَحَا

وكان لابن واسول ولد شجاع هو الذي أذكى نار الفتنة وحمل
أباه على المنابذة للأئمة، فقتله بعض عساكر القائد في توجَّهه إلى
سجلماسة. ففيه يقول محمد بن هانيء من هذه القصيدة:

45 ولا كابنه أذكى شهاباً بمعركِ، وأجمَحَ، في ثِنْيِ العنانِ، وأطمَحَا
مَرَّتْ لَكَ، فِي الهَيْجَاءِ، مَاءَ شَبَابِهِ، يَدُّ، فَجَرَّتْ مِنْهُ جَدَاوِلُ سَيْحَا

وَأَتَكَلَّمْتُ مِنْهُ الْقَضِيبَ تَهَضَّرَتْ أَعَالِيهِ، وَالرَّوْضُ الْمُقَوَّفُ صُوحًا
لَعَمْرِي! لَيْتَنِي الْحَقَّتْهُ أَهْلٌ وَدَّهِ، لَقَدْ كَانَ أَوْحَاهُمْ إِلَى مَا زَقِيَ الرَّحَى (ط99)
وَكَمْ هَاجَعَ لَيْلَ الْبَيَاتِ اهْتَبَلَتْهُ، فَصَبَّحَتْهُ كَأْسَ الْمَنِيَّةِ، مُصْبِحًا
50 وَهَدُمْتُ مَا شَادَّ الْعِنَادُ، وَقَدْ رَسَتْ أَوَاخِيهِ، فِي تِلْكَ الْهَزَاهِزِ، رُجْحًا

قال القاضي النعمان بن محمد (144):

وَأَدْخَلَ الْمَعَزَّ لَدَيْنَ اللَّهِ (ص) ابْنَ وَاسُولٍ إِلَى نَفْسِهِ بَعْدَ عِدَّةِ
أَيَّامٍ مِنْ وَصُولِهِ، وَهُوَ فِي وَثَاقِهِ. فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ
فَجَلَسَ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ حَتَّى رَأَى أَنَّهُ سَكَنَ رَوْعَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ مِنْ
غَيْرِ تَجَهُّمٍ فَقَالَ: مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى مَا ادَّعَيْتَهُ وَتَسَمَّيْتَ بِهِ؟

قال: الْحَيُّ وَالْجَهْلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قال: أَوْ تَحْتَجُّ عَلَى ذَلِكَ بِحُجَّةٍ؟

قال: مَعَاذَ اللَّهِ! مَا عِنْدِي فِي ذَلِكَ مِنْ حُجَّةٍ إِلَّا الْاعْتِرَافُ
بِالْجَهْلِ وَالْخَطِإِ عَلَى نَفْسِي.

(قال) وَنَظَرَ إِلَيَّ كَالْمُسْتَشْهِدِ بِي. وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ لِبَعْضٍ مِنْ
فَاوِضِهِ: بَلَّغْنِي أَنَّ الْقَاضِيَّ لَهُ تَأْلِيفٌ وَكُتِبَ أَحِبَّ أَنْ أَرَى مِنْهَا شَيْئًا.
فَلَمَّا عَرَّفَنِي ذَلِكَ الَّذِي قَالَ لَهُ، بَسَطْتُ لَهُ كِتَابًا فِي الْحُجَّةِ عَلَيْهِ فِيمَا
ادَّعَاهُ مِنَ الْإِمَارَةِ بِغَيْرِ عَقْدٍ إِمَامٍ، وَمَا تَعَدَّى إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ ادَّعَائِهِ
الْإِمَامَةَ وَتَسْمِيَةِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَلَقُّبِهِ بِالشَّاكِرِ لِلَّهِ، وَالرَّدِّ فِيمَا بَلَّغْنَا عَنْهُ
أَنَّهُ أَحْتَجُّ لِنَفْسِي بِهِ. فَتَعَاظَمَ ذَلِكَ لَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ، وَاعْتَرَفَ بِالْخَطِإِ
وَالْجَهْلِ عَلَى نَفْسِهِ. وَعَلِمَ بِذَلِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (ص)، فَقُلْتُ لَهُ: يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (ص) بِمِثْلِ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ اعْتَصَمَ وَعَلَيْهِ عَوَّلَ. فَقَالَ لَهُ
(ص): أَتَنْجَلِفُ بِاللَّهِ وَتَشْهَدُهُ عَلَى قَوْلِكَ أَنَّهُ اعْتَقَادُكَ وَنَيْتُكَ؟ فَحَلَفَ

(144) المجالس والمسائرات، 414 - 417.

على ذلك وأشهد الله (عج) على نفسه أنه اعتقاده وثبته كالذي أظهر وقال به.

ثم جعل أمير المؤمنين (ص) يبسطه ويسأله عن أخباره وأخبار البلد الذي كان به. ثم إذا مضى في ذلك / عاوده في ذكر (ط 100) حجة إن كانت عنده في دعواه، فيرجع إلى الاعتراف بالخطأ والجهل على نفسه.

فكان فيما سأله عنه (صلح) أن قال له: ما كان يقول الناس عندك فينا وينسبوننا إليه في الذي نتجّله ونقول به؟ فسكت. فقال له: قل ما عندك من ذلك وما قيل لك فيه فإننا لا نأنف من سماعه، ولا نُنكرُ عليك أن تقوله وإن كان من أفحش ما قاله المُبطلون الظّالمون. إنما يأنف من سماع المكروه فيه عمّن نسبّه إليه، من كان من أهله، وكان يعلم أنّ الذي قيل هو عليه، فيغتمّ لذلك إذا أبداه الله (عج) عليه، وأشهره به، وعلمه الناس منه، فيستحي لذلك. فأما من علم ما بينه وبين الله، وأنه نسب إليه من المكروه ما ليس فيه وما لم يفعله، ممّن له تَمَيُّزٌ وَعَقْلٌ، فإنّ سماع ذلك ممّا يحبه لما يرجوه من ثواب الله (عج) عليه، وانتقامه ممّن قاله فيه ونسبه إليه. ونحن نُحبّ سماع مثل ذلك ونشتهيه. فقل ما بلغك عنّا ولا ترجع عن شيء منه!

فقال: إن رأى أمير المؤمنين (ص) أن يُعفيني من ذلك فليفعل، فإنّ لساني لا ينطاع للقول بذلك. .. ويستفسره عن الأقاويل في الأئمة ...

فقال له: أليس فيما بلغنا أنه انتهى إليك عنّا أنا ندفع نبوة مجمل (ص) وندعي النبوة بعده، وندفع سُنته وشريعته وندعو إلى غيرهما؟ فسكت. فقال له أمير المؤمنين: ويحك قل! أليس قد بلغك أنّ ذلك ممّا قيل عنّا ونسب إلينا؟

قال: نعم.

فقال (عم): فلعن الله من قال بهذا وانتحلّه وأدعاه ومن تقوّله علينا، ورمّانا به ونسبه إلينا! فكيف نقول ذلك أو ندّعيه، وشرفنا الذي جَلَّبِنَا اللَّهُ جِلْبَابَهُ وفخرنا الذي أَلْبَسَنَا أَثْوَابَهُ، بجَدْنَا محمد (ﷺ)؟ فيه عَلَوْنَا على الأمم، وبه فخرنا على العرب والعجم! فكيف ندفع نبوّته أو نُنْكِرُ فضلَهُ أو ندّعي أن ذلك لنا دونه؟ واللّه لو بعث الله نبياً بعده - وكلاً، لا يكون ذلك! - لَكُنَّا لَتَمْسُكِنَا به أبعد الناس وأرغبهم عنه. إنّ بني عبد شمس عادونا فيه وأبغضونا من أجله لما قال قائلهم: أَطَعَمْنَا (ط 101) وَأَطَعَمْتُمْ وفعلنا من الجميل مثل ما فعلتم حتى إذا كنّا كَفَرَسَي رِهَان قُلْتُمْ: مِنَّا نَبِيٌّ! واللّه لا سلّمنا ذلك ولا أقرّنا به إليكم.

فإذا كنّا نحن ندعو إلى البراءة من شريعة جدنا محمد (ﷺ)، فمن ذا يدعو إلى الاعتصام والتمسك بها؟ بلى والله! فإننا إن قلنا إنّ الله (عج) أَوْرَثَنَا شرفه ومجده وفخره، وأقامنا أئمةً للأمة بعده، وأوجب لنا على الناس من الطاعة بعده مثل الذي كان يجب له، لصدقنا، لقول الله (عج): ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء، 59). فنحن والله أولو الأمر الذين تعبّد الله الخلق بطاعتنا، وأهل الذكر الذين أمرهم بسؤالنا على رغم من جحد ذلك وأباه لنا. فهذا هو فضل الله (عج) علينا ونعمته لدينا، التي لا ننهض بأعباء شكرها إلّا بعونه لنا. وهي الخطّة التي لا ينافسنا فيها إلّا دعيّ مكابر ولا يدفعها عنّا إلّا ضالّ كافر. وما بعدها من خطّة فنَدْعِيها ولا فوقها من رتبة فنسُمُو إليها. وحسبنا إن بلغنا شكرَ نعمة الله (تع) عليها، فكيف ندّعها ونُدّعي ما يصلي الله من أدعاه النار، ونقول بقول من أبطل نبوّه جدنا محمد (ﷺ) من الكفار؟ والله سائل من قولنا من ذلك ما لم نقله ومؤاخذه بقوله.

70/2

المعزّ ينفى هذه التهم

ثم قال له (عم): هات غير هذا ممّا قيل لك فينا.
قال: ما أعرفه يا أمير المؤمنين، وفيما قلته محض الإيمان واليقين.

قال: بلى! لقد بلغنا أنّه قيل لك إنّنا نعبد رأساً عندنا ونسجد له من دون الله، وينثر لنا الدنانير من فيه.
قال: سمعنا من يقول ذلك.

قال له أمير المؤمنين: فأيّ رأسٍ قالوا هذا الرأس، رأس إنسان أم بهيمة أم حيّة أم ما هو؟
قال: لا أدري ما يقولون لعنهم الله.

فقال (عم): بلى والله، إنّنا لنعبد رأس كلّ (ط 102) شيء ولا إلهة وخالفه: الله ربّ العالمين، وهو الذي أعطانا وفضلنا واصطفانا وكرّمنا.

قال: كذلك هو والله يا أمير المؤمنين.
قال أمير المؤمنين: فالعجب من هذه العقول الناقصة والأوهام الفاسدة التي تقبل مثل هذا المُحال من المقال وينطبع فيها ويثبت عند أهلها حتّى ينسبوه إلى أحد أو يقبلوه من قول قائل، أو يصدّقوا به لو قد رأوه بأعينهم أو سمعوا من يدّعيه بأذانهم.

وقال القاضي النعمان بن محمد⁽¹⁴⁵⁾: وأمر أمير المؤمنين بابن واسول المدّعي الإمامة والمتسمّي بأمير المؤمنين، لما أتى به، فأنزل في سقيفة في القصر في وثاق. ودخل شهر رمضان، فسأل ابنُ واسول أن يصلي الجمعة خلف أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (ص) / وأخبر بذلك عنه. فقال للذي أدّى إليه ذلك عنه: قل له: إنّ الصلاة وجميع الأعمال لا تقبل إلّا بنية واعتقاد،

(145) المجالس والمسائرات، 411 - 413.

ولو كنت تعتقد إمامتنا لم تحل هذا المحل ولم تكن لنبحل عليك
بسجل ماسة ولا لها عندنا من الوزن ولا للدنيا بما فيها، ولما كنا
نتكلف في ذلك ما كنا تكلفناه من تعبئة أوليائنا في العساكر نحوك وإتباع
أنفسنا في تدبير ذلك وإقامته لك. فلو كنت رغبت عن نية منك في
أن تأتم بنا لنلت فضل ذلك وثوابه وأنت وادع في مكانك آمن في
سلطانك بإقامتنا ذلك لك. وإذ قد أنكرت إمامتنا وأدعيت الإمامة
دوننا إلى أن أظفرنا الله بك وأقدرنا عليك، فماذا يغنيك أن تأتم بنا
في صلاتنا وأنت أسير في أيدينا على ادعائك مقامنا؟

ابن واسول يرغب
في
الصلاة وراء
المعز...

وإن كان الذي أردته من صلاتك بصلاتنا ما تبتغي به الفضل،
وكان ذلك عقد نيتك، وأنت معترف بإمامتنا منكر لما كنت عليه،
نادم راجع عنه، فوالله لينفعك ذلك صليت بصلاتنا أم لم تصل
(ط 103).

وإن كنت إنما أردت أن تُرينا من نفسك الميل إلينا وتتوسل
بذلك إلى ما يُرضينا، فوالله لا يرضينا منك إلا ما أرضى الله (عج)
عنك، وإن قلوبنا لبيده وما يصرفها إلا لمن رضي عنه وارتضى عمله
وأحب سعادته. فإن أردت منا ذلك فأخلص لله (عج) فيما بينك
وبينه، واعتقد ذلك تجد ذلك عنده جل ذكره في الآجل، وعندنا بما
يجعله لك في قلوبنا في العاجل، ودع عنك التزئ بالباطل.

.. فيجيبه أن
صلاته
وراءه باطلة إن هو
لم
يعتقد إمامته

(قال): فقال الرسول: فلما بلغته ذلك تحير ولم يدر ما يقول
غير أنه قال: والله ما هذا إلا من كلام النبوة، وهو ابن
رسول الله (ﷺ) حقاً، وهذا من ميراث حكمته.

(قال): وأخبره عنه بعض من كان يجتمع معه ممن أذن له في
ذلك، وفي أن يبسطه ويسأله حوائجه، أنه سأل هل عنده من كلام
أرسطاطاليس شيء؟ والذي سأله ذلك ممن يُعنى بمثل هذه الكتب.

(قال) فقلت له: ما تريد من كلام أرسطاطاليس، وأصحابك يُنكرونه؟

قال: ينكر ذلك من لا يحسن.

72/2

فأدى هذا القائلُ قوله هذا إلى المعزّ لدين الله (صلع) فقال له المعزّ (ص): قل له: لعلك أردت من كتب أرسطاطاليس رسالته⁽¹⁴⁶⁾ إلى الاسكندر في الإبقاء على من ظفر به من الملوك، لتأخذ منها ما لعلك تتوسّل به إلينا في الإبقاء عليك؟.

قال الرجل: فبلّغته ذلك من قول أمير المؤمنين فُبّهت إليّ وقال لي بعد حين: ما أظنّ من نحلهم النبوة نحلهم إياها إلاّ من مثل هذا: والله ما عدا ما في نفسي، وما أردت إلاّ هذه الرسالة لمثل ما ذكر أنّي أردتها له. ثمّ ذكر الحديث (ط 104) الذي يؤثّر عن رسول الله (ﷺ): بُعثت وفي هاتين القريتين - يعني مكّة والطائف - أربعون رجلاً ظنّ أحدهم كيّفين غيره⁽¹⁴⁷⁾. قال: فإذا كان مثل هذا يوجد في سائر الناس فكيف في ذريّة النبيّين؟

المعزّ يصلي صلاة
العيد
في البراح رغم
الماء
والوحد

قال القاضي النعمان⁽¹⁴⁸⁾ بن محمد: وحضر عيد الفطر وتقدّمه نوّة عظيم وكثّر الوحد والطين. وذكر ذلك للإمام المعزّ لدين الله (ص)، وما بالمصلّي منه وما في الطريق إليه من الماء والوحد والطين، وظنّوا أنّه يصلي صلاة العيد في المسجد، فقال (ص): يكون من ذلك ما يكون، لا بدّ من قضاء فرض الله (تع) في البراح على ما أمر به جلّ ذكره وسنّه رسوله (ﷺ). وذكر حديث

(146) رسالة أرسطو إلى الاسكندر في السياسة: ذكرها عبد الرحمان بدوي (مخطوطات أرسطو في العربية القاهرة 1959 ص 37 رقم 19) واعتبرها منحولة له.
(147) هذا الحديث ذكره النعمان في الدعائم، 199/1، ولم نجده في المصادر المعروفة.

(148) المجالس والمسائرات، 457.

النبي (ﷺ) أنه ذكر ليلة القدر من شهر رمضان فقال: رأيت أني أسجد فيها في ماء وطين، وأن الناس أمطروا بعد ذلك، فوكف المسجد وصلى رسول الله (ﷺ)، فانصرف من الصلاة وقد أثر الطين والماء في جبهته وأنفه لسجوده فيه⁽¹⁴⁹⁾.

وقال المعز (ص): وهذا من أقل ما ينبغي أن يفعل في ذات الله وأكثر منه، والله لو حَبَوْنَا في هذا الطين حبواً على الركب وكان ذلك ممّا يرضي الله عنا ويقبله مِنَّا لَفَعَلْنَاهُ. إن رسول الله (ﷺ) يقول: إذا سمعتم داعي آل بيتي فسارعوا إليه ولو حبوا على الثلج والنار⁽¹⁵⁰⁾. فإذا كان الله (تع) قد أوجب لنا هذا على عباده ونحن خلق من خلقه قد ابتدأنا بفضلِهِ وأنعم علينا بإحسانه، فكيف بما يجب له علينا وعلى الخلق؟ جلّ ذكره أن نرخص فيه أو نتعاضم مشقة تدخل علينا من أجله! معاذ الله أن نستكبر عن عبادته أو نستحسر⁽¹⁵¹⁾ من طاعته! (ط 105).

وخرج (عم) وخرج الناس في غد يخوضون الماء والطين فما انصرفوا إلّا وقد تخضبوا فيه ، وامتألت ثيابهم منه، وكان مشهداً يرضي الله من وليّه وممن ذهب فيه مذهبه إن شاء الله.

73/2

(قال): وكان هذا العيد وابن واسول وابن بكر معتقلان في سقيفة القصر، وكان وصولهما في آخر شعبان وظنّ الناس أن سيقتلا [ن] إذا وصلا، فلما أبقيا قيل: إنهما يوم الفطر يُقتلان. فلما انصرف (ص) ودخل إلى داخل قصره، أحضرهما إليه، فمثلا بين

(149) رأيت أني أسجد في ماء وطين: ذكره البخاري في كتاب الصوم، باب تحري ليلة القدر، 2، وعند مسلم 171/3 - 172.

(150) حديث: إذا سمعتم داعي آل بيتي . عند ابن ماجه حديثان، 4082 و 4084 بلفظ مغاير. وقال الحاكم في المستدرک: حديث صحيح على شرط الشيخين.

(151) استحسر: تعب وكلّ.

يديه - وهو قائم على ظهر فرسه والرمح بيده - فقبلاً الأرض ووقفاً، فقال لهما: أيهما كان أحسن لكما: أن تكونا اليوم في مثل حالكما هذه بمعصيتكما وعداوتكما، أو تكونا اليوم في جملة أوليائنا ومن آتت بنا، فتقضيان فرض ربكما معنا، أو حيث كنتما على طاعتنا التي افترضها الله - تعالى - عليكم وعلى سائر خلقه، وأنتما وادعان سالمان آمنان؟

المعز يقيم الحجة
على
ابن واسول وابن
بكر

فلم يفهم عنه ابن واسول ما قاله، وأظنّ الخوف والذعر غلب عليه، فقال: بل الذي نحن فيه يا مولانا أفضل. فتبسّم أمير المؤمنين لما علم أنّه لم يفهم عنه. وأظنّ البأس إنّما ظنّ أنّه خاطبه بمثل ما خاطبه به قبل ذلك. فإنّه (صلح) قال له قبل ذلك في يوم أحضره إليه: والله إنّك في حالك هذه التي أنت فيها - وإن كنت في الأسر والوثاق - لأفضل ممّا كنت فيه من معصية الله بتخطئك إلى ما تخطيت إليه، وتسميك بما تسميت به، وإن كرهت ما أنت اليوم فيه. فقال: هو كما قال أمير المؤمنين (صلح). فأحسبه ظنّ أنّ الخطاب الذي خاطبه به أمير المؤمنين (ص) في هذا المقام كذلك كان.

فأعرض عنه (ص) لما رآه لم يفهم قوله، وعطف على ابن بكر (ط 106) فقال: أنت يا ابن بكر أمكننا الله منك وأنت على غيِّك، فمئناً عليك، وأطلقناك من أسرك وصرفناك إلى بلدك، فما رعيت الإحسان بل غمطت النعم وتغلّبت على البلاد دوننا، ودعوت إلى غيرنا⁽¹⁵²⁾ وتقول، فيما انتهى منك إلينا: هؤلاء الفواطم⁽¹⁵³⁾ -

(152) أي: إلى بني أمية بالأندلس.

(153) الفواطم: الأدارسة الحسنيون. يقول ابن خلدون، 4/47: وقدم جوهر بالفاطميين وبأحمد بن بكر ويحمد بن واسول أسيرين في قفصين. وعبارة الفواطم ليس فيها تهجين بالضرورة. وكذلك مصطلح الخوارج، والحوائف عندنا إلخ.

تعني الذين بناحيثك - سترضي أحدهم بقلة من نبيذ وأترجنتين تُهدي ذلك إليه، وتعني أنا نحن لا نرضى منك إلا بالكثير. فلو عقلت لعلمت أن الراضي منك بما وصفت، مثلك في الحال أو دونك، وليتك أقمّت لنا ظاهراً أو كنت واصلتنا بترجة لعلك كنت تستميلنا بها كما زعمت أنك استملت من استملته، ولكنك نابذتنا وصارمتنا. ثم سارت عساكرنا إليك، فأظهرت أنك على الطاعة وغلقت دونهم أبواب مدينتك، ولم تخرج إلى عبدنا قائد عسكرنا⁽¹⁵⁴⁾، وسألك أن تبعث بابنك ليكون نائباً عنك، فأومأت إلى أسود بين يديك، وقلت لرسوله إليك: «لو سألني عشرة من رأس هذا الأسود ما أعطيته إياها» وتقاتل عسكرنا، وتقتل أوليائنا. ثم تكتب إلينا أنه كانت بينك وبين القائد هينة⁽¹⁵⁵⁾ وتسالنا أن نُجلك محلّ الأولياء عندنا. أفترى لو أنك أسخطت بعض نساءك بعض السخط فقابلتها بمثل هذا الذي قابلتنا به، أكانت راضية منك بمثله؟ فإيانا يا شقيّ تقابل بمثل هذه المقابلة، وعلينا تجتريء بمثل هذه الجراءة؟

يقول له (صلح) مثل هذا القول بغضب، والرمح بيده يديره فيها وسنانه (ط 107) من قبل الفاسق ابن بكر، فظن كثير ممن حضر أنه سيرسله إليه حتى لقد تنحى من كان واقفاً إلى جانبه. فأسكت الخائنُ ودهش، وأكثر ما قدر أن يقول: يا مولاي، أنا عبدك وقد أخطأت.

ثم عطف عليهما فقال: ما كنتما فاعلين بمن يحلّ عندكما محلّكما عندي لو أن الله أقدر كلّ واحد منكما عليه كما أقدرني

(154) أي: جوهر.

(155) في المخطوط والمطبوع: هنية وفي المجالس، 459: هينة. والهينة: الصوت الخفي كإتهال المتعب، ولعله يعني هنا: الاتفاق الضمني أو السري.

عليكما؟ فسكتا. فنظر إلى ابن واسول فقال: قل - والله الشاهد على ما في قلبك -: ما كنت صانعاً في ذلك؟

فقال: ومن أنا حتى أشبهه بعبد من عبيد أمير المؤمنين (ص)، فكيف به في شيء من فعله؟

ثم تفتح فرس أمير المؤمنين فبال، فتباعد كثير ممن كان حوله، وتنحى ابن واسول قليلاً، وكان قبالة، وقد جرى من بول الفرس نحوه. فقال له أمير المؤمنين: لم تأتفت من بول الفرس؟ فسكت. فقال: قل في ذلك ولا عليك، فقد ترى كثيراً من عبيدنا فعل مثل ما فعلت.

حكم لحوم
الحيوان
وأبواله

فقال: يا أمير المؤمنين، قيل لنا إنه نجس.

فقال: ولم قلتم إنه نجس؟

قال: لأنه لا يؤكل لحمه، وما لا يؤكل لحمه فبوله نجس⁽¹⁵⁶⁾.

فقال له: وكيف لا يؤكل لحمه؟ أولم يبلغك أنه يباع في مجازر المسلمين في كثير من أمصارهم؟

ثم نظر إليّ فقال: ما تقول أنت يا نعمان في ذلك؟

قلت: أقول فيه كما قال موالي وما روينا عنهم عن رسول الله (ﷺ) أن علياً قال: مرّ رسول الله (ﷺ) برجل من الأنصار وبين يديه فرس له يكيده⁽¹⁵⁷⁾ بنفسه. فقال له

75/2

(156) الشافعي وأبو حنيفة يذهبان إلى أن بول الحيوان مطلقاً نجس. أما مالك فيقيس على لحمه: فما حرم لحمه، فبوله نجس (بداية المجتهد، 77/1). ويفهم من جواب ابن واسول أنه سني المذهب، أو، إن كان خارجياً، فموقفه قريب من موقف أهل السنة.

(157) كاد بنفسه يكيده ويكود: احتضر وأوشك على الهلاك

رسول الله (ﷺ): آذبحه يضاعف لك أجره بذبحه واحتسابك إياه.

فقال: يا رسول الله، ألي منه شيء؟

فقال: نعم. كل وأهد إلينا إن شئت.

فدبحه وأهدى منه فخذاً إلى رسول الله (ﷺ). قال علي

(عم): فأكل منه رسول الله وأطعمنا⁽¹⁵⁸⁾.

قلت: وعلى هذا أكثر العامة يُجيزون ذبح الخيل وأكل.

لحومها. فأما أهل البيت (ص) فإنهم يرون ذبح ما عطب منها ويؤس

من حياته كهذا الذي وُصف أن رسول الله (ﷺ) أمر بذبحه لما كان

يكيد بنفسه، ولا يرون ذبح الصحيح السالم منها [لقول الله (ت):

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ (النمل، 6) وقوله:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (الأنفال،

60) فأباحوا ذبح ما عطب منها ويؤس من حياته وأكل لحمه،

بالخبر، وتوقفوا عن ذبح السالم الصحيح منها⁽¹⁵⁹⁾، بالنص، لما فيها

من عز الإسلام وقوة أهله وزينتهم إذا كانت سليمة. فإذا عطب

ويؤس منها زال عنها هذا المعنى وحل ذبحها وأكل لحمها

بالحديث، ويقول الله (ت): ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ

عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر، 8)، وقد روي عن رسول الله (ﷺ) في ذلك

أخبار كثيرة.

الفقه الشيعي لا

يجيز

لحوم الخيل إلا

عند

اليأس منها في زينة

أو

حرب

فتبسّم (صلح) وصرف عنان فرسه فدخل من باب الخاصة إلى

(158) الحديث عند ابن ماجه، 3190 و 3191، وعند البخاري: كتاب الذبائح، باب

لحوم الخيل، حديثان في الترخيص فيها. وانظر التعليق 3 ص 461 من كتاب

المجالس والمسائرات، حيث عرضنا لأقوال المذاهب في لحوم الخيل.

(159) ما بين [] ساقط من رواية الداعي إدريس لكلام النعمان، وذلك لالتباس

الأسطر عليه أو على الناسخ بسبب تكرار العبارة. وأصلحنا بإرجاع ما سقط،

نقلًا عن المجالس، 461.

داخل قصره وقد نُصِبت الموائد للناس، وصُرف القِيَمُ على الطَّعام
ابن واسول وابن بكر إلى حجرة وقَرَّب إليهما مائدة فأكلا وصُرفا إلى
مكانهما.

وتحدَّث الناس بما كان من أمير المؤمنين إليهما. وقال لي
بعضهم: ما ظنُّنا إلَّا أنَّ ابنَ بكر سيقتل.

قلت: فلو قُتِلَ الآن أليس قد مضى بما فيه واستراح ممَّا هو
بسيِّله، وإنَّ كان صائراً إلى غضب الله؟ ولكنَّ في متعتنا بالنظر إليه
وإشهاده مثل هذه المشاهد وتقريعه بمثل هذا التقريع إلى أن يسرى
وليَّ الله فيه رأيه، أفضلُ البُغية وأبلغ المأمول.

(قال): وكان القائد لمَّا أخذ ابن واسول وأمكنه الله منه،
قد عاتب أهل سجلماسة، ثم رأى الصفح عنهم ووَلَّى عليهم والياً
منهم وانصرف. فوثبوا على ذلك الوالي فقتلوه وأقاموا مقامه منتصراً
ابن محمد بن المعتز⁽¹⁶⁰⁾ وكان أبوه وجدُّه قد وَلَّيا البلد باستعمال
أمير المؤمنين، وكانا من أهل الولاية.

وكان ابن واسول لمَّا تغلب على البلد اعتقل منتصراً هذا وهو
غلام حدَّث فأقام معتقلاً عنده مدَّة. فقدمه أهلُ البلد لمَّا قتلوا
العامل الذي استعمله عليهم القائد، ونسبوا إليه من القبيح ما
زعموا/ أنه أوجب قتله، وذكرُوا أنَّ الغوغاءَ والعامةَ قتلوه، وذهبوا

76/2

(160) المنتصر بن محمد بن المعتز بن ساور المدراري: المعتز جدُّه ولَّاه مصالة بن
حبوس سجلماسة سنة 309، فبقي موالياً للدعوة إلى أن هلك سنة 321 قبيلاً
وفاة المهدي. وخلفه ابنه محمد بن المعتز إلى سنة 331، فخلفه ابنه المنتصر
سمكوك، وعمره ثلاثة عشر عاماً. فانتفض عليه ابن عمه محمد بن واسول
فخلعه. انظر: البكري، 151، وابن خلدون، 131/6.

ولا نعرف اسم الوالي الذي نصبه جوهر بعد أخذه ابن واسول. وانظر:
المجالس، 389 هامش 2.

في تقديمهم هذا الذي قدّموه إلى ما هو عليه من الولاية والمحبة. وقيل إنه سعى في ذلك وأرسل رسولاً من قوره، وأرسل أهل البلد وكتبوا إلى أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (صلع) يذكرون ذلك ويعتذرون منه ويصفون حالهم. فصرف رسولهم بأنه غير قابل ذلك من عذرهم وأنهم لا أمان لهم عنده إلى أن يأتي وجوهم، وسماهم، ويأتي منتصر هذا إليه مُحَكِّمِينَ في أنفسهم، فحيثُ يرى رأيهم فيهم.

وانصرف الرسول بذلك إليهم فما كان إلا مقدار مسافة وُصُولِهِ إليهم وانصرفه حتى أتى منتصر هذا الذي قدّموه ومائتا رجل من وجوهم، وهم الذين سماهم أمير المؤمنين، قد ركبوا طرق الرمال والفُلُوات خوفاً من أن يصل إليهم أحد دون الباب، حتى حلّوا به، فأدخلهم أمير المؤمنين (صلع). فلما مثلوا بين يديه وقَبِلُوا الأَرْضَ وَوَقَفُوا نظر إليهم نظرة مُغْضِبٍ وأطرق ساعة فامتعت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ولم يستطع أحد منهم أن ينطق بحرف لما داخلهم من الخوف. فرفع رأسه فقال:

يا أهل سجلماسة، فعلتم ما فعلتم في أيام المهديّ بالله (صلع) واقتدر عليكم مرة بعد أخرى فعفا عنكم وأحسن إليكم لحلوله الذي كان فيكم⁽¹⁶¹⁾ ومجاورته إياكم مدّة إقامته فيكم، كما يرعاه من أحله الله محله من كرم الطباع وحسن الصنيع، من غير يد كانت لكم عنده ولا فعل من الجميل تقدّم لكم إليه، فصفح وأحسن (ط 110) وعفا وأجمل، فما رَعَيْتُمْ ذلك حق رعايته ولا فُهِتُمْ بشُكْرِهِ. ثم نَعَقَ فيكم ناعق من الشيطان فلبّيتُموه ودعاكم إليه داع فأجبتُموه. قام فيكم دعيّ فيما ادّعاه متوثّب على ما تولّاه قد عرفتم

(161) أي: نزوله بسجلماسة أول دخوله المغرب.

نسبه ودريتم سببه فتغلب على ولاية أمركم وتحلى بالرياء والتصنع لكم وتسمى بأمير المؤمنين وإمام المسلمين لكم، وأنتم على علم لا تشكون، ويقين لا تمثرون، أن ذلك لا يجوز له ولا يحل تسليمه لمثله، فسلمتموه له وأطعتموه وتوليتموه وأتبعتموه ففارقتم جماعة المسلمين وخرجتم من حزب المؤمنين وأحدثتم حدثاً عظيماً في الدين، وانتهى إلينا من أمركم وأمره ما لم يسعنا تركه والغفلة عنه/ لما افترضه الله علينا عز اسمه من القيام بحقه في أرضه وجهاد من صدف عن دينه وغير سنة رسوله وحل محلكم ومحل هذا الفاسق فيكم. فأنهضنا إليكم جيشاً من أوليائنا وأنصار دولتنا وعبيدنا مع عبد أمرناه عليهم وتقدمنا إليه في الإعدار والإنذار إليكم في الإنابة والتوبة قبل الوقوع بكم. فلم يزل مع طي المراحل نحوكم يتابع الكتب إليكم مع رسله تأكيداً في الحجة عليكم مرة بالوعد ومرة بالوعيد، وتارة باللين وتارة بالتشديد، يدعوكم إلى الطاعة والنزوع عما أنتم عليه من المعصية والضلالة، والقبض على عدو الله فيكم إن تمادى على ما هو عليه من الغي والضلال إن استطعتموه، أو البراءة منه وتركه بجانب إن لم تقدرُوا عليه. ووصلت كتبه إليكم وأدى إليكم عنه من اجتاز به منكم. كل ذلك، و أنتم على باطلكم مصرون، وبالفاسق المضل نكم متمسكون، إلى أن حلت جيوشنا بقربيكم وانتشرت عساكرنا ببلدكم وعاین من عاینها من عیون عدو الله من جمعها وعتادها وقوتها ما أنهاء إليه، وقد علم أنه لا طاقة لكم ولا له بعسكر من عساكرها.

المعز يوبخ وجهه
سجلماسة
على مؤازرتهم
لابن واسول..

فلما حلت بعقوتكم ونزلت بداركم وأنتم مع الفاسق على ما أنتم (ط 111) عليه، نهض مولياً عنكم وهارباً متسللاً من بين أظهركم. وقد كنتم تقدرون على أخذه لو فصدتموه ويمكنكم من ذلك ومن حصاره في داره متى أحببتموه لو أخذتم بحظكم في ذلك

ففعَلتموه. لكنَّكم أقمتم مصريّن على طاعته وتولّيه إلى أن نزع عنكم وأقدَرنا الله (عج) بفضله وإحسانه عليه، كعادته الجميلة، بلا صنّع لكم ولا لغيركم في ذلك، وأقدرنا عليكم وأمكننا منكم وأنتم على ما أنتم عليه من غيِّكم وضلالتكم وما تستوجبون به اجتياحكم ودماركم، فسار عبدنا فيكم بما أمرناه به من العفو والصفح والرحمة، وانصرف عنكم فأحدثتم بعده ما أحدثتم. فماذا تستحقّون أن يُفعل بكم؟

يكلّمهم بهذا الكلام (صلع) كلامٌ مغضب. فاصفرت ألوانهم وتغيّرت وجوههم وارتعدت فرائضهم وأفجم أكثرهم عن الكلام. وقال من قال منهم قول مذعور دهش: إن يعاقب أمير المؤمنين (ص) فنحن أهل العقوبة، وإن يعفّ فهو أهل العفو والفضل والرحمة.

فأطرق (صلع) ملياً ثم دعا بمنتصر بن محمد بن المعز/ فقرّبه إليه وأمره بالجلوس فقبل الأرض مراراً وشكر لأمر المؤمنين. ثم عطف (صلع) على الوفد فقال: قد كنتم تستحقّون أليم العذاب والنكال. ولكنّا للذي جبلنا الله عليه من الصّفح والعفو والرحمة قد عفوْنَا ما سلف من ذنوبكم ما استقمتم وأصلحتم وقد استعَمَلنا عليكم عبدنا هذا - وأوماً إلى منتصر -.

78/2

.. ويصفح عنهم في النهاية

فقبل، وقبلوا، الأرض مراراً وشكروا بما قدروا عليه، وزال ما ظهر عليهم من الهلع والجزع وأمر (صلع) بصرفهم إلى موضع أنزلهم فيه وخلع على منتصر وحمّله، وكذلك فعل بجماعة من وجوههم وأمر بإجراء النُّزُل عليهم أجمعين وأقاموا بذلك مدّة في أرغد عيش وأحسن حال. ثم لما رأى صرفهم (ط 112) عقد لمنتصر على سجلماسة وعملها وخلع عليه خلعاً سنّية وحمّله على عُدة من

الخيـل بسروج مفرقة⁽¹⁶²⁾ ووصله بصـلات جزيلة وحمل جميع من قـدم معه وكساهـم ووصلهم وصرفهم إلى بلدهم بما لم يؤملوه ولم يتوهموه. وكان غاية آمالهم أن يـسلموا من القتل. فانصرفوا وقد طالـت بالشـكر ألسنتهم ومـلئت فرحاً قلوبهم.

* * *

قال الحسن الأنصاري في تاريخه: «وفي إحدى وخمسين وثلاثمائة، قتل إبراهيم بن أبي يزيد، وأنفذ برأسه إلى الإمام المعز لدين الله (عم)، قتل بأوراس من أعمال باغاية. وكان قد جمع جمعاً ليخرج، فعمل أبو الحسن الموصلي⁽¹⁶³⁾ العامل بباغاية عليه حتى قتله.

فتح طبرمين
(ذو القعدة
351 / ديسمبر 962)

(قال): وفيها فتحت طبرمين من بلاد الروم، فتحها أبو القاسم علي بن الحسن بن علي بن أبي الحسين في حياة أبيه⁽¹⁶⁴⁾. »

* * *

ومما أتى عن القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه) قال⁽¹⁶⁵⁾:

ولما أراد الإمام المعز لدين الله (صلع) أن يطهر عبد الله،

(162) غرق السرج بالفضة. حلاه.
(163) عند ابن الأثير، 45/7: حسين بن خلف الموصدي، سماه المعز على الخراج قبل رحيله إلى مصر، ولا ذكر لإبراهيم بن أبي يزيد عنده ولا عند غيره. فهذا ابن سادس لمخلد ينضاف إلى أحمد وأيوب وفضل ويزيد ويونس.
وهذه المعلومة وردت في هامش المخطوط، على عادة ما ينقل عن هذا المؤرخ المجهول. ولا يذكر المؤرخون عاملاً لباغاية بالاسم المذكور هنا، وكذلك لا يذكرون هذا الثائر المقتول سنة 351.
(164) انتهت هنا الإضافة من تاريخ الحسن الأنصاري. وإن طبرمين بصقلية فتحت لخمس بقين من ذي القعدة سنة 25/351 ديسمبر 962 (النويري: نهاية الأرب، 370/24) ولكن فتحها تم على يد أحمد بن الحسن بن علي الكليبي، وكان عوض أباه على ولاية صقلية من 341 إلى 358 (ابن خلدون، 209/4). أما أخوه علي، فلم يصر والياً عليها إلا ابتداء من سنة 359.
(165) المجالس والمسائرات، 556.

ونزار العزيز بالله، وعقيلاً بنيه⁽¹⁶⁶⁾ تقدّم إلى خاصّته وأوليائه وسائر جنده وعبيده وجميع رجاله وكافة من بالحضرة من سائر التجار والصنّاع وعامة الرعيّة بالمنصورية والقيروان، وجميع أهل مدن إفريقية وكورها من حاضر وباد، وأمر بالكتب إلى العمال من لدن برقة وأعمالها إلى سجلّماسة وحدودها وما بين ذلك وما حوته مملكته وإلى جزيرة صقلية ومن بها من طبقات الناس في حضر وبدو، أن يتقدّموا في طهور أبنائهم يوم الثلاثاء أوّل يوم من شهر ربيع الأوّل من سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة إلى انقضاء هذا الشهر، وأمر أن يحمل إلى كلّ بلد من (ط 113) هذه البلدان من الحضرة أموال وخلع تُفرّق على كلّ من طهر من أبناء المسلمين من خاصّ وعامّ.

الإعداد
الجماعيّ . . .

(قال): فكان الذي رأيناه حمل إلى صقلية من المال خمسين حملاً سوى الخلع، ومثل ذلك ونحوه إلى كلّ عامل ليفرّقه على أهل عمله. وتقدّم (صلع) في طهور أولاده/ يوم الثلاثاء هذا المذكور، وجلس بنفسه الزكية لظهور سائر أهل الحضرة ومن يليها من البوادي، وأمر بضرب سرادقات بساحة قصر البحر حول الماء وبإدخال الصبيان مع من أراد الدخول معهم من آبائهم وأمّهاتهم وعبيدهم وخدمهم، ومن أرادوا أن يطهّروه من عبيدهم. واعتزم على أن يصل الطهور أيام هذا الشهر كلّّه. وذاع في الناس أنّه أمر (صلع) أن من لم يطهر ولداً يكون عنده في هذا الطهور ثمّ يطهره بعد ذلك لمدة سبع سنين فقد أنف عن فضله، وخالف أمره. فسارع الناس بأبنائهم وعبيدهم عن كافّتهم. واتّصل به ما أشيع من ذلك، فقال: لقد أحسن من أشاع هذا، وما يتخلّف عنا في ذلك من يحبّ أيامنا.

79/2

(166) أما البكر من أولاده، وهو تميم الشاعر، فعمره إذ ذاك أربعة عشر عاماً: فقد ولد سنة 948/337.

وكان يجلس (صلح) من وقت الغداة، فلا يزال جالساً وهم يطهرون ويمرون بين يديه فيُكسّون، ويوصلون لا يخيب من ذلك منهم شريف ولا مشروف، ولا حرّ ولا عبد، ولا قريب ولا بعيد، ولا حاضر ولا باد. والختانون في السراقات على الكراسي وبين أيديهم المنابر لجلوس الصبيان، والقوم يمسونهم في حجورهم ويلدرون الدارات الممسكة للدم على ختاناتهم، ويقفون بالبخور وماء الورد على رؤوسهم يرشونهم على وجوههم لما يعترهم من الرّوع، والسند بأصناف الملاعب قيام عليهم يلّهونهم ويصحبون من طهر منهم يزفون به إلى منزله (167).

وكان الذي أعطاه الخاصّة من الخلع والصلات على أقدارهم ما يتفاوت ويطول ذكره. وكان الذي أعطاه العامّة من الصلة غير الكسوة: لكلّ صبيّ منهم مائتا درهم (ط 114) إلى مائة وخمسين. وأقلّ ما أعطيّ المجهولون من أهل البوادي ونظرائهم وعبيدهم: كلّ صبيّ منهم عشرة دراهم. وكان يطهر في كلّ يوم من أيام هذا الشهر منهم من عشرة آلاف صبيّ إلى خمسة آلاف أقلّ ذلك. وأكثر الناس الخوض والحديث في ذلك، وتعاضموه، وأجمعوا في ابتداء الأمر أنّ ذلك لا يتمّ وأنّ الأموال لا تنهض به، وذكروا لكثرة ما رأوه من الخلائق أنّ ذلك لو وصل حولاً لما انقطع الناس ولا أتى على آخرهم فيه.

80/2

(قال): وكنت فيمنّ / تعاظم ذلك وتداخله الإشفاق منه، وعرضت يوماً بذكر ذلك، فقال لي: يا نعمان، طب نفساً، فقد عزلنا لهذا ما لا نرى أنا نأتي على نفقته فيه بأسره. واللّه ما هو

(167) ذكر المقرئ (تعاظم، 136) أرقاماً عجيبة في عدد الأطفال المختونين في هذا الإصدار الجماعي. والسند هنا هم الهلواتيون والمهرجون.

... إحياء لسنة
الرسول (ﷺ)

شيء كنا نُلقي له بالا ولا وجدنا لإخراجِه نقصاً ولا خللاً، وما هو
مِمَّا كنا نلتفت إليه من ذخائرنا ولا من ذخائر الآباء (صلع)، وما هو
إلا شيء كان لا يُلتفت إليه، وكثير ممَّن تقدَّمنا من ملوك الدنيا أنفق
مثل هذا وأضعافه في معاصي الله (عج)، وفيما تبقى شناعته عليه.
وهذا شيء أردنا به وجهَ الله (عج) وإقامة فرضه وإحياء سنة جدنا
رسوله (ﷺ) ومِلَّة خليله إبراهيم (ص). والله ما أردنا بذلك إلا الله
(عج) والقربةَ بذلك إليه، وما من هؤلاء من يريد بذلك التحبُّب إليه
ولا التزيُّن بذلك عنده. وقد عزلنا لذلك مالاً لا بدُّ لنا من إنفاقه
فيه، ووقتنا له وقتاً لا بدُّ لنا إن عشنا أن نبُلِّغ به إليه - يريد مدَّة هذا
الشهر الذي وقته لذلك (صلع) -.

وكان من صنع الله (عج) له أنه لما كان يوم الأربعاء سلخُ
ربيع الأوَّل هذا، انقضى جميعُ مَنْ كان بالحضرة ومن حضر إليه من
البوادي، واجتمع ذلك اليوم من الصبيان زهاء اثني (ط 115) عشر
ألفاً فطهروا عن آخرهم، وتلاحق من غد بقايا من بقي من نحو
ثلاثمائة، فرآهم المعزُّ لدين الله (ص) من منظر كان له، وقد
اجتمعوا بباب القصر، فأمر بتطهيرهم. فانقضى أمر جميع الناس
عن آخرهم في الوقت الذي وقَّته والحدَّ الذي حدَّه، حتَّى إنهم لو
حُسِّبوا وقُسِّموا على تلك الأيام لما اتَّفَق أن يكونَ ما هيَّاه الله (عج)
من فراغهم عن آخرهم في الوقت الذي وقَّته لهم.

وجرى على ذلك جميع أهل الكور والبلدان بكلِّ وجه،
وأخرج في ذلك من الأموال والخِلع والنفقات ما لا يُحصيه إلا مَنْ
وقف عليه. وكانت أيَّامُ هذا الشهر أيَّامَ أعيادٍ ومسراتٍ وأفراحٍ
وهباتٍ بكلِّ وجه ووجهة من مملكة أمير المؤمنين (ص) من بدو
وحضر، وعمَّهم فضله، وتبيَّن عليهم أثره، وارتفق به أغنياؤهم،
وانتَعَشَ له فقراؤهم، ودخلت المسرة على أهل كلِّ بيتٍ منهم.

وكان أثراً جميلاً لم يسبقه إليه (صلح) أحد قبّله، ولا ظنَّ أحد أن أحدًا يتّسع له مثله. والحمد لله على ما أولى وليّه وأنعمَ به عليه⁽¹⁶⁸⁾.

[أخبار الدعوة بالسُّند]

وكان فتح بالسند لأمير المؤمنين المعز لدين الله (عم). وكان بتلك الجزيرة أحد الدعاة ممن خلط وغير، واستجاب على يديه قوم كثير من المجوس، فتركهم على كثير ممّا هو محرّم في الإسلام/ مما يستحلّونه في دينهم. وكان قد بلغ أمير المؤمنين المعز أمره فاستهاله واستفطعه، تواضعاً لله، وإحياءً لملّة جدّه محمّد رسول الله (ﷺ). وكتب إلى أهل دعوته بالسند برفض ذلك (ط 116) الداعي المغيّر لدين الله وأعتزّاله، لتضييعه الواجب عليه من دين الله، من النهي عن المنكر والأمر بالمعروف في أقواله وأفعاله.

81/2
داع بالسند يتّسامح
في
أحكام الدين مع
منظوريه..

وأقام الداعي حلّيم بن شيّان⁽¹⁶⁹⁾ في تلك الجزيرة، لما هو عليه من العبادة والاستقامة، وحسن النية وصفاء السريرة. فلم يصل كتاب أمير المؤمنين (عم) إلّا وقد هلك الداعي الذي توانى في ما يجب عليه. وأقام المؤمنون حلّيم بن شيّان حتى يؤذّنوا للإمام ويُنّهوا أمرهم إليه. وقد قصّ ذلك القاضي النعمان بن محمّد (رضي الله عنه) في بعض ما ألف حيث قال⁽¹⁷⁰⁾:

وكان بعض الدعاة بجزيرة نائية في صُقع بعيد يدعو إلى أولياء الله بعد دعاة تقدّموا قبّله في المكان الذي هو فيه، واستجاب لهم قبّله وإليه خلقٌ عظيم من أهل تلك الناحية، وعامةُ أهلها مجوس، ولكن قد كان الإسلامُ فشا فيهم قديماً، فاتّصل بأمير

(168) المجالس والمسائرات، 558

(169) قد مرّ الحديث عن حلّيم بن شيّان داعي السند في ص 233، وتحدثنا عن قضية النسب الفاطميّ وعلاقة المهديّ بالقائم، وهو الموضوع الذي طرقه المعزّ في سجلّه إلى الداعي.

(170) المجالس والمسائرات، 477 - 481.

المؤمنين المعزّ لدين الله (ص) أن هذا الداعي آخرًا أحدث فيهم حدثًا: وذلك أنه دعا عالمًا كثيرًا من المَجُوس وهم على دينهم لم يُسلموا، وتركهم على ما هم عليه يستحلّون من محارم الله ما كانوا يستحلّونه، ويعملون ممّا نهى الله عنه ما كانوا يعملونه من نكاح ذوات المحارم، وتناول ما لا يحلّ من المشارب والمطاعم، تعدّيًا منه لحدود الله (تع)، ووضعًا لأمانته عزّ اسمه عند من لا يحلّ وضعها عنده، لعاجل دنيا أراد نيّله بذلك منهم، واستكثارًا فيما حسّنه سوء رأيه له بهم. ثمّ تعدّي ذلك إلى أن أباح محارم الله (تع) لبعض أهل دعوته من المسلمين وغيرهم.

فعظّم على أمير المؤمنين من ذلك ما تنهى إليه، وأكبره، وتبرّأ إلى الله منه، ولعنه، وأهمّه أمره، وأشغل صدره. وكان قد أنفذ إليه رسلاً من قبّله، وطوى عنه ما هو عليه. وسأل الإمام الرُّسلَ عن ذلك، فأعلّموه به، وكان فيهم خير، فعرفهم (صلح) عظيم ما (ط 117) ارتكبه من ذلك، فتبرّأوا منه، وتابوا إلى وليّ الله من أتباعه على أمره، ودعاهم وطهّروهم⁽¹⁷¹⁾.

ثمّ سألهم ومن بالحضرة من أهل الناحية غيرهم عن أفضل من فيهم، فسَمّوا له/ رجلاً، فكتب له بالعمل على أهل تلك الجزيرة وإطلاع من يثق به من المؤمنين المخلصين قبّله على ذلك، واستعمال الحيلة في قتل عدوّ الله المرتدّ عن دينه، المبتدع ما ابتدعه، ونسخ بدعته وإظهار دين الله على ما أمر الله وأولياؤه به. وأنفذ أولئك الرسل بذلك ويكتب إليه جواباً عن كتابه، وبما رأى (ص) أن يكتب به إليه. وعرفنا ذلك في الوقت أهل خاصّة مجلسه وتفرّج بما اغتمّ به من ذلك إلينا تفضلاً ونَطوّلًا⁽¹⁷²⁾.

82/2

فيأذن المعزّ
بقتله..

(171) دعاهم بالتضعيف: أدخلهم في الدعوة أو نصبهم دعاة.

(172) هكذا وردت الجملة في المجالس أيضاً، ص 478، وهي لا تخلو من غموض.

وَكُنَّا نَتَرَقَّبُ مِمَّا نَخْشَى أَنَّهُ يَحْدُثُ عَنْ ذَلِكَ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ
تَرَقَّبَ الْمُشْفِقِينَ، وَقُلْنَا: قَوْمٌ تَطْعَمُوا الْمَحَارِمَ فَمَا الَّذِي يَرُدُّهُمْ
عَنْهَا، وَقَدْ فَشَتْ فِيهِمْ وَصَارَتْ دِينًا عَنْدهُمْ؟ وَكَانَ تَخَوُّفُنَا عَلَى
الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ أَغْلَبَ مِنَ الرَّجَاءِ فِي هَلَاكِ الْفَاسِقِ الْمُبْدَلِ، غَيْرَ أَنَّا
نَرْجِعُ فِي ذَلِكَ إِلَى الثِّقَةِ بِاللَّهِ لَوْلِيَّهِ، وَأَنَّهُ كَمَا عَوْدَهُ يَبْلُغُهُ مَا يَرْجُوهُ
وَيُؤَمِّلُهُ. فَمَا كَانَ إِلَّا بِقَدْرِ وَصُولِ الرُّسُلِ إِلَى الْمَكَانِ وَانْصِرَافِهِمْ
إِذَا جَاءَ رُسُلَ آخَرُونَ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ بِكُتُبٍ وَأَمَانَاتٍ حَمَلُوهَا،
فَادْخَلَهُمْ (صَلَح) فَقَبِلُوا الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَرَّغُوا خُدُودَهُمْ تَقَرُّبًا
إِلَيْهِ، وَحَمِدُوا اللَّهَ وَشَكَرُوهُ عَلَى أَنْ بَلَّغَهُمْ إِلَيْهِ وَأَدْنَاهُمْ وَقَرَّبَهُمْ مِنْهُ.
وَبَعْدَ مَنْ حَضَرَ فِي مَجْلِسِهِ عَنْهُ بِحَسَبِ مَا يَجِبُ لِمَكَانٍ سَرَّ أَنْ أَخَذَ
مَعَهُمْ فِيهِ، فَسَأَلَهُمْ عَنِ الْحَالِ. فَتَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ طَوِيلٍ نَسَمَعُهُ وَلَمْ
نُصْرَفِ الْأَسْمَاعَ إِلَيْهِ، تَقِيَّةً مِنْ أَنْ يَكُونَ مِمَّا لَا يَنْبَغِي لَنَا سَمَاعُهُ،
وَنَنْظُرَ إِلَى وَجْهِهِ يَتَهَلَّلُ لَمَّا يَسْمَعُهُ، وَيُكْثِرُ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا
انْقَضَى كَلَامُهُمْ وَانْصَرَفُوا التَفَّتْ إِلَيْنَا مَتَهَلِّلًا مُسْتَبْشِرًا مُسْرورًا فَقَالَ:
قَدْ سَمِعْتُمْ كَلَامَ الْقَوْمِ؟

قلنا: سَمِعْنَاهُ وَلَمْ نَفْهَمْ.

لَكِنَّ عِقَابَ اللَّهِ
عَاجِلُهُ
فَخَرَجَتْ الدَّعْوَةُ
مُطَهَّرَةً
مَنْصُورَةً.

فَقَالَ: نَعَمْ، فَاسْمَعُوهُ: ذَكِّرُوا أَنَّ اللَّهَ (تَع) قَدْ كَثَّرَ أَهْلَ دَعْوَتِنَا
وَأَوْلِيَاءَنَا قِبَلَهُمْ، وَإِنْ كَانَ هَذَا الْفَاسِقُ قَدْ بَثَّ مَا بَثَّ فِيهِمْ، فَإِنَّهُ لَمْ
يَشْتَهَرْ عَنْهُ كُلُّ الْأَشْتِهَارِ، وَلَمْ يَكُنْ أَطْلَعَ عَلَيْهِ إِلَّا أَهْلُ ثِقَّتِهِ وَمَنْ
قَرَّبَ مِنْهُ، وَأَنَّ اللَّهَ (تَع) أَقْبَلَ بِمِلْكٍ مِنْ مُلُوكِ أَهْلِ النَّاحِيَةِ لَهُ قُوَّةٌ
وَمَنْعَةٌ وَعُدَّةٌ وَرِجَالٌ، فَاسْتَجَابَ إِلَى الدَّعْوَةِ بِمَنْ مَعَهُ، وَصَارَ فِي
حِزْبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَوِيَ بِهِ أَمْرُهُمْ وَأَظْهَرُوهُ، وَأَعْلَنُوا بِاسْمِي وَشَهَّرُوهُ
وَكَتَبُوهُ عَلَى الْأَعْلَامِ، وَخَطَبُوا/ بِهِ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَأَنَّ مُلُوكَ النَّاحِيَةِ
أَنْكَرُوا ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأَقْبَلُوا بِجُمُوعٍ عَظِيمَةٍ إِلَيْهِمْ لَا يَحْصِي عَدْدُهَا،
وَلَا يَبْلُغُ عَدْدُ الْمُؤْمِنِينَ عُشِيرَ مِغْشَارِهَا. فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ الْمُسْتَجِيبُ

وأصحابه ذلك، اجتمعوا في موضع واحترفوا عليهم خندقاً، فما هو إلا أن وصل عدوهم إليه / و/ ردموه لكثرتهم ساعة وصولهم إليه، واقتحموه عليهم، فأمر ذلك الملك المستجيب أصحابه بالحملة عليهم مع جماعة المؤمنين، وقد حسنت بصيرته وخلصت نيته، فقالوا له: على من نحمل وبين أيدينا عدد الثرى؟

فقال: لا تنظروا إلى ما بين أيديكم من الملا، ولكن انظروا إلى السماء، فإن من عليها معكم، وهو ناصركم ومؤيدكم! فحملوا حملة صديق بنيات خالصة، وحمل جماعتهم وحمل معهم، فانهزم الملا بين أيديهم من عدوهم، ومنحهم الله أكتافهم. فقتلوا منهم ما لا يحصى عدداً، وغنموا من أموالهم وسلاحهم وكراعهم ما امتلأت منه أيديهم، وفرق الله جمع عدوهم، وأقبل الناس ممن حولهم بالطاعة لهم والتسليم لأمرهم، فدانت لهم مدن كثيرة، واستعملوا عليها عمالاً، وأظهروا فيها دعوتنا، وحازوا لأنفسهم معقلاً حصيناً بقلعة شاهقة منيعة قطنوا بها (ط 119) واتخذوها دار هجرة.

والداعي اللعين المبدل فيهم يعتقدون طاعته لولاثنا ويعظمون أمره إذ كان يدعو إلينا. فما هو إلا أن انتهى الرسل الذين حملناهم في أمره إلى أدنى عمل الجزيرة، ولم يبق بينهم وبين الموضع إلا مسيرة شهر حتى أذن الله (تع) في الفاسق بما أوردناه بلا عنت ولا تكلف، فطرقتة علة⁽¹⁷³⁾ أعجله الموت فيها عن أن يوصي لأحد بمقامه، ولا أن يقدم أحداً لمكانه فيكون قد سد موضعه وقام مقامه. وكفى الله مؤنته، وبلغنا في عفاف ما أوردناه منه بفضله ونعمته، وما عودناه من جميل عادته.

(173) في المخطوط والمطبوع: بغلة، وقد قرأنا في طبعتنا للمجالس، 480: طرقتة بغلته. ولا يستقيم مع عبارة «فأعجله الموت فيها»، فلذلك غيرنا «بغلة» إلى «علة».

.. واختار المعز
داعياً جديداً
فوافق اختيار أهل
الجهة

84/2

ولما هلك عدو الله اجتمع الدعاة فيمن يقيمونه مقامه إلى وقت
مطالعتنا، فوقع اختيارهم واتفاقهم على الرجل الذي اخترناه وأقمناه
وكتبنا إليه، لما أراد الله (تع) من تأليف أمرهم واجتماع كلمتهم
وظهور أمرهم على عدوهم، ليقيموه عليهم ويُرسلوا رُسلًا من قبيلهم
لمطالعتنا بأمرهم. فأكبر الرجل ذلك من أمرهم، وقال/ لهم: إذ قد
اتفق رأيكم عليّ فاسمعوا مني. قالوا: نعم، نسمع ونطيع لك.
فاختار أربعة منهم، وقال لهم: تكونون على الجميع، ويكون كل
داع على أهل دعوته، وأكون أنا النافذ برسالة الجماعة إلى
الحضرة. فما أمر به ولي الله امثلناه، ومن أقامه لنا سمعنا منه
وأطعناه.

واختار رجالاً للقدوم معه علينا وقديم. فلم يسر إلّا بعض أيام
حتى لقيته رُسلنا، ففرح واستبشر بلفائهم، وسألهم عن الحال،
فدفعوا إليه كتابنا إليه، وكتبنا إلى جماعة الدعاة بما أمرنا به في
الخائب. فانصرف إلى مكانه، وبعث القوم الذين كانوا معه بما
حمله إلينا⁽¹⁷⁴⁾، وكتاب المؤمنين الذين وافاه الكتاب من عندهم من
أهل الناحية⁽¹⁷⁵⁾.

وتناول الكتابين (صلح) فقرأهما علينا بنفسه إلى آخرهما.
فسمعنا من كلام الرجل في كتابه ما لم نجد فيه لفظة ساقطة ولا
معنى فاسداً. ووقفنا فيه من جزالة لفظه ومعانيه على ما وثقنا لولي
الله بقيامه له، وذكر (ط 120) مسرته وابتهاجه وما انتهى إليه أمر ولي
الله بما أمر به وأحياه من دين الله (تع)، وما كانوا أنكرّوه ممّا فشا

(174) من الهدايا، أي الواجبات والأعمال وما يجب للإمام من زكاة.

(175) جملة غامضة، وكذلك في المجالس، 481. وكأن الداعي المنتخب حمل
أصحابه رسالتين، واحدة منه هو وأخرى من مرسله.

عن الخائب من تغيير الدين وتبديل الملة وارتكاب محارم الله (تع).
وذكروا ذلك في كتابهم.

وطالع الرجل بما يعمل عليه من دعوة مَنْ كَانَ من المجوس
إلى دين الإسلام كما يجب، ثم الأخذ عليهم بعد أن يُسَلِّمُوا كما
ينبغي، وشاور في كثير من أعماله وما يجريه من أموره.

وذكر صنماً معبوداً قَبْلَهُ يَحِجُّ المجوسُ إليه كحِجِّ المسلمين
إلى بيت الله الحرام في كل عام: فطالع في كسره وتعفيه أثره، وفي
أشياء كثيرة - يطول بها الكتاب - من أمره، واستمدَّ وليَّ الله من
عِلْمِهِ واقتبس من نوره ما يعمل به ويذيعه فيمن قَبْلَهُ.

فما ندري كيف نصف ما كان من ابتهاجنا بذلك، وموقعه من
قلوبنا بما أجراه الله منه على يد وليِّه ويسره له، ومنحه من صنعه
فيه. وعوّلنا على تقبيل الأرض بين يديه، وحمدنا الله وشكرناه بما
قدرنا عليه واستطعناه، وسألناه إنجاز وعد وليِّه وبلوغنا إليه.

* * *

واشتهر أمر وليِّ الله أمير المؤمنين في الآفاق، وخضع له أهل
العناد والشقاق، وأرغم أولو العدوان والنفاق. وانتشرت له الدعاة في
جميع الجزائر، وظهر علمه للبادي والحاضر. ولم يزل أمره في
سموّ وصعود، وعلوّ يقارنه السعود. /

85/2

* * *

وضعف أمر بني العبّاس، وتغلّب عليهم وزراؤهم، وملك
أمرهم أمراؤهم، فصاروا بين مجدلٍ مقتول، أو مخلوع مسمول، أو
مضروب على يده مشوّه بخلقه. وقد ذكرنا أمرَ المقتدر العبّاسيّ
ومؤنس الخادم⁽¹⁷⁶⁾، وما كان من قتل المقتدر على يد (ط 121)
مؤنس، وقيام المتسمّي بالقاهر وقتله مؤنساً، وخلع القاهر في اليوم

(176) مر هذا في السُّبُح الخامس، ص 217.

الذي استولى فيه مخلد الدجال على القيروان⁽¹⁷⁷⁾.

وبويع بعد القاهرة الراضي محمد بن المقتدر، فأقام مستخلفاً في بغداد ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام، ثم مات في شهر ربيع الأول من سنة تسع وعشرين وثلاثمائة. وأقيم بعده أخوه المتسمي بالمتقي لله إبراهيم بن المقتدر. ثم خلع بعد ثلاث سنين من ولايته وسُملت عيناه لعشر بقين من شهر صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة. وبويع بعده المتسمي المستكفي بالله، ابن عبد الله المكتفي⁽¹⁷⁸⁾، فأقام مستخلفاً سنة وخمسة شهور، ومات في ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

استطرد في وصف
ضعف
خلفاء بني
العباس..

وبويع بعده المتسمي بالمطيع لله الفضل بن المقتدر فأقام تسعاً وعشرين سنة، والحل والعقد في الملك لبني بويه، وليس له إلا اسم ذلك في السكة والخطبة، وهو مغلوب على أمره مضروب على يده. ومات لثمان ليالٍ بقين من المحرم سنة أربع وستين وثلاثمائة، بعد أن خلع نفسه مكرهاً: وذلك أن علي بن أحمد بن بويه الديلمي [عضد الدولة] أمر رجلاً من الديلم، فرمى به عن سريره⁽¹⁷⁹⁾ وقبض عليه، وباع بعده لابنه المتسمي بالطائع، ابن

(177) هذا وقم من المؤلف: استولى أبو يزيد على القيروان في سنة الأثلاث. والذي خلع وسُملت عيناه في هذه السنة هو المتقي (329 - 333)، وقد مرّ خبره مضبوط التاريخ ص 279. وسيأتي بعد قليل التاريخ الصحيح لعزل المتقي (صفر 333).

(178) في المخطوط: المكتفي بالله عبد الله المكتفي. والمكتفي هو أبو المستكفي وقد ملك قبل هذا التاريخ (289 - 295). هذا، ولم يتبه ناشر الكتاب إلى الخطأ، ولم يتساءل عنه.

(179) هنا أيضاً خلط بين خليفتين: فحادثة الدحرجة من السرير وقعت للطائع سنة 381 على يد بهاء الدولة فعوض بالقادر. وقد تولى بهاء الدولة الحكم بعد وفاة شقيقه شرف الدولة سنة 379.

=

المطيع، ابن المقتدر. وقبض بهاء الدولة، ابن عضد الدولة، من بني بويه، على الطائع يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وأكره فخلع نفسه وباع أبا العباس⁽¹⁸⁰⁾ أحمد بن إسحاق بن المقتدر مكرهاً.

.. وتسَلَطَ أمراء
القصر
عليهم...

فما زال ذلك دأبهم بين مخلوع ومقتول ومسمول، وتحكّم عليهم الأعاجم، وابتلى الله كلّ ظالم منهم بظالم، لا يملكون في الملك عقداً ولا حلاً، ولا قطعاً في الأمر ولا وصلاً. ولم نقصد ذكرهم فنستقصي أوائلهم وأواخرهم ونأتي على ما كان في دولتهم، وإنما قصّدا ما ابتلاهم الله (تع) به، ممّا يسّر وقضى، وأتاح لأوليائه وبني نبيه (ط 122)، أئمة الهدى، وشموس الحقّ / الطالعة من المغارب، الذين أحبّت الله بهم ذكر كل مناصب، فتضعضت دولة بني العباس، ولم يقم لهم فيها أساس.

86/2

وقوي ملك الروم على الشام، وغزا من هنالك من ملوك الإسلام. وأخرج ملك الروم [نقفور] فقام⁽¹⁸¹⁾ إلى أقريطش

= أمّا المطيع فقد خلع نفسه سنة 363 بإلحاح من سبكتكين التركي فعوض بالطائع، الذي سيزاح عن سريرته سنة 381 (انظر ابن الأثير تحت السنوات المذكورة).

ولا نعرف عليّ بن أحمد الديلمي المذكور هنا. وفي الهامش، رسم لقب عضد الدولة، وعضد الدولة لم يسم عليّاً، بل «فناخسرو» ولم يكن ابن أحمد، بل ابن حسن البويه ركن الدولة (انظر فصل البويهيين بدائرة المعارف الإسلامية).

(180) في المخطوط: لإسحاق بن أحمد. وفي المطبوع كذلك.

(181) في المخطوط: من تفاس إلى أقريطش، ولا نعرف ميناء بالسواحل البيزنطية يسمى تفاس. فرأينا أن الكلمة محرقة عن اسم القائد الروميّ نقفور فقام، وهو الذي قاد الحملة على قريطش بأمر من الإمبراطور رومانوس الثاني، فوصل إلى الجزيرة في 15 جمادى الأولى 349/13 جولية 960 وظفر بها في 15 محرّم 350/6 مارس 961 (انظر رسالة ماريوس كانار عن سيف الدولة الحمدانيّ =

سبعمائة مركب لحربهم. فاستغاثوا ببني حمدان وبكافور الأخشيدي . . وعجزهم عن
وبالمملكين على بني العباس من بني بويه، فلم يجدوا منهم ولياً
ولا نصيراً، وابتلوا بالنصارى بلاءً كبيراً، وأشرفوا على الهلاك،
فاستغاثوا بالمعز لدين الله أمير المؤمنين (عم).

حماية
ثغور الإسلام

قال القاضي النعمان بن محمد⁽¹⁸²⁾: وقد كان طاغية الروم
رغب إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله (عم) في المودة والصلح
وبذل له على ذلك أموالاً، وكانت رغبته في المودة مدة طويلة أو
أبدية إن وجد ذلك. فرأى الإمام لما تبين له أن ذلك خير للإسلام
وللمسلمين، وليستجموا فيقووا على حرب المشركين، أن أجابه إلى
مودة خمس سنين⁽¹⁸³⁾.

ثم اتصل به بعد ذلك، وقبل أن تنقضي مدة المودة، أنه
أرسل الدمستق - الذي هو أقرب رجاله درجة إليه وأخصهم
به - في عدة من السفن كثيرة وجيوش ثقيلة حتى أناخ بها على
جزيرة أقریطش، وهم في دعوة بني العباس.

فلما حل بهم من ذلك ما لا قوام لهم به، وعلموا أنه ليس
عند بني العباس نهضة ولا لهم لديهم نصرة، أرسلوا مركباً فيه رجال
من قبلهم مع وجه من وجوههم إلى أمير المؤمنين المعز لدين الله
يستغيثون به ويسألونه استنقاذهم وإغاثةهم، فلم ير صلوات الله

= ص 800 وهامش 178). وانظر كذلك رسالة الدشراوي، 244 وفصله عن «أقریطش
بين بيزنطة والمعز» في الكراسات التونسية، 1959، ص 317.
هذا، وعند ابن الأثير، تحت حوادث 351 (ج 7 ص 5) ذكر مقتضب
للحادثة، ولكنه يضيف أن المعز أرسل المدد إلى أهل أقریطش فتغلبوا على
الروم.

(182) المجالس والمسائرات، 442 - 446.

(183) وقعت الهدنة سنة 346 لخمس سنوات، ولكن الأباطور نقضها بهجومه على
قريطش.

استنجد أهل
قريش بالمعز

عليه - وإن كانوا تَنَكَّبُوا (ط 123) عنه⁽¹⁸⁴⁾ - أن يَخِيبَ رجاءهم عنده، ولا أن يَسْلَمَهم للمشركين. فأمر عندما اتَّصل به خبرُهم وقبل أن يصلَ إليه رسولُهم، بالأخذ في الأهبة والعُدَّة ليكونَ نفوذُ الأساطيل إليهم في أوَّل زمان الإمكان. ثمَّ قدم الرسول عليه وأدَّى عنهم ما أرسلوه به إليه.

فرأى أن ينبذ إلى المشرك عهده كما أمر الله (تع) بذلك في كتابه، إن هو أَصَرَ على حربهم، وأمر بكتاب في ذلك إليه وأمله على الكاتب بحضرة من بين يديه بكلام ما سمعتُ أُجَزَلَ ولا أبلغ منه.

87/2

فقال بعد أن خيَّره بين أن يُقلع عن حرب أهل أقریطش/ وبين أن ينبذ إليه عهده - كما نبذ رسول الله (ﷺ) إلى مشركي العرب عهدهم وأرسل علياً ببراءة⁽¹⁸⁵⁾ فقرأها في الموسم عليهم - ولقول الله أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿وَمَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ (الأنفال، 58) وقوله⁽¹⁸⁶⁾: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (يوسف، 52).

ثمَّ قال له في كتابه (عم):

«ولا ترى أنَّ دعوة أهل أقریطش قبل اليوم إلى غيرنا وقد أنابوا اليوم إلينا واستغاثوا بنا، ممَّا يُوجب لك عندنا تمامَ المواعدة بتركهم إليك وترك اعتراضك فيهم. إنَّ امتناع أهل الباطل من أهل الحق ليس بمزِيلٍ حقِّهم وإن تغلبوا عليه دونهم، بل هو لهم بتصيير

(184) لأنهم تَوَجَّهوا أوَّل ما تَوَجَّهوا إلى العبَّاسيين وعمَّالهم الإخشيديين.

(185) أي سورة التوبة، وقد نزلت سنة 9 بعد فتح مكة.

(186) في المخطوط والمطبوع: إلى قوله. . . والآيتان من سورتين مختلفتين. والنعمان لم يذكر الآية الثانية.

الله (تع) إِيَّاهُ إِلَيْهِمْ. فَأَقْرِيطِشْ وَغَيْرَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ لَنَا، بِمَا خَوَّلَنَا اللهُ مِنْهَا وَأَقَامَنَا لَهُ فِيهَا، أَطَاعَنَا مِنْهَا مِنْ أَطَاعَ وَعَصَانَا مِنْ عَصَى، وَلَيْسَ بِطَاعَتِهِمْ يَجِبُ لَنَا أَنْ نَمْلِكَ وَلَا بَعْصِيَانَهُمْ وَامْتِنَاعَهُمْ يَحِقُّ عَلَيْنَا أَنْ نَتْرُكَ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ الْأَمْرُ إِلَيْهِمْ لَا اللهُ (تع) الَّذِي خَوَّلَنَا وَلَا لَنَا، إِنْ شَاؤُوا أَعْطَوْنَا وَإِنْ أَحْبَبُوا مَنَعُونَا، (ط 124) كَلَّا! إِنَّ ذَلِكَ اللهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الَّذِي اصْطَفَانَا وَمَلَكْنَا وَأَعْطَانَا، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لِلْخَلْقِ لَمَا وَسِعَنَا قِتَالُ مَنْ امْتَنَعَ مِنْهُمْ عَلَيْنَا وَلَا رُدُّ مَا انْتَزَعُوهُ بِالْغَضَبِ مِنْ أَيْدِينَا إِذَا أَقْدَرْنَا اللهُ عَلَى ذَلِكَ وَبِهِ قَوَانَا.

رسالة المعز إلى
الأميراطور
يهذه بالحرب..

«فَإِنْ قُلْتَ أَنْتَ غَيْرَ ذَلِكَ، وَأَنْتَ تَرَى أَنَّ مَا فِي يَدَيْكَ لَكَ، فَقَدْ كَانَ رُومَانُسُ⁽¹⁸⁷⁾ تَغْلَبَ عَلَيْكَ وَعَلَى أَبِيكَ مِنْ قَبْلِكَ، ثُمَّ دَارَتْ لَكُمَا عَلَيْهِ الدَّائِرَةُ. فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ مِنْ احْتَجَزَ شَيْئاً وَتَغْلَبَ عَلَيْهِ فَهُوَ لَهُ دُونَ صَاحِبِ الْحَقِّ الَّذِي مَلَكَهُ، فَلَمْ يَكُنْ لَكَ وَلَا لِأَبِيكَ الْقِيَامُ عَلَى رُومَانُسٍ وَلَا انْتِزَاعُ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ يَدَيْهِ. فَهَذِهِ سَبِيلُ أَهْلِ الْحَقِّ عِنْدَنَا. فَإِنْ اعْتَرَفَتْ لَهَا فَقَدْ أَنْصَفْتَ، وَإِنْ جَهِلَتْهَا لَمْ يَكُنْ جَهْلُكَ إِيَّاهَا حُجَّةً عَلَى مَنْ عَرَفَهَا. وَعَهْدُكَ إِنْ تَمَادَيْتَ عَلَى حَرْبٍ مِنْ أَنْابِ إِلَيْنَا مَنبُودٌ إِلَيْكَ، فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَلِأَهْلِ مَمْلَكَتِكَ فَإِنَّا مُنَاجِزُونَ وَإِيَّاهُمْ الْحَرْبُ بِعَوْنِ اللهِ لَنَا وَتَأْيِيدِهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ».

(قال): «وَاسْتَمَدَّ أَهْلُ أَقْرِيطِشْ هَؤُلَاءِ صَاحِبَ مِصْرَ وَهُمْ مِنْ أَهْلِ دَعْوَةٍ وَاحِدَةٍ تَجْمَعُهُمْ دَعْوَةُ آلِ عَبَّاسٍ، وَمَرَاقِبُهُمْ بِخَيْرَاتِ بِلَادِهِمْ وَأَطْعِمَتِهَا تَمِيرُ أَهْلَ مِصْرَ، وَهَدَايَاهُمْ تَصِلُ إِلَى عُمَّالِهَا، فَعَجَزَ عَنْ نُصْرَتِهِمْ. / وَسَأَلُ مَنْ يَنْظُرُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا قَبْلَهُ فِي أَنْ

88/2

(187) هو رومانوس الأول (920 - 944 م / 308 - 333 هـ) الذي اغتصب الحكم من قسطنطين السابع.

يكتب إليه (صلع) في إغاثتهم واستنقاذهم ، وأرسل قوماً كانوا منهم
قَبْلَهُ ليسألوا أميرَ المؤمنين (صلع) ويرغبوا إليه في ذلك. ثم أظهر
أنَّه ينصرهم ورمى بعض مَراكب في البحر لَمَّا اتَّصلَ به إنكار العامة
عليه للتخلف عن نصرتهم.

فكتب أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (ص) إلى من يكتابه
بمصر جواباً عن كتابه إليه بذلك يخبره أنَّه قد أمر بإخراج الأساطيل
وأخذ في عدتها.

وكان فيما كتب به إليه أن قُلْ (ط 125) لصاحبك: «إِنَّ اللَّهَ -
سبحانه - قد خَوَّلَنَا من فضله وأمدَّنَا من معونته وتأييده بما نرى أَنَا
بَحُولُهُ وَقُوَّتُهُ ونصره لنا وإظهارنا على عدوِّنا نَكُفَّ أَيْدِي الكفرة عَمَّا
تَطَاوَلَتْ إِلَيْهِ من حرب هذا الصُّقْع والإيقاع بأهله. وقد انتهى إلينا
أَنَّكَ أظهرت الحركة إلى الجهاد وإمداد هؤلاء القوم بمراكب من
قَبْلِكَ، وَأَنْتَ لِعَمْرِي بذلك أَجْدَرُ، لقربهم منك واتِّصالهم بك وميرتهم
بلدك وكونهم وإِيَّاكَ في دعوة واحدة. ولو أسلمناهم إليك وقعدنا
عنهم لما كان لك ولا لَهُم علينا حِجَّة في ذلك، ولكنَّا آثرنا نُصرة
أُمَّة جدَّنا محمد (ﷺ) ولم نَرِ التخلف عن ذلك وقد رَجَوْنَا له،
وَأَلْفَوْا بِأَنْفُسِهِم إلينا فيه. ونحنُ لا نحول بينك وبين الجهاد في
سبيل الله، ولا نمنعُكَ من تمام ما أُمِّلْتُ منه، فلا يَكُنْ ما اتَّصل
بك من إنفاذ أساطيلنا يُرِيثُكَ عن الذي همَّمتَ من ذلك. وإن كنت
تخشى على من تَبَعْتُ به وعلى مراكبك منَّا، فلك علينا عهدُ الله
وميثاقه أَنَا لا نكون مِنْهُمْ إِلَّا بسبيل خير، وَأَنَا نُحِلُّهُمْ محلَّ رجالنا،
ونجعل أيديهم مع أيدينا ونشركهم فيما أفاء الله علينا، ونُقيمُهم في
ذلك وغيره مقامَ رجالنا، ومراكبك مقامَ أساطيلنا حتَّى يفتحَ لنا إن
شاء الله، ثُمَّ ينصرفوا إليك على ذلك أو يَكُونْ من أمر الله وقضائه ما
هو فاعله. فاعلم ذلك وثقْ به منَّا، ففي تظافر المسلمين على

.. وإلى الاخشيذ
لحماية
الجزيرة...

عدوهم واجتماع كلمتهم إعزاز لدين الله وكبت لأعدائه . فقد سهّلنا لك السبيل ، والله على ما نقول وكيل .

«فإن وثقتَ بذلك ورأيتَ إيثَارَ الجهاد فاعمل على أن تُنفِذَ مراكِبَكَ إلى مرسى تينة⁽¹⁸⁸⁾ من أرض برقة لقرب هذا المرسى من جزيرة أقریطش ويكون اجتماعُهم مع أساطيلنا بهذا المرسى مستهلاً ربيع الآخر (ط 126) بتوفيق الله وقوّته وتأييده ونصره وعونه .

89/2 «والأ ترى ذلك فقد أبلغنا في المعذرة إليك والنصيحة لك ، / وخرجنا ممّا علينا لك . ونحن بحول الله وقوّته وتأييده ونصره وعونه مستغنون عنك وعن غيرك ، وعلى عزم وبصيرة في إنفاذ أساطيلنا ورجالنا وعُدَّتنا وما خوّلنا الله إِيّاه وأقدرنا عليه ممّا نرى بحوله وقوّته أنّا نبلغ به ما نؤمّ إليه من ذلك ونصمد نحوه . فبالله نستعين ، وعليه نتوكّل ، وعلى تأييده نعول ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .»

.. لكنّ الروم احتلّوها ..

فسارع أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (عم) في إخراج الأساطيل وشحنها بالرجال ، وصنوف العُدّة والأموال ، وهو في ذلك ذو جدّ وجهد ، إذ أتاه الخبر بأنّ الروم قد ملكت أقریطش ، ودخلوا البلد ليلاً عن موافقة من خرج منهم مسلّمة فقتلوا ونهبوا ودخلوا الجامع بخيلهم فأحرقوه وحملوا منبره إلى بلد الروم . فاشتدّ على أمير المؤمنين ما حلّ بالمسلمين وما ظهر من تضييع أهل مصر لهم ، وهم أقرب إليهم ، وما فاته من نصرتهم . وكان ذلك في سنة خمسين وثلاثمائة .

(188) في المخطوط: تينة . وفي تعداد البكريّ ، 85 للمراسي بين طرابلس والإسكندرية ، «مرسى تيني» بين درنة وطبرق . وأوضح مترجمه دي سلان ، 173 أن مرسى تيني هو المسمّى اليوم «رأس التين» . وهو في قبالة جزيرة قريطش .

ولا وجود لطنبّة التي ذكرها الدشراوي في رسالته ، 246 .

.. كما احتلوا
عين زربة على
الحمدانيين...

وفيها خرج الدمستق، وهو أعظم من يكون عند ملك
الروم⁽¹⁸⁹⁾، من الدرب المعروف بـ«حصن الجبل»، فنزل على تلّ
موزة⁽¹⁹⁰⁾ فقاتل أهله وظفر بهم. ودخل البلد فقتل الرجال والنساء
والصبيان ورحل عنهم إلى عين زربة⁽¹⁹¹⁾ فقطع الماء عليهم. واشتدّ
بهم الأمر واختلفت عليهم الكلمة، وليس لهم مدبر. فقطعوا دعوة
ابن حمدان حين يشسوا من مآذته لهم، وتناهت عليهم الشدة.
فأرسل الدمستق إليهم بأمير أقریطش فحذّره ما حلّ بأهل
أقریطش، وأخذ لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ما خلا السلاح،
وملكها.

وكانت قد وقعت حروب كثيرة بين سيف الدولة، علي بن
عبد الله بن حمدان صاحب حلب، وبين النصارى من الروم،
ووقعات جليلة. وكانت لسيف الدولة شجاعة مشهورة ونجدة
مذكورة، وقاتل شهر به، وجهادٌ رُفِعَ قدره بسببه. وكان كثير الإعطاء
والإنفاق، جميل المحيّا حسن الأخلاق. وكان قد جعل دنانير العطاء
كلّ دينار وزن عشرة دنانير، وقصدته الشعراء ومدحته البلغاء،
 واجتمع ببابه ما لم يجتمع بأبواب الخلفاء من الشعراء المجيدين،
والفصحاء المفلّحين. وكفاه فخراً يبقى على الأحقاب، ما طوّق أبو

(189) الدمستق لقب عسكريّ، فهو قائد الجيش، وكان للأمبراطور في هذه المدة
دمستقان، واحدٌ لأقاليم الشرق وآخر لأقاليم الغرب. والمعنيّ هنا هو نففور
فقاس الخصم الأكبر لسيف الدولة.

(190) تلّ موزة: ذكره ماريوس كانار في أطروحته عن الحمدانيين، ص 807 هامش 194
من قرى عين زربة.

(191) عين زربة (ابن حوقل، 167) أو عين زربي (ابن الأثير، 2/7 وياقوت): تعرّض
مسكويه (تجارب الأمم، طبعة أمدرود، 190/2) إلى هذه الهزيمة النكراء
للإسلام في الثغور الشاميّة، وكذلك ابن الأثير. وقال ماريوس كانار (نخب
تاريخيّة، 139) إنّ معاملة نففور فقاس لسكان عين زربة اتخذت مظهر الحرب
الصليبيّة.

الطَّيِّبُ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمُتَنَبِّيِّ فِي جَيْدِ مَفَاخِرِهِ، / وَعَلَّقَ مِنْ
أَطْوَاقِ الْمَدْحِ الَّذِي اسْتَخْرَجَ دَرَرَهُ مِنْ بَحْرِ خَاطِرِهِ.

وأبو الطَّيِّبِ مِنَ الْفَصَاحَةِ بِحَيْثُ لَا يَجَارِي وَلَا يَمَارِي، وَدِيْوَانُ
شِعْرِهِ أَجَلٌّ مِنْ أَنْ يُوصَفَ وَأَكْثَرُ اشْتِهَاراً. وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو الطَّيِّبِ حُرُوبَهُ
وَوَقْعَاتَهُ، وَجِهَادَهُ لِلنَّصَارَى مِنَ الرُّومِ وَإِغَارَاتِهِ. وَمَا زَالَ فِي الْحَرْبِ
مُدَّةً مِنَ السَّنِينَ حَتَّى كَسَرَتْهُ الرُّومُ، وَلَمْ يَجِدْ مِنْ خُلَفَاءِ الدَّوْلَةِ
الْعَبَّاسِيَّةِ نَاصِراً، وَلَا مَعِيناً وَلَا مُؤَاوِزاً. وَأَسْرَتِ الرُّومُ ابْنَ عَمِّهِ أَبَا
فِرَاسٍ ابْنَ حَمْدَانَ، فَارَسَ الْحَرْبَ الصَّنْدِيدَ، وَنَازَلَ الشَّعْرَ الْمَجِيدَ
(ط 128). وَكَانَ أَبُو فِرَاسٍ شِيعِيّاً مُحِبّاً لآلِ النَّبِيِّ مِنَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ
وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ، وَهُوَ مَنْشِئُ الْقَصِيدَةِ الَّتِي أَوَّلَاهَا:

(بسيط)

الدين مُخْتَرَمٌ، وَالْحَقُّ مَهْتَضَمٌ وَفِيَّ آلَ رَسُولِ اللَّهِ مَقْتَسَمٌ
ومنها:

لَا يُطْغَيْنَ بَنِي الْعَبَّاسِ مُلْكُهُمْ بَنُو عَلِيٍّ مَوَالِيَهُمْ، وَإِنْ زَعَمُوا⁽¹⁹²⁾

وهي قصيدة معروفة مشهورة. وله في الأسر قصائد تشهد له
بالبلاغة، منظمة على أحسن النظم والصياغة، فيها الجزالة والرقّة،
والشهادة بما في قلبه من ألم الغربة والحرقّة. ولو قصدنا أن نصف
الأشعار لأتينا منها بالغريب القريب، والبديع العجيب، ممّا يروّق
ويروق، ويعلو ويفوق. ولكنّا إلى ذلك ما قصدنا، وله ما أردنا،
وإنّما أردنا أن نذكر فضل آل الرسول، وما خصّهم الله (تع) به من
المكان الخطير الجليل، جرياً على قدر الطاقة، وإن كان شأو
مجدهم وفخرهم لا نستطيع أن ندرك من وصفه لحاقه. فأقام أبو

(192) ديوان أبي فراس، صادر، 255.

فراس مدّة من السنين في الأسر، ثمّ فدى نفسه، وأخرجه جند الروم بعد أن ناله عظيم الضرر. فلم تحسن له بعد ذلك الأيام، ولم تطل حتى وافاه ريب الحمام.

وقويت الروم على سيف الدولة، وعجزت ملوك بني العباس عن القيام معه والنصرة، فجاشت جيوش النصارى عليه، وانساق منهم الشرّ إليه. فلمّا كان سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، فتحت الروم حلب وانهزم سيف الدولة عنها.

وفي سنة أربع (ط 129) وخمسين وثلاثمائة أخذت الروم المصيصة في النصف من رجب، وبعدها فتحت طرسوس⁽¹⁹³⁾. ولأسيد بن همام المكحول القرشيّ قصيدة يمدح بها كافور الأخشيديّ صاحب مصر ويستنهضه لنصرة الحصون، ويصف ما لحقها من الروم. يقول:

(خفيف)

جلّ فادح وخطب كبير بلد الشام ضائع والثغور
أي صبر على الذي حلّ بالشام وبالغمر، تحتويه الصدور؟/
أي مصر لكم إذا ذهب الشام، ولم يبق بالشام مجير؟
أين أهل التوحيد إن عدم الغز، ولم يبق للجهاد مثير؟
أين أهل القرآن والعلم بالوحى؟ فإنّا بنوره نستنير
أين أهل الإيمان يا حجة الدّ؟ إلى الشام فالنفير النفير!
قد دعاكم إلى الجهاد خفافاً وثقالاً، عليكم مسطور
أمره، فالذي يخالف منكم ما له بالخلاف إلّا السعير

91/2

شعر ابن مكحول
في استنهاض
كافور إلى الجهاد

(193) في احتلال المصيصة، انظر: مسكويه: تجارب، 201/2. وفي طرسوس: انظر ياقوت في المأدّة.

فتغور الإسلام من بلد الشام وما فيه للإمام نكير
والإمام الذي تؤمّله الأمّة في قبضة المجوس أسير
وابن حمدان للثغور فما فيه لأهل الثغور إلا الغرور
ويقول فيها:

حلّ عقد الهدى الضلال، وإن لم يبرم العقد حبله مبتور
بمعزّ وناصر وبسيف هلك الدين، واعتدى نفقور (ط 130)
ثائراً بالثغور يسي الذراريّ آمناً لا يروعه تحذير
يعني بمعزّ وناصر، معزّ الدولة وناصر الدولة ابني بويه،
وبسيف، سيف الدولة ابن حمدان. وقصيدته طويلة⁽¹⁹⁴⁾.

فلم يوجد عند كافور نهضة ولا حيطة للثغور، وخلفاؤهم
العباسيون مأسورون في أيدي العجم بين مسمول العينين، أو
مقطوع غضاريف الأذنين. وحين اشتدّ على كافور الأمر، وعظم
الضرر، وخاف أن يستولي النصارى على مصر، وأصل داعي أمير
المؤمنين المعزّ لدين الله (ص)، الذي بمصر، وسلّم لوليّ الله فيما
يملكه الأمر، ودخل في عهد الإمام، وأجرى على أمره ونهيه
النظام. وكتب بذلك إلى أمير المؤمنين المعزّ، وطلبه النصر على
النصارى، واستغاثه أن يستنقذ من المسلمين طوائف لخوف غشم
الكافرين حيارى.

فأنهض أمير المؤمنين الأساطيل وشحنها بالرجال والعدّة
والأموال، فوافوا النصارى من الروم، وهم في جموعهم وعساكرهم
قد أتوا للزحف على تلك الثغور، فأوقعوا بهم وبأساطيلهم وقعة لم
يكن مثلها فيما سلف من الأيام والدهور، ومنحهم الله نصر الدين

(194) لم نقف على ترجمة لأسيد القرشيّ هذا.

وعزّ الإسلام، وافتتحوا قلاعاً كثيرة للروم، وأحرقوا ديارهم مستنصرين بنصر الله الحيّ القيّوم. وأفلت أمير النصراني فصار شاردأً ومرّ على وجهه إذ لم يجد من جنود الله ناصراً ولا عاضداً، وذلك في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة⁽¹⁹⁵⁾.

92/2

وقد ذكر ذلك الإمام /المعزّ لدين الله في جوابه لداعي السند حلّيم بن شيبان⁽¹⁹⁶⁾، وقد ورد منه كتاب يذكر فيه ما هيّا الله له في جزيرة السند من النصر، وأظهر لوليّه هنالك من الأمر (ط 131)، وأنّه كسر الأصنام التي كان استأذن الإمام في كسرها، ويسأل الإمام عن مسائل فيما يقيم به الدين ويقطع ما غيره داعي السوء السالك سبيل المعتدين، ويسأل عن أشياء من الفقه والحلال والحرام، وعن مسائل في التأويل الذي جعل الله علمه عند أهل الذكر من إمام بعد إمام. فأجابه الإمام (عم) بسجل هو معروف مشهور، وفي صفحات الكواغذ مسطور، أوّله:

«باسم الله الرحمان الرحيم.

«من عبد الله ووليّه معدّ أبي تميم المعزّ لدين الله أمير

(195) في المطبوع: خمس وأربعين، وفي مخطوطنا، زيد التاريخ في الهامش وانطمست أطرافه فلم نعد نقرأ منه إلّا عبارة: في سنة خم... وثلاثمائة، ولعلّه تاريخ موافق لما في المطبوع. لكن، اعتماداً على ما سيأتي في رسالة المعزّ إلى داعيه بالسند، وهي رسالة مؤرّخة بسنة 354، وكذلك اعتماداً على رواية ابن الأثير، 12/7، حوادث 353 في فتح رمطة، فضّلنا أن نقرأ: أربع وخمسين كما أثبتنا، لا خمساً وأربعين، لا سيّما وأنّ سياق الأحداث تجاوز سنة 350.

هذا وإنّ رواية الداعي إدريس توهم بأنّ هذا التحرك الفاطميّ كان نحو الثغور الشاميّة.

(196) سبق ذكر حلّيم بن شيبان (ص 233 و 81/2). وقد نشر شتارن هذه الرسالة عن عيون الأخبار في فصله عن «التيارات المارقة زمن المعزّ» (ص 24 من المقال).

المؤمنين إلى حليم بن شيان، سلام عليك .

رسالة المعز إلى حليم بن شيان . . .
«فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله وعلى آله الطاهرين الأخيار.

«أما بعد، فإن كتابك إلينا كتابٌ من ترادفت إليه نعم الله جلّ ثناؤه فأسنى منها قسمه، وعظم عنده فضله، فأدأب الشكر عليه، وترادف لديه عطاؤه، فواصل الحمد عليه، وأختصه بلطف صنعه وجميل كفايته، فبريء من الحول والقوة إليه، وتكفل بنصره، فأداخ له ملوك الأرض وجبايرتها، منتصراً لدينه القويم الذي به أعزّه، وأخذ بحقه من الظالمين الملحدين في آياته، الصادّين عن سبيل هداه، وتوحد به بما لم يتوحد به أحداً من كلّ ما يرومه ويتحيه ويصرف أسباب همته إليه من بلوغ الأمل، والتوفيق في العمل، حتّى أنقاد العدو موالياً، والمخالف مؤلفاً، لما بهرهم من دلائل إنجاز وعد الله لنا، ولوائح نصره، وبراهين معجزاته، ومبصرات آياته التي وعد العالمين بإظهارها فقال جلّ من قائل: ﴿وَقُلِّ الْحَمْدُ لِلَّهِ، سُبْرِيكُمُ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ (النمل، 93) وقال: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (ط 132) حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴿فَصَلَّتْ، 53). ولم يبق ملك من ملوك المغرب وجبايرتها، والمشارك إلى أقصى حدود المملكة فيها، ومن وراء الصحاري والبراري من ملوك الحبشة إلّا دان بالطاعة وانقاد للمملكة، وافدين إلى باب أمير المؤمنين، وباعثين رسلهم بالطاف وهدايا، متوخّين أنفس ما يجدونه منها، راغبين في رضانا، آخذين بحظّهم من / الطاعة التي حصّ الله (عج) عباده عليها.

.. يذكر فيها تصدي الأسطول للروم . . .
وكان الكفرة من الروم على حال من الانقياد لأداء الجزية والوفاء بالعهد حتّى نالوا بأرض الشام ما نالوه، ممّا سماع أقلّه يفتّ أكباد ذوي النهى، ويمتعض من مثله أولو البصائر والحجى، ويألم

الأقصى والأدنى، من افتتاح المدن وسبي الذراري، وانتهاك المحارم وسفك الدماء، ممّا لا دافع يدفعهم، ولا مانع يمنعهم غاضباً لله⁽¹⁹⁷⁾ جلّ ثناؤه، خائفاً من عقابه في تضييع أمة رسوله (ﷺ). فأخفرت الكفرة عهدهم ونكثوا أيمانهم ونقضوا عقدهم، وقادهم حينئذٍ للزحف إلى بعض ثغور مملكة جزيرة من جزائر البحر⁽¹⁹⁸⁾، أهلها محروسون بحراسة الله (عج) وجميل نظرنا لهم، وقلة غفلتنا عن مثلهم، وإن كانوا في بعد ونأي وراء بحر. فتلقاهم من أقمنا لحراستها من الأولياء برّاً وبحراً فأوقعوا بهم وبأساطيلهم وقعات كثيرة لم يكن فيما سلف من الأزمنة مثلها، ظلّوا بها أحاديث ومزّقوا كلّ ممزّق، وأخربوا ديارهم وعفّوا آثارهم وافتتحوا قلاعهم المنيعه من أول الزمان. وأفلت ذلك المُشرك المتغلب المتأمر عليهم فظلّ شاردّاً مخذولاً لا يدري على أيّ رجل يعتمد ولأيّ وجه يقصد، قد ألبسه الله الذلّة، كما نبذ العصمة، وأشعره (ط 133) الخيفة وراء الندامة، يصبح خائفاً ويمسي نادماً، وذلك بما قدّمت يداه، وما الله بظلام للعبيد.

«وأفاء الله على الأولياء من ذخائر المشركين وكرامتهم وأسلحتهم بعد أسر وجوهم ما زادهم به قوّة وعزّة، وزاد به المشركين ذلّةً ووهناً. ثمّ لا يصدّق بما نال المشركين من ذريع القتل وعظيم الأسر إلّا من شاهد ذلك وعايته، إذ الصفة تقصر عنه.

(197) في المخطوط والمطبوع: ولا غاضب له إلّا الله. ولا يوافق سياق الكلام، ودلّنا

على القراءة الصحيحة شتارن في فصله المذكور، 24 هامش 5.

(198) يرى شتارن أنها صقلية وأنّ النصر الآتي ذكره هو فتح طبرمين سنة 351 وأنّ

القائد المغلوب الذي ظلّ شاردّاً هو منويل فقاس صاحب الأسطول البيزنطي.

ويضيف: قتل منويل في الواقعة - وقعة الحفرة - وكأنّ المعزّ لم يعلم بمقتله

(الفصل المذكور، 25، هامش 2). وكلّ هذا يؤيد ما ذهبنا إليه من اختيار

تاريخ 354 عوض 345.

«والله نحمد كثيراً، وإياه نشكر، وإليه نصرف الرغبة في أن يصل لنا ما من به علينا من ذلك ببلوغ الأمل في صلاح بلاده وهداية عبادته، وأن يصلي على محمد سيد رسله وخاتم أنبيائه، وعلى عترته المهديين الأخيار الطيبين».

ويقول في هذا السجل الشريف:

«والذي وصفته ممّا هيّاه الله لكم على من بغى عليكم وزحف إليكم ليزعجكم عن مستقرّكم، وما دار بينكم وبينهم من القتال المهول، إلى أن وهبكم الله النصر وأمدّكم بالمعونة والتأييد، فقتلتموهم أبرح قتل، واقتلتم صنم القوم، وجعلتم موضعه/ مسجداً جامعاً، فيا لها نعمة ما أعظمها! وفضلاً ما أوضحه وأبينه، وأعظم أجره وأبقى فخره! ملأ قلوبنا فرحاً وسروراً، وأرضى الله ربنا ومولانا، وخررنا له ساجدين حامدين شاكرين، وسألناه أن يجزيكم على أمثال ذلك في كلّ أعدائه وأن يقرّ أعيننا بسلامة جميعكم، ويذهب غيظ قلوبكم، ويجمع كلمتكم ويؤلف قلوبكم. فلمثل هذه المقامات يجب أن ينصرف فكركم، وعليها يتواصل نظركم حتى يجعل الله لكم في إظهار الملة الحنيفية أجلاً أثراً، ويكتب لكم فيها السعي المحمود الموصل إلى نعيم الخلد في روح وريحان وجنة نعيم (ط 134).

94/2
.. ويشي على
جهاد الداعي
بجزيرته...

«ولقد كنّا نحبّ أن لو تلطّفت في حمل رأس هذا الصنم أو فيما تعمّده من بعد هذا ويقدركم الله (عج) عليه فتعمل على حمل رؤوسها إلينا، فإنّ لكم في ذلك فخراً باقياً، وتحريكاً لأخوانكم المؤمنين قبلنا، وزيادة في نشاطهم، ورغبة في الاجتماع معكم، للتعاون على إقامة حقّ الله. فقد قرب من إنجاز وعد الله لنا ما بعد، والحمد لله كما هو أهله ووليّه».

وقال (عم) فيما ختم به السجل الشريف المذكور:

«أنفذنا إليك من أعلامنا المنصورة سبعة أعلام تنشرها عند الاحتياج إليها. فما نُشرت على المؤمنين بموقف إلا زادهم الله به عزاً وحباهم بنصره، ولا [على] مشركٍ إلا أدلته بعزها وقهرته بقدرة المنعم علينا بما هو أهله. عرفك الله ومَن قبلك من المؤمنين بركتها وأدالكم على عدوكم، وشفى غيظ صدورنا بكم وبإخوانكم حتى لا يبقى على الأرض إلا مَن يدين بطاعة الله الأحد، فيكون الدين كله لله كما وعد، إنه لا يخلف الميعاد.

«ونحن نخصك ومَن قبلك من المؤمنين بالسلام الطيب ورحمة الله وبركاته.

«وكتب يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة (17 سبتمبر 965)، وصلى الله على محمد نبيه وصفوته من بريته وعلى أبرار عترته، وسلم كثيراً».

فهذا من خبر ما كان في السند من ظهور رايات أمير المؤمنين المعز لدين الله (صلع) وظهور دعوته وعلو سلطانه ومملكته. وذلك مصداق ما روي بالإسناد عن الحنوي عن سلمان وحذيفة اليمان يرفعونه في الرواية⁽¹⁹⁹⁾ إلى أمير المؤمنين عليّ (عم): «إن تمام أمر آل محمد عند ظهور (ط 135) رايات/ تخرج من السند». قال القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه) فيما أتى عنه بعد ذكر هذا الحديث:

«ودعوة وليّ الزمان قد ظهرت بالسند وغزا أولياؤه بها، وغلب

95/2

(199) حذيفة بن اليمان: صحابي من غطفان، حالف قوماً من الأنصار فنسب إلى اليمن. شهد أحداً ومعظم الفتوحات (أسد الغابة رقم 1113).

داعيه هناك على صاحب مملكة السند فقتله، وكان على المجوسية، وقتل رجاله، وهدم الصنم الذي كانوا يعبدونه، وجعل الهيكل الذي كان فيه مسجداً جامعاً، وعزّ سلطانة، وذلك بحول الله وقوّته، يشهد بإنجاز وعده لأوليائه، على ما جاء في الخبر من ظهور رايات السند إذ قد ظهرت رايات السند في دعوة أولياء الله هناك، وعزّ أهلها، وظهر سلطان وليّ الزمان⁽²⁰⁰⁾.

[خروج القائد جوهر إلى مصر]⁽²⁰¹⁾

وأما أمر مصر وخروج القائد جوهر المعزّي إليها وما هيّاه الله لوليّه وابن نبيّه من فتحها والاستيلاء عليها، فإنّها كانت مصر قد صار ملكها للإخشيدية والخطبة فيها والدعوة للخلفاء العباسية. فلما مات الإخشيد، وله ولدان صغيران، صار ملك مصر وأمرها إلى عبده الأستاذ كافور، وكان خصياً. فملك أمرها وهو خادم لسيديه أنوجور وعليّ أبني الإخشيد. وكان الحلّ والربط، والتقديم والتأخير إليه دونهما. ثمّ نزل بهما الموت فخلص الأمر لكافور، وعقد له المطيع العباسي على مصر دون الإخشيدية. فهدى الله كافوراً إلى ولاية الأئمة من أهل بيت الرسول وطاعة أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (عم). فأخذ عليه العهد على يدع الداعي لأمير (ط 136) المؤمنين بمصر ودخل في الدعوة وكاتب أمير المؤمنين بالطاعة له والعمل بأمره⁽²⁰²⁾.

(200) لم ترد رسالة المعزّ إلى داعي السند ولا تعليق النعمان عليها في المجالس والمسائرات، وإنما ورد فيها حديث مطوّل عن الداعي الزائغ والصنم المعبود، دون ذكر السند ولا أسماء الأشخاص، فلذلك نستغرب أن يحيل ناشر هذا السبع السادس إلى ص 374 ج 2 من نسخة المجالس التي يقول إنّه يملكها.

(201) ورد هذا العنوان في هامش مخطوطنا.

(202) انتساب كافور إلى الدعوة وهم من الداعي إدريس. فالمؤرخون لم يذكروه، بل نقلوا مراسلات أنصار المعزّ إليه يدعونه إلى التريث حتى يزول الحجر الأسود، أي كافور (النجوم الزاهرة، ج 7/4). ويقول القفطي (هامش =

فأمره أمير المؤمنين بالابتداء في العمارة بالقاهرة. فخرج إلى حيث رسم له الإمام⁽²⁰³⁾، فوجد فيه أساس بناء قديم فشرع في عمارته وأخذ في البناء. ثم أتته الوفاة وهو في أول العمارة. وبلغت وفاته أمير المؤمنين فترحم عليه وتوسل إلى الله (تع) في المغفرة له⁽²⁰⁴⁾.

واجتمعت الإخشيدية والكافورية أعوان مصر حين وفاة كافور الأستاذ فعقدوا الولاية في مصر وأعمالها لأحمد بن عليّ بن الإخشيد، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة، على أن يخلفه ابن عم أبيه الحسن بن عبد الله بن طنج [، وعلى أن تدبير الرجال والعساكر إلى شموال⁽²⁰⁵⁾ الإخشيدية، وتدبير الأموال إلى جعفر بن الفرات الوزير، وكافور لم / يدفن. ثم أخرجوه إلى قبره يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الآخرة⁽²⁰⁶⁾ سنة سبع وخمسين وثلاثمائة. ومدة ملك الأستاذ كافور لمصر إحدى وعشرون سنة وشهران وعشرون يوماً، كان الأمر له من هذه السنين بعد وفاة ابني سيده سنتين⁽²⁰⁷⁾ وأربعة أشهر وتسعة أيام.

96/2

= الكامل، (66/7) إن أم المعز هي التي دعت ابنها إلى إرجاء غزو مصر إلى ما بعد وفاة كافور، اعترافاً لكافور بجميله: فقد أكرمها حين مرت بمصر إلى الحج.

ثم أن ابن هانيء شاعر المعز لا يتحفظ في التهكم بكافور «العبد اللئيم نجاره» (القصيدة 47، صادر 322):

.. وللمعز في مصر يُرَدُّ سريره إلى ناعب باليين ينعنق أسحم (203) شروع كافور في بناء القاهرة خرافة أيضاً. ففي الأتعاض، 158، أن الذي شرع في بنائها هو جوهر، في موضع اختاره له المعز.

(204) توفي كافور يوم الأربعاء لعشرين من جمادى الأولى 357 (أتعاض، 138 وولاية مصر، 297).

(205) شمول أو شموال: استخلفه الحسن بن عبيد الله على دمشق فكاتب جوهرأ وورد عليه سنة 360 فأكرمه (أتعاض، 173 و 179).

(206) رأينا منذ حين أنه توفي في جمادى الأولى.

(207) في المخطوط: ستان.

ودعي بعد موت كافور لأحمد بن عليّ [بن] الإخشيد⁽²⁰⁸⁾ . . . وتطاحن
على المنابر بمصر والشام والحرمين، ومن بعده للحسن بن عبيد الله
ابن طغج⁽²⁰⁹⁾].

وثارت القرامطة بالشام واضطرب أمر مصر وقبض الحسن بن
عبيد الله على الوزير جعفر بن الفضل⁽²¹⁰⁾. واجتمع الأولياء وجماعة
من وجوه أهل مصر معهم فكتبوا إلى أمير المؤمنين المعزّ لدين الله
(عم) يستدعونه [لـ] إنفاذ العساكر إليهم، ويذكرون له قوة الروم
والإفرنج من النصاري والمشرّكين، وقيام القرامطة بالشام وضعف
أهل الإسلام ويستغيثون به ويستصرخونه.

وكان القائد جوهر قد اعتلّ علّة عظيمة أشفى فيها على
الهلاك ويُس من بُرءه. فقال أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (عم)
«لا تغتمّوا لأجله ولا تخشوا عليه، فإنّه سيراً من علّته ويفتح الله
مصر على يديه». فعوفي القائد من علّته تلك، وكان (ط 137) برءه
أول أمارات الفتح ويشارات النصر. وقد ذكر القاضي ابن خلّكان
في تاريخه قال: «كان المعزّ يقول لعليّ بن النعمان: أنت قاضي
مصر». قال ابن خلّكان: «فوافق ذلك المقدور، وكان ذلك من
المعزّ استشرافاً للأمر ورجاءً له». ولم يعلم ابن خلّكان أنّ ذلك من
علم النبوة، ومما ورث عن أمير المؤمنين عليّ (عم) عن
رسول الله (ﷺ) ممّا نبّاه به الروح الأمين عن ربّ العالمين، فقد قال
أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عم): «ما من فئة تهدي مائة

(208) كان عند وفاة أبيه عليّ بن الإخشيد لا يتجاوز الحادية عشرة، فلذلك استبدّ كافور بالحكم.

(209) الحسن بن عبيد الله بن طغج صاحب الرملة: وليها من 321 إلى وفاة كافور سنة 357، وعاد إلى
الشام سنة 358. والفقرة بين []، من: وعلى أنّ تدبير... إلى هنا، ساقطة من
المطبوع.

(210) هو الوزير ابن الفرات (308-391): استوزر لابني الإخشيد أنوجور وعليّ، ثمّ لكافور. وهو
الذي سهّل دخول جوهر إلى مصر (انظر عنه دائرة المعارف الإسلامية).

وتفضلّ مائة إلّا وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها». وذلك العلم متوارث بين ذريّته وبقا في عترته. ولن يخلي الله أرضه ممّن يقوم بحجّته.

وحين وردت وفاة كافور إلى الإمام المعزّ وكتبّ الأولياء ووجوه أهل مصر، أخذ في تجهيز العساكر وجمعها، وقدم القائد جوهرًا عبده على جميعها. فبرز جوهر إلى رقّادة. قال الحسن بن زولاق في «سيرة جوهر»⁽²¹¹⁾: «فخرج جوهر القائد في أكثر من مائة ألف، وبين يديه أكثر من ألف ومائتي صندوق من المال في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة. (قال): وكان أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (عم) يخرج / إلى جوهر في كلّ يوم ويخلو به. وأمره أن يأخذ من فنون الأموال ما يريد، زيادة على ما أعطاه».

97/2

.. تدعو المعزّ
إلى تجهيز
جيش لفتحها..

وقال صاحب سيرة الأستاذ جوذر مولى الأئمة (صلح): «وحين (ط138) تصرّف مولانا في إخراج العساكر إلى المشرق، واحتاج إلى الإنفاق في ذلك، اقتضت أمانة الأستاذ جوذر ذكر ما توفّر عنده من حسن نظره في شيء باعه من الخزائن، واستخراج بقايا الأموال مع ما أضاف إلى ذلك من مال نفسه عملاً وتقريباً. وكان مبلغ ذلك مائة ألف دينار من الذهب، وأثنين وعشرين ألف درهم⁽²¹²⁾ بعث بذلك إلى مولانا المعزّ لدين الله صلوات الله عليه، فأجابه مولانا عن جواب كتاب كتبه إليه في شرح ذلك بما هذه نسخته:

يا جوذر، سلّمك الله! وقفنا على ما ذكرته، فنسأل الله أن

(211) الحسن بن زولاق (306 - 386) المؤرّح المصري. انظر دائرة المعارف الإسلامية. وفي الفصل أن «سيرة جوهر» المنسوبة إليه في الكتب الإسماعيلية قد تكون جزءاً من كتاب له في سيرة المعزّ

(212) في المخطوط: واثنان وعشرون، والتصحيح من السيرة، 92، موافقة للنحو.

يهبك من رضاه وحنانه ومغفرته ما يستغرق أملك، وأن يحسن إليك، وأن يحسن منا جزاءك ويكشف ضررك حتى تشاهد معنا حج بيت الله الحرام ظاهراً كما حججته باطناً، وترى في مخازننا من الأموال الحلال ما يكون لنا في جمعه الأجر عند الله، والخزي لأعدائنا في الدنيا، فما يعبد الناس غير الجماد. والذي يلزمنا من الإخراج فهو والله شيء لو كان من ماء البحر لما كان عجباً، ولا يتوفر علينا، بل الكل أعوان على التمزيق والإخراج، وقد توصلنا⁽²¹³⁾ فيما لا يمكننا التقصير عن بلوغ الغاية فيه. فأسأل الله أن يتقبلنا مِنّا، ويجعله لوجهه خالصاً. وبقاء هذا الذي ذكرته من الأموال عندك مع ما تقربت به، قبل الله سعيك وأجزل من رضاه حظك، [فكن] أوفر وأحوط عليه من غيرك فأبقه عندك إن شاء الله.

.. فجمع
.. الأموال...

وركب أمير المؤمنين (عم) يوماً إلى المعسكر وجلس في فاقة جوهر، وجوهر قائم بين يديه، وقال (عم) للمشايخ الذين أخرجهم مع القائد جوهر (ط 139): والله لو خرج جوهر بسوطه وحده لفتح مصر، ولتدخلن إلى مصر آمنين بالأردية تسلمون على أهل مصر، ولينزلن جوهر في خرابات ابن طولون ويبتني مدينة القاهرة تقهر الدنيا!.

ثم تقدم المعز لدين الله إلى جوهر بالمسير فرفع من غده. وخرج إليه أمير المؤمنين إلى رقادة، ووقف على فرسه، وقد رفعت فاقة جوهر والخيم، فوقف جوهر بين يديه، وهو على فرسه مكباً عليه يساره. ثم / التفت المعز إلى أولاده فقال: «ودعوا جوهرًا!» فنزلوا ونزل أهل الدولة لنزولهم فودعوه. فلما فرغ الوداع، قبل جوهر يد أمير المؤمنين ورجله وحافر فرسه. ثم قال له أمير

98/2
.. وأمر جوهرًا
على الجيش
الفاتح

(213) هذه قراءة السيرة، 92 - 93. وفي المطبوع: تدخلنا. وفي المخطوط: توخلنا.

المؤمنين: «اركب!» فركب فرساً ووقف راكباً، وأمير المؤمنين يوصيه ويحدثه، وهو على فرسه وجوهر راكب، طويلاً. ثم وقف أمير المؤمنين وقال له: «سر». فحوّل القائد وجهه يريد العسكر.

ورجع أمير المؤمنين إلى قصره، ونزع الخلعة التي كانت عليه وأنفذها إلى جوهر، إلّا السراويل والخاتم. وكان خروج القائد من إفريقية يوم السبت رابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة (6 مارس 969).

وقال محمد بن هانيء الأندلسي يمدح القائد جوهرًا، ويذكر توديعه وتشيعه ويصف الجيش من قصيدة⁽²¹⁴⁾ طويلة:

(طويل)

رأيتُ بعيني، فوق ما كنتُ أسمعُ، وقد راعني يومٌ، من الحشر، أروعُ
غداةً، كأنَّ الأفقَ سُدَّ بمثله، فعادَ غروبُ الشمس من حيثُ تطلُعُ
فلم أدِرْ، إذ سَلَمْتُ، كيف أُشَيِّعُ؛ ولم أدِرْ، إذ شَيِّعْتُ، كيف أُودَّعُ
وكيف أخوض الجيش، والجيش لُجَّةً، وإني، بمن قد قاده، الدهر، مُولِعُ
5 وأين، ومالي، بين ذا الجمعِ، مَسَلَّكَ، ولا لجوادي، في البسيطة، موضع
ألا إنَّ هذا حَشْدٌ من لم يَنْقُ له، غِرَارَ الكرى، جَفَنُ، ولا بات يَهْجَعُ...
ومنها:

فلا عسكرُ، من قبلِ عسكرِ جوهرٍ، تَخُبُ المطايا فيه، عَشْرًا، وتوضِعُ
10 تسيرُ الجبالُ الجامداتُ بسيرِهِ، وتسجُدُ من أدنى الحفيفِ وتركعُ
إذا حلَّ في أرضٍ بناها مدائنًا، وإن سارَ عن أرضٍ ثَوَتْ وهي بَلَقَعُ...
ويقول فيها:

إلى أنْ تبدَّى سيفُ دولةِ هاشمٍ، على وجهه نورٌ من الله يَسْطَعُ

(214) القصيدة 27 من طبعة زاهد علي. صادر، 192

20 كَأَنَّ ظِلَالَ الْخَافِقَاتِ، أَمَامَهُ،
 كَأَنَّ السُّيُوفَ الْمُضَلَّتَاتِ، إِذَا طَمَتَتْ
 كَأَنَّ أَنْيَابَ الصُّعَادِ أَرَاقِمُ
 كَأَنَّ الْعِتَاقَ الْجُرْدَ، مَجْنُونَةً لَهُ،
 كَأَنَّ الْكُفَاةَ الصَّيْدَ، لَمَّا تَغَشَّيَتْ،
 25 كَأَنَّ حُمَاةَ الرَّجُلِ، تَحْتَ رِكَابِهِ،
 كَأَنَّ سِرَاعَ النُّجَبِ، تُنَشَّرُ يَمْنَةً
 كَأَنَّ صِعَابَ الْبُخْتِ، إِذْ ذُلَّتْ لَهُ،
 / كَأَنَّ خَلَائِلَ الْمَطَايَا، إِذَا غَدَتْ
 يُهَيِّجُ وَسْوَاسُ الْبُرَيْنِ صَبَابَةً
 30 لَقَدْ جَلَّ مِنْ يَقْتَادُ ذَا الْخَلْقِ كُلَّهُ،
 تَخَفُ بِهِ الْقَوَادُّ، وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ،
 وَيَسْحَبُ أَذْيَالَ الْخِلَافَةِ، رَادِعًا،
 لَهُ حُلُلُ الْإِكْرَامِ، خُصَّ بِفَضْلِهَا،
 بُرُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بُرُودُهُ،
 35 وَبَيْنَ يَدَيْهِ خَيْلُهُ بِسُرُوجِهِ،
 وَأَعْلَامُهُ مَنْشُورَةٌ، وَقِبَابُهُ،
 مَلِكُ، تَرَى الْأَمْلَاقَ دُونَ بَسَاطِهِ،
 قِيَامًا عَلَى أَقْدَامِهَا، قَدْ تَنَكَّبَتْ
 تَحِلُّ بِيُوتِ الْمَالِ، حَيْثُ يَحِلُّهُ،
 40 إِذَا مَا جَ أَطْنَابُ السُّرَادِقِ بِالضُّحَى،
 وَسَلَّ سِيُوفُ الْهِنْدِ، حَوْلَ سَرِيرِهِ،
 رَأَيْتُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَيْهِ مَنُوطَةً،

وقال أيضاً من قصيدة⁽²¹⁵⁾ وقد رجع من تشييع العسكر،

(215) القصيدة 46 من طبعة زاهد علي. صادر، 308.

وأنشدنا بحضرة أمير المؤمنين (عم) - ويعتذر لتخلفه عن المسير

(طويل): (ط 142)

فشيَّعتُ جيشَ النصر تشييعَ مُزْمِعٍ ،
وقد كذتُ لا ألوي على مَنْ تركته ،
ولو أنني استأثرتُ بالإذنِ ، وحده ،
15 طربتُ إلى يومٍ أوفيه حقُّه ،
أصبُّ إلى مضربٍ لساعةٍ مشهَدٍ ،
فإنْ نمُ أشاهدُ يومها ملءُ ناظري ،
وقد صوّرتُ نفسي لي الفتحَ صورةً ،
كذاك ، إذا قام الدليلُ ، لذي النهى ،
20 على أنني قضيتُ بعضَ مآربي ،
وأنستُ ، من أنصارِ دولةِ هاشمٍ ،
ويَممتُ ، في طُرُقِ الجهادِ ، سبيلهم ،
فلله ما ضمَّ السُّرادقُ ، والتقتُ
25 فثمَّ مصابيحُ الظلامِ ، وشيعةُ الـ
/ وفي الجيشِ ملأَنُ به الجيشُ ، باسطُ
مُدبّرُ حربٍ ، لا بخيلٍ بنفسه
ولا صارفُ رايته عن مُحاربٍ ،
وللصَّارخِ الملهوفِ أوَّلُ ناصرٍ ،

100/2

* * *

رِضاكَ ، ابنَ وحيِ اللهِ ، عنه ، فإنه
إذا اختلفوا في الأمرِ ، أَلَفَ بينهم
35 فلا رأيُه في حالةٍ يتَّبِعُ الهوى ،
جَزَتْه جوازي الخيرِ عنهم ، فإنه
فقد سارَ فيهم سيرةً لم يسِرْ بها ،
أفاءَ عليهم ظلَّ أيامِكَ ، التي
رَعَى أولياءَ اللهِ رَعَى السَّوائِمِ
طبيبٌ بأدواءِ النفوسِ السَّقائِمِ
ولا سَمْعُه مُستَوَقِفٌ للنمائمِ
سَقاهم بشُبوبٍ ، من العدلِ ، ساجِمِ
من الناسِ ، إلَّا مثلُ كعبٍ وحاتمِ
زُهَيْنَ بأيامِ العُلى والمكارمِ

وماغال جيش الشرق، قبلك، غائل، ولا سيما بعد العطايا الجسائم
40 وبعد صلوات ما رأى الناس مثلها، ولا حدثوا في السالف المتقدم...

* * *

45 فلا يسألني من تخلف عنهم، فيقرع، في آرائه، سن نادم
لعمري! هم أنصار حق، وكلهم، من المجد، في بيت رفيع الدعائم
لقد أظهروا، من شكر نعمة ربهم وقائدهم، ما لست عنه بنائم
وإني قد حملت منهم نصائحاً كرائم، تهدى عن نفوس كرائم
إليك، أمير المؤمنين، حملتها ودائع، كالأموال، تحت الخواتم
50 شهدت، بما أبصرته وعلمته، شهادة بر، لا شهادة آثم
فقممت بها عن السن القوم خطبة، إذا ذكرت لم تخزهم في المواسم

وسار جوهر بعساكر أمير المؤمنين وجيوشه حتى انتهى إلى
برقة، فلقية عاملها من قبل أمير المؤمنين أفلح الناشب مترجلاً
ماشياً، وكان أمير المؤمنين قد تقدم إليه بذلك.

قال ابن حوقل⁽²¹⁶⁾ البغدادي: «برقة بالفتح: مدينة وسيطة بين
مصر والقيروان (ط 144) برقة بحرية جليلة ذات مال جم وضروب
تجارة. وشراب أهلها من برك يستنقع فيها ماء المطر. ذات كور
عامرة في بقعة فسيحة، مسيرة يوم في مثله. ويحيط بالبقعة جبل من
سائر جهاتها، وأرضها حمراء التربة، وثياب أهلها حمراء أبداً،
يعرفون بذلك. وحولها بربر كثير».

وكان أفلح من برقة قد وطأ البلاد واستعمل الجهاد لمن خالف
أمير المؤمنين (عم) من البربر وغيرهم، ومن يلي مصر من القبائل
كبنى قرّة وسواهم من الأعراب. وفي ذلك يقول محمد بن هانيء
من قصيدة مدحه بها⁽²¹⁷⁾:

(216) صورة الأرض، 69 مع اختصار كبير.

(217) قصيدة 55، صادر، 369.

(كامل):

بك دانَ مُلْكُ المشرقين وأهلُه، وأنابَ بعد النكثِ والخُلَعان...
شعر له أيضاً في 40 فبعزمك انهضت قُوى أركانها؛ وبِقُربك امتدَّت إلى الإذعان
مدح أمير
برقة
وطأت، بالغارات، مركبَ عزِّها، والجيش، حتى ذلَّ للرُكبان
فإليك يُنسب، حيث كنت، وإنما
عَصَفَتْ، على الأعراب، منك زعازع، وفكَّت دمَّ الأقرانِ بالأقران
ما قرَّ أعينُ آلِ قرَّة، مذ سقوا، بك، ما سقوه من الحميمِ الأنبي
وقبيلةً قَتَلْتَهَا، وقبيلةً 45 أنكَلَتْهَا بِالْبَرْكِ في الأعطان
أَخْلَى البُحيرة، منهم، والبيد ما خَسَفَ الصَّعيدَ بِشِدَّةِ الرُّجفان
فشغلت أهلَ الخيمِ عن تطنيبها، وأسَمَّتْهم شَرْداً مع الظُّلَّمان
وسَمَّتْ إلى الواحاتِ خَيْلُكَ، ضُمراً، حتى انتهت، قُدماً، إلى أسوان

ووردت الأخبار إلى مصر بمسير جوهر في الجيوش المعزّية،
والجنود والعساكر المغربية، فبهتوا وهلعوا. واتفق وجوههم
وأمرؤهم، فحضر جعفر بن الفضل الوزير⁽²¹⁸⁾ - وكان الحسن بن
عبيد الله بن طغج قد أطلقه وقلده أمر مصر وعاد إلى الشام - فشاور
جعفر بن الفضل الجماعة، فكلّهم رأى المراسلة إلى جوهر بالصلح
والأمان، ولم يختلف في ذلك منهم اثنان. فعندها طلبوا الشريف أبا
جعفر مسلم بن عبيد الله الحسيني⁽²¹⁹⁾ أن يكون رسولهم إلى القائد،
ومتوسطاً بينهم وبينه في الصلح، فأجابهم إلى ذلك وشرط أن يكون
معه الشريف إبراهيم بن أحمد الحسنّي الرّسّي وأبو الطيّب عبّاس
ابن محمّد العبّاسي⁽²²⁰⁾ والقاضي بمصر أبو طاهر محمّد بن

(218) هو جعفر بن الفرات. انظر الاتعاظ، 147 هامش 2.

(219) الشريف أبو جعفر العلوي، من نسل الحسين السبط ومن أشرف مصر
وجوها. ويدعى «النشابة». انظر النجوم الزاهرة ج 4 ص 3.

(220) أو الهاشمي كما سيرد في عهد جوهر.

أحمد⁽²²¹⁾. فطلبهم جعفر بن الفضل وأمرهم بالمسير إلى جوهر مع الشريف مسلم بن عبيد الله الحسيني. وكتب ابن الفضل الوزير كتاباً إلى جوهر القائد بما يريد، وكتب الجماعة كذلك. وسار مسلم فيمن معه إلى القائد في يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة (7 جوان 969)، فوصلوا إلى القائد وهو بتروجة⁽²²²⁾. فأدوا إليه ما به أرسلوا (ط 146)، فأجابهم بما طلبوا وأسعفهم بجميع ما سألوا، وكتب لهم كتاباً هذا فصّه⁽²²³⁾:

عقد الأمان من
جواهر لأهل
مصر

«باسم الله الرحمان الرحيم.

«هذا كتاب من جوهر القائد الكاتب عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله (صلع) لجماعة أهل مصر والساكين بها من غيرها⁽²²⁴⁾.

«إنّه ورد من سألتموه الترسل إليّ والاجتماع معي وهم:

الشريف أبو جعفر أطال الله بقاءه.

وأبو إسماعيل الرّسني أيّده الله.

وأبو الطيّب الهاشمي أيّده الله،

والقاضي / أعزّه الله⁽²²⁵⁾.

102/2

«فذكروا عنكم أنكم آلتستم كتاباً يشتمل على أمانكم في أنفسكم وأموالكم وبلادكم ونعمكم وجميع أحوالكم، فعرفتُهم ما نفذ به أمر مولانا (عم) وحسن نظره لكم، لتحمدوا الله على ما

(221) هو القاضي أبو طاهر الذهلي.

(222) تروجة: انظر عنها تعليق المرحوم الشّيال في الاتعاظ، 148، هامش 1.

(223) أورده المقرئ في الاتعاظ، 148، بلفظ مغاير أحياناً وزيادة ونقصان، وينبّه إلى الاختلاف كلّما دعت الحاجة.

(224) في الاتعاظ: أهل مصر الساكنين بها من أهلها ومن غيرهم، وهو أوضح.

(225) يضيف المقرئ: أبو جعفر أحمد بن نصر.

أولاكم وتشكروه على ما حباكم، وتدأبوا فيما يلزمكم، وتسارعوا للطاعة المفضية بالسلامة لكم. وهو أنه (صلع) لم يكن إخراجُه لهذه العساكر المنصورة والجيوش المظفّرة إلّا لما فيه إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم، إذ قد تخطفتم الأيدي، واستطال عليكم المشرك، وأطمعته نفسه بالاعتدار على بلادكم في هذه السنة والتغلب عليكم والاحتواء على نعمكم وأموالكم حسب ما فعله في غيركم من أهل بلدان المشرق، وتأكد عزمه واشتدّ كلبه. فعاجله مولانا وسيّدنا المعزّ لدين الله (عم) بإخراج العساكر المنصورة، وبادره بإنفاذ الجيوش المظفّرة ليقاتله دونكم ويجاهد عنكم وعن كافّة المسلمين ببلدان المشرق، الذين عمّهم الخزي وغلبتهم الدلّة واكتفتهم المصائب وتتابعت لديهم الرزايا واتّصل عندهم الخوف، وكثرت استغاثتهم وعظم ضجيجهم وعلا صياحهم فلم يُغنهم إلّا من أرمضه⁽²²⁶⁾ أمرهم وأمضه حالهم وأبكى عينه ما نالهم وأسهره ما حلّ بهم: وهو سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين (صلع). ورجا بفضل الله وإحسانه لديه، وما عوّده وأجراه عليه، أن يؤمن من استولى عليه الوهل، ويُفرخ روع من لم يزل في خوف ووجل، وآثر إقامة الحجّ الذي تعطل وأهمل العباد فروضه وحقوقه، للخوف المستولي عليهم⁽²²⁷⁾، إذ لا يأمنون على أنفسهم ولا على أموالهم وقد أوقع بهم مرّة بعد أخرى فسفكت دماؤهم وابتزت أموالهم، مع اعتماد ما عاد به صلاح الطرقات⁽²²⁸⁾ ونفي الفساد عنها وقطع عيث العائنين فيها، ليتطرق الناس وينبسطوا وليختلفوا بالأطعمة والأقوات، إذ كان قد انتهى إليه انقطاع طرقاتها ومادّتها بالخوف، وإذ لا زاجر

(226) أرمضه الأمر: أوجعه وأحرقه.

(227) في الاتعاظ، 149 لخوف المستولي عليهم.

(228) في الاتعاظ، 149: مع اعتماد ما جرت به عادته من صلاح الطرقات.

للمعتدين، ولا دافع للظالمين، ثم تجويد السَّكَّة وصرْفها إلى العيار الذي عليه السَّكَّة الميمونة المنصورية⁽²²⁹⁾ المباركة، وقطع الغش منها، إذ كانت من الثلاث الخصال التي لا ينبغي لمن ينظر في أمور المسلمين إلَّا إصلاحها واستفراغ الوسع فيما يلزمه/ منها.

«وعرّفْتهم» ما أوعز به سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين (عم) إلى عبده من بسط العدل وإظهار الحقّ وحسم الظلم وقطع العدوان ونفي الأذى ورفع المؤن، والمساواة في الحقّ وإغاثة المظلوم ودفع الظلوم وإيثار الحقّ والتقريب والإشفاق وجميل النظر وكريم الصحبة ولطيف العشرة، وافتقاد الأحوال، وحياطة أهل البلد في ليلهم ونهارهم، وحينَ تصرّفهم في أوان ابتغاء المعاش حتّى لا تجري أمورهم إلَّا على ما لمّ شعْتهم وأقام أودهم وأصلح بالهم (ط 148) وجمع قلوبهم وألّف كلمتهم على طاعة وليّ الله مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين (صلع)، وما أمر به مولانا من إسقاط الرسوم الجائرة التي لا يرتضي إثباتها عليكم، وأن أجريكم في الموارث على كتاب الله (عج) وسنة نبيّه (ﷺ)، وأضع ما يؤخذ من تركة موتاكم لبيت المال من غير وصيّة به من المتوفّى⁽²³⁰⁾ ولا استحقاقٍ يصيّره إلى بيت المال، وأن أنقذم في رمّ مساجدكم وتزيينها بالفرش والإيقاد، وإعطاء مؤذنيها وقومتها ومن يؤمّ الناس فيها أرزاقهم وأدرّها عليهم ولا أقطعها عنهم، ولا أدفعها إلَّا من بيت المال، لا بإحالة على من يعطى منهم⁽²³¹⁾.

(229) في المخطوط: المنصورة، والإصلاح من الاتعاط، والعيار المقصود هو الدينار المنصوريّ الذي ضربه المنصور بعد فراغه من ثورة أبي يزيد.

(230) في المخطوط: من المتوفّى به، وهو تأخير ثقل. والمعنى: يحجّر ضمّ مال التركات إلى بيت المال إذا لم يترك الميت وصيّة في ذلك، والجملة بعد غامضة.

(231) في الاتعاط، 151: لا بإحالة على من يقبض منهم، والجملة تبقى على غموضها.

«وعندما ذكر عبد أمير المؤمنين (صلع) ما ضمّنه كتابه هذا [لـ] من ترسل عنكم، أيدهم الله وصانهم أجمعين على طاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين، ذكروا أنكم ذكرتم وجوهاً ألتستم ذكرها في كتاب أمانكم، وذكرتها إجابة لكم وتطيباً لأنفسكم. بل لم يكن لذكرها معنى، ولا في نشرها فائدة، إذ كان الإسلام سنة واحدة وشريعة متبعة: وهي إقامتكم على مذهبكم ومذاهب المسلمين، وأن تُتركوا على ما كنتم عليه من أداء الفروض في العلم والاجتماع عليه في مساجدكم وجوامعكم، وثباتكم⁽²³²⁾ على ما كان عليه سلف الأمة⁽²³³⁾ من الصحابة (رضي الله عنهم) والتابعين بعدهم وفقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمذاهبهم وفتواهم، وأن يجري فرض الأذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقنوت لياليه⁽²³⁴⁾ والزكاة والحجّ والجهاد، على ما أمر الله (تع) في كتابه وفرضه (ط 149) محمّد (ﷺ) في سنته، وإجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه.

«ولكم أمان الله التام الدائم المتصل الشامل الكامل المتجدّد المتأكد على مرور الأيام وكرور الأعوام، في أنفسكم وأموالكم وأهليكم ونعمكم وضياعكم ورباعكم، قليلكم وكثيركم، وعلى أن لا يعترض/ عليكم معترض ولا يتجنّى عليكم متجنّ ولا يتعقب لديكم متعقب، وعلى أنكم تصانون وتحفظون وتحرسون، ونذب

104/2

(232) في المخطوط: وقبائلكم، ولا معنى له ما دام يخاطب أهل الفسقاط ومدن مصر. والإصلاح من الاتعاط ومن المطبوع.

(233) في مخطوطنا: الأئمة، والصواب ما جاء في الاتعاط، إذ يريد جوهر تألف قلوب السنة بمصر، فلا يفرض عليهم من أول وهلة عقائد آل البيت، وذاك ما توضّحه بقية الالتزامات منه.

(234) أي صلاة التراويح، ومعلوم أنّ الشيعة يمنعونها.

عنكم ونمنع منكم، ولا ننزل على أذاكم ولا نساعد أحداً من الأعداء عليكم، ولا في الاستطالة على قوَّيكم فضلاً عن ضعيفكم، وعلى أن لا أزال مجتهداً فيما يعمَّكم صلاحه ويشملكم نفعه ويتَّصل بكم خيره وتتعرفون بركته وتغبطون منه بطاعة مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين (صلع).

«ولكم الوفاء بما ألزمت به نفسي وأعطيتكم إياه من عهد الله وغليظ ميثاقه وذمته وذمة أنبيائه ورسله وذمة الأئمة موالينا آباء مولانا أمير المؤمنين، وذمة مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (ص) وذمة عبده ومملوكه.

«على أنكم تُظهرون طاعة مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين (ص) وتصرّحون بها وتعلنون بالانصراف إليها، وتخرجون إلِّيّ وتسلمون عليّ وتكونون بين يديّ، إلى أن أعبّر الجسر وأنزل في المناخ المبارك، وتحفظون وتحافظون من بعد على الطاعة، وتثابرون عليها، وتسارعون إلى فروضها، ولا تخذلون وليّاً لمولانا وسيّدنا أمير المؤمنين (ص) ولا تنصرون له عدوّاً وتقيمون على ما عاهدتم عليه وتلزمون ما أمرتم به.

«وفقكم الله وأرشدكم أجمعين!

«وبخط جوهر كان هذا الأمان في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وصلى (ط 150) الله على محمّد وآله أجمعين».

وكتب القائد جوهر أيضاً بخطه:

«قال جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين المنتظرين إلى يوم الدين: كتبت هذا الأمان على ما نفذ به أمر مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين

(ص). وعليّ الوفاء بجميعه لمن أجاب من أهل البلد وغيرهم،
على ما شرط فيه.

«والحمد لله ربّ العالمين، وحسبي الله ونعم الوكيل، وصلى
الله على محمّد النبي وآله الطيّين».

وكتب جوهر بخطه بالتاريخ المذكور وكتب الشهود خطوطهم،
وهم:

الشریف أبو جعفر مسلم بن عبد الله بن طاهر الحسيني.
والشریف أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الحسيني الرّسيّ،
وأبو الطيّب العبّاس بن أحمد الهاشميّ،
والقاضي أبو طاهر محمّد بن أحمد،
وابنه أبو يعلى محمد بن محمد،
وأبو بكر محمّد بن مهلب،
وأبو محمّد عمرو بن الحارث المالكيّ.

وأكرم جوهر تزل الجماعة/ وكانوا في ضيافته. وكان يتلقّى
الشریف أبا جعفر إذا جاء إليه، ويخرج معه إذا انصرف من عنده
إلى أن يركب.

105/2

وكانت الإخشيدية والكافورية بعد مسير الرسل إلى القائد
جوهر قد ندموا على الصلح وعزموا على القتال وأخذوا في تعبئة
العساكر وأخرجوا مضاربهم. واتّصل بالشریف مسلم والجماعة الذين
معه، وهم عند القائد جوهر، انتقاض الصلح وما عزم عليه أهل
مصر من القتال، فكتّموا عن القائد خوفاً من أن يعتقلهم ويأدروا إلى
توديعة. فأجازهم وخلع عليهم وحملهم (ط 151) وأعطى كلّ واحد
منهم عشرة آلاف درهم.

أتباع الإخشيد
ينقضون
الصلح..

وبلغ القائد جوهراً بعد انصرافهم انتقاض الصلح، فسار
فلحق بالجماعة بمحلة حفص⁽²³⁵⁾ فقال لهم: «بلغني أن القوم قد
رجعوا عما سألوكم، فردوا عليّ خطي!

فرفقوا به وداروه وقالوا: إذا يُظفرك الله وينصرك!

فقال للقاضي أبي طاهر: مسألة!

قال أبو طاهر: ما تقول؟

فقال له القائد: ما تقول فيمن أراد أن يشق مدينة مصر

ويجعلها طريقاً لجهاد المشركين فمنعوه؟ أيجوز له أن يقاتلهم؟

قال القاضي: نعم.

فقال القائد: هات خطك! وضحك.

فقال القاضي: إذن يكفيك الله!

وكانوا قد خافوه فودّعهم وانصرفوا عنه آمين.

ووصل الشريف أبو مسلم ومن معه إلى مصر⁽²³⁶⁾ لسبع خلون

من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة. فركب إليه الوزير جعفر بن .. ويتأهبون لقتال
جوهري ..

الفضل، واجتمعت عنده الإخشيدية والكافورية وغيرهم. فقرأ عليهم
السجل الذي كتبه القائد، وأوصل إلى كلّ واحد جواب كتابه بما
أراد من الأمان والإقطاع والولاية، وأوصل إلى أبي الفضل الوزير
كتابه بالطف كتاب يخاطب به الوزراء.

ولما قرأ عليهم الشريف السجل، امتنعوا من الصلح، فقال
نحريز: «ما بيننا وبينه إلا هذا السيف!» وتكاثر الإخشيدية
والكافورية ودخل أتباعهم وضائق الدار بهم، وتحاوروا ملياً ثم
قالوا: «إننا لا نقاتل إلا بأمير!» فأمروا نحريز شوزان عليهم، وهو

(235) في المخطوط والمطبوع: محلة حفص، والإصلاح من الأتعاض، 185.

(236) أي الفسطاط.

الأصغر، ونحرير الكبير ممّن سلّم بالإمارة عليه⁽²³⁷⁾. واستخانوا أبا الفضل الوزير فخرج عنهم وخرج عنهم الشريف مسلم. ثمّ إنّ الشريف مسلماً ردّ خطّ جوهر (ط 152) على ما شرط عليه.

106/2

وأخذ القوم في تعبئة العساكر ثمّ/ ساروا عسكرياً بعد عسكر إلى الجزيرة والجزيرة، وتتابع العساكر بالدروع والجواشن والسلاح. ونزل نحرير بالجزيرة وحفظوا الجسور. وابتدأ القتال بالجزيرة في اليوم الحادي عشر من شهر شعبان، وأسر رجال وأخذت خيل من عسكر القائد جوهر. ولمّا ضبطوا الجسر مضى القائد جوهر إلى منية الصيادين⁽²³⁸⁾. فلمّا خافت الإخشيدية والكافورية أن يعبروا من المخاضة، نصبوا مزاحم بن رائق⁽²³⁹⁾ لحفظ المخاضة، فانصرف ابن رائق وترك المخاضة. فثارت الكافورية والإخشيدية إلى المخاضة يوم الأحد وتركوا مفلحاً الوهباني⁽²⁴⁰⁾ وكانوا في قوّة من العدد والعدّة. وكان مسيرهم إلى المخاضة يوم الأحد للنصف من شعبان (4 جويلية 969) فحصلوا بمنية شلقان. فلمّا رآهم القائد جوهر قال لأبي الفضل جعفر بن فلاح: «يا جعفر، لهذا اليوم أراك أمير المؤمنين المعزّ لدين الله» فعبّر جعفر بن فلاح وهو في مركب ومعه الرجال خوضاً حتى خرجوا إليهم⁽²⁴¹⁾. فوقع بينهم القتال وتلاقى الرجال وتفانى الأبطال، فقتل

.. فيعبر إليهم
جعفر بن
فلاح الكتامي..

(237) لعلّة نحرير الأزلغلي أبو الحسن غلام الإخشيد (العيون والحدائق، 409/9 وكتاب الرّولة والقضاة، 269).

(238) في الاتعاظ، 155 وهامش 2: منية شلقان.

(239) مزاحم بن محمّد بن رائق: سيوّلّه جوهر على بعض أعمال الوجه البحريّ (اتعاظ، 167 وهامش 1 و2) ولعلّه كافاه بذلك على تركه المخاضة بدون حراسة.

(240) مفلح الوهبانيّ: لا نعرفه.

(241) المشهور عند المؤرّخين أنّ جعفر بن فلاح عبّر النهر عرباناً في سراويل سابحاً، =

خلق من الإخشيدية وأتباعهم، وانهزمت الجماعة في الليل ودخلوا إلى مصر إلى دورهم فأخذوا ما قدروا عليه. وأنهب تحرير شوزان المؤتمر عليهم من حضره داره وما فيها ثم سار غداة الاثنين سادس عشر من شعبان فاراً إلى الشام. وأما تحرير المسعى الكبير فإنه قُتل بتلك الوقعة في المخاضة.

وأصبح الناس على خوف شديد. وخرجت حرم الإخشيدية والكافورية من دورها حافية ماشية. وجاء أبو محمد الروذباري عامل الخراج⁽²⁴²⁾ وأبو محمد الفرغاني⁽²⁴³⁾ وسائر الناس فزعين جزعين، يهرعون إلى الشريف مسلم الحسيني فأنسهم وقال: «إنا قد لقينا هذا الرجل - يعني جوهراً القائد - وإنا قد وثقنا بعقله وحلمه». فسألوه أن يكتب إلى القائد في إعادة الأمان إليهم. فكتب إليه (ط 153) الشريف مسلم يهتئ بالفتح ويسأله إعادة الأمان كما طلبوا. ثم سألوه أن يزيد كتاباً غير ذلك ففعل، وأرسل رسولاً آخر على نجيب، وجلس الناس عند الشريف مسلم ينتظرون الجواب. ثم جاءت جماعة من أهل مصر كانوا خرجوا إلى القائد جوهراً فامرهم بأمان الناس، وأرسل معهم رجلاً من عيون رجاله ومعه بند أبيض مكتوب عليه / اسم أمير المؤمنين المعز (عم) وبين يديه الأجراس، يؤمنون الناس ويمنعون من النهب، فلم ينهب ولم يغصب على أحد

107/2

= لا في مركب ولا في موكب (الأنماط، 155) وعن هذا القائد الكتامي، انظر رسالة موسى لقبال: دور كتامة، 485.

(242) الروذباري في عبارة القضاء التي نقلها حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، 300، هامش 2. وقد تولى الخراج لجوهر. ولا ندري ما هي علاقته بصالح بن علي الروذباري الذي سيخدم الحاكم الفاطمي أو ابنه عميد الدولة الذي خدم الظاهر (أنماط، 275).

(243) أبو محمد الفرغاني: لا نعرفه كذلك.

شيء. وهدأ الناس وفتحوا دورهم وحوانيتهم وقامت الأسواق كأنها لم تكن فتنة.

ولما كان آخر النهار ورد الجواب من القائد جوهر المعزّي إلى الشريف مسلم مع رسوله فقرأه مسلم لنفسه ثم جهر بقراءته على الناس وهو ما هذا فصّه:

«باسم الله الرحمن الرحيم. وصل كتاب الشريف أطال الله بقاءه وأدام عزّه وتأييده وتمكينه، يهنّئ بما هيّأه الله من الفتح المبارك. وهو، أيده الله، المهنّأ بذلك لأنّها دولته ودولة أهله، وهو المخصوص بذلك⁽²⁴⁴⁾.

.. ويعطيهم جوهر
أماناً
آخر

«وأما ما سأل من الأمان وإعادة الأمان الأوّل، فقد أعدت إليه ما طلب، وجعلتُ إليه عن مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين (ص) أن يؤمّن الناس بما شاء كيف شاء. وقد كتبت إلى الوزير بالاحتياط على دور الهاربين إلى أن يدخلوا في الطاعة، وفيما دخلت فيه الجماعة.

«ويعمل الشريف أيده الله على لقائي يوم الثلاثاء لسبع عشرة تخلو من شعبان بجماعة الأشراف والعلماء وأهل البلدان إن شاء الله» (ط 154).

فلما قرأ الشريف كتاب القائد على الناس فرحوا واطمأنوا وانصرفوا متأهّبين للقائه، وزال عنهم من الخوف ما عراهم. وقال رسول الشريف الذي أرسله إلى القائد، للشريف: «إنّي وجدت عند القائد رأس تحرير الكبير ومبشّر، وبلال الطنبائي، و يمن الطويل في طشت فضّة، ورؤوساً كثيرة مطروحة في ناحية الفازة». ولم يكن صحّ للشريف من قُتل ومن نجا.

(244) لأنّه حسينيّ، فهو فاطميّ أيضاً، هكذا يستدرجه جوهر.

ثم خرج يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان، الشريف مسلم الحسيني وأبو الفضل جعفر بن الفضل الوزير وجماعة أهل مصر إلى الجيزة. فلما اجتمعوا مع القائد جوهر نادى مناديه: «ينزل الناس كلهم إلا الشريف والوزير» فنزل الناس كلهم وسلموا على القائد واحداً واحداً، وأبو جعفر أحمد بن نصر يعرفه بالناس⁽²⁴⁵⁾، ومسلم الحسيني عن يمينه، وأبو الفضل الوزير عن يساره، وهم على دوابهم، حتى سلموا عن آخرهم.

ودخل القائد جوهر المعزّي مدينة مصر يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر شعبان، أحد شهور سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة (6 جويلية 969). وابتدأ الناس بالدخول منذ زوال الشمس فعبروا الجسور بالدروع والجواشن، ودخلت القباب/ والمحامل والرايات. ودخل وجوه العسكر بالأردية يسلمون على الناس كما وعدهم أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (ص) يوم وداعهم له. ودخل بين يدي القائد جوهر ألف ومائتا صندوق من المال.

108/2

دخول جوهر إلى
الفسطاط

ثم دخل القائد جوهر بعد العصر، وينوده بين يديه وطبوله، وعليه قميص ديباج مثقل. وشقّ المدينة ونزل في مناخه⁽²⁴⁶⁾ ثم اختار موضع القاهرة المعزّيّة⁽²⁴⁷⁾ وأخذ في بناء سورها وتحصينها. وأقام العسكر يدخل سبعة أيام من أول يوم الثلاثاء إلى آخر يوم (ط 155) الاثنين. وكان فتحاً عظيماً أتاه الله لوليّه المعزّ لدينه، وقضى سبحانه ببسط يده وتمكينه، وجعله على خزائن الأرض كما

(245) أحمد بن نصر: لعلّه داع بمصر، وسيذكر من جديد في ص 127 عند دخول المعزّ إلى القاهرة.

(246) «المناخ السعيد»: انظر تعليق المرحوم الشّيال في الانتعاض، 152 هامش 1.

(247) وبهذا يسقط كلام إدريس السابق في أنّ كافوراً هو الذي بدأ بناءها (ص 95).

جعل يوسف بن يعقوب عليها. والله يَمَكِّن لمن يشاء من أوليائه في الأرض ويزويها عَمَّن يشاء منهم، اختباراً لعباده، لِيَمَيِّز بعضهم من بعض عدلاً منه وفضلاً وإيثاراً، وابتلاءً سبحانه واختباراً. والحمد لله على ما أولى وعافى وابتلى، وله الآخرة والأولى، وهو الفاعل لما يشاء.

وأزال القائد جوهر أمر بني العباس عن مصر وأعمالها، عن المنابر والسكّة والبنود والرسوم، بعد أن قام أمرهم فيها مائتي سنة وخمسا وعشرين سنة وثمانية أشهر، لأنّ صالح بن عليّ بن عبد الله ابن العباس دخل إلى مصر للنصف من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وكان قتل مروان بن محمد الأمويّ آخر ملوك بني أمية ببوصير لسبع ليالٍ بقين من ذي الحجة من تلك السنة. ولم يزل في مصر أمر بني العباس حتى قطعه جوهر القائد. وأزال لبس السواد في الخطبة، وتلك سنة بني العباس.

ولما كان من غد يوم دخول القائد جوهر، أمر عليّ بن الوليد⁽²⁴⁸⁾ قاضي عسكره ومعه الشرط، وبين أيديهم أحمال الأموال على البغال، فطافوا بها والمنادي ينادي (ط 156): «من أراد الصدقة فليأت!» ففرّقوا تلك الأموال في الصدقات وجاؤوا إلى المسجد الجامع العتيق ففرّقوا الصدقات فيه أيضاً.

وأقرّ القائد جوهر الوزير أبا الفضل جعفر بن الفضل على وزارته، وكان يركب إلى القائد جوهر كلّ يوم في مناخه.

وفي الجمعة لعشر بقين من شعبان سنة ثمان وخمسين، ركب جوهر⁽²⁴⁹⁾ إلى المسجد الجامع العتيق لصلاة الجمعة. وقام الخطيب

(248) الإشبيلي، حسب المقرئ، أتعاض، 165 وفيما يلي (ص 113).

(249) في مخطوطنا: جعفر بن جوهر. وفي المطبوع: «ركب جعفر» (هكذا) بن الفضل بمعية القائد جوهر. والإصلاح من الأتعاض، 162 - 163.

على المنبر وعليه ثياب بيض⁽²⁵⁰⁾ فخطب/ ودعا لأمر المؤمنين
المعز لدين الله (ص) فقال في الخطبة الثانية⁽²⁵¹⁾:

أول خطبة جمعة

بجامع
عمرو يدعى فيها
للمعز

«اللهم، صلّ على عبدك ووليّك، ثمرة النبوة وسليل العترة
الهادية المهدية، عبد الله الإمام معذّ أبي تميم المعزّ لدين الله أمير
المؤمنين، كما صليت على آبائه الطاهرين وأسلافه المنتجبين،
الأئمة الراشدين. اللهم، ارفع درجته، وأعلّ كلمته، وأوضح
حجّته، واجمع الأمة على طاعته، والقلوب على موالاته، واجعل
الرشاد في موافقته، وورثه مشارق الأرض ومغاربها، وأحمده مبادئ
الأمور وعواقبها، فإنك تقول، وقولك الحق: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ
مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء،
105). فقد امتنع لدينك ولما انتهك من حريمك، ولما درس من
الجهاد في سبيلك، وانقطع من الحجّ وزيارة قبر رسولك (ﷺ) فاعدّ
للجهاد عدته، وأخذ لكلّ خطب أهبته، فسير الجيوش لنصرك وأنفق
الأموال في طاعتك وبذل المجهود في رضاك، فارتدع الجاهل
وقصر المتطاول.

«وانصر اللهم جيوشه التي سيرها، وسراياه التي انتدبها لقتال
المشركين وجهاد الملحدين والذّب عن المسلمين وعمارة الثغور
والحرمين وإزالة الظلم والنهم وبسط العدل (ط 157) في الأرض.
اللهم، اجعل راياته عالية مشهورة، وعساكره مؤيدة منصوره،
وأصلح به وعلى يديه، واجعل لنا منك جنة واقية عليه، إنك الفعال
لما تريد».

(250) فقد ترك السواد شعار العبّاسيين، واسم الخطيب في الاتعاظ، 163: هبة الله بن
أحمد، خليفة عبد السميع بن عمر العبّاسي.

(251) يضيف المقرئ: «فلما بلغ إلى الدعاء، قرأه من رقعة». فالأمر جديد عليه
ولعلّ الرقعة وصلت إليه من جوهر

الدينار المعزّي وأمر القائد بنقش سكة الدينار المعزّي، وكان في الوجه الواحد:

لا إله إلا الله محمد رسول الله
أرسله ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة، 33).

عليّ خير الوصيّين ووزير خير المرسلين

وفي الوجه الآخر:

دعا الإمام معدّ لتوحيد الإلاه الصمد
المعزّ لدين الله أمير المؤمنين
ضرب هذا الدينار سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة

وأمر القائد جوهر بالنظر في الخراج، وجلس بنفسه للمظالم
يوم السبت. وكان يحضر مجلسه أبو الفضل جعفر بن الفضل
الوزير، والقاضي أبو طاهر محمد بن أحمد، وجماعة الشهود
والفقهاء. وأقرّ جوهر القاضي أبا طاهر على ما كان عليه من
القضاء، وجعل مع كلّ مصريّ من الشهود مغريباً.

وبادر القائد جوهر حين استولى على مصر/ بالكتاب [ة] إلى
أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (عم) يبشّره بالفتح، وأنفذ إليه
الرؤوس. وكتب أبو جعفر مسلم الشريف الحسيني، وأبو الفضل
جعفر بن الفضل الوزير. وكتب جعفر بن فلاح إلى أمير المؤمنين
يبشّره أيضاً بالفتح، فوصل كتاب جعفر بن فلاح قبل كتاب القائد
جوهر فسرّ أمير المؤمنين وقال للرسول: «اكتبه!» ثمّ وافى كتاب
القائد جوهر وانتشر الخبر. وجلس أمير المؤمنين (عم) للناس
مجلساً عاماً بالمنصورية فهنّاه الناس وأنشد الشعراء بين يديه. فمن
ذلك قول محمد بن هانيء (طويل) (252):

110/2

(252) القصيدة 22 من طبعة زاهد عليّ، صادر، 131

قصيدة ابن هانيء
في فتح
مصر

تقول بنو العباس: هل فتحت مصر؟
وقد جاوز الاسكندرية جوهراً،
وقد أوفدت مصر إليه وفودها،
فما جاء هذا اليوم، إلا وقد غدت
5 فلا تكثرُوا ذكرَ الزمان الذي خلا،
أفي الجيش كنتم تَمْتَرُونَ؟ رُوَيْدَكم!
وقد أشرفت خيل الإلاه طوالعاً،
وذا ابن نبي الله يطلب وتره،
ذروا الورْدَ، في ماء الفرات، لخيـله،
10 أفي الشمس شك أنها الشمس، بعدما
وما هي إلا آية بعد آية،
فكونوا حصيداً خامدين، أو أروعوا
أطيعوا إماماً للأئمة، فاضلاً،
ردوا ساقياً لا تنزفون حياضه
15 فإن تبعوه، فهو مولاكم الذي
وإلا، فبعداً للبعيد، فبينه
أفي ابن أبي السبطين أم في طليقكم

ويقول فيها:

فقد دالت الدنيا لآل محمد،
وردَّ حقوقَ الطالبين من زكت
35 معزُّ الهدى والدين، والرحم التي
من انتاشهم في كل شرق ومغرب،
فكل إمامي يجيء، كأنما

111/2

وقد جررت أذيالها الدولة البكر
صنائعه في آله، وزكا الذخر/
به اتصلت أسبابها، وله الشكر
فبدل أماناً ذلك الخوف والذعر
على يده الشعري، وفي وجهه البدر.

إلى أن قال:
فبشر به البيت المحرم، عاجلاً،
إذا أوجف التطواف بالناس، والنفر

وها، فكأن قد زاره، وتجانفت 55 هل البيت، بيت الله، إلا حريمه، منازلُه الأولى اللواتي يشقنه، وحيث تلقى جده القدس، وانتحت فإن يتمن البيت تلك، فقد دنت وإن حن من شوق إليك، فإنه 60 ألسن ابن بانيه، فلو جئته انجلت حبيب إلى بطحاء مكة موسم، هناك تضيء الأرض نورا، وتلتقي وتدرى فروض الحج من نافلاته، شهدت، لقد أعززت ذا الدين عزة، 65 فامضيت عزمًا، ليس يعصيك بعده، أهنيك بالفتح، الذي أنا ناظر فذاك بيان واضح عن خليفة، رخصنا لكم، يا أهل مصر، بدولة لكم أسوة فينا قديماً، فلم يكن، 89 وهل نحن إلا معشر من عفاته، ومنها:

فيا مالكا، هدي الملائك هديه، ويا رازقا من كفه نشأ الحيا، ألا إنما الأيام أيامك التي 95 لك المجد منها، يالك الخير والعلو، لقد جذت، حتى ليس للمال طالب، وددت لجيل، قد تقدم عصرهم، ولو شهدوا الأيام، والعيش بعدهم

(253) لم يتبع الداعي إدريس في نقله ترتيب الأبيات في الديوان، وقد أعدنا ترتيبها وفقاً لطبعة زاهد علي.

شعر لعليّ بن
عبد الله
التونسي...

وقال عليّ بن عبد الله التونسي⁽²⁵⁴⁾ يخاطب أمير المؤمنين (عم)
ويذكر القائد جوهرًا، من قصيدة:

(كامل)

وإن أعتلى حسنُ الثناء بجوهرٍ فلقد كرمتمُ قائدًا ومُقودا
بدرٍ يسير بأنجمٍ وغضنفرٍ يجترّ في أجَمِ الرماح أسودا
صان الخلافة باذلاً من دونها رأياً على جلّ الخطوب سديدا
/ ومكايداً جاشت أمام جيوشه فتركنَ رُكنَ عُدايته مهدودا
5 فإذا مضى الخطي في آثارها لم يلقَ إلا مشرعاً مورودا (ط 161)
وإذا الأئمة عدّت أسياها لم يلفَ إلا الأوّل المعدودا
وإذا كريم الطبع قرّبه من الشانين، كان من المعاب بعيدا
ذو النية الخالصاء يصفو مذهباً ويطيب أعراقاً ويكرم عودا
والله قدّم وعده لوليّه فتجّزوا بعداكم الموعودا
10 والخيّل حافية إذا لم تتعلّ في وسط مرّتكُم⁽²⁵⁵⁾ النجيع جسيدا

.. ولعبد الله بن
جعفر
السمرقندي في
الموضوع نفسه

وقال عبد الله بن جعفر السمرقندي⁽²⁵⁶⁾ من قصيدة طويلة أولها

(طويل):

ألا فليقرّ الله عين الهدى، فكّم جَلَبَتْ بها من نعمة لشكورها
لئن خَبَرْتُ عن أرض مصرٍ فإنّها إلى الأرض تومي سهلها ووُعوورها
فبورك للإسلام في نيل ثأره وهتّت الدنيا بَعْدَ أميرها
فشَدّت عُرى الإسلام بعد انفصامها وردّت عواري الملك من مستعيرها
5 وقام بحق الله في الخلق قائم أنار سبيل الحق بعد دثورها

(254) لا نعرف عليّ بن عبد الله التونسي، وكنا افترضنا أنه عليّ الإيادي، ولكن
الداعي إدريس سبق له أن ذكر الإيادي باسمه (ص 461) فحجّتنا ضعيفة.

(255) المَرت: الأرض الجرداء والمفاضة.

(256) ولا نعرف هذا الشاعر السمرقندي أيضاً.

ولمّا فشا طغيانُ مصرٍ وأكثرت نوادبُها من ويلها وتُبورها
فجاء مُشيحاً قِدْحُها غيرَ فائزٍ ومَرّت عليها بارحات طيورها
وقابلت النعمى بكفرٍ فأصبحت وقد دارت البؤسى بأكناف دورها
غداةً أبت إلا نفاقاً عصابةً أصاغت إلى ضليلها وغرورها
10 رأت أن قطعَ الجسر وصلَ حياتها فقصرَ ذاك الرأي باقي قصيرها⁽²⁵⁷⁾
وصادمها من جوهر صلدُ صخرة فقضّ من الأعداء صلدَ صخورها
وأجرى بحارَ الجيش فوق بحارها ونابت له آراؤه عن جسورها
(ط 162) وما شعروا إلا به وسطدارهم فأكرمَ بها من روضة وغديرها!
ففرّقهم أيدي سبأ فكأنهم حصيدَ رمته جذوةً بسعيرها
15 كأن رقابَ القوم والهائم وسطها حروفٌ بدت للشكل بين سطورها
فقل لبني العباس: شيموا سيوفكم فقدماً عصيتُم ربكم بصدورها
وليتُم أمورَ الناس شرّاً ولايةً فبدلتُم معروفها بنكيرها
فإن قلتُم: إنا قتلنا أمةً بتبديل غاويها وكفر كفورها
فإننا وجدناكم تسيرون بعدها بأقبحَ من منهاجها ومسيرها
20 سفكتُم دماً قلتُم: طلبنا بثاره وهل يدرك الأوتارَ كُفراً وتورها؟⁽²⁵⁸⁾
دمٌ من كرام لا تطلُّ دماؤها ولا تعدل الدنيا هلاكَ صغيرها⁽²⁵⁹⁾
ولا بدّ أن تُسقوا بكأس سقيتُم بها من يدي مجيئها ومُبيرها⁽²⁶⁰⁾

(257) الإشارة إلى الجسر واضحة وقد أطنب المؤرخون في الحديث عن الجسر المعقود على النيل. أمّا عجز البيت فغامض، ولعلّ فيه تضميناً للمثل المعروف: لأمر ما جدع قصير أنفه، وإلى الحكاية المتعلقة بالزباء وجذيمة بن الأبرش (مجمع الأمثال رقم 1250).

(258) كفّت وتورها في المطبوع، وقراءتنا ظنيّة، على اعتبار وتور جمعاً لوتر بمعنى الثار، فيكون المقصود إذا ترجمنا الاستفهام بمعنى النفي: لا يؤخذ بالثار إذا كُفرت، أي نُسيت وأهملت، الذحول. فبنو العباس تناسوا الثار الواجب لقتلى العلويين، فليس لهم إذن أن يزعموا أنهم ثاروا من بني أمة.

(259) طلّ الدم بالبناء للنائب: هدر ولم يؤخذ بثاره.

(260) اجتثّ الشيء: قطعه من أصله. وأباره: أهلكه. والمعنى غامض هنا أيضاً، =

/ألا سلّموا تلك العواري فإنّها وإن رغمت آتافكم لمعيرها!

تلطف جوهر في
إدخال
الطقوس الشيعية..

ولمّا كان آخر يوم من شهر شعبان من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، ركب القاضي أبو طاهر لطلب الهلال على ما جرت به عادتهم، فلم يره. وأصبح القائد جوهر أوّل يوم من شهر رمضان صائماً، وجماعة أهل عسكره. ثمّ ركب القاضي لرؤية الهلال لشوّال فلم يره، وكان ركوبه في جمع عظيم على عادته. وأصبح القائد جوهر مفطراً، فأقام صلاة العيد في عسكره⁽²⁶¹⁾ وخطب عليّ بن الوليد الإشبيليّ قاضي عسكره، فصلّى في خطبته بعد حمد الله (تع)، على النبيّ وعلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وعلى فاطمة والحسن والحسين والأئمّة، ولعن ظالمهم وخاذلهم، ودعا لأمر المؤمنين المعزّ لدين الله، وذكر جوهرأ فقرّضه.

.. كالاتماد على
الحساب
في الأهلة..

وأصبح أهل مصر إلى المصلّى يصلّون فيه صلاة العيد فصلّوا لأنفسهم، وصلّى بهم رجل هاشميّ يعرف بابن زبرج. وكان معهم في الصلاة القاضي أبو طاهر وخلق كثير. فأنكر جوهر على القاضي ذلك⁽²⁶²⁾، فاعتذر إليه فقبل عذره وأمسك عن القول.

واستأمن نحرير شويزان الذي كان أمر بمصر فأمنه جوهر.

= وفهمنا له على هذا النحو: ستشربون كأس المنية، منّا نحن الفاطميّين، كما شربتموها من بني أميّة حين كانوا يضطهدون آل البيت عامّة، أي عبّاسيّين وشيعيّة معاً.

(261) في الاتعاظ، 165: أفطر جوهر على عدد - أي على الحساب - بغير رؤية. ومعلوم أنّ الفاطميّين يراوحدون بين الأشهر القمرية، شهراً ذا 29 يوماً وشهراً ذا 30، ورمضان له دوماً ثلاثون يوماً.

(262) أنكر عليه مسابقة أهل القسطنطين في الاعتماد على رؤية الهلال مع أنّه أصبح من بطانة جوهر بعد أن أقرّه على منصب القضاء. فجوهر، لئن لم يحمل العامة على أن يتركوا الرؤية ويركضوا إلى الحساب، يطلب من خادمي الدولة الجديدة أن يلتزموا بطقوسها.

.. والصلاة على
الأئمة

وفي يوم الجمعة لثمانية ليالٍ خلون من ذي القعدة أمر القائد
جوهر بالزيادة في الخطبة: «اللهم، صلِّ على محمد المصطفى
وعلي المرتضى، وعلى فاطمة الزهراء البتول، وعلى الحسن
والحسين سبطي الرسول، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم
تطهيراً. اللهم، صلِّ على الأئمة الطاهرين آباء مولانا أمير
المؤمنين».

وعيد القائد جوهر عيد النحر، وأقيمت الخطبة باسم مولانا
أمير المؤمنين المعز لدين الله، والصلاة عليه وعلى آبائه والدعاء
لهم. ونحر القائد وفرّق الضحايا على سائر الناس وأطعم الناس في
مضربه وأكل معهم. ومدحته الشعراء وأجزل لهم العطاء. وتكاملت
الإخشيدية والكافورية المستأمنة بمصر فصاروا أربعة عشر رئيساً
ومعهم من العسكر خمسة آلاف. ورووا عن مسلم بن عبد الله
الحسيني أنه ما سمع قط بمستأمنة في العدة مثلهم، ولكن عمهم
النحس والخذلان فما أخذوا الأمر وهو مقبل، ثم عادوا بعد أن أدبر
عنهم. وذلك أنه بلغ القائد عنهم كلام ساءه منهم.

ثم توفي ولد جعفر بن فلاح فحضر القائد جوهر الجنازة
وحضر معه أكثر (ط 164) الناس وحضرت الإخشيدية والكافورية/
وانصرفوا عن الجنازة مع القائد جوهر. فقال لهم القائد: «قد جاء
كتاب مولانا ومولاكم بما يسركم، فسيروا لتنظروا إليه وتقفوا عليه».
فساروا معه فاعتقلهم في ساعة واحدة، وهم:
نحير شوزان.

114/2

وفتك الخادم الأسود⁽²⁶³⁾.

(263) فتك الخادم وأبو منحل: من قواد الكافورية الذين طردهم الإخشيدون من مصر
فاستنجدوا بالحسن بن عبيد الله بن طنج والي الرملة فقال: لا أحارب ابن
عمي. فمالوا إلى فاتك الإخشيدية - أو فاتك الهيكلي كما في الاتعاظ، 166، =

ودوي الصقلي⁽²⁶⁴⁾.

وحكل الإخشيدى

ولؤلؤ الطويل.

وأبو منحل⁽²⁶³⁾.

ومفلح الوهباني.

ومتلغي التركي.

وفرّج البجكمي، وغيرهم⁽²⁶⁵⁾.

جوهر يعتقل
رؤوس المقاومة

وكان ذلك لخمس بقين من ذي الحجة آخر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة (8 نوفمبر 969). وأقاموا عند القائد معتقلين ستة أشهر في مضربه حتى سيّروهم إلى أمير المؤمنين (عم) كما نذكره. وكان القائد يرسل إليهم في كلّ غداة بالطعام ومع الظهر والعشاء، ويدخل إليهم في كلّ ليلة ويتحدّث معهم ويعدّهم عن أمير المؤمنين بكلّ جميل.

ووردت هدية من أمير المؤمنين إلى القائد جوهر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم (غرة ديسمبر 969) وهي: خمسة وستون بغلاً تحمل مالا، وسبعون حماراً بأحمال محزومة. وفي شهر صفر من هذه السنة وافى عسكر المغرب إلى القائد جوهر، ومعهم خيل من أنعام أمير المؤمنين لعبده القائد

= أو فاتك الهندي عند الذهبي (هامش الكامل حوادث 357) - فقاتلوا جعفر بن فلاح فغلبهم وأسروهم وسيّروهم إلى جوهر. فينبغي إذن التمييز بين فاتك «غلام ملهم» وفتك الخادم، كما فعل المقرئ، 171.

(264) دوي الصقلي: دري الخازن في الاتعاظ، 171.

(265) ينضاف إلى هؤلاء: الحسن بن عبيد الله بن طنج، والحسن بن جابر كاتبه، وابن غزوان القرمطي وفاتك الهندي / الهيكلي غلام ملهم (الاتعاظ).

جوهري. ووافي أيضاً بعد ذلك⁽²⁶⁶⁾ عسكر من المغرب ومعهم أموال
محمولة على الجمال (ط 165).

وأنفذ القائد جوهري جعفر بن فلاح في عسكر عظيم وعدّة
قويّة، وذلك في شهر صفر من سنة تسع وخمسين وثلاثمائة⁽²⁶⁷⁾ وقد
غلبت القرامطة على الشام واستولوا على الرملة، وقد انضاف إليهم
الحسن بن عبيد الله بن طغج، ابن عمّ الإخشيد⁽²⁶⁸⁾.

مسير جعفر بن
فلاح إلى
الشام

وفي يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الأول من هذه
السنة⁽²⁶⁹⁾ صلّى جوهري القائد صلاة الجمعة في جامع أحمد بن
طولون في عسكر كثير. وخطب عبد السميع بن عمر⁽²⁷⁰⁾ وذكر أهل
بيت رسول الله (ﷺ) وذكر فضائلهم ومدح جوهراً ودعا له، وجهر
في القراءة بـ «باسم الله الرحمان الرحيم»، وقد أمر جوهري بالجهر
بها والإعلان فيما يُجهر به من الصلاة. وقرأ الخطيب بسورة الجمعة
وسورة المنافقين في صلاة الجمعة. وأذن المؤذن في جامع ابن
طولون بـ «حيّ على خير العمل»، وأمر جوهري بالنداء به في جميع

الطقوس الجديدة:
الحيعة
والجهر بالبسملة

(266) الأمداد العسكرية من المغرب كانت في دفعتين على الأقل: بقيادة سعادة بن
حيان ثم بقيادة الحسن بن عمّار الكلبي فاتح رمطة (انظر ترجمة سيرة جودر:
الهوامش 265، 294، 462، وكذلك رسالة موسى لقبال، 474).

(267) عند ابن الأثير، 36/7 حوادث 358 وكذلك عند الذهبي في هامش الكامل، أنّ
الوقعة بين جعفر بن فلاح وقلول الإخشيديين بقيادة الحسن بن عبيد الله بن
طغج، ابن أخي الإخشيد، دارت بظاهر الرملة في ذي الحجة 358. ويقول
المقريزي، أتعاض، 173: في النصف من رجب سنة تسع. وكان قبيل ذلك
(ص 170) أرخ إرسال الأسرى إلى إفريقية بـ 17 جمادى 2 سنة 359.

(268) هو ابن عمّ أحمد بن عليّ بن الإخشيد، الطفل المولّى على مصر، ولكنّه حفيد
محمّد بن طغج.

(269) في الأتعاض، 169، كان حضور جوهري هذه الجمعة يوم 8 جمادى 1 سنة 359.

(270) عبد السميع بن عمر العباسي: سيقره المعزّ على إمامة الجامع ممّا يدلّ على
أنّه سرعان ما عمل بالشعائر الجديدة (انظر الأتعاض، 170 و 196).

الأمصار والبلدان. وجهر محمد بن الحسن بن حنيف بـ «باسم الله الرحمان الرحيم» في الجامع العتيق على كره ومضض، وكان مالكيًا⁽²⁷¹⁾. ولمّا مدح عبد السميع القائد جوهر في خطبته ودعا له، لأمه/ جوهر على ذلك وقال له: «ما هذا رسم موالينا».

115/2

وأمر القائد جوهر في الموارث بالرّد على ذوي الأرحام⁽²⁷²⁾ وأن لا يرث مع البنت أخ ولا أخت ولا عم ولا أبن أخ. ولا يرث مع الولد ذكراً كان أو أنثى إلا الزوج والزوجة والأبوان (ط 166) والجدة، ولا يرث مع الأم إلا من يرث مع الأب والولد. فعُمل بذلك في مصر وأعمالها، وذلك مذهب أهل البيت (صلح) والحجج فيه طويلة كثيرة. وقد أتى القاضي النعمان بن محمد (رضي الله عنه) في ذلك بما هو شفاء للصدور وجلاء للقلوب، وليست الحجة إلا على من أنصف وأقرّ بالحق حيث وجد واعترف، لا على من جاحد وكابر وعاند.

تورث ذوي
الأرحام

ولقي جعفر بن فلاح القرامطة والحسن بن عبيد الله بن طنج بالرملة وقد عبّؤوا وأعدّوا واستعدّوا، فوقع بينهم قتال شديد كانت الدائرة فيه على القرامطة ومن والاهم، فولّوا منهزمين وأمكن الله منهم فقتل منهم خلق عظيم وأسر أبو غزوان القرمطيّ والحسن بن عبيد الله بن طنج جميعاً، واستولى جعفر بن فلاح على الرملة. وورد بذلك الخبر إلى القائد جوهر في شهر ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة فسره ذلك. ووصلت الأسرى إلى القائد جوهر لسبع خلون من جمادى الأولى والقرمطيّ اللعين والحسن بن عبيد الله في قبة مكشوفة ومعهما جماعة من الأسارى، فوقفوا عند

(271) لا نعرف هذا الإمام المالكيّ.

(272) في أحكام الموارث عند الشيعة الإسماعيلية، ينظر المجالس والمسائرات، 97 هامش 3، ففيه الإحالات إلى دعائم الإسلام وغيرها.

منية الأصبح⁽²⁷³⁾ نحواً من خمس ساعات واجتمع الناس لينظروا إليهم، وجعلوا يسبّونهم. ثم أنزلوا إلى مضرب القائد جوهر وأدخلوا إلى المعتقلين أصحاب تحرير شوزان (ط 167).

وفي دخول القائد جوهر إلى مصر، وما كان من جعفر بن فلاح بالشام يقول مقداد بن حسن الكتامي:

(الطويل)

ونحن جلبنا الخيل شعثاً ضوامراً من الغرب تجتاب المفاوز أشهراً
عليها الكتاميون من آل حمير ومن لفّ لفّ الجيش من آل بربرا
نهزّ الرماح السمر ما كان ذابلاً طويلاً، ومربوع الأنايب جحدراً
إذا ما نزلنا منزلاً، حشد الدجى إلينا نجوم الليل فيه عسكراً
كتائب لا تالو النبي حفيظة لها، وعلياً والمعزّ وجوهراً
ثمانون ألفاً يلبسون إلى الوغى ملابس حزم خلعة وسنوراً⁽²⁷⁴⁾
يحققون طوع الأمر أروع يعتلي إلى النصر ميمون النقية أزهرها
تلاد الملوك الصيّد من آل هاشم صغيراً، ومولاها كبيراً مؤمراً⁽²⁷⁵⁾
تلبس للحرب المغيرة وأرتدي إلى الحرب برداً نثرة وتأزراً⁽²⁷⁶⁾
10 أخو الحزم إما استقبل النجح مُورداً

شعر للمقداد
الكتامي في
فضائل كتامة

عليه، وإلا استأنف النجح مُصدراً/

إذا زبنته الحرب ردّ بعاعها عليها، وألقى هضبة وتوغراً⁽²⁷⁷⁾

116/2

(273) منية الأصبح: شرقيّ الفسطاط عند ياقوت، وهي في خريطة روفن فست ناشر الكندي، تقع على الضفة الشرقية من النيل في اتجاه دمنهور.

(274) ملابس الخلعة: لباس الزينة. والسنور: ما يلبس من السلاح كالدرع ونحوها.

(275) تلاد القوم: هو الذي وُلد فيهم أو نشأ بينهم. فجوهر ينتمي إلى الأسرة منذ الصغر.

(276) المغيرة: الخيل المُقدمة على القتال، وتلبسها الفارس: التصق بها. والنثرة: الدرع اللينة.

(277) زبنته الناقة: منعته من الحلب. والباع: ماء السحاب والمتاع عامة وهنا: شدائد الحرب.

تورّع أن يدعوه في خلواتها بنو دينه، إلّا الحكيم المدبر
نفث بعده الأملاك كل غنمة خلت، وانتقوه الجواهر المتخيراً
إذا اعترك الخطب انتضى في سواده

عقيقة رأي كالشهاب فنورا

15 سما فحشا ما بين مصر وبرة رثالا وآسدا ضراغم هصرا⁽²⁷⁸⁾

كما اعتصم الطود المقطم ليله يؤم إلى الجند الذي قد تمصرا
فما برحوا فيها حصيداً فإنهم هم جلبوها كدرة الوجه مـ[طرا]⁽²⁷⁹⁾

(ط 168) وهم تركوا أن يأخذوا الأمر مقبلاً

فنگب عنهم أزور الجنب مدبرا

فما ابتكروا إلّا نعاماً مشرداً إلى الشام أو هاما بمصر مكسرا

20 ولما نفى عنها القذى وأدالها من الجذب فاستهدى لها العيش أخضرا

رمى كل ثغر من فضاها بصخرة وسوم تسوياً إلى الشام جعفرا

فسل أي رأس من كتامة جحدري يدرج من في الشام هاما مطيرا

أقام بها سوقا من الضرب في الطلى

فناجز ما بين الفرات ودمرا

فلا تكذبين، لست الغداة بواجد بأنصر من قومي رجلاً وأصبرا⁽²⁸⁰⁾

وأنفذ القائد جوهر بهدية إلى أمير المؤمنين (عم) لسبع عشرة

مضت من جمادى الأولى. وخرج الناس للنظر إليها، وفيها إحدى

وعشرون قبة على النوق: فمنها خمسة مذهبة، وواحدة مرصعة

بالجواهر، القبة وجهاز الناقة الذي عليها، والباقي ديباج وديبقي.

(278) الرثال: أولاد النعام، ولعلها: رجال، الكوكبة المتقدمة من الخيل.

(279) في المطبوع. كره الوجه مطبراً وقراءتنا لمخطوطنا تخمينية نظراً لتداخل الحروف وانطماسها.

(280) لا نعرف قائل هذه الأبيات في تمجيد الكتائبين والفخار بالمغاربة البربر أعوان الدولة.

إرسال الأسرى إلى وخمسون فرساً مسرجة ملجمة وخمسون ناقة مزينة. وتيف إفريقية وخمسون جملاً. وعلى النوق والجمال أحمال محزومة وأقفاص مشدودة وطرائف وطيور. وسار جعفر بن جوهر⁽²⁸¹⁾ مع تلك الهدية إلى المنصورية، وسيّر أبوه معه الحسن بن عبيد الله بن طغج ونحريرا وسائر الأسارى من الإخشيدية والكافورية. فلما خرجوا من البحر وانتهوا إلى البرّ (ط 169) حُلّت عنهم القيود وأركبوا الخيول والجمال بالمحامل. فحين انتهوا إلى أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (صلع) برّهم وأكرمهم وأعطاهم بالقيروان ما يحملهم وأسكنهم دوراً بالقيروان حسنة، وأباح لهم فرشاً وزينة.

وفي شهر رجب من سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، أخرج جوهر القائد مائة وخمسين ألف درهم وأمر بتفريقها على الضعفاء والمساكين وقال: هذه صدقة من مولانا أمير المؤمنين، من عين ماله.

وثار زنبر الأخشيدى في شهر شعبان من هذه السنة / (جوان 970) بناحية من نواحي مصر وحشد وكبس الفرما⁽²⁸²⁾ فأخذ واليها من قبل جوهر ودعا للمطيع العباسي وكتب اسمه على بنوده. فراسله القائد جوهر بالشرىف أبي القاسم يحيى الحسيني⁽²⁸³⁾ ونهاه وعوّذه فلم يقبل وأبى إلاّ تماديا وإصراراً على الفساد والبغي، والعناد والغى. فأنفذ القائد جوهر بالعساكر برّاً وبحراً، وكان زنبر قد كبس

117/2

(281) جعفر بن جوهر: لا ذكر لهذا الابن في كتب التاريخ، ما عدا ابن حمّاد، 46. وإنّما المعروف من أبناء القائد هو الحسين بن جوهر الذي سيكون له شأن في الدولة مع الحاكم خاصّة.

(282) الفرّما بثلاث فتحات: تقع على البحر شرقيّ تنيس في اتّجاه العريش. انظر ابن حوقل، 149.

(283) لعلّه أخو الشرىف مسلم.

صهرجت⁽²⁸⁴⁾ وانتهبها. فأمر القائد جوهر بنهب دوره بمصر وقبض على صهره عليّ بن نصر السراج وأخذ منه له ودائع. وشفع فيه مسلم بن عبيد الله الشريف الحسيني فأطلقه إكراماً له. ثم إن زنبراً عاد وانتهب ضياعاً من أسفل الأرض⁽²⁸⁵⁾. وواقعه عساكر القائد جوهر بصهرجت فانهزم، وتتبعته العساكر فقتلوا كثيراً من أتباعه ومضى على وجهه إلى تنيس، وزكب البحر المالح يريد الشام ثم إلى بلد الروم. وأخذ لزنبير بنود فأدخلت إلى مدينة مصر منكسة. وأنفذ القائد جوهر أسطولاً بالرجال والسلاح في طلب زنبير وكان قد أخذ من دمياط جماعة من المغاربة ليقتلهم فمنعهم منه أهل دمياط (ط 170) وحاربوه. فتوجه في البحر يريد الحمام⁽²⁸⁶⁾ فأخذ في الحمام هو وجماعة من أتباعه وغلمانهم وقيدوا. وورد الخبر إلى القائد بذلك فولّى أعمال زنبير رجلاً يسمى إبراهيم بن أحمد.

ولما كان في ابتداء شهر رمضان ترك الناس رؤية الهلال إذ لم يتبين لهم وصاموا بصوم القائد جوهر وأفطروا بفطره بعد أن حضر دعاة أمير المؤمنين الذين بمصر وأحضروا القضاة والفقهاء وناظروهم وتلوا عليهم قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ. فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ، وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلْتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ (البقرة، 185). وقامت الحجة عليهم أن وفاء العدة ثلاثون يوماً وأقروا بذلك. وعيد القائد جوهر عيد الفطر وخطب الخطباء بذكر الأئمة

مناظرة بين فقهاء
مصر
ودعاة الشيعة في
الاهلة

(284) صهرجت تقع على ثمانين كم في الشمال الشرقي من القاهرة بين طنطا والمنصورة.

(285) أسفل الأرض مصطلح القدامى لمنطقة دلتا النيل، أي أراضي الوجه البحري

(286) الحمام أو ذات الحمام.

من آل محمّد وإشهار فضلهم. وانصرف الناس مع القائد جوهر إلى قصر القاهرة المعزّية المعمور بها فأكلوا معه وأجاز الناس فأحسن إليهم.

وفي أربع عشرة خلت من شهر شوال (20 أوت 970) وافى زنبر أسيراً مع الموكّلين به، واجتمع الناس لإشهاره وهو على جمل ومعه جماعة من أتباعه. وأحضر إلى مقام القائد وعنده القاضي / أبو طاهر والوزير أبو الفضل، فقال القائد لزنبر: أيّ شيء حملك على الخلاف على أمير (ط 171) المؤمنين؟

118/2

قال: هذا عمل هذا. وأشار إلى غلام يدعى نجيباً.
فقال نجيب: لا والله، ما لي في هذا شيء!

فأمر بهم القائد جوهر إلى الاعتقال فما زالوا فيه إلى سنة ستين في شهر ربيع الآخر، وهلك زنبر.

وفي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة افتتح جعفر بن فلاح مدينة دمشق بعد أن قاتل قتالاً شديداً حتى غلب المتغلّبين وهزمهم فولّوا مدبرين، وانصرفوا في الأرض تائهيّن. وهرب القرامطة، ومنهم من ركب البحر إلى الروم. وأقام جعفر بن فلاح الخطبة بأسم أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (عم) في دمشق وأعمالها، وأمر بالنداء في الأذان بحَيّ على خير العمل، ووردت الأخبار بذلك إلى القائد جوهر في ذي الحجة آخر شهور تسع وخمسين وثلاثمائة⁽²⁸⁷⁾.

تغلّب جعفر بن
فلاح على دمشق

قال ابن حوقل البغداديّ: دمشق أجلّ مدينة بالشام، في

(287) دخل جعفر بن فلاح دمشق مرّتين وأقام الخطبة للمرّة الأولى في محرّم 359 (ابن الأثير، 36/7) غير أنّ الشريف أبا القاسم الهاشميّ ألّب عليه أهلها بسبب اعتداءات الكتائب فأنّزله ولم يعد إليها إلّا في المحرّم 360.

أرض وسط بين جبال تحديق بها ومياه كثيرة وأشجار متصلة وزروع ممتدة تعرف بالغوطة عرضها مرحلة في طول مرحلتين، ومخرج مائها من نبعة تعرف بالفيجة⁽²⁸⁸⁾، أول خروجه [ارتفاع] ذراع في [عرض باع] ثم يجري في شعب تتفجر فيه العيون.. ويجري الماء في عامة دورهم وسككهم وحمّاماتهم.. وليس في الإسلام مثل جامعها حسناً وبناءً ورخاماً وذهباً بوجه من الوجوه. هذا قول ابن حوقل⁽²⁸⁹⁾.

وأخرج جعفر بن فلاح تازروف⁽²⁹⁰⁾ في عدد وعدة فبلغ إلى حمص فافتتحها ودان الناس فيها لأمير المؤمنين المعزّ لدين الله (عم). ودخل تازروف سلمية فاتاه أهلها بخط الإمام المهديّ بالله (ص) برفع الخراج عنهم متى ملكت بلادهم، فكتب تازروف إلى جعفر بن فلاح فكتب إليه جعفر: «ارفع الخراج عنهم ولا يلزموا به» ففعل تازروف لهم، على ما خطه المهديّ بالله (عم) لهم.

وفي هذه السنة في ذي الحجة، وافى عشرون جملاً موقرة من متاع وكسوات ومال، للحرمين، من أمير المؤمنين المعزّ لدين الله إلى القائد جوهر.

وكتب ابن فلاح إلى جوهر يستأذنه في تسيير عساكر إلى أنطاكية للغزو، وهي في أيدي النصاري من الروم فأذن له القائد بذلك فندب عبد الله بن عبيد الله (ط 172) الحسينيّ أخا مسلم وأنفذ معه غلامه فتحا وأعطاهم مالاً كثيراً وسير معهم من دمشق عساكر عظيمة فساروا في نحو من عشرين ألفاً ونزلوا على أنطاكية وحاصروا

(288) الفيجة بالكسر: هي مخرج نهر بردى حسب ياقوت.

(289) نقل مختزل عن كتاب صورة الأرض، 160 - 161 والإضافات منه والتصويب.

(290) لم نهتد إلى معرفة هذا القائد من أعوان الكتاميّ.

من فيها وضيّقوا عليهم حتى أشرفوا على فتحها. ثم جاءت عساكر الروم بما لا قبل لهم به فخافوا على من معهم من جيوش المسلمين فانصرفوا إلى دمشق.

وكثر مؤنة جعفر بن فلاح وانبسطت عطاياه وصلاته إلى مصر وإلى المغرب، وعظم سلطانه وخافته الروم وخافه صاحب بغداد. ودانت البلاد لأمير المؤمنين المعزّ لدين الله (عم) وخطب له بالحرمين وفي السند مع انتشار ملكه في جميع الغرب إلى أقصى نواحيه وفي مصر والشام، ودعاه في جميع الجزائر ظاهرون ومستترون، ودان الناس بمعرفة فضله ووضح للخلق عظيم محلّه.

119/2

* * *

وأراد أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (عم) أن يقيم حجة من أولاده يستودعه أمر الدنيا والدين، ويجعله وليّ عهد المسلمين. وكان ولده الإمام العزيز بالله نزار بن معدّ في حدّ الطفولية⁽²⁹¹⁾. فأقام ولده عبد الله بن المعزّ واستودعه الأمر حتى بلغ ولده نزار العزيز بالله أشدّه، وفوض إليه عهده.

المعزّ يعين ابنه
عبد الله
إماماً مستودعاً...

وكان الأمير عبد الله بن المعزّ ذا فضل عظيم ومقام كريم، إلّا أنّ (ط 173) الإمامة لم تكن فيه بل صارت بعد المعزّ إلى ابنه نزار (عم). قال منصور الكاتب الجوزي فيما ذكر من تشريف الأئمة لعبدهم جوذر الذي كان على أيديهم خلاصه وعتقه، وإخلاصه وسبقه: «قد تقدّم ذكرنا ما كان من إكرام القائم بأمر الله صلوات الله عليه وتشريفه للأستاذ جوذر بإفراده واختصاصه بأخذ العهد عليه

(291) ولد نزار بالمهدية سنة 344، فعمره في هذه الآونة يزيد على خمسة عشر عاماً وهي سنّ لا تحول دون ولاية العهد. ولعلّ هذا التبرير من مؤرخي الشيعة محاولة لإخفاء الحزازات التي تحدث في الأسرة الحاكمة عند كل تعيين. ومعلوم أنّ البكر من أولاد المعزّ هو الشاعر تميم، وقد عين فيما قبل ثم عزل. انظر الهامش 467 من ترجمة سيرة جوذر ففيه معلومات ضافية.

.. ويستكنتم
جوفراً سرّ
التعيين

للمنصور بالله صلوات الله عليه وأنّ الأستاذ كتم ذلك سبع سنين ثم فعل به ذلك الإمام المعز لدين الله صلوات الله عليه بأن أخذ عليه للأمير عبد الله مفرداً بالمهدية في السفرة التي حمل المال منها فكنتم الأستاذ ذلك عنه حسب ما أمر به سبعة أشهر، ثم إنّ مولانا صلوات الله عليه أخذ بعد سبعة أشهر، على غيره مثل محمد بن علي ومحمد بن الحسن وعسلوج بن عسكر وغيرهم⁽²⁹²⁾، واستكنتمهم ذلك. وكان الأستاذ إذا تقرّر عنده علم وليّ العهد لم يلتفت بعد الإمام إلّا إليه حتى إنّ كان يقول في كثير من الأوقات من حيث يسمعه الإمام: «إنّما هو الله مفترض الطاعة، والإمام في عصره بعد أبيه، ومن أشار إليه من ولده وجعله وليّ عهده. والباقي كلّهم لهم المودة في القربى لا غيرها». فلما خرج مولانا عليه السلام إلى المهدية لشدّ ما بالخزائن من الأمتعة ثم رجع مولانا عليه السلام إلى (ط 174) دار ملكه واحتاج الأستاذ أن يتحرّك من المهدية أمر مولانا صلوات الله عليه أولاده وإخوته بالخروج للقائه وجميع رجال الدولة، ولم يحُدّ مولانا عليه السلام [للاستاذ] كيف يُسلّم على الأمراء أولاده ولا من يقمّ منهم ولا من يؤخّر، وكان مولانا عليه السلام مشغولاً بالضمير: كيف يكون سلامه عليهم؟ وكانت أعين العوام ذلك الوقت تنظر إلى ولد مولانا عليه السلام الأكبر وهو تميم. فلما قرب منهم الأستاذ عجل على ما في نفسه من إقامة الحق وإفراد من خصه الله به: فقصد الأمير عبد الله صلوات /

120/2

(292) محمّد بن الحسين في المخطوط، والإصلاح من السيرة، 139. وهو محمّد بن الحسن بن عليّ الكلبيّ (انظر الهامش 373 من ترجمة ماريوس كانار للسيرة). وعسلوج قد يكون، حسب كانار (هامش 469)، «عسلوج بن الحسن الدنهاجيّ الكتاميّ» الذي خدم المعزّ ثمّ العزيز فالحاكم بمصر وانظر رسالة موسى لقبال في الفهرس أمّا محمد بن عليّ، فلا نعرفه.

الله عليه فقَبِل الأرض بين يديه ثُمَّ قَبِل ركابه . وكان من حَفِيف الأمير عليه ما كاد أن يسقطَ له عن سرجه من التواضع . ثم ركب الأستاذ فلم يلتفت إلى غيره ولا سلّم على أحد سواه ، ف وقعت في قلوب أولئك خجلة ، ونظر الناس من هذا إلى أمر عظيم ، فمنهم من يصوِّب رأيه فيما فعله ومنهم من يخطئه ، فلما اتصل بمولانا عليه السلام فعله وما كان منه من ذلك سُرَّ سروراً عظيماً وقال :

«لم يزل جوذر موقفاً مذ كان!» .

ثم لما وصلوا وانصرف الأستاذ بعد السلام على مولانا عليه السلام ولم يخاطبه على ذلك آشتد ذلك على أهل القصر من الحرم ، وأومأوا إلى جوذر بلوائم عظيمة تشوبها حِدَّة⁽²⁹³⁾ . ولما وقف الأستاذ على ذلك من فعلهم أدركته نفسه إذ لم يخاطبه مولانا عليه السلام على ذلك بشيء ، فكتب رقعة إلى مولانا صلوات الله عليه يصف ما كان وأنه قصد بذلك أفراد صاحب الحقّ دون غيره إذ لا يسعه في دينه غير ما فعله ويصف (ط 175) ما حلّ عليه من أهل القصر وغيرهم من أصحاب الآراء الفاسدة . فلما وقف أمير المؤمنين (عم) على رقعته صرف إليه الجواب ، وهذه نسخته :

«يا جوذر، سلّمك الله! والله ما محلّك عندنا إلا المحلّ الذي أحللت نفسك لاتباعك رضى مواليك ولأنك لم تخلط بهم غيرهم، وبذلك أسعدك الله في دنياك وأخرأك، وقد كان لك في تقبيل أيديهم كفاية عن تقبيل الأرض، فما نميزك، علم الله، منهم إلا بما يخصّ الله به من اختصّه منهم. وقد أجبت من ذكرت عليه⁽²⁹⁴⁾ واعتذرت أنا عنك بأنك قد سلّمت على الجميع أولاً بما

(293) في السيرة، 140: تنبوا بها جدوده.

(294) هذه رواية السيرة، 140. أمّا مخطوطنا، ففيه: وقد حسب من ذكرت عليك. والعبارة تبقى غامضة.

ذَكَرْتُ مِنْ تَقْيِيلِكَ الْأَرْضِ. وَقَدْ وَفَّقَكَ اللَّهُ فَمَا تَبَالِي مَنْ سَاءَ أَوْ سَرَّه. أَتَمَّ اللَّهُ عَلَيْكَ النِّعَمَ وَوَهَبَ لَكَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

ثُمَّ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَم) نَوَّهَ بِاسْمِ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْزِّ وَرَفَعَ قَدْرَهُ وَأَعْلَى ذِكْرَهُ وَجَعَلَهُ صَاحِبَ حَضْرَتِهِ، وَالْقِيَمَ بِأُمُورِ دَعَاتِهِ، وَالسَّائِسَ لِجَمِيعِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ. وَقَدْ كَانَ الْمُعْزُّ لِدِينِ اللَّهِ نَوَى الْهَجْرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ. وَوَافَقَ ذَلِكَ خِلَافَ مَخْرَمَةِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَزَرَ⁽²⁹⁵⁾ فِي جِهَاتِ الْبَرْبَرِ وَجِبَلِ أَوْرَاسٍ، وَاسْتَمَالَ رِعَاعَ النَّاسِ وَبَغَى فِي أَطْرَافِ الْمَمْلَكَةِ وَثَارَ مَعَهُ الذَّعَارُ وَأَهْلُ الْفَسَادِ وَالْمَرِيدُونَ لِلْبَغْيِ فِي الْبِلَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يَحْيِيَ مَا مَاتَ بِمَوْتِ الدَّجَالِ مَخْلَدُ بْنُ كَيْدَادٍ. فَأَرَادَ الْمُعْزُّ لِدِينِ اللَّهِ (عَم) أَنْ يَقْطَعَ مِنَ الْفَسَادِ دَابِرَهُ، وَيَتَّبِعَ بِأَوَّلِهِ آخِرَهُ، وَيُدِيرَ عَلَى الَّذِينَ بَغَوْا فِي / الْأَرْضِ سُوءَ الدَّائِرَةِ، سَيِّمًا مَعَ مَا أْزَمَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْهَجْرَةِ، لَثَلًا يَعْمُ ذَلِكَ الْمَغْرِبَ، وَيَخْتَلَّ أَمْرُ الْمَمْلَكَةِ وَيَضْطَرِبَ (ط 176). فَخَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْزُّ لِدِينِ اللَّهِ (عَم) بِنَفْسِهِ، وَمَعَهُ ابْنُهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْمُعْزِّ، فِي عَسَاكِرٍ عَظِيمَةٍ وَجُنُودٍ كَثِيفَةٍ وَعَدَّةٍ قَوِيَّةٍ، لَطَلَبَ الثَّائِرَ الْمَعْرُوفَ بِأَبِي خَزَرَ، وَصَلَاحَ أَمْرِ الْمَغْرِبِ. وَكَانَ خُرُوجُهُ (عَم) لِسَبْعِ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ فِي سَنَةِ 358 (8 سِبْتَمْبَر 969). قَالَ مَنْصُورُ الْكَاتِبِ الْجَوْزِي: «وَلَمَّا اعْتَرَمَ مَوْلَانَا عَلَى الْخُرُوجِ فِي طَلَبِ الثَّائِرِ الْمَعْرُوفِ بِأَبِي خَزَرَ أَمْرَ الْأُسْتَاذِ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَهْدِيَّةِ لِإِحْكَامِ مَا بِالْخَزَائِنِ الَّتِي بِهَا، وَشَدَّ الْأَمْتَعَ إِلَى الْمَشْرِقِ، وَخَاضَ النَّاسَ وَأَكْثَرُوا مِنَ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْأُسْتَاذَ هُوَ الْمُسْتَخْلَفُ عَلَى إِفْرِيْقِيَّةِ⁽²⁹⁶⁾، وَكَتَبَ إِلَى مَوْلَانَا صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ

(295) هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطِ وَالْمَطْبُوعِ، وَلَمْ نَعثرْ قَطَّ عَلَى اسْمِ مَخْرَمَةَ هَذَا. وَسَيَّاتِي بَعْدَ قَلِيلٍ كُنِيَّةُ هَذَا الثَّائِرِ: أَبُو خَزَرَ. وَتَمَرَّدَ أَبِي خَزَرَ ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ، 35/7 وَابْنُ وَخْلَدُونَ، 48/4 تَحْتَ سَنَةِ 358.

(296) هَذِهِ الْإِشَاعَاتُ تَدْعِمُ الْخَبَرَ السَّابِقَ، مِنْ أَنَّ الْمُعْزَّ كَانَ يَنْوِي مَغَادِرَةَ الْمَغْرِبِ مِنْذُ اسْتِيلَاءِ جَوْهَرٍ عَلَى مِصْرَ، أَيِ مِنْذِ شَعْبَانَ 358.

يعرف ما اتصل به من ذلك، ويرغب إليه في أن لا يفارقه، إذ السعادة مقرونة بنظره إلى وجه أمير المؤمنين، فوقَّع إليه على ظهرها:

«يا جوذر، وقفنا على رقعتك هذه، هذا شيء يقوله الجهال من الناس، ومن لا يعلم ما نحن فيه، ولا والله ما رأينا هذا فيك لوجه، أولها: أنا نحَبُّ أن لا ندُخِر عنك نعم الله عندنا وأن تكون مُشابهَها. والثانية: أنك لست ممَّن نستثقله فيجب الراحة منه. والثالثة: كبر سنَّك في طاعة الله وطاعتنا. والرابعة: أنك لا تجد من يصفو لك على ما تريد من فساد أطماع الناس وطباعهم الآن، فأنت لا تجد معيناً ولا عضداً، ولا من يقوم بين يديك فضلاً عن غير ذلك. فلا تحدِّث نفسك بما يضعف قلبك، فوالله ما تركناك ههنا إلا شفقة عليك ورحمة لك، ونحن نعلم أنك لو كنت غائباً عنا لمثل هذه الغاية لم تكن من الأحياء. إلى اليوم، فطب نفساً، فلن تزايلنا حتى تقضي حجَّك وتزور قبر جدنا محمد صلى الله عليه بفضل الله علينا وعليك، فوحقَّك ما أملنا فيك في سرِّنا إلا كالذي ذكرنا وأزيد من الخير والجميل، ونحن نتوخَّى لأهل هذا الزمان من نرجوه لهم ويصلحون له إلى أن نبلغ المراد، ويرينا الله وجه الصواب، وليتنا نجد فيمن نتركه ههنا مثل نيتك وحدبك على دولتنا، والله يخير لنا ويختار بحوله وقوَّته إن شاء الله».

ولَمَّا أن خرج مولانا صلوات الله عليه في سفره إلى بسكرة⁽²⁹⁷⁾ وتوجَّه الأستاذ إلى المهدية، اجتاز أمير المؤمنين بعين

(297) لم تذكر المصادر خروجاً إلى بسكرة من المعز. ففي ملاحقته لأبي خزر سنة 358 لم يتجاوز باغاية. ولعلَّ المؤلف - أو المصدر الذي ينقل عنه - يعني الوجهة التي نواها المعز عندما عزم على مطاردة الثائر، ومعلوم أنَّ ثوار زناتة يلجؤون إلى الصحاري والرمال كلما كبستهم الجيوش النظامية (انظر ترجمة السيرة، التعليق 371).

تعرف بعين كسرى⁽²⁹⁸⁾ فوقف عليها، وذكر الأستاذ وقال:

«ذكر الله جوذرا بخير، فإنه كان يسره الوقوف على هذا الماء والشراب منه، هلموا جراراً خضراً!»

فأتني بها، وملئت بين يديه/ وختمت، وأنفذها، وكتب معها
122/2 رقعة إلى محمد الكاتب⁽²⁹⁹⁾ نسختها:

«يا محمدا! ابعث إلى جوذر سلّمه الله بتوقيعنا هذا تعرّفه أنا ذكرناه بعين كسرى، ذكره الله بالرحمة والعافية، وأنا أمرنا أن يملأ له بين أيدينا من رأس العين حملان ماء، وأنفذناهما إليه، وبعثنا إليه أيضاً بخمسة دنانير من السكة المباركة المضروبة بمصر على أسمنا⁽³⁰⁰⁾ بفضل الله وعظيم امتنانه ليراها ويتبرّك بها، وأرجو أن يمدّ الله في عمره حتى يحجّ معنا ونعطيه ممّا يضرب لنا ببغداد، وقد أكمل الله لنا الآمال. وعرفه ما نحن عليه من السلامة (ط 178) وتتابع النعم وما معنا من الجموع التي يستعملها الله فيما يرضيه على إرغام أعدائنا حيثما كانوا فليطب نفساً، فما لنا إلّا كلّ خير يسره الله به، والحمد لله كثيراً كما هو أهله»⁽³⁰¹⁾.

ثم سار أمير المؤمنين (عم) من فوره بعساكره تلك حتى التغلب على أبي
خزر

(298) عين كسرى: لا ضرورة أن تكون هذه العين قرب بسكرة كما فهم ماريوس كانار في تعليقه المشار إليه آنفاً، بل قد تكون في أيّ موضع بين القيروان وباغاية، نهاية تحرك المعز. ونحن نفترض أنها تقع بقرية «كسرى» الجبلية على 16 كم في الجنوب الشرقي من مدينة مكتر. فهي إذن في أحواز القيروان، كما يؤيد «وقوف جوذر على هذا الماء وشربه منه» وهو وقوف متكرّر على ما يظهر.

(299) هو محمد بن عثمان، أحد كتّاب الأستاذ جوذر (السيرة 97 وترجمتها، هامش 103).

(300) هي الدنانير التي وصفها المؤلف في ص 109 من هذا السبع.

(301) سيرة جوذر، 110 - 111.

استأصل المفسدين وقطع آثار الملحدين، وأمكنه الله من الفاسق مخرمة⁽³⁰²⁾ بن محمد بن خزر فقتله في وقعة عظم بأسها واشتد مراسها، وقتل معه من أتباعه خلق عظيم، فخدمت الفتنة وقرت، وهابت الأعداء وفرّت، واطمأنت القلوب واستقرّت.

ورجع الإمام (عم) إلى المنصورية موفقاً منصوراً، مؤيداً مجبوراً. وطيف بالرؤوس في جميع البلدان، وأنفذ منها إلى مصر ليرغم أولي الشنان، وتطمئن قلوب أهل الإيمان.

قال الحسن بن إبراهيم بن زولاق: «وفي شعبان من سنة ستين وثلاثمائة، وردت رسل أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (عم) برأس مخرمة بن محمد بن خزر⁽³⁰³⁾ ومعه ثلاثة آلاف رأس من أصحابه، فطيف بهم في مدينة مصر والقاهرة، ومعهم شيخ على نجيب يتكلم عليه وعليهم ويسبهم».

وفي يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة من شعبان [360] - 9 جوان 971⁽³⁰⁴⁾ قرىء على منبر الجامع العتيق كتاب المعزّ لدين الله (عم) إلى القائد جوهر بخبر مخرمة بن محمد بن خزر وأصحابه، وفي الكتاب الوصية بأهل مصر.

(302) يتواصل ذكر مخرمة المجهول. ولعلّ المؤلف وهم في الاسم والتواريخ معاً: فثائر 358 - أبو خزر - لم يقتل، بل تاب وأناب في ربيع الثاني 359 فقبل المعزّ توبته «وأجرى عليه الرزق» (ابن الأثير، ج 7 ص 35). أمّا ثائر 360، فهو محمد ابن الخير بن خزر، ولم يقتله المعزّ، بل انتحر حين كسه بلقين بن زيري في محلّته (أبن الأثير، 43/7) وكان ذلك في 17 ربيع الثاني 360 (الاعتاظ، 180 وابن خلدون، 49/4). والرؤوس الواصلة إلى القاهرة في كلام ابن زولاق الآتي هي بدون شك رؤوس محمد بن الخير وأصحابه.

(303) لا ندري هل ذكر اسم مخرمة حقاً عند المؤرخ المصري.

(304) أضرب الداعي إدريس عن بقية أخبار سنة 358، وانتقل إلى أخبار سنة 360، ولعلّ تشابه الأسماء والكنى والألقاب، أبي خزر وابن خزر، هو الذي أوقعه في هذا الوهم وفي الاختصار المخل.

وقال ابن هانئ الأندلسي يمدح أمير المؤمنين المعز لدين الله
(صلع) ويصف الوقعة ويذكر (ط 179) الأمير عبد الله بن المعز فيها،
من البسيط (305):

123/2

قصيدة ابن هانئ
في التشفي
من آبن خزر

كذابك ابن نبي الله لم يزل
أين الفرار لباغ أنت مذكره،
هيهات يضحى منيع منك ممتنعاً،
ولو غدا بخلوب الليث، مذرعاً،
5 أما العدو، فلا تحفل بمهلكه،
وأني مستكبر يعيا عليك، إذا
خافوك، حتى تفادوا من جوانحهم،
ما يستقر لهم رأس على جسد،
هذا المعز، وسيف الله في يده،
10 وهذه خيله غراً، مسومة،
إذا سطا، بادرت هام مصارعها،
ويقول فيها:

أردت سيوفك جيلاً من فراعنة،
20 هم استبدوا بأسلاب الليث، وهم
من عهد طالوت، أو من قبله، اضطربت
لقد قصمت من ابن الخزر طاغية
إذ لا يزال مطاعاً في عشيرته،
لم يفتؤوا لقديم الدهر كالجبل
جزوا نواصي أهل الخيم والحلل
تغلي مراجلهم غيظاً على الملل
صعب المقادة، أباء على الجدل
تلقى إليه أمور الزينج والبجل

(305) القصيدة 43 في طبعة زاهد علي، وص 275 في طبعة صادر وتسبقها عبارة
مقتضبة في الديوان. يمدح المعز ويذكر أسر ابن الخزر. وليس في القصيدة
ما يشعر بالأسر، بل نفهم من البيت 22: «لقد قصمت من ابن الخزر طاغية...»
أن الثائر قد قتل: فهو بلا ريب محمد بن الخير المتحدر في ربيع 2 سنة 360.
هذا، وقد خلط المرحوم زاهد علي شارح الديوان بين أبي خزر - ثائر
سنة 358 التائب - ومحمد بن الخير (مقدمة تبين المعاني، 44 - 45)، وهو
معدور، إذ قد خلط الداعي إدريس أيضاً.

٢
 مملوك
 ولو غدا ينجوب الليث مدبراً أو بات بين نحيبي في السجدة السجل
 أما العدو فلا تحفل بمملكته فاعاها كالغنى في السلوك
 وأني مستكين لك على إذا فذات الضحى فلا تسأل من أنزل
 إلى تحاموا وزروا خافوك حتى تقادوا من جوارحهم فاني أبعث فيها من كثر الوكيل
 ما يستتر لكم رأس على جسده كان أجسامهم يلقين بالليل
 هذا للعرس سيف الله في يده فعمل الأعداء بالدم من قبل
 وهذه خيله غراه مسومة ذبحت من ذنوبها في النجاة السجل
 إذا سطا بادرت عام مصارحاً كأنما تشق الدرس للقبيل
 أن ذنوبك سيفك جيله من فواعله لم يفتا قديم الدهر كالجبل
 هم استبدوا بأسلاب اللبوس ثم جزوا نواحي أهل التميم والجلل
 من عهد طاهرت أو من قبل الضمير تغلي مواجهم ضياعاً على الليل
 لقد همت من الخزي طاعية في حبها للقاء آباء على الجبل
 إذا لا يزال مطاعاً في شيرته تلقى اليد أموم الزنج والبخل
 يكاد يقضي مقادير السماء إذا نهضت بين النيل والابل
 حسمت منه قديم الدار متصلاً بالبالا لميلاد بالي ربي هزل
 إذا استأملت شجرة القديم الذي لم يزل
 ذكر الزمان وهو ورواها من
 المثلث (أو المثلث) وهو ورواها من

٣
 كالمحصر

يعلو

ما يستتر لكم رأس على جسده كان أجسامهم يلقين بالليل
 هذا للعرس سيف الله في يده فعمل الأعداء بالدم من قبل
 وهذه خيله غراه مسومة ذبحت من ذنوبها في النجاة السجل

لم يفتا

هم استبدوا بأسلاب اللبوس ثم جزوا نواحي أهل التميم والجلل
 من عهد طاهرت أو من قبل الضمير تغلي مواجهم ضياعاً على الليل
 لقد همت من الخزي طاعية في حبها للقاء آباء على الجبل

يعصي

جامع الدين
المستخرج
معتمد الرسل والنبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والكفار بالوحد

وهو جبابرة الذين خافوا في انزل الله فيهم حبيبه فتلقى
قد تكبروا في حبه نازح من غير شك بشارته الى من تشرعوا من قبل
(م يقول فيها)

من الذين الحزن من ما يستند له انما بالشرع من من علم نزل
من صغر الشرع والاعمال الى من فيهما من ملك الامم والملك
المستقران بالانبياء الذين

وطبق الذين من معالي حبيب خيلوا في جلاله الحملك الجليل
واوهموا في خيلهم ما الزاوا في حبه من انزل الله فيهم
(م يقول فيها)

فقد توطد امر الملك فيه وقد نذبت له اليد غني مستطاع
لما شئت بهيد الله عروته اذ لكت منه حصونه الامم لم يحزن
الانبياء الذين

عرفت في كل صنع الله عارفه فاما ثم يفعل غني مستطاع
والاختيارك فضل الوحي لك لانه تاتي لما في الامم على فعل
مستهد بالليل الله تسجعه به وقادح الزناد الحكمة الاول

وان ملكا اقر الله بجهنم بابن الامام الملك غير مستقبل
لوفازع النعم بما اعياء من قبله في انزل الله المقدور لم يحزن

قد نيت من بركات الامم الى من ما لا يفي في اليد الملك في الامم
هو في الامم الذين في الامم الذين في الامم الذين في الامم

يَكَاذُ يَعْصِي مَقَادِيرَ السَّمَاءِ، إِذَا 25
حَسَمَتْ مِنْهُ قَدِيمَ الدَّاءِ، مُتَّصِلًا
بِالْجَاهِلِيَّةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا بِالْعَدَى هَزَلَ
مَنْ جَاوَدِيَ الدِّينَ وَالْحَقَّ الْمُنِيرَ، وَمِنْ
وَمِنْ جَبَابَرَةِ الدُّنْيَا، الَّذِينَ خَلَوْا،
وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ وَحْيَهُ، فَتَلِي... .

ويقول فيها:

45
قَدْ قَرَّرْتُ كُرْسِيَّ عَدْنَانٍ وَمَنْبَرُهَا
مَنْ لَا يَرَى الْعَزَمَ عَزْمًا يُسْتَقَادُ لَهُ،
مَنْ صَغُرَ الْمَشْرِقَيْنِ الْأَعْظَمَيْنِ إِلَى
وَطَبَّقَ الْأَرْضَ، مِنْ مِصْرَ إِلَى حَلَبَ،
وَأُورِدَتْ خَيْلُهُ مَاءَ الْفُرَاتِ، فَمَا
بِفَاتِحِ الْمُذْنِ قَسْرًا، مُؤْمِنِ السَّبُلِ
إِذَا جِبَالُ شُرُورِي مِنْهُ لَمْ تَزَلْ
مَنْ فِيهِمَا، مِنْ مَلِكِ الْأَمْرِ، أَوْ بَطَلَ
خَيْلًا وَرَجُلًا، وَلَفَّ السَّهْلَ بِالْجِبَلِ
صَدْرَنَ حَتَّى وَصَلَنَ الْعَلَ بِالنَّهْلِ... .

ويقول فيها:

65
فَقَدْ تَوَطَّدَ أَمْرُ الْمُلْكِ فِيهِ، وَقَدْ
لَمَّا شَدَّدَتْ، بِعَبْدِ اللَّهِ، عُرْوَتَهُ،
عَرَفَتْ، فِي كُلِّ صُنْعِ اللَّهِ، عَارِفَةً،
وَلَاخْتِيَارِكَ فَضْلُ الْوَحْيِ، إِنَّكَ لَا
مُسْتَهْدِيًا بِدَلِيلِ اللَّهِ، تَتَّبِعُهُ،
70
وَأِنْ مُلْكًا، أَقَرَّ اللَّهُ قُبَّتَهُ
لَوْ نَازَعَ النُّجْمَ مَا أَعْيَاهُ مَنَزَلُهُ؛
قَدْ فِثَتْ، مِنْ بَرَكَاتِ الْأَبْطَحِيِّ، إِلَى
/تَوَالَتْ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ لَهُ،
أَلَيْسَ، أَوَّلَ مَا سَاسَ الْأُمُورَ، أَتَتْ،
75
فَالْفَتْحُ مِنْ أَوَّلِ النُّعْمَى بِهِ، وَلَهُ
بِرِيحِهِ أَرْدَتْ الْهَيْجَا بَنِي خَزَرْ،
فَإِنْ تَكَلَّهْ إِلَى مَاضِي عَزَائِمِهِ،
نَدَبَتْ نَذْبًا إِلَيْهِ، غَيْرَ مُتَكَبِّلِ
أَعَزَزَتْ مِنْهُ مَصُونُ الْعِرْضِ، لَمْ يَذَلْ
فَمَا تَهْمُ بِفَعْلٍ غَيْرِ مُنْفَعِلِ
تَأْتِي الْمَآتِي، إِلَّا مِنْ عَلٍ، فَعَلْ
وَقَادِحًا لَزِنَادِ الْحِكْمَةِ الْأَوَّلِ
بَابِنِ الْإِمَامِ، لَمُلْكٍ غَيْرِ مُنْقَلِ
أَوْ نَازَلَ الْقَدَرُ الْمَقْدُورَ لَمْ يُهَلْ
مَا لَا يَفِيءُ إِلَيْهِ الظُّلُّ فِي الْأَصْلِ
تَوَالِي الدَّيْمِ الْوَكَّافَةِ، الْهَظْلِ
عَفْوًا، بِمَا كَانَ لَمْ يَحْسَبْ، وَلَمْ يَخَلْ
عَوَاقِبُ فِي بَنِي مَرَوَانَ عَنْ عَجَلِ
وَبِاسْمِهِ اسْتَظْهَرَتْ فِي الْغَزْوِ وَالْقَفْلِ
تَكَلَّهْ، مِنْهَا، إِلَى الْخَطِيئَةِ الذُّبُلِ... .

124/2

وفيها يقول:

83 الْآنَ لَدْتُ لَنَا مِصْرَ وَسَاكِنَهَا، وَلِلْسَّوَابِحِ، وَالْمَهْرِيَّةِ الدُّمْلُ
مَا مَكَّنُنَا، مَعَشَرَ الْعَافِينَ، إِنَّ لَنَا، فِي الْبَيْنِ، شَغْلًا عَنِ اللَّذَاتِ وَالْغَزَلِ
85 فَلَيْتَنَا قَدْ أَرْحَنَا هُمْ أَنْفُسِنَا، أَوْ اسْتَرَاخَتْ مَطَايَانَا مِنَ الْعُقْلِ
لِيَعْقِدَ التَّاجُ، هَذَا الْيَوْمَ، مَفْتَخِرًا، إِنْ كَانَ تُوجُّ يَوْمَ سَائِرِ الْمَثَلِ
أَلَّا تَخِرُّ لَهُ الْأَيَّامُ سَاجِدَةً، إِذْ نَالَ مَكْرَمَةً أَعْيَتْ، فَلَمْ تُنَلِّ
تَكْنُفَتُهُ الْمَسَاعِي، فَهُوَ يَرْفُلُ، مِنْ وَشْيِ الرِّبْعِ وَوَشْيِ الْمَجْدِ، فِي حُلِّ
89 فِيهِ الرِّبْعَانِ: مِنْ فَصْلِ الرِّبْعِ، وَمِنْ وَقَائِعِ النَّصْرِ، تَشْفِي مِنْ جَوَى الْغُلِّ

وسار القرمطيّ اللعين أبو طاهر الحسن بن أحمد الأعصم⁽³⁰⁶⁾
إلى (ط 182) الشام في جيوش عظيمة من العرب والعجم، ومنهم
أتباعه القرامطة. وهذا اللعين الأعصم هو من قوم سليمان بن
الحسن⁽³⁰⁷⁾ الذي دخل مكة في سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وخطب
له فيها، ووثب إلى الحجر الأسود فضربه بعمود من حديد حتى
ثلمه وقال: «إِنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ!»، كفرًا وعنادًا، وبغيا في

القرامة يكتسحون
الشام

(306) الأعصم: هو-الحسن بن أحمد بن/ أبي سعيد/ بن بهرام الجنائي، وكنيته أبو
محمد وأبو عليّ وأبو سعيد على السواء، والغالب أبو محمد وأبو سعيد كما
جاء في النجوم الزاهرة، 59/4.

وكنية «أبو طاهر» محوالة عن زعيم آخر من رؤوس القرامطة هو أبو طاهر
سليمان، وهو عمّ الأعصم.

توفي الأعصم بالرملة سنة 366، وفي مخطوطنا يسمّى دائماً «الأغشم»، وفي
المطبوع يتأرجح الناشر بين الأغشمي والأغتم والأغشمي والأغتم والأعصم.
(307) الأعصم هو ابن أخي سليمان: فسلیمان وأحمد أخوان، ابنا أبي سعيد الجنائي

الذي أظهر الدعوة القرمطية بالبحرين سنة 283.
وأبو طاهر سليمان هو الذي اتخذ مدينة الأحساء - المؤمنية - داراً
للهجرة، ومنها انطلقت حملاته على العراق والشام وطريق الحاج. مات أبو
طاهر سنة 332.

الأرض وفساداً⁽³⁰⁸⁾. فتوجّه اللعين أبو طاهر إلى دمشق، وفيها جعفر بن فلاح. فخرج إليه جعفر بن فلاح وكان عليلاً، مجاهداً محتسباً نفسه في الله يرجو الظفر أو الشهادة، وقد صار أهل الشام عليه مع القرامطة. فقتل في ذلك الحرب جعفر بن فلاح شهيداً رحمة الله عليه ورضوانه. ودخلت القرامطة دمشق فغلبوا عليها وحازوها.

فيقتلون جعفر بن فلاح..

وبلغ خبر قتل جعفر بن فلاح إلى القائد جوهر في ذي القعدة من سنة ستين وثلاثمائة، وكانت شهادته لثلاث ليالٍ بقين من شوال/ 22 أوت 971⁽³⁰⁹⁾. وسارت القرامطة إلى الرملة وفيها سعادة ابن حيّان⁽³¹⁰⁾ عاملاً للقائد جوهر فحازوا الرملة. وانحاز سعادة عنهم إلى موضع يسمى يافا فتحصّن فيه. وساروا إليه فحاربوه وخاطبوه من وراء الحصن أن يسلم إليهم الموضع ويخرج إليهم، وبذلوا الأمان له، فقال لهم سعادة بن حيّان: «إنما أنا عبد مأمور».

.. ويحاصرون سعادة بن حيّان في الرملة...

فلما أعياهم أمره توجّهوا إلى مصر بعساكر جمّة قد اجتمعت لهم من الشام/ (ط 183)، وما والاها من القرامطة والأغتام، الذين لا يعرفون فضل الإسلام، ولا يميزون بين الحلال والحرام. وانتهى أمرهم إلى جوهر القائد فحفر حول القاهرة خندقاً وبنى عليها باباً

125/2

(308) دخول أبي طاهر مكة كان في 7 ذي الحجة 317 فانصرف إلى البحرين بالحجر الأسود وأرجعه سنة 339 بطلب ملّح من المنصور الفاطمي (انظر التنبيه والإشراف للمسعودي، 338 وابن خلدون، 88/4 - 90 ودائرة المعارف الإسلامية في فصول: الجنائي، الحسن الأعصم، قرمطي).

(309) في الأتعاض، 178 و 249: لستّ خلون من ذي القعدة 360.

(310) سعادة بن حيّان: هو قائد مغربي - ولعله كتامي - أرسله المعزّ مدداً لجوهر «في جيش كبير في جمادى الثانية 360» فسماه جوهر والياً على الرملة ولكنه لم يثبت أمام حملات القرامطة فعاد إلى مصر. ومات في محرم 362 (اتعاض، 179 - 180 و 183).

كبيراً وجعل عليها بابين كانا على ميدان الإخشيدى. وبنى جوهر القنطرة على الخليج المعروف بخليج أمير المؤمنين⁽³¹¹⁾ وفرّق السلاح على الرجال من المغاربة والمصريين.

وركب القائد يوم النحر من سنة ستين وثلاثمائة في جيوش عظيمة وصلى صلاة العيد وعاد إلى قصره ونحر وفرّق الضحايا ووهب الناس وأحسن إليهم.

وفي آخر ذي الحجة من هذه السنة (أكتوبر 971) كبست القرامطة الفرما⁽³¹²⁾ وقاطعوا أهلها على مال وأخذوا عاملها عبد العزيز بن يوسف.

وفي شهر المحرم أول سنة إحدى وستين وثلاثمائة، أنفذ .. ويحملون على القائد عدة مراكب فيها الميرة لسعادة بن حيّان وهو بيافا. القاهرة..

وأقبلت عساكر القرامطة في شهر صفر من هذه السنة إحدى وستين حتى بلغت عين شمس. واستعدّ القائد جوهر لقتالهم لعشر بقين من صفر (12 ديسمبر 971) وغلق أبواب القاهرة وضبط الداخلين والخارجين. ثمّ برز القائد جوهر لحرب القرامطة وأخرج

(311) هي القناة التي أمر بحفرها عمر بن الخطاب.

(312) مرّ التعريف بالفرما في التعليق رقم 279. وفي الأتعاض، 181 أنّ المدينة التي حصّرها القرامطة هي القلزم. والقلزم كانت تقع في مكان السويس الحالية، حسب ما جاء في تعليق المرحوم الشّيال، وقد نبّهنا أيضاً إلى أنّ عبد العزيز ابن يوسف أمير القلزم - أو الفرما - هو الذي مدحه المتنبّي لأنه ساعده على الإفلات من كافور وعبد العزيز هذا مذكور في المقطوعة التي تبدأ بهذا البيت:

جزى عَرَبًا أَمَسَتْ بِلَيْتِسَ رُبُّهَا بِمَسْعَاتِهَا تَقَرَّرَ بِذَاكَ عِيُونُهَا
وذكر بلييس في البيت يرجّح أنّ حملة القرامطة كانت على القلزم لا على الفرما، لأنّ بلييس أقرب إلى مدينة مصر - القاهرة.

مضاربه وخرج معه الشريف مسلم الحسيني وسائر الأشراف العلويين، وخرجت الرعية لمعاودة جوهر.

وجاءت القرامطة يوم الجمعة مستهل ربيع الأول (22 ديسمبر 971) فزحف القائد جوهر لقتالهم، واشتد القتال ولم يتخلف عن القائد جوهر أحد من وجوه المصريين وذوي بأسهم. وبرز المغاربة إلى القرامطة وعظم القتال فقتل جيل من الفريقين. وعادوا إلى القتال يوم السبت، وأمسى الناس متكافئين وباتوا على (ط 184) المصاف وما زالوا في القتال. ثم أصبح الناس غداة يوم الأربعاء فوقع بينهم قتال شديد واشتد البأس، وصبر الناس، وانهزم الأعصم اللعين ورجع إلى الشام، وانتصرت عليه عساكر الإمام، وأعز الله الإسلام. وعاد جوهر ظافراً منصوراً، مؤيداً محبوراً.

.. فيردهم جوهر

وجاءته الأخبار من الصعيد أن عبد العزيز بن أهيج⁽³¹³⁾ قد نافق ودعا إلى إمامة بني العباس وكتب اسم المطيع على بنوده. فأنفذ إليه القائد جوهر أربعين مركباً بالرجال والسلاح، وجعل عليها رجلاً من وجوه من معه يسمى بشارة⁽³¹⁴⁾ وأنفذ في البر تازروف⁽³¹⁵⁾ لقتال ابن أهيج أيضاً في عساكر عظيمة فاستولى على الصعيد. وفر ابن أهيج إلى بغداد مستخفياً وترك جميع ما حازت يده فغنم وجيء إلى جوهر القائد به وبرؤوس/ كثيرة من أصحاب ابن أهيج فطيف بها في أعمال مصر.

جوهري يخدم ثورة بالصعيد

126/2

(313) عبد العزيز بن هيج الكلابي في الاتعاظ، 183 - 184 وأضاف أنه سلخ وصلب في جمادى 1 سنة 362.

(314) في الاتعاظ، 185: بشارة النوبي.

(315) مر بنا (ص 118) اسم هذا القائد، ولم يضبطه المرحوم الشيال فقراً: فأنفذ بأزرق في البحر... (ص 183).

ثم أخرج القائد جوهر ابن أخيه إبراهيم، ومعه أبو محمّد⁽³¹⁶⁾ في عساكر عظيمة وعدّة وعديد، إلى الشام لحرب القرامطة.

* * *

وتحرّك أمير المؤمنين المعزّ لدين الله صلوات الله عليه وعلى رحيل المعزّ إلى مصر
آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين، للهجرة إلى مصر. فكان خروجه من المنصورية يوم الاثنين لثمانٍ بقين من شهر شوال من سنة إحدى وستين وثلاثمائة⁽³¹⁷⁾ بعد أن جمع من الأموال ما لم يسمع بملك جمع مثله، ورحّلها صحبته، وخلف ما لا غناء فيه⁽³¹⁸⁾. وسار في هيئة عظيمة وعدّة، وجيوش جمّة وجنود مستعدّة. وقد أمر بالدنانير من الذهب فسبكت سبائك وطبع اسمه عليها وجعل حمل كلّ جمل سبيكتين.

واستعمل على المهديّة والمنصورية والقيروان ومدن (ط 185) إفريقيّة وما ينضاف إليها من الغرب أبا الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الحميريّ الصنهاجيّ. وبلكين يسمّى يوسف ولكن قد شهر اسمه بلكين. وقد ذكرنا [ما كان] لأبيه زيري بن مناد، مع الإمام المنصور بالله (ص) من الجهاد، أيام مخلد بن كيداد. وأوصى أمير المؤمنين (عم) يوسف بن زيري عامله على الغرب وبلاد إفريقيّة بما أراد وجعل جميع الولاة في الغرب من تحت يده، وألزمهم جميعاً طاعته. وكان [بلكين] من خلصاء أوليائه وصفوة أهل ولايته.

وهاجر مع المعزّ من أولاد المهديّ بالله (عم): أبو عليّ

(316) لا نعلم أبا لجوهر، ولا نعرف أبا محمّد.

(317) في المخطوط والمطبوع: من شهر شعبان، ولا يوافق يوم 21 منه يوم اثنين والتصويب من وفيات الأعيان في ترجمة المعزّ الاثنين لثمانٍ بقين من شوال. وكذلك من الاتّعاظ، 186.

(318) في مخطوطنا: ما لا غناء عنه.

أحمد، وأبو طالب موسى أبنا عبد الله المهديّ بالله (عم) وأربع نسوة من بنات الإمام المهديّ، وكانت وفاتهم جميعاً بمصر.

ومن أولاد الإمام القائم بأمر الله (عم): جعفر وعبد الجبار، أبنا محمّد القائم بأمر الله، وأربع نسوة من بنات القائم، وكانت وفاتهم جميعاً بمصر.

وأخوة المعزّ: حيدرة وهاشم⁽³¹⁹⁾، أبنا إسماعيل المنصور بالله، وخمس أخوات لهم، ويمصر كانت وفاتهم جميعاً.

ومن أولاد أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (عم) عبد الله (رضي الله عنه)، وتميم الشاعر، والإمام نزار العزيز بالله (صلع) وعقيل، أبناء المعزّ لدين الله.

وهاجر معه كثير من أمرائه ودعائه وأعيان دولته. وكان في الهجرة معه القاضي النعمان بن محمّد (رضي الله عنه) وجميع أولاده، واستخلف بأمر المعزّ في أعمال إفريقية والمهدية وجميع الغرب، القاضي أحمد بن القاسم بن أبي المنهال/. وكان القضاة في جميع الغرب من تحت يد القاضي أحمد بن القاسم.

127/2

وهاجر جوذر الأستاذ مع المعزّ لدين الله (عم) وجاءته الوفاة بمدينة برقة على ما نذكره. قال منصور الجوزري⁽³²⁰⁾: ولما اعتزم مولانا عليه السلام على الحركة إلى الشرق، جرت بين الأستاذ وبين الأمير عبد الله قدّس الله روحه مكاتبات كان يؤثر فيها حقّه حسب

الأستاذ جوذر
يصحب
المعزّ في
هجرته..

(319) للمعزّ أخوان آخران ماتا بإفريقية: طاهر أبو جعفر، وأبو عبد الله الحسين (أعاط، 133).

(320) يبدأ هنا نقل مطوّل من سيرة الأستاذ جوذر، 141 - 147، مع اختلاف طفيف في العبارة.

فعل آباءه الطاهرين . وكان أوّل كتاب كتبه إليه الأستاذ كتاب يذكر فيه رسمه من البغال التي كان يحمل عليها أثقاله في الأسفار مع مولانا صلوات الله عليه . فصرف إليه الجواب [بدعاء] وهو:

«سَلِّمَكَ اللهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ، وَزَادَ فِي امْتِنَانِهِ عِنْدَكَ، وَبَلَّغَكَ مِنْ رِضَى وَلِيِّهِ مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا صَلَوَاتِ اللهِ عَلَيْهِ، أَمَلَكَ وَأَمَلْنَا لَكَ عِنْدَهُ وَفَضْلَهُ، وَرَزَقَكَ الْحَجَّ مَعَهُ إِلَى بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ وَزِيَارَةَ قَبْرِ جَدِّنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِنَّهُ كَرِيمٌ مَنَّانٌ، عَظِيمُ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ. أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ انْتَهَى إِلَيْنَا كِتَابُكَ بَعْدَ تَشَوُّقٍ شَدِيدٍ - يَعْلَمُ اللهُ - مِنَّا إِلَيْكَ. وَوَقَفْنَا مِنْهُ عَلَى مَا حَمَدْنَا اللهُ عِزَّ وَجَلَّ وَشَكَرْنَاهُ عَلَى امْتِنَانِهِ عَلَيْنَا بِسَلَامَتِكَ وَصِحَّةِ بَدَنِكَ وَسَأَلْنَاهُ ضَارِعِينَ إِلَيْهِ رَاغِبِينَ فِي الزِّيَادَةِ لَكَ مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ. وَقَدْ عَرْضْنَا كِتَابَكَ عَلَى مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا صَلَوَاتِ اللهِ عَلَيْهِ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ وَقَعَ إِلَيْكَ بِخَطِّ يَدِهِ الْمُبَارَكَةِ الْكَرِيمَةِ فِي أَسْفَلِهِ بِمَا أَنْتَ تَقِفُ عَلَيْهِ، فَقَدْ أَنْفَذْنَاهُ إِلَيْكَ. وَحَسْبُنَا اللهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ».

ووصل الكتاب وفي أسفله توقيع من أمير المؤمنين (عم) هذه نسخته:

«يَا جَوْذِرَا! سَلِّمَكَ اللهُ، أَقْرَأْنَا عَبْدُ اللهِ، سَلِّمَهُ اللهُ، كِتَابَكَ وَسَوَّالِكَ إِيَّاهُ التَّذَكُّرَةَ فِي أَمْرِ الْبِغَالِ الَّتِي تَقَدَّمَ لَكَ الرَّسْمُ بِأَخْذِهَا مِنَ الْإِصْطِبَالِ. وَتَخَوَّفْتُ أَنْ نَكُونَ لَكثْرَةَ أَشْغَالِنَا وَمَا بَنَا مِنَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا نَنْسَاكَ أَوْ نَسْلَمَكَ. فَلَا أَوْقِفُ اللهُ إِلَيْكَ يَوْمًا نَسْلَمَكَ إِلَى نَفْسِكَ فِي أَحْوَالِ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ! فَوَاللهِ، لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مَا نَوْثُرُكَ بِهِ عَلَى أَنْفُسِنَا لَفَعَلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ نَتَأَخَّرْ عَنْهُ. فَطَبَّ نَفْسًا وَقَرَّ عَيْنًا بِمَا خَوَّلَكَ اللهُ وَوَهَبَكَ مِنْ رِضَانَا - أَدَامَهُ اللهُ لَكَ».

وخرج مولانا - صلوات الله عليه - متوجّهاً إلى المشرق - فأطلق له البغال التي للأحمال وبغال العماريات أيضاً، منها واحدة

.. فيعتلّ
بأجدائية ..

كان هو يركبها بنفسه آثره - صلى الله عليه - بها، وفعل فيه وفي أصحابه من الجميل وسعة العطايا ما لا يوصف. / ولما وصل إلى موضع يعرف بأجدائية وقد استحكمت عليه العلة قال لي: «لقد اشتقت إلى النظر إلى وجه مولانا - عليه السلام - وأراني ضعيفاً ولا أقدر أثبت على قدمي لترهل عرض لي فيهما». فسألته التقدّم قبله والاجتماع بالأمير عبد الله وليّ عهد المسلمين - صلوات الله عليه - في ذلك. فأذن لي، فمضيت واجتمعت به - عليه السلام - ووصفت حاله وعظيم شوقه إلى مولانا - صلوات الله عليه - وإليه. فعرف مولانا، ورجع إليّ بالجواب وقال لي: «يأمرك مولانا - صلى الله عليه - أن تقدم به إلى هذا الموضع» وأشار إلى القبة التي كان يتغذى فيها بالفازة المباركة ثم قال: «وقف به وهو في العمارية ولا تنزله [منها]!»

وحذّرني من إنزاله وخوفني عقوبة مولانا عليه السلام في ذلك. فرجعت إلى الأستاذ وعرفته بما كان، ففرح لذلك وقويت نفسه. ثم وصلت به إلى الموضع الذي رسم لي. فلما حلّ به قال لي: «أنزلني» فاعتذرت إليه أن الموضع الذي يريده ذو غلق وسيلنا أن نقف بالعمارية حتى يفتح الموضع. فقبل ذلك مني. ووقفت العمارية على بغلة وهو جالس فيها. فما شعرنا بشيء حتى خرج مولانا المعزّ لدين الله - أمير المؤمنين صلوات الله عليه - وعليه عمامته وهو متعل، فأدخل نفسه - صلوات الله عليه - في جوف العمارية، وضمّه إلى نفسه ضمّ الأخ للأخ والصديق للصديق. فنظر إليّ الأستاذ عند ذلك نظرَ مَنْ أنكر عليّ تركه في العمارية. فقال له عليه السلام: لا سبيل عليه، فبأمرنا عمل.

.. فيعوده المعزّ
في عمّارته

ثم أقبل عليه السلام على الأستاذ وسأله عن حاله وقال:

لا تضعف نفساً، فإن الله يمدّ في عمرك وينسىء في أجلك حتى تشاهد معنا فضل الله الذي خولّناه من ديار الظالمين (ط 188).

فقال له الأستاذ: «يا مولاي، والله، ما لعبدك حال يستوجب بها ما فعلته فيه لأنني عبدٌ صقلبي أعجمي لا خصلة لي أمت بها، إلا أنني عبدكم المستضيء بنور هدايتكم». فقال له:

لا تفعل يا جوذر، إن الله - عز وجل - قد فرض طاعتنا فجعلها رغبة ورهبة. فأنت ممن أطاع الله فينا رغبة لا رهبة. أو نسيت كل إنسان وتمتعه في داره، من الصقالبة الذين كانوا معك في أعصار مواليك الأئمة الطاهرين، ورضاك أنت بالكون في ذلك البيت الذي كان يقرب من الخلاء بقصر مولاك الإمام القائم بأمر الله؟ لم تختار ما اختاره/ غيرك من نعم الدنيا، لكن أراد الله بك السعادة أولاً وآخرًا.

129/2

ثم نظر إلى محمد بن عثمان الكاتب، وكان واقفاً معنا، وأشار بقود الدابة والانصراف تخفيفاً عن مولانا - صلوات الله عليه - ممّا كلف نفسه الكريمة من الوقوف على قدميه - صلى الله عليه - فلما رآه مولانا - عليه السلام - قال له:

قف يا محمد، ودعه، فإن في نظره إلينا راحة قلبه.

ثم قبل الأستاذ الأرض وقبلنا، وانصرفنا. فمن ذلك اليوم ما رأى مولانا عليه السلام. وكأنها كانت وقفة الوداع.

ثم لمّا وصلنا إلى الموضع الذي يعرف بمشلية⁽³²¹⁾ بالقرب من برقة زاد به أمر الضعف وصعوبة الأمر من العلة. ومع ذلك فكان

(321) مشلية أو مثلية برقة: لم تذكرها كتب الرحلات التي بين يدينا.

ذهنه صحيحاً لم يتغير عليه من عقله شيء، دعاني فقال: «نحن ندخل برقة، وهي بلد كبير، وبه بعض أهل المشرق، سيما [مع] وصول ابن نصر⁽³²²⁾ إلى مولانا - صلى الله عليه - فيما يقال، واسمنا من الدولة الطاهرة كبير بإعزاز مولانا عليه السلام لنا، والواجب أن نجمل مسكرنا بالعدة والسلاح الشاكي والزي الحسن (ط 189) حتى يكون دخولنا تاماً بهياً. فاكذب إلى الأمير عبد الله - صلى الله عليه - تعرفه بذلك، وتسأله سؤال مولانا عليه السلام بإفناذ شيء من السلاح والعدة زيادة على ما عندنا، وتعرفه أنني أحب الوصول إلى القصر المبارك بهذا الزي، لكن لا أستطيع النزول على قدمي، وصعب علي الأمر فيما كان من فعل مولانا - عليه السلام - بأجدابية. وأخشى أنني متى وصلت يقول من يحسدنا على فضل مولانا عليه السلام أنني إنما تعرضت بوصولي هذا ما كان من فعله، ونحو هذا القول من الكلام».

جوزر، رغم
مرضه، يهنيء زينة
العسكر

وختم الكتاب وأنفذناه مع نجاب كان معنا فكان الجواب من الأمير عبد الله - صلى الله عليه - يقول:

«سلمك الله، وأتم نعمته عليك، وتابع آلاءه لديك، ومنع فقدك، وقضى لك بالحج إلى البيت الحرام مع مولانا عليه السلام. انتهى إلينا كتابك - سلمك الله - ووقفنا على جميعه من بعد أن وقف عليه مولانا - صلى الله عليه - وقبلنا له الأرض. وهو يردّ

(322) في المخطوط: والمطبوع: سيما وصول... فأضفنا «مع» ليستقيم الكلام. وابن نصر: لعله أبو جعفر أحمد بن نصر أحد الدعاة بمصر، وهو الذي انضم إلى وفد المتفاوضين مع جوهر عند دخوله مصر. ونراه مع المعز يعرف الخليفة بوجوه رعاياه الجدد عند خروجه إلى المصلّى (اتعاظ، 148 و 193). وجوزر «المغربي» يستحي أن يظهر جند المغاربة لابن نصر «الشرقي» في مظهر غير مبهج.

عليك أفضل سلام الله وأطيبه. وأمر- لا زال أمره عالياً مكرماً معظماً- بالكتاب إليك بتعريفك- سلمك الله- أن أمره نفذ إلى نصر الخازن بيعته الجمال وصدرأ كثيراً من السلاح [م]-مأ حد له وهو يصل إليك إن شاء الله. فاعمل/، قال لك- صلى الله عليه- على الوصول إلى الحضرة المباركة أي يوم يتهيأ لك وأردت الوصول فيه، ويكون وصولك إلى باب القصر المبارك في عمارتك على رسم ما فعلته في أجداية بأحسن زي، ولا تأخذ على نفسك في هذا الباب في أمر العمارية شيئاً، فليس فيه شيء تأخذه ولا يؤخذ عليك كما قلت، فخرجنا إليك- قال لك عليه السلام- في (ط 190) أجداية ليس أنت كلفتنا فتأخذ فيه على نفسك أمراً، بل نحن فعلناه من ذات أنفسنا رغبة في افتقارك ومشاهدة حالك. وهب الله لك أتم العافية وأكمل الصحة والسلامة بفضله. فاعمل ما حثناه لك. قال- صلى الله عليه- وأبشر بما رزقك الله من رضاه- عز وجل- عنك، ورضى وليه- عليه السلام- الذي لم يجر هذا لأحد غيرك في العصر الذي أنت فيه، ومحقوق أنت بذلك فاحمد الله واشكره تستوجب المزيد من جميل عطائه وجزيل فضله وامتنانه. والله أسأل حراسة نعمه عندك وتتابعها لديك ومرادفة آلائه عليك بأجمل سلامة نرجوها لك وأفضل صحة تؤملها، بمنه وفضله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

وكان هذا التوقيع آخر توقيع وصل إليه من الإمام ووليّ عهده- عليهما أفضل السلام- ووصل نصر إليه بالعدّة إلى الموضع المذكور وفرّق ذلك السلاح على الرجال، وزاد به أمر الضعف والعلّة ولم يقدروا أن يصلوا به إلى القصر، فدخل مدينة برقة إلى الدار التي أخليت له فنزل بها، ومضيت إلى مولانا- عليه السلام- فعرفته بوصوله. فقال: كيف حاله؟ قلت: يا أمير المؤمنين-

صلوات الله عليك - هو ضعيف جداً، ومع هذا فهو يشتهي الموت حتى كأنه يعاين الموضع الذي يصير إليه فاشتاق نحوه». فقال:
إلى موضعه في رحمته وقرب مواليه، صلوات الله عليهم أجمعين!

ثم التفت إلى من كان واقفاً بين يديه، وكان الأمير عبد الله - عليه السلام - من الوقوف وإسحاق بن موسى وغيره من السودان الخدم. وكان ذلك بعد الفراغ من المائدة، فقال⁽³²³⁾:

هذا جوذر المسكين، والله إنا لنحصى ما وصل منه إلى آبائنا الطاهرين من قبل وإلينا من بعدهم تقرباً وعملاً لوجه الله فيكون ذلك فوق المائة ألف دينار بلا إقطاع ولا ضياع كثيرة (ط 191).

ثم دفع إليّ - صلوات الله عليه - تفاحات كانت في يده وقال لي:

«أوصلها إليه/، وقل له: هذه وصلت إلينا من مصر، وأرجو الله أن يحييك ويصحّ بدنك حتى تشاهدها معنا».

فقبلت الأرض وانصرفت وبلغت الحكاية التي كانت منه. العلة تشتدّ بجوذر...
فقبل الأستاذ الأرض وحمد الله وأكثر من شكره، ثم أخذ معي في الحديث فما زال على ذلك وهو في صحّة عقله إلى آخر الليل، فحال على أمره. ثم أصبح به الأمر وهو لما به من النزاع، ثم قضى عند صلاة الظهر - رحمه الله ورضي عنه - وحمل في الليل من مدينة

(323) في السيرة، 147، يجري المعزّ مقارنة بين «ميسور الكبير» وجوذر، في نهم ميسور وتكالبه على حطام الدنيا، وقناعة جوذر وتفانيه في خدمة الأئمة. وقد حذف الداعي إدريس الفقرة الخاصة بميسور، ولعله تذكر أنه ترحم عليه كثيراً حين قتل في مواجهة أبي يزيد (انظر ص 283).

برقة إلى القصر الذي كان به مولانا - عليه السلام - بموضع يعرف
بمياسر. وأمر صلوات الله عليه بغسله، وحضر لذلك القاضي
النعمان بن محمد ومحمد بن عثمان الكاتب وأنا، وصلى عليه
بالغدو، ودفن بالموضع عند مسجد بهذا القصر المذكور.

* * *

وسار أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (ص) حتى دخل
الإسكندرية لستّ بقين من شعبان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة⁽³²⁴⁾.
قال ابن خلكان في تاريخه⁽³²⁵⁾: «وركب من الإسكندرية ودخل
الحمام، وقدم عليه بها قاضي مصر - وهو أبو طاهر محمد بن
أحمد - وأعيان أهل البلاد، وسلّموا عليه، وجلس لهم عند المنارة
وخطبهم بخطاب طويل يخبرهم فيه أنّه لم يرد دخول مصر لزيادة
في ملكه ولا لمال، وإنما أراد إقامة الحق والحج والجهاد وأن يختم
عمره بالأعمال الصالحة، ويعمل بما أمر به جدّه ﷺ، ووعظهم
وأطال حتى بكى بعض الحاضرين، وخلع على القاضي وبعض
الجماعة وحملهم، وودّعوه وانصرفوا ثم رحل منها في أواخر
شعبان.

(ط 192) ونزل يوم السبت ثاني شهر رمضان المعظم على
ميناء ساحل مصر بالجيزة، واجتمع به الوزير أبو الفضل جعفر بن
الفرات - المذكور أولاً - وأقام المعزّ هناك ثلاثة أيام، وأخذ العسكر
في التعدية بأثقالهم إلى ساحل مصر. ولما كان يوم الثلاثاء لخمس
خلون من شهر رمضان المعظم من السنة، عبر المعزّ النيل.

(324) أي: 26 ماي 973. وهو التاريخ الذي ذكره ابن حمّاد، 44 وابن خلكان.
فالرحلة دامت قرابة السنة الكاملة، لذلك قال صاحب الوفيات: «ولم يزل في
طريقه يقيم بعض الأوقات في بعض البلاد أياماً ويجتدّ السير في بعضها»، وقد
رأينا مثلاً من مكوثه في الطريق ببرقة عند وفاة جوذر.
(325) يعني وفيات الأعيان، والفصل منقول من ترجمة المعزّ رقم 727.

قال حيدرة بن محمد بن إبراهيم صاحب السيرة الكتامية⁽³²⁶⁾ :
«ولمّا وصل الإمام المعزّ (عم) وسار من الجيزة إلى مصر على
الجسر، لم يمشِ معه أحد ركباً غير القاضي النعمان وعسلوج بن
الحسن من وراء ظهره⁽³²⁷⁾، وسائر الناس ماشون بين يديه».

.. ثم إلى القاهرة
(5 رمضان
9/362 جوان 973)

قال ابن خلّكان :

«ودخل القاهرة، ولم يدخل مصر، وكانت قد / زيّنت له،
وظنّوا أنه يدخلها، وأهل القاهرة لم يستعدّوا للقاءه لأنهم بنوا الأمر
على دخوله مصر أولاً، ولما دخل القاهرة دخل القصر وكلّما دخل
مجلساً منه خرّ ساجداً لله تعالى، ثم صلّى ركعتين وانصرف الناس
عنه».

132/2
المعزّ يدخل
القاهرة دون
المرور بالفسطاط

فاستقرّ أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (ص) في قصره بالقاهرة
المعزيّة يوم الثلاثاء لخمس مضت من شهر رمضان سنة اثنتين
وستين وثلاثمائة (10 جوان 973). قال ابن خلّكان: «وهو الذي
تنسب إليه القاهرة المعزيّة، لأنّه بناها⁽³²⁸⁾ القائد جوهر له [يوم
الجمعة لثلاث عشرة بقين من المحرم سنة ستين وثلاثمائة]⁽³²⁹⁾».

(326) صاحب السيرة الكتامية: قال بوناوالا إنّه عاش في ملة الحاكم الفاطمي، ولم
يزد.

(327) عسلوج بن الحسن الدنهاجي أبو عليّ: أحد رجالات كتامة، وهو الذي سيجعله
المعزّ والياً على الأموال مع يعقوب بن كلّس (انظر الهامش 292 أعلاه، وترجمة
سيرة جوذر، هامش 469 واتعاظ الحنفاء، 196 و 198 - 199).

(328) في المخطوط والمطبوع: لأنّه الذي بناها القائد جوهر له.

(329) ما بين [] لا يوجد في ترجمة المعزّ عند ابن خلّكان. وظاهر أنّه مقحم، وأنّه
كلام مخلوط، فلا يعقل أن يكون جوهر بني القاهرة في يوم واحد. هذا، على
أنّ المصادر تقول إنّه بدأ في تخطيطها منذ شعبان 358 (اتعاظ، 162).

وفيما ذكره أبو بكر جهور بن علي بن جهور الهمداني⁽³³⁰⁾
رحمه الله قال:

«قال ابن حوقل البغدادي: القاهرة استحدثها جوهر الكاتب
لأمير المؤمنين المعزّ لدين الله (عم) وقد ضمنت من المحالّ
والأسواق والحمامات والدور الحسان والقصور المشيّدة، على
اقتصارها، ما لا يكون في غيرها. وبها ديوان، وجامع حسن
(ط 193) وبها من الرجال والفرسان والخيال ما يعجز عنه كثير من
البلدان⁽³³¹⁾».

وقال ابن خلّكان⁽³³²⁾: «إنّ الشريف ابن طباطبا لقي المعزّ
لدين الله وقال له: النسب يا مولانا؟ فوعده إلى يوم. واجتمع فيه
الناس. (قال ابن خلّكان) فاختلط السيف وقال: هذا نسبي! وبذل
الدنانير وقال: هذا حسبي! فقالوا: سمعنا وأطعنا».

ونقول: إنّ هذا من القول الفاسد، والكلام الغثّ البارد.
وأنى يكون ذلك ونسبه المعروف المشهور من شجرة النبوة ودوحة
الوصاية وفرع الإمامة؟ وإنّما ذلك للعناد والشقاق، إذ لم يجدوا فيه
مطعنا ولا مغمراً، فجأؤوا بهذا القول ومخرقوا هذه المخركة التي لا
تنفق على ذوي العقول، ولا يقبلها إلّا كلّ جهول. وكيف، والشريف
الرضي، على جلالته عندهم، يخاطب بني العباس ويقول:

(330) في المخطوط والمطبوع: جهور. . وقد مرّ بنا (ص 476 هامش 221) اسم أبي
بكر جهور الوادعيّ في نقل عن ابن حوقل كذلك. ولعلّه أحد المؤرّخين
اليمنيين المتأخّرين الذين يتقلّ عنهم الداعي إدريس. ورّما كان هو المقصود
بالواقدي في ص 139 الآتية، وإن كان بوناوالا وإيفانوف يسمّيانه علي بن
حنظلة، لا جهور بن عليّ.

(331) صورة الأرض، 138، مع زيادة «على اقتصارها» وهي غير مفهومة، ومع نقص
كثير.

(332) في ترجمة عبد الله بن طباطبا.

(خفيف)

ما مقامي على الهوان لديكم وبمصر الخليفة الفاطمي
من أبوه أبي ومولاه مولا ي، إذا ضامني البعيد القصي؟ (333)

وذلك لإكرام الأئمة (عم) للحسينيين والحسينيين حتى ارتفع شأنهم
وعظم عند (ط 194) العباسيين مكانهم، بعد أن كانوا في الدولة
الأموية والعباسية يُقتلون ويطرَدون ويُحبسون، وبأنواع القتل والعذاب
يُتوَعَّدون، فأنقذوا بعد ظهور المهدي بالله (صلع) من الذلة، ورفَعوا
حيث كانوا/ حتى صاروا في الناس كالنجوم والأهلة.

133/2

ومن أراد أن يعرف نسب الأئمة (صلع) وفضلهم، وفرعهم
الشريف وأصلهم، فليقرأ كتاب «المصباح في الإمامة» للداعي
حميد الدين (334) فإن فيه شفاء الصدور وجلاء القلوب، والحجة
الواضحة التي لا يدفعها إلا من دفع الحق بعد بيانه، وأنكر ضياء
الشمس عند عيانه، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ﴾ (الصف،
8) ويصدّوا عن سبيله رعا الأئمة من أشكالهم وأشباههم، والله (تع)
قد وعد بتمام النور وقال في كريم كتابه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى
الْأَبْصَارُ، وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج،

المناظرة المزعومة
مع علوي
مصر خرافة مغرضة

(333) في هامش المخطوط، رواية أخرى للبيت الأول موافقة لما في ديوان الشريف
الرضي (صادر، 576/2).

ما مقامي على الهوان، وعندي مِقْوَل صارم وأسف حمي
والبيت الثاني، وهو الرابع في المقطوعة بالديوان:

أبس الذل في ديار الأعادي وبمصر الخليفة العلوي
والمقطوعة لها أحد عشر بيتا، ولها قصّة في علاقة أسرة الشريف الرضي
بالخلفاء العباسيين وخاصة بالمحضر الذي طلب من الشريفين توقيعه للطعن
في نسب الفاطميين.

(334) الداعي حميد الدين الكرمانّي (من أهل القرن الخامس) صاحب كتاب «راحة
العقل». والرسالة المشار إليها هنا عنوانها (بونوالا، 98): المصباح في إثبات الإمامة.

46). نَسأل الله العصمة وأن يثبتنا على ولاية الأئمة، الذين أتم الله بهم الدين وأكمل النعمة.

فصار أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (عم) في دار ملكه، وقرار عزّه في القاهرة المعزّيّة، وسكنها واستوطنها وجعلها له داراً، وتبوأها قراراً، وأمور المملكة موطّدة، وأسبابها مؤكّدة، والإسلام خافقة بنوده، قائمة دعائمه، والإيمان ثابت عموده (ط 195)، ظاهرة مراسمه، وله (عم) ملك مصر والشام والحرمين وإقامة الخطبة في جميع ما يضاف إلى هذه من الكور والأمصار، وتحت راياته الحجّ إلى بيت الله الحرام للوافدين من الأقطار، وله ملك إفريقيّة والمغرب واطرابلس وسجلماسة وبرقة وصقلية، وقد ظهرت دعوته وانتشرت دعائه في الجزيرتين السنديّة والهنديّة، ولم تكن دعوة معدومة في جميع الأقاليم، منها ظاهرة، ومنها في السّتر والتقيّة.

وترك القاضي أبا طاهر محمّد بن أحمد بن عبد الله على القضاء بمصر، على ما أبقاه عليه القائد جوهر، وهو يرجع في جميع أحكامه إلى القاضي النعمان بن محمّد (رضي الله عنه) ويعرض عليه قضاياها، وينقّذها على ما ينظر فيه ويراه. وأقام عبد الله ابن ثوبان⁽³³⁵⁾ ينظر بين المغاربة في القضايا والأحكام ويوردها عن أمر القاضي النعمان في الاتّساق والانتظام. فلمّا توفي عبد الله بن ثوبان صرف القضاء بعده إلى القاضي الأجلّ عليّ بن النعمان⁽³³⁶⁾

(335) في الاتّعاظ، 191، اسمه: أبو سعيد عبد الله بن أبي ثوبان وفي كتاب رفع الأصر (ذيل كتاب الولاية والقضاة للكندي 587): عبد الله بن محمّد بن أبي ثوبان، وذكر في ترجمته أنّه قدم مع المعزّ فولّاه النظر في المظالم، وكانت له أحوال ومنافسات مع القاضي أبي طاهر الذهليّ.

(336) له ترجمة أيضاً في ذيل الولاية والقضاة، 589، أضافه المعزّ إلى القاضي الذهليّ ثمّ عوّضه لما هزم أبو طاهر وعجز.

فجرت الأمور على أحسن العوائد، وانتشرت يمين معزّ دين الله في الدين والدنيا الفوائد.

قال الحسن بن جعفر الأنصاري في تاريخه⁽³³⁷⁾: «وكان الأندلسي محمد بن الخير⁽³³⁸⁾ / قبل خروج المعزّ لدين الله (عم) إلى مصر قد خالف في سنة ستين وهرب في أربعة آلاف غلام أكثرهم يركب الخيل، من المسيلة إلى فاس (ط 196) وبلاد زناته، وركب البحر إلى الأندلس. فكتب المعزّ إلى زيري بن مناد الحميري، وكان يجاور ولايته «أن أطلبه حيث تعلم مستقرّه!» فسار زيري خلفه إلى بلاد زناته على نحو شهرين من عملها، وتردّى زيري عن فرسه فقتل، رحمة الله عليه ورضوانه، وطائفة ممّن معه، والمعزّ يومئذ بالمنصورية. ولما صار إلى مصر، كتب إلى ابنه يوسف بن زيري بعد أن ولّاه مملكته بالمغرب «أن أطلب ثارك من زناته واجتهد أن تلقاه يوم كذا وكذا!». وكان محمد بن الخير لما قتل زيري ظنّ أن ليس في ولده مثله، فجمع زناته. وسبقه يوسف بن زيري في سبعة آلاف فارس وأربعين ألف راجل فصّبّحه يوسف. وكانت امرأة محمد ابن الخير حسنة الصورة فلبست ثيابها وتطيّيت وأخذت حليتها ووقفت في نحو ألف امرأة من جواريتها وبنات عمّها ونساء زناته

134/2

رجوع إلى مقتل
زيري بن
مناد وانتحار محمد
ابن
الخير

(337) عن الحسن الأنصاري، انظر أعلاه، ص 497 الهامش 243.

(338) هنا خلط بسقط أو حذف: محمد بن الخير مغراوي زناتي وليس أندلسياً. وإنّما الأندلسي هو جعفر بن حمدون ابن الأندلسي صاحب المسيلة، فهو الذي شقّ عصا الطاعة في وجه المعزّ لما رأى حظوة زيري وابنه عنده، فالتحق بزناة وشجّع محمد بن الخير على التمرد، وشهد الواقعة التي قتل فيه زيري في رمضان 360 / أو في ربيع الثاني (انظر ابن الأثير، 47/7). وكذلك دراسة ماريوس كانار عن أسرة بني حمدون، ص 44 من الفصلة) ثمّ لما خاف أن تتكرّر زناته له، هرب بأمواله وخدمه وأهله إلى قرطبة. وعليه، فالقراءة الصحيحة للنص تكون: وكان ابن الأندلسي جعفر بن حمدون قد خالف محمد بن الخير الخ.

وجعلت تحرّض بعلمها، وفعل مَنْ معها من النساء في تحريض قومهنّ فعلها. فقصد محمّد بن الخير البنود وقتل مَنْ تحتها. وكان عامل المعزّ، يوسف بن زيّري، قد كمن له فخرج يوسف في كمينه فهزم أصحاب ابن الخير، فحين رأى الهزيمة في أصحابه جعل سيفه في حلقه فإذا به صريعاً وقال: «بيدي لا بيدك يا يوسف!» فقبل إنّ يوسف بن زيّري أدركه وبه رمق فقال له: «أنا يوسف» وأخذ سلّبه وسيفه، وكان السيف عظيماً. وأصبح يوسف فجمع رؤوس زناة فادارهم على السيف ويسط على رؤوسهم بساطاً وجلس عليه ومن معه وأكل خبزاً وقال: «ما فعل أحد كذلك!» وطيف برأس محمّد بن الخير ورؤوس قتلى زناة في الأعمال، وبعث يوسف بها إلى القاهرة وطيف بتلك الرؤوس في أعمال مصر ونواحيها⁽³³⁹⁾.

ثمّ إنّ قويت أيدي القرامطة في الشام وجاء اللعين أبو عليّ⁽³⁴⁰⁾ الحسن بن أحمد بن بهرا المكنى بالأعصم القرمطيّ، وقد أجابه كثير من العرب والعجم من الساعين في فساد شريعة محمّد (ﷺ)، وهو يطوي البلاد طياً، ويأتي من المنكرات شيئاً فرّياً (ط 197) حتّى دنا/ من القاهرة المعزّية ووصل إلى سيول الطواحين⁽³⁴¹⁾ في جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة. فخرج أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (عم) ومعه ولده الأمير عبد الله (رضي الله عنه) وجميع أنصاره وجنوده من أهل المغرب وأهل مصر في

135/2

انهزام الأعصم
القرمطيّ على
أبواب القاهرة

(339) هذا النقل يوضح ما قلناه في ص 122 هامش 302 بشأن الخلط بين أبي خزر ومحمّد ابن الخير. وحكاية الوليمة على رؤوس القتلى متداولة من السّفاح العباسيّ إلى محمّد عليّ المصريّ، ويرويها ابن الأثير بفظاعة مغايرة: جُعِلَتِ الرؤوس حجراً للأثافيّ ونُصِبَت عليها قدور وطبخ فيها!
(340) في المخطوط: أبو طاهر، وفي النجوم الزاهرة، 59/4 أنّ كنيته أبو محمد وأبو عليّ كما رأينا.

(341) سيول الطواحين: في الشمال الشرقيّ من بليس.

سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، فجرت بينه وبين القرمطيّ اللعين وقائع كثيرة وحروب عظيمة مشهورة. وكان وليّ عهد المسلمين الأمير عبد الله بن المعزّ في بعض تلك الحروب خرج لقتالهم عن أمر أبيه (عم) فهزم القرامطة، وقطع عسكره منهم ألف فارس فقتلوا، وأسروا منهم ألف إنسان. ووصل الأمير بهم إلى مخيم أبيه، وولى القرمطيّ منهزماً، وأنزل الله على وليّ المعزّ نصره من السماء، وكانت هزيمـ[تـ]ه في شعبان من سنة ثلاث وستين وثلاثمائة (أفريل - ماي 974).

وقد أتى عن القاضي النعمان بن محمّد (رضي الله عنه) في كتاب «مؤازرة التأويل لتعبير الرؤيا»⁽³⁴²⁾ حيث قال: «ومنها ما رأى المعزّ لدين الله (ص) قال: رأيت فيما يرى النائم ليلة الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة كأني جالس على مكان من الأرض عالٍ أشرف على قتال يكون أمامي وأنظر إلى حملاته (ط 198) وراياته، وبين يديّ سيوف أصحاب رسول الله (ﷺ) إذا بجماعة من الناس تفوق الناس مناظرهم حسناً وكمالاً، وزينة وبهاء، فسلموا عليّ وجلسوا حولي. وجلس أحسنهم منظراً وأفضلهم صورة ورائي، وأنا لا أعرف في الوقت إلّا الإمام المنصور بالله (صلع) فإنّه يتسم إليّ ويشير كالمنبّه على حال القوم. وأقرب من كان عن يميني رجل حربع أسمر فقال: «ما بال هذه السيوف بين يديك؟»

فقلت: هذه سيوف أصحاب رسول الله (ﷺ) أخرجتها وجمعتها أضرب بها وجوه الكفرة آخرأ كما ضرب بها بين يدي رسول الله (ﷺ) أولاً.

(342) سبق ذكر هذا الكتاب في مؤلفات النعمان بعنوان: تأويل الرؤيا (ص 32/2).

رؤيا للمعز تبشّره
بالنصر
على القرمطي

ثمّ قام ، فقلت : من أنت؟

فقال : أنا جدّك عليّ بن أبي طالب .

فقلت : مولاي؟

فقال المنصور : مولاك ومولاي .

ثمّ قلت : هذه الصيحة التي قال الله (تع) : ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ (يس ، 29) .

فقال : نعم ، هو كذلك .

قلت : فيوم كالיום الذي نودي فيه من أعنان السماء :

لا سيف إلاّ ذو الفقار ، ولا فتى إلاّ عليّ⁽³⁴³⁾

فتبسّم (عم) ثمّ مدّ يده إلى السيف ذي الفقار القديم . حيثنّذ
قلت : قد زالت الشبهة في السيف . فتناوله وتقدّم / فضرب رأس
اللعين الأعصم ، فحمدت الله وشكرته بما هو أهله .

ثمّ قام من الجماعة رجل تامّ ، فقلت : من أنت؟

فقال : أنا عمّك حمزة .

فقلت : سيدي ، أسد الله وأسد رسول الله .

فتبسّم ثمّ مدّ يده وفيها سيفه فهممت أخذه وقلت : يا عمّ ،
هذا سيفك الذي لا يضرب به إلاّ أنت؟

قال (ط 199) : نعم .

فتقدّم فقطع بضربة واحدة ثلاثة رؤوس وأخذ الثلاثة ، إخوان
الأعصم .

(343) لهذا البيت شأن كبير عند الشيعة ، وقد قيل «إنه سُمع من السماء يوم أُحد» وبه
سمّوا عليّاً «سيّد الفتيان» (ابن أبي الحديد ، شرح النهج ، 3/1) والبيت مذكور
في سيرة ابن هشام .

ثمّ قام منهم جعفر الطيّار (عم) فتقدّم وضرب فقتل كثيراً. ثمّ لم يزل يقوم واحد بعد واحد، يستمى ويتقدّم إلى أن قام آخرهم رجل قلت له: من تكون؟

فقال: أنا أبو موسى الأشعريّ.

قلت: ما لك في السيف سيف، ولا أريد أن أدخلك في شيء من هذا الأمر⁽³⁴⁴⁾.
قال: ولم؟

فتبسّم القوم وضحك رجل كان ورائي جالساً. فلتفت لأنظر إليه وقلت: من أنت يا مولاي؟

قال: أنا جدّك رسول الله.

فالتفت لأقبل الأرض بين يديه، فرفع وجهي على حجره فعانقني فقلت: يا رسول الله، الحمد لله الذي جعل لي حظاً في نصرتك.

فقال: الحمد لله ربّ العالمين، ثلاث مرّات. فانتبهت بعد أن أتى على قتل الفسقة أجمعين، وأنا معانق رسول الله (ﷺ) مسروراً به.

فهذه رواية القاضي النعمان بن محمّد (رضي الله عنه). ثمّ كان الأمر كما رأى المعزّ: فلم تزل جنود الله تتبع الفاسقين الطاغين حتّى أجلوهم عن الشام وأخرجوهم من أعماله. وقتل الأعصم بعد أن كاتبه⁽³⁴⁵⁾ أمير المؤمنين المعزّ واحتجّ عليه وأراه آيات الله جلّ

(344) في هذا التحفّظ إزاء أبي موسى صدى لموقفه في التحكيم وغضب الشيعة بعده.

(345) هي رسالة المعزّ إلى الحسن الفرّيطيّ التي أوردها المقرئيّ في الاتّعاظ، =

وعلا، فأبى إلا عتوا في الأرض واستكباراً، وبغياً على عباد الله وإصراراً، وأراح الله منه العالمين، ونصر عليه أمير المؤمنين.

وعاد إلى دار عزّه وقرار ملكه، وقد تمهدت له البلاد، ودان له العباد، وأصلح الله به الفساد، وشمل عدله، وعمّ فضله، وأظهر (ط 200) الله على يديه برهان الحق الذي هو أهله.

* * *

وكانت وفاة القاضي النعمان بن محمد بن حيّون التميمي رحمة الله عليه بمصر سلخ جمادى الأخرى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة (27 مارس 974). والحمد لله ذي الطول والأنعام، القائل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمان، 26 - 27). وقد ذكرنا من فضل القاضي النعمان/ بن محمد (رضي الله عنه) وتأليفاته وتصنيفاته ما يشهد بفضله وعلوّ مقامه عند أولياء الله وسنا محلّه.

137/2

وفاة النعمان ..

.. وعبد الله وليّ العهد

وتوفي الأمير عبد الله بن المعزّ (رضي الله عنه) في أيام أبيه المعزّ لدين الله (عم) وكان ذلك في إقبال عيد⁽³⁴⁶⁾. ففي ذلك يقول أمير المؤمنين المعزّ لدين الله:

(منسرح)

نحن بنو المصطفى ذوو محن أولّنا مبتلى وآخرنا

= 251 - 265، وقد كان جواب الأعصم: وصل كتابك الذي كثر تفصيله، وقُلّ تحصيله، والجواب ما تراه.

ولم تذكر المصادر أنه قتل، بل قيل إنّه وصل إلى الشام مريضاً فمات. (346) توفي الأمير عبد الله سنة 364 (انظر ترجمة سيرة حوذر، هامش 455 و 467) ولا ندري أيّ عيد يعني المؤلف، وتزداد الحيرة إذا فهمنا بيت المراثية الثانية: في أوان هو الشتاء... على ظاهره. فعيد الفطر كان يوم 14 جوان 975 وعيد الأضحى يوم 21 أوت، وليس هذا فصل شتاء.

عجوبة في الأنام مَحْنَتُنَا صادقُنَا نالها وبقَرُنَا
يفرح هذا الوري بعيدهم ونحن أعيادُنَا مَاتَمْنَا⁽³⁴⁷⁾
وقال أخوه تميم يرثيه، نضر الله وجهه:

(خفيف)

كلُّ حيٍّ إلى الفناء يصيرُ والليالي تَعِلَّةٌ وغُرورُ
والى الله يرجع المَلِكُ والمُلْكُ، ويُفْضِي الأمير والمأمور
وإذا لم يكن من الموت بدٌّ فطويل الحياة نَزْرٌ حقير
أي خَطْبٌ أرى وأيُّ مُصابٍ دهم الناس صَرْفُهُ المحذورُ؟
رثاء تميم لأخيه⁵ كيف لا تأثر المصائب في النفس على من هو النفس الأثيرُ؟
عبد الله وكذا الرُّزءُ بالعظيم عظيم وكذا الرزءُ بالحقير حقير
كيف لم تسقط السماء على الأرض ولم تهو شمسها والبدورُ؟
يوم مات الأمير بل يوم مات الـ صَبْرُ فيه بل يوم مات السرور
يوم بُلُّ الثرى عليه من الدَّمِ مع وقُذَّت على القلوب الصدور
يوم حُطَّتِ عمائم وأذاعت¹⁰ سِرُّها فيه أَثْوَرُ وخُذورُ
يوم أبكى العيون حتى بكاهُ الـ أَسَدُ الوَرْدِ والغزالُ الغرير
وسمعتُ الزفير وهو صُراخ ورأيت الدموع وهي بحور
في أوانٍ هو الشتاء فأَمسى بلهيب الأنفاس وهو هجير
شيعتُ نَعَشَهُ ملائكة الـ هـ ورؤته رحمة وطهور
بمقام غابت وجوه التعزِّي عنه والحزنُ والأنامُ حضور
قَبَروا شخصه ووارَوْا سناء وتولَّوا والقابرُ المقبور
كم نصير له هناك ولكن ليس من سَوْرَةِ الحِمَامِ نصير

(347) أفادنا ناشر الكتاب أنَّ هذه الأبيات هي للعزير في الحقيقة، رثى بها ولدًا له،
ولكنه لم يحل إلى مرجع نشئت به.

لو تُركنا إلى الفداء فداءً من يد الموت عالمون كثيرٌ
وسيوفٌ ومثلهنَّ عبيدٌ ورماحٌ ومثلهنَّ عَشِيرٌ
20 قدُّس الله رُوحه وضريحاً حلَّه ذلك السَّنا والنور⁽³⁴⁸⁾

وكان الإمام نزار بن معدّ، العزيز بالله بن المعزّ لدين/ الله
(صلع) قد استكمل خلال الفضل والكمال، وارتقى إلى أعلى
الدرجات، حائزاً من المناقب وجميع الخلال. فنصبه أبوه إماماً
بعده، وولّاه أمره وعهده، وفوّض إليه حلّه وعقده. ونصّ عليه في
محضر من كبراء دعائه وأهل دعوته وعيون أمرائه وأهل مملكته.
وكتب بذلك إلى دعائه في جميع الأقطار، وأعلن بالتوقيف على
مقامه والإشهار.

138/2
المعزّ يعيّن نزاراً
وليّاً
للعهد

وكان مُقام المعزّ لدين الله (صلع) في القاهرة المعزّيّة حتى
أحكم عقد الخلافة، وأطردت أمور الدعوة، وثبتت قواعد المملكة
في الشرق والغرب، وقضى الله على كلّ معاند بالظفر والغلب. ثمّ
لحق بآبائه الطاهرين ووافاه كما وافاهم ربّ المنون، كما قال الله
(تع) في كتابه الكريم: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَیْتُونَ﴾ (الزمر، 30).
وكانت وفاته صلوات الله عليه ورحمته وبركاته ورضوانه يوم الجمعة
الحادي عشر من ربيع الآخر، وقيل الثالث عشر منه، من سنة
خمس وستين وثلاثمائة (17 ديسمبر 975) (ط 203). وكانت إقامته
في الخلافة مذ توفّي المنصور بالله (عم) وصارت الإمامة إليه ثلاثة
وعشرين عاماً وخمسة أشهر وعشرة أيّام، منها مقامه بمصر: ستان
وسبعة أشهر وأربعة أيّام. وكان مقام جوهر في مصر إلى أن وصل
(عم) أربع سنين وتسعة عشر يوماً.

وفاة المعزّ

ومما قيل في مراثيه قول الأمير تميم بن المعزّ من الخفيف⁽³⁴⁸⁾:

(348) ديوان تميم بن المعزّ الفاطميّ، 147 ثمّ 57.

كيف لا تَعْدَمُ الجُسُومُ القُلُوبَا وتَرى نَضْرَةَ الوجوه شُحُوبَا
مَنْ يُعَزِّي الجِيَادَ أم من يُسَلِّي مَجْلِسَ المَلِكِ والسَّرِيرِ الكَثِيْبَا
فقدوا بعدَكَ القُلُوبَ اللَّوَاتِي شَقُّهَا وَاجِبٌ فَشَقُّوا الجِيُوبَا
وَأَمْعَزَاهُ وَأَمْعَزَاهُ حَتَّى يَغْتَدِي الدَّمْعُ بِالدَّمَاءِ خَضِيْبَا
5 فَلْيَذُقْ غَيْرِي الحَيَاةَ فَلْيَنِي لَا أَرى لِلحَيَاةِ بعدَكَ طَيْبَا

وقيل: إنما كانت وفاة المعز (ص) بالبهنسي⁽³⁴⁹⁾. قال ابن
ماكولا⁽³⁵⁰⁾: «قرية بهنسي من قرى مصر. وكان معه وليّ عهده
والخليفة من بعده العزيز بالله (عم)، فأخبره أنه يموت في ليلته
تلك، وأوصاه بما أوصاه، ودخل إلى محراب المسجد ببهنسي،
فقضى نَحْبَهُ بعد أن قضى صَلَاةَ المغرب. وكان فيما أوصى ولده
الخليفة من بعده أن يحمله إلى القاهرة المعزّية وأن يدفنه بها.
فكتم العزيز بالله وفاته وحمله إلى /القاهرة فدفنه بها».

139/2

وقيل إنّه حمل توابيت (ط 204) المهديّ بالله، والقائم بأمر
الله، والمنصور بالله، صلوات الله عليهم، إلى القاهرة، وفيها
أجسادهم الشريفة، قُدِّفَتْ هناك. وكذلك قيل إنّ توابيت الثلاثة
الأئمة المستورين حملت إلى هناك ودفنت. وقد أوردنا ما ذكره
الواقدي⁽³⁵¹⁾ من أنّ أئمة الظهور حملوا رأس الإمام الحسين بن عليّ
(صلع) إلى القاهرة فواروه بها، صلوات الله عليهم ورضوانه وبركاته

(349) عند ابن خلدون، 51/4: توفي بعسكره بليس وهو متجهز لقتال القرمطي.
(350) ابن ماكولا عليّ بن هبة الله العجليّ (ت 486): مؤرّخ بغداديّ (انظر دائرة
المعارف الإسلامية وأعلام الزركلي).

(351) الواقدي صاحب المغازي والسير (ت 207) لا يمكن أن يذكر أئمة الظهور -
الفاطميين - ولا القاهرة. وإنّما ذكر المؤلّف اسم الواقديّ في السبع الرابع، 96
حين نقل خبراً عن استعداد الحسين للقتال بعد منصرفه من القادسيّة، وهذا
يستقيم تاريخياً.

وتحيّاته، إذ قال الواقديّ في «خصائص الأئمة»⁽³⁵²⁾: «إنّ خلفاء مصر نقلوه من باب الفرديس إلى عسقلان»⁽³⁵³⁾ ثمّ نقلوه إلى القاهرة المعزّية، وله مشهد عظيم يزّار».

فصلوات الله عليهم وبركاته ورضوانه، والحمد لله ربّ العالمين على ما أولانا من ولايتهم، وعرفنا من فريضة طاعتهم. ونسأل الله أن يجعلنا ممّن دخل سفينتهم فنجا من طوفان الضلالة. وصلى الله على رسوله الذي اختاره، و[على] آله وسلّم عليهم أجمعين. وحسبنا الله ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

جاء في آخر مخطوطنا:

قد تمّ هذا الكتاب بعون الله ومادّة وليّه في وقت سيّدنا ومولانا أبي محمّد عبد القادر نجم الدين نجل الداعي الأجلّ الأوحّد سيّدنا

= ولم يقرن خبر نقل رأس الحسين إلى القاهرة باسم الواقديّ، بل اكتفى - ص 129 من السبع الرابع - بقوله: قال صاحب «خصائص الأئمة». فهل التبس عليه - أو على الناسخ - اسم الداعي باسم الواقديّ كما نفترض في التعليق الآتي؟

(352) عند إيفانوف: الأدب الإسماعيليّ، 74 - 75 وفي دليل بوناوالا، ص 162 - 163، ذكر داع ومؤلف إسماعيليّ متأخّر يسمّى عليّ بن حنظلة الداعيّ (ت 1229/626) وينسب إليه كتاب منظوم شعراً بعنوان «سمط الحقائق». فلعله هو صاحب حقائق الأئمة الذي نقل عنه الداعي إدريس في السبع الرابع وهنا، وإن كان المنقول لا يمتّ إلى الشعر.

(353) باب الفرديس هو أحد أبواب جامع الأمويّين بدمشق، وكان بقربه مقبرة باب الفرديس التي قيل إنّ رأس الحسين دفن بها. وقيل أيضاً إنّ الوزير بدر الجماليّ نقل الرأس إلى المشهد الذي ابتناه بعسقلان سنة 491، ثمّ نقل الرأس إلى القاهرة سنة 548 خوفاً من زحف الصليبيّين أن يعيثوا به، وبنى عليه المشهد المعروف الآن بسيّدنا الحسين (انظر باقوت في مادّة دمشق، ودائرة المعارف الإسلاميّة في فصول: عسقلان، دمشق، الحسين).

ومولانا طيّب زين الدين، أطال الله بقاءه إلى يوم الدين، بخط
الحقير المحتاج إلى رحمة الله العليّ الكبير هبة الله ابن الشيخ
الفاضل غلام حسين ابن الشيخ الفاضل الأجلّ ميا صاحب عيسى
بهاء ابن حبيب بهاء ساكن رنيالة غفر الله ذنبه بمحمّد وآله.

سنة 1265 هـ. برتلام

الثالثة عند فتنه بجا أو قيل انه حمل تابوت المهدي بالله والتأني
 بامر الله والمصور بالله صلوات الله عليهم من القادر وفيها
 الجساد في الشريعة قد فنت هناك وكن لك قيل ان توابست
 الثالثة الآية المستورين حملت الى هناك وقد فنت وتدبرنا
 ما ذكره الواقفي من ان الآية الفقهية من حيثهم صلوات
 الامام الحسين بن علي صلوات الله عليهم من القادر في ارباب صلوات
 الله عليهم وبركاته وبرهانه وشيئا الله اذ قال الواقفي
 في خصائص الآية ان خلفاءهم نقل من باب الزمان
 الى مستقلات ثم نقلوا الى الساهرة المعزية وله شفاء عظيم
 من ان فصلوات الله عليهم وبركاته وبرهانه وشيئا الله
 لله رب العالمين علي ما اولانا منه من ولايتهم وعرفناهم
 في بيضة طاعتهم وسأل الله ان يجعلنا من دخل سفينة
 فنجاة من طوفان النعالة وصل الله على رسوله الذي اختار
 الله عز وجل وسلم عليهم اجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم
 المولى ونعم النصير والحق الا بالله السميع العليم

الورقة 139/2 من السبع السادس: نهاية أخبار المعز.

في رجل من خيار ما كان في أيام الإمام الحسين عليه السلام
 الحمد لله من دينه باو لياؤه وجا علم خلفائه في الأرض
 بعين انبيائه و علي الله تعالى مد رسول الله المصطفى ومنه انبياء اوليائه
 في علي بن الحسين علي بن ابي طالب والائمة الطاهرة من انبيائه
 الذين في حق الله في كل واحد منهم في عصر الكين والدين في
 في علي بن ابي طالب في ايام الامام العنبرين بالله تزار اعيان
 المؤمنين ابي المنذر لدين الله فحدثت اسماء سلمات الله
 عليهما في ايامها الظاهرين الاكبرين لما افتتحت الامامة في
 الخلافة التي امير المؤمنين الامام تزار ابي المنصور السوفين بالله
 ابن معتد المعتز لدين الله ثم كاقام باعيا عنان تضر باقامة
 شريعة جده محمد صالح والد واعلايها وحفظت في الملكة في
 ابانة معالما وشر العوق واحيا من اسماء معتد بالتحلل الا في
 من ابائهم واضعوا كل جبار عن خوفه وابائهم كثر و ما لا يلبث
 والد الامام المعز لدين الله ثم سلام الله عليه وكان يكتب
 اسمه في كل يوم في عهد المسلمين وابي امير المؤمنين حجت كتي الى

فهارس الكتاب

- 1 - فهرس القرآن 745
- 2 - فهرس الحديث 751
- 3 - فهرس الأمثال 753
- 4 - فهرس القوافي 755
- 5 - فهرس أعلام الناس والمفاهيم والفئات 761
- 6 - فهرس الأماكن 783
- 7 - فهرس الكتب المذكورة في المتن 793
- 8 - مراجع التحقيق 797
- 9 - الفهرس التفصيلي للمواضيع 805
- 10 - فهرس الخرائط 819

الأرقام تحيل إلى ورقات المخطوط المعتمد، وهي أرقام مثبتة في الطرّة.
والرقم المسبوق برقم 2/ يحيل إلى السبع السادس الذي يبدأ بأخبار المعزّ لدين الله.
ولا نعتبر في الأسماء عبارات = ابن، أبو، بنو، ولا أداة التعريف = فأبو عبد الله يأتي في
عبد الله، وابن مأكولا في مأكولا، وبنو واسين في واسين.

فهرس القرآن

الآية	السورة الصفحة
- أ -	
﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾	التوبة، 31 182
﴿ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾	البقرة، 206 59
﴿ [أَرْسَلَ رَسُولَهُ] بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ... ﴾	التوبة، 33 109/2
﴿ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴾	يوسف، 68 190
﴿ أَلَمْ، أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا... ﴾	العنكبوت، 2-1 494
﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَبِيحَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾	يس، 29 135/2
﴿ إِنْ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	هود، 49 16
﴿ إِنْ الَّذِينَ يَحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ فِي الْأَذْلِينَ... ﴾	المجادلة، 21-20 189
﴿ إِنْ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولَهُ ﴾	التوبة، 3 46
﴿ إِنْ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ﴾	النحل، 90 423
﴿ إِنْ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ... ﴾	الأحزاب، 56 420
﴿ إِنْ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعاً ﴾	الزمر، 53 169
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾	النجم، 3 23
﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً... ﴾	الأحزاب، 45 24
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ... ﴾	الأحزاب، 72 236
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾	الزمر، 30 138/2
﴿ إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	الزمر، 10 303
﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً، قَالَ: وَمَنْ ذُرِّيَّتِي... ﴾	البقرة، 124 1/2

الآية	السورة	الصفحة
- ب -		
﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾	الأنبياء، 18	41/2 183
- ت -		
﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾	البقرة، 253	1/2
- ث -		
﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين أصطفينا من عبادنا ﴾	فاطر، 32	17/2
- ح -		
﴿ حتى إذا استيأس الرسل... جاءهم نصرنا ﴾	يوسف، 110	60/2
﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾	الأنعام، 1	417
- خ -		
﴿ خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين ﴾	الحج، 11	153 ، 142
﴿ خلق السماوات بغير عمد ترونها ﴾	لقمان، 10	181
- ذ -		
﴿ ذرية بعضها من بعض، والله سميع عليم ﴾	آل عمران، 34	38 ، 7/2
- س -		
﴿ سبحان ربك عما يصفون ﴾	الصافات، 180	418
﴿ سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ﴾	الإسراء، 108	417
﴿ سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾	الروم، 17	418
﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ﴾	فصلت، 53	92/2
﴿ سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾	الشعراء، 227	62

— ش —

189	الإسراء، 60	﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾
117	البقرة، 185	﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس﴾

— ع —

59/2	الممتحنة، 7	﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾
53/2	الشورى، 10	﴿عليه توكلت وإليه أنيب﴾

— ف —

529	الأعراف، 34	﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾
181	إبراهيم، 10	﴿. . فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم﴾
133/2	الحج، 46	﴿فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾
177	النمل، 79	﴿فتوكل على الله إنك على الحق المبين﴾
18/2	فاطر، 43	﴿فلن تجد لسنة الله تدليلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾
189	النمل، 36	﴿فما أتاني الله خير مما أناكم . . .﴾
8	إبراهيم، 36	﴿فمن تبعني فإنه مني﴾
146	الأعراف، 118	﴿فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون﴾

— ق —

153	الشورى، 23	﴿قل: لا أسألكم عليه أجراً﴾
289	الأعراف، 32	﴿قل: من حرم زينة الله التي أخرج لعباده﴾

— ك —

183	الجن، 19	﴿كادوا يكونون عليه لبدا﴾
526	القصص، 88	﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾
136/2	الرحمان، 26	﴿كل من عليها فان﴾
526432, 185	آل عمران، 185	﴿كل نفس ذائقة الموت﴾
380	المطفقون، 14	﴿كلّا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾
74، 62	البقرة، 249	﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله، والله مع الصابرين﴾

الآية السورة الصفحة

ل -

418	البقرة، 255	﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾
53/2	المجادلة، 22	﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ﴾
418	الأنعام، 103	﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾
151	فصلت، 42	﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾
299	الليل، 15	﴿ لا يصلها إلّا الأشقى ﴾
17/2، 418	البقرة، 286	﴿ لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها ﴾
180	الأعراف، 45-44	﴿ لعنة الله على الظالمين الذين يصدّون عن سبيل الله ﴾
184	التوبة، 128	﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ﴾
285	الرعد، 38	﴿ لكلّ أجل كتاب ﴾
14/2، 433	الحجّ، 37	﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ﴾
459، 296	الأنفال، 44	﴿ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ﴾

م -

530، 228	البقرة، 106	﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾
181	المجادلة، 7	﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ﴾

هـ -

18/2	المؤمنون، 36	﴿ هيهات هيهات لما ترعدون ﴾
------	--------------	----------------------------

و -

446	الأحزاب، 10	﴿ وإذا زأغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ﴾
454	الأنفال، 48	﴿ وإذا زين لهم الشيطان أعمالهم ﴾
87	الإسراء، 16	﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ﴾
88	الشعراء، 130	﴿ وإذا بطشتم بطشتم جبارين ﴾
333	نوح، 10	﴿ واستغفروا ربكم إنه كان غفّاراً ﴾
75/2	الأنفال، 60	﴿ وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ﴾

الآية	السورة	الصفحة
﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾	الأعراف، 199	508
﴿ والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها ﴾	النازعات، 30-31	199
﴿ وإِذَا تخافنَّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ﴾	الأنفال، 58	87/2
﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾	يوسف، 52	87/2
﴿ ويشس الورد المورود ﴾	هود، 48	12
﴿ وبطل ما كانوا يعملون ﴾	الأعراف، 118	231
﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾	الأنعام، 115	117
﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوًّا ﴾	النمل، 14	19، 192
﴿ وجعلنا سراجاً وهاجاً ﴾	النبا، 18	24
﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾	الزخرف، 28	234
﴿ والخيول والبغال والحمير لتركبوها وزينة ﴾	النحل، 8	75/2
﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث ﴾	الأنبياء، 77	6/2
﴿ وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾	الأحزاب، 11	284
﴿ وظننوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ﴾	الحشر، 2	410
﴿ والعاقبة للمتقين ﴾	القصص، 83	23
﴿ وعنت الوجوه للحَيِّ الْقَيُّومِ وقد خاب من حمل ظلماً ﴾	طه، 111	181
﴿ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ﴾	النمل، 93	92/2
﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً . . . ﴾	البقرة، 143	7
﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل	آل عمران، 169	277
أحياء عند ربهم يرزقون ﴾	إبراهيم، 42	304
﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ﴾	آل عمران، 178	54/2
﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنَّ ما نملي لهم خير لأنفسهم ﴾	البقرة، 255	181
﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾	الزمر، 38	
﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنَّ: الله ﴾	القلم، 33	458
﴿ ولعذاب الآخرة أكبر ﴾	طه، 127	22/2
﴿ ولعذاب الآخرة أشدَّ وأبقى ﴾	هود، 25	26/2
﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين ﴾	الأنبياء، 105	151، 109/2
﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنَّ		
الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾		

الآية	السورة	الصفحة
﴿ والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً ﴾	النساء، 84	141
﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ﴾	السجدة، 21	46
﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾	النساء، 141	394
﴿ ولو كره المشركون ﴾	الصف، 9	18
﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾	الحشر، 8	75/2
﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾	الشورى، 10	
﴿ وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾	لقمان، 34	21/2
﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾	الحديد، 20	432
﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾	النور، 54	60
﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾	النجم، 3	23
﴿ ومن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾	آل عمران، 185	432
﴿ ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا . . ﴾	محمد، 16	27/2
﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾	الأحزاب، 71	491
﴿ ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ﴾	القصص، 5	151
﴿ ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ﴾	آل عمران، 21	180

— ي —

﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾	آل عمران، 64	182
﴿ يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل ﴾ المائدة، 68		182
﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾	الحشر، 18	492
﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ النساء، 59		183، 18/2
﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾	التوبة، 123	43/2
﴿ يا أيها النبي، إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾	الأحزاب، 45	24
﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾	التوبة، 73	43/2
﴿ يحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون ﴾	المجادلة، 18	182
﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ﴾	التوبة، 32	22
﴿ يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ﴾	الشورى، 25	419
﴿ يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ﴾	الحج، 65	417
﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ﴾	آل عمران، 30	17/2

فهرس الحديث

الصفحة	تخريجه	متن الحديث
		(أ)
		«ابشروا بالمهديّ فإنه يبعث على اختلاف من الناس شديداً مجهول
		«إذا سمعتم داعي آل بيتي فسارعوا إليه ولو حبوا على
72/2	ابن ماجه 4084/4082	الثلج والنار»
28/2	الجامع الصغير 31/1	«إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه»
75/2	ابن ماجه 3190	«اذبحه يضاعف لك أجره بذبحه واحتسابك إيّاه»
27	مجهول	«اسمه كآسمي...»
		«إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى
75/2	الجامع الصغير 77/1	للغرباء»
10	مجهول	«انطلق معي يا ابن مسعود»
153	الجامع الصغير 97/1	«إنّ مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح...»
7	البخاري، أنبياء، 6	«إنكم معشر هذه الأمة تصيرون أربع أمم»
9	مجهول	«أنّي رأيت بني أميّة على منابر الأرض يملكونكم»
		(ب)
		«بعثت وفي هاتين القريتين - مكّة والطائف - أربعون
27/2	دعائم الإسلام 119/1	رجلاً ظنّ أحدهم كيقين غيره»
		(ت)
24/2	مسلم 146/2	«تجاوز الله لأمتي عن خطئها ونسيانها...»
24	الترمذي 34/9	«تطلع الشمس من مغربها...»
		(ر)
72/2	مسلم 172-171/3	«رأيت أنّي أسجد فيها (ليلة القدر) في ماء وطين»

الصفحة	تخريجه	متن الحديث
		(ك)
19	مجهول	«كان داود نبيّ الله يتمنى أن يلحق المهدي»
40	مجهول	«الكعبة يمانية والدين يمان»
29/2	مجهول	«كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار»
		(ل)
2	مجهول	«لا بدّ من قائم من أولاد فاطمة يقوم من المغرب...»
9	مجهول	«لا تنقضني الدنيا حتى يليها رجل من عترتي...»
11	مجهول	«لا يثبت العدل إلّا قليلاً حتى ينقطع»
28/2	الجامع الصغير (122/2)	«لتسلكن سبل الأمم قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة»
		(م)
18	مجهول	«من حبس نفسه لداعينا وكان منتظراً لقائنا كان كالمتشخط بدمه»
19	ابن ماجه 4082 و 4084	«من رأى المهدي فليبايعه»
245		«من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فكأنما ينظر في النار» أبو داود وتر، دعاء
6	الجامع الصغير 187/2	«المهديّ أجلى الجبهة أفنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً...»
9	الجامع الصغير 187/2	«المهديّ من عترتي من ولد فاطمة ابنتي»
2	مجهول	«المهدي من نسلي...»
4	الجامع الصغير 291/2	«المهديّ من ولدي أرى وجهه كالكوكب الدريّ، اللون لون عربيّ والجسم جسم إسرائيليّ»
		(ي)
17/3	مسند أحمد 291/2	«يخرج ناس بالمشرق يعطون المهديّ سلطانه»
3	مجهول	«يرفع لآل جعفر بن أبي طالب راية ضالّة، ثم يرفع لآل
17	مجهول	العبّاس راية أضلّ منها»
72	مجهول	«يمرقون كما يمرق السهم من الرمية»
30	مجهول	«يقوم رجل من ولدي على مقدمته رجل يقال له المنصور»

فهرس الأمثال

الصفحة	المرجع	المثل
213	مجمع 4526	(أمر لا ينادى وليده)
134/2	زهر الأكمل 208/2	(بيدي لا بيد عمرو)
73	مجمع 104/6	(الحرب خدعة)
7530	شرح نهج البلاغة 941/5 رقم	(المرء عدو ما جهل)
11/2	مجمع 4017	(من سره بنوه ساءته نفسه)
5	مجمع 4600	(ميهات لا يخفى القمر)
61		(وقد أعذر من أنذر)

فهرس القوافي

البيت	وزنه	قائله	الصفحة
(ب)			
فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب	طويل	النايعة الذبياني	24
كيف لا تعلم الجسم القلوبا وترى نضرة الوجوه شحوبا؟	خفيف	تميم بن المعز	38/2
أقول وأسلمت القريض لأهله وعشت زماناً وهو خير مكاعب	طويل	التونسي؟	25
حلفت وإن قلت الذي ليس في قلبي فلا غفر الله المهيمن لي دنبي	طويل	خليل بن إسحاق	224
يهنا لك النصر فيما رمت من سبب يا سيد الخلق من عجم ومن عرب	بسيط	جعفر بن منصور اليمن	407
ألفت منها مائتي كتاب تزيد عشرين على الحساب	رجز	القاضي النعمان	27/2
(ت)			
بان الشباب فبر عن اللذات وتول منصرفاً عن الشهوات	كامل	خليل بن إسحاق	279
وهت مرر الصبر فأنحلت ورثت عرى الحزم فاجتثت	مقارب	ابن الصيقل	226
امنصور هاشم من لا يحب حياتك لا صحبته الحياة	مقارب	العتقي	462

الصفحة	قائله	وزنه	الييت
			(ح)
			الله يعلم يا خليفة ربنا
279	خليل بن إسحاق	كامل	وابن الخلائف أنني لك ناصح
			قد قلت لما طار عني الكرى
27	ابن عقبة	سريع	حتى متى يا ليل لا تصبح؟
			كثير وجوه الحزم أردى به العدى
67/2	ابن هانيء	طويل	وأنحى به ليث العريضة فانتحى
			(د)
			ألا طرقتنا والنجوم ركود
50/2	ابن هانيء	طويل	وفي الحيّ أيقاظ ونحن هجود
			إذا الرجال ولدت أولادها
12/2	أيمن بن خريم؟	رجز	واضطربت من كبر أجسادها
			يحقّ لنا أن ننصف الفخر والمجد
326	الطرزيّ	طويل	ونكشر فيك الشكر لله والحمد
			نسب كأنّ عليه من شمس الضحى
233	المتنبّي؟	كامل	نوراً، ومن فلق الصباح عمودا
			وإن اعتلى حسن الشاء بجوهر
111/2	عليّ التونسيّ	كامل	فلقد كرمتم قائداً ومقودا
			ألا يا أمين الله يا عالي اليد
498	جعفر بن منصور اليمن	طويل	ويا مصطفى آل النبيّ محمّد
			فارتقى الملعون من خيفته
461	الاياديّ	رمل	في ذرى أعيط عال مصطعد
			(ر)
			دلائل آيات الإمام كثيرة
359	مجهول	طويل	تلوح لمن كانت لديه بصائر
			تقول بنو العباس: هل فتحت مصر؟
110/2	ابن هانيء	طويل	فقل لبني العباس: قد قضي الأمر
			جلّ المصاب لئن كان الذي ذكروا
28	محمّد بن رمضان	بسيط	مما أئتنا به الأنبياء والخبر

البيت	وزنه	قائله	الصفحة
الحمد لله، هذا الفتح والظفر			
هذا الذي كان للإيمان يتظر	بسيط	جعفر بن منصور اليمن	301
أيظنّ وغد فزارة ظنّ امرئ			
جهل العواقب وهو لا يتفكر	كامل	العتقي	462
جلل فادح وخطب كبير			
بلد الشام ضائع والثغور	خفيف	أسيد المكحول	90/2
كلّ حيّ إلى الفناء يصير			
والليالي تعلّة وغرور	خفيف	تميم بن المعزّ	137/2
الا هكذا فليهد من قاد عسكرياً			
وأورد عن رأي الإمام وأصدرا	طويل	ابن هانيء	55/2
ونحن جلبنا الخيل شعثاً ضوامراً			
من الغرب تجتاب المفاوز أشهراً	طويل	المقداد الكتاميّ	115/2
أخشى على ديسم من برد الثرى			
أبى قضاء الله إلّا ما أرى	رجز	مجهول	171
ففاضت على غير مأملة			
وقد كثر الله أوزارها	متقارب	محمد بن ناسك	460
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه			
فما فاتته منها فليس بضائر	طويل	أبو العتاهية	281
تبدّلت بعد الزعفران وطيبه			
صدا الدرع من مستحصات المسامر	طويل	المنصور الفاطميّ	399
ألا فليقرّ الله عين الهلدى فكم			
جلبت بها من نعمة لشكورها	طويل	عبدالله السمرقنديّ	112/2
ما بعد ستين قد أخلقت جدّتها			
من حالة يترجّأها ذوو الكبر	بسيط	مجهول	276
قف بالمطويّ على مرابع دور			
لبست معالمهنّ ثوب دثور	كامل	سعدون الوريجلي	155
فعند الستّ والتسعيّ			
ن قطع القول والعذر	هزج	الفهريّ	24
يا حادي العيس مليح الزجر			
بشّر مطاياك بضوء الفجر	رجز	مجهول	30

الصفحة	قائمه	وزنه	البيت
			(س)
			وما ودّعتُ خير الناس طرّاً
216	خليل بن إسحاق	وافر	ولا فارقته عن طيب نفس
			أنعم بعزّك يا ابن خير الناس
482	جعفر بن منصور اليمن	كامل	وبما حباك الله في ماواس
			(ط)
			ألؤلؤ دمع هذا الغيث أم نقط؟
46/2	ابن هانيء	بسيط	ما كان أحسنه لو كان يلتقط
			(ع)
			بلينا وما تبلى النجوم الطوالع
517	لييد	طويل	وتبقى حصون بعدنا ومصانع
			رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع
98/2	ابن هانيء	طويل	وقد راعني يوم من الحشر أروع
			ولم أر كالمنصور بالله ناصراً
357	محمد الأبروطي	طويل	لدين، ولا أحمى لملك وأمنعا
			قد حصّت البيضة رأسي فما
268	أبو قيس بن الأسلت	سريع	أطعم نومي غير تلهججاع
			(ق)
			توسّم صباح المجد من أين يشرق
325	محمد التونسي	طويل	وعرف الرضى والحلم من أين يعبق
			بني حوال يا مصاييح الأفق
31	مجهول	رجز	ويا مباذيل العطايا تندفق
			(ل)
			يوم عريض في الفخار طويل
44/2	ابن هانيء	طويل	ما تنقضي غرر له وحجول
			كأنّي بشمس الأرض قد طلعت لنا
28	محمد بن رمضان	طويل	من الغرب مقروناً إليها هلالها
			لي حيلة فيمن ينـ
232	مجهول	كامل	م، وليس لي في الكذب حيلة

البيت	وزنه	قائله	الصفحة
قف بالمنازل واسألن أطلالها ماذا يضرّك إن أردت سؤالها؟ أنا سيف الإلاه وابن رسول الـ	كامل	خليل بن إسحاق	277
له قطب الهدى وللناس قبله إذا ظهر المنصور من آل أحمد	خفيف	القائم الفاطميّ	179
فقل لبني العباس: قوموا على رجل سلام على آل النبي ورهطه	طويل	مجهول	30
وشيعة أهل النهى والفضائل كدأبك ابن نبيّ الله لم يزل	طويل	القائم الفاطميّ	211
قتل الملوك ونقل الملك والدول كتابي إليك من أقصى الغروب	بسيط	ابن هانيء	122/2
وشوقي إليك شديد طويل	مقارب	المنصور الفاطميّ	399

(م)	منسرح	المعزّ	137/2.
الدين مخترم والحق مهتضم وفّيء آل رسول الله مقتسم ويوم بأرض القيروان شهدته	بسيط	أبو فراس	90/2
وقد ظلّ فيه الجوّ أغبر أقتما ذهبت أكاليل الوسامة	طويل	عبدالله بن إصبغ	356
وابيضّ مسودّ الغمامة لعمرك ما أوس بن سعدى بقومه	كامل	خليل بن إسحاق	278
ولا سيّد الأويار قيس بن عاصم فشّيعت جيش النصر تشيع مزعم	طويل	الفزاري	463
وودّعته توديع غير مصارم أتصبح في كتامة ذا انفراد	طويل	ابن هانيء	99/2
تقابلها قياماً في قيام؟	وافر	المهديّ الفاطميّ	173

(ن)

نحن بنو المصطفى ذوو محن أولنا مبتلى وآخرنا	منسرح	المعزّ	137/2
-----------------------------------------------	-------	--------	-------

			يا أيها الملك الذي عاداته
398	مجهول	كامل	وطباعه الإنعام والإحسان نسب كمطرّد الكعوب مقوم
233	مجهول	كامل	ما فيه من أود ولا عرجون بك دان ملك المشرقين وأهله
101/2	ابن هانيء	كامل	وأنا ب بعد النكت والخلعان مبارك الطلعة ميمونها
171	مجهول	سريع	يصلح للدنيا وللدِين

(ي)

			ما مقامي على الهوان لديكم وبمصر الخليفة الفاطمي
132/2	الشريف الرضي	خفيف	

فهرس أعلام الناس والمفاهيم والفتات

(أ)

إبراهيم بن أبي الأغب (قائد الجيش الأغلب)
بالأربس): 97 - 100، 102 - 109، 111،
113.

إبراهيم بن ثوبان بن أبي سلاس (من أهل
الأربس): 258، 259، 262، 263، 309،
310، 360.

إبراهيم بن حبشي الأغلب: 89 - 91.

إبراهيم العمشاء (الفقيه القيرواني): 280.

إبراهيم بن غالب المزاتي (عامل سجلماصة):
144.

إبراهيم بن كيغلغ (والي البهنسى والأشمونين
أثناء حملة القائم): 187.

إبراهيم بن المديني (الباغاثي): 98.

إبراهيم بن ميسرة (من رجال الإسناد): 19.

إبراهيم بن مخلد أبي يزيد: 78/2.

إبراهيم بن ورع: 302.

الأبروطي الشاعر (محمّد بن الحرث): 356.

إجانة (قبيلة): 57، 64، 68، 104، 178،
390.

الإباضية (الخوارج، النكارية): 8، 72، 76،
248، 249، 289، 311، 354، 389، 397،
405، 410، 427.

إبراهيم (الخليل): 14، 1/2، 432، 343،
80.

أبو إبراهيم (ابن صاحب ميلة): 81، 82،
84.

إبراهيم بن أحمد (الأغلب): 25، 27، 28،
29، 59، 60.

إبراهيم بن أحمد الرّسيّ (الشريف أبو
إسماعيل): 104، 101/2.

إبراهيم بن أحمد (أحد ولاة جوهر علي
تنيس): 117/2.

إبراهيم (ابن أخي جوهر؟): 126/2.

إبراهيم بن إسحاق الزبيديّ (رافق أبا عبد الله
الداعي إلى مكة): 51.

إبراهيم الأشلّ (من أصحاب القائم أيام حصار
المهدية): 297.

أحمد الهواري (عامل أبي يزيد على سوسة):
315.

«أخذ عليه» (العهد): 34.

الإخشيدي (محمد بن طنج): 186، 187،
95/2، 114.

الإخشيدي (قاوموا جوهرًا): 95/2، 105،
106، 113، 116.

إدريس بن عبد الله بن الحسن (إدريس
الأول): 22، 62/2.

إدريس بن علي بن عبد الله الشريف الزيدي
(صاحب كتاب كنز الأخيار): 192، 232.

آدم عليه السلام: 44.

«آدم الأصغر» (علي بن أبي طالب): 232.

أرسطاطاليس: 71/2، 72.

إسحاق بن إبراهيم الخليل: 2/2.

إسحاق بن خليفة (عامل الأريس): 258.

إسحاق بن طريف (من رجال الحواري
باليمن): 40.

إسحاق بن موسى الإسرائيلي (طبيب المعز):
130/2.

بنو إسرائيل: 4 - 6.

الإسكندر: 72/2.

إسماعيل (بن إبراهيم الخليل): 432، 2/2.

إسماعيل بن جعفر الصادق: 230، 2/2.

إسماعيل بن نصر (من تيجس، ناصر أبا
عبد الله): 94.

ابن الأسود (أبو عبد الله ابن الهيثم)، انظر:
جعفر ابن محمد بن الأسود.

أسيد بن همام بن مكحول القرشي الشاعر:
90/2.

الأشعث بن قيس الكندي (من أصحاب

أحمد بن بحر (قاضي القيروان): 269-277.

أحمد بن بكر الجذامي (أمير فاس): 57/2،
63-60، 65، 73-75.

أحمد بن تعبيرة (حملة القائم المصري):
177.

أحمد بن خرز الزناتي: 145.

أحمد بن خليع = داعي بني موسى باليمن:
38.

أحمد بن سامة (أسطول صقلية): 216.

أحمد بن سليمان السكتاني أبو جعفر (من
أنصار أبي عبد الله): 85، 101.

أحمد بن صالح أبو النمر (وال عباسي
بمصر): 174-176، 214.

أحمد بن علي الإخشيدي أبو الفوارس:
95/2، 96.

أحمد بن عمر بن سريج (الفقيه الشافعي):
32/2.

أحمد بن القاسم بن أبي المنهال القاضي:
126/2-127.

أحمد الكمين الوزداجي (غدر بالحسن
الكلبي): 328.

أحمد بن كيغلف (من حاشية المقتدر
العباسي): 217.

أحمد بن محمد المروزي (قاضي المهدي):
299.

أحمد بن مخلد أبي يزيد: 475.

أحمد بن نصر أبو جعفر (داع فاطمي بمصر):
107/2، 127.

أحمد بن نصر (تمرد بطرابلس): 174.

أحمد، ابن المهدي الفاطمي (أبو علي):
126/2.

أهل العمون: 210.
 أهل فيلاج: 485.
 أهل القيروان: 97، 115، 147، 170، 198،
 280، 281، 294، 300، 314، 315، 346،
 349.
 أهل مصر: 186.
 ابن أميج = انظر: عبد العزيز بن أميج.
 أورسة: 171.
 أوس بن سعدى: 463.

أولاد أبي يزيد:

إبراهيم: 78/2.
 أحمد: 475.
 أيوب: 302، 308، 318، 323، 325-
 328، 368.
 فضل: 269، 284، 292، 320، 329، 350،
 363، 429، 436، 438، 478، 480، 498.
 يزيد: 329.
 يونس: 407.
 «الأولياء» (أنصار الدعوة): ذكرهم كثير.
 الإيادي الشاعر: 335، 461، 111/2.
 بنو إيليان: 308.
 «الإيوان»: 190، 215.
 أيوب بن خيران الزويلي (أبو سليمان): 259،
 267، 268-275، 293، 316، 321، 324،
 345، 429.
 أيوب بن سمالك (من أحلاف ابن خزر):
 20/2.
 أيوب بن مخلد أبي يزيد: 302، 308، 318،
 323، 325-327، 368.

علي بن أبي طالب: 185.
 أصحاب الرس: 185.
 أصحاب الكساء: 15/2، 421.
 «الإعذار الجماعي»: 78/2.
 الأعصم القرمطي (الحسن بن أحمد أبو
 علي): 124/2، 125، 132، 136.
 أبو الأعور: انظر: السلمي.
 الأغالبة: 25، 28، 90، 92، 103، 156،
 157، 170، 260.
 الإفرنج: 96/2.
 أفلح الناشب (أمير برقة): 100/2.
 أفلح بن هارون الملوسي (من قضاة
 المهدي): 174، 193، 195.
 آل جعفر بن أبي طالب: 17.
 آل الحسن: 17.
 آل العباس: 17.
 آل محمد: 11، 15، 20، 23، 29، 30، 37،
 134، 94/2.
 امرأة أبي يزيد (أم أيوب/تاخيريت): 347،
 458.
 بنو أمية: 6، 9-11، 13، 17، 28، 185،
 189، 229، 383، 471، 31/2، 40، 41،
 43، 46، 54، 55، 57، 60، 65، 108،
 132.
 الإنجيل: 181، 52/2.
 أنرجور بن الإخشيد: 95/2.
 أهل إفريقية: 95، 98، 175، 178، 197،
 262، 276، 290، 297، 330، 371، 43/2.
 أهل أوراس: 368.
 أهل البيت: 54/117.
 أهل الشام: 13.

(ب)

«الباب»: 50.

باب الأبواب، انظر: الحسن بن أحمد.

ابن بازي (من أنصار أبي يزيد): 361.

باطيط بن يعلى: 480، 497، 498.

الباقر: انظر محمد الباقر.

«البتول»، انظر: فاطمة الزهراء.

بدين بن محمد الجيملي (من قواد كتامة):

255، 256، 261.

«براءة» (سورة التوبة): 87/2.

برواية (قبيلة مناهضة): 485.

«البربر» (وتعني أيضاً ثوار أبي يزيد): 92،

133، 197، 206، 248، 258، 263، 264،

268، 269، 271، 273، 276، 280، 287،

292-298، 301، 305-310، 315-330،

342-355، 358-365، 368-373، 382،

389، 397، 402، 405، 414، 469، 478،

497، 20/2، 100، 115، 120.

«البربرية»: 208، 335.

أبو بردعة (ثائر أيام المنصور): 497.

بنو برزال: 389، 393، 314، 397، 398،

404.

«البرقيون» (طائفة من الجند الفاطمي): 390.

بشارة النوبي (من قواد جوهر بمصر): 125/2.

بشر بن منصور المكناسي (ثائر بالزاب):

485.

بشرى الخادم: 139، 262-268، 362، 390.

أبو بصير (من رجال الإسناد): 3.

البغداديّ (من شيوخ الدعوة أيام القائم):

224.

أبو بكر (وعمر): 248-250.

بلال الطنبائي (من الأخشيديين القتلى):

107/2.

البلوقي، انظر: محمد بن ميمون.

بلقين بن زيري: 126/2، 134.

بنو بنطاس: 108، 371.

بنطاس بن حسن الملوسي (قاوم الماوطي أيام

المهدي): 172.

بهاء الدولة البويهية: 85، 2.

بورق التركي، انظر: توزون.

بنو بويه: 85/2، 91.

بياضة بن خالون (صهر ابن خزر): 386.

بنو بياضة: 319.

بيان بن صفلان السكتاني (رفض التآمر على

الداعي): 64-66، 85.

(ت)

تازروف (من قواد ابن فلاح): 118/2، 125.

ابن تبادلت، انظر: عبد الله بن خزر.

التركي (والي سلمية): 120، 123.

«تشرق» (= تشيع): 63.

تصولا المسالتي (أخو فتح بن يحيى): 77.

تكين (أبو منصور، القائد العباسي): 175،

177، 222.

تمام بن معارك (أبو زاكي): 57، 81، 98،

132، 133، 144-148، 164، 166، 167.

تميم بن المعز الفاطمي الشاعر: 118،

119/2، 126، 137، 138.

تميم الوسفاني (من رجال المهدي): 261.

ابن تنوط الملوسي أبو الغارات (من رجال

المنصور): 392، 396.

التوراة: 181، 52/2.

124، 128، 129، 131، 132، 137، 138،
375.
جعفر بن حمدون: 388، 390، 131/2، (134).
جعفر الصادق: 3، 16، 17، 43، 230،
233، 2/2، 11، 28، 31، 36، 38.
جعفر بن أبي طالب (الطيار): 17، 136/2.
جعفر بن عبيد: 196، 199.
جعفر بن الفضل (الوزير المصري ابن
الفرات): 96، 95/2، 118، 131.
جعفر بن فلاح الكتامي: 110، 106/2، 113،
114، 118، 124.
جعفر (ابن القائم): 126/2.
جعفر بن محمد بن الأسود بن الهيثم (الداعي
المؤرخ): 133، 147، 193.
جعفر بن منصور اليماني (الداعي الشاعر):
50، 301، 407، 482، 498، 33/2، 34.
جعفر الناظر (من أصحاب أبي يزيد): 443، 450.
جفنة الخادم: 416.
جليان (قائد رومي): 497.
الجليقي (عزله خليل عن القيروان): 271.
«الجند»: 258، 261، 262، 265، 266،
270، 271، 274.
جنود إفريقية: 197، 203، 208.
جهور بن عليّ الهمداني الوادعي المؤرخ (أبو
بكر): 476، 132/2.
بنو جودان: 107.
جودز الأستاذ: 235-237، 337-340، 363،
377، 423، 452، 453، 477، 489، 500،
512، 516، 527، 4/2، 231، 22، 56،
97، 119، 122، 127-131.
الجوفريّ العزيزي (منصور): 235، 237،

توزون التركي: 279.
التونسي الشاعر: 25.
التيفاشي (عبد الله، عامل سيبة): 259.
تيودورا زوج الامبراطور: 474.
تيم (رهب أبي بكر): 211.

(ث)

ثائر عباسي قتله أبو عمار الأعمى: 308.
ثمال الخادم (غلب أسطول القائم بمصر):
187.
ثمود: 185.
ثوبان بن أبي سلاس (الأريس وشقبنارية):
325-322.

(ج)

أبو الجارود (من رجال السند): 23.
جالينوس: 239-238.
جبر بن تماشت الجيملي (قاتل أبي العباس
المخطوم): 167، 168.
جبرائيل (الروح الأمين): 10، 211، 229،
39/2، 96.
جرجير (المقتول في وقعة سببلة): 479.
الجزري، انظر: أبو جعفر الجزري.
«الجزيرة»: 39، 10/2.
جعفر الباغي (من أصحاب خليل بن
إسحاق): 270.
جعفر بن جوهر القائد: 116/2.
أبو جعفر الجزري (وكيل المهدي): 112،
113، 121، 155، 174.
جعفر [بن علي] الحاجب: 79، 80، 119،

423، 424، 512، 516، 119/2، 121، 127.
جوستينيانوس: 474.
جوهرة القائد: 237، 43/2، 62-54، 68، 75، 125-95، 130، 133، 138.
«الجيش الأعظم» (جيش ميسور): 262.
الجيش الفاطمي (أقسامه): انظر:
البربر.
البرقيون.
جند إفريقية.
الجند.
الزويليون.
العبيد.
العسكر.
كتامة.
جيملة: 64، 68، 84، 104، 177، 178، 371، 390، 429.

(ح)

إبراهيم الحامدي (الداعي المطلق الثالث): 34، 49.
أبو حاتم الرازي (صاحب كتاب الزينة وكتاب الإصلاح): 245.
حارث المدغري (من أصحاب أبي عبد الله): 106.
الحاكم الفاطمي: 14، 246.
حباسة بن يوسف الملوسي (أخو غزوية): 174-178.
ابن حبشي الأغلي، انظر: إبراهيم.
أبو حبيب بن حفص ابن عسلوجة (وانظر: ابن عسلوجة): 88.
حبيب بن محمد الجيمي (من رجال

المنصور): 391، 396.
الحجاج بن يوسف: 185.
«الحجة»: 40، 230، 236.
حذيفة اليمان (من رجال السند): 94.
حريث الجيمي (من أصحاب أبي عبد الله بمكة): 51، 53، 55، 56.
حسن (ابن أخت جعفر الحاحب): 128.
الحسن بن إبراهيم بن زولاق: 96/2، 122.
الحسن بن أحمد، انظر: الأعصم القرمطي.
الحسن بن أحمد بن أبي خنيزر (صاحب ميلة): 81، 114، 160، 265.
الحسن بن أحمد بن داود أبو علي، باب الأبواب: 127، 128، 222، 224.
الحسن بن أحمد بن نافذ أبو المقارع (عامل طبة للأغالبة): 91، 92.
الحسن بن جعفر الأنصاري المؤرخ: 497، 43/2، 134، 160، 78.
الحسن والحسين (السبطان): 13، 17، 18، 116، 150، 339، 421، 434، 2/2، 113.
الحسن بن رشيق (قائد الزويليين في حصار كيانة): 439.
الحسن بن زولاق، انظر: الحسن بن إبراهيم.
الحسن [بن علي] السبط: 17، 7/2، 8.
الحسن بن عبيد الله بن طغج (أمير الشام): 95/2، 96، 101، 114-116.
الحسن بن علي الكلبي: 264-268، 309، 323-330، 379، 381، 382، 497، 511.
42/2.
الحسن بن فرح، انظر: منصور اليمن.
الحسن بن منصور (من بني هراش): 325.

الحسن بن نصر الصنهاجي (قتله فضل بن مخلد): 429.

أبو الحسن الموصلي (عامل المعز علي باغاية): 78/2.

حسن بن هارون الغشمي (من أصحاب أبي عبد الله): 57، 66-70، 85.

الحسن بن واصل الملوسي (من رجال المنصور): 392، 396.

الحسينون (الأدارة): 62/2، 63.

الحسين (السبط): 13، 17، 18، 22، 131، 213، 231، 421، 434، 139/2.

أبو الحسين (داعي الدعاة بحماة): 122.

أبو الحسين (عيسى، ابن للمهدي جدر فعمي): 241.

الحسين بن ناكسين الإجاني الكتامي: 254-256، 261، 315، 330، 360.

حسين بن يعقوب (صاحب البحر في عهد المعز): 22/2.

«الحشوية»: 35.

حكمل الإخشيدية: 114/2.

الحكم بن تماشت (من أصحاب أبي عبد الله): 67.

الحلي (داع؟): 193.

الحلواني الداعي: 51، 54، 55، 94، 193.

حليم بن شيبان داعي السند: 81/2، 92، 233.

حمار أبي يزيد الأشهب: 258.

حمام الزاجل: 125، 272.

ابن حمدان: انظر: سيف الدولة.

حمزة بن عبد المطلب: 136/2.

حميد الدين الكرمانلي: 246، 133/2.

حميد بن يصل: 216، 470، 471.

جمير (أصل كتامة): 115/2.

الحنوي (من رجال الإسناد): 94/2.

أبو حنيفة (صاحب المذهب الحنفي): 134.

أبو حوال الأغلي (محمد بن إبراهيم الأحول): 82-87، 90.

بنو حوال (باليمن): 31.

حوشب بن طخمة (من خصوم علي): 185.

ابن حوقل: 92، 476، 100/2، 118، 132.

حي بن تميم (صاحب بلزمة): 64.

حيان البواب (بالمهدية): 284، 285.

حيدر (الإمام علي): 301.

حيدرة بن محمد بن إبراهيم (صاحب السيرة الكتامية): 139/2.

حيدرة (ابن للمنصور الفاطمي): 126/2.

«الحيعة»: 116، 177، 114/2، 118.

(خ)

الخراج: 109/2، 118.

خراج بن محجن (خصم منصور اليمن): 41.

الخزر (الأتراك): 213.

أبو خزر، بنو خزر: 121/2، 124.

أبو الخطاب (من الغلاة): 43.

خفاجة العبشي (عامل مجانية للأغالبة): 100، 101.

خفيف الخادم: 56/2.

ابن خلاف (أهدى الحمار لأبي يزيد): 258.

ابن خلكان: 232، 96/2، 131، 132.

خليفة (من رجال أبي يزيد): 306.

أبو خليفة الكتامي (من الأولياء الثابتين): 164، 170.

خليل بن إسحاق التميمي: 198، 203، 204.

206، 208، 219، 222، 224، 261، 262،
260-280، 290، 415.
«الخمس»: 258.
خندف: 211.
«الخندق»: 383.
ابن أبي خنزير: 265.
بنو أبي خنزير (ميلة): 80.
الخوارج (وانظر الإباضية): 8، 72، 76،
248، 249، 289، 354، 385، 397، 405،
410، 426.
خيران الخادم: 56/2.
الخير بن محمد بن خزر: 437.
خير المنصوري (عامل تكين على برقة):
176.
(د)
دار الضرب: 468.
الداعي إدريس (المؤلف): 531.
داود النبي: 8، 6/2، 19.
داود بن حباسة اللهيضي (انضم إلى أبي
عبد الله): 88، 89.
أبو داود الملوحي (عامل القائم على برقة):
176.
«الدجال»، انظر: مخلد بن كيداد.
«دعاء»: 57، 81/2.
«الدعوة الفاطمية»: 501.
الدغشي (من رجال الأسانيد): 23.
أبو دقل الملوحي (مع القائم): 255، 261.
أبو الدلفاء (عامل الحنية إبان حملة القائم):
176.
الدمستق: 43/2 - 45، 86، 89.

دنيل الكاهن: 26.
«الدولة العلوية»: 249، 250، 501.
دوي الصقلي (من إخشيدتي مصر): 114/2.
بنو ديار (باجة؟): 326.
الدينار الرباعي: 477.
الدينار المعزي: 109/2.
«ديوان البربر»: 167.
ديوان الخراج: 157.
ديوان الرسائل: 504.
ديوان العطاء: 157.

(ذ)

أبو ذحار الملوحي (من رجال القائم في
الحملة المغربية): 172.
ذو الفقار: 218، 353، 354، 369، 372،
373، 390، 392، 397، 406، 408، 410،
411، 421، 457، 135/2.
ذو الكلاع الحميري (من أعداء الإمام علي):
185.

(ر)

الرازي، انظر: أبو حاتم.
الراضي العباسي: 85/2.
رجاء بن أبي قنة (من رجال أبي عبد الله ثم
القائم): 106، 177.
رشيق الرياحاني الكاتب (دافع عن المهدية):
294، 337، 342، 344، 345.
ابن ركاب: (صاحب تيجس): 94، 95.
ركو المزاتي (من رجال أبي يزيد): 305،
361.

الروذباري (أبو محمد، عامل الخراج
لجوه): 106/2.

الروم: 10، 196، 246، 247، 307، 384،
474، 497، 513-511، 54-43/2، 86، 89،
90، 93، 96، 118.

رومانوس: 87/2.

(ز)

زاذان (من رجال الإسناد): 22.

أبو زكي، انظر: تمام بن معارك.

ابن زبرج الهاشمي (ثائر على جوهر بمصر):
113/2.

زبرقة (موقع وقبيلة): 202، 205.

ابن زريّة (سفيه قيرواني شتم خليلًا): 276.

بنو زلال (جزيرة شريك): 321، 324.

زناتة: 104، 105، 133، 160، 197-199،
215، 249، 403، 134/2.

زبير (ثائر إخشيدّي): 116/2 - 118.

زواغة. (قبيلة بربرية): 210.

زواوة (قبيلة كتامية): 77.

ابن زولاق (الحسن بن إبراهيم المؤرخ):
96/2، 121.

الزويليون: 266، 285، 307، 330، 425،
439.

زياد بن أبيه (ابن سمية). 185.

زياد المتوسي (من خصوم أبي عبد الله): 64.

زيادة الله الثالثة الأغلبية: 86، 87، 89، 93،

96، 98، 100، 102، 103، 105، 108،

110-116، 129، 131، 157، 167، 214.

زيادة الله ابن القديم (صاحب الخراج

بالقيروان): 349.

زيري بن مناد: 402، 405، 407، 416،

427، 430، 439، 440، 469، 470، 497،

126/2، 134.

(س)

سالم بن أبي راشد (أمير صقلية): 214.

السجستاني (أبو يعقوب): 245.

سدراة: 389.

سدينة (صدينة؟): 145.

السردغوس، انظر: سليمان السردغوس.

سطيح الكاهن: 26.

ابن سريج الشافعي: 31/2.

سعادة بن حيان (فائد مغربي مع جوهر):
124/2، 125.

سعد العامل (صاحب عيال أبي يزيد): 367.

سعدون الورجيلي الشاعر: 155، 156.

بنو سعيد (مرماجنة): 385.

سعيد الحبروني (من رجال أبي يزيد): 300.

أبو سعيد الخدري: 2، 9.

سعيد بن خلف الهواري (خذل كبون وانضم
إلى مخلد): 254.

سعيد الخير محمد بن أحمد (أبو علي

الحكيم): 119.

أبو سعيد الضيف (أمير أسطول المهدي):

224.

سعيد بن المسيب: 9، 21.

سفيان الثوري: 4.

«سقوط النجوم»: 126.

بنو سكتان: 55-60، 64، 65، 67، 69، 85.

ابن أبي سلاس (أبو الفضل): 311، 360.

«الشجرة الملعونة في القرآن» (بنو أمية):
189.

بنو شدّاد: 485.

الشريف الرضي: 132/2.

الشريف الزيدي،

117/2

الشريف مسلم الحسيني، انظر: مسلم.

شفيع الخادم: 135، 427، 439، 440، 469.

شقر المكناسي (من أصحاب أبي يزيد):
361.

ابن (مغني زيادة الله): 99.

شمول الإخشيدي (عامل دمشق): 95/2.

أبو الشوارب (قاضي بغداد): 218.

«الشيخ» (أبو عبد الله الداعي): 107.

الشيخ الحميد (أبو الحسن النخشي): 245.

«شيخ المشايخ»، انظر: هارون بن يونس
المسالت.

الشيعة: 3، 27، 35، 37، 38، 51، 54،

250، 300، 20/3.

«الشيعة»: 97، 99، 110، 113.

(ص)

صابر الفتى: 214، 216، 56/2.

صالح بن عليّ العبّاسي (أول أمير على

مصر): 108/2.

صالح بن الروحاني (قائد أغلبي): 86، 87.

ابن الصائغ، انظر: عبد الله بن الصائغ.

صبارة (قبيلة مناهضة): 160.

بنو صدغايان (جهة سواق أهراس): 103.

صدينة (قبيلة مناهضة): 198.

سلمان الفارسي: 22، 94، 94/2.

أم سلمة: 9.

السلمي، (أبو الأعور): 185.

بنو سليم (أحواز سوسة): 344.

سليمان النبي: 86، 6/2، 8.

سليمان الأعجمي الأسود (من قواد أبي
يزيد): 321، 324.

سليمان بن جعفر (من رجال الإسناد): 12.

سليمان بن الحسن القرمطي (أبو طاهر):
122/2.

سليمان السردغوس: 474.

سليمان الصقلي (قائد الأسطول إلى مصر):
219.

سليمان بن كافي الجيمي (من رجال القائم
في مصر): 175، 176، 177، 196.

سمانة (قبيلة): 53.

السنجرة (أصحاب ميلة): 80.

السند (فرقة بهلنة): 79/2.

سهل (من أصحاب خليل بن إسحاق): 274،
275.

سهل بن بركاس (من أصحاب أبي عبد الله):
133.

سهيل بن نفس (صاحب النفقات بالقيروان مع
خليل): 272.

ابن سيرين: 19.

سيف الدولة: 48/2، 49، 86، 89-91.

(ش)

الشافعي: 31/2.

شبيب بن أبي شدّاد (صاحب طبنة): 90-92.

زكريا): 112، 113، 117، 132، 133،
147-149، 161، 163، 164، 167، 168،
223.

العبّاس بن عبد المطلب: 188، 189.
عبّاس بن محمّد العبّاسيّ (أبو الطيّب، في
وفد التفاوض مع جوهر): 101/2، 104.
عبّاس بن مندورة (قائد مراكب المدد إلى
سوسة): 315، 330.

عبد الجبار (ابن للقائم): 126/2.
عبد الرحمان بن بكار (من رواية الحديث):
20.

عبد الرحمان العتقيّ (الحنفي؟) الشاعر):
462.

عبد الرحمان بن ملجم: 185.
عبد الرحمان الناصر/صاحب الأندلس: 368،
382، 383، 458، 42/2، 52.
عبد الرزاق (من رواية الحديث): 9، 21،
30.

عبد السميع بن عمر (إمام جامع عمرو):
114/2.

بنو عبد شمس: 31/2، 69.
عبد العزيز بن أهيح (ثائر على جوهر في
الصعيد): 125/2، 126.

عبد العزيز بن يوسف (عامل الفرما أو
القلزم): 125/2.

عبد الله بن إبراهيم الأغلبيّ (أبو العبّاس):
77، 78، 81، 82، 86.

أبو عبد الله بن الأسود، انظر: جعفر بن
محمد بن الأسود.

عبد الله بن أصبغ الشاعر: 356.

عبد الله بن بكار (عامل تاهرت): 368.

الصقالبة: 296، 126/2.

صندل الخادم: 131، 137، 139، 293.

صنهاجة: 200، 401، 402، 429.

صولات (ابن معلول، عامل القائم على
باغاية): 250، 251.

أبسن الصيقل الشاعر (عثمان بن سعيد):
226.

(ط)

الطائع العبّاسيّ: 85/2.

طارق الخادم: 237، 427، 429.

طاغية الروم: 511، 512، 42/2، 47، 86.

طاهر سيف الدين (البهرة): 531.

أبو طاهر القاضي: ، انظر: محمد بن أحمد.

طاوس (من رجال السند): 19.

ابن طباطبا العلويّ (مصر): 132/2.

الطراز: 468.

الطرزيّ الشاعر (محمد بن أحمد): 369.

ابن طولون: 97/2.

طيّب (بن إسماعيل) الحاضن، أبو الحسن:
124، 132، 137، 138.

عاد: 185.

«العامة»: 23، 74، 229، 232، 304، 75/2.

عامر بن يوسف (من رجال القائم بمصر):
176، 177.

بنو العبّاس: 6، 10، 11، 17، 22، 26، 28،

30، 115، 122، 125، 189، 218، 219،

229، 234، 40/2، 85-87، 90، 91، 95،

108، 125، 132.

أبو العبّاس (المخطوم الداعي، محمّد بن

عبد الله بن أبي الملاحف (رفيق أبي عبد الله الأول): 51.
عبد الله بن ميمون القذّاح: 230، 234.
بنو عبد المطلب: 7، 10، 21.
عبد الملك بن مروان: 185.
العبيد: 197، 200، 215، 261، 262، 265، 274، 282، 283، 293، 294، 298، 371، 373، 380، 381، 390، 425، 429، 439، 475، 487، 19/2، 59، 65.
عبيد الله بن زياد: 185.
عتبة بن أبي سفيان: 185.
عثمان بن الصيقل: 226.
العتقيّ (محمد أبو عبد الرحمان): 32/2.
وانظر: عبد الرحمان الشاعر.
عثمان بن عفّان: 248، 479.
«العجلتان»: 61/2.
عجيسة (قبيلة مناهضة): 198، 200.
«العَرَادَات» (حصار سوسة): 330.
«العراقِيّون»: 97.
العزیز الفاطميّ: 13. وانظر: نزار بن معدّ.
عزیزة (البتة المغتصبة عند مخلد): 287.
عسكر (أي معسكر): 352.
العسكر: 265.
عسلوج بن الحسن (بن عسكر؟) الدنهاجيّ (من رجال الدولة بالقاهرة): 113، 119/2.
بنو عسلوجة (أبو حبيب): 88.
عضد الدولة البويهّيّ: 85.
عفيقان بن كردوس (قائد الجيش إلى برقة): 177-175.
عقبان بن حسن الجيمليّ (عامل باجة): 316، 318، 323.

عبد الله التيفاشي (عامل سيّبة): 260.
عبد الله بن [محمد بن] أبي ثوبان (قاضي القاهرة): 133/2.
عبد الله بن جبر (مبعوث المنصور إلى كتامة): 381.
عبد الله بن جبلة (من رواة الحديث): 14.
عبد الله بن جعفر السمرقنديّ (الشاعر): 112/2.
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: 17.
أبو عبد الله [بن حملون] الأندلسيّ (الداعي بمصر): 53-55، 74.
عبد الله [بن تبادلت] بن خزر: 201، 203، 204.
أبو عبد الله الداعي (الشيوعيّ، الصنعائيّ، الشيخ، السيّد = الحسين بن أحمد بن زكريّا): 25، 42، 50-118، 131-140، 150، 144، 156، 172، 159، 223.
عبد الله بن الردم: 98.
عبد الله بن زلال الجزيريّ (شريك): 359.
عبد الله بن زياد (كاتب خليل): 272.
عبد الله بن أبي سرح: 479.
عبد الله بن الصائغ (وزير زيادة الله الثالث): 99، 110، 111.
عبد الله بن العباس (الصحابي): 19، 21، 289.
عبد الله بن العباس أبو محمد (داعي مصر ثمّ اليمن): 38، 39، 50.
عبيد الله بن عبيد الله الحسينيّ (أخو الشريف مسلم): 118/2.
عبد الله بن عمر بن الخطّاب: 22.
عبد الله بن مسعود: 7، 9، 10، 7/2، 8.
عبد الله بن المعزّ: 78/2، 119-123، 126، 130، 135، 137.

أبو عقال (؟): 84.
 ابن عقبة الشاعر: 27.
 عقيل بن المعز: 78/2، 126.
 علي بن أحمد بن بويه: 85/2.
 علي بن الإخشيد: 95/2.
 علي الإيادي: 461.
 علي بن بدر المصري (ممن تآمر على
 مخلد): 318، 319، 346.
 علي بن الحسن بن علي الكلي: 78/2.
 أبو علي الحكيم، انظر: سعيد الخير.
 علي بن حمدون: 200، 215، 315، 325،
 326، 330.
 علي بن حيدرة الكتامي (وسيط بني كملان
 لدى المنصور): 358.
 علي زين العابدين: 16.
 علي بن أبي طالب: 7، 8، 10، 12-14،
 17، 26، 44، 52، 56، 116-118، 150،
 152، 189، 193، 195، 211، 224، 229،
 230، 233، 248، 249، 339، 354، 355،
 369، 375، 421، 433، 436، 454، 455،
 494، 506، 521، 1/2، 7، 8، 11، 18،
 20، 28، 41، 74، 75، 87، 90، 94،
 95، 96، 109، 113، 115، 135.
 علي بن عبد الله التونسي: 112/2.
 علي بن عسلوجة (صاحب سطيف): 64،
 87، 88.
 علي بن الفضل الجيشاني (داعي اليمن):
 31، 43، 44، 46، 50، 129.
 علي بن محمد الإيادي: 461.
 علي بن نصر السراج (صهر ابن زبير):
 117/2.

علي بن النعمان: 96/2، 133.
 علي بن الوليد (الإشيلي، قائد عسكر
 جوه): 108/2، 113.
 أبو عمار الأعمى: 249، 274، 281، 284،
 293، 308، 313، 314، 346-348، 443،
 450.
 عمار بن علي الكلي: 264، 265، 316-318،
 323، 327، 43/2.
 «العمارية» (مركب على فرس أو ناقة): 125/2.
 عمر بن الخطاب: 7/2، 8.
 عمر بن عبد العزيز: 19.
 عمرو بن الحارث المالكي أبو محمد (من وفد
 التفاوض مع جوه): 104/2.
 عمرو بن العاص: 185.
 ابن عباس (من أنصار الدعوة بمصر): 127.
 عياض بن أحمد الهواري (من رجال أبي
 يزيد): 316-318.
 عيسى عليه السلام: 299.
 (غ)
 غالب بن علي اليعبري (ناسخ مخطوط «ر»):
 531.
 الغزالي: 231.
 أبو غزوان القرمطي: 115/2.
 غزوية بن يوسف الملوسي: 75، 94،
 106-108، 114، 164، 167، 168، 173.
 أبو غسان (من رجال الإسناد): 14، 16، 21.
 غشمان (قبيلة كتامية): 57، 67-71، 73، 74.
 غلام كتون (عامل تبسة): 257.
 (ف)
 فاطمة الزهراء: 2، 9، 22، 26، 116، 150،

فيروز (الداعي المنشق): 124، 125، 129.

(ق)

قاييل: 44.

القادر العباسي: 85/2.

أبو القاسم الورفجومي (من أنصار أبي عبد الله الأولين): 53، 55، 56.

أبو القاسم بن فرح، انظر: منصور اليمن.

القائم الفاطمي (أبو القاسم محمد بن عبد الله):

26، 27، 29، 340-119، 348، 377.

424-421، 434، 455، 466، 490، 493.

519، 524، 530-527، 530، 1/2، 2، 4.

12، 15، 24، 56، 57، 119، 124، 128.

139.

القاهر العباسي: 218، 220، 85/2.

«قبة العرض» (عند زيادة الله الثالث): 96.

قتادة: 6، 21.

ابن قتيبة: 31/2.

قدّام الصقلي: 357، 384، 394، 397.

446، 476، 484.

ابن القديم (أبو القاسم عبد الله): 133، 167.

القرامطة: 121، 96/2، 114، 115، 118.

125، 134.

بنو قرّة: 100/2، 101.

قريش: 248.

«القصيدة الفزارية»: 463.

قصيرة (قبيلة من تاهرت): 210.

القضاعي (المؤرخ): 56/2.

«القفس»: (لأبي يزيد): 416.

«قوس اللولب»: 430.

155، 211، 230، 233، 421، 4334.

438، 455، 494، 529، 15/2، 90، 113.

فتح (غلام الحسيني): 118/2.

فتح بن ثعلبة (من قواد القائم): 186، 187.

فتح بن يحيى المسالتي «الأمير» (ناهض أبا

عبد الله): 64، 76، 77، 81، 82، 92.

«الفتنة العظمى» (ثورة أبي يزيد): 494.

فتوح الخادم: 351، 118/2.

فحل بن نوح (رئيس لطاية أو لهيصة?): 64،

80، 214.

أبو فراس الحمداني: 90/2.

فرج البجكمي (من أسرى جوه): 114/2.

فرج الخادم (قائد الأسطول إلى قلورية):

497.

فرجون (صاحب حمام ميلة): 57، 58.

فرح بن جبران الإيجاني (من مناهضي أبي

عبد الله): 64، 80.

فرعون: 260، 451.

أبو محمد الفرغاني (من طالبي الأمان من

جوه): 106/2.

الفزاري الشاعر: 462، 463.

فضل بن حبوس (عامل تاهرت): 197.

فضل بن مخلد، انظر: أولاد أبي يزيد.

فلفل بن خرز: 215.

فليح بن محمد الهواري (عامل أبي يزيد على

الأربس): 316، 322، 323، 346.

فنحاص بن هارون: 2/2.

فنك الخادم الأسود (من أسرى جوه):

114/2.

الفهري الشاعر: 24.

«الفواطم» (الحسينيون المغاربة): 73/2.

أبو قيس بن الأسلت الشاعر: 269.
قيصر الخادم: 237، 416، 427، 439، 440،
469، 66/2.

(ك)

كافور: 86/2، 90، 91، 95، 96.
الكافورية: 5/2، 10، 95، 105، 106، 113،
116.

كيون بن تصولا (طبنة): 250-257، 261،
343-345، 349، 351، 352.

كتامة: ذكرها كثير.

الكرماني (الشيخ حميد الدين): 246، 131/2.
كسرى (صاحب فارس): 61.

كعب بن مامة: 279.

كلالة (من زناتة): 485.

بنو كملان: 199، 200، 282، 283، 305،
308، 311، 322، 358، 368، 373، 374،
397، 398، 403، 404، 411، 412، 456،
470، 59/2.

كمين بن عمرو الباغاثي (مبعوث أبي يزيد إلى
المنصور): 367.

كنار بن عبد الحميد، انظر: أبو عمار الأعمى.
كيانة (قبيلة): 199.

بنو كيداس (تبسة): 257.

(ل)

لييد: 517.

لطاية: 64، 68، 84.

لعب (أم ولد المهدي): 122.

لمانة (قبيلة نائبة للقائم): 210.

لهيصة: 64، 68، 71، 73، 86، 178، 290،
371، 390، 429.

لواتة: 17، 30، 308، 325، 473، 474.
«اللوازم»: 376.

لؤلؤ الطويل (من أسرى جوهر): 114.

(م)

بنو ماجن: 104.

ماكنون بن ضبارة الإيجاني أبو يوسف (من
أصحاب أبي عبد الله الأولين): 57، 81،
98، 104، 167، 174.

ابن ماكولا: 138/2.

مالك بن أنس: 20، 134.

بنو ماوطي: 171-173.

مشر (الإخشيدي، من مناهضي جوهر):
107/2.

المتقي العباسي: 279، 85/2.

متلغي التركي (من مناهضي جوهر): 114/2.

المتنبي: 233، 89/2، 90.

متوسة (قبيلة كتامية): 64.

مجاهد: 20.

أبو محمد (من أعوان جوهر بمصر): 124/2.
محمد بن أحمد: انظر سعيد الخير.

محمد بن أحمد بن بكر: 60/2.

محمد بن أحمد الذهلي أبو طاهر القاضي:
101/2، 104، 105، 109، 113، 118،
133.

محمد بن إسماعيل: 230، 233، 234، 2/2،
21/2.

محمد الباقر: 7، 18، 43.

محمد بن ثعلبة (من رجال القائم بمصر): 197.

محمد بن الحرث: انظر: الأبروطي .
 محمد بن الحسن بن أحمد الداعي (ابن باب
 الأبواب): 224 .
 محمد بن الحسن بن حنيف (إمام الجامع
 العتيق): 114/2 .
 محمد بن الحسن (ابن علي الكلبّي):
 119/2 .
 [محمد بن حمدون] الأندلسي أبو عبد الله
 (من أصحاب الداعي الأولين): 53، 74 .
 محمد بن حيّ الشكري (أحد مبعوثي الداعي
 إلى اليسع بسجلماسة): 135 .
 محمد بن خزر: 133، 159، 197، 198،
 213، 386، 403، 404، 436، 437،
 20/2 .
 محمد بن الخير (بن محمد بن خزر):
 120/2، 121، 131، 134 .
 محمد رسول الله (ﷺ)، ذكره متوزّع في
 كامل الكتاب .
 محمد بن رماحس (قائد الأسطول الأموي):
 382، 383 .
 أبو محمد الروذباري: 106، 2 .
 محمد بن رمضان الشاعر: 27، 28 .
 محمد بن زكريا، انظر: أبو العباس
 المخطوم .
 محمد بن طالوت (ثائر بطرابلس): 248 .
 محمد [بن أحمد] الطرزي الشاعر: 336 .
 محمد بن طنج الإخشيد: 186، 187، 95/2،
 114 .
 محمد بن عباس (صهر ابن خزر): 403 .
 محمد بن عبيد الله بن جيمال (الحنفي،
 قاضي الأريس): 97 .

محمد بن عثمان (كاتب جودر): 122/2،
 126، 129، 131 .
 محمد بن عزيزة (صاحب المهديّ من
 سلمية): 124، 126، 128 .
 محمد بن علي (استكتمه المعز تعيين عبد الله
 ولياً للعهد): 119/2 .
 محمد بن علي بن سليمان (من جلساء القائم
 بالمهدية): 260، 261 .
 محمد بن عمر المروزي (قاضي المهديّ):
 117، 134، 171 .
 محمد بن عمرو القصريّ (من أصحاب
 خليل): 275، 276 .
 محمد بن الفتح، انظر: ابن واسول .
 أبو محمد الفرغاني: 106/2 .
 محمد بن فضل (من أصحاب ابن خزر):
 386 .
 محمد بن أبي القاسم التونسيّ الشاعر: 335 .
 محمد بن محمد الذهلي أبو يعلى (ابن قاضي
 مصر): 104/2 .
 محمد بن منّ الله (من أهل القيروان؟):
 275 .
 محمد بن أبي منظور (القاضي بالقيروان):
 375 .
 محمد بن مهلب أبو بكر (من وفد التفاوض
 مع جوهر): 104/2 .
 محمد بن ميمون البلوقي (حاول الإيقاع بأبي
 يزيد بالقيروان): 314، 319 .
 محمد بن ناسك التونسيّ الشاعر: 460 .
 محمد بن هانيء: 44/2، 50، 55، 67، 68،
 98، 100، 110، 122 .
 محمد بن يعفر (اليمن): 30 .

محمد بن يعلى (من قواد القوائم ضدّ
الماوطي): 172.

محمود بن هارون الغشمي (غار من أبي
عبد الله في كتامة): 68-71.

«محمود» (الهاتف في جبل كيانة): 415.

مخرمة (؟) بن محمد بن خزر: 120/2، 122.

مخلد بن كيداد أبو يزيد صاحب الحمار: 5،
26، 27، 192، 248-272، 274-298،

300-331، 339، 341، 342-374، 379،

398، 400-417، 424، 427-430،

435-438، 442-462، 470، 465، 477،

478، 493، 494، 4/2، 61، 85، 120،

126.

مدغرة (قبيلة زناتية): 160.

مدلج: 99.

مدهنة: (قبيلة زناتية): 160.

أبو مديني اللهيصي (من أنصار أبي عبد الله):

71، 72، 100، 101، 105، 107، 174.

«المرتضى» (لقب شيعي): 16.

مرشد (داع بمصر): 32/2.

المركوشيون: 357.

بنو مروان، انظر: بنو أمية.

مروان بن أبي حفصة: 277.

مروان بن الحكم: 185.

مروان بن محمد (آخر الأمويين بالشرق):

108/2.

المروزي القاضي، انظر: محمد بن عمر

وأحمد بن محمد

مزاتة: 198، 199، 259، 329.

مزامح بن محمد بن رائق: 106/2.

مسالمة: 57، 76، 108، 416.

المستكنفي العباسي: 280، 85/2.

مسرارة (أهل قلعة عقار): 429.

بنو مسرة (أهل ابن تبادل بن خزر): 210.

مسرور الخادم: 471.

مسعود بن غالب الرسولي (قاد حملة ضدّ ابن

خزر): 215.

مسلم بن عبيد الله الشريف الحسيني (رئيس

المتفاوضين مع جوهر): 101/2، 104،

105-107، 110، 113، 117، 125.

مسلم بن عقيل بن أبي طالب: 29.

مسلم (مولى القائم بسجلماسة): 131.

مسنويه بن بكر الكملاني (من رجال مخلد):

316-318، 385، 20/2.

المسيح (عم): 45/2.

«المشاركة»: 63، 260، 346.

«المشرقي»: 63، 346.

مصالة بن عطاء الله الإيجاني (من رجال

المنصور): 392، 396.

مصعب بن ماتا الزناتي (استأمن للقائم بحائط

حمزة): 200.

المطلب (من أنصار المهدي): 130.

مطمطة (قبيلة زناتية بتاهرت): 202-205،

210.

مطنب بن ربيع الملوسي (ولاه القائم على

الإسكندرية): 177.

مطيع الخادم: 361.

المطيع العباسي: 852، 95، 117، 125.

«المظالم»: 158، 1092.

مظفر الخادم: 237، 361، 252.

«المظلة»: 353، 354، 358، 366، 406.

معاوية بن أبي سفيان: 185، 41/2.

معبد [بن محمد] بن خزر: 436-438، 469، 470، 478، 497.
 ابن المعتصم (منجم إبراهيم الثاني ورسوله إلى الداعي): 60.
 المعتضد العباسي: 120، 123-125، 218.
 المعز الفاطمي: 3، 190، 191، 233، 235، 239-242، 312، 338، 341، 392، 399، 453، 472، 477، 478، 481، 482، 484، 490-487، 530-500، 1/2، 5، 8، 12، 13، 23-56، 60، 61، 70، 71، 76، 80، 81، 86، 88، 89-92، 95-100، 104-110، 113-138.
 معز الدولة البويهبي: 91/2.
 أبو معشر (داع زمن الحلواني؟): 193.
 المعلّى بن محمد (من رجال القائم في حملة المغرب): 197.
 بنو مغار (تيجس، لهم تشيع قديم): 94.
 المغارية: 282، 283.
 مغراوة: 485.
 المغيرة بن سعيد العجلي (من الغلاة): 43.
 المغيرة بن شعبة: 185.
 أبو المفتش (من أنصار أبي عبد الله الأولين): 53-55.
 مفرح الكتامي (جاء بالمدد من طرابلس للمنصور): 360.
 مفلح الوهباني (من الإخشيديين المأسورين): 106، 114.
 أبو المقارع، انظر: الحسن بن أحمد.
 المقتدر العباسي: 186، 187، 217-220، 279، 85/2.
 المكتفي: 85/2.

مقداد بن الحسن الكتامي الشاعر: 115/2.
 أبو مكحول (من قواد أبي عبد الله): 301/501.
 مكحول (صهر أبي يزيد): 367.
 مكناسة: 210، 485.
 مكنداس الجيملي (من رجال أبي عبد الله): 95.
 أبو الملاح (من رجال الإسناد): 9.
 ملك الروم: 223، 47/2، 52، 54، 86، 89.
 ملوسة: 68، 83، 86، 108، 177، 178، 323، 390، 429.
 مليلة (قبيلة زناتية): 160.
 بنو مناوة (بماواس، وهم من مغراوة): 485.
 منتصر بن محمد المدراري: 57/2-78.
 «المنجنيق» (في حملة 315 ضد زبرقة): 17، 20.
 أبو منحل (من الكافورية): 114/2.
 المنصور الفاطمي: 5، 21، 22، 26، 27، 29، 170، 190، 236-245، 329، 331، 332، 339-530.
 5-1/2، 9-13، 15، 21-24، 33، 54-61، 119، 124، 135، 138، 139.
 منصور العزيزي، انظر: الجوزري.
 المنصور بن عمار (من أصحاب خليل بالقيروان): 271، 272.
 منصور الهواري (من رجال أبي يزيد): 264.
 منصور اليمن: 3، 29-34، 36، 38-40، 42، 43، 46-48، 50، 51، 119، 129.
 بنو منوا (من جند أبي عبد الله على الإريس): 108.
 المهدي الفاطمي: 1-6، 9، 11، 15-25، 28، 29، 31، 32، 34، 35.

مولي ابن قريش (حملة القائم على المغرب):
197.

مؤنس الخادم العبّاسي: 186-188، 217،
218، 85/2.

المؤيد في الدين (هبة الله): 45.
ميسور الصقلي: 247، 262، 264، 265،
270-275، 275، 282-285، 289، 292.

ميمون القدّاح: 230، 234.

(ن)

ناصر الدولة: 91/2.
الناصر (الدين الله، ثائر متنبّ بالأوراس):
388.

«الناطق»: 229.
نجيب (غلام زنب): 118/2.
نحرير الإخشيدّي الكبير: 105/2، 107.
نحرير شوزان: 105/2، 106، 113-116.
نذير بن محمد الكتامي (مبعوث المنصور إلى
كتامة): 381.

نزار بن المعز: 13، 78/2، 119، 126، 137،
138.

النسفي، انظر: الشيخ الحميد.
ابن نسحة (من رجال الإسناد): 9.
«النص»: 229.

ابن نصر (أبو جعفر، أحمد): 107/2، 129.
أبو نصر (صاحب سيرة المنصور): 388.
نصر الخازن: 129/2، 130.

«النصرانية»: 196.
نصير: 22/2.
نظيف: 22/2.
النعمان: 2-6، 19، 22، 25، 34، 71، 76،

37، 39، 42، 48، 50، 56، 78، 79،

91، 104، 112، 115، 116، 118-122،

232، 235، 237، 239، 241، 242،

248، 261، 266، 294، 303، 334،

340، 342، 348، 375، 421، 434،

459، 490، 519، 524، 529.

3-1/2، 15، 24، 25، 27، 32، 76،

118، 124، 132، 139.

مهدي بن أبي كناوة اللهيصي (من المتأمرين

على أبي عبد الله): 64، 68، 71-73.

أبو مهزول القرمطي (هاجم سلمية): 120،

122، 123.

أبو موسى الأشعري: 136/2.

موسى البلوقي (تأمر على أبي يزيد

بالقيروان): 314، 319.

موسى الصنهاجي (من رجال أبي يزيد):

324.

موسى النبي: 156، 231، 2/2.

أبو موسى، انظر: هارون بن يونس المسالتي

شيخ المشايخ.

بنو موسى (أنصار بعدن لاعة): 37.

موسى الكاظم بن جعفر: 20.

موسى بن أبي العافية: 216، 217، 247.

موسى بن عبّاس (صاحب ميلة): 57، 59،

60، 64، 81.

موسى بن عبد الرحمان الوادي (حملة إلى

سرت وبرة سنة 301): 174، 175.

موسى [بن مكا] الكتامي (ممن عرفوا أبا

عبد الله بمكة): 51، 53، 55، 56.

موسى أبو طالب (ابن للمهدي): 126/2.

بنو مولا (من مكناسة ماواس): 485.

بنو واسين : 256 ، 329 ، 485 .
 الواقدي (الوادعي؟) : 139/2 .
 والي سلمية : 120 ، 123 .
 بنو ورديم : 103 ، 104 .
 بنو ورزمان : (رھط ابن خزر) : 204 .
 ورع بن عليّ (عين للقائم عند أبي يزيد) :
 302 .
 ورفجومة : 56 ، 354 ، 305 .
 بنو وريمت : 485 .
 وزداجة (جهة باجة؟) : 301 ، 302 ، 325 ،
 328 .
 وسفانة (غلبهم أبو عبد الله بتاوليت) : 160 .
 بنو وشنو (من بني هراش) : 103 .
 بنو وشير (والوا مخلداً ثم تركوه) : 309 .
 وصيف : 427 ، 429 .
 «الوظائف» (العطايا) : 429 .
 وقعة المشاعل : 371 .
 أبو الوليد (ابن حمدان) : 217 .
 الوليد [بن عقبة] بن أبي معيط : 185 .
 الوليد بن عتبة : 185 .
 ابن وهب : 3 .
 وهب (بن منبه) : 26 .

(ي)

يحفور (مملوك لزيادة الله) : 94 .
 يحيى الحسيني (أخو الشريف مسلم) : 117/2 .
 يحيى بن زكريا . 8/2 .
 يحيى بن سلام : 9 ، 10 ، 14 ، 22 ، 23 .
 يحيى بن سليمان الملوحي (عامل طينة) :
 92 ، 104 ، 147 .

190 ، 218 ، 242-239 ، 312 ، 331 ، 332 ،
 338 ، 341 ، 342 ، 392 ، 472 ، 503-501 ،
 506 ، 508 ، 511 ، 513 ، 518-516 ،
 522-524 ، 526 ، 530 ، 4-1/2 ، 9 ، 12 ،
 22 ، 25 ، 34-27 ، 41-39 ، 54-45 ، 57 ،
 60-70 ، 71 ، 74 ، 78 ، 80 ، 81 ، 86 ،
 95 ، 115 ، 126 ، 131 ، 133 ، 135 ، 136 .
 نفوسة الجبل : 196 .
 نقفور (فقاس) : 52/2 ، 86 ، 91 .
 نوح : 44 ، 63/2 .
 النوشريّ (والي مصر) : 113 ، 114 .

(هـ)

هارون بن الطنبلي (أخو عامل طينة للأغالبة) :
 93 ، 94 .
 هارون بن يونس المسالتي شيخ المشايخ ، أبو
 موسى : 56 ، 57 ، 164 .
 بنو هاشم : 10 ، 21 ، 31/2 ، 115 .
 هاشم (ابن للمنصور) : 126/2 .
 هامان . 260 .
 بنو هراش : 103 ، 325 .
 الهرقل : 45/2 .
 همّام (من أصحاب عليّ) : 195 .
 هواره : 94 ، 104 ، 174 ، 198 ، 200 ، 210 ،
 254 ، 311 ، 316 ، 322 ، 329 ، 394 ،
 397 ، 404 ، 427 .
 الهيثم (ابن حوشب) : 38 .
 ابن الهيثم ، انظر : جعفر بن محمد بن
 الأسود .

(و)

ابن واسول : 57/2 ، 59-62 ، 67-75 .

يحيى بن سليمان بن كافي: 197.
 يدرس المراتي (من رجال أبي يزيد): 282،
 324، 443، 450.
 يزيد بن مخلد: 329.
 يزيد بن معاوية: 231.
 اليسع بن منتصر بن مدرار: 130، 131،
 134-137، 139-141.
 يشكر (والي طبة): 437.
 يصل بن حبوس: 197.
 ابن أبي يعفر: 38.
 ابن يعفر الكرندي: 33.
 بنو يعفر: 42.
 يعقوب بن إبراهيم الخليل: 2/2.
 يعقوب بن إسحاق: 219-212، 246، 247،
 342-345.
 أبو يعقوب السجستاني، انظر: السجستاني.
 أبو يعقوب القهرمان: 124، 132، 137، 138.
 يعقوب بن محمد بن خزر: 393.
 يعلى بن باطيط الرمانى (مبعوث الداعي إلى
 المدراري): 135.

يعلى بن محمد اليفرنى: 60/2.
 بنو يفرن: 485.
 يمن الطويل (من الإخشيديين القتلى):
 106/6.
 أبو يوسف، انظر: ماكنون بن ضبارة.
 يوسف بن زيري، انظر: بلقين بن زيري.
 يوسف بن شكلة الغشمي: 95.
 يوسف بن محمود (من خصوم أبي عبد الله):
 80.
 يوسف بن ملاً محمود علي، ناسخ مخطوط
 (هـ): 531.
 يوسف بن يعقوب: 108/2.
 يوشع بن نون: 2/2.
 يوم الخصوص (رمضان 335): 393.
 «اليوم العظيم» (بجبل كيانة): 415.
 يوم الريح (ذو القعدة 333 حول المهديّة):
 307.
 يوم المسيلة (شعبان 335): 4308.
 يونس بن مخلد: 407.

فهرس الأماكن

(أ)

- إجانة (بلد): 90.
 أجدانية: 174، 176، 130-126/2.
 الأخوان (بين القيروان والمهدية): 265، 289.
 أدنة (12 كم من المسيلة): 405.
 الأريس: 104-97، 110-107، 118، 198، 262-258، 290، 309، 316، 322، 323.
 أرض الخمسين (بمصر): 178، 186.
 «أرض البربرية»: 26.
 «الأرض الكبيرة»: 160.
 أرمين (نجد): 213.
 الأرنس (بمصر): 178.
 الإسكندرية: 176-180، 187، 191، 219، 131/2.
 أسوان: 101/2.
 أشراف (8 كم من المهدية): 292.
 الأشمونين (مصر): 187.
 الأعجاز (اليمن): 48.
 الأغدار (اليمن): 47.
 أغزر (حصن بتاهرت): 201.
 أغيت (أرض زبرقة بتاهرت): 206.
 إفريقية - ذكرها ميثوث هنا وهناك.

- إفكان (المغرب): 60/2.
 أفيدة (اليمن): 41.
 أكمة الشعير (قرب القيروان): 352.
 أكمة الظلمة (اليمن): 46.
 المرية: 383، 42/2.
 الأنبار: 215، 279.
 الأندلس: 246، 368، 382، 383، 471، 44-41/2، 52، 54، 134.
 أنطاكية: 118/2.
 أوراس: 248-252، 254، 284، 290، 294، 305، 306، 311، 346، 367، 368، 388، 478، 480، 498، 19/2، 20، 34، 78، 120.
 أومنت (شرقي تاهرت): 214.
 أياش (جبل مالزاب): 485.
 إيكجان: 56، 58، 63، 83-86، 88-93، 98، 100، 101، 103-1007، 145-148، 173.
 «الإيوان الكبير» (المهدية): 215.
 (ب)
 باب أصرم (القيروان): 347، 357، 359، 360.

121، 125.

بقلوط: 282.

بَكَّة (المهدية): 343.

بلزمة: 64، 82، 94-92، 254.

بلطة: 325.

البهنسى (مصر): 138/2.

بهيروج (قرب تاهرت): 210.

بوصير (مصر): 108/2.

بونة: 383.

بيت ريب (اليمن): 41.

بيت المقدس: 114، 281.

(ت)

تازروت (ببلد كتامة): 57، 67، 68، 73،

74، 76، 77، 79، 81-83.

تاغشمت (قرب تاهرت): 206، 210.

تامديت: 457.

تامريست (سوق لابن خزر): 403.

تامروت: 457.

تامقرا (قصر بالزاب): 485.

تامقلت (تاهرت): 145.

تاهرت: 145، 160، 197، 198، 200، 201،

211، 214، 216، 368، 404، 470-473.

تبسة (تبسا): 100، 101، 257، 258.

ترنوط: (6 كم من المهدية): 297، 325.

تروجة (مصر): 101/2.

تل موزة (بالثغور الشامية): 89/2.

تنس (المغرب الأوسط): 160، 383، 471.

تنيس (مصر): 117/2.

التهام (اليمن): 40.

توربغين (قرب قفصة): 485.

باب أكة (المهدية): 293.

باب تونس (القيروان): 270، 271، 320،

355، 359-362، 370، 371.

باب تونس (قنطرة): 271.

باب جمّة (المهدية): 363.

باب الخاصة (قصر المنصورية): 75/2.

باب أبي الربيع (القيروان): 270، 308،

346.

باب سلم (القيروان): 359.

باب سوسة (الجنوبي والشمالي): 342-345.

باب الشماسة (بغداد): 217.

باب الفراديس (دمشق): 139/2.

باب الفتح (زويلة): 293، 295، 298.

بابل: 212، 280.

باجه: 262-265، 308، 316-318، 325، 328،

381.

باسل (الزاب): 200.

باغاية: 91، 93، 98-101، 107، 104، 174،

198، 199، 250-257، 261، 309، 329،

367، 385، 386، 498، 78/2.

بالس (الشام): 212.

بجانة (الأندلس): 282.

بجردة (نهر مجردة): 317.

البربرية (مصر): 177.

برجمانة (بلاد قمودة): 479.

البرحماس (10 كم من القيروان): 268، 269.

برقة: 174-176، 214، 222، 78/2، 88،

100، 127-131.

بسكرة: 215، 388، 389، 121/2.

بغداد: 120، 123، 125، 179، 212، 215،

217-219، 279، 280، 308، 85/2، 118.

الجزيرة (قرب القيروان): 350، 351، 357،
382.

جلولاء: 382.

جَمَّة (قلعة): 201.

جمونس الصابون (قمودة): 479.

الجند: 34.

جنوة: 246.

جوف البلور (مصر): 177.

الجيزة: 186، 106/2، 107، 131.

(ح)

حائط بونة: 383.

حائط حمزة (بلاد صنهاجة): 200، 402.

حجة (اليمن): 48.

الحَرَمَان: 96/2، 106، 118، 133.

حسا. (؟ بمصر): 177.

حصن الجبل: 90/2.

حلب: 45/2، 54، 89، 90.

الحمام (مصر): 117، 131، 129، 214، 221.

حمص: 213، 118/2.

حملان (اليمن): 41.

حمير: 41.

الحمير (قرب تاهرت): 210.

الحنية (بين الإسكندرية وبرقة): 176.

الحيف (اليمن): 40.

(خ)

خراسان: 179.

خرية جميل: 292، 293.

الخضراء (قرب تنس): 160.

توزر: 130، 249.

تونس: 81، 85، 87، 101، 263-265،

316-318، 321-326، 382، 511، 513.

تيجس: 94، 95، 198، 254، 329.

تينة (برقة): 88/2.

(ث)

الثغور (بالشام): 213.

(ج)

جامع ابن طولون: 114/2.

جامع عمرو بن العاص (الجامع العتيق):

108/2، 114.

جامع القيروان: 116، 320.

جبال أكَّة (قرب المسيلة): 404.

جبل آياش (من عمل الزاب): 485.

جبل ترشوان (قسطيلية): 485.

جبل الجميمة (اليمن): 41، 48.

جبل الحراقين (الأريس وآبة): 109.

جبل الرصاص: 317.

جبل سالات (بوسعادة): 388، 389، 393،

400، 404.

جبل شعب (زغوان؟): 323.

جبل عقار (كيانة): 397، 405، 410، 429.

جبل مسور (اليمن): 40، 45.

جبل المطاحن (مجانة): 100.

الجزيرة (القساط): 211، 106/2.

جزيرة شريك: 267، 321، 322، 324، 359،

390.

خليج أمير المؤمنين (الفسطاط): 125/2.
خندق ميمون (تونس): 325.
خوزستان: 119.

(د)

دار الإمارة: 265.
دار البحر (المنصورية): 22/2.
دار خلف (تاهرت): 210.
دار الصناعة (المهدية): 342.
دار الضرب: 468.
دار قوام (المهدية): 300.
دار مدين (قمودة): 102، 103.
دار ملول (طينة): 93، 94.
دامران: 457.
دجلة: 180.
درب العصافير (مصر): 220.
درعة (المغرب): 144.
دقة: 110، 258، 259.
دمشق: 13، 124، 125، 213، 118/2، 124.
دمياط: 117.
دورم (اليمن): 41.
ديار ربيعة (الجزيرة): 80.

(ذ)

ذات الحمام، انظر: الحمام.
ذات الساحل (مصر): 176، 177.
ذخار (اليمن): 41.

(ر)

رأس الفحصين (تيجس): 94.

رقادة: 87، 97، 102، 110، 111، 114-117،
132، 147، 149، 150، 154، 157، 170،
174، 175، 177، 190، 193، 194، 261،
269، 272، 274، 284، 96/2، 97.

الرقة: 279.

الرقتان: 212.

الرملة: 125، 126، 114/2، 115، 124.
الروم (بلاد): 196، 214، 216، 224، 223،
246، 247، 307، 78/2، 89، 117.

(ز)

الزاب: 147، 200، 284، 485، 486.
زبرقة (قرب تاهرت): 202، 205-207، 209.
زويلة (المهدية): 285، 307، 330.

(س)

الساحل: 363.
ساقية طنباس: 268، 5/2.
ساقية ممس: 352، 355، 357.
سبخة بني معروف (بين القيروان والمهدية):
198.
سبيبة (فج): 148، 260، 348، 385، 475.
سيطة: 479.
سجلماسة: 2، 91، 130-134، 140، 141،
144، 149، 161، 404، 57/2-71، 75-78،
133.
سديدة: 145.
سرت (برقة): 174، 176.
سرت (الهند): 531.
سرمانه (هواره): 329.

سطيف: 64، 77، 82، 85-89، 199، 254،
325، 474، 475.

بنو سعيد: 258، 385.

سلمية: 119-123، 126، 128، 129، 138،
174، 213، 118/2.

سليانة (سكتانة): 114.

بنو سليم: 344.

سماطة/سماتة (بين نفطة وورجلة): 53،
249.

سنجار (ديار ربيعة): 80.

السند: 38، 233، 81/2، 92-95، 118، 133.

السندية (بغداد): 279.

سوجمار (بلاد كتامة): 53.

السودان (بلاد): 139، 401، 404، 457،
474.

السوس الأقصى: 144.

سوسة: 111، 265، 267، 285، 308، 315.

318، 323، 330، 337، 340-349، 361،
363، 457.

سوق ابن جلالة (بين تاهرت والمسيلة):
214.

سيول الطواحين (مصر): 135/2.

(ش)

الشارع الأعظم (سماط القيروان): 320.

الشام: 179، 454، 43/2، 44، 51، 54،

55، 86، 90-93، 96، 101، 106، 114،

116-118، 124-126، 133، 134، 136.

شاوور (اليمن): 41.

شباب حمير: 41، 46.

الشرف الأحمر (بلد كتامة): 305.

الشرف الأحمر (القيروان): 357.

شرف الرابع (تجاه تاهرت): 214.

شقبنارية: 322، 323، 325.

(ص)

الصخرة «نائة»: 473.

صطفورة: 317.

صعدة: 31.

الصعيد: 125/2.

صقلية: 111، 160، 196، 216، 302، 307،

308، 497، 511، 43-41/2، 47، 78،

133.

بنو صلتان (قرب زغوان): 317.

صنعاء: 30، 32، 33، 48، 49.

صنهاجة (بلد): 200، 401، 403.

صهرجت (مصر): 117/2.

صيد (نقيل باليمن): 49.

(ض)

الضلع (جبل باليمن): 47.

(ط)

الطائف: 72/2.

طبرمين (صقلية): 78/2.

طبرية: 124، 125، 43/2.

طينة: 90-93، 104، 105، 159، 214، 252،

387-389، 394، 437، 438.

طرابلس: 111-113/53، 128، 129، 167،

173، 174، 176، 196، 248، 302، 307،

360، 501، 504، 133/2.

طرسوس: 49/2، 90.

طريف (مخلاف باليمن): 32.

طنباس، انظر: ساقية طنباس.

(ظ)

الظاهر: 31.

الظلمة (اليمن): 46، 47.

(ع)

عبر محرم (اليمن): 41.

عجيب (اليمن): 32.

عدن أبين: 33، 34، 36، 37.

عدن لاعة: 33، 34، 38-36.

العراق: 212، 248.

العراقان: 179.

العرقوب (قرب تاهرت): 205.

العرّة البيضاء (طريق الأريس): 109.

عسقلان: 139/2.

عسكر مكرم: 119.

العضد (جبل باليمن): 47.

عطوة (اليمن): 40.

عقار (قلعة): 199، 393، 397.

عقبان (اليمن): 47.

العواصم (ثغور الشام): 51/2.

عيان (اليمن): 41.

عين زرية (بالثغور الشامية): 89/2.

عين السودان (بين طبة وكيانة): 389، 394.

عين شمس (شرقيّ الفسطاط): 125/2.

عين كسرى: 121/2، 122.

عيون أبي فرات (شرقيّ تاهرت): 214.

(غ)

غدير وان/وأرو (قرب المسيلة): 416.

الغرب (المغرب الأوسط): 95.

الغرب (اليمن): 119، 121، 123، 159،

197، 340.

(ف)

فارس: 10، 61/2.

فاس: 247، 57/2، 63-60، 134.

فَجّ الأخيار (كتامة): 55، 56.

فَجّ الحَمَام/الحمار؟ (بين قفصة وفريانة):

478.

فج سببية، انظر: سببية.

فَجّ العافية (أوراس): 252، 253.

فَجّ العرعار (باغاية): 106، 107.

فحص القيروان: 350.

فحص أبي صالح: 266.

الفرات: 180، 213، 116/2.

الفرما: 117/2، 125.

فندق شكل (زغوان): 323.

الفيجة (منيع بردى): 118/2.

فيلاج: 485.

الفيوم: 178، 187، 190، 191، 219.

(ق)

قابس: 176.

القادسية: 30.

قافلة (جهة باجة): 328.

قالمة: 103، 104.

القاهرة: 95/2، 97، 108، 117، 121، 125،

قلعة جمة (لبنى خزر): 201.
 قلعة الحجارة (كيانة): 410، 416، 417.
 قلعة شاکر (كيانة): 410، 412، 429-426.
 قلعة عقار (كيانة): 199، 429.
 قلورية: 160، 497، 511، 47/2، 48.
 قمودة (قمودية): 102، 110.
 قنطرة باب تونس: 271.
 القيروان: ذكرها متعلد في الكتاب.

(ك)

كابل: 213.
 كبونة (بين قسنطينة وطبنة): 90.
 كتامة (بلاد): 42، 55، 86، 90، 171، 325، 330.
 كجارمة (بلد كتامة): 84.
 الكدية الحمراء (حول القيروان): 262.
 كدية الشعير (سبية): 348.
 الكعبة: 281، 60/2.
 الكوفة: 12.
 كوكبان (جبل باليمن): 41.
 كيانة (جبل وقلعة وقصر): 397، 410، 417-415، 425-424، 430، 439-437، 443، 461، 61/2.

(ل)

لاعة: 47.
 لصفة (مصر): 178.
 لمطة: 343.
 لهيصة (بلد): 86.

132، 133، 135، 138، 139.
 القبل (اليمن): 48.
 قدورة: 47.
 القربوس (كيانة): 203، 204.
 قرطاجنة: 513.
 قريطش: 90-86/2.
 قرية بني سعيد: 258.
 القسطنطينية: 42/2، 47.
 قسطيلية: 53، 78، 104، 105، 110، 129، 249، 256، 365، 478، 485، 489.
 قسطيلية (الغرب): 388.
 قسنطينة: 90، 172، 305، 325، 329، 379، 381.
 قصر الإفريقي: 101، 103، 198، 381.
 قصر البحر (رقادة): 269.
 قصر البحر (المنصورة): 79/2.
 قصر خلف (4 أميال من القيروان): 269.
 قصر الرباط (المهدية): 294.
 قصر سطيف (الأثري): 475.
 قصر سوسة: 111.
 قصر عليّ (القيروان): 364، 365.
 قصر أبي الفتح (رقادة): 149.
 القصر القديم: 110، 116، 154، 170، 322.
 قصر أبي معلوم (21 كم من باغاية): 251.
 قصر المغيرة (17 كم من القيروان): 269، 282.
 قصر المنارة (المهدية): 222.
 القصرين: 102، 276.
 قصور قفصة: 484.
 قفصة: 105، 480-478، 485.
 قلعة بسر: 100.

فهرس الكتب الواردة في المتن
(دون اعتبار «كتاب» أو «رسالة»)

الصفحة	المؤلف	العنوان
		(أ)
28/2	القاضي النعمان	الأخبار (في الفقه)
28/2	القاضي النعمان	الاتفاق والافتراق
32/2	القاضي النعمان	إثبات الحقائق في معرفة توحيد الخالق
29/2	القاضي النعمان	اختصار الآثار
31/2	القاضي النعمان	اختلاف أصول المذاهب
31/2	القاضي النعمان	الأرجوزة (القصيدة) المختارة
31/2	القاضي النعمان	الأرجوزة المنتخبة
32/2	القاضي النعمان	أساس التأويل
245	أبو حاتم الرازي	الإصلاح
31/2	القاضي النعمان	افتتاح الدعوة وابتداء الدولة
28/2	القاضي النعمان	الاقتصار
32/2	القاضي النعمان	الإمامة
223	باب الأبواب	أمهات الإسلام
27/2	القاضي النعمان	الإيضاح
		(ب)
31/2	القاضي النعمان	البيان (الردّ على ابن قتيبة)
		(ت)
232	ابن خلكان	تاريخ ابن خلكان (وفيات الأعيان)
32/2	القاضي النعمان	تأويل الدعائم
32/2	القاضي النعمان	تأويل الرؤيا

الصفحة	المؤلف	العنوان
32/2	القاضي النعمان	التعقّب والانتقاد
31/2	القاضي النعمان	التقريع والتعنيف
32/2	القاضي النعمان	التوحيد والإمامة . . .
		(ح)
32/2	القاضي النعمان	حدود المعرفة في تفسير القرآن
32/2	القاضي النعمان	الحلي والثياب
		(خ)
139/2	الواقدي / الوادعي؟	خصائص الأئمة
		(د)
32/2	القاضي النعمان	دامغ الموجز في الردّ على العتقيّ
32/2	القاضي النعمان	الدعاء
28/2	القاضي النعمان	دعائم الإسلام
29/2	القاضي النعمان	الدينار
		(ذ)
31/2	القاضي النعمان	ذات البيان
32/2	القاضي النعمان	ذات المحن (في سيرة مخلد بن كيداد)
32/2	القاضي النعمان	ذات المنن (في سيرة المعزّ لدين الله)
		(ر)
31/2	القاضي النعمان	الردّ على ابن سريج
72/2	القاضي النعمان	رسالة أرسطاطاليس إلى الإسكندر
31/2	القاضي النعمان	رسالة إلى مرشد الداعي في مصر
31/2	القاضي النعمان	الرسالة المصرية
246	الكرماني	الرياض
		(ز)
243	الرازي	الزينة

الصفحة	المؤلف	العنوان
		(س)
119	مجهول	سيرة الإمام المهديّ
78125	محمد بن علي اليماني	سيرة جعفر الحاجب
235	أبو علي منصور العزيزي	سيرة جوذر الأستاذ
96/2	الحسن بن زولاق	سيرة جوهر القائد
131، 33/2	حيدر بن محمد بن إبراهيم	السيرة الكتابية
		(ش)
31/2	القاضي النعمان	شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار
31/2	القاضي النعمان	الشروط
		(ط)
31/2	القاضي النعمان	الطهارة والصلاة
		(ق)
19	القاضي النعمان	القصيدة المختارة
		(ك)
275	ابن المقفع	كلىة ودمنة
232، 192	إدريس بن علي الحسنيّ	كنز الأخبار في السير والأخبار
31/2	القاضي النعمان	كيفية الصلاة على النبيّ
		(م)
135/2	القاضي النعمان	مؤازرة التأويل لتعبير الرؤيا
54/2، 33/2	القاضي النعمان	المجالس والمسائرات
245	الشيخ الحميد	المحصول
27/2	القاضي النعمان	مختصر الإيضاح
133/2	الكرمانيّ	المصباح في الإمامة
32/2	القاضي النعمان	معالم المهدي
28/2	القاضي النعمان	المقتصر (عن الاتفاق والافتراق)

31/2	القاضي النعمان	مناقب بني هاشم ومثالب بني أمية
32/2	القاضي النعمان	مناجات الأئمة
33/2	القاضي النعمان	موازية التأويل
(ن)		
245	أبو يعقوب السجستاني	النصرة
135/2 ، 31/2	القاضي النعمان	نهج السبيل إلى معرفة علم التأويل
(هـ)		
31/2	القاضي النعمان	الهمة في آداب أتباع الأئمة
(ي)		
131/2 ، 231	القاضي النعمان	وفيات الأعيان (تاريخ ابن خلّكان)
(و)		
32/2	القاضي النعمان	يوم وليلة

مراجع التحقيق

1 - بالعربية:

- ابن الأثير: الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، جزءان، القاهرة 1963.
 - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تصحيح عبد الوهاب النجار، 9 مجلدات، القاهرة 1356.
 - إدريس عماد الدين: عيون الأخبار، السبع الرابع، نشر مصطفى غالب، بيروت 1973.
 - السبع الخامس، نشر مصطفى غالب، بيروت 1975.
 - السبع السادس، نشر مصطفى غالب، بيروت 1984.
 - مقتطفات، نشر الدشراوي، تونس 1979.
 - الأشعري: مقالات الإسلاميين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة 1950.
 - الأعظمي: (محمد حسين)، الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية، القاهرة، 1970.
 - عبقرية الفاطميين، بيروت، 1960.
- (ب)
- البرقي: (أحمد)، كتاب الرجال، طهران، 1342.
 - البغدادي (عبد القاهر): الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، د. ت.
 - البغدادي (عبد المؤمن): مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة

والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة 1955.
- البكريّ (أبو عبيد): المغرب في ذكر بلاد إفريقيّة والمغرب، بغداد
د. ت.

نفسه، طبعة باريس 1965 مع ترجمة دي سلان.

(ت)

- ابن تغري بردّي (أبو المحاسن): النجوم الزاهرة، طبعة دار
الكتب، القاهرة، 1933.

(ج)

- [جعفر الحاجب]: سيرة جعفر الحاجب، نشر إيفانوف، مجلة
كلية الآداب، القاهرة، 1936.
- الجوذريّ (منصور العزيزي): سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق محمد
كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة د. ت.

(ح)

- حسن (حسن إبراهيم): تاريخ الدولة الفاطميّة، القاهرة، 1964.
- حسن (علي إبراهيم): تاريخ جوهر الصقليّ، القاهرة، 1933.
- حسين (محمد كامل): في أدب مصر الفاطميّة، القاهرة، 1970.
- الحلّي (الحسن بن يوسف): كتاب الرجال، تحقيق محمد صادق
بحر العلوم، النجف، 1961.
- ابن حوقل: صورة الأرض، بيروت، 1979.
- ابن حيّان: المقتبس، الجزء الخامس، تحقيق بدرو شالميتا،
مدريد، 1979.

(خ)

- ابن خلدون: العبر، في 7 أجزاء، بيروت 1979.

(د)

- ابن الديبع (عبد الرحمان): قرّه العيون بأخبار اليمن الميمون،

- تحقيق محمد بن عليّ الأكوخ الحوالي، القاهرة، 1970.
- ابن أبي دينار: كتاب المؤنس، نشر محمد شمام، تونس، 1976.

(ز)

- الزاوي (طاهر أحمد): ولاية طرابلس من بداية الفتح العربيّ إلى نهاية العهد التركيّ، بيروت، 1970.
- أبو زكريا: كتاب سير الأئمّة، تحقيق إسماعيل العربيّ، بيروت، 1982.
- زمبور: معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلاميّ، القاهرة، 1951.

(س)

- ابن سمرة الجعديّ: طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد السيّد، القاهرة، 1957.
- السيوطي: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، بيروت، د. ت.

(ش)

- ابن شهر آشوب: معالم العلماء، النجف، 1961.

(ط)

- الطالبي (محمد): الدولة الأغلبية، تعريب المنجي الصيّادي، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت 1985.

(ع)

- عبد الرحمان (عفيف): الشعر وأيام العرب في العصر الجاهليّ، بيروت، 1984.
- ابن عبد المنعم الحميريّ: الروض المعطار، تحقيق إحسان

عبّاس، بيروت، 1975.

- ابن عذارى: البيان المغرب، نشر بروفنسال وكولان، ليدن، 1951.

- أبو العرب/الخشني: طبقات فقهاء إفريقية، نشر ابن أبي شنب، الجزائر 1914.

(غ)

- الغزالي: فضائح الباطنية، نشر قولدزهر، ليدن 1916.

(ف)

- الفقهي (الحبيب): التأويل، أسسه ومعانيه في المذهب الإسماعيلي، تونس، د. ت.

(ق)

- ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، د. ت، 4 أجزاء.

(ك)

- الكندي: كتاب الولاية والقضاة، تحقيق روفن فاست، ليدن 1912.

- لقبال (موسى): دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية، الجزائر 1979.

- لويس (برنارد): أصول الإسماعيلية، تعريب خليل أحمد الحلو وجاسم أحمد الرجب، القاهرة، د. ت.

(م)

- المالكي (أبو بكر): رياض النفوس، تحقيق البشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981 - 1984 (3 مجلدات).

- ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، نشر لوفقرين، ليدن 1954.

- مجهول: كتاب العيون والحدائق، تحقيق عمر السعيد، دمشق 1973.
- المراكشي (عبد الواحد): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، نشر محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة 1949.
- المسعودي: التنبيه والإشراف، نشر عبد الله الصاوي، القاهرة 1938.
- مروج الذهب، تحقيق شارل بلا، بيروت، 1966.
- المقرئ: أتعاض الحنفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، 1948.
- المقرئ: المقف، مخطوط باريس 2144.
- المنقري: وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1365.
- الملي (مبارك): تاريخ الجزائر في القديم والحديث، قسنطينة 1932.

(ن)

- الناصري السلاوي: كتاب الاستقصاء، الدار البيضاء، 1954.
- النعمان بن محمد (القاضي): افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضي، بيروت، 1970.
- افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، تونس 1975.
- المجالس والمسائرات، نشر كلية الآداب، تونس، 1978.
- النويري: نهاية الأرب، الجزء 24، تحقيق حسين نصار، القاهرة 1983.

(هـ)

- الهمداني (الحسن بن أحمد): الإكليل، تحقيق محمد بن علي الأكو، ج 1، 1963.
- تحقيق لوفقرين، ج 2/1، 1954، 1965.

- صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكرع، الرياض، 1974.
- الهمداني (حسين بن فيض الله): الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، القاهرة 1955.

(ي)

- اليماني (عبد الواسع): تاريخ اليمن (فرجة الهموم)، القاهرة، 1346.
- اليوسي (الحسن): زهر الأكم في الأمثال والحكم تحقيق محمد حنجي ومحمد الأخضر، الدار البيضاء، 1981.

2- بغير العربية:

- **Abdulwahab H. -H.:** Contribution à L'Histoire de L'Afrique du Nord et de la Sicile; Centenario di Michele Amari. II, Palermo, 1910.
- Atlas archéologique de la Tunisie.**
- **Canard (Marius):** L'autobiographie d'un chambellan du Mahdi Ubaydallah, Hesperis. 1952.
- Vie de l'Ustadah Jawdhar, Alger.**
- **Dachraoui (Farhat):** Le Califat fatimide au Maghreb, Tunis 1981.
- **Diehl (Ch.):** L'Afrique byzantine, Paris 1896.
- **Fagnan (Edmond):** Nouveaux textes relatifs à l'Afrique du Nord et à la Sicile; Centenario di Michele Amari Palermo 1910.
- **Feki (Habib):** Les idées religieuses et philosophiques de l'ismaélisme fatimide, Tunis 1978.
- **Gateau (Albert):** La Sīra de Ja'far al-Ḥā jib; Hesperis 375-396.
- **Gsell (Stéphane):** Atlas archéologique de l'Algérie, Paris 1911.
- **Hamdāni (Abbās):** Some aspects of the history of Libya during the Fatimid period, 1968.
- **Idris (H.R.):** La Berbérie Orientale sous les Zirides, Paris 1922.

- **Ivanow(W.):** Ismaili Literature, Tehran 1963.
- **Le Tourneau (R.):** La Révolte d'Abu Yazīd; Cahiers de Tunisie 1953.
- **Lézine (Alexandre):** Mahdiya, Paris 1965.
- **Lévi - Provençal (E.):** Histoire de l'Espagne musulmane, 3 volumes, Paris, 1950.
- **Ponawala (Ismail K.):** Bibliography of Ismaili Literature, Malibu (California) 1977.
- **Stern (S.M.):** Heterodox Ismailism at the time of Mu'izz, B.S.OS. 17-1955.
- **Talbi (M.):** L'Emirat aghlabide, Paris 1966.
- **Talbi (M.):** Études d'Histoire Ifriquiyyenne, Tunis 1980.

الفهرس التفصيلي للمواضيع (عناوين الطرّة)

- مقدمة التحقيق 5 - 19 من الكتاب
- الفصل الأول: البشارات والإشارات بظهور المهديّ بالله 1 - 29 من المخطوط
- تنبؤ الرسول ﷺ بظهور المهديّ - 2. وسامة المهديّ - 5. الأئمة يحرمون الخمر والرشوة
7. الرسول ﷺ يتنبأ بمقتل عليّ ويجور بني العبّاس - 10. عليّ يتنبأ بظهور المهديّ
12. الأئمة سيثارون لآل البيت - 14. تنبؤ الأئمة من بعد عليّ - 17. تنبؤ علماء السنة
- بالمهديّ: ابن سيرين وطاوس . . 19 . وابن عبّاس . . 21 . وعبد الله بن عمر - 22.
- طلوع الشمس من المغرب كناية عن ظهور المهديّ - 24. تنبؤ الشعراء بالمهديّ: الفهرريّ
- والتونسيّ - 25. وابن عقبة - 27. وابن رمضان - 28.
- الفصل الثاني: ظهور دعوة المهديّ باليمن والمغرب 30-50
- خروج ابن حوشب إلى اليمن - 30. بحثه عن الأنصار - 32. الداعي ابن حوشب يتزوّى بزّي
- التّجار - 37. . ويستقرّ عند بني موسى ويوزّع الدعاة على الجزر: الهيثم إلى السند .
38. . وابن عبّاس إلى مصر - 39. منصور اليمن (ابن حوشب) يستولي على وسط اليمن:
- عبر محرم وبيت رب، وعلى مغربه: شبام حمير وكوكبان - 41. وصول أبي
- عبد الله الشيعيّ إلى اليمن - 42. مروق علي بن الفضل عن الدعوة - 43. الحرب
- بين منصور اليمن . 46. وابن الفضل المارق - 47. مقتل عليّ بن الفضل غيلة
- 49. هجرة جعفر ابن منصور اليمن إلى إفريقيّة - 50.
- الفصل الثالث: ظهور الدعوة بالمغرب 51-118
- أبو عبد الله يتعلّم طرق الدعوة عن منصور اليمن - 50. اتّصال أبي عبد الله بالحجيج
- الكتاميّين - 51. مسير أبي عبد الله إلى بلد كتامة - 52. توقّفه عند سماتة - 53. دخول
- وجوه كتامة في الدعوة - 54. وصول الداعي إلى ايكجان - 56. أبو عبد الله يعيّن الدعاة
- في فروع كتامة: ورفجومة وجيملة - 56. . وغشمان واجانة - 57. خروجه إلى حّمام ميلة

للتداوي - 57. صاحب ميله يحاول القبض على الداعي - 59. رسالة إبراهيم الثاني (الأغليي) إلى أبي عبد الله - 60. جواب أبي عبد الله . . 61. يدعو الأغليي إلى الدخول في الدعوة - 62. أصل عبارة «مشاركة» - 63. بعض رؤساء كتامة يغارون من أبي عبد الله . . 63. فيجمعون على مقاومته - 64. بنو سكتان يرفضون تسليم أبي عبد الله - 64. المتآمرون يعودون إلى استدراج شيخ بني سكتان - 65. بيان بن صقلان يدعو قومه بني سكتان إلى ترك الداعي . . 66. فيتكفل به بنو غشمان - 67. الهجرة من إيكجان إلى تازروت - 67. رؤساء الجبهة يستنجدون بأبي كناوة اللهيصي - 68. جماعة الجبهة يحتالون على غشمان بتنظيم مناظرة مزعومة في الدين - 69. الداعي ينصح بملاينة محمود الغشمي . . 69. فيقلب محمود على المتآمرين ويقاتلهم فيقتل - 70. بطش مهدي بن أبي كناوة بالأولياء - 71. يحملهم على الاحتيا لقتله، لكنه ينجو في كل مرة . . 72. فيمكر به أخوه أبو مديني فيخلص منه الأولياء - 73. أبو عبد الله يعرض الصلح على رؤساء الجبهة فيأبون إلا قتاله - 74. تكوين الجيش الشيعي بتازروت لقتال المتآمرين - 75. غزوة بن يوسف الملوسي يجرح فيفقد صوته . . 75. لكنه يعود إلى القتال، فيحرز الأولياء به النصر - 76. الأولياء يستقرون بتازروت ويشنون الغارات على القبائل المتحالفة . . 76. فيفتحون حصن وشنوك على مسالمة وعجيسة - 77. انضمام عجيسة وزواوة إلى الدعوة - 77. أمير مسالمة يستنهض الأغليي بدون جدوى - 77. أبو عبد الله يقيم الشرائع الصحيحة - 78. شهادة حجاج بسيط على استقرار الأمن والعدل في إيكجان وتازروت - 79. افتتاح قلعة ميله . . 80. بتوسط ابن أبي خنزير - 81. ابن أمير ميله بدوره يستنهض الأغليي - 81. خروج أبي حوال الأغليي لمحاربة أبي عبد الله - 82. تراجع أبي عبد الله إلى تازروت ثم إيكجان - 83. مقتل ابن صاحب ميله - 84. تراجع أبي حوال بدون قتال - 84. إيكجان تصبح دار هجرة - 85. حملة أبي حوال الثانية . . 85. وانهزامه - 86. زيادة الله يستولي على الحكم وينغمس في اللهو - 87. سقوط سطيف بعد وفاة ابني عسلوجة - 88. انضمام داود اللهيصي إلى أبي عبد الله - 89. تجهيز جيش أغليي بقيادة إبراهيم بن حبشي - 89. تجمع الجيش الأغليي مع أمداد طينة في قسنطينة - 90. هزيمة ابن حبشي في وقعة كبونة - 91. فتح طينة - 91. انضمام أبي المقارع إلى الداعي - 92. حصار بلزمة وفتحها - 93. وقعة دار ملول وفتح تيجس - 94. زيادة الله يعتزم الخروج بنفسه إلى قتال الداعي - 95. وحاشيته تشنه عن عزمه فيعين إبراهيم بن أبي الأغلب على جيش الأريس - 97. فتح باغاية - 98. زيادة الله يركن إلى اللهو ولا يفكر في القتال - 99. فتح مجانة . . 100. وهفوة ميدرة - 101. وصول أبي عبد الله إلى القصرين - 102. وقعة دار مدين - 103. انتصار بني ورديم على الأغليي بقالمة - 103. أبو عبد الله يعاقب بني ماجس الهواريين - 104. فتح قسطينية وقفصة - 105. ابن أبي

الأغلب يحاول استرجاع باغاية. . . 105. . . فيتصدى إليه أبو مديني اللهيصي فيردّه على الأعقاب - 106. . . خروج أبي عبد الله إلى الأربس - 107. . . وقعة الأربس (24 جمادى الثانية 20/296 مارس 909) - 108. . . أبو عبد الله ينزل العقاب بأهل الأربس لمؤازرتهم الأغلب - 109. . . هروب زيادة الله إلى طرابلس - 110. . . زيادة الله يقتل ابن الصائغ - 111. . . إبراهيم ابن أبي الأغلب يحاول إنقاذ الإمارة. . . 111. . . لكنّه لا يجد مساندة من القيروان فيلتحق بزيادة الله - 112. . . زيادة الله بطرابلس يغفل عن أبي العباس. . . 112. . . وعن الجزري وكيل المهدي - 113. . . حلول ابن أبي الأغلب بمصر - 113. . . وفاة زيادة الله بالقدس - 114. . . انتهاب قصور الأغلبة برقادة - 114. . . لقاء أبي عبد الله مع فقهاء القيروان - 115. . . دخول الداعي رقادة (رجب 25/296 مارس 909) - 115. . . الحيلة بالقيروان - 116. . . السكة الجديدة - 116. . . المروزي أول قاض شيعي بالقيروان - 117. . . أبو العباس يناظر الفقهاء - 117. . .

الفصل الرابع : خلافة المهديّ بالله 118-228

مولد المهديّ بعسكر مكرم (شوال 360) وكفالة عمّه سعيد الخير له - 119. . . طمع والي سلمية في أموال المهديّ. . . 120. . . وعزله بسعي من المهديّ - 120. . . خروج أبي مهزول القرمطي عن الدعوة يحمل المهديّ على ترك سلمية (سنة 286) - 121. . . القرمطي يدخل سلمية وينتهب قصر الإمام. . . 123. . . ثم يقبض عليه فيزعم أنّه ثار بأمر من الإمام 123. . . فيأمر الخليفة العباسي بطلب المهديّ - 124. . . المهديّ يصل إلى دمشق. . . 124. . . ثم إلى الرملة - 125. . . فيشهد سقوط النجوم بسماؤها فيقول لأصحابه إنّها إحدى علامات ظهوره. . . 126. . . ويقصد مصر هرباً من رسل العباسيين - 127. . . مسير المهديّ إلى المغرب - 128. . . خيانة فيروز وانضمامه إلى عليّ بن الفضل باليمن - 129. . . المهديّ بطرابلس - 129. . . المهديّ بسجلماسة. . . 130. . . يكتّم أمره عن أميرها - 131. . . التضييق عليه وعلى أصحابه - 132. . . خروج أبي عبد الله إلى سجلماسة. . . 133. . . تاركاً أبا العباس وأبا زكي على إفريقية - 133. . . أبو عبد الله يحاول تخليص المهديّ بدون قتال - 135. . . هروب اليسع المدراري وظهور المهديّ وأصحابه - 136. . . فرج الأولياء برؤية المهديّ - 137. . . مراسم المبايعات كما ضبطها أبو عبد الله - 138. . . أصل تسمية جعفر بن عليّ بجعفر الحاجب - 139. . . الظفر بالمدراري وهلاكه - 139. . . رسالة أبي عبد الله الداعي إلى أهل إفريقية - 141. . . بفتح سجلماسة - 142. . . وهروب اليسع - 143. . . وقدوم المهديّ القريب - 144. . . مسير المهديّ إلى إفريقية. . . 144. . . وتوقّفه بتاهرت - 145. . . ثمّ بايكجان حيث يقبض الأموال المخزونة عند كتامة - 145. . . رسالة الداعي إلى أبي زكي بالقيروان - 146. . . يدعو إلى التأهب لاستقبال المهديّ - 147. . . ابن الأسود الداعي يصف خروج الأولياء. . . 148. . . إلى سببية لتلقّي المهديّ - 148. . . دخول المهديّ إلى رقادة (18 ربيع

الثاني 4/297 جانفي 910) - 149. الدعاء الجديد في الخطب المنبرية - 150. خطاب المهدي إلى أهل القيروان يحتج فيه لأحقية أهل البيت بإرث الرسول ﷺ . . . 151. ويدعو الناس إلى الامتثال والطاعة والمؤازرة - 153. المهدي يبايع بالخلافة (21 ربيع الثاني 7/297 جانفي 910) - 154. شعر سعدون الورجيني في مدح المهدي - 155. مكافأة كتامة على مناصرتهم للدعوة - 157. تنظيم دواوين الدولة - 157. مناقب المهدي، الكرم . . . 157. مع كره التبذير - 158. عدله وإنصافه الناس - 158. حملات أبي عبد الله بالمغرب الأوسط (297-298) - 159. انتفاض تنس وفتحها - 160. تغيير أبي العباس على المهدي طمعاً وحسداً - 161. إغراؤه أبا عبد الله بنيل السلطان وانخداع أبي عبد الله باحتجاج أخيه - 162. المهدي يفهم أن رأس التمرد هو أبو العباس - 163. دعاوى أبي العباس تزعم ولاء كتامة - 163. المهدي يجمع الأنصار الأوفياء تحت قيادة غزوية بن يوسف . . . 163. ويحاول أن يشي شيخ المشايخ عن التمرد - 164. من المتآمرين أيضاً، أبو زاكى - 164. المهدي عارف بتفاصيل حركتهم . . . 165. فيشعر أبا عبد الله بأنه يعلم فيرتبك الداعي وأصحابه - 166. انتقام المهدي من أبي زاكى وابن القديم - 167. ومن أبي العباس . . . 168. ولكن قتل أبي عبد الله كان غلطاً - 168. فترحم عليه المهدي كثيراً - 168. ترحم المهدي عليه بمحو جنائته . . . 169. إذ لا غفران للمسيء ما لم يعف عنه المساء إليه - 169. ثورة أهل القيروان على كتامة بعد مقتل الداعي - 170. المهدي يعين القائم ولياً للعهد - 171. ثورة بني ماوطي في بلاد كتامة وانهزامهم على يد القائم - 172. أبيات للمهدي يتشوق فيها إلى ابنه القائم - 173. القائم يفتح طرابلس بعد انتفاضها - 174. وفاة أبي جعفر الجزري - 174. حملة حباسة بن يوسف على برقة - 175. حملة القائم على مصر سنة 302هـ - 176. قدوم الجيش العباسي للتصدي - 177. ارتحال القائم إلى الفيوم - 178. وانهزام حباسة أمام جيش مصر . . . 178. لكن القائم ينقذ الموقف - 179. شعر للقائم في الفخر ومدح المهدي أبيه - 179. رجوع القائم إلى الاسكندرية - 180. خطبة القائم في عيد الفطر سنة 302 بالاسكندرية . . . 180. يندد فيها بفسوق الحكام المنتصبين . . . 182. ويتقصر المسلمين في نصرة آل البيت - 183. واجب الإمام نحو رعيته . . . 184. والرعية نحو الإمام - 184. القائم يلعن أعداء أهل البيت على المنابر - 185. قدوم مؤنس القائد بالمدد من بغداد - 186. انهزام المغاربة أمام ابن طنج - 187. القائم يستولي على الأشمونين - 187. ومؤنس على الإسكندرية - 188. مؤنس يدعو القائم إلى طاعة بني العباس - 188. فيجيبه بإظهار حق ذرية علي - 189. القائم يترك مصر - 189. كان المهدي يعلم أن مصر لا تفتح على يديه - 190. تأسيس المهديّة - 191. بناء مصلّى المهديّة - 192. أفلح بن هارون الملوسي قاضي رقادة ينظم مجالس الدعوة للنساء - 193. تعظيم المهدي لأفلح ابن هارون - 195. وفاة أفلح بن هارون - 195. انتفاض جبل نفوسة (سنة 311) - 196.

حملة جعفر بن عبيد الحاجب على قلورية (312-313) - 196. يصل بن حبوس يردّ محمد ابن خزر عن تاهرت - 197. حملة القائم ضدّ زناته وأحلافهم (سنة 315) - 198. القائم يعمر المهديّة برهائن من القبائل الثابتة - 198. جعفر بن عبيد يحاصر المتمردين بجبل عقار - 199. تأسيس المسيلة (سنة 315) - 200. دخول مصعب الزناتي في الطاعة - 200. عبد الله بن خزر يترك قلعة جمّة - 201. حملة القائم على قبيلة مطماطة - 202. لجوء المتمردين إلى قلعة القربوس - 203. خليل بن إسحاق يحمل على ابن خزر. . . 204. . ويحمل مطماطة على الإذعان للقائم - 205. توجه القائم إلى زبرقة - أغيت - 205. إعداد آلة الحصار - 206. مقاومة زبرقة شديدة - 207. النسوة البربريات يحرضن الرجال على الصمود. . . 208. . فيفضّلون الانتحار على الاستسلام - 208. حلم القائم بعد الظفر - 209. إذعان القبائل - 210. تهديم الأسوار والحصون احتياطاً من التمرد - 211. قصيدة للقائم يفخر فيها بقهر الثوار. . . 212. . ويسطر برنامج الدولة في اقتحام المشرق. . . 212. . أخذاً بثارات آل البيت - 213. القائم يلاحق ابن خزر دون جدوى - 214. رجوع القائم إلى المهديّة (رمضان 316 / نوفمبر 928) - 215. ابن خزر يتمرد ببسكرة. . . 215. . وأخوه فلغل يبايع المهديّ - 216. حميد بن يصل يحارب موسى بن أبي العافية - 216. بعض أخبار العباسيين - 217. مقتل المقتدر (سنة 320). . . 218. . كان فرصة لرجوع ذي الفقار إلى آل البيت - 218. هروب يعقوب بن إسحاق من سجنه ببغداد - 219. مغامرات يعقوب في طريقه إلى المهديّ - 220. إفلاته من الحرس المصريّ في زيّ امرأة - 221. وفاة الداعي الطالبيّ أبي عليّ «باب الأبواب» - 222. ولده أبو الحسن محمد يخلفه في الدعوة - 224. مرض المهديّ. . . 224. . ووفاته (15 ربيع الأول 322/3 مارس 934) - 225. رثاء ابن الصيقل للمهديّ - 226.

الفصل الخامس : خلافة القائم بأمر الله 229-339

سار الأئمة بسيرة جدّهم رسول الله - 229. . فحسدّهم الخصوم وطعنوا في نسبهم - 230. . كما فعل الغزالي تقريباً لبني العباس - 231. القائم ينتمي إل جعفر الصادق لا إلى ميمون القداح - 232. احتجاج المؤلف برسالة المعزّ إلى حلّيم بن شيبان داعي السند - 235. . في تصحيح النسب - 235. نقل عن سيرة جودر في تعيين المنصور ولياً للعهد - 237. محبة المنصور لجودر - 237. . وعلوّ أخلاقه وطيبه نفسه - 239. . وصبره على إهمال أمره طوال مدّة القائم - 240. نقل عن النعمان في حظوة المنصور لدى المهديّ - 241. . مذ كان رضيعاً - 241. شغف القائم بالحكمة - 243. . وحرصه على أن لا تعطى لغير مستحقّها مثلما وقع لكتاب الزينة - 243. . الذي نسخ - فقرأه - مخادعة للمنصور - 244. . فلامه القائم على انخداعه - 244. أساطين التأليف من الدعاة : النسفيّ فالرازي

والسجستاني - 245. فالكرماني - 246. أسطول القائم يغزو جنوة - 246. وجيشه يهزم ابن أبي العافية بالمغرب - 247. ورعاياه بطرابلس يقتلون ابن طالوت الدعي - 248. الخارجي أبو يزيد ادعى الصلاح والاحتساب والانتصار للصحابية - 249. في وجه الشيعة، فجمع الأنصار - 250. وطفق ينهب ويقتل - 251. فنازل حصون الأوراس - 252. وحاصر باغاية - 253. فلم يقدر عليها - 254. رغم انضمام بعض القواد إليه - 254. ورغم انخزال جماعة من كتامة - 255. وطالت منازلته لباغاية - 256. فصرف جموع أنصاره إلى تبسة - 257. فاستولى عليها بالغدر - 257. أهده حماراً أشهب فصار يدعى «صاحب الحمار» - 258. ودخل إفريقية فغلبت جموعه على سبيبة - 259. ثم على الأريس - 260. القائم لم يتأثر لانتصارات أبي يزيد - 260. ولكنه أخرج الجيوش إلى رقادة. . . 261. والقيروان وباجة وطريق المهدية - 262. انهزام بشرى الخادم في باجة - 263. والحسن الكلبي في تونس - 265، خليل بن إسحق بالقيروان لا يحرك ساكناً. . . 266. ويبيد الاستهانة بأبي يزيد - 267. أبو يزيد يحل بالقيروان. . . 268. وخليل متماد في خمولة - 269. تغلب البربر على رقادة - 269. البربر من جند خليل يتواطؤون مع مغل - 270. حصار القيروان - 270. خليل يتطير من بعض العلامات فيرجع عن القتال. . . 271. وينحصر في القيروان - 272. فيحصره أيوب الزويلي ويضرم في قصره النار فيستأمن لأيوب - 273. لكن أبا يزيد يأمر بقتله مع أصحابه. . . 274. بعد استشارة أبي عمار الأعمى - 275. جزع القاضي أحمد بن بحر من الموت - 275. صبر خليل أمام الموت - 277. خليل كان شاعراً بليغاً، له شعر في الفخر - 278. وفي نصيح الإمام وفي الاعتاظ - 279. بعض أخبار المشرق: خلع المتقي العباسي - 279. تذمر وجه القيروان إلى أبي يزيد. . . 280. من فطائع جيشه - 281. أبو يزيد يرغم أهل القيروان على مؤازرته - 282. بنو كملان يفارقون جيش ميسور إلى جيش مغل - 282. ميسور يصاب بسهم في رأسه. . . 283. فيجهز عليه بنو كملان - 284. هلع أهل المهدية بعد هزيمة جيش ميسور - 284. القائم يمنع سكان الأرباض من التحصن بالمهدية - 285. الثوار يعيشون فساداً في القرى - 285. يقتلون ويسبون ويبتزون - 286. أبو يزيد يعطي المثل في الفساد والإفساد. . . 287. ويستهزئ ممن يشكو إليه ظلم أصحابه - 288. ويترك التقشف الكاذب ويتخذ زينة الملوك - 289. القائم يستعد للحصار. . . 289. ويراسل قبائل كتامة - 290. طالباً النجدة - 291. أبو يزيد يقتحم ضاحية زويلة - 292. قبل الهجوم على المهدية - 293. الهجوم الأول: 3 جمادى الثانية 333/ (21 جانفي 945) - 294. ثقة القائم بالنصر النهائي - 296. أبو يزيد يقرب معسكره من المهدية - 297. الهجوم الثاني: 23 جمادى الثانية 333 (10 فيفري 945) - 298. الهجوم الثالث: 23 رجب (11/333 مارس 945) - 298. خطبة للقائم في أهل المهدية. . . 299.

يدعوهم فيها إلى قتال أبي يزيد - 300. خيبة أبي يزيد الثالثة . . . 300. كانت بادرة ظفر للأئمة . . . 301. أشاد بها الشعراء - 301. الهجوم الرابع على المهدية (23 شوال 333/8 جوان 945) - 303. صبر أهل المهدية وكثامة خاصة للحصار - 303. تنكيل عسكر أبي يزيد بالنساء - 304. أبو يزيد يتمادي في استهتاره - 305. وقعة أخرى بالوادي المالح بسعي من القائم: 11 ذي القعدة 333 (25 جوان 945) - 306. حملة أخرى على المهدية: 28 ذي القعدة 333 (/ 12 جويلية 945) - 307. ناثريدعو إلى العباسيين من وراء أبي يزيد - 308. بنو وشير ينفصلون عن أبي يزيد . . . 309. وكذلك بنو أبي سلاس من الأريس - 310. يشن الثوار من أخذ المهدية فتفرقوا عن أبي يزيد - 311. فاضطر إلى فك الحصار - 312. نقل عن النعمان: القائم قدّر سلفاً جملة المصاريف التي ستنفق في فتنة أبي يزيد - 313. رجوع أبي يزيد خائباً إلى القيروان - 313. أهل القيروان يتشاررون في الرجوع إلى الإمام - 314. وكذلك أهل سوسة وبقية المدن - 315. أبو يزيد يوجه قواده لإرجاع المدن إلى طاعته: مسنويه الكملاني وعياض الهواري إلى تونس . . . 316. وآيوب ابنه إلى باجة - 318. أهل القيروان يتأمرون على أبي يزيد . . . 319. للتخلص من العسف والاضطهاد المسلط عليهم وعلى كافة جهات إفريقية . . . 320. فيعدهم أبو يزيد بالانتهاء . . . 321. ولكنها وعود كاذبة - 322. فليح الهواري ينتقم من أهل الأريس - 322. خروج الحسن الكلبي إلى ناحية زغوان ثم تونس - 323. اجتماع قواد أبي يزيد على الحسن ابن علي . . . 324. وهزيمتهم بخندق ميمون - 325. تحرك علي بن حمدون نحو إفريقية . . . 325. ولكنه يلاقي حتفه في معركة مع آيوب بن غلدة - 326. آيوب يتحول إلى الحسن بن علي فينهزم في النهاية . . . 327. ولكنه يعيد الكرة - 327. فيتغلب بفضل خيانة أحمد الكمين الوزداجي - 328. خروج الحسن الكلبي إلى بلد كتامة . . . 329. وأخذه باغاية وتيجس - 329. حصار سوسة: جمادى الثانية 334 (جانفي 946) - 330. تعيين إسماعيل المنصور ولياً للعهد: 8 رمضان 334 (13 أفريل 947) - 331. خطبة المنصور في عيد الفطر - 332. إشادة الشعراء بتعيين المنصور: 335. محمد التونسي ومحمد الطرزي - 337. القائم يوصي المنصور بجوذر خيراً - 337. نقل عن النعمان: محبة القائم للمعز - 338، وفاة القائم: 14 شوال 334 (19 ماي 946) - 339.

الفصل السادس: خلافة المنصور بالله 343-530

كتمان وفاة القائم - 340. تفويض أمر الدولة إلى جوذر الأستاذ - 340. استطراد في التنبؤ بكشف المحنة على يد المنصور - 341. حملة بحرية وبرية لتخليص سوسة من الحصار - 342. المنصور يخطط بنفسه لتخليص سوسة - 343. يعقوب بن إسحاق وكبون بن تصولا يباغتان أبا يزيد . . . 344. فيضمران النار في أنحصاصة . . . 345. فيرفع الحصار ويعود إلى القيروان - 345. قيام أهل القيروان على فليح الهواري لقتله واحداً منهم - 346. امرأة

أبي يزيد تنصفهم من المعتدين - 347. تشاور أبي يزيد وأبي عمار في ترك القيروان - 348. خروج المنصور إلى سوسة . . . 349. ثم إلى القيروان، وقد صفح عن أهلها - 350. ثم إلى قرية الجزيرة بفحص القيروان - 350. مقتل كبون بن تصولا في كمين نصبه فضل بن مخلد - 351. هجوم أبي يزيد على معسكر المنصور قرب القيروان - 352. المنصور يخرج بنفسه إلى القتال . . . 353. فيثبت وحده في الميدان والمظلة تعينه للعدو - 354. تولي أبي يزيد عن معسكر المنصور - 355. تضامن أهل القيروان مع المنصور - 355. إشادة الشعراء بوقعة القيروان (الجمعة 4 ذي القعدة 6/334 جوان 946): شعر ابن أصبغ - 356. والأبروطي - 357. هجوم شديد على معسكر المنصور - 357. دعاء من الإمام يستجاب في الحين - 358. أبو يزيد يحرق الزرع حول القيروان - 359. المنصور يأمر جنده بالتحصن وراء الخنادق - 360. مدد للمنصور من طرابلس - 360. جيش أبي يزيد لا يقدر على معسكر المنصور - 361. المنصور يبث سراياه في جميع الجهات - 362. فضل بن مخلد يقصد المهدية . . . 363. لسبي الكتاميات، فيبطل المنصور خطته - 363. أنصار الإمام يشنون عن الظهور للعدو خوفاً عليه لكنه يتمادى وإثقا بالنصر - 364. أبو يزيد يتوسل إلى المنصور في رد عياله فيلبي طلبه . . . 365. ويبطل خدعة أبي يزيد - 366. تسليم العيال إلى مبعوثي أبي يزيد - 367. أبو يزيد ينكر الجميل ويوهم أنصاره أن المنصور هابه - 367. استطرد في استنجاد مخلد بالناصر الأموي - 368. غضب المنصور على أنصاره لتهيئهم أبا يزيد - 369. معركة أخرى بباب تونس - 370. «وقعة المشاعل» (7 و8 محرم 8/335 و9 أوت 946) - 371. الخروج الحاسم . . . (11 محرم 12/335 أوت 946) . . . - 371. المكمل بالنصر المبين . . . 372. والقتل الذريع في أصحاب أبي يزيد - 374. المنصور يتصدق على الفقراء بعد الظفر - 375. خطبة المنصور يقرؤها جعفر الحاجب . . . - 375. ويعلن فيها عن إسقاط الجباية لسنة 335. والرجوع إلى أحكام الشرع في الأموال - 377. رسالة المنصور إلى جوذر موسومة باسم القائم يعلمه بهزيمة مخلد أمام القيروان - 378. رسالة من المنصور إلى فروع كتامة - 380. يوتخهم على قعودهم . . . - 380. فيتحركون بقيادة الحسن بن علي الكليبي ويحررون باجة وتونس - 382. محمد ابن رماحس يغزو سواحل إفريقية بالأسطول الأموي لمؤازرة مخلد لكن الغزو يفشل - 383. المنصور يستعد لمطاردة أبي يزيد . . . 383. ويخطط لبناء المنصورية - 384. سفارة من الامبراطور - 385. خروج المنصور إلى الغرب طلباً لأبي يزيد - 385. حلوله بباغاية - 385. محمد بن خزر يتقرب إلى المنصور . . . 386. فيدعوه إلى القبض على أبي يزيد - 387. المنصور يحل بطينة ثم ببسكرة . . . 388. فيقطع عنه خبر أبي يزيد - 389. أبو يزيد يتجه إلى جبال الحضنة ليقطع طريق المنصور - 390. وقعة عين السودان (13 جمادى الأولى 10/335 ديسمبر 946) . . . 391. شديدة على جند المنصور . . . 391. ولكنها

تتحول إلى نصر بفضل ذي الفقار - 392. مناقب ذي الفقار - 393. هروب أبي يزيد إلى جبل
 سالات . . . 393. ونزول المنصور بالمسيلة - 394. رسالة من المنصور إلى قدام عامله
 بالقيروان . . . 394. يصف فيها وقعة عين السودان - 395. الأراجيف تروج بالقيروان
 فيكذبها المنصور - 397. معركة جبل عقار (15 جمادى الأولى 335/12 ديسمبر 946) . . .
 - 398. . . يشيد بها الشعراء - 398. شعر للمنصور يتشوق فيه إلى ابنه المعز - 399.
 المنصور يستأنف ملاحقة أبي يزيد فيعود إلى جبل سالات . . . 400. . . ويقتحم المسالك
 الوعرة . . . 401. . . فيلقى جنده العنت من الجوع والبرد فيلجأ به إلى بلد صنهاجة - 402.
 مرض المنصور ببلاد صنهاجة وانقلاب مخلصه إلى المسيلة . . . 404. . . واعتصامه بجبل عقار
 - 405. أبو يزيد ينصب كميناً للمنصور قرب المسيلة - 405. . . لكن المنصور يتصدى له
 بنفسه فيبطل خطته ويقتل ابنه يونس - 407. إشادة جعفر بن منصور اليمن بوقعة المسيلة
 - 407. اعتصام أبي يزيد بجبل كيانة . . . 410. . . ومسير المنصور إليه - 411. هروب مخلص
 إلى قمة الجبل - 411. المنصور يضرم النار في أخصاص الثوار . . . لكن ذلك لم
 يردع جنده عن النهب - 413. ثبات الإمام في القتال - 414. هاتف يثني المنصور عن
 طريق مخوفة - 415. حصار قلعة كيانة - 416. المنصور يهتف القفص لأبي يزيد - 416.
 المنصور يصلي صلاة العيد تحت قلعة كيانه - 417. خطبة عيد الفطر (سنة 335) - 419.
 الصلاة على النبي وعلى الأئمة - 421. الابتهاال إلى الله طلباً لعونه على العدو - 422.
 تلميح المنصور إلى وفاة القائم في الخطبة وفي رسالته إلى جوفز - 424. المنصور ينظم
 حصار كيانة - 425. خرجة مفاجئة للثوار تبوء بالفشل - 425. المنصور يضيق الحصار من
 غربي القلعة وشمالها ويقطع أشجارها وثمارها . . . 427. . . ويقاثل الثوار ليلاً ونهاراً - 428.
 استسلام قلعة شاكر صلحاً - 428. زحف فضل بن مخلص وأيوب الزويلي على معسكر
 ملوسة وصنهاجة، بدون نتيجة - 429. استسلام أهل عقار صلحاً - 430. زيري بن مناد يستولي
 على دواب الثوار - 430. الرمي بقوس اللولب - 430. الظفر بميرة موجهة إلى المحاصرين
 - 431. خطبة المنصور في عيد الأضحى (سنة 335) . . . 432. . . يحدد فيها شروط الأضحى
 ويصلي على أهل الكساء والأئمة . . . 433. . . ويتنهل إلى الله أن يسد خطاه في خلافته
 - 435. معبد بن خزر يهب لنجدة أبي يزيد ولكنه يخيب في امتلاك طينة - 437. الزحف
 على قلعة كيانة - 439. المنصور يرتدي الثياب الحمر التي تبشر بالنصر . . . 440. . . ويتقدم
 وحده فيقطع فيه الأعداء . . . 441. . . ولكنه يثبت لهم ويمتلك القلعة . . . 443. . . ويحاول
 الثوار الإفلات في خرجة يائسة - 443. خيبة المنصور لإفلات أبي يزيد ثم فرحه بالعثور عليه
 طريقاً جريحاً - 444. أبو يزيد في قبضة المنصور (24 محرم 336/21 أوت 947) - 445.
 المنصور يرفق إلى قدام خبر النصر مفضلاً سير الأحداث . . . 447. . . ومنذاً بتخاذل من
 تخاذل من أصحابه فعرضوه للوقوع في أيدي العدو - 449. المعركة النهائية دامت ثلاثة

أيام - 450. المنصور يأمر بإخراج الصدقات شكراً لله - 451. ويبادر هو بالتقرب والشكر. . .
 - 452. فيعتقد جوذر الأستاذ - 453. المنصور يقيم الحجة على أبي يزيد - 454. فيزعم الثائر
 أنه إنما خرج مستكراً لفرض الضرائب على الناس - 455. المنصور يحتج عليه بأنه لم
 ينبه القائم إلى ذلك حتى يرفع الجور - 456. أبو يزيد يدعي أنه جهل ما يرتكبه أتباعه من
 منكرات - 457. حجة أخرى: الكذب في رسالته إلى الأموي - 458. امرأة أبي يزيد
 أرجح منه عقلاً - 458. المنصور يقرر الإبقاء على حياة أبي يزيد. . . 460. لكن المنية
 تعاجل الثائر المغلوب - 460. الشعراء يتشفون من أبي يزيد: ابن ناسك والإيادي
 - 461. الفزاري بعد أن كان مدح الثائر وهجا الأئمة فاستوجب نقمة العتقي. . . 462. .
 فهو اليوم يمدح المنصور بالقصيدة الفزارية - 463. المنصور يعلن عن توليه الخلافة
 - 465. . ويكتب بذلك إلى الأمصار ويررر كنم وفاة القائم بانتقاء شماتة العدو - 466.
 المنصور يأمر بطبع اسمه على الطراز والسكة - 468. معبد بن خزر يأتي لنصرة أبي يزيد
 جهلاً بوفاته - 469. . لكنه يرد على الأعقاب - 470. بنو كملان يطلبون العفو - 470.
 مروق حميد بن يصل بتاهرت ولجوؤه إلى الأندلس - 471. مرض المنصور بتاهرت
 - 472. المنصور يزور بعض المعالم الأثرية في بلاد لوانة. . . 473. . ويعود إلى إفريقية
 مروراً بالمسيلة وسطيف وميلة حيث يجند الأسر الكتامية لتعمير المنصورية - 475. وصوله
 إلى عاصمته الجديدة - 476. التطواف بجثة أبي يزيد - 477. دنانير جديدة باسم المنصور
 - 477. خروج فضل بن مخلد في الأوراس وقسطيلية - 478. خروج المنصور في طلبه
 بجمونس الصابون وسيطلة وقفصة وماواس - 480. المنصور يوكل إلى ابنه معذ أبي تميم
 قتال المارق. . . 481. . فيظهر من التدبير والحكمة مع صغر السن ما تقربه عين المنصور
 - 482. جعفر بن منصور اليمن يشيد بوقعة ماواس - 483. رسالة المنصور إلى قدام
 - 484. . يفصل فيها بوقعة ماواس. . . 485. . ويشيد ببلاء ولي عهده المعز - 487. . ويعتد
 أصناف الغنائم - 488. . ويأذن بعرض رؤوس القتلى بالقيروان والمهدية - 489. عودة
 المنصور إلى المهدية - 490. خطبة عيد الفطر سنة 336 بالمهدية - 490. تحديد زكاة
 الفطر - 492. المنصور يترحم على القائم. . . 493. . ويحمد الله على قهره أبا يزيد - 494.
 فتنة مخلد كانت امتحاناً للدولة وابتلاءً لرجالها - 495. كتامة هم الأنصار الأوفياء - 496.
 أسر ابن بردعة الثائر - 497 [غزوة فرج الخادم إلى صقلية وقلورية - 497 أسر معبد بن
 خزر مع ابنه وقتلها] - 497. قتل فضل بن أبي يزيد - 498. جعفر بن منصور اليمن يشيد
 بأخذ فضل - 499. استقرار المنصور بالمنصورية - 500. تعيين النعمان قاضياً على كافة
 إفريقية - 501. نقل عن النعمان في فرحه بخدمة الأئمة. . . 502. . وفي ظروف عمله
 بالمنصورية. . . 503. . وفيما لقيه من حسد الحساد. . . 505. . وما وجده عند المعز من
 عطف وتأيد - 506. نقل آخر عنه في صبر المنصور على الضيق - 509. . وتمرسه بالشدائد

- 510. المنصور يخرج الأسطول لغزو قلورية - 511. المنصور يدعو جوذراً إلى انتقاء هدية سنّية لملك الروم - 512. نقل آخر: إعجاب المنصور بآثار قرطاج - 513. فضائل المعزّ وليّاً للعهد - 515. مرض المنصور - 516. نقل عن النعمان: شعور المنصور بقرب أجله . . . 517. . . وجزع المعزّ عليه - 519. محنة المنصور في أيام القائم . . . 520. . . بكتّم ولايته للعهد - 521. المنصور ينهى المعزّ عن الجزع عليه - 523. جزع النعمان على المنصور - 525. . . ومواساة المعزّ له - 526. وفاة المنصور (آخر شوال 19/341 مارس 953) - 527. المعزّ يعي المنصور لجوذر. . . 528. . . ويأمره بكتّمان الخبر عن الخاصّ والعام - 529. تجلّد المعزّ في مصابه - 530.

100 الفصل السابع: خلافة المعزّ لدين الله

لا مانع من وجود أربعة أئمة في زمن واحد. . . 2/2. . . مثل الأنبياء وأوصيائهم - 2/2. فطنة المعزّ منذ الصغر - 2/2. حظوته عند جدّه القائم مثل حظوة المنصور عند المهديّ - 3/2. أصداء الخلاف والتنافس في الأسرة الحاكمة - 4/2. المنصور فوّض أمور الدولة إلى وليّ عهده المعزّ - 4/2. المنصور والمعزّ في حكمتهما مثل داود وسليمان - 6/2. كذلك الحسن بن عليّ كان فقيهاً حكيماً على حدّاته - 7/2. الشاهد في قضية البيض المأكول - 7/2. الفقه الإسماعيليّ يرفض نكاح المتعة - 8/2. مثال آخر من توارد الحكمة عند المنصور والمعزّ - 9/2. . . ومثال ثالث - 10/2. ثقة المنصور بالمعزّ - 12/2. المعزّ يعلن عن وفاة المنصور بعد شهر وعشرة أيام. . . 13/2. . . في خطبة عيد الأضحى - 14/2. المعزّ يترحم على المنصور - 15/2. . . ويتوجّع لفقده. . . 16/2. . . ويدعو الأتباع إلى التمسك بحبل الأئمة. . . 16/2. . . ويؤكد أنّ الإمامة لا تنقطع. . . 17/2. . . ويحثّ على طاعة الأئمة - 18/2. المعزّ يجهز جيشاً إلى جبل أوراس - 19/2. وفود محمّد بن خزر خاضعاً مبايعاً وشافعاً في أصحاب أبي يزيد الباقي - 20/2. المعزّ يكرم جوذراً. . . 21/2. . . ويسكنه بقرية بالمنصورية - 22/2. منزلة النعمان تعلو عند المعزّ. . . 25/2. . . فيقيمه لقراءة كتب الباطن في مجالس الدعوة - 26/2. النعمان في تأليفه الكثيرة يصدر عن وحي الأئمة - 27/2. كتبه في الفقه، منها: «دعائم الإسلام» الذي أصّله له المعزّ، اعتماداً على جعفر الصادق - 28/2. المعزّ يغيّر عنوان كتاب الدينار - 30/2. كتب النعمان في التاريخ والسير. . . 31/2. . . وفي الجدل والمناظرة - 31/2. المنصور أيضاً أوحى إلى النعمان بمادة بعض كتبه - 33/2. منزلة جعفر ابن منصور اليمن كذلك رفيعة - 33/2. عود إلى فضائل المعزّ - 35/2. بشاشته نحور عاياه - 36/2. حلمه مع منجم مخادع - 37/2. جعفر الصادق كذلك كان لا يعمل بالتنجيم - 38/2. شغف المعزّ بالعلم والحكمة - 39/2. شتان بين سيرة الأئمة وسيرة بني أمية وبني العباس - 40/2. فسوق بني أمية علنيّ - 41/2. غزوة الحسن بن عليّ على المريّة

- 42/2 . . وغزوة شقيقه عمار إلى قلورية - 43/2 . وقعة مجاز ريو (سنة 345) - 44/2 . شعر ابن هانيء في الإشادة بوقعة المجاز . . 44/2 . . وفي التهكم بيني أمية أحلاف الروم - 46/2 . سفارة بيزنطية تطلب هدنة - 47/2 . المعز يرفض الهدنة الدائمة . . 48/2 . . ويعرض على المبعوث عقداً يهّم واجهتي الشام وقلورية . . 49/2 . . ويرفض إرسال سفير عنه إلى ملك الروم - 49/2 . شعر لابن هانيء في ذكر سفارة أخرى - 50/2 . «الرسالة المسيحية» من المعز إلى طاغية الروم - 52/2 . الناصر الأموي يطلب الصلح بطرق ملتوية . . 52/2 . . فيذكره المعز بالتراث القديمة بينهم . . 53/2 . . ويرفض المصالحة - 54/2 . حملة جوهر المغربية - 55/2 . شعر ابن هانيء في فتوح جوهر بالمغرب - 55/2 . ترجمة جوهر - 56/2 . المعز يطري كتامة لخدمتهم الطويلة . . 57/2 . . ويررّ تقديم جوهر عليهم . . 59/2 . . ويدعوهم إلى مؤاخاة العبيد . . 59/2 . . ويوصي العبيد بالمثل - 59/2 . جوهر يظفر بآبن واسول وبأحمد بن بكر بعد حصار شاق - 60/2 . المعز يخترع قفصين لعرض الأسيرين على الرعايا - 62/2 . المعز يحسن إلى الأدارسة ويسرّحهم إلى بلادهم . . 63/2 . . ويحذّره من نبذ ولاء الأئمة - 64/2 . مواظبة الأولياء على الصلاة وسماع الحكمة - 66/2 . المعز يحذّره من النفاق الذي وقع فيه قيصر الخادم - 67/2 . شعر ابن هانيء في أسر ابن واسول - 67/2 . المعز يجادل ابن واسول ويستفسره عن الأقاويل في الأئمة - 69/2 . المعز ينفي هذه التهم - 70/2 . ابن واسول يرغب في الصلاة وراء المعز فيجيبه أنّ صلاته باطلة إن هو لم يعتقد إمامته - 71/2 . المعز يصلّي صلاة العيد في البراح رغم الماء والوحل - 72/2 . المعز يقيم الحجّة على ابن واسول وابن بكر - 74/2 . حكم لحوم الحيوان وأبواله - 75/2 . الفقه الشيعي لا يجيز لحوم الخيل إلّا عند اليأس منها في زينة أو حرب - 75/2 . المعز يوتّخ وجوه سجلماسة على مؤازرتهم لابن واسول . . 77/2 . . ويصفح عنهم في النهاية - 78/2 . فتح طبرمين (ذو القعدة 351 / ديسمبر 962) - 78/2 . الاعذار الجماعي . . 79/2 . إحياء لسنة الرسول ﷺ - 80/2 . داع بالسند يتسامح في أحكام الدين مع منظوريه - 81/2 . . فيأذن المعز بقتله . . 82/2 . . لكنّ عقاب الله عاجله فخرجت الدعوة مطهرة منصوره . . 82/2 . . واختار المعز داعياً جديداً فوافق اختيار أهل الجهة - 83/2 . استطراد في وصف ضعف بني العباس وتسلبت أمراء القصر عليهم . . 85/2 . . وعجزهم عن حماية ثغور الإسلام - 86/2 . استنجد أهل قريطش بالمعز - 86/2 . رسالة المعز إلى الامبراطور يهّده بالحرب . . 87/2 . . وإلى الإخشيد لحماية الجزيرة . . 88/2 . . لكنّ الروم احتلّوها . . 89/2 . . كما احتلّوا عين زربة على الحمدانيين . . 89/2 . . وأخذوا حلب - 90/2 . شعر ابن مكحول في استنهاض كافور إلى الجهاد - 91/2 . رسالة المعز إلى حليم بن شيبان . . 92/2 . . يذكر فيها تصدّي الأسطول للروم . . 93/2 . . ويثني على جهاد الداعي بجزيrote - 94/2 .

[خروج الفائتد جوهر إلى مصر]

الحالة بمصر بعد وفاة كافور. . . 95/2 . . . وتطاحن الإخشيديين والكافوريين - 96/2 . . . تدعو المعز إلى تجهيز جيش لفتحها . . . 97/2 . . . فجمع الأموال 97/2 . . . وأمر جوهرًا على الجيش الفاتح - 98/2 . . . شعر لابن هانيء في وصف جيش الفتح - 98/2 . . . شعر له أيضاً في مدح أمير بركة - 101/2 . . . عقد الأمان من جوهر لأهل مصر - 101/2 . . . أتباع الإخشيد ينقضون الصلح - 105/2 . . . ويتأهبون لقتال جوهر فيعبر إليهم جعفر بن فلاح الكتامي فينهزمون . . . 106/2 . . . ويعطيهم جوهر أماناً آخر - 107/2 . . . جوهر يدخل الفسطاط - 108/2 . . . أول خطبة بجامع عمرو يدعى فيها للمعز - 109/2 . . . الدينار المعزي - 109/2 . . . قصيدة ابن هانيء في فتح مصر - 110/2 . . . شعر لعلي بن عبد الله التونسي - 112/2 . . . ولعبد الله بن جعفر السمرقندي في الموضوع نفسه - 112/2 . . . تلطف جوهر في إدخال الطقوس الشيعية، كالاعتماد على الحساب في الأهلّة والصلاة على الأئمة - 113/2 . . . جوهر يعتقل رؤوس المقاومة - 114/2 . . . مسير جعفر بن فلاح إلى الشام - 114/2 . . . الطقوس الجديدة: الحيلة والجهر بالبسملة - 114/2 . . . توريث ذوي الأرحام - 115/2 . . . شعر للمقداد الكتامي في فضائل كتامة - 115/2 . . . إرسال الأسرى إلى إفريقية - 116/2 . . . تمرّد زبیر الإخشيدی بصهرجت - 117/2 . . . مناظرة بين فقهاء مصر ودعاة الشيعة في الأهلّة - 117/2 . . . تغلب جعفر ابن فلاح على دمشق وحمص وسلمية . . . 118/2 . . . وتقدمه لتخليص أنطاكية من الروم - 118/2 . . . المعز يعين ابنه عبد الله إماماً مستودعاً ويستكتم جوهرًا سرّ التعيين - 119/2 . . . المعز يعلي شأن عبد الله وليّ عهده - 120/2 . . . التغلب على أبي خزر - 122/2 . . . قصيدة ابن هانيء في التشقي من ابن خزر - 123/2 . . . القرامطة يكتسحون الشام . . . 124/2 . . . فيقتلون جعفر ابن فلاح ويحاصرون سعادة بن حيّان في الرملة . . . 124/2 . . . ويحملون على القاهرة فيردهم جوهر - 125/2 . . . جوهر يخذل ثورة بالصعيد - 125/2 . . . رحيل المعز إلى مصر - 126/2 . . . الأستاذ جوهر يصحب المعز في هجرته . . . 127/2 . . . فيعتل بأجدابية - 128/2 . . . فيعوده المعز في عمّارته - 128/2 . . . جوهر، رغم مرضه، يهتدي زينة العسكر - 129/2 . . . العلّة تشتدّ بجوهر فيقضي نحبّه ببرقة - 131/2 . . . وصول المعز إلى الإسكندرية ثم إلى القاهرة (5 رمضان 362 / 9 جوان 973) - 131/2 . . . المعز يدخل القاهرة دون المرور بالفسطاط - 132/2 . . . المناظرة المزعومة مع علويّ مصر خرافة مغرضة - 133/2 . . . رجوع إلى مقتل زيري بن مناد وانتحار محمد بن الخير - 134/2 . . . انهزام الأعصم القرمطي على أبواب القاهرة - 135/2 . . . رؤيا للمعز تبشّر بالنصر على القرمطي - 135/2 . . . وفاة النعمان وعبد الله وليّ العهد - 137/2 . . . رثاء تميم لأخيه عبد الله - 137/2 . . . المعز يعين نزاراً وليّاً للعهد - 138/2 . . . وفاة المعز - 138/2 . . .

فهرس الخرائط

- 1 - دعوة منصور اليمى وعللى بن فضل باليمن 79 من الكتاب
- 2 - إفريقيا والمغرب فى القرن الرابع 82
- 3 - حملة القائم بمصر 203
- 4 - مطاردة المنصور لأبى يزيد 388

وَأَرْضُ الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ / الْجَيْبُ الْمَسِينِي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - سناية الأسود
تلفون : 340131 - 340132 - ص ب. 113-5787 بيروت - لبنان

الرقم 68 / 2000 / 8 / 1985

التتفيذ : كومبيو تايب للصف الطباعي الالكتروني

الطباعة: مؤسسة جواد - بيروت

ʿIdris ʿImād al-Dīn
(m. 872/1468)

ʿUyūn al-ʾAḥbār

(Chronique des califes fatimides au Maghreb)

Texte établi et annoté par
Mohammed Yalaoui



Dār al-Gharb al-Islāmi
1985

ʿUyūn al-ʾAḥbār

(Chronique des califes fatimides au Maghreb)